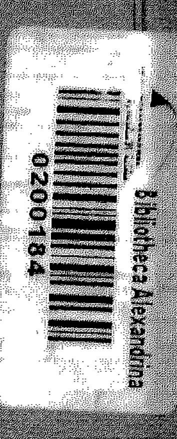
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



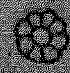
أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية

تأليف

د. عبد الحميد الصيد الزنتاني



الدار العربية للكتاب




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية

تأليف

د. عبد الحميد الصيد الزنتاني

الدار العربية للكتاب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإهــداء

إلى كلّ شـابّ مسـلم حريص على
إقـامة حيـاته الفرديّة والاجتماعيّة
على دعـائم الهـدى والتقى ، والعـلم
والإيـمان ، والخـير والفضيـلة ..
أهـدى هـذا الكتاب .

عبد الحميد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رقـم الايداع بدار الكتب الوطنيـــة
1723 / 93
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

الطبعة الثانية
1993

جميع الحقوق محفوظة الدار العربية للكتاب
ليبيـا ـ تونـس

1984

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الهادي الى الحق المبين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله الكرام محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم هداية مبينة خالدة تقود البشر كافة الى سبل السعادة في الدارين ، وجعله معجزة خاصة بسيدنا محمد ﷺ عبده ونبيه ورسوله ، باهرة باقية ، وأعطاه السنة مفصلة للكتاب ، شارحة له ، مبينة لأحكامه وتعاليمه ، كما قال عزّ وجل :

﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل اليهم ولعلهم يتفكرون﴾[1]

وكما قال تعالى :

﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ .[2]

وعليه فإن السنة النبوية الصحيحة ـ قولاً وفعلا وتقريرا ـ أصل أساسي ثابت من أصول الدين يأتي مباشرة بعد كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي تكفل الله بحفظه أبد الدهر ، تستمد من فيضها العقائد ، وتستقى من نبعها الأحكام ، وتؤخذ

---

(1) النحل / 44

(2) النحل / 64

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال سبحانه :

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ [1]

وأكد رسول الله ﷺ ذاته لنا وجوب اتباع سنته المباركة حتى يكتمل إيماننا ، وتصح عقيدتنا ، وتسلم عقولنا من الزيغ وقلوبنا من الضلالة وأنفسنا من الانحراف ففي اتباع سنته الشريفة ـ بعد كتاب الله تعالى ـ العصمة من كل أوجه الضلال .

- قال رسول الله ﷺ، في خطبة حجة الوداع :

« وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه »[2]

- وعن العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله ﷺ يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال، ان هذه موعظة مودع، فما تعهد الينا يا رسول الله؟ قال:
« أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وان عبد حبشي، من يعش منكم ير اختلافا كثيرا، وإياكم ومحدثات الأمور فانها ضلالة، فمن أدرك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ».[3]
- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : « جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا

---

(1) التوبة / 71
(2) ابن اسحق / سيرة النبي ﷺ / 3 / ص 1023
(3) الترمذي / حـ 10/ص 144 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ !ـ أما والله إني لأخشاكم لله . وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .[1]

- وعن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول :

« ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم . فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم » .[2]

- وعن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكىء على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللنا ، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه ، وأن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله » .[3]

وإذا كان من الواجب علينا شرعاً الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ في تشريعاتنا ومعاملاتنا وعلاقاتنا وفي كل شأن من شؤون حياتنا قدر الاستطاعة ، فان اقتداءنا بالسنة في تربية ناشئتنا منذ الصغر أوكد وأوجب ، لكونها غنية بالأسس والتضمينات التربوية الايجابية ، وزاخرة بالتوجيهات والارشادات البناءة ، وثرية بالحكمة والوعي والتبصر في فهم النفس البشرية بمركباتها وتفاعلاتها ودوافعها وعواطفها وانفعالاتها المختلفة ، ولا شك أن الاستهداء بتعاليمها والاسترشاد بمناهجها واتباع

---

(1) البخاري / حـ 7/ص2

(2) مسلم /جـ7/ص 91

(3) الترمذي / جـ 10 / ص 133 (وقال عنه حديث حسن غريب)

أساليبها من طرف الآباء والمربين والمسؤولين عامة ـ في البيت والمدرسة والمجتمع ، وفي مختلف المناهج والبرامج والأنشطة التعليمية والتربوية والتثقيفية والتوجيهية ـ يضمن لنا الى أقصى حد ممكن خلق جيل سوي متكامل الشخصية روحيا وعقلياً ووجدانياً وأخلاقياً واجتماعياً وجسدياً ، محصن ضد الانحرافات والمفاسد وأسباب التحلل العقائدي والخلقي والاجتماعي .

قال الله تعالى :

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾[1]

وقال عز وجل :

﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ .[2]

وقال سبحانه :

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[3]

وقال جل جلاله :

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[4]

وقال رسول الله ﷺ :

« أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد » .[5]

---

(1) الأحزاب / 21
(2) الأحزاب / 46,45
(3) الأنبياء / 107
(4) التوبة / 128
(5) مسلم / حـ 3/ ص 11

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويمكننا ان نعرف التربية المحمدية بدون شطط أو مغالاة ، بأنها : « عملية متكاملة » و« عملية حياة » وهو ما فيه سبق فريد للمفهوم العصري الحديث للتربية وتصحيح للأخطاء والانحرافات العالقة به سواء في الجانب النظري أم الجانب التطبيقي . وهو ما فيه ـ بدون شك ـ تقويم لاعوجاج المفهوم التقليدي القديم للتربية في العصور السابقة .

ونعني بقولنا أن التربية المحمدية « عملية متكاملة » عنايتها بالجانب الروحي والعقلي والوجداني والأخلاقي والاجتماعي والجسدي في تكوين الشخصية الانسانية وفق معيار الاعتدال والاتزان فلا إفراط في جانب دون غيره ، ولا تفريط في جانب لحساب آخر . وهي بذلك تركز على تنشئة « الانسان الصالح » بدون قيود الزمان أو المكان ، وهي بهذا الهدف الخلاق فاقت هدف التربية الحديثة التي تنشد تكوين « المواطن الصالح » حسب معايير البيئة التي يعيش فيها أو العصر الذي يحيا فيه .

إن التربية المحمدية تكوِّن « الانسان الكامل » الذي تجتمع في شخصيته قيم الروح والعقل والوجدان وفضائل النفس والخلق والبدن ، مع الموازنة العادلة بين جانبيه الفردي والاجتماعي ، فهو إنسان كامل كفرد في عقيدته وخلقه وسلوكه وتصرفاته ونهجه في الحياة، وهو إنسان كامل كعضو في الجماعة يعمل على خيرها وتحقيق أهدافها ، ويساهم بإيجابية في صيانة كيانها وخلقها وتراثها .

ونعني بقولنا أن التربية المحمدية « عملية حياة » : اهتمامها بالانسان قبل مولده ، ومن مهده الى لحده ، فهي تحث أساسا على اختيار والديه (الزوجين) من الصالحين دينا وخلقاً وبدناً ، وهي تهتم بحسن غذائه وكسائه ، وتعنى بتربيته الدينية والعقلية والخلقية والاجتماعية منذ فجر طفولته حتى ترسخ عقيدته ويكتسب الخصال الحميدة والأخلاق الكريمة ، وينمو تحصيله العلمي والمعرفي منذ الصغر ، ويحسن التعامل مع الآخرين ويكوِّن معهم علاقات ايجابية وصلات مثمرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أهمية موضوع هذا الكتاب:

لا شك أن السنة النبوية تعتبر من أهم مصادر التربية الانسانية المتكاملة سواء في إعداد وتنشئة الفرد ، أم في تكوين وتوجيه الجماعة ، وذلك لكونها زاخرة بالأسس والمبادىء والدعائم التربوية الحية والمتجددة التي إن اتبعناها في مناهجنا ونظمنا التعليمية وتوجيهاتنا الأخلاقية ، وإرشاداتنا الاجتماعية، لكفلت لنا بحق، تكوين « الانسان الصالح » و« المجتمع الصالح » على نحو من الكمال الانساني المنشود .

ولما كان موضوع التربية الاسلامية في السنة النبوية لم يُطرق بشكل متعمق وموسع وكافٍ من قبل الباحثين والدارسين ، ولما كان أغلب الباحثين في التربية الاسلامية قد سلكوا سبيل العموميات من حيث أسلوب التناول والمعالجة او من حيث تعدد المصادر وتنوعها دون التركيز على مصادر السنة النبوية ذاتها هذا من جهة ، فضلا عن ندرة من ألّف أو كتب في هذا المجال على نحو متخصص ومتعمق من جهة أخرى ، فقد رأينا تناول موضوع « أسس التربية الاسلامية في السنة النبوية » وذلك بالتركيز على تحليل المضامين التربوية في السنة النبوية ، واستخراج الأسس والقواعد والمبادىء التربوية التي تعج بها ، والتي تكفل لنا إن طبقناها على وجهها الصحيح تكوين الشخصية الانسانية السويّة ، وبالتالي تكوين المجتمع الانساني الفاضل .

وتتجلى أهمية موضوع الكتاب في عدة جوانب لعل أبرزها ما يلي :

1- إن الرجوع الى السنة النبوية وإحياءها ودراسة مضامينها التربوية وتحليلها واستقصاء الأسس التربوية الكامنة فيها واستنباط أسس جديدة منها توائم روح العصر الذي نعيش فيه، يعد أمرا بالغ الأهمية والضرورة ، ويتطلب من الباحثين المؤمنين الصادقين مزيدا من الجهد والاهتمام ، باعتبار السنة النبوية الصحيحة المصدر الثاني ـ بعد كتاب الله تعالى ـ للتربية الاسلامية القويمة للفرد والجماعة ، وباعتبارها ايضا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تراثا فكريا حيا متجددا للأمة الاسلامية لا يذبل على مرّ الدهور ، لأنه فيض من نور الله عز وجلّ يحمل الهداية المستمرة للفرد والأمة .

2- إن الفرد والجماعة ـ وهما يعيشان في عصر التقدم المادي الغاشم المليء بالزيغ والانحراف والأباطيل ـ لا يمكن لهما ان يهتديا الى سواء السبيل إلا على أساس إقامة حياتهما على دعائم العلم والايمان ، والمادة والروح ، والعاطفة والعقل ، وهذا لا يستقيم لهما إلا بالرجوع الى منهل السنة النبوية الصحيحة الى جوار كتاب الله تعالى لأنهما المصدران الأساسيان للتوازن والاعتدال والانسجام الحقيقي في تربية قوى النفس البشرية وتزكيتها وترقيتها .

3- إن هذا الكتاب محاولة جادة ومخلصة للكشف عن بعض كنوز السنة النبوية المخبوءة ـ وما أكثرها وأعظمها ـ في مجال التربية ، وإبراز مدى توفيقها في تربية الفرد وتنشئته ، وتكوين الجماعة وإعدادها على نحو متزن ومتعادل ومنسجم بين الجوانب : الفردية والاجتماعية ، والروحية والمادية ، والعقلية والجسمية ، والدنيوية والأخروية . وكذلك إبراز مواقف السنة النبوية المطهرة من الأسس والمبادىء التربوية الحديثة دعماً او تعديلاً أو رفضاً .

والكتاب بهذا النهج دعوة مخلصة الى الباحثين الأكفاء كي يهتموا بالسنة النبوية كمصدر تربوي حيوي عظيم ، فيضيفوا الى ما سبقهم من محاولات جادة إضافات ايجابية بناءة ، ويثروها ويعملوا على تدعيم صحيحها وتقويم عليلها ، كل ذلك قصد رضا الله تعالى : بإحياء سنة رسوله المطهرة بشكل متواصل في كافة المجالات ، وخاصة في مجال التربية ، بغية الوصول الى نظام تربوي أشمل وأمثل في تكوين الفرد والجماعة على أسس الهدى والعلم .

أبحاث الكتاب :

قسمنا أبحاث الكتاب على الفصول الآتية :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الأول : أسس عامة :

ويشمل هذا الفصل المواضيع التالية : معنى التربية وأغراضها ، والنمو ومراحله وخصائصها وأهمية دراسته ، والفروق الفردية ، والوراثة والبيئة وأثرهما في النمو ، والثواب والعقاب وأثرهما في التربية ، والأسلوب النبوي الشريف في التربية .

وقد عنونا هذا الفصل « بالأسس العامة » لكونها تعد كالقاسم المشترك بين الفصول الأخرى للكتاب .

الفصل الثاني : التربية الجسمية :

ويشمل هذا الفصل الموضوعات التالية : النمو الجسمي وخصائصه ، والعوامل المؤثرة في النمو الجسمي ، وأثر النمو الجسمي في جوانب النمو الأخرى وتأثره بها ، وأهم أهداف التربية الجسمية في السنة النبوية .

الفصل الثالث : التربية الروحية:

يحتوي هذا الفصل على الموضوعات التالية : الدين : معناه وآثاره ، والنزعة الفطرية نحو التدين والايمان ، والحاجة الى الايمان والعقيدة ، ومفهوم التربية الروحية وجوانبها وآثارها ، وركائز التربية الروحية في الدعوة المحمدية ، وأهم الآثار الايجابية للتربية الروحية ، وأهم أهداف التربية الروحية في السنة النبوية .

الفصل الرابع : التربية العقلية :

ويضم هذا الفصل الموضوعات التالية :

أهمية الذكاء كقدرة عامة ، والاستعدادات والقدرات العقلية ، والميول العقلية ، وأهم العوامل المؤثرة في النمو العقلي ، وأهم العمليات العقلية العليا ، والتعلم وأهم نظرياته وطرقه والوسائل المساعدة عليه ، وأهم عناصر التعلم في السنة النبوية ، ومكانة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العقل في السنة النبوية ، وأهم موازين البحث العلمي في السنة النبوية ، وأهم أهداف التربية العقلية في السنة النبوية .

الفصل الخامس : التربية الوجدانية :

ويشمل هذا الفصل الموضوعات الآتية : النمو الوجداني وخصائصه ، والعوامل المؤثرة في النمو الوجداني ، والسلوك : معناه ودوافعه ، وأقسام النمو الوجداني : الغرائز والعواطف والانفعالات ، والحاجات النفسية والاجتماعية ، والصراع بين الدوافع ، والأمراض النفسية : أسبابها وعلاجها ، وأهم أهداف التربية الوجدانية في السنة النبوية .

الفصل السادس : التربية الخلقية :

ويحتوي هذا الفصل على الموضوعات التالية : تعريف الأخلاق ، والنمو الخلقي ومراحله ، وأوساط التربية الخلقية ، والضمير ، والمسؤولية الخلقية ، والتربية السلوكية ، وإصلاح أحوال النفس وتقويمها ، ومكانة الأخلاق في السنة النبوية ، وأقسام الأخلاق : الأخلاق المحمودة والأخلاق المذمومة ، وخصائص الأخلاق في السنة النبوية ، وأهم وسائل التربية الخلقية ، وأهم أهداف التربية الخلقية في السنة النبوية .

الفصل السابع :

ويضم هذا الفصل الموضوعات الآتية : النمو الاجتماعي وخصائصه ، والعوامل المؤثرة في النمو الاجتماعي ، والعلاقات الاجتماعية ، وعلاقة الفرد بالبيئة الطبيعية ، والآداب الاجتماعية ، وأهم أهداف التربية الاجتماعية في السنة النبوية .

الفصل الثامن : الشخصية السوية المتكاملة ؛

ويشمل هذا الفصل الموضوعات التالية : الشخصية : تعريفها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمقصود بها ، وأهم العوامل المؤثرة في الشخصية وتكوينها ، والتوازن بين القوى والاستعدادات الانسانية وأهميته في بناء الشخصية ، وأهمية التكامل بين الجانب الفردي والجانب الاجتماعي للشخصية السوية المتكاملة ، وأهمية وفعالية الاستهداء بكمال شخصية النبي ﷺ في تكوين الشخصية السوية المتكاملة ، وأهم صفات الانسان الصالح .

ملاحظات حول شكل ومضمون الكتاب :

من الملاحظات التي رأينا أهمية إبرازها حول شكل ومضمون هذا الكتاب ما يلي :

1- راعينا في شكل الكتاب إبراز جوانب التربية باعتبارها عملية متكاملة بالنسبة لحياة الانسان وتشكيل شخصيته ولذلك فقد بحثنا بشكل مفصل مواضيع : التربية الجسمية والتربية الروحية والتربية العقلية والتربية الوجدانية والتربية الخلقية والتربية الاجتماعية ، وأفردنا لكل موضوع منها فصلا خاصاً به ، هذا الى جانب إفرادنا لفصل خاص بالأسس العامة التي اعتبرناها قاسماً مشتركاً بين مختلف فصول الكتاب .

2- راعينا تكامل الجانب التطبيقي مع الجانب النظري ، فأفردنا فصلا خاصاًبالشخصية السوية المتكاملة نتناول فيه الاستهداء بكمال شخصية النبي ﷺ في تكوينها واعتبار هذا الفصل تتويجا للفصول التي سبقته ومهدت له .

3- أخذنا بأسلوب « التوسع » في معالجة موضوع الكتاب ، باعتبار ان هذا التوسع يفرضه الموضوع ذاته والذي يتطلب شيئاً من التفصيل والتحليل كلما اتسع المقام له ، مع مراعاة عدم الاخلال بعناصر الموضوع الأساسية قدر الامكان ، هذا مع ملاحظة كثرة عدد الآيات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الواردة في الكتاب، والتي كانت محل استشهاد او تدليل او تحليل أو دراسة .

4- راعينا أسلوب العمق - الى جانب أسلوب التوسع - في تحليل المضامين التربوية في السنة النبوية كلما أمكننا السبيل ، مع مراعاة عدم الاطالة المخلة من جهة ، وحرصنا على إشراك القارىء في الاستنتاج والاستنباط من جهة أخرى ، وهو ما يعد هدفاً أساسياً في عملية التربية والتعليم ذاتها .

5- نعتبر هذا الكتاب على طوله الظاهري الذي قد يبدو للقارىء لأول وهلة في حاجة الى إضافات تحليلية وموسعة أخرى من الباحثين والدارسين الأكفاء تعميما للفائدة وإثراء لمعالجة موضوع التربية في السنة النبوية - وذلك حتى نفي السنة النبوية المطهرة حقها كتراث إنساني فكري تربوي أصيل من ناحية ، وحتى نستفيد بكنوزها العظيمة في عملية تنشئة وتربية الأجيال الجديدة على أساس متكامل من العلم والايمان من ناحية أخرى .

وبعــد ،

فإننا لسنا ندعي ان هذا الكتاب قد أحاط بكل المضامين التربوية في السنة النبوية ، ولكن حسبنا ان نكون قد ساهمنا به - بجدية صادقة ونية مخلصة - في إثارة عقول أجيالنا الصاعدة وتنبيه أذهانهم الى أنه لا خلاص لنا - أفرادا وجماعات ، في عصرنا المادي الغاشم الذي تشيع فيه اتجاهات التفسخ والتهتك والانحلال وتأخذ بمجامع القلوب - إلا بالعودة الى تراثنا التربوي الاسلامي الأصيل ، وحفظه واحترامه وتعزيزه المستمر ، وعلى رأسه تأتي سنة الرسول الخاتم الأمين محمد بن عبد الله عليه من الله وملائكته والمؤمنين أفضل الصلاة والتسليم ، جزاه الله تعالى عنا خير ما جزى به نبياً عن أمته فقد هداها حياً بدعوته وترك لها الهداية ميتاً في سنته .

وإذا أصابت هذا الكتاب صواباً وسداداً فهو من توفيق الله تعالى وعونه والهامه وتأييده ، وإن خالطه الوهم ولابسه الخطأ فهو من سوء فهمي وتقديري ، وحسبي أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى قصداً ، وأن ينفعني به في الدارين إنه نعم المولى ونعم الوكيل ، وعليه وحده قصد السبيل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

● الفصل الأول

أُسُسٌ عَامَّةٌ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معنى التربية : -

الفرد الانساني لا بد أن ينشأ في جماعة، فهو منذ طفولته يحتاج الى من يرعاه ويتعهده بالتربية والعناية حتى يشب عن الطوق ويصبح قادرا على الاعتماد على نفسه من جهة، وقادرا على ان يكون عضوا صالحا في الجماعة من جهة أخرى.

وتلك التربية أو الرعاية التي يتلقاها لا تقتصر على جانب من جوانب شخصيته بل من الضروري ان تكون ذات طابع شمولي تكاملي لجميع جوانب شخصيته: الروحية والعقلية والوجدانية والاخلاقية والاجتماعية والجسمية.

ولكي تتكامل شخصية الفرد وتكون سوية ومتزنة بالقدر الذي يمكنه من « التكيف » مع الجماعة والمحيط الذي يعيش فيه لا بد من « وسيلة » أو عملية اجتماعية تكسبه صفاته الانسانية والاجتماعية، وتوازن بين جانبيه الفردي والاجتماعي.

وهذه الوسيلة أو العملية الاجتماعية هي التربية، وقلنا عن التربية انها « عملية اجتماعية » لكونها وسيلة للتنشئة الاجتماعية Socialization اذ بواسطتها يتمكن المجتمع من الحفاظ على تراثه الديني والثقافي والاجتماعي واستمراره، لأن في بقاء هذا التراث واستمراره بقاء المجتمع ذاته واستمراره.

وبالتربية يقوم جيل الكبار الراشدين في المجتمع بنقل ذلك التراث الى جيل الصغار الناشئين. أي ان التربية بهذا المفهوم هي وسيلة المجتمع في حفظ ونقل « تراثه » من الجيل القديم الى الجيل الناشىء الى أجيال المستقبل.

والى جانب هذا فان التربية كعملية رعاية وتنشئة اجتماعية تعنى « بالفرد » عناية متكاملة منذ طفولته الى رشده وحتى خاتمة حياته. فبها يكتسب القدرة على التكيف Accomodation مع بيئته الاجتماعية والطبيعية على اختلاف المواقف والظروف التي تكتنفه فيها وبها تنمو شخصيته وتتكامل، فيشب سليم البدن، معافى من الأمراض والعلل، قادرا على حسن استعمال عقله بتفكير منطقي وادراك ناضج وحكم سليم، ذا نفسية سوية متزنة خالية من العقد والصراع والأمراض النفسية، مؤمناً بربه معتصما بحبله المتين، مهذبا ذا خلق قويم، متصفا برقة المشاعر والوجدان وسمو الذوق والاحساس بالجمال، متمكنا من تعلم او اكتساب حرفة أو مهنة تتفق مع ميوله ومواهبه وقدراته وتكون مصدرا لرزقه الحياة.

وهكذا يتبين لنا ان التربية « عملية ضرورية » لتنشئة الفرد وتكوين شخصيته المتزنة السوية المتكاملة، وهي مثل ضرورة التغذية للجسم، فكما ان التغذية تنمي البدن وتحفظ له صحته وسلامته، فان التربية تحفظ للفرد حياته وتوجهها الى شاطىء السلامة والاطمئنان والانتاج، خاصة اذا ما لاحظنا ان فترة الطفولة لدى الوليد البشري طويلة اذا ما قورنت بغيرها لدى مواليد الحيوانات الأخرى، ويتضح فيها عجزه الشديد واعتماده على والديه في احتياجاته الى مدة طويلة من الزمن، وهذه الخاصية البشرية مهمة وخطيرة للغاية، فهي تحمل الوالدين وغيرهما من المربين والمسئوولين عن الرعاية التربوية تبعات جليلة في تهذيب « الوليد الناشىء » وتعليمه وتوجيهه، ولا شك في ان حسن استثمار هذه « الخاصية البشرية » بادراك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ووعي تربوي سليم يمكن الآباء والمربين من تكوين جيل جديد سوي ومتكامل نافع لنفسه ومجتمعه.

ما هو معنى التربية؟

التربية لغويا معناها الازدياد والنمو، أو التنشئة والتغذية ونقول ربى الوالد ابنه بمعنى غذّاه وجعله ينمو ونقول ربيت بمعنى نشأت. غير أن التنشئة أو التغذية ليست عملية مادية فحسب - أي مقتصرة على الطعام - ولكنها عملية متكاملة تشمل جميع جوانب شخصية الناشىء: - روحيا وعقليا ونفسيا وخلقيا واجتماعيا وبدنيا، ولذلك فان من اهم معانيها التهذيب، والرفع والسمو، والترقية والتزكية للروح والعقل والخلق.

ولمزيد من الايضاح يمكن ايراد بعض التعريفات العامة التي وضعها الفلاسفة والمفكرون للتربية فيما يلي: -

1- يقول أفلاطون الفيلسوف اليوناني: «ان التربية هي اعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال والكمال.»

2- ويرى أرسطو الفيلسوف اليوناني ان «الغرض من التربية هو اعداد العقل لكسب العلم».

3- ويعرفها جون سيمون الفيلسوف الفرنسي بقوله «إن التربية هي الطريقة التي يكوّن بها العقل عقلا آخر».

4- ويقول «جون ميلتون» المربي والشاعر الانجليزي: «ان التربية الكاملة هي التي تجعل الانسان صالحاً لأداء أي عمل، عاماً كان أو خاصاً بدقة وأمانة ومهارة، في السلم والحرب».

5- ويقول بستالوتزي أحد كبار المربين السويسريين: «ان التربية هي تنمية كل قوى الطفل تنمية متلائمة».

6- ويرى كنت الفيلسوف الالماني «ان التربية تصل بالانسان الى الكمال الممكن».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

7- ويعرفها جيمس ميل العالم الانجليزي بأنها:« اعداد الفرد ليسعد نفسه اولا وغيره ثانيا »[1]

8- ويركز الامام الغزالي في آرائه التربوية على ان الهدف الأسمى للتربية: « هو التقرب لله تعالى والاستعداد للحياة الاخروية. ولذلك دعا الى تربية الصبيان تربية دينية وخلقية قوامها التقشف والزهد في الملذات حتى البريئة منها ».

9- ويرى ابن سينا في تعريفه للتربية انها « وسيلة إعداد الناشىء للدين والدنيا في آن واحد وتكوينه عقليا وخلقيا، وجعله قادرا على اكتساب صناعة تناسب ميوله وطبيعته وتمكنه من كسب عيشه. »

10- أما ابن خلدون فقد أكد في أرائه التربوية على« ضرورة العناية بتنمية عقل المتعلم ومراعاة استعداداته العقلية. »

هذه تعريفات قليلة للتربية سيقت على سبيل المثال لا الحصر، وفيها يتبين اختلاف تعريفات الفلاسفة والعلماء والمربين للتربية باختلاف اهتماماتهم وميادين تخصصهم.

وبدراسة تلك التعريفات نجد ان كلا منهم يركز في تعريفه للتربية على بعض القيم او المثل أو الاتجاهات أو الأغراض أو الأهداف التي ينبغي تحقيقها من خلال نظريته.

على اننا نميل الى وضع تعريف متكامل يقرب الى الأذهان معنى التربية واضعا في الاعتبار وظيفتها الاجتماعية وما ترمي الى تحقيقه من اغراض قريبة واهداف بعيدة ترتبط بحياة الفرد والمجتمع وتوازن بين احتياجاتها ومتطلباتها على حد سواء دون افراط او تفريط.

---

(1) التعريفات من رقم 1 الى 7 اقتبست من: عبد الحميد فائد / رائد التربية العامة وأصول التدريس / ص 28,27

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولعل من أشمل التعريفات المبسطة التي نميل اليها والتي تراعي التكامل بين الجانبين الفردي والاجتماعي للشخصية الانسانية، هو التعريف التالي: -

« التربية هي إعداد المرء ليحيَا حياة كاملة، ويعيش سعيدا، محبا لوطنه قويا في جسمه متكاملا في خلقه، منظما في تفكيره، رقيقا في شعوره، ماهرا في عمله، متعاونا مع غيره يحسن التعبير بقلمه ولسانه ويجيد العمل بيده.[1]

ولئن كان هذا التعريف قد راعى شمولية العملية التربوية، بتركيزه على الجانب البدني والعقلي والوجداني والاجتماعي، الا انه أغفل التركيز على الجانب الروحي، وهو أهم الجوانب المؤثرة في حياة الفرد والمجتمع. اللهم الا اذا كان قد أشار الى ذلك ضمنياً بإبرازه « للكمال الخلقي » باعتبار ان اساس الفضائل الخلقية هو القيم الروحية.

ويمكننا ان نبسط تعريف التربية بقولنا: « انها عملية تشكيل الشخصية السوية المتكاملة في جميع جوانبها روحيا وعقليا ووجدانيا وخلقيا واجتماعيا وجسميا والقادرة على التكيف مع البيئة الاجتماعية والطبيعية التي تعيش فيها. »

ما الفرق بين عمليتي التربية والتعليم؟

هناك فرق واضح بين عمليتي التربية والتعليم، فالتعليم ليس هو التربية، بل هو جزء منها، وعملية التربية تشمل التعليم وليس العكس، فالتربية هي عملية تنمية متكاملة لكافة قوى وملكات الفرد، بمختلف الأساليب والطرق، ليكون سعيدا وعضوا صالحا في

---

(1) الأبراشي / روح التربية والتعليم / ص 7

مجتمعه وهي بذلك تشمل جميع جوانب شخصيته: الروحية والعقلية والخلقية والاجتماعية والوجدانية والجمالية والبدنية.

أما عملية التعليم فهي ـ كجزء من العملية التربوية الكاملة ـ ترمي أساسا الى تنمية عقل الفرد وتمكينه من اكتساب المعرفة والمهارات اللازمة لحياته، ودرايته بعلم ما أو فن ما: أو حرفة أو مهنة ما، ونحو ذلك.

بل ان عملية التعليم اذا زالت عنها السمة التربوية أصبحت مجرد حشو وتكديس لمعلومات لا تفيد في تشكيل الشخصية أو تعديل اتجاهاتها بالشكل الايجابي المرغوب منها. والحاجة الماسة تظهر دائما «للمربي الكامل» الذي يمكنه القيام بعمليتي التربية والتعليم معا، فيساعد على تكوين الشخصية السوية المتكاملة لا المعلم الذي يقتصر دوره على تلقين الدروس والمعارف.

وهكذا يتضح ان عملية التربية أكثر وأوسع شمولية وتكاملية من عملية التعليم، اذ أن هدف التربية يتجه الى تنمية وصقل جميع جوانب الشخصية الانسانية بما يكوِّن في المجتمع أعضاء صالحين ذوي مواهب وقدرات وخبرات وكفاءات جيدة، متعاونين متآزرين، سعداء ذوي نظرة ايجابية للحياة، قادرين على مساعدة وإسعاد اسرهم وأقربائهم واعانة بقية افراد مجتمعهم، حريصين على القيام بواجباتهم الانسانية تجاه غيرهم.

وبهذا فان التربية: «عمل شامل لاعداد الانسان الكامل، وتعلم أي عمل مشترك بين المعلم والمتعلم، بين المربي والطفل، لايجاد الحقائق واستنتاجها، ثم تقريرها وتعريفها وتركيزها.»[1]

---

(1) عبد الحميد فائد / رائد التربية العامة وأصول التدريس / ص 28، 29

واذا ما نظرنا الى التعريفات المذكورة آنفا للتربية، والتي تحاول ايضاح معناها ووظيفتها واهدافها، في ضوء السنة النبوية الشريفة نجد ان السنة النبوية لا تعارضها أو تلغيها، بل تؤيد كثيرا منها، هذا مع قصب السبق الذي حازته السنة النبوية على واضعيها.

فالسنة النبوية وضعت للتربية تعريفا أدق وأشمل. فهي ترى أن التربية هي عملية رعاية. وكلمة رعاية توحي بدلائل وتضمينات تربوية أكثر من غيرها. فمن دلائلها وتضميناتها كونها عملية اهتمام وحرص ورقابة وتعهد وحدب وتهذيب وسمو ورفع وترقية وتزكية وعناية متكاملة لمن توجه اليه رعاية الراعي المسؤول.

والرعاية في اللغة تعني الحفظ وتولي الأمر. اذ ان « الراعي: اسم فاعل وكل من ولي أمر قوم ».

ونقول رعى الأمير رعيته أي ولي أمرها وساسها وتدبر شؤونها. وهكذا تكون الرعاية المسؤولة في العملية التربوية: روحها وعمادها وبدونها لا تستقيم ولا تحقق أغراضها واهدافها.

والسنة النبوية تجعل الرعاية مسؤولية تربوية يحاسب عليها من أنيطت به تبعاتها ومهامها. ولنتأمل الحديث الشريف التالي الذي يتضمن كل الدلائل والتضمينات التربوية التي أشرنا اليها.

* عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال:
« ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالامام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. »[1]

---

(1) البخاري / جـ 9 / ص 77

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذه النظرة الشمولية للتربية التي ركزت عليها السنة النبوية بكونها عملية رعاية كاملة قوامها المسؤولية التامة، انما ترسخ دعائم اعداد الانسان المتكامل الشخصية روحيا وعقليا وخلقيا ووجدانيا واجتماعيا وبدنيا والذي يجعل دائما نصب عينيه ان لربه عليه حقا ولنفسه عليه حقا، ولأهله عليه حقا، والذي يحب لغيره ما يحب لنفسه والذي يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، والذي يسلم الآخرون من لسانه ويده والذي يفعل الخير بروح ايجابية متعاونة وان يمط الأذى عن الطريق أو يسق حيواناً ظمآناً.

والرعاية مسؤولية خطيرة يحاسب عليها من وليت له، ويتحمل تبعة عدم النصح والاخلاص في القيام بها، بل وجعلت السنة النبوية دخوله للجنة رهين اخلاصه فيها.

عن عبيد الله بن زياد عاد معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه، فقال له معقل اني محدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت النبي ﷺ يقول: ـ
« ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة. »[1]

هذا ولو تأملنا الأغراض أو الأهداف التي ترمي اليها التعريفات التي وضعها العلماء والفلاسفة والمفكرون التربويون، لما وجدنا بينها وبين ماورد في السنة النبوية من توجيهات وتضمينات تربوية ـ أي تعارض أو تناقض. بل ان السنة النبوية الشريفة تقر كثيرا منها وتثريه وتسبقه.

فاذا كان كثير من التعريفات ـ وفيها ما ذكرناه في الصفحات السابقة ـ يرى أن التربية ترمي الى تربية « الروح » أو « تربية العقل »

---

(1) البخاري / جـ 9 / ص 80

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو « ترقية الخلق » أو « تعويد الفرد على الاعتماد على نفسه وتربيته تربية استقلالية » أو تمكينه من اتقان مهنة او حرفة ما لكسب العيش »، فاننا لا نجد أي تناقض أو تعارض بين هذه التعريفات وما تضمنته السنة النبوية الشريفة من أسس ودعائم بناء الشخصية السوية المتزنة للمسلم المتكامل، بل حوت في مضامينها التربوية كل التعريفات الآنفة الذكر وأكثر منها بوضوح كامل فقد حرصت السنة النبوية على الاهتمام « بتربية الروح ».

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ـ

« « حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره »[1]

وفي هذا الحديث نجد دعوة الى ترقية الروح وتهذيب النفس وكبح جماحها وشهواتها ومجاهدتها، لأن في تقوى الله عزّ وجلّ تكمن السعادة في الدارين.

وعن صهيب قال :قال رسول الله ﷺ :

(عجبا لأمر المؤمن. إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد الا للمؤمن، ان اصابته سراء شكر فكان خيراً له، وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له. »[2]

وبمثل هذه التربية التي رسمت لنا معالمها، ورسخت دعائمها السنة النبوية الشريفة نصل الى تربية « المؤمن » المتكامل الشخصية، ذي النظرة الايجابية للحياة، الذي قويت همته، واشتدت عزيمته، فلا يلحقه غرور، ولا يحطمه فشل ان وجد يسرا شكر الله تعالى وواصل طريقه، وان وجد عسراً استعان بالله تعالى، وصبر على المكاره، واستمرت محاولته في تخطي الصعاب والعراقيل التي تعترضه حتى

---

(1) البخاري / جـ 8 / ص 127

(2) مسلم / جـ 8 / ص 227

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يوفقه الله تعالى الى بلوغ آماله.

والمؤمن الحق دائم الشكر والذكر لربه عز وجل. قال تعالى: ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الآ بذكر الله تطمئن القلوب. »[1]

وكذلك حرصت السنة النبوية على تنمية العقل وأحلته مكانة رفيعة لا نظير لها.

وأول خطاب نزل في القرآن الكريم كان موجها الى « العقل » الانساني تكريما له وتعظيما لشأنه، وجعله وسيلة الإيمان الصحيح القائم على الوعي والتدبر والتبصر.

قال تعالى: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الانسان ما لم يعلم. ﴾[2]

ودعا رسول الله ﷺ الى تنمية العقل وصقله بالتجربة والخبرة والممارسة.

عن أبي سعيد قال رسول الله ﷺ:
« لا حليم الا ذو عثرة، ولا حكيم الا ذو تجربة. »[3]

ووجهنا رسولنا الأكرم ﷺ الى ان ترقية العقل وتزكيته لا تكون الا بالتربية والتعليم. قال مالك بن الحويرث (من وفد عبد القيس) قال لنا النبي ﷺ « ارجعوا الى أهليكم فعلموهم. »[4]

وفي هذا الحديث قرن النبي ﷺ العلم بالايمان، وانما العقل وعاء العلم، والعلم شاهد الايمان.

---

(1) الرعد / 28
(2) العلق / 1. 5
(3) الترمذي / جـ 8 / ص 186 / (وقال عنه: حسن غريب)
(4) البخاري / جـ 1 / ص 32

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكما اهتمت السنة النبوية بتربية العقل اهتمت بترقية الخلق والسمو به وجعلت الاخلاق الفاضلة أسمى اهداف التربية المتكاملة.

فقد مدح الله عزّ وجل خلق نبيه الخاتم عليه الصلاة والسلام قائلا ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾[1]

وبعث الله عزّ وجل سيدنا محمد ﷺ نبيا ورسولا خاتما ليتمم مكار الاخلاق، لأن الاخلاق الفاضلة هي الأساس المتين للحياة الكريمة.

عن مالك انه بلغه ان رسول الله ﷺ قال: -
« بعثت لأتمم حسن الأخلاق »[2].

وحثنا الرسول ﷺ على التحلي بالاخلاق الكريمة لكونها من الأعمال المؤدية الى الجنة. قال ﷺ: -
« مكارم الأخلاق من أعمال الجنة »[3].

وجعل رسول الله ﷺ الأخلاق المحمودة أساس التفاضل بين الناس، فخيارهم أحسنهم خلقا.

عن مسروق قال: كنا جلوسا مع عبد الله بن عمرو يحدثنا اذ قال: -
لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا متفحشا وانه كان يقول:
« ان خياركم أحسنكم أخلاقاً »[4]

وكذلك حرصت السنة النبوية على تكوين المسلم القادر على الاعتماد على نفسه، وتربيته « تربية استقلالية » تؤهله لشق طريقه في الحياة بثقة كاملة في ربه، واعتداد قوي في نفسه وحرص دائب على ما

---

(1) القلم / 4
(2) مالك / الموطأ / ص 651
(3) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 ص 130 «رواه الطبراني في الأوسط عن انس »
(4) البخاري / جـ 8 / ص 16

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يصلح أمره وأحواله، وتحقيق طموحاته وآماله.

قال الله عز وجل ﴿ .... ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (1)

وهذه هي الروح الايجابية الحقة التي تغرسها التربية المحمدية في الفرد بحيث يكون مؤمنا قويا قادرا على التكيف وذا ارادة فعالة ونفس طموحة.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

« المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله، و لا تعجز، وان اصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فان لو تفتح عمل الشيطان »(2)

واستكمالا لتكوين المسلم الكامل القادر المعتمد على نفسه النافع لغيره حرصت السنة النبوية على توجيهه الى اتقان حرفة أو مهنة معينة ليكسب بها رزقه المشروع في الحياة بما يمكنه من الاستقلال الشخصي الحقيقي عن غيره، ويحفظه من الذل والهوان ومسألة الناس، ويجعله قادرا على تحمل أعباء الإنفاق على أهله وذويه.

وضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأسمى في هذا الشأن، فقد رعى الغنم لأهل مكة، واشتغل بالتجارة، وكان دوما في خدمة اهله.

عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ، بمر الظهران نجني الكباث، فقال: « عليكم بالأسود منه فانه أطْيَبُ » فقال أكنت ترعى الغنم؟ قال: نعم، وهل من نبي الا رعاها. »(3)

---

(1) الرعد / 11
(2) مسلم / جـ 8 / ص 56
(3) البخاري / جـ 7 / ص 105

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي هذا الحديث نلمس اهتمام السنة النبوية بضرورة الملم واتقان المسلم لمعرفة لحرفة أو مهنة ما، وعدم استصغار شأنها أو احتقارها مهما كان مستواها ما دامت تمكنه من كسب الرزق الحلال، واتقاء ذل السؤال، فالقادر على الانفاق على نفسه وأهله ـ مهما قل رزقه ـ خير من العاطل الاتكالي الذي يسأل الناس أعطوه أو منعوه.

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال، وهو على المنبر، وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة: ـ
« اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المنفقة، واليد السفلى السائلة. »[1]

واليد العليا المنفقة: هي اليد العاملة المنتجة. واليد السفلى السائلة هي اليد العاطلة المتواكلة.

وهكذا يتبين لنا من خلال ما تقدم أن السنة النبوية المطهرة ترى ان عملية التربية عملية « رعاية » مسؤولة. فالراعي سواء أكان أبا أم مربيا مسؤول عن رعيته من الناشئين وتولي شؤونهم، وسياسة أمورهم، وتوجيههم وارشادهم حتي يمكنهم من بلوغ أهداف التنشئة الصالحة السوية المتكاملة التي يسعد بها الفرد ويكون عضوا صالحا خيرا في مجتمعه، عاملا على صون تماسكه، وقادرا على المساهمة في تطويره، وتحقيق غاياته في الرقي والتقدم.

وسيتبين لنا بوضوح أكثر، اثناء بحث مختلف المواضيع في الفصول القادمة ان السنة النبوية ذات تراث تربوي زاخر ومعطاء بالأسس والدعائم التربوية التي اذا ما راعيناها في تنشئة أجيالنا اليافعة، وجعلناها منطلقا وأساسا لتربيتهم وتنميتهم روحيا وعقليا وأخلاقيا ووجدانيا واجتماعيا وبدنيا ـ لأعطتنا أينع الثمار وأفضل النتائج،

---

(1) مسلم / جـ 3 / ص 94

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان لنا فيها غنى عن كثير من الفلسفات والنظريات المستوردة التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب. هذا مع ايجابية فريدة تتميز بها السنة النبوية في كونها لا تغلق الباب في وجه الصالح والمفيد من النظريات العلمية مهما كان مصدرها وهي في ذلك تحث المسلم على طلب الحكمة والعلم في أي مكان وممن كان. ويكون الحكم دائما على صواب أو طلاح الفكرة أو النظرية من حيث محتواها بغض النظر عن واضعها.

وفي هذا الموقف تزكية للعلم والمعرفة، وتنمية للعقل البشري وتحريض على البحث والاستقصاء والدراسة.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

« الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، حيثما وجدها فهو أحق بها. »[1]

وقال تعالى:

﴿ . . . وقل رب زدني علما. ﴾[2]

وقال:

﴿ . . وفوق كل ذي علم عليم ﴾[3]

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ:

« اطلبوا العلم ولو بالصين، فان طلب العلم فريضة على كل مسلم. »[4]

وفي هذه الآيات والأحاديث حث واضح على طلب العلم والاخلاص فيه وتحمل المشاق في سبيله مهما كان مصدره أو مكانه.

---

(1) ابن ماجة / جـ 2 / ص 1395

(2) طه / 114

(3) يوسف / 76

(4) ابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله / جـ 1 / ص 8

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبهذا تظهر التربية المحمدية تسامحا ونزاهة لا تضارع في تلقي العلم والمعرفة ما دامت موجهة لخير الانسانية واسعادها، بشرط الا تعارض العقيدة « المنزلة » التي هي قوام البشرية في حياتها الدنيوية والاخروية، ذلك ان العلم الصحيح هو دليل « الايمان السليم » وسنده، ولا خير في علم بدنيا لا يبصر حامله بالآخرة.

قال تعالى:

﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء. ﴾[1]

أغراض التربية:

تبين لنا، في الصفحات السابقة، ان التربية هي عملية تنشئة اجتماعية للفرد، تهتم بجميع جوانب شخصيته وتوازن بينها، وتحدث بين قواها المختلفة التكامل الذي يجعلها شخصية سوية متزنة قادرة على التكيف مع محيطها الاجتماعي والطبيعي متأثرة به، ومؤثرة فيه.
وبذلك تكون التربية « اداة الاستمرار الاجتماعي للحياة، فهي السبيل الى تجديد الحياة بمستوياتها المادية والفنية والاجتماعية والأخلاقية[2].

فبواسطة التربية ووسائلها المتنوعة يكتسب الفرد مهاراته وخبراته التي تؤهله للاندماج في الحياة الاجتماعية، وتجعله قادرا باستمرار على تعديل مواقفه وأنشطته بما يلائم متطلبات التكيف مع بيئته الاجتماعية والطبيعية وما يطرأ فيها من تبدل وتغير مستمر.

ويتوقف توجيه « عملية التربية » توجيها سليما على مدى فهم الآباء والمربين لأغراضها وأهدافها، وتحديد هذه الأغراض والأهداف.

---

(1) فاطر / 28

(2) د. احمد الخشاب / الاجتماع التربوي والارشاد الاجتماعي / ص 18

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك ان فهم وتحديد أغراض التربية واهدافها يمكن الآباء والمربين من جعلها مقياسا صحيحا لمدى توفيقهم أو اخفاقهم في توجيههم للناشئين وتربيتهم وارشادهم، وتكييفهم لأساليبهم وطرقهم في التربية.

وبالرغم من اختلاف العلماء والمربين في تحديد أغراض وأهداف التربية تبعا لاختلاف اهتماماتهم وتخصصهم حسبما أوضحنا آنفا ـ فإنه يمكننا ان نذكر ان الأغراض الرئيسية التي لم يقع عليها خلاف ثلاثة أغراض هي:

كسب العلم، وترقية الأخلاق، وكسب الرزق.

فالبنسبة للغرض الأول وهو كسب العلم وتحصيله فإنه يعتبر من أبرز أغراض التربية، وليس من مقاصد التربية مجرد الحصول على العلم بل اتخاذه وسيلة للانتاج والعمل وتصريف شؤون الحياة، وتثقيف النفس، وتهذيب السلوك، وترقية الأخلاق.

وترى التربية السليمة انه لا خير في علم لا يكون وسيلة لتطوير الشخصية الانسانية وتكاملها، وتهذيب سلوكها وتصرفاتها، وتوجيه اتجاهاتها على النحو الصحيح، وتغيير الفرد والمجتمع تغييراً ايجابيا صالحا ومرغوبا فيه، والأخذ بهما دوما نحو الأفضل. والعلم الذي لا يراعي هذه الغايات النبيلة هو مجرد تكديس للمعلومات، وحشو للمعارف، لا خير يرجى منه للفرد أو مجتمعه.

أما فيما يخص الغرض الثاني وهو ترقية الأخلاق وتهذيبها والسمو بها بين الأفراد والجماعات فانه يعد من أهم أغراض التربية الصحيحة ان لم نقل أهمها على الاطلاق.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك ان الأخلاق الفاضلة هي عنوان صلاح الفرد والمجتمع وسر بقائها واستقامة حياتها ، ومصدر سعادتها . ولا شك ان المجتمع الذي يفتقر الى الأخلاق الفاضلة بين أفراده هو مجتمع أقرب الى قطيع الغاب ، سرعان ما يلحق به الدمار والخراب . ولقد كانت في التاريخ البشري آيات وعبر ، اذ حمل لنا في طياته ان أهم أسباب تقوض الأمم القوية ونهايتها كان في انحلال وتفكك نظامها الأخلاقي .

وهكذا فإن التربية هي التي تنقل الى الأجيال الناشئة « أخلاقيات ومثل وقيم » آبائهم وأجدادهم وتسمهم بطابع خاص يميزهم عن غيرهم من أفراد المجتمعات الأخرى في تصرفاتهم وسلوكهم ، وتعطيهم القدرة على التكيف Accomodation مع المواقف المختلفة وفق مقتضيات « النظام الأخلاقي » السائد في مجتمعهم .

أما فيما يتعلق بالغرض الثالث وهو كسب الرزق فهو يعتبر من أهم أغراض التربية الصالحة التي ترمي الى تمكين كل فرد من الأفراد من اتقان حرفة او مهنة معينة تكون مصدر رزقه في حياته ، وفقا لاستعداداته وقدراته وميوله ومواهبه. وفي الوقت الذي يشعر فيه الفرد بأنه يحقق ذاته ومطامحه في هذه المهنة او تلك الحرفة ، فإنه يتخذ منها وسيلة لعيشه ويستغني بها عن الحاجة للآخرين ، ويسهم من خلالها في الخدمة العامة للمجتمع وتطويره والنهوض به .

على ان التربية الصحيحة للفرد لا تنصب على مجرد استهداف « كسب الرزق » إذ أن الأطفال لو نشأوا على أساس هذه « التنشئة المادية » فإنهم لن يتورعوا عن ممارسة أخس الأعمال في سبيل الحصول على المال ، ولن يكون لديهم ـ في كبرهم ـ للمثل العليا والقيم الأخلاقية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والاعتبارات المعنوية أي وزن او تقدير أمام بريق الذهب وإغراء الأموال وسيكون « التكسب » ولو بطريق غير مشروع هدفهم الأساسي في الحياة ، وفي هذه التنشئة الخاطئة ضياعهم ودمار مجتمعهم .

وبهذه الأغراض الرئيسية وغيرها تهدف التربية الى تنشئة الفرد تنشئة متكاملة ، يتم بها تنمية عقله وصقل مواهبه وقدراته وميوله وسمو غرائزه ونوازعه الفطرية والمكتسبة ، وتهذيب أخلاقه ، وترقية وجدانه ، واتزان نفسه ، وصحة بدنه ، وهو ما من شأنه ان يجعله عضواً صالحاً في مجتمعه ، سعيدا وقادراً على إسعاد غيره ، نافعا لنفسه وللآخرين ، قادرا على مجابهة مشاكل الحياة وتخطيها أو التكيف معها ، ذا اتجاه ايجابي ، وعزيمة ثابتة ، ومقدرة على الصبر والاحتمال متصفا بتكامل جوانب الشخصية الى أقصى حد ممكن .

ولو أمعنا النظر في هذه الأغراض الرئيسية للتربية في ضوء السنة النبوية المطهرة لوجدناها تقرها وتثريها وتنظر اليها وفق ميزان الاعتدال والتكامل بين الجانبين الروحي والمادي في النفس البشرية ، وتحول دون أي غلوّ أو إسراف فيها .

وفيما يلي سنحاول إبراز اهتمام السنة النبوية المطهرة بهذه الأغراض الهامة ، ونبين موقفها منها .

أولا : التحلي بمكارم الأخلاق

تعتبر ترقية الأخلاق والسمو بها وكسب الفضائل والصفات المحمودة والتحلي بالآداب الكريمة ، وصون المثل والقيم والمبادىء الشريفة ، تعتبر روح التربية في نظر السنة النبوية المطهرة ، ذلك ان بلوغ الخلق الكامل هو الغرض الحقيقي للتربية المحمدية .

فقد كان سيدنا محمد ﷺ المثل الكامل في الأخلاق الكريمة ، حتى انه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقب من قبل بعثته ، « بالأمين » ولا غروَ فقد أدّبه ربه فأحسن تأديبه . وقد سَبَّقَ الله عزّ وجلّ الخلق الحسن على ما عداه ، فقال مخاطباً نبيه مثنيا عليه : ﴿ وانك لعلى خلق عظيم﴾[1]

وأوضح لنا رسولنا الخاتم ﷺ ان رسالته انما استهدفت أول ما استهدفت ، إتمام حسن الأخلاق .

عن مالك أنه بلغه ان رسول الله ﷺ قال : -
« بعثت لأتمم حسن الأخلاق »[2] .

وأمرنا رسولنا الأكرم ﷺ وكان أسوة لنا في كل شيء - بمخالقة الناس بالخلق الحسن ، أي حسن معاملتهم وعشرتهم .

عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ :

« إتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن »[3] .

وجعلت السنة النبوية المطهرة الخلق أساس تقييم الأفراد فخيرهم أحسنهم خلقا وشرهم أسوأهم خلقاً .
عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ :
« إن من أخيركم أحسنكم خلقا »[4]

وهكذا نلمس ان السنة النبوية تجعل « السمو بالأخلاق » وترقيتها ، والتحلي بفضائلها وآدابها وصون قيمها ومثلها تجعلها أهم مقاصد التربية المتكاملة وجعلت هذه المهمة الجليلة من مسؤوليات الآباء والمربين ، الذين ينبغي ان يحملوها بحقها منذ بداية تعهدهم للناشئين في طفولتهم المبكرة

---

(1) القلم / 4
(2) مالك / الموطأ / ص 651
(3) الترمذي / جـ 8 / ص 155 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(4) البخاري / جـ 8 / ص 15

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالتربية والرعاية حرصاً من السنة النبوية على ترسيخ القيم والمبادىء والمثل الأخلاقية العليا في نفوسهم منذ صغرهم حتى تصبح من أساسيات طبعهم ، ومن مألوف سلوكهم ومعتاد تصرفاتهم في حياتهم المستقبلة .

قال رسول الله ﷺ :

« حق الولد على والده ان يحسن اسمه ، ويحسن موضعه ، ويحسن أدبه » .[1]

هذه لمحات ، بل ومضات من نور السنة النبوية الشريفة ، التي أكدت أهمية تكوين الخلق الفاضل القويم ، وجعله مقياس التربية الفاضلة ومعيار نجاحها ، وسيتضح لنا الأمر بصورة أوسع عند بحث موضوع التربية الخلقية في فصلها المستقل إن شاء الله تعالى .

ثانيا : كسب العلم النافع

من أهم أغراض التربية التي تحرص على تأكيدها السنة النبوية « طلب العلم النافع وكسبه » ، وذلك لما فيه من خير وصلاح الفرد والمجتمع .

وقد جعلت السنة النبوية خيار الناس علماءهم ، وشرهم علماءهم عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال: سأل رجل النبي ﷺ عن الشر فقال : « لا تسألوني عن الشر واسألوني عن الخير » . يقولها ثلاثا ثم قال : « إلا أن شر الشر شرار العلماء وأن خير الخير خيار العلماء ».[2] .

وكان من بين ما تعوذ منه رسول الله ﷺ ـ توجيها وإرشادا لنا ـ العلم الذي لا ينفع .

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6 / ص 428 ، « رواه البهيقي في شعب الايمان عن عائشة » .

(2) الدارمي / السنن / جـ 1/ ص 104.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول: « اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها ».(1)

وحثت السنة النبوية أتباعها على طلب العلم، بل وجعلته طريقا الى الجنة ترغيبا لهم، وإثارة لحماسهم، ودعوة لهم لربط الايمان بالعلم، وترسيخ إيمانهم على أساس من الادراك الواعي، والفهم المتبصر بآيات الله تعالى في كل شيء.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
« من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة »(2)

وجعلت السنة النبوية طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، لا فرق في طلبه وكسبه بين المسلمين غنيهم وفقيرهم أو عبدهم وأميرهم. كل عليه ان يلتمس طلب العلم، واكتساب المعرفة والحكمة وفق فرص متكافئة عادلة. عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ:
« طلب العلم فريضة على كل مسلم »(3)

وعلى كل مسلم ان يسعى الى طلب العلم ممن كان وفي أي مكان وان يتحمل في سبيله المتاعب والمشاق.

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ:
« اطلبوا العلم ولو بالصين، فان طلب العلم فريضة على كل

---

(1) مسلم / جـ 8/ ص 82,81
(2) الترمذي / جـ 10/ص 115 (وقال عنه حديث حسن)
(3) ابن عبد البر / جامع بيان العلم وفضله / جـ 1/ص 8

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مسلم »[1]

ولمزيد التأكيد على ضرورة طلب العلم ، جعلته السنة النبوية من أسس التمييز والتفضيل والجزاء .

قال رسول الله ﷺ :

« الناس رجلان : عالم أو متعلم ، هما في الأجر سواء ولا خير فيما بينهما من الناس . »[2]

ومن أهم الأسس التي تركز عليها السنة النبوية في كسب العلم ، هو عدم طلبه لحب الظهور ، او المفاخرة ، او المباهاة والمماراة .

عن مكحول قال قال رسول الله ﷺ :

« من طلب العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء ، أو يريد ان يقبل بوجوه الناس اليه أدخله الله جهنم »[3]

وإنما يطلب لتقوية العقيدة وترسيخ الايمان ، واصلاح أحوال المؤمنين دينيا ودنيويا ، وتنمية المعارف والخبرات والتجارب لخير البشرية جمعاء .

وفي هذا الصدد تحث السنة النبوية حاملي العلم على إذاعته ونشره بين الناس وعدم كتمانه ، ففي كتمانه تعطيل للمعرفة الانسانية ، وحيلولة دون النهضة والتقدم .

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة . »[(4)]

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 9

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 4/ ص 35 «رواه الطبراني في الأوسط عن : ابن مسعود »

(3) الدارمي / السنن / جـ 1 / ص 104-105

(4) أبو داود / جـ 3/ص 360

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي تبليغ العلم إزكاء له ، وتنمية لمعطياته ، وإثراء لتناوله من قبل ذوي المستويات العقلية الجيدة .

عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ـ
« نضّر الله امرؤاً سمع منا حديثا فحفظه ، حتى يبلغه ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه . »[1]
هذه بعض الدلائل نستقيها من السنة النبوية الشريفة إبرازاً لاهتمامها بطلب العلم وكسبه كأحد الأغراض الرئيسية الهامة في التربية السليمة ، ونلمس فيها سبقا لا نظير له سجلته السنة النبوية على واضعي النظريات الحديثة في التربية ، وسنبحث ان شاء الله تعالى هذا الموضوع بشكل أوسع في الفصل المخصص « للتربية العقلية » .

ثالثا : كسب الرزق الشريف

بتفحص السنة النبوية المطهرة نلمس اهتماماً كبيراً بالشؤون الدنيوية وربطها بالآخرة ، ولا غرو فالدين الاسلامي دين تكامل بين الروح والمادة فهو كما يرفض التحلل والتفسخ ، يرفض الرهبانية والزهد ، ويلائم في واقعية ومثالية فريدتين بين الدنيا والآخرة ، وبين العاطفة والعقل ، وبين الروح والغرائز .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ :
« يا عبد الله ألم أخبرك انك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ » قلت : بلى يا رسول الله . قال : « فلا تفعل . صم وأفطر ، وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا ، وان لعينك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا » .[2]

هذا توجيه نبوي تربوي رائع ، تتجلى فيه الموازنة المتكاملة بين قوى

---

(1) نفس المصدر / ص 360-361
(2) البخاري / جـ 7/ص 40-41

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النفس البشرية واحتياجاتها . وبين دنيا المسلم وأخراه .

ولكي يحيا المسلم حياة هانئة وسعيدة ، ألزمته السنة النبوية الشريفة بأن يحرص على كسب رزقه من عمل يده ، أي من حرفة او مهنة يتعلمها فيتقنها فتكون مصدر عيشه الشريف ، وتكفيه متطلبات الانفاق على أهله ، تحفظ له ماء وجهه من ذل المسألة والهوان .

عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به ، ويستغني به من الناس خير له من ان يسأل رجلاً اعطاه او منعه ذلك ، فان اليد العليا أفضل من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول »[1]

وفي هذا الحديث الشريف توجيه للمسلم الى طلب رزقه بكده واجتهاده واعتماده على نفسه ، وحث على تعلم حرفة او اتقان مهنة ينفق بدخلها على نفسه وعياله ، وتأكيد على رفض السنة النبوية للتواكل والكسل ، وجعلها اليد العليا وهي المنفقة خيراً من اليد السفلى وهي السائلة ، وارشاد الى عدم احتقار المهن « والحرف اليدوية » ما دامت وسيلة للكسب الشريف ، وتعود بالفائدة على الجماعة .

عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ ، قال وهو على المنبر ، وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة :

« اليد العليا خير من اليد السفلى ، واليد العليا المنفقة ، واليد السفلى السائلة . »[2]

وبذلك ترمي التربية المحمدية الى خلق أجيال عاملة منتجة تحقق النفع والخير لنفسها ، ولذويها ، وللمجتمع . فبالعمل والانتاج يقوى المجتمع ويسعد الفرد وتهنأ لهما الحياة .

---

(1) مسلم / جـ 3/ص 96

(2) نفس المصدر السابق / ص 94

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجعلت السنة النبوية من أولى واجبات الآباء والمربين تعليم أبنائهم ذكوراً وإناثاً وصقل مهاراتهم وتمكينهم من اتقان الحرف والمهن التي يحتاجون اليها في حياتهم حسب قدراتهم واستعداداتهم الطبيعية .

قال رسول الله ﷺ :

« علموا أولادكم السباحة والرمي . والمرأة المغزل » .[1]

وقال ﷺ :

« حق الولد على الوالد ان يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وان لا يرزقه إلا طيبا »[2]

وتأكيداً لقيمة العمل والانتاج والحرص على المنافع ، قررت السنة النبوية أفضلية المؤمن القوي على المؤمن الضعيف : والمؤمن القوي هو الذي يحرص على ما ينفعه ويستعين بالله تعالى ولا يعجز . انه الفرد المنتج النشط المثابر الذي يداوم عمله ، ولا يفت في عضده الفشل والكبوات ، ولا يتقاعس او يعجز او يتوقف عن مواصلة الجهد او يسرف في لوم نفسه والتحسر على فشله . عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير . احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز . وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا . ولكن قل « قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان »[3]

ولمذمة العجز والكسل وسوء أثرهما في حياة الفرد والجماعة لما ينجر عنهما من بطالة واتكالية وكساد ، فقد تعوذ رسول الله ﷺ بالله تعالى

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ6/ ص 434 (رواه البيهقي في شعب الايمان عن عمر)

(2) نفس المصدر السابق / جـ 6/ص 434 (رواه الحكيم ، وابو الشيخ في الثواب والبيهقي في شعب الايمان عن : أبي رافع)

(3) مسلم / جـ 8/ص 56

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منهما ، إشعارا لنا بتركهما ، وحثا لنا على المثابرة والاجتهاد والحرص على ما ينفعنا ، ومداومة الأعمال المفيدة لنا .

عن أنس بن مالك قال كان رسول الله ﷺ يقول :

« اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات . »(1)

هذه هي التربية البناءة حقا ، التي تغرس الروح الايجابية لدى الفرد المسلم ، فتصبح أعماله وعبادته خالصة لله تعالى ، فيسعد وتطمئن نفسه ، ويكون عنصراً فعالاً منتجاً في المجتمع عاملاً على خيره وصون تماسكه ومسهماً في النهوض به وتطويره نحو الأفضل . ومن كسبه الحلال ، ورزقه الشريف ، ينفق على عياله ، وجماعته وفي سبيل الله تعالى . وبهذا يكون دخل المسلم من عمله موجهاً الى خيري الدنيا والآخرة .

عن ثوبان أن النبي ﷺ قال :

« أفضل الدينار دينار ينفقه الرجل على عياله ، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله ، ودينار ينفقه الرجل. على أصحابه في سبيل الله . »(2)

ان العمل في السنة النبوية واجب مقدس ، ومرتبط بالعبادة ، فلا خير في المؤمن الضعيف المتواكل الذي يسأل الناس ، ان شاءوا أعطوه وإن شاءوا منعوه ، إنه عضو عاطل يعيش كلا على سواه . والخير كل الخير في المؤمن القوي العامل الذي ينفع نفسه ويعمل في خدمة أهله ، وينفق على عياله ويعين الآخرين وينفق في سبيل الله تعالى . انه عضو منتج يفيد ويستفيد ، وبجهده وجهد أمثاله من المنتجين يرقى المجتمع وتزدهر حياته وتعود على جميع أفراده بالنفع العميم .

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 75

(2) الترمذي / جـ 8/ ص 144 (قال عنه : حديث حسن صحيح) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وضرب لنا الرسول الأكرم ﷺ المثل والقدوة في العمل والانتاج ، فقد عمل بالتجارة واشتغل قبل ذلك بالرعي ، وفي هذا توجيه لنا الى احترام كل المهن والحرف الشريفة مهما كان نوعها ومستواها . عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« ما بعث الله عز وجل ، نبيا إلا رعى الغنم . » قال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « نعم وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط »[1]

وبين لنا ﷺ تأكيدا لشرف اكتساب الحرف والمهن ان الأنبياء الذين سبقوه كانوا يعملون ويحترفون .

عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :

« كان زكريا نجاراً . »[2]

وتأكيدا لغرس الروح الانتاجية لدى المؤمن جعلت السنة النبوية أحق ما يأكل الرجل ويستغني به إنما هو من كسبه الطيب ، لما فيه من صون لكرامته وعزته ولتقدم المجتمع كلما كثر فيه العاملون المنتجون المجدون .

عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ :

« إن أحق ما أكل الرجل من أطيب كسبه ، وان ولده من أطيب كسبه . »[3]

بل ووسعت السنة النبوية دائرة تربية الروح الانتاجية لدى الفرد ، لتشمل كل عمل مفيد يعم نفعه الانسان والحيوان ، وبذلك رفعت الفرد عن مستوى الأنانية والفردية والعصبية ، وسمت به ، وجعلته عنصر انتاج خير وإفادة للبشر وغيرهم من الكائنات الحية كلما استطاع الى ذلك سبيلا .

---

(1) ابن سعد / الطبقات الكبرى / جـ 1/ص 125
(2) مسلم / جـ 7/ص 103
(3) البخاري / جـ 8 / ص 12

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال :
« ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة » .[1]

هذا مع ضرورة المحافظة على العمل الذي هو مصدر الرزق الشريف والثبات عليه ومداومته . وعدم تركه والانقطاع عنه لما يترتب عليه من ضرر للفرد والجماعة .

عن مسروق قال سألت عائشة رضي الله عنها :
أي العمل كان أحب الى النبي ﷺ قالت : « الدائم »[2]

ولم تنس السنة النبوية التركيز على جوهر « العمل » وهو الاخلاص فيه لله تعالى ، لما يرتبط بالاخلاص من صدق وعزيمة والتزام ذاتي في القيام بالعمل على الوجه الأمثل ورفع كفايته الانتاجية .

عن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود يحدث عن أبيه عن النبي ﷺ قال « نضّر الله امرؤاً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه . ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم ، اخلاص العمل لله ، ومناصحة أئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم ، فإن الدعوة تحيط من ورائهم . »[3]

والعمل في التربية المحمدية هو معيار « التقييم » والتقدير ، فهو الذي يعكس النوايا والمقاصد ، وهو الذي يجسد الأماني والطموح ، وهو مناط الجزاء : ثوابا أو عقابا ، في الدنيا والآخرة ، وامام الله تعالى ورسوله والمؤمنين .

---

(1) سنن الدارمي / جـ 2 / ص 247
(2) البخاري / جـ 8 / ص 122
(3) الترمذي / جـ 10/ص 125-126 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[1]

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :
« ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم . »[2]

هذه هي التربية الايجابية الحقة التي تغرس في النفس حب العمل وتربطه بالعبادة ، وتجعل الدنيا في خدمة الآخرة فيصلح المجتمع بصلاح أفراده ، ويسعد بسعادتهم .

---

(1) التوبة / 106
(2) مسلم / جـ 8 /ص 11.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النمــو

معنى النمو :

بملاحظة الوليد الانساني ، منذ مهده نجده كغيره من الكائنات الحية يحمل خصائص النمو التي تتغير وتزداد بالتدريج . حتى يكبر ويشتد عوده ، وكلما وفرنا الجو الصالح والرعاية السليمة كلما كان « نمو » الناشيء أقوى وأسلم ، وأقل عرضة للمخاطر والأمراض والهزات .

والنمو في اللغة يعني الزيادة والكثرة والارتفاع والسمو نقول « نمى » أي زاد وكثر وارتفع وسما وزكا . ونقول نمى الرجل : اي سمن . وأنمى الكلأ الابل : أي سمنها . ونمى الرجل الشيء تنمية : أي جعله ناميا .

ونجد التربية تأخذ ذات المعاني في اهتمامها بالنمو ، فإنما تنصب اهتمامات أية رعاية تربوية صالحة على تنمية قوى الطفل وقدراته واستعداداته والموازنة بينها . ورفع مستواها والسمو بها وتزكيتها ، حتى يشب سليما معافى من الأمراض البدنية والعقلية ومحصنا ضد العلل النفسية والانحرافات الأخلاقية والاجتماعية

وليس من قبيل المغالاة تشبيه الكائن البشري في نموه ببذرة النبات التي إن تيسرت لها مسببات النمو، من حرارة وماء وتربة وسماد وضوء وعناية واعية تحفظها من الآفات والأضرار أصبحت شجرة يانعة تعطي أينع الثمار.

إن عملية النمو في الكائن الحي عملية طبيعية داخلية ودورية تحدث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

باستمرار وبصفة متصلة ، زود الله عز وجل بها جميع الكائنات الحية ومنها البشر ، ومن واجب الآباء والمربين ـ لكي يفلحوا في مهمتهم التربوية ـ ان يعنوا بأبنائهم ، أكثر مما يعنى المزارع بزرعه ، ويضعوا نصب أعينهم انه كما ان النبات يتأثر بالبيئة التي ينمو فيها ، فان « الطفل » يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها ، وان عملية التربية لا تخرج عن كونها إعدادا وتهيئة للبيئة الصالحة لنمو الطفل .

ولكي يتم ترشيد عملية التربية لا بد من الاهتمام بدراسة النمو ومراحله ، ومعرفة خصائص كل مرحلة ، وما تتميز به من سرعة النمو أو بطئه وظهور نزعات خاصة او اختفاء نزعات أخرى ، كل ذلك من أجل توفير البيئة الملائمة ، والرعاية اللازمة لكل مرحلة من مراحل نمو الوليد البشري .

وبدراسة مراحل النمو يتضح للآباء والمربين ان كل مرحلة تتميز بصفات خاصة يمر بها « الأطفال العاديون » . إلا أن سرعة نمو كل طفل ، في كل مرحلة ، وما يتبعها من ظهور صفات مميزة : قد تختلف من طفل الى آخر ، ويطلق على هذا الاختلاف اسم « الفروق الفردية » التي تشكل أهمية تربوية بالغة الخطورة يجب وضعها في الاعتبار اثناء معاملة الأطفال والعناية بهم منعا لأية أضرار تترتب على سوء الفهم وخطأ المعاملة ، وسنتناول فيها بعد ـ بإذن الله تعالى ـ بشيء من التفصيل بحث موضوع الفروق الفردية ، ومدى أهميتها في العملية التربوية .

والسنة النبوية الشريفة لا تعارض الاهتمام بهذه القضية التربوية الخطيرة . بل تجعل دراستها والعناية بها من أوكد واجبات الآباء والمربين . وغني عن البيان أن أية « رعاية » لن تستقيم إلا إذا صاحبت نمو الوليد البشري منذ سني عهده الأولى وحتى اشتداد عوده وبلوغه المقدرة والاعتماد على نفسه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال :
« ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . فالامام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته . والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئوول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . »[1]

وفي هذا الحديث الشريف نجد تأكيداً قوياً على مسؤولية « الرعاية » لدى كل من وليها . فعبارة « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » كررت مرتين ولابراز أهميتها بدىء بها الحديث ، وختم بها . وقرنت كلمة المسؤولية بكلمة الرعاية عند تبيان من أنيطت به (كما ورد في الحديث المذكور) .

فالرعاية التربوية مسؤولية خطيرة لأن بصلاحها وأخذها بحقها تستقيم التنشئة ، وبطلاحها أو أي إهمال او تقصير فيها تفسد تنشئة الفرد وأحوال المجتمع .

مراحل النمو وخصائصها :

يختلف علماء التربية والنفس اختلافاً بيناً في أسس تقسيم النمو الى مراحل ، إذ أن النمو يستند الى مسلمات معينة ولا يخضع لمقياس خارجي معين ، ولذلك فانه لا يمكن القطع بأن تقسيماً ما يرتضيه بعض العلماء هو أدق علميا من غيره من التقسيمات ويؤكد كثير من المختصين في مجال التربية عدم قسرية تحديد مراحل النمو نظراً للفروق الواضحة بين البيئات

---

(1) البخاري / 9/ص 77

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والثقافات والمجتمعات ، وقد أورد الدكتور أحمد زكي صالح في كتابه : « علم النفس التربوي ، تقسيما للنمو يشمل سبع مراحل ، ومع تحرز فيه بقوله :

« ويجب ان نذكر ان هذا التقسيم ليس قاطعاً ، بل ان ثمة فروقاً بين الشعوب المختلفة في سن المراهقة مثلا ، وكذلك الحال في الشيخوخة وكذلك يجب ان نفسح مجالا كبيراً للفروق في هذه المراحل . »[1] ومع هذا فان هناك تقسيمات أوضح من غيرها ، وأكثر تمشيا مع الواقع ونواحي الحياة العملية المعاشة .

وسنتبنى أكثر التقسيمات شيوعا ، لكونه أوضحها ، وأكثرها اختصاراً لتحديد مراحل النمو ، وأيسرها تناولاً ، وأشدها واقعية من حيث تكامل هذه المراحل وتداخلها ، خاصة وان تقسيم مراحل النمو إنما هو أساسا تقسيم نظري يقصد به الشرح والتوضيح لا التحديد او التقسيم لذاته ، كما ان عملية النمو تتم بشكل متداخل ومتكامل يصعب معها وضع حد فاصل وحاسم بين مرحلة وأخرى .

والتقسيم الذي نعنيه هو التقسيم التالي :

1- مرحلة الطفولة المبكرة : وتمتد من الولادة الى سن الخامسة تقريبا .

2- مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة : وتمتد من سن الخامسة الى سن الحادية عشرة او الثانية عشرة تقريبا .

3- مرحلة البلوغ والمراهقة : وتمتد من سن الحادية عشر لدى البنات ، وسن الثانية عشرة او الثالثة عشرة لدى البنين ، الى سن العشرين تقريبا .

ونستعرض فيما يلي ، بشيء من التوضيح والمناقشة مع تجنب التفصيل

---

(1) د. أحمد زكي صالح / علم النفس التربوي / ص 80

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المطول ، كل مرحلة من هذه المراحل ، وأهم خصائصها ، وأهم التوجيهات التي تستوجبها الرعاية التربوية السليمة .

أولا : مرحلة الطفولة المبكرة :

يقضي الأطفال أغلب هذه المرحلة في « المنزل » ، تحت رعاية الوالدين وعناية الأسرة . وقد تشارك دور الحضانة ورياض الأطفال الأسرة عنايتها بالناشئين في بعض الأحيان .

وتعتبر هذ المرحلة خطيرة وهامة في شتى جوانب التربية : الروحية والعقلية والخلقية والوجدانية والاجتماعية والبدنية .

ويؤكد علماء النفس والتربية على مدى أهمية « خبرات الطفولة ويرون انها ذات أثر بعيد في تكوين شخصية الناشىء ، خاصة وان السنين التي تسبق سن الدراسة والالتحاق بالمدرسة تمثل الفترة التي يتم فيها أسرع النمو الجسدي والعقلي والاجتماعي . »[1]

ومن هنا تتضح خطورة دور الأسرة ، ممثلا في الوالدين ، وضرورة تحملهما لمسؤولية الرعاية التربوية على وجهها الصحيح ، وحرصهما على توفير المناخ الملائم نفسيا وماديا لنمو الطفل نمواً متكاملا سويا .

وما نادت به التربية الحديثة وجعلته من « مسؤولية » الأسرة في رعاية الناشئين وحسن تربيتهم ، تؤيده السنة النبوية الشريفة بتأكيدها لمدى خطورة مسؤولية الأسرة في خلق وتشكيل الناشىء الذي يجيء الى هذه الدنيا « وليداً » بريئا على الفطرة ، مزوداً بقدرات واستعدادات وميول ومواهب معينة ان وجدت بيئة صالحة نمت وأينعت ، وإن وجدت بيئة طالحة خبت وذوت ، وعاد أثرها في كلا الحالين على الفرد والمجتمع ، على حد سواء ، بالخير او بالوبال . يقول رسول الله ﷺ :

---

(1) د. فاخر عاقل / علم النفس التربوي / ص 114

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« . . . والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية على بيت أهل زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم . . . »[1]

وهذا الحديث يتضمن تأكيداً قاطعاً لمسؤولية الوالدين على « رعاية » أبنائهما وتعهدهما بالتربية الحسنة والتوجيه السليم ، والعناية المتكاملة التي تتيح لهم أفضل أسباب النمو السوي في جميع جوانب الشخصية .

عن أبي هريرة انه كان يقول قال رسول الله ﷺ :

« ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسّون فيها من جدعاء . »[2]

وفي هذا الحديث سبق تربوي خطير في تأكيد أثر البيئة الأسرية في التربية ، وتحميل الوالدين مسؤولية رعاية وتنشئة أبنائهم ، وتحملهم لتبعات أي خطأ أو تقصير أو إهمال ، فإنما يولد الطفل على الفطرة ، أي بقوى واستعدادات وميول ومواهب تؤهله لتكوين شخصية معينة ، وتعتبر بيئته الأسرية وغيرها من البيئات المؤثرة ، مسؤولة الى أبعد حد عن مدى صلاح او طلاح تنشئته وتكوينه .

وبهذا نتلمس اهتمام السنة النبوية المطهرة « بعملية النمو » وخاصة في مرحلة الطفولة المبكرة التي يكون فيها الطفل معتمدا على والديه وفي حاجة ماسة الى عنايتهما واهتمامهما بمتطلباته واحتياجاته ، وتأكيدها لمسؤولية « الوالدين » عن رعايته ، وتنشئته وتوجيهه .

ونستعرض فيما يلي أهم خصائص النمو في هذه المرحلة : ـ

1ـ النمو الجسمي وخصائصه : ـ

ينمو الطفل في السنة الأولى الى ثلاثة أمثال وزنه عند ولادته تقريبا .

---

(1) البخاري / جـ 9/ ص 77
مسلم / جـ 8/ص 52

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويختلف معدل النمو من طفل الى آخر ، إذ يكون بعض الأطفال سريعي النمو بينما يكون نمو أطفال آخرين ، من نفس عمرهم ، بطيئا . وهذه الفروق الفردية قد ترجع الى عامل الوراثة Inheritance.

وعلى الوالدين ان يتفطنا الى هذه الظاهرة حتى لا يتألما او ينزعجا لما قد يلاحظانه من بطء او اختلاف في نمو طفلهما بمقارنته بأترابه .

ويتعرض الأطفال في هذه المرحلة وخاصة في السنتين الأوليين ، نتيجة للنمو السريع او العدوى وسوء التغذية ، لكثير من الأمراض : كالسعال الديكي ، والحصبة ، والكساح ، وأمراض الجلد ، وأمراض العيون ، وأمراض الجهاز الهضمي ، ولذلك نلاحظ كثرة الوفاة بين الأطفال في هذه المرحلة .

ولا بد من عناية صحية سليمة بالأطفال في هذه الفترة تضمن حسن التغذية ، والوقاية ، والعلاج . وفيما يتعلق بالخصائص الحسية والحركية لدى الطفل في هذه المرحلة ، نجد ان حواسه هي التي تربطه بالبيئة المحيطة وبما يوجد فيها من أشخاص وأشياء .

وهو في الأسابيع الأولى من عمره لا يفرق بين الضوء والظلام ثم يدرك الضوء بالتدريج ، ويبدأ في الشهر الثاني أوالثالث من ولادته في التفريق بين الألوان .

ويمكنه فيما يتعلق بحاسة السمع ، التي لا تقوم بوظيفتها مبكرا كالعين ، التمييز بين الأصوات المختلفة في الشهر الرابع من عمره تقريبا . وأول صوت يدركه صوت أمه ثم أبيه ثم أخوته ثم أفراد العائلة الذين يعيشون معه ، ويرتبط بهم .

ونجد أن حركات الطفل في الأشهر الأولى تكون عشوائية وطائشة ، فهو لم يتمكن بعد من ضبط عضلات يديه أو رجليه والتحكم فيها ، ولكن يتمرن بالتدريج على استعمال يديه في مسك الأشياء . ويرتمي في البداية كليا على الأشياء ، ثم يوجه يديه بصورة كلية اليها ، وبعد ذلك ،

ووفق المران المستمر والتكيف يتمكن من استعمال أصابع يديه او احدى يديه في مسك الأشياء .

وبنمو حواس الطفل وعضلاته يزداد ارتباطا ومعرفة بالبيئة المحيطة ويشرع في تكوين العادات البسيطة ، وتغيير السلوك نوعا ما ، نتيجة لمعارفه وخبراته الجديدة . ففي الأشهر الأولى من عمره يبدأ بالتدريج في تعلم كيفية ضبط حركات الفم والرأس والظهر والرجلين ، ويتمكن من تعلم بعض المهارات اللازمة ، في السنة الأولى ، كالجلوس والوقوف ، واطلاق بعض الأصوات ، وبعد ذلك يشرع في تعلم الحبو ، ثم المشي ، وصعود السلالم والنزول منها ، والجري ، والكلام .

على أنه لا بد من مراعاة وصول الأطفال الى درجة معينة من « النضج الطبيعي » Natural Maturation حتى يمكن إفادتهم بالتدريب والتمرين ، إذ أن الله عزّ وجلّ أودع في فطرتهم القدرة على الوصول الى النتائج الايجابية في نموهم واكتسابهم للمهارات والخبرات وفق نضجهم الطبيعي وقبله يكون من المستحيل استفادتهم ببرامج التعليم والتدريب .

والسنة النبوية تهتم في تضميناتها التربوية بالنمو الجسمي وخصائصه ، وإن لم تتعرض لتفصيلاته وجزئياته ، وليس هذا من شأنها بل تركت الباب فيه مفتوحا للبحث والدراسة والتنقيب من قبل المختصين كل وفق ميدانه واهتماماته وهي تؤكد على القضايا والأسس الرئيسية في التربية التي تجعل العناية بالناشئين ورعايتهم من أوكد وأخص واجبات الآباء والمربين .

ومن ذلك تأكيدها على ان « الرجل راعٍ على أهل بيته ، وهومسؤول عن رعيته » وان « المرأة راعية على أهل بيتٍ زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم » ، وفي هذه « الرعاية » والمسؤولية عنها ، تدخل ضرورة العناية بحسن تغذية الأبناء وحسن وقايتهم وعلاجهم ، وتوفير الجو الصالح ليتم فيه نموهم السليم .

ومن ذلك أيضا تأكيد السنة النبوية على ان جزاء الانفاق على العيال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مثل الانفاق في سبيل الله تعالى ، بل سبقته من حيث الترتيب على الانفاق على الدابة في سبيل الله ، وعلى الأصحاب في سبيل الله .

عن ثوبان ، ان النبي ﷺ قال :

« أفضل الدينار دينار ينفقه الرجل على عياله . ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله ، ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله . »[1]

وغني عن البيان أن من أوجه الانفاق على العيال : ـ توفير الغذاء الجيد لهم ، ووقايتهم باللباس الجيد والمأوى الجيد والفراش الجيد وغيرها ، وتوفير وسائل العلاج اللازمة لهم عند مرضهم ، وبهذا تتوفر لهم أسباب النمو السليم ، الذي يمكنهم من ان يشبوا أصحاء الأبدان والعقول والأنفس . فإنما العقل السليم في الجسم السليم .

وأوجبت السنة النبوية للأولاد على والديهم حقوقا من أهمها ان يرزقوهم رزقًا طيبًا ، أي رزقا حلالا يلبي احتياجاتهم الطبيعية من غذاء ودواء ، واحتياجاتهم الاجتماعية من مأوى وفراش وغطاء ، واحتياجاتهم النفسية من لباس وحسن مظهر ، ولاشباع هذه الاحتياجات أثرها البالغ في تكوين وصقل الشخصية المتكاملة .

وفي هذا الخصوص يوجه رسولنا الأكرم ﷺ الآباء الى مراعاة مسؤ ولياتهم التربوية تجاه أبنائهم بقوله :

« حق الولد على الوالد ان يعلمه الكتابة والسباحة ، والرماية ، وأن لا يرزقه إلا طيّباً . »[2]

كما أكد الرسول ﷺ ضرورة وقايتهم من الأمراض والعلل.عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

---

(1) الترمذي / جـ 8/ص 144 (وقال عنه حديث حسن صحيح) .

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6/ص 434 (رواه : الحكيم ، وابو الشيخ في الثواب والبيهقي في شعب الايمان عن أبي رافع) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« لا توردوا الممرض على المصح » .[1]

وحث رسول الله ﷺ على تعويد الأطفال منذ نشأتهم على النظافة الشخصية لأنها أفضل وسيلة للوقاية من الأمراض .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ـ
« الفطرة خمس (أو خمس من الفطرة) : الختان ، والاستحداد ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وقص الشارب . »[2]

وننوه هنا بضرورة ختان الطفل في بداية هذه المرحلة لما فيه من وقاية صحية له . مع الاهتمام بتقليم أظافره ، ونظافة بدنه وثيابه وفراشه وغطائه ومعدات وأواني طعامه وكل ما يتعلق بصحته الشخصية .

ودعا الرسول ﷺ الى ضرورة التماس العلاج اللازم للأمراض والعلل المختلفة والاسراع في ذلك وعدم التأخر او التردد وتعليق الأمر على القدر ، فقد جعل الله تعالى لكل داء دواء .

عن جابر عن رسول الله ﷺ انه قال :
« لكل داء دواء . فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل . »[3]

2- النمو العقلي وخصائصه

يساعد حسن نمو الطفل الجسمي على استكماله لنموه العقلي وذلك لاتساع خبراته بالأشياء المحيطة به ومعرفته لها عن طريق تجاربه وخبراته الشخصية ، ومعرفة آراء الآخرين بالسؤال والاستفسار ، واستخدامه لحواسه لادراك الأشياء المختلفة .

وبالرغم من ان الاطفال يختلفون في بدء النطق بالكلمة الأولى إلا أن

---

(1) البخاري / جـ 7/ص 179-180
(2) مسلم جـ / 1/ص 153
(3) مسلم جـ 7/ص 21

النطق قد يحدث في الفترة الواقعة بين ثمانية أشهر ، وعشرين شهرا من عمر الوليد تقريبا . وقد تكون الكلمات الأولى مجرد ترديد لما يقوله الكبار ، ثم ترتبط لدى الطفل بشيء معين او موقف خاص او شخص معين ككلمة « ماما » او « بابا » وغيرهما .

وقد ترتبط كلمة ما في ذهن الطفل بالظروف او المواقف التي تستعمل فيها لتعبر عن جملة تدل على ما يريده الطفل تماما مثل كلمة « أشرب » التي يعني بها « أريد أن أشرب » .

ويمكن للطفل في السنة الثانية ان ينطق بعض الجمل بسلامة ، ويؤلف بين الكلمات في جمل معبّرة ، ويمكنه في سن الثالثة ان يستعمل عبارات وكلمات كثيرة للتعبير عن أفكاره .

والطفل في مرحلة الطفولة المبكرة كثير الأسئلة ، فهو في سن الرابعة يسأل أسئلة كثيرة ، ويدرك العلاقات بين الأشياء ، ويحاول ان يعبر عن أفكاره بعبارات مناسبة .

ويستطيع الطفل في سن الخامسة ـ عادة ـ ان ينطق نطقا صحيحا ويحكي قصة طويلة ، ويطلق العنان لخياله ، ويكثر من الكلام نتيجة لذلك ، وهو ما يجب ان يوليه الوالدان والمربون عناية خاصة في تسامح ورحابة صدر وحسن استماع ، مع التوجيه والارشاد التربوي السليم ، وتجنب التضايق والغضب واللوم والتعنيف ، تمكينا للناشىء من حسن استكمال تنمية قدراته وملكاته واستعداداته العقلية على نحو صحيح .

ويلاحظ على الطفل في هذه المرحلة انه قوي التقليد ، سريع المحاكاة ، وهو ما يساعده على نمو تفكيره ولغته ، وقد أشارت عدة أبحاث ودراسات الى ان الأطفال المتخلفين في النمو اللغوي متخلفون في الذكاء أيضا ، وذلك لوجود علاقة وثيقة بين ذكاء الأطفال ولغتهم ، وينطق الأذكياء مبكرا وتنمو قدرتهم اللغوية أسرع ممن يقلون عنهم ذكاء .

ويلاحظ أن « البنات » يتفوقون عادة على « الأولاد » في القدرة اللغوية طيلة مدة الطفولة .

ويعلل بعض علماء النفس خيال الطفل غير المقيد وغير الخاضع للواقع في هذه المرحلة ، بأن الطفل لم يستكمل النضج بالتجربة الواقعية بعد ، وبأن إسراف الطفل في الخيال هروب من الواقع الشاق عليه .

وقد دلت الملاحظة والتجارب على ان الاطفال في هذه المرحلة قادرون على التعليل وإدراك العلاقات بين الأشياء البسيطة التي تتصل بحياتهم « كالمفاتيح والأقفال » واستخدام « الكراسي » في الصعود ، وكيفية الخروج من مكان مقفل ، وغير ذلك من المسائل التي تدفعهم الى معرفة حقيقة البيئة المحيطة بهم وظروفها وخصائصها .

وأبرز الأسس التربوية المتعلقة بالنمو العقلي في هذه المرحلة هي : حب الاستطلاع والمعرفة الذي يتجلى في كثرة الاستفسارات والاسئلة ، وحب التقليد ، والمحاكاة ، وخيال الطفل غير المقيد الذي يبدأ إيهاميا ثم يتدرج الى ان يصبح واقعياً .

ولا شك ان حب الاستطلاع ، والتقليد والمحاكاة ، والخيال ، هي من أهم عوامل نمو التفكير ، واستكمال النضج العقلي بالتدريج لدى الطفل .

وقد حرصت السنة النبوية الكريمة على توجيهنا الى مراعاة هذه الأسس الهامة في تربية عقل الناشىء ، فبخصوص العناية بالاجابة على الاستفسارات والأسئلة التي يطرحها الأطفال ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الرائع ، فلم يكن صدره يضيق بأي سؤال ، ولم يمتنع عن الاجابة عن أي استفسار ، يرى فيهما فائدة للسائل في الدين والدنيا .

عن أنس بن مالك يقول : بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ، ثم عقله ، ثم قال لهم أيكم محمد ، والنبي ﷺ متكىء بين ظهرانيهم ، فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكىء ، فقال له الرجل : ابن عبد المطلب ؟ فقال له النبي ﷺ « قد أجبت » . فقال الرجل للنبي ﷺ : **إني سائلك ، فمشدد عليك في المسألة ، فلا تجد علي في نفسك** . فقال : « **سل عما بدا لك** » . فقال :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أسألك بربك ورب من قبلك الله أرسلك الى الناس كلهم ؟ فقال : « اللهم نعم » قال : أنشدك بالله آلله أمرك ان نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال : « اللهم نعم » . قال : أنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال : « اللهم نعم » قال : أنشدك بالله آلله أمرك ان تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ فقال النبي ﷺ : « اللهم نعم » . فقال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورائي من قومي ، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر .[1]

وفي هذا الحديث أسوة حسنة للآباء والمربين وتوجيه الى التحلي برحابة الصدر ، والتسامح ، والصبر ، في تلقي أسئلة واستفسارات الناشئين والاجابة عليها حسب قدراتهم ومستوياتهم العقلية ، بما يفيدهم في استكمال نموهم العقلي ، ونضج تفكيرهم .

وكان رسول الله ﷺ يجيب السائل اجابة وافية بأكثر مما سأل عنه ، زيادة في افادته وتعليمه وتوضيح جوانب الموضوع الذي سئل عنه .

عن ابن عمر عن النبي ﷺ أن رجلا سأله ما يلبس المحرم فقال : « لا يلبس القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرنس ، ولا ثوبا مسه الورس أو الزعفران ، فان لم يجد النعلين ، فليلبس الخفين وليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين »[2]

وأكد ﷺ أن السؤال هو شفاء العي ، أي القصور ، باعتباره مفتاح التعلم والمعرفة .

فقال عليه الصلاة والسلام :

« شفاء العي السؤال »[3]

---

(1) البخاري ، جـ 1/ص 24-25

(2) البخاري / جـ 1/ص 45

(3) ابن عبد البر / جامع بيان العلم وفضله / جـ 1/ ص 105

بل وقد مارس رسول الله ﷺ نفسه « السؤال والاستفسار » كمفتاح للمعرفة ، وتنمية القدرات العقلية ، وشحذ الذهن ، وقدح الذكاء ، وهو ما يبرز تأكيد السنة النبوية لأهمية إشباع حب الاستطلاع والمعرفة لدى الناشئين .

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

« ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وهي مثل المسلم ، حدثوني ما هي ؟ فوقع الناس في شجر البادية ، ووقع في نفسي أنها النخلة ، قال عبدالله : فاستحييت . فقالوا : يا رسول الله أخبرنا بها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« هي النخلة »[1]

هذا فيما يتعلق باهتمام السنة النبوية الشريفة باشباع حب الاستطلاع لدى الناشىء وما يرتبط به من كثرة الأسئلة والاستفسارات لمعرفة بيئته ومحيطه وعالمه.

أما فيما يتعلق بظاهرة حب التقليد والمحاكاة، فقد اهتمت السنة النبوية المطهرة بمراعاتها في تضميناتها وتوجيهاتها التربوية، وذلك بأن جعلت الوالدين وهما أول من يعنى بتربية الطفل مسؤولين عن تنشئته مسؤولية تامة، وخاصة في مراحل طفولته الأولى التي يكون فيها اعتماده عليهما اعتمادا كليا، اذ أنهما بالنسبة له مصدر الأمن والطمأنينة، كما أنهما في نظره رمز الكمال.

* عن أبي هريرة أنه كان يقول قال رسول الله ﷺ :

« ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء . » (2)

---

(1) البخاري جـ 1/ص ٥٤

(2) مسلم / جـ 8/ص 52

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا الحديث الشريف يشير الى ما تؤكده التربية الحديثة من أهمية بالغة لأثر الأبوين في تكوين شخصية الناشىء ، فهو يتشرب عن طريق محاكاتهما وتقليدهما ، بالإضافة الى توجيههما ، نوع التربية السائد في مجتمعه ، بل يكتسب كثيرا من أنماط خلقهما وسلوكهما ونظرتهما للحياة . وهكذا تبرز خطورة دور الأبوين في التنشئة والتوجيه ، وتبرز تبعا لذلك خطورة عملية « التقليد والمحاكاة » كأحد العوامل المؤثرة في تربية الناشئين وتكوين شخصياتهم .

ولا بد للوالدين ـ تأسيسا على ذلك ـ من ان يكونا القدوة الخيرة لأبنائهما في سلوكهما وتصرفاتهما وأخلاقهما وتعاملهما مع الآخرين ، وموقفهما من الحياة ونظرتهما الى قضاياها ، وهما ليسا مسؤولين عن أخلاقهما وسلوكهما فحسب ، بل هما مسؤولان عن أخلاق وسلوك أبنائهما الذين يقلدوهما ويحاكوهما .

عن جرير بن عبد الله قال رسول الله ﷺ :
« من سنّ في الاسلام سنّة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنّ في الاسلام سنّة سيئة فعمل بها بعده ، كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء »[1]

ولا شك أن الوالدين مسؤولان ، قبل غيرهما ، عن تنشئة الطفل ، وبقدر ما يوفران له من الجو الملائم نفسيا وتربويا بقدر ما يكون نموه العقلي نمواً صحيحاً وسليماً ، وهما قدوته ومثاله الذي يحتذيه في سلوكه وتصرفاته .

وقد أكد الله عز وجل أهمية « القدوة » في التربية ، جاعلاً من الرسول الخاتم عليه أفضل الصلاة والتسليم « الأسوة الحسنة » لجميع المسلمين قائلا :

---

(1) مسلم / جـ 8/ ص 61

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ [1]

وأعطى رسول الله ﷺ من نفسه المثل والقدوة في كل ما كان يأمر به المسلمين أو يوجههم اليه ، فجمع بين التوجيه والتطبيق في التربية في أدق الأمور وأجلها وهذه هي « القدوة الحقيقية » إذ أن القدوة اذا اقتصرت على القول دون العمل كانت مبتورة وعديمة النفع .

عن البراء رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه ، وهو يقول : « لولا أنت ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا ، فأنزل السكينة علينا ، وثبّت الأقدام إن لاقينا ، ان الألى قد بغوا علينا ، إذا أرادوا فتنة أبينا »[2]

هذا فيما يتعلق بظاهرة التقليد والمحاكاة ، أما فيما يتعلق بظاهرة الخيال غير المقيّد وغير الخاضع للواقع لدى الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة فلم تتجاهله السنة النبوية الشريفة بل أشارت في تضميناتها التربوية الى أهمية مراعاته حتى يتمكن الناشىء من استكمال بناء شخصيته ، ويتكامل نضجه العقلي والوجداني والجسمي .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ ، وكان لي صواحب يلعبن معي ، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه فيسر بهن إليّ فيلعبن معي . [3]

وفي هذا الحديث يعطينا الرسول الأكرم ﷺ المثل الرائع في حسن معاملة الناشئين ، فهذه عائشة رضي الله عنها لم تزل يافعة آنذاك ، ولم يزل لعبها ايهاميا يرتبط بالخيال ، ويتجلى ذلك في لعبها بالدمى ، فلم

---

(1) الأحزاب / 21

(2) البخاري / جـ 4/ص 31

(3) البخاري / جـ 8/ص 37

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يعب عليها رسول الله ﷺ خيالها الطفولي ، ولم يمنعها من إشباعه ، بل وفر لها الجو التربوي السليم المبني على التفهم والعطف وحسن الرعاية وكان يسرب اليها صواحبها من سنها يلعبن معها ، ويجدن في بيت النبوة الطاهر الرعاية التربوية السليمة .

تلك ومضات من نور النبوة المحمدية تضيء لنا دروبنا في رسم معالم تربية صحيحة متكاملة لأبنائنا دون ان تغلق الباب في وجه كل جديد مفيد .

3— النمو الوجداني وخصائصه :

يلاحظ على الطفل في هذه المرحلة من عمره ، كونه متقلب الوجدان ، ومتذبذب الانفعال ، فهو سرعان ما يفرح ويغضب ، كثير الخوف ، شديد الغيرة ، وغير مستقر على حال من الأحوال النفسية والانفعالية .

وفي هذه المرحلة يبدأ الطفل في تكوين عواطفه المرتبطة بالأشخاص والأشياء المألوفة لديه ، كعاطفة حب الوالدين ، وحب رفاق اللعب وأبناء الجيران ، وحب الحيوانات الأليفة كالقطط والأرانب وغيرها ، وعليه فان من أوكد واجبات الوالدين والمربين توجيهه وإرشاده الى تكوين العواطف الصالحة التي هي أساس الخلق الصالح .

ويهتم علماء النفس والتربية بهذه المرحلة الأولى من حياة الطفل الى أبعد حد ، لأنهم يرون أن أسس الأخلاق تغرس فيها .

وقد قال بعض فلاسفة التربية الحديثة في القرن العشرين :

« ان الطفل يأخذ الطابع الذي يلازمه طول حياته في السنوات الخمس الأولى »[1].

كما يرون أن كثيرا من حالات الاضطراب العقلي والنفسي والخلقي

---

(1) الأبراشي / التربية الاسلامية وفلاسفتها / ص 115

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يرجع أصلها الى حوادث وقعت في عهد الطفولة المبكرة ، وقد كشفت عدة أبحاث في « التحليل النفسي » عما لاضطراب حياة الطفل الأولى من أثر كبير في انحرافه وسلوكه الاجرامي ، وأخطائه في إصدار الأحكام ، وشذوذه الأخلاقي الذي قد يظهر فيما بعد عند كبره .

وفي مرحلة الطفولة وخاصة المبكرة يتكون « الضمير » بطريقة لا شعورية الى حد بعيد ويتم تكوينه بالامتصاص والتشرب والمحاكاة والتقليد ويرسخ بطريقة لا واعية في الوجدان .

وهذا ما يؤكده بعض المربين :

« وبما أن الضمير يكتسب في مرحلة الطفولة وخاصة المبكرة فهو لا شعوري الى حد كبير ، وهو ككل استعداد او اتجاه يكتسبه الفرد في طفولته ذو أثر عميق باق في حياته كلها ويؤدى الاطار الاجتماعي الذي يتحرك فيه الطفل ، وتشربه القيم السائدة فيه الى تثبيت وتدعيم هذه القيم المكتسبْة ، والتي تبلورت في « أنا أعلى » أو « ضمير » قادر على توجيه حياة الفرد الوجهة التي تحقق له تكيفا نفسيا سليما . » [1]

ولمرحلة الطفولة وخاصة المبكرة أثرها الكبير في اكتساب العادات والتقاليد ، وتثبيتها :

« والعادات التي تتكون أثناء هذه الفترة صعب تغييرها في فترات النمو التالية ، كما أن العادات التي لم تتم خلال هذه الفترة عسير إنماؤها فيما بعد . » [2]

ومن هنا تتضح مدى حاجة الطفل الى الأمن . والطمأنينة والعطف والثقة حتى ينمو وجدانه نمواً سوياً متزناً ، فيكون العواطف الصالحة ، ويكون قادراً على التحكم في انفعالاته بما يجعل حياته المشتركة مع

---

(1) د. مصطفى فهمي / الانسان وصحته النفسية / ص 221
(2) د. فاخر عاقل / علم النفس التربوي / ص 114

الآخرين هانئة ووادعة .

مع ضرورة مراعاة الآباء والمربين لعدم القسوة والشدة في معاملته ، وعدم إفزاعه واثارة خوفه .

إن سنوات الطفولة المبكرة بالذات هي سنوات أسس التكوين الروحي والعقلي والاجتماعي والخلقي والجسدي ، ويؤكد علماء النفس على أهمية خبرات الطفولة وخطورتها في تكوين شخصية الفرد المتكاملة فيما بعد ، خاصة وان السنين التي تسبق « المدرسة » تمثل : « الفترة التي يتم فيها أسرع النمو الجسدي والعقلي والاجتماعي »[1]

ولا شك أن مسؤولية الوالدين والمربين عموماً ، من أخطر المسؤوليات تجاه الناشئين في هذه المرحلة الهامة والخطيرة في رسم معالم شخصية الفرد الانساني وإرساء دعائمها على أسس متينة .

وإذا ما نظرنا الى موقف السنة النبوية المطهرة من النمو الوجداني (الانفعالي والعاطفي) في هذه المرحلة لوجدناه موقف الاهتمام والتأكيد على حسن الرعاية والعناية بالناشئين فيها ، وحسن معاملتهم وتوجيههم وارشادهم ، فهي توجهنا الى الأخذ بأسباب الرفق والرحمة والعطف في معاملتنا للناشئين ، وفي مواقفنا من انفعالاتهم وعواطفهم المتأرجحة والتي لم تستكمل أو تصقل بعد .

وجعلت السنة المحمدية الرحمة من أهم صفات المؤمنين أتباع رسولنا الأكرم ﷺ .

عن أبن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

« ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف ، وينه عن المنكر . »[2]

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 114

(2) الترمذي / جـ 8/ص 108-109 (وقال عنه : حديث حسن غريب)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان رسول الله ﷺ يتبسط مع الأطفال ويداعبهم ويتفكه معهم أكثر من غيرهم .

عن أنس بن مالك قال :

« كان رسول الله ﷺ من أفكه الناس مع صبي . »[1]

وها هو ﷺ يرد على أحد المسلمين كان في طبعه شدة وغلظة ، حتى أنه لا يرفق بأبنائه فيلاطفهم ويقبلهم ، بأنه : « من لا يرحم لا يُرحم » . فالرحمة من صفات الرحمن عز وجل ومن لا يرحم لا يرحمه الله تعالى ، والأبناء والأقرباء أولى بالرحمة والرفق .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قبل رسول الله ﷺ الحسين بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا ، فقال الأقرع ان لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فنظر اليه رسول الله ﷺ ثم قال :

« من لا يرحم لا يُرحم »[2]

ورسول الله ﷺ هو أسوتنا الحسنة ، وقدوتنا المثلى ، في المعاملة التربوية السليمة للناشئين ، فقد كان رحب الصدر متسامحاً ، رقيقا عطوفا على الأطفال ، حتى في صلاته وخشوعه وعبادته .

عن أبي قتادة قال : خرج علينا النبي ﷺ وأمامه بنت أبي العاص على عاتقه ، فصلى فاذا ركع وضع واذا رفع رفعها »[3]

وأكدت السنة المحمدية ضرورة تجنب القسوة والشدة في المعاملة لأثرها السيء في تكوين الفرد ودعت الى مراعاة التسامح واللين تجاه أخطاء الناشئين وعيوبهم .

عن عائشة : « إن النبي صلى الله عليه وسلم وضع صبياً في حجره

---

(1) البيهقي / دلائل النبوة / ص 246

(2) البخاري / جـ 8/ص 9

(3) البخاري / جـ 8/ص 8

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يحنكه فبال عليه فدعا بماء فأتبعه . »[1]

وكان رسول الله ﷺ يلاطف أبناء المسلمين عامة ويرفق بهم ويمازحهم .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول :
« ان كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير : يا أبا عمير ما فعل النغير . »[2]

وهكذا تحثنا السنة النبوية على انتهاج سبل الرحمة والرفق واللين في معاملة الناشئين حتى نوفر لهم الجو النفساني السليم الذي يشعرون فيه بالأمن والطمأنينة والهدوء والسكينة ليشبوا أصحاء الأنفس والعقول والأجسام .

وفيما يخص ظاهرة « الغيرة » لدى الأطفال التي تتميز بها هذه المرحلة من عمرهم ، فان السنة النبوية أولتها اهتماما كبيراً ووجهتنا الى مراعاة المعاملة العادلة بين الناشئين حتى لا تثار « غيرتهم » بما يغرس البغضاء والتحاسد والتنافس غير الشريف بينهم ، وتطبع شخصياتهم بطابع العدوانية المدمرة او الانطوائية المنسحبة ، وكلاهما ذو أثر سلبي خطير في تكوين الشخصية الانسانية .

والرسول الأكرم ﷺ يأمرنا بالعدل بين الأبناء في كل شيء ، ومن ذلك العدل في العطية بين الأبناء .

عن النعمان بن بشير أن أباه نحل ابنا له غلاما فأتى النبي ﷺ يشهده فقال : « أكل ولدك نحلته مثل ما نحلت هذا ؟ » قال : لا . قال : « فأردده »[3]

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 10
(2) نفس المصدر السابق / ص 37
(3) الترمذي / جـ 5/ص 126-127 (قال عنه : حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن ذلك العدل حتى في القبل وما اليها من مؤانسة ومداعبة وملاطفة .

قال رسول الله ﷺ :

« ان الله يحب ان تعدلوا بين أولادكم حتى في القبل »[1]

والعدل قيمة عليا تميل اليها النفس البشرية فطريا لكونها أساس العلاقات السليمة والمعاملة القويمة بين الناس أجمعين .

ويوجه رسول الله ﷺ الآباء والمربين الى ضرورة مراعاة العدالة التامة في معاملة الناشئين وعدم التمييز بينهم ، حتى يشبوا على تقدير قيمة العدل والحفاظ عليها في كل مواقفهم واتجاهاتهم في حياتهم المستقبلة .

قال رسول الله ﷺ :

« اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون ان يعدلوا بينكم في البر واللطف . »[2]

أما فيما يتعلق بأهمية هذه المرحلة في « التكوين الخلقي » و« الروحي » و« العقلي » فقد حرصت السنّة النبوية على توجيه الآباء والمربين الى حسن رعاية الناشئين والعناية بهم في هذه المرحلة الخطيرة من حياتهم ، وكان لها في هذا المضمار سبق تربوي فريد ، فقد عنت السنة المحمدية المطهرة بهذه الفترة الممتدة من سن المهد حتى سن السادسة تقريبا أيما عناية ، فحرصت على توجيه الآباء بادىء الأمر الى الاحتفاء بالمولود وحسن اختيار « اسمه » الذي سيعرف به طيلة حياته ، وينادى به ، وحرصت على أن يكون من الأسماء التي تفتح باب القبول الاجتماعي لحامله ، وتكون مصدر إيحاء له بالخير والصلاح وينعكس في سلوكه وتصرفاته بطريقة لا شعورية .

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6/ص 434 (رواه ابن النجار عن النعمان بن بشير)

(2) نفس المصدر السابق / جـ 6/ص 434 (رواه الطبراني في الاوسط عن النعمان بن بشير)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي هذا سبقت الفلسفات والنظريات التربوية قديمها وحديثها :

● عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ :

« إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم . »[1]

وعن سمرة بن جندب عن رسول الله ﷺ قال :

« كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلق رأسه ويسمى . »[2].

واحسان « الاسم » قرين بإحسان الموضع والتأديب للطفل الناشىء .

● وقال ﷺ :

« حق الولد على والده أن يحسن اسمه ، ويحسن موضعه ، ويحسن أدبه . »[3]

بل إن رسول الله ﷺ أمر بتغيير الاسماء القبيحة أو المنفرة او التي توحي بالكبر والعظمة ، فالعظمة لله تعالى وحده .

عن ابن عمر : أن ابنة لعمر كانت يقال لها : « عاصية » فسماها رسول الله ﷺ : « جميلة »[4]

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« أغيظ رجل على الله يوم القيامة ، وأخبثه عليه رجل كان يسمّى ملك الأملاك ، لا ملك إلا الله . »[5]

هذا فيما يتعلق بالاحتفاء بالمولود ، ذكرا أو أنثى على السواء ، وحسن

---

(1) سنن الدارمي / جـ 2/ص 294

(2) النسائي / جـ 7/ص 166

(3) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6/ص 428-429 (رواه البيهقي في شعب الايمان : عن عائشة) .

(4) مسلم / جـ 6/ص 174

(5) نفس المصدر السابق ص / 174

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اختيار اسمه الذي سيحمله طيلة حياته بين أفراد مجتمعه .

أما فيما يتعلق بالتنشئة الخلقية السليمة في هذه المرحلة الخطيرة فقد حرصت السنة المحمدية المطهرة على دعوة الآباء والمربين الى استغلالها في إكساب الأدب الحسن والخلق القويم للطفل وغرس الفضائل والقيم العليا في نفسه المرهفة الطرية حتى تنقش عليها بشكل سوي راسخ لا تمحوه الأيام .

ففي مجال التكوين الروحي ، وهو مرتبط بالتكوين الخلقي ، حرصت السنة على تأكيد تعليم « الصلاة » وهي عماد الدين وعلامة المسلمين للطفل منذ فجر حياته الأولى .

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال :
قال رسول الله ﷺ :
« مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع »[1]

وغني عن البيان أن الطفل يتعلم الصلاة ويتشربها ويمتصها في هذه المرحلة من والديه وأقربائه المحيطين به ، وهو ما يؤكد مسؤولية الوالدين والمربين في أن يكونوا القدوة المثلى للناشئين في دينهم وأخلاقهم وكافة أنماط سلوكهم وتصرفاتهم .

وتحثنا السنة النبوية على غرس الآداب الحسنة في نفسية الناشىء في هذه المرحلة حتى يتحلى بالفضائل ومكارم الأخلاق منذ صغره ، ويصعب بعد ذلك على أسباب الانحلال ان تجد سبيلا الى قلبه .
قال رسول الله ﷺ : «حق الولد على والده ان يحسن اسمه ،

---

(1) أبو داود / جـ 1 / ص 185

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويحسن موضعه ، ويحسن أدبه . »[1]

ولا غروّ ، فان ما يتعلمه ويكسبه الطفل في الصغر كالنقش على الحجر يثبت ويصعب تغييره .

عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :
« من تعلّم العلم وهو شاب كان كوشم في حجر ، ومن تعلم بعد ما يدخل في السن كان كالكاتب على ظهر الماء . »[2]

وهذا الحديث يبرز اهتمام السنة النبوية بمرحلة الطفولة المبكرة وخطورتها في التكوين العقلي والخلقي والروحي ، بشكل لا يدعو مجالا للشك في سبقها الفريد لنظريات التربية الحديثة .

ومن أبلغ الأمثلة وأروعها على اهتمام التربية المحمدية بغرس الخلال الحميدة في النفوس منذ الطفولة المبكرة ما ساقه لنا الصحابي الجليل عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه :
عن عمر بن أبي سلمة يقول : كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام سمّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك . » فما زالت تلك طعمتي بعد .[3]

هكذا تحرص السنة النبوية المطهرة على غرس الفضائل وآداب السلوك في الناشئين منذ صغرهم ، وتوجه في تضميناتها التربوية الايجابية الآباء والمربين الى ضرورة العناية بأبنائهم منذ طفولتهم المبكرة حتى يكون أساس تكوين شخصياتهم السوية المتكاملة فيما بعد ، قويا ومتينا ، وذلك لأن كل مرحلة من عمر الانسان مرتبطة بغيرها ، متداخلة في بعضها

(1) المتقى منتخب كنز العمال / جـ 6/ص 428-429 (رواه البيهقي في شعب الايمان عن عائشة) .

(2) ابن عبد البر / جامع بيان العلم وفضله / جـ 1/ص 99

(3) البخاري / جـ 7/ ص 88

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعضا ، ينبني لاحقها على سابقها ويتأثر به في البناء المتكامل في حالتي الضعف والقوة والسلبية والايجابية ، والطلاح والصلاح .

صدق رسول الله ﷺ في قوله « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

فليست التربية السليمة في معناها الصحيح إلا رعاية سليمة ، وما ينبغي لها إلا أن تكون كذلك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأسس التي ترى السنة النبوية مراعاتها في معاملة الناشئين في هذه المرحلة

لعل المقام لا يتسع الى الاسهاب في تحليل المضامين التربوية في السنة النبوية وفق الأحاديث المتقدم ذكرها والتي تحدد الأسس التي ينبغي مراعاتها في معاملة الناشئين في مرحلة الطفولة المبكرة إلا أنه يمكن تلخيص أهم هذه الأسس فيما يلي :

1— العناية بصحة الطفل ، وذلك من حيث توفير التغذية الجيدة له كما وكيفا ، ووقايته من الأمراض ، والاسراع في علاج ما يصيبه منها .

2— مراعاة طاقات الطفل وقدراته الجسدية وعدم تكليفه ما لا يطيق من الأعمال ، وحاجته للراحة بعد بذل الجهد الزائد في الحركة واللعب .

3— عدم اثارة الطفل وإغضابه وتحديه ، وإحاطته بالمحبة والعطف ، ومعاملته برفق ولطف واتزان ، وعدم إظهار التحيّز لأي من الأطفال دون إخوته .

4— عدم حرمان الطفل من اللعب والترويح ، وذلك لحاجته النفسية والجسدية اليهما ، ولكونهما وسيلتين هامتين لتنمية خبرات ومعارف الطفل واتصاله بالبيئة وتعرفه على أشيائها وارتباطه بالرفاق والزملاء وحسن تكوينه للعلاقات الاجتماعية .

5— مراعاة ربط اللعب بالتعلم ، واستغلال اللعب كوسيلة مثمرة في اكتساب المعلومات والتدرب على المهارات .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

6— استثمار خيال الطفل في حفظ القصص التربوية والاخلاقية ذات المرامي السامية والمقاصد النبيلة ، مما يغرس فيه بالتدريج وبطريق غير مباشر ، حب الخير والتمسك بأهداب الفضيلة والمبادىء والقيم والمثل العليا ، والتي يدرك معانيها وأهميتها في بناء الشخصية وعلاقة الانسان بربه وبمجتمعه وبالكون عندما ينمو عقله وتتسع مداركه وينضج فهمه .

7— استغلال كثرة تساؤلاته واستفساراته في تعليمه ومراعاة اجابته بأمانة وصدق ووفق مستواه العقلي والتحصيلي ، وتشجيعه دوما على تنمية غريزة حب الاطلاع لاستكمال نضجه العقلي .

ثانيا : مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة :

تشتمل هذه المرحلة على نمو جسمي سريع ملحوظ تعقبه فترة بطء في النمو ، وتتسع فيها علاقات الطفل بغيره وتنمو معارفه وتزداد خبراته اذ انه ينتقل من البيت الى المدرسة بصفة إلزامية مما يجعله يستكمل بالتدريج نموه العقلي والاجتماعي والانفعالي ، ويعدل من سلوكه وتصرفاته ويخفف من غلواء الروح الفردية ، وحب الاستئثار بالأشياء ، ولهذا كانت هذه المرحلة شديدة الأهمية ، وتستوجب من الآباء والمربين عناية واهتماما خاصاً بالناشئين وارشادهم وتوجيههم وإشباع حاجاتهم على نحو سليم .

وفيما يلي نستعرض أهم خصائص النمو في هذه المرحلة .

1— النمو الجسمي وخصائصه :

يلاحظ على الطفل في هذه المرحلة أنه يكون أرفع وأنحف في الفترة ما بين سن الخامسة والسابعة ، لأنها فترة نمو سريع في الطول ، ويكون الطفل فيها عرضة لعدة أمراض كالسعال الديكي والحصبة والجدري نتيجة لنموه الجسماني السريع ، ومن أعراضها التي يمكن ملاحظتها بسهولة فقدان الطفل جزءا من وزنه ، ونحول جسمه تبعا لذلك .

وفي هذه الفترة تتساقط « الأسنان اللبنية » لتحل محلها « الأسنان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدائمة » مما يستوجب توفير التغذية الصحية الجيدة للأطفال حفاظا على صحتهم وسلامة أبدانهم .

وتلي هذه الفترة فترة البطء في النمو الجسمي من سن السابعة الى الثانية عشرة تقريبا تتحسن فيها صحة الطفل وتزداد حيويته وحركته ونشاطه ولعبه وقفزه وجريه ، حتى أنه يمكن ان يطلق عليها اسم « مرحلة الحركة والنشاط » التي تقوى فيها عضلات الطفل ويستطيع مواصلة العمل الحركي لمدة طويلة ، ويصبح أقدر وأدق في ضبط الأعمال التي تحتاج الى التكيف الحركي كالرسم والكتابة والأشغال اليدوية ، والخياطة والتطريز ، والعزف على الآلات الموسيقية وما إليها .

وبالرغم من أن جميع أجزاء جسم الطفل تستمر في النمو ، في هذه المرحلة ، إلا أن معدل النمو تقريبا يقل نسبيا ، وهو أمر طبيعي ، ولكن لا بد من العناية بصحة بدن الطفل ورعايته حتى يشب سليما معافى .

وهناك حقيقة هامة يجب ان يضعها الآباء والمربون نصب أعينهم ، ويحرصوا على الالتزام بها ، وهي أن الطفل في هذه المرحلة يحتاج الى كمية كافية من الغذاء مع ضرورة مراعاة نوعيتها ، كما يحتاج الى قسط وافر من الراحة لتعويض الجهد المبذول في الحركة والنشاط .

واذا ما نظرنا الى الأسس التربوية المتقدمة في ضوء السنة النبوية نجد أنها قد راعت في تضميناتها التربوية توجيه الآباء والمربين الى ضرورة العناية بها ، ففيما يتعلق بتغذية الأطفال جعلت السنّة من أوكد واجبات الوالدين توفير الغذاء الجيد لهم ، وجعلت سعيهم وإنفاقهم على أبنائهم مفضلا على ما عداه من أعمال ، وقرنته بالسعي في سبيل الله تعالى والجهاد في سبيل الله تعالى .

عن ثوبان : أن النبي ﷺ قال :

« أفضل الدينار دينار ينفقه الرجل على عياله . ودينار ينفقه الرجل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على دابته في سبيل الله ، ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله . »[1]

وحثت السنة النبوية الآباء والمربين على أن ينفقوا على أولادهم من الرزق الطيّب ، أي الرزق الجيد المفيد لأبنائهم ، والمكتسب بالطرق الحلال .

قال رسول الله ﷺ :

« حق الولد على الوالد أن يعلّمه الكتابة والسباحة والرماية وأن لا يرزقه إلا طيباً . »[2]

ومن إيحاءات الرزق الطيّب مراعاة الناحية النوعية فيه مع الناحية الكمية ، فالرزق الطيّب هو المفيد للبدن ، النافع للصحة المحتوي على عناصر التغذية الجيّدة .

ودعت السنة النبوية الوالدين والمربين الى ضرورة الاهتمام بالوقاية الصحية للناشىء والتماس علاجه عند اصابته بأي مرض فقد خلق الله تعالى الداء والدواء. هذا مع حثها على تعويد الناشئين على النظافة الشخصية منذ صغرهم لكونها من أحسن وسائل الوقاية الصحية .

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« لا توردوا الممرض على المُصِحْ . »[3]

هذا مثال على الاهتمام بالوقاية الصحيحة .

* وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« الفطرة خمس (أو خمس من الفطرة) : الختان ، والاستحداد وتقليم

---

(1) الترمذي / جـ 8/ ص 144 (وقال عنه : حديث حسن صحيح) .

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6/ص 434 (رواه الحكيم ، وأبو الشيخ : في الثواب . والبيهقي في شعب الايمان عن أبي رافع .

(3) البخاري / جـ 7/ ص 180.179

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأظافر، ونتف الابط، وقص الشارب.[1]

وهذا مثال رائع على اتباع سبل النظافة الشخصية والحفاظ عليها والقيام بها في الأوقات المناسبة لها، بالاضافة الى الوضوء الذي يتكرر عدة مرات في اليوم لأداء الصلاة، والطهارة والغسل والتطيب يوم الجمعة. وهي جميعا من أهم عناصر الوقاية الصحية السليمة.

* عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال:

« لكل داء دواء، فاذا أصيب دواء الداء برأ باذن الله عز وجل. »[2]

وهذا توجيه تربوي صحي رائع الى ضرورة طلب الدواء النافع.

وفيما يتعلق بحركة الطفل ونشاطه وحيويته في هذه الفترة فقد وقفت منها السنة النبوية المطهرة موقفا ايجابيا وأكدت حاجة الطفل الى الحركة والنشاط واتاحت له فرص اللعب والمرح، وكانت في ذلك ذات سبق فريد على النظريات والفلسفات التربوية الحديثة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أبصر النبي ﷺ نساء وصبيانا مقبلين من عرس، فقام ممتنا، فقال: « اللهم أنتم من أحب الناس الي »[3]

وفي هذا الحديث توجيه الى مراعاة اتاحة الفرص للأطفال للعب والمرح البريء ترويحا عن نفوسهم، وتنفيسا عن مشاعرهم، وفيه ابراز لحاجة الأطفال الطبيعية الى اللعب، وخاصة في هذه المرحلة من أعمارهم.

* عن عائشة قالت: « كان الحبش يلعبون بحرابهم فسترني رسول الله ﷺ ، وأنا أنظر فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف فأقدروا قدر

---

(1) مسلم / جـ 1 / ص 153
(2) مسلم / جـ 7/ ص 21
(3) البخاري / جـ7/ ص 32

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجارية الحديثة السن تسمع اللهو. »[1]

وفي هذا الحديث يضرب الرسول ﷺ لنا المثل التربوي الرائد، فلم يضق صدره بلعب زوجه وقد كانت حديثة السن، فراعى حاجتها - النفسية في مرحلتها العمرية آنذاك فلم يحرمها من لهو بريء. وترويح نفسي، وكذلك هو واجب الآباء والمربين حيال أبنائهم إن ارادوا الفلاح في تربيتهم، وهذا لا يستقيم الا بادراك حاجاتهم الطبيعية واتاحة الفرص لاشباعها.

وعلاوة على ذلك فقد وجهتنا السنة المحمدية المطهرة الى استثمار « اللعب » كحاجة نفسية ضرورية للأطفال في اكسابهم المهارات التي يمكن أن تفيدهم في مستقبل أيامهم، ويمكن أن تكون وسيلة بناءة في صقل وتنمية قدراتهم وطاقاتهم.

* قال رسول الله ﷺ:

« حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة، والسباحة والرماية وأن لا يرزقه الا طيبا. »[2]

وغني عن البيان أهمية التمرينات والتدريب الرياضي واكتساب المهارات الرياضية التي يشير اليها هذا الحديث كالسباحة والرماية وغيرها، في بناء الأجسام السليمة المعافاة القادرة على مقاومة الأمراض والعلل.

أما فيما يتعلق بحاجة الطفل الى « الراحة » بالقدر اللازم له ليستعيد نشاطه وحيويته، فقد اهتمت السنة النبوية الشريفة بتوجيه الآباء والمربين الى رحمة الأطفال وهو ما يستوجب توفير الراحة اللازمة لهم.

* عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ:

---

(1) البخاري / جـ 7/ ص 36

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6/ ص 434 (رواه الحكيم وأبو الشيخ: في الثواب والبيهقي في شعب الايمان عن أبي رافع)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« ليس منّا من لم يرحم صغيرنا، ويوقّر كبيرنا، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر. »[1]

ومن أول ما تستوجبه رحمة الصغير هو الحنو عليه، واراحته، وعدم تحميله المشقة والمتاعب التي لا يطيقها مراعاة لطفولته الهشة الضعيفة.

والراحة ضرورية لكل انسان بعد أن يبذل جهدا كبيرا، حتى يستجم ويستعيد نشاطه فيعود الى العمل والانتاج بطاقات جديدة.

* عن أنس قال دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال: « ما هذا؟ » قالوا: لزينب تصلّي فاذا كسلت أو فترت أمسكت به فقال:

« حلّوه، ليصل أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر قعد. »[2]

وفي هذا الحديث توجيه نبوي تربوي عظيم، فقد أمر رسول الله ﷺ بحلّ الحبل الذي كانت تستند عليه « زينب » رضي الله عنها عندما تكسل أو تفتر، ووجه الى ضرورة اشباع الحاجة الطبيعية للراحة بعد التعب والفتور وان كان ما يقوم به المرء « الصلاة » وهي أول العبادات وأشرف الطاعات.

واذا كانت الراحة ضرورية للكبار، فهي أولى للصغار وأشد ضرورة ومن واجب الوالدين والمربين توفير القسط اللازم من الراحة للناشئين بعد الجهد والحركة والنشاط.

وهذا أول ما تستوجبه الرعاية التربوية القائمة على العطف والرحمة والرفق.

* عن عائشة عن النبي ﷺ قال:

---

(1) الترمذي / جـ 8/ ص 109 (وقال عنه حديث حسن غريب)

(2) مسلم / ج. 2 / ص 189

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« ان الرفق لا يكون في شيء الاّ زانه ولا ينزع من شيء الا شانه . »[1]

وهذا الحديث يؤكد على ضرورة تحلي الوالدين والمربين بالرفق في معاملاتهم للناشئين تقديراً لمستوياتهم العقلية واحوالهم النفسية وقدراتهم البدنية .

وقد نعت السنة النبوية المطهرة على المرء عدم اتصافه بخلق الرفق، الذي إن حرم منه حرم من الخير كله نحو ذاته وأهله وبنيه .

* عن جرير عن النبي ﷺ قال :
« من يحرم الرفق يحرم الخير. »[2]

ومعاملة الأطفال في حركتهم وسكونهم، ونشاطهم وراحتهم لا بد أن تتصف بالتسامح وباليسر وسعة البال حتى لا تتسبب في أي شرخ أو علل نفسية أو اضطرابات عصبية لدى الناشئين، وهذا ما تحرص السنة النبوية على تأكيده والتوجيه اليه .

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ :
« يسروا ولا تعسروا وسكّنوا ولا تنفروا . »[3]

وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الرائع في رفقه ورحمته للاطفال وتقديره لظروفهم وظروف والديهم وعدم تحميلهم أية مشقة، جزاه الله تعالى عنا خير ما يجزي به نبيا ورسولا عن أمته .

* عن أبي قتادة الأنصاري عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ :
« اني لأقوم الى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 22
(2) مسلم / جـ 8/ ص 22
(3) البخاري / جـ 8/ ص 36

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فأتجوَّز في صلاتي كراهية أن أشقّ على أمه »[1]

وأي صبي لا تتكامل شخصيته، وتنسجم جوانبها على نحو سوي وسليم يعيش في مثل هذا الجو التربوي والنفساني الصالح؟ وأي « تربية » تقتدي بهذه النفحات النورانية لا تكون تربية واعية وبناءة توفر الرعاية والعناية الهادفة للناشئين؟.

وقد جعل رسول الله ﷺ نفسه قدوة لنا قولا وعملا في توجيهاته التربوية الهادفة التي أساسها « الرحمة » صفة الرحمن عز وجل.

* عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ **يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمهما، ثم يقول: « اللهم ارحمهما فاني ارحمهما. »**[2]

2- النمو العقلي وخصائصه:

في هذه المرحلة، ينمو عقل الطفل بالتدريج وتزداد خبراته وتجاربه، ويتسع أفقه، ومعرفته ببيئته الاجتماعية والطبيعية المحيطة به، ويتمكن من اتقان الخبرات والمهارات التي اكتسبها في المرحلة السابقة، ومن أهم الغرائز، أو الدوافع الأولية، التي تبرز بشكل أكبر في هذه المرحلة « حسب الاطلاع » وهي التي تدفع الطفل الى الكشف عن خفايا البيئة، والتساؤ ل والاستفسار دوما عن الأشياء ومعانيها طلبا للفهم والمعرفة.

ويستمر النمو العقلي لدى الطفل ويتقدم في ادراك العلاقات بين أجزاء « الأشياء المركبة » ويتسع مدى ادراكه ويزداد وضوحا، ويصبح قادرا على تركيب « الأشياء المعقدة » نوعا.

وتبدأ القوى العقلية لدى الطفل: كالتذكر والتفكير والانتباه

---

(1) البخاري / جـ 1/ ص 219.
(2) البخاري / جـ 8/ ص 10

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والتركيز، في النضج وخاصة بعد سن التاسعة، ولذلك يرى علماء النفس وجوب الاعتماد على البحث والتفكير و « الذاكرة المنطقية » بدل تعويد الطفل على حفظ المواد الدراسية أو المعلومات المختلفة حفظا آليا لا فعالية فيه.

ويصبح الطفل، في هذه المرحلة، أقدر على الانتباه الارادي مما يمكنه من التركيز، والفهم أكثر فأكثر، ويبدأ الطفل في منتصف هذه المرحلة تقريبا في الانتقال من طور الخيال واللعب العابث الى طور الواقع واستعمال الألعاب الواقعية.

ومن مظاهر هذه المرحلة، وخاصة في سن العاشرة بالتقريب، ظهور المواهب والقدرات العقلية والميول الفنية مما يستلزم رعاية وعناية وتوجيها تربويا سليما يمكنها من النمو، والوصول الى اقصى حد ممكن من الجودة والاتقان والنبوغ.

وبدراسة هذه الأسس التربوية في ضوء مضامين السنة النبوية نجد أن السنة تقف منها موقف التعزيز والانماء، تمكينا للناشئين من تنمية قدراتهم العقلية على نحو يكفل لهم النضج الفكري المطلوب، والنمو العقلي السليم.

فبخصوص دافع «حب الاطلاع» الذي يظهر في استفسارات وأسئلة الناشىء في هذه المرحلة طلبا للفهم والمعرفة، وتنمية الخبرات والتجارب التي تمكنه من فهم محيطه الاجتماعي وبيئته الطبيعية، نجد ان السنة النبوية تشبع هذا الدافع، وتحرص على تنميته بالشكل الايجابي الصالح.

وقد أوردنا فيما تقدم عدة أحاديث في هذا الصدد أثناء مناقشتنا لظاهرة كثرة الأسئلة والاستفسارات التي تبدو لدى الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة ولا بأس من أن نعيد الاستدلال ببعضها في هذا المقام.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال رسول الله ﷺ:

« شفاء العيّ السؤال »[1]

ولم يكن صدر رسول الله ﷺ يضيق مطلقا على كثرة ما يسأله المسلمون في أخص الأمور وأعمها، بل كان يجيبهم اجابات شافية عن أسئلتهم، ولا ينهرهم، ولا يتوقف عن الاجابة طالما كانوا يسألون. تأكيدا منه ﷺ على أن مفتاح المعرفة هو حب الاطلاع ومفتاح الاطلاع هو طرح السؤال وليست الأسئلة الا قضايا عقلية تثير الفكر وتحفزه على التعلم.

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « سألت » رسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله أيّ العمل أفضل؟ قال: « الصلاة على ميقاتها » « قلت ثم أى ؟ قال: « ثم بر الوالدين » قلت ثم أى ؟ قال « الجهاد في سبيل الله » فسكت عن رسول الله ﷺ **ولو استزدته لزادني**.[2]

وبهذا المثل التربوي الرائع يوجهنا نبينا الأكرم ﷺ الى حسن رعاية الميل الطبيعي « للاطلاع » الذي يبرز شيئا فشيئا لدى الناشئين وفق معدل نموهم العقلي ويوجهنا الى توفير الجو التربوي الملائم لتنمية خبراتهم وتجاربهم، ومساعدتهم على التعلم، وحسن الاجابة عن أسئلتهم مع التسامح، والصبر ورحابة الصدر.

والسؤال هو مفتاح العلم والمعرفة والاطلاع، وقد حرص رسول الله ﷺ على قدح أذهان الصحابة، وطرح الأسئلة والاستفسارات عليهم في شكل أحاجي أو ألغاز، اثارة لعقولهم ودفعهم للتفكير وطلب المعرفة، وحثهم على زيادة الاطلاع، والالمام بمختلف المعلومات اللازمة.

* عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال:

« ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم، حدثوني

---

(1) ابن عبد البر / جامع بيان العلم وفضله / جـ 1 / ص 105

(2) البخاري / جـ 44 / ص 17

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما هي؟ » فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة. قال عبد الله: فاستحييت. فقالوا: يا رسول الله أخبرنا بها. فقال رسول الله ﷺ: « هي النخلة »[1]

انه حث نبوي تربوي رائع على التفكير والاستنتاج المنطقي وطلب العلم والمعرفة عن فهم واع ودراية ناضجة، فالعلم الصحيح انما يقوم على الفهم والادراك لا على مجرد الحفظ والتلقين.

وظاهرة « حب الاطلاع » التي تبدو لدى الأطفال في هذه المرحلة هي دافع طبيعي نحو التعلم والمعرفة، وهو ما يستوجب الاسراع بإلحاق الناشىء بدور التعليم، ليشرع في التلقي والتعلم، وقد تفطنت السنة النبوية الى هذا الجانب التربوي الهام ودعت الآباء الى الحرص على تعليم أبنائهم منذ صغرهم وجعلت ذلك من أول حقوق الأبناء على الآباء.

* قال ﷺ:

« حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة، والسباحة والرماية، وأن لا يرزقه الا طيبا. »[2]

وبخصوص استمرار ظاهرة تعلق الطفل باللعب، وان كان اللعب يأخذ طابعا واقعيا لا ايهاميا في هذه المرحلة، فان السنة النبوية كما أوردنا آنفا، تهتم باشباع حاجة الأطفال الى اللعب والترويح تنفيساً عن طاقاتهم وتجديدا لنشاطهم، وترويحا عن أنفسهم وراحة لأبدانهم.

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقعمن منه،

---

(1) البخاري / جـ 1 / ص 45

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6 / ص 434 (رواه الحكيم وأبو الشيخ في الثواب. والبيهقي في شعب الايمان عن أبي رافع.)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيسر بهن الي فيلعبن معي . »[1]

وقد ثبت لدى علماء النفس والتربية أن اللعب هو وسيلة الطفل الأولى للتعلم والمعرفة والاتصال ببيئته وفهم ما يدور حوله، واللعب وان يبدأ خياليا ايهاميا تبعا لعمر الطفل وعقله في سني حياته الأولى فهو يتدرج الى أن يصبح لعبا واقعيا منطقيا يساعده على تنمية مداركه وخبراته وتجاربه، وصقل مهاراته وقدراته، ولا بد من مراعاة عدم اثقال كاهل الطفل بالتعلم والواجبات والتكاليف، مما قد يدفعه الى النفور والسآمة، ويؤثر في شخصيته التي هي في طور التشكيل، والتي تحتاج الى اشباع الميل الطبيعي للعب والترويح.

وهذا ما دعتنا السنة النبوية المطهرة كآباء ومربين الى مراعاته في تربية الناشئين ومعاملتهم.

* عن ابن مسعود قال: « كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الايام كراهة السآمة علينا. »[2]

اذ أن العملية التربوية لكي تفلح في تكوين « الناشىء » الذي لا يزال في طور النمو المستمر، ولم تتكون شخصيته بعد بشكل نهائي لا بد أن تقترن باليسر والبشر في المعاملة والتوجيه.

* عن أنس عن النبي ﷺ قال:

« يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا. »[3]

وسنبحث موضوع « اللعب والترويح » بافاضة ونبين أهميتها في تربية الناشئين في مقامها الملائم في الفصل القادم.

---

(1) البخاري / جـ 8 / ص 37

(2) البخاري / جـ 1 / ص 27

(3) نفس المصدر السابق / ص 27

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبخصوص ظاهرة بروز المواهب والقدرات العقلية والميول الفنية في مرحلة الطفولة الوسطى والمبكرة، فقد حرصت السنة النبوية في تضميناتها التربوية على توجيه الآباء والمربين الى العناية بها وتمكين الناشئين من تنميتها وصقلها بالتعلم والاجادة والاتقان، فجعلت في الحديث الذي تقدم ذكره من حق الولد على الوالد « ان يعلمه الكتابة. » وبالتعليم وحده تنمو المواهب والقدرات العقلية، وخاصة اذا ما بدأ الحاق المتعلم بدور التعليم في بداية هذه المرحلة، أي سن السادسة، والتعليم في الصغر كالنقش على الحجر اذ ان الطفل يكون مستعدا ومتقبلا للتوجيه والارشاد، وتكون قواه وقدراته متفتحة طرية يافعة قابلة لكل عوامل الاثراء والانماء والتزكية.

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

« **من تعلم العلم وهو شاب كان كوشم في حجر. ومن تعلم العلم** بعدما يدخل في السن كان كالكاتب على ظهر الماء. »[1]

ووجهت السنة المحمدية الآباء والمربين في مضامينها التربوية الى الاهتمام بتنمية مختلف الميول والمواهب لدى الناشئين، ويتضح الدليل على هذا التوجيه في أمر النبي ﷺ لزيد بن ثابت رضي الله عنه بأن يتعلم اللغة العبرية واللغة السريانية، ولا شك أن تعلم « اللغات » مرتبط بميول ومواهب الأفراد وملكاتهم وقدراتهم.

* عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه بن ثابت قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتاب يهود. قال: « اني والله ما آمن يهود على كتاب. » قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان اذا كتب الى يهود كتبْتُ اليهم واذا كتبوا اليه قرأت له كتابهم »[2]

---

(1) ابن عبد البر / جامع بيان العلم وفضله / جـ 1 / ص 99

(2) الترمذي / جـ 10/ ص 182 (وقال عنه حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن زيد بن ثابت قال :

« أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم السريانية . »[1]

وأبدى رسول الله ﷺ اعجابه بالابداع الفني، ممثلا في الشعر، ما لم يكن لمعصية، وفيه الدليل على تشجيع الميول والمواهب الفنية وتنميتها لصالح الفرد ومجتمعه، وبما يجنبها الانحلال والميوعة .

* عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال :

« ان من الشعر حكمة . »[2]

* وعن ابن عمر أن رجلين قدما في زمان رسول الله ﷺ فخطبا فعجب الناس من كلامهما فالتفت الينا رسول الله ﷺ فقال :

« ان من البيان لسحرا، أو ان بعض البيان سحر . »[3]

3- النمو الانفعالي والاجتماعي وخصائصه :

تعتبر الفترة الواقعة بين سن الخامسة وسن السابعة امتدادا للطفولة المبكرة من حيث السلوك الانفعالي للطفل. ومع ذلك فان الطفل يبدي في هذه المرحلة ثباتا واستقرارا ملحوظا في حياته الانفعالية، فيكون قليل المشاكل والتوتر الانفعالي .

ويبدأ الطفل في سن السابعة وحتى سن الثانية عشرة تقريبا، في التقليل من تعلقه المفرط بوالديه، ويتجه نحو أصدقائه،.وزمرة اللعب من أبناء الجيران والحي ورفقاء المدرسة، ويبدأ في اظهار ميل بارز للصداقة والتجول والمخاطر، وهو ما يعتبر وسائل فعالة في ربطه ببيئته والكشف عن خباياها والتعرف عليها .

---

(1) نفس المرجع السابق / ص 182 / (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

(2) البخاري / جـ 8 / ص 42

(3) الترمذي / جـ 8 / ص 184 (وقال عنه حديث حسن صحيح)

وهذه المرحلة تتميز بشدة محبة الطفل للعب بأنواعه المختلفة ويكون الطفل فيها مهتما بنفسه محبا لها « ملتفا حولها » ملبيا لرغباتها، ولا يهتم الأطفال « باللعب الجماعي المنظم » في شكل فريق أو مجموعة الا في أواخر هذه المرحلة، وهو مما يمكن استغلاله في تكوين السلوك الاجتماعي الصالح، وتكوين العلاقات الاجتماعية الناجحة، وغرس روح التعاون المثمر، والمشاركة الاجتماعية والوجدانية.

وتنمو غريزة « الملكية » Possession في هذه المرحلة نموا جليا واضحا، فيهتم الطفل اهتماما كبيرا بجمع طوابع البريد، وجمع الفراشات، والصور الملونة، والألعاب المختلفة، ولهذه الخاصية قيمة اجتماعية وأخلاقية كبيرة يمكن ان تستثمر في غرس مبادىء « الادخار » والاقتصاد لدى الفرد بما يعود عليه وعلى المجتمع بالفائدة العميمة.

ويحاول الطفل في هذه المرحلة بالتدريج، أن يرضي رغبات الآخرين الى جانب ارضائه لرغباته وذلك نتيجة لارتباطه بالرفقاء ومحاولته التكييف بين مطالبه ومطالبهم.

كما يسعى الناشىء الى نيل المدح والثناء بما يحقق له الحصول على « القبول الاجتماعي » الذي يعتبر ضروريا لنجاح علاقاته الاجتماعية، وانتقاله من طور الفردية الأناني في طفولته الى طور العضوية الاجتماعية كلما تقدمت به السن ونضج نموه العقلي واتسعت مداركه، وهذه الخاصية التربوية هامة للغاية في التوجيه والارشاد نحو فعل الخير، وكسب الأخلاق الفاضلة، والتحلي بالصفات الحميدة، وتقوية روح الانتماء الاجتماعي، والتعاون والعمل الجماعي والتضحية والبذل من أجل الآخرين.

واذا ما سلطنا أضواء السنة النبوية المطهرة على هذه الأسس التربوية في مرحلة الطفولة الوسطى والمبكرة نجد أنها تقف منها موقف التفهم والتأييد وتوجه الآباء والمربين الى ضرورة مراعاتها في تنشئة الأطفال حتى يشبوا أصحاء الأنفس والعقول.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فالسنة النبوية تقر القيمة التربوية للعب والترويح وتحرص على اتاحة الفرص للناشئين لاشباع هذه الحاجة النفسية والبدنية بما يساعد على تكوين الشخصية السوية، ويخلصها من الأزمات والصراع النفسي وخاصة في طور « الطفولة » الذي يعتبر الأساس الأول لبناء الشخصية الانسانية.

وهكذا تعنى السنة النبوية بتقدير حاجة « الطفل » للعب والمرح واللهو البريء لكونها ضرورة حياتية و ضرورة تربوية، وتطلب من الآباء والمربين اشباعها في غير ضيق أو تبرم بها.

* عن عائشة قالت: « كان الحبش يلعبون بحرابهم فسترني رسول الله ﷺ، وأنا أنظر فما زلت أنظر، حتى كنت أنا أنصرف، فأقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو. »[1]

وحرصت السنة النبوية على أن يوجه اللعب نحو اتقان بعض « المهارات » التي يمكن أن تفيد « الطفل الناشيء في كبره، وبذلك تحقق القيمة الايجابية للعب في كونه وسيلة للتدريب والتعلم على الخبرات والمهارات المفيدة، ولا تقتصر على قضاء الوقت فيه على نحو سلبي.

* قال رسول الله ﷺ:

« حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وان لا يرزقه الا طيبا. »[2].

والسباحة والرماية، وما اليهما من الألعاب الأخرى تنمي العضلات وتقوي البدن، وتدعم روح الجماعة، وتستثمر وقت الفراغ في اللعب الهادف المفيد.

وتشجع السنة النبوية على تكوين العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ـ

---

(1) البخاري / جـ 7 / ص 36

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6 / ص 434 (رواه الحكيم وأبو الشيخ في الثواب والبيهقي في شعب الايمان عن أبي رافع

باعتبارهم أعضاء في الجماعة، وفي مقدمة ذلك حثها على تكوين « الصداقات » المخلصة والحب في الله تعالى، لما في هذه العاطفة النبيلة من فائدة للأفراد والجماعة، باعتبارها وشيجة تماسك وتلاحم واخاء.

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

« الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف ».[1]

وفي هذا الحديث الشريف اقرار لعاطفة الصداقة المبنية على تعارف الأرواح وتآلف الطباع وانسجام الأمزجة وتوافق الميول، وهو ما يقتضي اهتمام الوالدين والمربين بالميل الطبيعي « للصداقة » لدى أبنائهم وتوجيههم الى حسن اقامة العلاقات مع الرفقاء والزملاء الأخيار.

وأشرف أنواع المحبة والصداقة الذي توجهنا اليه السنة النبوية المطهرة هو « الحب » في الله تعالى، لكونه صافيا خالصا نقيا، لا ينبني على غرض زائل يتقوض بتقوضه، وينعدم بانعدامه، والحب في الله تعالى يحفظ القيم والمبادىء والمثل العليا ويعززها، ولا يزول بزوال المصالح المادية.

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

« سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل الا ظله: امام عادل ـ وشاب نشأ في عبادة الله ـ ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه، ورجل قلبه معلق في المسجد، ورجلان تحابا في الله، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال الى نفسها قال: اني اخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه »[2]

وتحث السنة النبوية على غرس روح التعاون في الناشىء وتوجيهه الى حب الآخرين، والبذل من أجلهم، فانما الفرد عضو في جماعة لا يسعد

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 227

(2) البخاري / جـ 8 / ص 203

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الا بسعادتها، ولا يفلح في حياته بدونها.

* عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال:

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبَّك بين أصابعه. »[1]

ولا يكون البناء الاجتماعي سليما ومتينا الا بتعاون الأفراد وتآزرهم وحبهم بعضهم بعضا.

ومن تمام خلق المسلم الذي توجهنا اليه السنة النبوية حتى نغرسه في نفوس أبنائنا منذ صغرهم، أن يتجنبوا الأنانية المفرطة، والفردية المقيتة، وأن يحبوا الآخرين،، ويحبوا لهم ما يحبون لأنفسهم، وهذا هو الطريق التربوي الصحيح لتكوين العلاقات البناءة المتينة بين الأفراد المنسجمين والمتحابين والمتعاونين.

* عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ:

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه أو قال لجاره ما يحب لنفسه. »[2]

وتقف السنة النبوية المطهرة من غريزة « الملكية » التي تبدأ في البروز في مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة، موقفا ايجابيا وتوجهها وجهة رشيدة تفيد الفرد والمجتمع معا، ولا غرو فان لغريزة الملكية خاصية تربوية هامة في تكوين الفرد، وحرصه على مصالحه ومنافعه الذاتية في اطار فوائد ومصالح الجماعة، وبدون افراط أو تفريط.

والسنة النبوية تجعل من صفات المؤمن القوي الحبيب الى الله تعالى حرصه على ما ينفعه.

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 14

(2) مسلم / جـ 1 / ص 49

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان. »[1]

ومما يحرص عليه المرء لنفعه ملكيته للأغراض المفيدة له في شؤون حياته المختلفة، على أن تكون من طريق حلال ولا غبن فيها لسواه.

وتؤكد السنة النبوية غريزة حب « التملك » لدى الفرد، ولكنها توجهه الى مراعاة الموازنة بين خيره وخير الآخرين، وخير دنياه وآخرته.

* عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول سمعت النبي ﷺ يقول: « **لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا، ولا يملأ** جوف ابن آدم الا التراب. ويتوب الله على من تاب. »[2]

ولكي تكون « غريزة الملكية » مفيدة من حيث الاقتصاد والادخار لخيري الفرد والجماعة، توجهنا السنة النبوية الى تعويد ابنائنا على الادخار والاقتصاد حتى تتكون لديهم اتجاهات منتجة لا استهلاكية تفيدهم في حاضر حياتهم ومستقبلها، وتمكنهم من مواجهة الصعاب ودواعي الحاجة التي قد تطرأ عليهم بين حين وآخر.

* قال رسول الله ﷺ :

« ما عال من اقتصد ».[3]

أي أن الفرد المقتصد لا يعاني من الحاجة والفاقة حينما تنقلب عليه

---

(1) مسلم / جـ8 / ص 56

(2) البخاري / جـ 8/ ص 115

(3) المتقي / منتخب كنز العمال / جـ 1/ ص 143 (رواه احمد في مسنده عن ابن مسعود)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأيام، فهو يستطيع بما اقتصده تلبية احتياجاته الضرورية ومواجهة متاعبه فلا يكون عالة على غيره، وبتربية هذه الروح الايجابية المنتجة تقل البطالة ومشاكل الاستخدام في المجتمع بأسره.

والسنة تؤكد أهمية الادخار وضرورته، وفائدته وتنهى عن الاسراف والتبذير لضرره وسوء عاقبته.

* قال رسول الله ﷺ:

« ان احدكم يأتيه الله برزق عشرة أيام في يوم، فان هو حبس عاش تسعة أيام بخير، وان هو وسع وأسرف قتر عليه تسعة أيام ». [1]

وتحمد السنة النبوية المطهرة العقلية المدبرة المتحوطة لتقلب الأيام والتي تحرص على الاقتصاد والادخار، وتتجنب الاسراف والتبذير، حفظا للأموال والممتلكات الى وقت الحاجة اليها.

* قال رسول الله ﷺ:

« لا عقل كالتدبير، وَلَا وَرَعَ كالكف، ولا حسب كحسن الخلق. » [2]

وفيما يتعلق بظاهرة ميل الناشىء الى نيل المدح والثناء والحصول على القبول الاجتماعي تؤكد السنة النبوية أنها ظاهرة طبيعية وضرورية لنموه النفسي والوجداني والاجتماعي.

* عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ:

« ليس أحد أحب اليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرّم الفواحش. » [3]

---

(1) نفس المرجع السابق / ص 143 (رواه الديلمي في الفردوس عن أنس)
(2) نفس المرجع السابق / ص 143 (رواه ابن ماجة عن أبي ذر)
(3) مسلم / جـ 8/ ص 100

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد مدح رسول الله ﷺ بعض أزواجه، ومنه نستشعر التوجيه البنّاء الى أهمية اشباع الحاجة النفسية الى الثناء والقبول الاجتماعي.

* عن عائشة أنها قالت: « ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ كما غرت على خديجة لكثرة ذكر رسول الله ﷺ ايّاها وثنائه عليها وقد أوحى الى رسول الله ﷺ أن يبشرها ببيت لها في الجنة من قصب. »[1]

كما مدح رسول الله ﷺ عددا من الصحابة باسمائهم اشباعا لحاجاتهم النفسية للثناء على حسن ايمانهم وعبادتهم وسلوكهم، وتحفيزا للآخرين على العمل الصالح حتى ينالوا القبول الاجتماعي اللائق بهم، ويحتلوا المكانة المرموقة بين أفراد جماعتهم.

* عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

« لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي. »[2].

على أن السنة النبوية توجهنا الى عدم الاسراف في الثناء والمدح وعدم كيلهما بغير حقهما، وبشكل لا يخشى منه ترتب نتائج سلبية عليهما كاغترار الممدوح وزهوه بنفسه، مما يقوده الى الفشل في علاقاته الاجتماعية، وعدم تحمل مسؤ ولياته تجاه نفسه وتجاه الآخرين.

* عن أبي موسى قال سمع النبي ﷺ رجلا يثني على رجل ويطريه في المدحة فقال: « أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل. »[3]

ان الثناء والمدح غير المغالى فيهما، واللذين يبديان بحقهما، يؤكدان النتيجة الايجابية للنجاح في الأعمال ويحفزان على معاودة العمل الصالح

---

(1) البخاري / جـ 7 / ص 47
(2) البخاري / جـ 5 / ص 5
(3) البخاري / جـ 8 / ص 22

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النافع للفرد والجماعة، وهذا ما حرصت السنة النبوية في تضميناتها التربوية ـ كما تقدم ـ على ترسيخه والتوجيه اليه والحث عليه.

الأسس التي ترى السنة النبوية مراعاتها
في معاملة الناشئين في
هذه المرحلة

اهتمت السنة النبوية بخصائص ومميزات هذه المرحلة في التأثير على حياة الطفل المستقبلة، ومع أن المقام قد لا يتسع لتحليل كل المضامين التربوية في السنة النبوية وفق الأحاديث المتقدم ذكرها، والتي تحدد الأسس التي يجب مراعاتها في معاملة الناشئين في مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة الا انه يمكننا أن نجمل أهم هذه الأسس فيما يلي:

1- العناية بصحة الطفل في هذه المرحلة، وتغذيته تغذية صحية سليمة، ووقايته من الأمراض والعلل التي تصيب الأطفال في هذه المرحلة، والاسراع بعلاج ما قد يصيبه من أمراض.

2- عدم تكليف الطفل بما لا يطيق من الأعمال والتكاليف ومراعاة قدراته وطاقاته الجسدية والعضلية، واعطاؤه قسطا وافرا من الراحة يمكنه من استعادة حيويته ومجهوده اللذين يستنفذهما في نشاطه المدرسي أو لعبه مع أقرانه.

3- اشباع ميل الطفل الطبيعي الى «حب الاطلاع» وذلك بحسن الاجابة عن أسئلته واستفساراته بأمانة ورحابة صدر، واستغلال هذا الميل في تشجيعه على القراءة والدراسة والتقصي، وتوجيهه الى البحث، وتوفير الفرص الملائمة له «للكشف» ومعرفة ما يجهله فيما يحيط به من أشياء في بيئته الاجتماعية والطبيعية، كل ذلك بغرض تنمية عقله وتوسيع مداركه.

4- تنمية «غريزة الملكية» التي تظهر لدى الطفل بوضوح في هذه المرحلة

على نحو بناء يتم فيه توجيهها من الجانب الفردي الأناني الى الجانب الاجتماعي والأخلاقي المعتدل، الذي ينأى بالطفل عن مسالك الحرام في سبيل الكسب المادي، ويرشده الى انتهاج السبل الشريفة المشروعة في التكسب وطلب الرزق مع مراعاة التوافق بين مطالب الفرد ومطالب الجماعة.

5- استثمار الميل الطبيعي للعب الجماعي المنظم، الذي يبرز لدى الطفل في هذه المرحلة في غرس روح التعاون والعمل الجماعي في نفسه، وتقويم أخلاقه وتنمية شعوره بالمسؤولية الجماعية وواجبه تجاه أعضاء الجماعة، واحترامه للعرف والعادات والتقاليد والنظام والقانون، وحسن اختيار الرفقاء والأصدقاء الصالحين خاصة وأن الطفل في هذه المرحلة شديد التأثر بمجموعته مما يتطلب من الآباء والمربين الفهم والفطنة حتى يمكن توجيه الناشىء وجهة سليمة في بناء علاقاته الاجتماعية.

ثالثا: مرحلة البلوغ والمراهقة:

يطلق لفظ المراهقة عادة على المرحلة التي تستمر من الحادية عشرة الى العشرين تقريبا، وبحيث تشمل الفترة القصيرة التي تحل قبيل «البلوغ» وهذا يعني أن مرحلة المراهقة تشمل مرحلة التعليم الاعدادي، والثانوي، والجامعي، مما يتطلب ضرورة التخطيط التربوي السليم الذي يضمن منهجا تعليميا وتربويا متكاملا يتمشى مع العمر التحصيلي والعقلي، والنضج النفسي والاجتماعي والخلقي لدى الفرد في تلك المراحل التي يصل في نهايتها الى تكامل الشخصية السوية اذا ما وجد الرعاية التربوية السليمة، والعناية النفسية الواعية، والتوجيه والارشاد البناء.

وتتميز مرحلة «المراهقة» بكونها مرحلة ينتقل فيها الفرد الانساني من طفولة عاجزة تعتمد على الغير الى رجولة قادرة تعتمد على النفس. ولما كانت شخصية الناشىء ستكتمل من حيث النضج في جوانبها: في نهاية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه المرحلة، فلا غرابة في أن تكون هذه المرحلة مرحلة تشكيل نهائي، وأن تتصف في بعض فتراتها بالاضطراب والتغير في الجانب الجسمي والروحي والعقلي والانفعالي والأخلاقي والاجتماعي.

وقد لا يكون من المبالغة تسمية « المراهقة » **بمرحلة العواصف النفسية** لما تثيره في المراهق من مخاطر واندفاع، وما يظهر فيها لديه من آراء متباينة في التفكير والعواطف والانفعالات، وفي القيم والمبادىء والاتجاهات وغيرها.

وعليه فانه لا بد من أن يكون موقف الآباء والمربين من « المراهق » موقف المتفهم الواعي المدرك للمصاعب التي يواجهها والتغيير العضوي والنفسي اللذين يمر بهما، حتى يرشدوه الى حسن مغالبة مشاكله أو التكيف معها، بما لا يترتب عليه أي اهتزاز أو خلل في شخصيته التي تكون في طور تشكيلها النهائي.

وفيما يلي نتحدث عن أهم خصائص النمو في هذه المرحلة الهامة من عمر الانسان.

1- النمو الجسمي وخصائصه:

يحدث نمو جسماني سريع يشمل مختلف مظاهر الجسم وذلك بين سن العاشرة والسادسة عشرة، وهو مبكر عند البنات ومتأخر عنه عند البنين، بمعنى أن هذا النمو السريع في الجسم يسبق « البلوغ » عند الاناث، ويحدث في فترة البلوغ عند الذكور، ويشمل عدة مظاهر جسمية: كالطول، والوزن، واتساع الكتفين، وطول الساقين، ومحيط الأرداف، واستدارة الأيدي وغيرها من مظاهر النمو الجسدي للبالغين.

وتتضح في هذه المرحلة الصفات الجسمية المميزة لكل من الجنسين اناثا وذكورا، ويزداد وزنهم، وتستطيل عظامهم، وتنمو عضلاتهم بشكل ملحوظ، وتحدث عدة تغيرات في الصوت، وشكل الحنجرة، وظهور

الشعر على اللحية والشارب لدى البنين، وتحت الابطين وحول الأعضاء التناسلية لدى الجنسين.

وتظهر عدة تغيرات لدى البنات بشكل خاص ـ كاستدارة العجز أو الأرداف، وبروز النهدين في سن الحادية عشر تقريبا، وحدوث العادة الشهرية (الحيض أو الطمث) كعلامة مميزة للبلوغ والنضوج الجنسي في سن الثالثة عشرة تقريبا في المتوسط. على أن تأخر مجيء العادة الشهرية يجب ألا يقلق الوالدين، لأنها قد تحدث في أي وقت بين سن الحادية عشرة وسن السادسة عشرة.

ويرى بعض الباحثين أن « التغيرات » العضوية والبيولوجية تسبق عند البنات ظهورها عند البنين، الا أنه لا بد من أن يوضع في الاعتبار اختلاف البيئات والمناخ والتغذية والرعاية الصحية وغيرها من العناصر التي لا شك في تأثيرها في تقدم أو تأخر « البلوغ والمراهقة ».

على أنه لا بد من التفطن الى أن النمو الجسماني السريع: فسيولوجيا وبيولوجيا، في هذه المرحلة بالنسبة للجنسين قد يعرضهما الى بعض الأمراض مثل فقر الدم ومرض الرئتين والقلب، وهو ما يتطلب من الآباء والمربين توفير الرعاية الصحية التامة، وتوفير التغذية الجيدة كما ونوعا، للمراهقين وتمكينهم من الراحة الكافية لتعويض واستعادة طاقاتهم المفقودة.

وباستنطاق السنة النبوية الشريفة نجد أنها تقف من الرعاية اللازمة للنمو الجسمي لدى المراهق موقفا ايجابيا من حيث توفير احتياجاته ومتطلباته، وضمان سلامته والعناية به. فهي تدعو الى العناية بأسباب الوقاية من الأمراض، والتحوط من العدوى، ولا سيما بين المراهقين لسرعة انتشارها بينهم نتيجة لكثرة اختلاطهم، وكبر زمرهم ومجموعاتهم سواء في المدرسة أم في الحي السكني.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:
« لا توردوا الممرض على المصح ».[1]

ودعت الى تلمس أسباب العلاج لمداواة مختلف الأمراض التي قد تصيب المراهقين.

* عن جابر عن رسول الله قال:
« لكل داء دواء، فاذا اصيب دواء الداء برأ باذن الله عز وجل. »[2]

ودعت السنة النبوية المطهرة الى الأخذ بأسباب النظافة الشخصية ووسائل الوقاية الصحية، ومن ذلك نذكر تحديدها لخصال الفطرة، كأهم دعائم الوقاية والنظافة الذاتية.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:
(الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، ونتف الابط، وقص الشارب، وتقليم الأظافر. »[3]

ونعتقد أن هذه « الخصال » الطيبة التي لا يتسع المقام الى تحليلها بشكل مفصل شاهد ناطق على ايجابية السنة النبوية المطهرة في اهتمامها بتربية الفرد وتوجيهه الى التحلي بصفات النظافة والطهارة الذاتية بما يحفظ عليه صحته ويصون بدنه من العلل والأمراض وهي تؤكد للسنة النبوية سبقها الفريد على النظريات والفلسفات التربوية الحديثة في هذا المجال.

بل ان السنة النبوية حددت وقتا معلوما لا يجوز تخطيه في تأخير القيام بأنواع النظافة الشخصية المحددة في خصال الفطرة، وذلك حرصا منها

---

(1) البخاري / جـ 7 ص 179، 180
(2) مسلم / جـ 7/ ص 21
(3) البخاري / جـ 8 / ص 81

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على عدم الاهمال والتقصير في النظافة الشخصية لما يترتب عليها من قذارة تلحق ببدن المرء وثيابه، وتعرضه للاوساخ والجراثيم ومختلف الأمراض وفي هذا سبق تربوي وصحي فريد تحققه السنة النبوية على النظريات القديمة والحديثة في التربية الصحية والعامة.

* قال أنس بن مالك: « وقت لنا في قص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الابط، وحلق العانة ان لا نترك أكثر من أربعين ليلة. »[1]

وغني عن البيان أن ما دعينا الى عدم تجاوز أربعين ليلة كحد أقصى في تنظيفه من أجزاء بدننا هي من أهم وسائل انتقال العدوى والأمراض الصحية، كالفم والأصابع، وأمكنة الافرازات ونحوها.

أما بخصوص توفير التغذية الجيدة كما ونوعا للمراهقين لسد احتياجات نموهم البدني، فقد اكدت السنة النبوية المطهرة على أن من أهم حقوق الأبناء على الآباء توفير الرزق الطيب لهم.

* قال رسول الله ﷺ:

« حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وان لا يرزقه الا طيبا ».[2]

والرزق الطيب يشمل أول ما يشمل الغذاء الصحي الجيد كما وكيفًا بما يحفظ للناشئين صحتهم، ويصون سلامة ابدانهم.

فيما يتعلق ببروز امكانيات المراهقين الجسدية والعضلية في اكتساب المهارات والخبرات التي قد تصلح من شأنهم في مستقبل حياتهم، حرصت السنة النبوية الشريفة على توجيه الآباء والمربين الى تدريب أبنائهم على

---

(1) مسلم / جـ 1/ ص 153

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6 ص 434 (رواه الحاكم وأبو الشيخ: في الثواب. والبيقهي في شعب الايمان عن أبي رافع.)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جملة من المهارات النافعة لهم، بنين وبنات، بما ينمي قدراتهم وامكانياتهم ويصقلها وينشط هممهم على القيام بالاعمال والمناشط المفيدة.

* قال النبي ﷺ:

« علموا ابناءكم السباحة والرمي، والمرأة الغزل »[1]

ووجهت السنة النبوية الآباء والمربين الى ضرورة توفير الراحة الكافية لأبنائهم حتى يستعيدوا نشاطهم، ويعوضوا طاقاتهم المفقودة، والزمتهم بعدم تكليفهم بما لا يطيقون درءا للضرر.

* عن أنس قال دخل الرسول ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال: (ما هذا؟) قالوا: لزينب تصلي فاذا كسلت أو فترت أمسكت به.

فقال: « حلّوه » ليصل احدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر قعد. »[2]

وهذا الحديث يشير الى ضرورة التمتع بالراحة الكافية بعد الجهد والنشاط، ويشير الى مراعاة عدم ارهاق الناشىء وتمكينه من أخذ القسط الكافي من الراحة.

* عن عائشة أنها قالت: كان لرسول الله ﷺ حصير، وكان يحجّره من الليل فيصلي فيه، فجعل الناس يصلون بصلاته، ويبسطه بالنهار، فثابوا ذات ليلة فقال:

« يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون، فان الله لا يمل حتى تملوا، وان احب الأعمال الى الله ما دووم عليه وان قل. »[3]

ويشير هذا الحديث الى مراعاة الطاقة والمقدرة في القيام بالأعمال،

---

(1) المتقى/ منتخب كنز العمال / جـ 6 / ص 434 (رواه البيهقي في شعب الايمان عن عمر)

(2) مسلم / جـ 2 / ص 189

(3) نفس المصدر السابق / ص 189،188

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعدم تحميل الأفراد ما يشق عليهم أو تكليفهم بما يفوق طاقتهم وقدرتهم، وترفض السنة النبوية المطهرة أي نوع من أنواع المشقة الزائدة التي قد تنقلب الى تعذيب في تربية الناشئين وتكوينهم مهما كانت الدوافع والمبررات، لما في هذا السلوك من مجانبة للصواب، والطبع السليم، ولما يؤدي اليه من أضرار نفسية وبدنية للفرد.

* عن هشام بن حكيم بن حزام قال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول:

« ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا »[1]

2- النمو العقلي وخصائصه:

يذهب علماء النفس الى ان نمو « الذكاء العام يصل الى أقصى حد له في سن السادسة عشرة تقريبا عند الأطفال العاديين، ولكنه يستمر الى سن الثامنة عشرة تقريبا عند الموهوبين والعباقرة، بينما يتوقف عند الأغبياء والمتأخرين في سن مبكرة، كما يرون أن القدرات العقلية تظهر بوضوح في سن الرابعة عشرة، ولا تتميز تماما قبل سن السادسة عشرة، ولذلك كانت الفترة الواقعة بين سن الرابعة عشرة والسادسة عشرة فترة توجيه تعليمي ومهني للتلاميذ خاصة وان ميولهم وقدراتهم ومواهبهم وهواياتهم تظهر أثناءها بوضوح.

وينمو خيال المراهق نموا خصبا يتجلى في رسوماته وكتاباته وانتاجه الشعري والفني.

ويبدأ تفكيره في الانتقال من « المحسوسات » الى « المعقولات » ويتكون لديه تفكير فلسفي خاص يفسر به الظواهر الطبيعية تفسيرا يتفق مع آرائه الفلسفية في الأشياء والحياة.

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 32

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتتجلى في هذه المرحلة الفروق الفردية بين المراهقين، فنجد أن حظ الأفراد من الذكاء يختلف، ويعتمد نجاح كل فرد على مقدار حظه من الذكاء. ولا بد من مراعاة الفروق الفردية في الذكاء بين الأفراد من حيث تعليمهم، وتوجيههم التربوي.

وتظهر في هذه المرحلة قدرة المراهقين على الانتباه والتركيز والاستيعاب والاستدلال والاستنتاج والتفكير المنطقي والتذكر، وهو ما يتطلب اتاحة الفرص اللازمة للفرد كي ينمي ويصقل قدراته واستعداداته العقلية، وميوله ومواهبه مع مراعاة تشجيع مبادآته ونشاطه الذاتي ومشاركته في عملية التعليم والتربية، حتى يكتسب القدرة على التفكير السليم في جميع المشاكل: سواء كانت اجتماعية أم اقتصادية أم عملية أم سياسية، وحتى يتمكن من تكوين الآراء الايجابية الصائبة ويعتنق المبادىء والمثل الصحيحة.

ويبدي المراهق اعتماده على المنطق في الفهم والمناقشة والاستيعاب بدلا من الاعتماد على التلقي السلبي للمعلومات والحفظ الآلي لها، ويزداد نقاشه ومحاجته وابداء آرائه كلما نضج تفكيره، حتى يكون لنفسه مبادىء خاصة تحدد معالم فلسفته في الحياة.

ويظهر في هذه المرحلة بوضوح ميله الى « التفكير الديني » ومناقشة الأمور الغيبية، وما وراء المحسوسات، والمصير والحياة والموت والبعث والعالم الآخر، والوجود والعدم وما الى ذلك من قضايا دينية وفلسفية.

ويتجلى بوضوح حب الاطلاع لدى المراهق وشغفه بالقراءة والبحث والاستقصاء والكشف عن حقائق الأشياء وهو ما يتطلب من والديه ومربيه توفير الكتب الصالحة له والمناسبة لمستواه العقلي والتحصيلي، والتي تشبع رغبته في طلب العلم، وتفسر له المشكلات التي تجابهه تفسيرا مقنعا ميسرا، وتجيب عن تساؤلاته واستفساراته اجابة منطقية مقنعة، وتبدد حيرته في وضوح وبحجة قوية، وخير الكتب التي تناسب المستوى العقلي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للمراهقين ونوازعهم النفسية ونموهم الوجداني، تلك الكتب التي تحوي سيرة الأنبياء والصالحين والأبطال وعظماء التاريخ والعلماء ونوابغ الشباب، رجالا ونساء، لأنها مصدر كبير للقدوة والايحاء والتوجيه والتحفيز، وتكوين السلوك الخلقي القويم.

وبدراسة موقف السنة النبوية وتضميناتها التربوية من النمو العقلي وخصائصه في هذه المرحلة، نجده موقفا ايجابيا يدعو الى تنمية القدرات والاستعدادات العقلية واتاحة الفرص للكشف عنها وصقلها وتمكينها من بلوغ الجودة والاتقان الممكن.

وهي تفتح باب التعلم وطلب العلم على مصراعيه أمام الناشىء ولا سيما في هذه المرحلة التي ينمو فيها ذكاؤه وتبرز قدراته العقلية وميوله ومواهبه، وحرصه على فهم وادراك ما يتلقاه من علم ومعرفة واستيعابه باقتناع منطقي.

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

« **من تعلم العلم وهو شاب** كان كوشم في حجر. ومن تعلم العلم بعدما يدخل في السن كان كالكاتب على ظهر الماء. »[1]

وتحث الوالدين والمربين على عدم الابطاء في الحاق أبنائهم بدور التعليم، وعدم التقصير في استثمار قدراتهم واستعداداتهم المتفتحة وقابليتهم للتعلم والتلقي منذ سني حياتهم الأولى، وخاصة في أوائل هذه الفترة التي ينمو فيها ذكاؤهم وقدراتهم العقلية المختلفة.

* عن أبي امامة الباهلي قال قال رسول الله ﷺ:

« أيما ناشىء نشأ في **طلب العلم** والعبادة حتى يكبر وهو على ذلك كتب الله اله أجر سبعين صدِّيقًا. »[2]

---

(1) ابن عبد البر / جامع بيان العلم وفضله / جـ 1 / ص 99

(2) نفس المصدر السابق / ص 98

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والسنّة النبوية المطهرة لا تعارض ملكة الخيال لدى الناشىء، بل تستثمرها في تنمية ادراكه وقدرته على الاستنتاج والفهم. وصقل مواهبه وهواياته وميوله المختلفة وتنميتها.

* عن عائشة قالت قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر، فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة. فقال « ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي. ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع. فقال: « ما هذا الذي أرى وسطهن؟ » قالت: فرس. قال: « وما هذا الذي عليه » قالت: جناحان. قال: « فرس له جناحان؟ » قالت: أما سمعت ان لسليمان خيلا لها أجنحة؟ قالت: « **فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجده** »[1]

وفي هذا الحديث تأكيد لتفهم رسول الله ﷺ لملكة الخيال لدى الناشئين، وهو ان بدأ خيالا ايهاميا سرعان ما يتحول مع النمو العقلي والنضج الفكري الى خيال علمي يخدم تطلعات الانسان وطموحاته ويساعده على تحقيق آماله وأمانيه.

ولا تمانع السنة النبوية الشريفة في استثمار « ملكة الخيال » في تنمية الابداع الفني وتنمية المواهب بشكل يخدم مصلحة الفرد والجماعة، ولا يتعارض مع القيم الروحية والدينية والخلقية.

* قال ﷺ:

« ان من الشعر حكمة. »[2]

ولا شك أن نظم الشعر يعتمد على ملكة الخيال والتصور، والانفعال، والابداع.

* عن ابن عمر أن رجلين قدما زمان رسول الله ﷺ فخطبا فعجب

---

(1) أبو داود / جـ 4 / ص 439
(2) البخاري / جـ 8/ ص 42

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الناس من كلامهما فالتفت الينا رسول الله ﷺ فقال:

« ان من البيان لسحرا. »

« أو أن بعض البيان سحر »[1]

وقد استثارت السنة النبوية الخيال العلمي لتقريب المعاني المجردة للاذهان وشحذ المدارك والقدرة على التصور.

* عن أبي هريرة أن الناس قالوا للنبي ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة، فقال النبي ﷺ: « هل تمارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ » قالوا: لا يا رسول الله. قال « « فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ » قالوا: لا قال: « فانكم ترونه كذلك. »[2]

وتوجه السنة النبوية المطهرة الآباء والمربين الى ضرورة مراعاة الفروق الفردية لدى المراهقين والتي تبرز في هذه المرحلة بشكل أوضح، وتدعوهم الى العناية برسم البرامج التعليمية والتربوية بما يتيح الفرص المتكافئة امامهم على اختلاف حظوظهم من الذكاء والقدرات والاستعدادات العقلية المختلفة.

* قال رسول الله ﷺ:

« أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم. »[3]

ويشير هذا الحديث الى ضرورة مراعاة المستوى العقلي للفرد وقدرته على الادراك والفهم، وتعليمه وتوجيهه وفق ما يتمشى وقدراته واستعداداته العقلية حتى تفلح عملية التعليم والتوجيه والارشاد.

كما انه يوحي بضرورة مراعاة الفروق الفردية بين الناشئين، ويعطي

---

(1) ـ الترمذي / جـ 8 / ص 184 (وقال عنه حديث حسن صحيح)

(2) سنن الدارمي / جـ 2 / ص 326

(3) المتقى / منتخب كنز العمال / حـ 4 / ص 70 (رواه الديلمي عن: عن: ابن عباس)

للفروق الفردية أهميتها في عمليتي التربية والتعليم ووضع برامجهما ومناهجهما.

وبخصوص ظاهرة قدرة المراهقين على الانتباه والتركيز والاستيعاب والاستنتاج والاستدلال والتفكير المنطقي، وقدرتهم على المبادءة الذاتية، ورغبتهم في المشاركة الذاتية في عملية التربية والتعليم، وفي فهم مختلف المشاكل وحلها - وقفت السنة النبوية منها موقفا ايجابيا سبقت به النظريات التربوية الحديثة، فقد احترمت العقل ودعت الى ابداء الرأي، وحرضت على الاجتهاد، وفي هذا سبق تربوي في دعم وتعزيز ما يسمى حديثا « بالمبادءة الذاتية » و« النشاط الذاتي ».

* وقد ضرب لنا رسولنا الأكرم ﷺ المثل الأعلى من نفسه في هذا السبيل، فاستشار أصحابه في قضايا هامة وخطيرة، وأخذ برأيهم الصائب، بل ولم يتردد ﷺ - ونعم به معلما للبشرية - في النزول عن رأيه لرأي صحابي تبين له وجاهته، أثناء التهيئة لمعركة بدر الكبرى فقد خالف الحباب بن المنذر رأي رسول الله ﷺ في اختيار الموقع.

* قال الحباب بن المنذر: يا رسول الله، ان هذا المكان الذي أنت فيه ليس بمنزل، انطلق بنا الى أدنى ماء الى القوم فاني عالم بها وبقلبها، بها قليب قد عرفت عذوبة مائه لا ينزح، ثم نبني عليه حوضا فنشرب ونقاتل ونعوِّر ما سواه من القلب. فنزل جبريل على رسول الله ﷺ، فقال:

« الرأي ما أشار به الحباب »[1]

وحثت السنة النبوية المطهرة على تزكية الرأي، والاجتهاد في اعمال الفكر، لما فيه من تنمية للقوى والاستعدادات العقلية وصقل للملكات والمدارك، وجعلت للاجتهاد اجرا وجزاء كريما في حالتي الصواب والخطأ،

---

(1) ابن سعد / جـ 2 / ص 15

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حتى تجعل الباب مفتوحا دائما امام تزكية العقل وترقية الافهام وتوسيع المدارك وشحذ الأذهان.

* عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:
« اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر »[1]

وفي هذا الحديث توجيه تربوي بناء للوالدين والمربين الى الحرص على اتاحة الفرص لأبنائهم كي ينموا عقولهم وقدراتهم، وحث على التسامح والصبر على اخطائهم، ومراعاة تشجيعهم على معاودة العمل والسعي والنشاط حتى يتمكنوا من بلوغ الصواب في تكوين الأحكام والآراء النيرة عن مختلف القضايا والاتجاهات الفكرية والاجتماعية وغيرها.

وبخصوص ظاهرة ميل المراهق الى « التفكير الديني » ومناقشة الأمور الغيبية، فان السنة النبوية في جوهرها ترجمان للرسالة السماوية الخاتمة التي تشبع حاجة البشرية الى دين متكامل يتمشى وفطرتها السليمة، وتبيان لكتاب الله الحكيم: القرآن العظيم، الذي أنزل مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه، وهي تحمل الدعوة الى الخروج من الظلمات الى النور، وترسم معالم الطريق المستقيم الذي يخلص « الكائن البشري » من ضلاله وغيه، ويقوده الى حيث يجد سعادته في الدارين.

وارتكزت الدعوة المحمدية أساسا على العقل والمنطق، والتدبر والتفكر.

* قال تعالى:

﴿ ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا

---

(1) البخاري / جـ 9 / 132 ، 133

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عذاب النار. ﴾[1]

ودعت الى نبذ التقليد الأصم والتبعية العمياء.

* قال تعالى:

﴿ بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ﴾[2]

* وقال تعالى:

﴿ واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤ هم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون. ﴾[3]

ويحثنا رسول الله ﷺ على حسن التدبر والتفكير والتبصر لكون الاقتناع العقلي وسيلة الايمان الصحيح.

* قال رسول الله ﷺ:

« عودوا قلوبكم الترقب، واكثروا التفكر والاعتبار. »[4]

ففي الترقب، والتفكر والاعتبار، قناعة وتسليم بالحجة والبرهان.

* وقال ﷺ:

« تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله فتهلكوا. »[5]

وهذا الحديث يوجهنا الى التفكر في المخلوقات والكائنات لأنه يقود الى الايمان المنبني على الاقناع والدليل، وان كان يحذرنا مغبة التفكير في ذات الله تعالى الذي لا تحيط به الافهام ولا تقدر قدره العقول، فهو خالقها وما أقصر أن يحيط ادراك المخلوق بالخالق جل جلاله. ولا خير في

---

(1) آل عمران / 190، 191

(2) الزخرف / 23

(3) البقرة / 170

(4) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 155 (رواه الديلمي في الفردوس عن: الحكيم بن عمر)

(5) نفس المصدر السابق / ص 155 (رواه أبو الشيخ عن أبي ذر)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اضاعة الوقت والجهد سدى في نقاش وجدل عقيم ليس من ورائه طائل أو فائدة ترجى للفرد في دنياه أو أخراه.

* عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ:
« هلك المتنطعون » قالها ثلاثا[1]

والمتنطعون هم الغالون المتجاوزون للحدود في أقوالهم وأفعالهم، ويوجهنا رسولنا الأكرم ﷺ بالتأكيد عليها ثلاثا الى ضرورة تجنبها، فالتنطع في الجدل العقيم هدر للجهد ومضيعة للوقت.

وبخصوص ظاهرة « حب الاطلاع » التي تتجلى في مرحلة المراهقة اكثر من المراحل التي سبقتها، فقد عنت السنة النبوية على توجيهنا الى اشباعها لما يترتب على اشباعها من تنمية لمدارك وقدرات المراهق العقلية وملكاته ومواهبه، وتحفيز له على التعلم والتلقي، وكسب المعارف والعلوم.

وضرب الرسول الأكرم ﷺ الأسوة الحسنة في هذا الجانب فلم يكن يضيق برغبة أصحابه في التعلم وحبهم للاطلاع، بل كان يشجعهم على ذلك، ويشبع شغفهم ورغبتهم في كسب المزيد من المعرفة والعلم.

* عن ابن عمر عن النبي ﷺ أن رجلا سأله: ما يلبس المحرم؟ فقال:
« لا يلبس القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرنس، ولا ثوبا مسه الورس أو الزعفران، فان لم يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين. »[2]

وفي هذا الحديث أجاب الرسول الأكرم ﷺ اجابة وافية شافية مستفيضة باكثر مما سأل عنه الصحابي، فأشبع اطلاعه، وزاده في الافادة.

---

(1) مسلم جـ 8 / ص 58
(2) البخاري / جـ 1 / ص 45

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجعلت السنة النبوية العلم والتعلم أساس المفاضلة بين الناس، ووسيلة نيلهم للثواب حثا على التزامهما و طلبهما ومداواتهما.

* قال رسول الله ﷺ:

« الناس رجلان: عالم أو متعلم هما في الأجر سواء ولا خير فيما بينهما من الناس. »[1]

وليس أعظم من هذا التوجيه التربوي الهادف الذي يشمله هذا الحديث الشريف، والذي جعل أجر المتعلم الناشىء الذي لم يزل على بداية الطريق كأجر العالم الخبير الذي يقوم بعملية التعليم، ولا عجب فانما تقوم الحضارة البشرية اساساً على عمليتى « التعليم » « والتعلم » وبدونهما لا تستقيم مطلقاً. والعالم والمتعلم هما قطبا المعرفة البشرية وركيزتا استمرارها ونموها الى ان يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

تلك ومضات يسيرة من نور السنة النبوية المطهرة في مجال التوجيه التربوي الخاص بالنمو العقلي وخصائصه في مرحلة البلوغ والمراهقة.

3-النمو الوجداني وخصائصه:

يركز علماء النفس والتربية، في هذه المرحلة، على عدم الفصل بين النمو الوجداني والنمو العقلي والنمو الاجتماعي والنمو الجسدي، وذلك لأن « النضج الجنسي » يصاحبه الميل الطبيعي لدى الفرد السليم الى الجنس الآخر ويلون تصرفاته وانفعالاته ومواقفه بلون خاص.

وقد يكون التعبير عن هذا الميل صريحا جريئا، أو معتدلا متزنا أو خفيا مستترا تحت غطاء من الخجل والحياء، وهذا كله يتم وفقا لنوع التربية والتقاليد والعادات الاجتماعية السائدة في بيئة المراهق التي لها أثر كبير في خلق « المشاكل الانفعالية » التي تواجه المراهق أو تلافيها.

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 4 / ص 35 (رواه الطبراني في الأوسط عن: ابن مسعود)

ويهتم رجال التربية وعلم النفس بايجاد الحلول الصالحة والمناسبة لمشكلات المراهق الجنسية، والتي تتمثل في وسائل « الابدال والأعلاء » المتمثلة في الفن والرياضة والأدب والثقافة واشباع المواهب والميول في أوقات الفراغ بما يبعد المراهق عن التفكير المركز في غريزته الجنسية ويخفف من حدتها وتوترها.

ولنضج النمو الجنسي لدى المراهق أثره الكبير في تصرفاته وسلوكه الاجتماعي المتمثل: في اهتمامه بمظهره وتأنقه لجذب أنظار الجنس الآخر اليه ونيل الحظوة لديه، ومحاولة كسب مودته وصداقته.

كما أن المراهق، عندما يواجه موقفا يجمعه بالجنس الآخر، قد يضطرب ويخجل ويتردد ويتلعثم ولا يعرف كيف يتصرف، وهو يتذبذب بين صراع الرغبة والرهبة في الاقدام أو الاحجام.

ومن خصائص النمو الوجداني في هذه المرحلة كثرة انفعالات المراهق وتقلبها نتيجة لنوع التربية التي يتلقاها والمعاملة التي يعامل بها، خصوصا وأنه يشعر بأنه أصبح كالكبار، فيقاوم سلطتهم ويرفض سرا أو علنا تدخلهم في شؤونه الخاصة، ولنموه الجسدي والعقلي والوجداني أثر كبير في رغبته في التحرر من سلطة الآخرين ولو كانوا والديه أو أقربائه أو مربيه، فهو يشعر بانه لا يقل عنهم، وله الحق مثلهم في تكوين آرائه وفلسفته وطريقته في الحياة الخاصة به.

ومما يزيد المراهق اضطرابا في حياته النفسية والانفعالية استهزاء الكبار به، وسخريتهم منه، ومعاملتهم له على أساس كونه لا يزال طفلا غريرا، وهذا من شأنه أن يزيد في تحديه لهم، وثورته عليهم، يغذيه في ذلك شعوره باستقلاليته وقدرته على الاعتماد على نفسه، وشق طريقه دون مساعدتهم، ولكنه عندما يفشل في تخطي مصاعب واقعه ومجابهة مشاكله نتيجة لعدم نضجه وقلة خبرته وتجربته يعجز ويثور على نفسه وعلى المجتمع والحياة، وهكذا ـ يتضح أن سلوك المراهق من الناحية الوجدانية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مضطرب ومتذبذب، مما قد يجعله يمر بأزمات نفسية حادة، فينحرف ويشذ أحيانا، أو يهرب من الحقيقة ويحلق في أجواء الخيال وأحلام اليقظة حينا آخر.

* ومن خصائص هذه المرحلة شدة حساسية المراهق وميله « للمشاركة الوجدانية » فنجده يتألم لآلام الآخرين، ويفرح لفرحهم، ويتحمس لنجدة المحتاجين ومساعدة الفقراء والمعوزين، ويشترك في الأنشطة الجماعية، ويرتبط بالجماعة، ويتأثر بها كمشاركته في المسيرات والمظاهرات والاضطرابات أو مشاركته في الأعمال الخيرية والتطوعية، وذلك لسرعة تأثره بوسائل: الايحاء والاستهواء والتقليد، والعقل الجماعي والروح الجماهرية، عاطفيا ودون اقتناع او تعقل في كثير من الأحيان.

وهذا الميل الطبيعي للمشاركة الوجدانية التي تبرز لدى المراهق انما يغذي حاجته « الى الانتماء الاجتماعي » الذي يربط مصيره بمصير جماعته، وينمي فيه روح التعاون مع أعضائها، والحرص على مصالحها وصون تماسكها، والمساهمة في تحقيق أهدافها وغاياتها، ويغرس في نفسه الفضائل والصفات الحميدة، ويقوي فيه التعاطف مع الآخرين والاحساس بمشاكلهم، والقيام بأعمال الخير والبر والاحسان، وتكوين الاتجاهات الاجتماعية الصالحة التي تخدم الفرد والجماعة معا.

ولو استنطقنا السنة النبوية وحللنا مضامينها التربوية لوجدنا أنها تقف موقفا واعيا ومتبصرا من النمو الوجداني وخصائصه في هذه المرحلة الهامة من عمر الانسان، وتوجه الوالدين والمربين الى وجوب اتباع الطرق التربوية في تمكين الفتى المراهق من النضج السليم في نموه الوجداني الذي له اكبر الآثار في تكوين الشخصية السوية المتزنة.

فالسنة النبوية تهتم برعاية « النضج الجنسي » واشباعه بالطريق المشروع الذي يشبع حاجة الفرد الطبيعية، ويحفظ خلقه ويحقق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سعادته، ويصون كرامة المجتمع ويحميه من الفجور والانحلال والتفكك، ويكون وفق ذلك سبيل البشرية في التناسل والتكاثر واستمرار البقاء الى ما شاء الله تعالى.

والسنة النبوية تحث الآباء والمربين والمسؤولين على تمكين الشباب القادرين من الزواج، لأنه أغض لبصرهم واحفظ لفروجهم، ولأنه يصون أخلاقهم واخلاق مجتمعهم، ولأنه الوسيلة الصحيحة التي شرعها الله عز وجل لاشباع رغباتهم الجنسية لغاية نبيلة هي استمرار البشرية وحفظ الأنساب والقربى الدموية.

* قال عبد الله: كنا مع النبي ﷺ شبابا لا نجد شيئا. فقال رسول الله ﷺ:

« يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج، فانه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فانه له وجاءة. »[1]

ولا شك انه لا بد من مراعاة شروط الزواج كالمقدرة الجسدية والسلامة من العلل والعيوب التي تعوق القيام بواجباته، والنضج العقلي، والقدرة على الانفاق ونحوها. ولم تقف السنة النبوية موقف المعارضة من الميل الطبيعي لدى احد الجنسين الى الجنس الآخر. ولكنها حرصت على اشباعه بالطريق المشروع الذي يحفظ للأنثى والذكر كرامتهما وعرضهما.

* عن جابر عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ:

« اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع أن ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل. » » قال: فخطبت جارية فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعاني الى نكاحها فتزوجتها. »[2]

والسنة النبوية لم تعارض العواطف العفيفة النبيلة لأنها سبيل الى

---

(1) البخاري / جـ 7 / ص 3

(2) أبو داود / جـ 2/ ص 190

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ادامة العلاقة وتمتينها بين الرجل والمرأة.

* عن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبي ﷺ « انظر اليها فإنه أحرى ان يؤدم بينكما. »[1]

ذلك أن علاقة الرجل بامرأته ليست قائمة فقط على اشباع غريزتهما الجنسية واستمتاعهما ببعضهما، ولكنها فوق ذلك مودة ورحمة، وسكينة تبعث على الاطمئنان والراحة النفسية.

* قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.﴾[2]

وحفاظا من السنة النبوية على الأخلاق الفاضلة ونقاوة العلاقة بين الناس، وصون أعراضهم، فقد حرصت على طهر سمعة المرأة وتبرئتها من كل ما يشينها أو يلحق الظنون بها، وابعادها عن موطن الشبهات، ولذلك حثت على عدم انفراد الرجل غير ذي المحرم بها.

* عن جابر قال قال رسول الله ﷺ:

« ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب الا أن يكون ناكحا أو ذا محرم. »[3]

بل وزادت في حرصها على « الحفاظ على سمعة المرأة » وحمايتها من دواعي الخطيئة مهما كان مصدرها، فمنعت على المرأة الانفراد ولو بأخ زوجها ونحوه.

* عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال:

« اياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الأنصار يا رسول

---

(1) الترمذي / حـ 4 / 1306 (وقال عنه: حديث حسن)

(2) الروم / 21

(3) مسلم / حـ 7/ ص 7

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الله ، أفرأيت الحمو. قال: « الحمو: الموت. »[1]

وضرب لنا رسول الله ﷺ من نفسه المثل الأعلى في هذا التوجيه التربوي الرائع.

* عن أنس أن النبي ﷺ كان مع احدى نسائه فمر به رجل، فدعاه، فجاء، فقال « يا فلان هذه زوجتي فلانة. » فقال: يا رسول الله من كنت أظن به فلم أكن أظن بك. فقال رسول الله ﷺ: « ان الشيطان يجري من الانسان مجرى الدم »[2]

صدق رسول الله ﷺ في توجيهه التربوي الهادف، فهو يرمي الى حماية المرأة المسلمة من كل شبهة أو ظن، ويروم اتقاء المسلمين للظن والتقول بغير الحق، والقصد من ذلك اقامة علاقة المرأة بالرجل على أسس التقوى والطهارة والعفاف، وتجنب مواطن الظنون والشبهات.

وبدعوة السنة النبوية الى اشباع الغريزة الجنسية بالطريق المشروع الحلال، تحول دون اطلاق العنان لها بغير قيد لأنه يؤدي الى ضياع الفرد وتقوض الجماعة، كما تعارض كل ما يمكن ان يؤدي الى الانحراف والانحلال الخلقي كالحرية المسرفة والخلوة بين الجنسين، والاختلاط غير المقيد بينهما كالرقص أو التمثيل أو الغناء ونحوها من الأنشطة المشتركة والتي سمحت بها التربية الحديثة للناشئين بشكل غير محدود بحجة عدم تعقيد نفسياتهم، واتاحة فرص النشاط الجماعي لهم.

ان من مقاصد التوجيه التربوي للناشئين في السنة النبوية أخذ الحيطة من كافة السبل التي قد تدفع الى الانسياق وراء الغرائز، حتى انها تدعو الى « غض البصر » الذي ان تكرر بقصد سيء مبعثه الغريزة يقود الى الزلل، فجعل رسول الله ﷺ من حق الطريق وهي مكان عام للقاء بين

---

(1) نفس المصدر السابق/ ص 7

(2) نفس المصدر السابق / ص ٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجنسين في عصرنا الحاضر:

« غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[1]

وحثت على التحلي بخلق « الحياء » الذي يحفظ للمرء كرامته وهيبته ويجعله حريصا على عدم ارتكاب الأذى والبذاء بإشارة او بقول أو بفعل.

* عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ:

« الحياء من الايمان، والايمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار. »[2]

والحياء هو تاج الأخلاق الفاضلة، وثمرة التقوى الصحيحة، وجوهر السلوك القويم.

عن أنس قال قال رسول الله ﷺ:

« ما كان الفحش في شيء الا شانه، وماكان الحياء في شيء الا زانه »[3]

ولا شك ان الفحش في السلوك والتصرفات ينفر الناس ويدعو الى كراهيتهم، وأما الحياء فيطبع سلوك الفرد بالاستقامة والنبل ويجعله محل تقديرهم ومودتهم.

وتندد السنة النبوية بالتصرفات الرعناء والأفعال الشائنة التي لا حياء فيها، ولسان حالها يدعو الآباء والمربين الى غرس خلق الحياء في نفوس الناشئين منذ سني حياتهم الأولى.

* عن أبي مسعود، قال النبي ﷺ:

---

(1) البخاري / جـ 8 / ص 63

(2) الترمذي / جـ 8/ ص 171 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)

(3) نفس المصدر السابق/ ص 148 (وقال عنه: حديث حسن غريب)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان مما أدرك الناس من كلام النبوة: اذا لم تستحِ فاصنع ما شئت. »[1]

وحثت السنة النبوية على تجنب غرس الميوعة والتهتك والانحلال، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال مما يفقدهم السمات الطبيعية المميزة لكل من الرجولة والأنوثة.

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

« لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال. »[2]

وفي هذا الحديث الشريف توجيه هادف للآباء والمربين لنبذ ما تسمح به في عصرنا الحاضر التربية الحديثة من تشبه الجنسين ببعضهما في اللباس والمظهر والزينة ونحوها، مما يقود الى الميوعة والانحلال وضياع الاهداف الحقيقية السامية للتربية التي ترمي الى اعداد الشخصية السوية المتكاملة المميزة لكل من الرجل والمرأة وفق ما أودعه الله تعالى في فطرتهما وما هيئتهما اليه من دور فعال لا غنى عنه لكليهما في الحياة، ولا خير في الرجال المخنثين، ولا في النساء المترجلات، لأنه لا فائدة ترجى منهم لكونهم ذوي شخصيات مهتزة عليلة.

* عن ابن عباس قال: « لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء، وقال اخرجوهم من بيوتكم ».[3]

وأمرت السنة النبوية المطهرة بتجنب كل وسائل الاثارة التي تحرض على الانحراف الأخلاقي، وخاصة لدى المرأة.

---

(1) البخاري / جـ 4 / ص 215
(2) البخاري / جـ 7 / ص 205
(3) نفس المصدر السابق / ص 205

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ :

« أيما امرأة استعطرت فمرت الى قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية ». »[1]

كما أمرت بتوقي كل عوامل الفتنة التي تدفع الى الفسق والفجور كالعري والغنج والتهتك واثارة الغرائز.

* عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا. »[2]

ودعت السنة النبوية الى عدم نظر الرجال الى عورات بعضهم بعضا، وعدم نظر النساء الى عورات بعضهن بعضا، وعدم افضاء الرجال الى بعضهم والنساء الى بعضهن في ثياب واحدة، منعا لدوافع الانزلاق في مهاوي الرذيلة وتحصنا من الفحشاء والمنكر، وترسيخا للحياء والطهر والعفة وفضائل الأخلاق.

* عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال:

« لا ينظر الرجل الى عورة الرجل، ولا المرأة الى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة الى المرأة في الثوب الواحد. »[3]

---

(1) النسائي / جـ 8 / ص 153
(2) مسلم / جـ 6 / ص 168
(3) مسلم / جـ 1 ص / 183

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحرصت السنة النبوية على توجيه الآباء والمربين الى أخذ الحيطة، في صون أخلاق أبنائهم منذ قرب بداية البلوغ ونضج الغريزة الجنسية، وحماية الناشئين اعتبارا من سن العاشرة، من التردي في الرذائل دون وعي أو ادراك، خاصة وانهم لم يبلغوا بعد سن التكليف والنضج العقلي الكامل.

* عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال، قال رسول الله ﷺ:
« مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، وأضربوهم وهم أبناء عشر سنين، **وفرقوا بينهم في المضاجع.** »[1]

ان السنة النبوية في توجيهاتها التربوية بشأن أهمية الميل الطبيعي لدى الفرد الى الجنس الآخر، وما يترتب عليه من دوافع وحاجات فطرية أساسية تتطلب الاشباع، تقيم الموازنة العادلة بين الطبيعة والأخلاق، والروح والمادة، والفرد والجماعة، والدين والدنيا.. وهي تحرص على ابدال الغرائز واعلائها اذا لم تتوفر فرص اشباعها بالطريقة الطبيعية المشروعة، وفي هذا توجيه تربوي بناء، اذا ما أحسن الآباء والمربون اتباعه ومراعاته في تنشئة أبنائهم ورعايتهم ضمن لهم أثمر النتائج.

فبخصوص اعلاء الغرائز تدعو السنة النبوية الى التوقي من الغرائز ومجاهدتها بالعبادات والطاعات لما فيها من ترقية للوجدان وتهذيب للنفوس وسمو بالاخلاق وتزكية للأرواح.

* عن عبد الله بن مسعود قال خرجنا مع رسول الله ﷺ ونحن شباب لا نقدر على شيء فقال: « يا معشر الشباب عليكم بالباءة، فانه أغض للبصر، واحصن للفرج، **فمن لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء** »[2]

---

(1) أبو داود / جـ 1 / ص 185
(2) الترمذي / جـ 4 / ص 300، 301 (وقال عنه حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي هذا الحديث الشريف توجيه تربوي الى اعلاء الغريزة الجنسية وهي من أقوى الغرائز، بالصوم عند عدم القدرة على الزواج، لأن الصوم وقاية للصائم من الغواية والانزلاق في مهاوي الفاحشة، لما يترتب عليه من ترقية للنفس وكسر لحدة الغريزة، والتطلع لنيل رضا الخالق عز وجل.

كما تدعو السنة النبوية الى ابدال الغرائز بالوان أخرى من النشاط، غير العبادات، بكيفية تتمشى مع روح التربية في العصر الحديث وتوجيهها وجهة خيرة، وذلك عن طريق ممارسة مختلف الهوايات بشكل يمكن المراهق من قضاء وقت فراغه على نحو مثمر، ولا يدع له فرصة الاختلاء لنفسه لمدة طويلة من الزمن قد تدفعه الى التفكير في الغواية والانحراف.

وفي مقدمة ذلك الأنشطة الرياضية البدنية، بمختلف ألوانها التي دعت السنة النبوية الى ممارستها لما لها من أثر ايجابي في اعداد البدن وصقل المهارات التي قد يحتاج اليها الفرد في حياته المستقبلة مع مراعاة ما يناسب الجنسين من حيث طبيعتها المختلفة في ممارسة الهوايات بمختلف أنواعها.

* قال النبي ﷺ:

« علموا أبناءكم السباحة والرمي والمرأة الغزل »[1]

وفي هذا الحديث حث واضح على ممارسة أنواع الرياضات والهوايات المفيدة جسميا للناشئين كالرمي والسباحة للذكور، والغزل للمرأة وما فيها من فائدة نفسية في ابدال الغرائز، ولعله يمكن للمرأة وفق استطاعتها، وحاجة المجتمع أن تتدرب على ما يتدرب عليه « الرجل » ما لم يكن في ذلك ضرر أو فتنة.

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6/ ص 434 (رواه البيهقي في شعب الايمان عن عمر)

وقس على ذلك رياضة الفروسية لما فيها من تربية للفتوة، وغرس للاقدام والرجولة والنخوة والمروءة، واعداد للدفاع عن العرض والأرض.

* عن عروة بن الجعد عن النبي ﷺ قال:
« الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة »[1]

وقس على ذلك أيضا، ممارسة رياضة « المصارعة »، وقد صارع رسول الله ﷺ « ركانة بن عبد يزيد بن هيثم » وكان أشد قريش فصرعه رسول الله ﷺ أكثر من مرة.)[2]

هذه شواهد أوردناها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر للتدليل على حث السنة النبوية - المطهرة - وسبقها للنظريات التربوية المعاصرة - على ابدال الغرائز أو اعلائها بممارسة مختلف الهوايات بما يحفظ للفرد اتزانه الانفعالي ويحميه من غائلة الانسياق وراء شهواته وغرائزه التي ان استحكمت فيه حطمته، وجعلته عنصر دمار وتخريب في مجتمعه وهي في هذا الجانب تولي وقت « الفراغ » أهمية بالغة وتدعو الى حسن استثماره فيما يفيد « الفرد ».

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ:
« نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ »[3]

ولهذا الحديث ايحاءات ودلالات تربوية عظيمة، ان ادركها الآباء والمربون بتفهم سليم استفادوا بها في رعاية أبنائهم الناشئين وفق ركنين أساسيين في حياتهم النامية: هما: الصحة والفراغ، وذلك ان من لا يحسن استثمار هاتين النعمتين فقد غبن لكونه باعهما بثمن بخس ولم يستثمرهما

---

(1) البخاري / جـ 4 / ص 34
(2) ابن اسحاق / سيرة النبي ﷺ / جـ 1/ ص 262
(3) البخاري / جـ 8 / ص 109

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيما يفيده وينفع مجتمعه، ومن استطاع استغلال الصحة والفراغ في تحسين مستواه العلمي، وتنمية ميوله ومواهبه وهواياته، وصقل مهاراته، وزيادة خبراته وتجاربه، مع مراعاة طاعة الله عز وجل وحسن الخلق والسلو، فقد فاز ونال ما يفيده ويفيد جماعته التي يعيش بينها.

وتعنى السنة النبوية بظاهرة اهتمام المراهق بمظهره الشخصي وتأنقه بغية الحصول على القبول الاجتماعي، وترى ان من كمال تكوين الشخصية الاعتداد بالذات، في غير كبرياء وغرور، والاهتمام بالمظهر الجيد، وانتقاء الثياب الحسنة.

* عن عبد الله بن مسعود النبي ﷺ قال:

« لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. »

قال رجل: ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة.

قال: « ان الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق، وغمط الناس. »[1]

وهذا الحديث يحث على اختيار الملابس الحسنة لكي يكون مظهر المرء حسنا، اذ ينبىء المظهر عن الجوهر في أغلب الأحيان، ومن شأن المظهر الشخصي الطيب أن يكون محل الاحترام والتوقير ويفتح لصاحبه أبواب القبول الاجتماعي، ولا شك أن حسن المظهر والعناية به أثر من آثار نعمة الله عز وجل على عباده.

* عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ:

« ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده. »[2]

ودعت السنة النبوية الى الاهتمام بالنظافة الشخصية استكمالا لحسن

---

(1) مسلم / جـ (1)/ ص 65

(2) الترمذي / جـ 10 / ص 259 (وقال عنه حديث حسن)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المظهر، لوقعه الطيب في النفوس، وارتياح انظار الناس له وانجذابهم اليه.

* عن عائشة قالت: « كنت أطيب النبي ﷺ بأطيب ما يجد، حتى أجد وبيص الطيب في رأسه ولحيته. »[1]

* وعن يحيى بن سعيد: أن أبا قتادة الانصاري قال لرسول الله ﷺ: ان لي جمة أفأ رجلها؟ فقال رسول الله ﷺ نعم وأكرمها. »[2]

وفي هذه الأحاديث الشريفة المتقدمة دعوة الى الآباء والمربين الى عدم الضيق أو السخرية من الاهتمام الشديد الذي يظهر لدى المراهق بمظهره الشخصي، ووجوب توجيهه الى العناية بنظافته وانتقاء الملابس المناسبة له، بغير مغالاة أو اسراف، أو ميل للخيلاء والغرور.

* عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين يقول:
« من جرّ ازاره لا يريد بذلك الا المخيلة فان الله لا ينظر اليه يوم القيامة »[3]

وتهتم السنة النبوية بميل « المراهق » الى الاستقلال عن والديه، ونزعته الى الاعتماد على نفسه، مع ضرورة استمرار الوالدين والمربين في مساعدته على تخطي العقبات والعراقيل التي يعجز في تخطيها لقلة درايته وخبرته، وتستهدف السنة من ذلك اعداد المؤمن القوي القادر على تحمل تبعاته، ومواجهة مصاعب الحياة، والحرص على ما ينفعه، وهذا لا يتم « للفرد » الا بتشجيعه على « النزعة الاستقلالية » وبناء كيانه الخاص.

* عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ:

---

(1) البخاري / جـ 7/ ص 210، 211
(2) موطأ مالك / ص 676
(3) مسلم /جـ 6 / ص 147

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فان لو تفتح عمل الشيطان. »[1]

ولا يكون المؤمن قويا الا بيقينه في الله تعالى، وباعتماده على نفسه واعتداده بذاته، واشباعه لنزعته الى الاستقلال عن غيره.

وتبارك السنة النبوية استقلالية الفرد واعتماده على نفسه في تدبير شؤونه، وتوفير مطالبه، واستغنائه على احسان الأقرباء وصدقة الغرباء.

* عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« لأن يغدو احدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به، ويستغني به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه ذلك فان اليد العليا أفضل من اليد السفلى، وأبدأ بمن تعول. »[2]

وتولي السنة النبوية الشريفة ظاهرة « الاظطراب النفسي والانفعالي » لدى المراهق والتي يزيدها استهزاء الكبار وسخريتهم منهم وخطأ معاملتهم سوءا، توليها عناية تامة، وتوجه الآباء والمربين الى عدم السخرية والاستهزاء بالناشئين ومعاملتهم معاملة كريمة قوامها الرحمة والرفق والحنو لأن « الشخصية » البشرية في بواكير تشكلها انما هي نتاج نوع المعاملة التي يلقاها الناشىء الى أبعد حد حسنا أو سوءا.

ولا بد أن يراعي الآباء والمربين تجنب الفحش والبذاءة في القول والمعاملة.

* عن أنس قال قال رسول الله ﷺ:

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 56

(2) مسلم / جـ 3/ ص 96

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« ما كان الفحش في شيء الا شانه، وما كان الحياء في شيء الا زانه. »[1]

ونهت السنة النبوية عن الشتم والسباب لأنهما من سيء الأخلاق، ولأنهما يسببان النفور والكراهية، ولو كانا من الأقرباء.

* عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ:
« سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر. »[2]

ووجهت السنة النبوية الآباء والمربين الى تجنب السخرية والتحقير لما يترتب عليهما من جرح نفسي للناشئين، واضطراب في انفعالاتهم واهتزاز في شخصياتهم.

* عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ:
« . . . بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه. »[3]

وركزت السنة النبوية المطهرة على توجيه الآباء والمربين الى انتهاج أساليب الرفق والرحمة والعطف في معاملة الناشئين لما فيها من اشاعة للبهجة، وارتياح للنفوس، وطمأنينة وسكينة تتيح الجو النفسي الصالح لنمو « الشخصية » السوية المتزنة، وتجنب الناشىء الاضطراب النفسي، والعلل العصبية والأمراض العقلية.

* عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال:
« يا عائشة ان الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه »[4]

---

(1) الترمذي / جـ 8/ ص 148 (وقال عنه: حديث حسن غريب)
(2) مسلم / جـ 1/ ص 58
(3) مسلم / جـ 8 / ص 10، 11
(4) نفس المصدر السابق / ص 22

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما أكدت السنة النبوية على أهمية الرحمة في معاملة الناشئين .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي ، وعنده « الأقرع بن حابس التميمي » جالساً ، فقال الأقرع : ان لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً ، فنظر اليه رسول الله ﷺ ثم قال : « من لا يرحم لا يُرحم » .[1]

وكذلك أكدت السنة النبوية على أهمية الحنوّ والعطف والتسامح ورحابة الصدر في معاملة الناشئين واحتمال أخطائهم غير المقصودة .

عن أبي قتادة قال خرج علينا النبي ﷺ و« امامة بنت أبي العاص » على عاتقه فاذا ركع وضع واذا رفع رفعها »[2]

ان هذه المعاملة الكريمة للناشئين التي تقيمها السنة النبوية على أسس الرفق والرحمة والحنوّ هي الكفيلة باعداد الشخصية السوية المتكاملة التي لا تعاني من الخلل العصبي او العلل النفسية او الاضطرابات العقلية ، وهي التي تفتقر اليها « التربية الحديثة » التي طبعت بسمات المادية والفردية ، فتفككت فيها أواصر الأسرة ، وتقطعت صلة الرحم ، ولا خلاص لنا في عصرنا المادي إلا بالعودة الى سنة نبينا الأكرم ﷺ نكرع من معينها ، ونتزود من زادها الذي لا ينضب .

وأما موقف السنة النبوية من ميل المراهق الى « المشاركة الوجدانية » فنجده موقفا ايجابيا ترسم فيه معالم توجيهه الصحيح الى سبل تكامل الذات كعضو صالح في الجماعة وتستثمر فيه هذا الميل الطبيعي لخدمة الجماعة وتقوية تماسكها وتلاحمها ، وتفجر فيه طاقات الخير والمعروف والتعاون مع الآخرين ، ومساعدة المحتاجين ، ونجدة الملهوفين ، بما يجعله يحس في أداء واجباته الاجتماعية بسعادة غامرة وان لم يكن له فيها غنم شخصي .

---

(1) البخاري / جـ 8 / ص 9

(2) نفس المصدر السابق / ص 8

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لذلك نجد السنة النبوية تركز على إنماء « روح المشاركة الوجدانية » الخيرة لدى الناشئين لكونها أساس التوادد والتراحم والتعاطف .

عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ :

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[1]

ولا غرو فان الأفراد في المجتمع يكمّل بعضهم بعضا ، كأنهم جسد واحد ، ولا يستطيع أحدهم الاستغناء عن عون الآخر ، فكأنهم بنيان مرصوص .

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبّك بين أصابعه » .[2]

وفي هذا التوجيه التربوي البناء في السنة النبوية ميزة ايجابية على نظريات التربية الحديثة التي أفرطت في التسامح مع نوازع « الفرد » حتى كادت تغلب أنانيته وفرديته على مصالح الجماعة ، وواقع الحال ان الحياة لا تستقيم بدون تكافل الأفراد في المجتمع وتعاونهم ، ونبذ الأثرة والمصلحة الشخصية التي قد تتحكم في سلوكهم وتنعكس في مواقفهم ، مما يترتب عليها إلحاق الضرر بمصلحة الجماعة ككل والتي اذا تم الحرص عليها يمكن ان تحقق في إطارها مصالح الأفراد أنفسهم .

عن أنس عن النبي ﷺ قال :

« لا يؤمن أحدكم ، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[3]

وأكدت السنة النبوية ـ تعزيزا لروح المشاركة الوجدانية ـ أن من كمال

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 20
(2) البخاري / جـ 8/ ص 14
(3) البخاري / جـ 1/ص 10

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إيمان الفرد المسلم وتقواه اهتمامه بأحوال أخيه المسلم في السراء والضراء .

عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ :
« أطعموا الجائع ، وعودوا المريض وفكّوا العاني »[1]

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما يقول : « نهانا النبي ﷺ عن سبع : نهى عن خاتم الذهب (أو قال حلقة الذهب) ، وعن الحرير والاستبرق ، والديباج ، والميثرة الحمراء ، والقسّيّ ، وآنية الفضة . وأمرنا بسبع : بعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وتشميت العاطس ، ورد السلام ، واجابة الداعي ، وابرار القسم ، ونصر المظلوم . »[2]

وبهذه الروح الجماعية الايجابية ، والالتزام الذاتي بالاهتمام بقضايا الاخوة في المجتمع ، تتظافر الجهود من اجل الخدمة العامة ، ومغالبة المشاكل المشتركة التي يصعب على الفرد وحده مجابهتها .

ويؤدي الميل الى المشاركة الوجدانية الى تقوية ميل طبيعي آخر مهم للغاية في حياة الفرد والجماعة وهو الميل « للانتماء الاجتماعي » ذلك أن الفرد لا يستطيع أن يحيا في هذا الكون بمفرده ، ولا يقدر على حل مشاكله وتخطي مصاعبه بدون عون من بني جلدته ، وهذا كله لا يستقيم بدون تعاطف وتآزر وتلاحم بين الأفراد ، وبدون الاحساس المشترك بالقضايا المصيرية ، والعمل المشترك على تحقيق الأهداف والغايات المشتركة التي تخدم مصالح الفرد والمجتمع على حد سواء .

وقد سبقت السنة النبوية النظريات الحديثة الى إشباع الحاجة الطبيعية لدى الفرد البشري الى « الانتماء الاجتماعي » وأكدت على ضرورة تلاحم الفرد مع جماعته ، وتعاونه مع اعضائها ، والتزامه ذاتيا وخلقيا بخدمة الجماعة ، وصون مصالحها والحفاظ على تماسكها .

---

(1) البخاري / جـ 7 / ص 150
(2) البخاري / جـ 7 / ص 200

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولتركيز هذا المفهوم الاجتماعي والتربوي الخطير أكدت السنة النبوية ان « صلاة الجماعة » تفضل صلاة الفرد الفذ ، وغني عن البيان أهمية الصلاة كأولى العبادات ، وكحبل متين يربط بين الخالق والمخلوق خمس مرات في اليوم ، وكوسيلة تربوية يومية لتطهير النفس وتعويدها على الالتزام والضبط الذاتي ، وتشربها للفضائل والقيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية .

عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

« صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة »[1]

وقد تهدد رسول الله ﷺ تارك الجماعة ، لما في ترك الجماعة من تقويض لها وتفكيك لأواصرها وهو ما يلحق الضرر بها وبالفرد أيضا .

عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله ﷺ :

« لينتهين رجال عن ترك الجماعة أو لأحرقن بيوتهم »[2]

وركزت السنة النبوية على تقوية روح الانتماء الاجتماعي بوسائل متعددة ، علاوة على الصلاة المكتوبة ، وذلك كصلاة الجمعة ، وصلاة العيدين ، والحج ، وتشييع الجنائز ، وعيادة المرضى ، وحضور الأفراح ، بالاضافة الى نبذ الحزازات والتباغض والهجران بين المسلمين .

ومن أهم أساليب دعم وتعزيز غريزة الانتماء الاجتماعي حث السنة النبوية على حضور صلاة الجمعة وترك كل ما يشغل عنها ، وهكذا يمارس الفرد المسلم يوميا ، ان استطاع خمس لقاءات تعبدية جماعية مع إخوانه ، ولقاء أسبوعيا في جمع أكبر يربط القلوب ، ويؤلف المشاعر ، ويقوي التحابب والتوادد .

وقد أمرنا الله عز وجل بصلاة الجمعة وحضور مؤتمرها .

---

(1) مالك / ص 93
(2) ابن ماجة / جـ 1 / ص 260

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾[1]

كما أكدت السنة النبوية وجوب الحرص على أداء صلاة الجمعة ، وأنذرت تاركيها بختم قلوبهم بطابع الغفلة .

عن الحكم بن ميناء ان عبدالله بن عمر وأبا هريرة حدثاه أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره .

« لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين » .[2]

ورغب رسول الله ﷺ في حضور صلاة الجمعة لاستجابة الله تعالى للدعاء فيها ، ولفضل التقرب فيها اليه مع « جماعة » ترتبط بميثاق التوحيد ، واليقين ، والمحبة في الله عز وجل .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال :

« فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم ، وهو قائم يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه »[3]

ولتقوية وترسيخ الميل الطبيعي للانتماء الاجتماعي أيضا ، وهو ما يبدأ أساسا في الأسرة بين الوالدين وذوي القربى ، ثم ينتقل بالتدريج الى بقية أعضاء المجتمع ، حثت السنة النبوية المطهرة على صلة الرحم ، وأداء حقوق القرابة ، والبر بالأقارب ، فبشرت واصل الرحم بوصل الله تعالى ، وأنذرت قاطع الرحم بقطعه .

---

(1) سورة الجمعة / آية 9
(2) مسلم / جـ 3/ص 10
(3) مالك / ص 81

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ :

« الرّحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله »[1]

وانتقلت السنة النبوية المطهرة بعد ذلك في تدرج تربوي الى حث « الفرد » المسلم على رعاية حق الجيرة ، والبر بالجار ، ولا غرو فإن الارتباط المكاني والاجتماعي الثاني مباشرة الذي يلي الارتباط الأسري ، هو الارتباط « بالجيران » لأن حياة الفرد مشتركة معهم الى أبعد حد ، ولأن عشرتهم في حسنها وسوئها تؤثر على حياته إيجابا وسلبا .

وعليه فقد أوصى رسول الله ﷺ بالجار خيرا .

عن عائشة تقول سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه ليورّثنّه »[2]

وأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالاحسان للجار ومساعدته .

عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ : « يا أبا ذر اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك »[3]

وهكذا يتضح ان السنة النبوية تغذي « روح الانتماء الاجتماعي » لدى الفرد لأثرها الايجابي الفعال في الترابط الأسري والتكافل الاجتماعي ، ولقيمتها التربوية الفعالة في تكوين الشخصية السوية المتكاملة للفرد الذي لا يحيا لنفسه فقط ، بل يشترك كعضو في جماعة ، في خدمة قضايا هذه الجماعة ، وصون تماسكها ، وتحقيق أهدافها وأمانيها .

وقد نددت السنة النبوية بمن يفارق « الجماعة » أو يلحق الضرر بها وتبرأ منه رسول الله ﷺ .

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 7

(2) نفس المصدر السابق ص / 36

(3) نفس المصدر السابق ص / 37

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال :
« من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ، ومن قتل تحت راية عمّيّة يغضب لعصبة أو يدعو الى عصبة او ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية ، ومن خرج على أمتي يضرب برّها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفي لذي عهد عهده ، فليس مني ولست منه »[1]

وأوجبت السنة النبوية المطهرة على المسلم ان « يلزم » جماعة المسلمين وربطت ذلك بالاخلاص لله تعالى ومناصحة أئمة المسلمين وعامتهم .

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود يحدث عن أبيه عن النبي ﷺ قال :
« نضّر الله امرؤاً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها ، فربّ حامل فقه الى من هو أفقه منه . ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : اخلاص العمل لله ـ ومناصحة أئمة المسلمين ـ ولزوم جماعتهم فان الدعوة تحيط من ورائهم » .[2]

واهتمت السنة النبوية بالتوجيه الى الصفات والخلال الاجتماعية والأخلاقية التي من شأنها تقوية روح الانتماء الاجتماعي وترسيخها ، ودرء تحللها وانفصامها ، ولذلك فهي تعمل على تعميق مبدأ « الأخوّة » بين أفراد المجتمع وتنهاهم عن الأخلاق السيئة التي تفرق بينهم وتشتت شملهم .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :
« إياكم والظن ، فان الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا » .[3]

وهي كذلك تأمر أفراد المجتمع بتجنب الهجران ، وإعراض بعضهم

---

(1) مسلم / جـ 6/ص 21
(2) الترمذي /جـ 10/ص 125، 126 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(3) البخاري / جـ 8/ص 23

عن بعض ، لما قد يترتب على ذلك من قطيعة تؤدي الى تمزيق وشائج التآخي ، وحل الترابط الاجتماعي ، وجعلت الأفضلية لمن يعيد المحبة والتوادد الى مجراها المعتاد ويرتفع عن فورة الغضب والانفعال .

عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال :
« لا يحلّ لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام »(1)

والسنة النبوية المطهرة ، بتوجيهاتها التربوية البناءة الى دعم وتنمية الميل الطبيعي « للانتهاء الاجتماعي » إنما تؤكد الوظيفة الاجتماعية لهذا الميل في ربط الأفراد كأعضاء في المجتمع بعضهم ببعض للقيام بمهام مشتركة لتحقيق أهداف وغايات مشتركة ، لا يمكن بلوغها إلا بعمل جماعي مشترك يقود الى خلق « كيان موحد » يشد بعضه بعضا كأنه بنيان مرصوص .

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال :
« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ثم شبّك بين أصابعه »(2)

على أن السنة النبوية توجهنا الى ان العلاقة بين الأفراد ليست علاقة آلية تلقائية تستهدف طلب المنفعة المادية البحتة ، ولكنها علاقة ذات بعد روحي وخلقي واجتماعي قوامها التزام ذاتي برعاية حق الجماعة وعون الآخرين ورحمتهم والتعاطف معهم ، فهي إذن تقيم الارتباط بين أعضاء المجتمع على مواثيق أخلاقية وانسانية أساسها الرحمة والتعاطف وغايتها التكافل والتكامل .

عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ :
« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 26
(2) نفس المصدر السابق / ص 14

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[1]

وفي هذا التوجيه النبوي تعديل للنظريات التربوية الحديثة التي تسرف أحيانا في التسامح حيال ضعف العلاقات الاجتماعية في إطار اهتمامها المتزايد ، وغير الرشيد أحيانا ، بفردية « الانسان » فتقوده من حيث تدري أو لا تدري ، الى الانفصام عن « الجماعة » والتحلل من مواثيقها ، وتعود بهذا الاتجاه المشط بأوخم النتائج على الفرد والمجتمع معاً .

ولا خير في « تنشئة » للفرد تكرس فرديته وأنانيته ، وتسلخه عن مجتمعه الذي يعيش فيه ، ويؤثر فيه ويتأثر به سلبا وإيجابا .

ولقد كان للسنة النبوية الشريفة ، سبق فريد ، في التفطن الى المسؤولية الاجتماعية للفرد ، وترسيخها في النفوس منذ نشأتها حتى تصبح طبعا متأصلا فيها ، لا تطبعا سرعان ما يزول .

عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال :

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة »[2]

تلك هي اذن النتائج المثمرة للميل الطبيعي للانتماء الاجتماعي اذا ما نمّي ورسّخ على أساس متين من الخلق القويم والتوجيه التربوي السليم والترشيد الاجتماعي الهادف .

وبذلك يصبح « الفرد » عضوا صالحا في الجماعة ذا تأثير ايجابي بناء في حياتها ، قادرا على « التأثير فيها والتأثر بها » بوعي رشيد والتزام ذاتي .

قال أبو سعيد سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« « من رأى منكم منكرا فليغيره : بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فإن

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 20
(2) نفس المصدر السابق / ص 18

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان »[1]

ومما تقدم يتضح لنا ان السنة النبوية الشريفة تنظر الى الميل الطبيعي « للانتماء الجماعي » على أساس كونه ميثاقا روحيا وخلقيا واجتماعياً يربط بين أفراد المجتمع بوشائج التراحم والتعاطف والمودة ، علاوة على رباط المنافع المتبادلة ، والمصالح المشتركة ، وبهذا المفهوم التربوي المتكامل لمعاني « الانتماء الاجتماعي » تفوق السنة النبوية النظريات التربوية الحديثة التي تقتصر في نظرتها اليه ـ في أغلب الأحيان ـ على روابط المنفعة والمصلحة المفرغة من البعد الروحي والخلقي .

والسنة النبوية لا تستهين بأبسط الأعمال في سبيل تعميق وترسيخ هذا الميل الطبيعي ذي الأثر الايجابي الهادف في حياة الفرد والمجتمع .

عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ :
« تبسّمك في وجه أخيك لك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة »[2]

وروح الانتماء الاجتماعي كما تراها السنة النبوية المطهرة لا تقتصر على تعزيز انتساب الفرد الى مجتمعه المحدود بل تتوسع دائرتها حتى يكون الفرد عنصر خير وصلاح بالنسبة للبشر كافة ولغيرهم من المخلوقات ، وفق مقدرته وإمكانياته والعبرة بعمله المخلص وان كان محدودا من حيث القيمة المادية .

عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال :
« ما من مسلم غرس غرسا فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة »[3]

---

(1) مسلم / جـ 1/ص 50
(2) الترمذي / جـ 8/ص 134، 135 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(3) البخاري / جـ 8/ص 12

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه هي ينابيع السلوك الخلقي القويم لدى الفرد السوي الشخصية الذي يشعر بالتزام ذاتي نابع من وجدانه تجاه بقية أعضاء المجتمع ، فيقيم انتماءه الاجتماعي اليها على دعائم الخير والمعروف والبر والاحسان والمشاركة الوجدانية .

الأسس التي ترى السنة النبوية مراعاتها في معاملة الناشئين في هذه المرحلة :

أولت السنة النبوية التربوية في تضميناتها التربوية وفق الأحاديث المتقدمة اهتماما كبيرا بالخصائص والمميزات التربوية لهذه المرحلة الخطيرة من عمر الانسان ، ولئن كان المقام لا يتسع لتحليل أبعاد تلك المضامين التي احتوتها السنة النبوية إلا أنه يمكن إيراد أهمها باختصار فيما يلي :

1— العناية بالتغذية الصحية السليمة للمراهق كما وكيفا ، ووقايته من العلل والأمراض التي يتعرض لها في هذه المرحلة ، والاسراع بعلاج ما يصيبه منها .

2— عدم تكليف المراهق بالأعمال المرهقة له ومراعاة قدراته وطاقاته الجسمية واعطاؤه القسط الكافي من الراحة التي تمكنه من استعادة حيويته ونشاطه المستنفذ ، واتاحة الفرص الملائمة لسنه ونموه العقلي والبدني في ممارسة الألعاب وأنواع الرياضة المفيدة لبنائه الجسماني ، والتي يمكن ان تساعده في اكتساب الخبرات والمهارات النافعة له في حياته المستقبلة الفردية والجماعية وتنمية روح التعاون لديه ، وشعوره بالحاجة الى الارتباط الجماعي مما يرسخ ميله الطبيعي للانتماء الاجتماعي .

3— الاهتمام الواعي والمتفهم لنضج الغريزة الجنسية لدى المراهق ، والميول الطبيعية المترتبة عليها والتي يجب ان تشبع بالطريق المشروع وهو الزواج ، وإذا لم يكن ممكنا فإنه لا بد من توجيه المراهق الى ضبط غريزته الجنسية وإعلائها أو إبدالها بالعبادات وبممارسة الهوايات والأنشطة الرياضية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والفنية البناءة التي يقضي فيها أوقات فراغه على نحو مفيد ولا تسمح له بالانفراد بنفسه فيقع فريسة للتفكير في إشباع غرائزه فينزلق في مهاوي الرذيلة ، وتجنيب المراهق الوسائل التي قد تدفعه للغواية كالانفراد بامرأة محرمة عليه ، او الاختلاط غير البريء ، أو ممارسة الانشطة التي قد تقود الى الميوعة والفجور كالرقص والغناء المنحرفين وما الى ذلك .

4— إتاحة الفرص الملائمة للمراهق لكي يتعود على الضبط الذاتي والاستقلال ، وتحمل المسؤولية ، وذلك بتمكينه من تنظيم أموره وشؤونه الخاصة بنفسه ، والاقلال من النواهي ، والضغوط والتدخل في كل صغيرة او كبيرة تخصه شخصيا ، وإبداء الاحترام اللازم له ، وعدم النظر اليه على أنه لا زال طفلاً ، وتقدير مشاعره وأفكاره واهتماماته ، والحرص على توجيهه ومساعدته وقت حاجته اليهما حتى يستكمل نضجه وبناء شخصيته السوية المتزنة : الخالية من العلل والاضطراب والصراع النفسي .

5— عدم السخرية من المراهق ، أو احتقاره ، او إبراز عيوبه ، والهزء باهتمامه المبالغ فيه أحيانا بذاته ومظهره ، او الاستهزاء بمظاهر البلوغ الجسمانية لديه « كالنحافة ، واهتمامه بالجنس الآخر » لما يسببه هذا المسلك الخاطىء من حرج نفساني له ، ويشيعه من اضطراب في استجاباته وسلوكه وتصرفاته ، واهتزاز في جوانب شخصيته وخاصة الجانب الانفعالي .

6— العناية بملكاته وقدراته العقلية ، وميوله ومواهبه وتمكينه من تنميتها وصقلها حتى تصل الى اقصى حد ممكن من الجودة والاتقان . ومراعاة المستوى العقلي والتحصيلي للمراهق في توجيهه وتعليمه واختيار المهنة المناسبة له ، ومساعدته على حل مشاكله المتعلقة بنظرته « الفلسفية » الخاصة بالانسان والكون والخالق العظيم ، وتزويده بالاجابة الشافية الوافية على استفساراته وتساؤلاته التي تنبىء عن نضجه العقلي ونمو تفكيره وإن جانبها الصواب أحيانا ، واعانته على فهم الحقائق واستيعابها عن طريق الاقناع والبرهان والدليل المنطقي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومراعاة عدم الاستهزاء بانتاجه الفكري والأدبي والفني ، مهما احتوى من أخطاء وسوء فهم ، بل يجب ان يبدي اليه الآباء والمربون كل تسامح ورحابة صدر ، مع تجنب تركه لأخطائه حتى لا يسرف في الخيال غير القابل للتحقيق .

والموقف التربوي الصحيح من المربي إنما يكون في تحاشي الهزء والسخرية بإنتاج المراهق على أن يوجهه الى العدول عن الانتاج الخاطىء او العابث او غير المفيد ، بنقد بناء في لطف ومراعاة لمشاعره ، ووفق تفسيرات جلية تقنع المراهق بعدم الاستمرار فيه من تلقاء نفسه .

وبذلك يتحقق عنصر المبادءة والمشاركة الذاتية من طرف المراهق في عملية التربية والتعليم ، وإنماء استعداداته وقدراته العقلية ، ومواهبه وميوله المختلفة .

7— تشجيع المراهق على اشباع رغبته في المشاركة الوجدانية ، وتنمية غريزة الانتماء الاجتماعي لديه ، لما يترتب عليهما من ترسيخ للفضائل والقيم والمثل الاخلاقية والمشاركة الجماعية في خدمة المجتمع ، ومن صقل لشخصية المراهق وجعله عضوا صالحا في جماعة صالحة ، وبقدر ما يكثر الأعضاء الصالحون في « الجماعة » بقدر ما يصلح حالها ويرتفع مستواها وتتحقق رفعتها وازدهارها .

8— استثمار مَيْل المراهق الى « الاقتداء » والذي يتجلى في إعجابه بالأبطال والزعماء والفنانين وجعلهم مثالا يحتذيه ، وذلك في تقويم أخلاقه وتوجيه سلوكه الوجهة السليمة ، وغرس القيم والمبادىء والمثل العليا في نفسه بتزويده بالكتب الصالحة والمناسبة لمستواه العقلي والتحصيلي وبما يشبع حاجته للاطلاع والمعرفة ، وسوق القصص والأمثال الهادفة التي تغذي مشاعره وتزكي وجدانه ، وتهذب سلوكه وتصقل شخصيته .

وفي سيرة نبينا الأكرم ﷺ العطرة خير زاد خلقي وانساني بالغ السمو والرفعة يمكن ان يكرع من نبعه الغزير الآباء والمربون والناشئون .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مجمل اهتمام السنّة النبوية بمراحل النمو وخصائصها

تبين لنا فيما سبق الاهتمام الكبير الذي توليه السنة النبوية ، من خلال الأحاديث الشريفة التي أوردناها لمراحل النمو وخصائصها ، والذي يمكن أن نجمله في النقاط التالية :

1— الاهتمام بالوليد البشري منذ مهده ، وذبح عقيقته يوم سابعه وحلق رأسه ، واختيار اسم حسن له يحمله طول حياته .

2— ختان الوليد ، لأن « الختان » وقاية صحية من الأوساخ والافرازات والجراثيم ، والأمراض التي قد تنتج عنها في عضوه التناسلي .

3— تعليم الناشىء الصلاة منذ السنة السابعة من عمره ، لأنها وسيلة فعالة لغرس القيم الروحية والفضائل الأخلاقية ، وتعويد الناشىء على الانضباط والنظام ، وتزكية روحه وترقية خلقه وتهذيب نفسه ، خاصة وأنه في هذه المرحلة من عمره يبدأ في اكتساب القيم الدينية والخلقية عن طريق التشرب والامتصاص ، والتقليد والمحاكاة والايحاء والاستهواء .

4— التفريق في المضاجع بين الأبناء ، وذلك اعتبارا من السنة العاشرة من أعمارهم لكونها بداية بلوغهم ونضج غريزتهم الجنسية ، والقصد من التفريق بينهم في المضاجع وقايتهم من الانزلاق في الرذيلة بدون وعي منهم وقبل اكتمال ادراكهم وفهمهم الذي هو أساس التكليف والمسؤولية .

5— الحرص على تعليم الأبناء وتنمية مداركهم وعقولهم وصقل ميولهم ومواهبهم وفقا لأعمارهم ومستوى فهمهم وإدراكهم ، فالتعليم في الصغر كالنقش على الحجر يثبت ويستمر .

6— تمكينهم من التدرب واكتساب المهارات والخبرات المفيدة لهم ، وخاصة فيما يتعلق بقضاء أوقات فراغهم على نحو هادف ، كتعلم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السباحة والرماية وركوب الخيل والمصارعة وما اليها من أنواع الرياضة المفيدة بدنيا ، والنافعة للفرد في مستقبل حياته الفردية والاجتماعية .

6— تزويجهم عند اكتمال نضجهم العضوي والنفسي ، وقدرتهم على الاعتماد على أنفسهم ، واستقلالهم بحياتهم ، ففي الزواج وقاية لهم ، وصون لأخلاقهم ، وحماية للنظام الديني والأخلاقي في المجتمع الذي يعيشون فيه .

8— تنمية الشعور « بالمشاركة الوجدانية » لديهم لأهميتها في غرس حب الخير في نفوسهم والتعاون مع الآخرين ، ومساهمتهم الفعالة في أداء الواجبات الاجتماعية التي يمليها التكافل والتضامن الاجتماعي الصحيح بين أفراد المجتمع .

9- إشباع الحاجة الطبيعية الى الانتماء الاجتماعي ، التي تعتبر من أهم الوسائل في ترسيخ العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وتقوية ترابطهم وصلاتهم من أجل عمل تعاوني مشترك لتحقيق أهداف وغايات الجماعة التي تتحقق في اطارها أهداف وغايات الفرد ، ولكونها فوق ذلك من أهم أساليب معالجة الأنانية والفردية والاثرة لدى « الفرد البشري » وتحويل نوازعه الى الغيرية والبذل والايثار ، التي تجعل الفرد بحق عضواً صالحاً في جماعة صالحة .

وبهذا يتضح ان السنة النبوية الشريفة اهتمت « بالانسان » وليدا وناشئا ويافعاً وشابا ورجلا كهلا وشيخاً ، فهي تحمل في طياتها معالم « **التربية الشاملة المتكاملة المستمرة** » من مهد الوليد الانساني الى لحده ، في موازنة عادلة بين جوانب « الشخصية » روحيا وعقليا وخلقيا ووجدانيا واجتماعيا وبدنيا ، فلا تفريط في جانب ولا إفراط في آخر ، « **فالكمال الانساني** » هو غايتها منذ بدء العناية بالوليد البشري في فجر حياته الى ان يشب عن الطوق ويصبح عضوا صالحا في مجتمع صالح .

تلك ايضاحات عامة لمراحل النمو وخصائصها ومواقف السنة النبوية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منها ، وستتكامل الصورة بعون الله تعالى ، التي نوضح بها أسس التربية في السنة النبوية على نحو مفصل في الفصول القادمة ، التي نخصصها لبحث واستعراض جوانب الشخصية المتكاملة ، فنفرد لكل جانب منها فصلاً خاصاً به .

« الفروق الفردية »

لا شك في وجود « الفروق الفردية » بين الأفراد ، وبالملاحظة والمشاهدة نلمس فروقا واضحة بينهم ، فهم ليسوا سواء في الطول أو الوزن أو اللون ، هذا من الناحية الجسمانية الظاهرية . كما أنهم ليسوا متساوين في حظهم من « الذكاء » والقدرات العقلية ، وميولهم ومواهبهم وهواياتهم ومستوى تحصيلهم واستيعابهم ، وهم ليسوا سواء في أمزجتهم النفسية ، فمنهم ذوو الشخصية المنبسطة ومنهم ذوو الشخصية المنطوية ، ومنهم سريعو الانفعال ، ومنهم القادرون على التحكم في انفعالاتهم ، والتكيف مع مختلف المواقف ، وهم ليسوا سواء ، أيضا ، في مقدرتهم على تكوين العلاقات الاجتماعية ، وبناء شخصياتهم ، ومستوى هذاالبناء من حيث التكامل والانسجام ، او النقص والانخرام .

فبالمشاهدة والدراسة والتقصي ، للخصائص الظاهرية او الداخلية لدى الأفراد ، نجد أنهم مختلفون ولو كانوا داخل مجموعة واحدة ، بل يوجد الاختلاف ولو بين « التوائم » المنفصلة او المتحدة في السمات والخصائص والقدرات والمواهب والميول ، ولا شك أن البيئة الاجتماعية ومستواها العلمي والثقافي والاقتصادي والظروف المحيطة بالفرد ونوع الرعاية التي يلقاها الفرد ، من شأنها ان تؤثر في الفروق الفردية فتبرز معالمها وآثارها أو تقلل منها ، غير أن الحقيقة التربوية بشأن وجود « الفروق الفردية » تظل دوما قائمة .

قال تعالى : ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾[1]

ولهذا الاختلاف قيمة تربوية هامة في ضرورة تكامل وتظافر الامكانيات والقدرات لدى الأفراد بما يحقق لهم حياة مشتركة فاضلة قوامها التعاون والانسجام .

وهذا ما يؤكده قوله عزّ وجلّ :

﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم . . ﴾[2]

ولا شك في أن الحياة البشرية لا تستقيم ، ولا تحقق غاياتها دون تكامل وانسجام القدرات والاستعدادات والامكانيات المتنوعة لدى مختلف الأفراد .

قال تعالى : ﴿إن سعيكم لشتى﴾[3]

وقد ثبتت لدى علماء النفس والتربية ظاهرة « الفروق الفردية » وأهميتها وخطورتها في تنشئة الأفراد وتوجيههم ، وما تتطلبه من ضرورة لتعديل او تطوير هذا النوع من أساليب التربية ومناهجها او ذاك بما يتلاءم واحتياجات « الفرد » ومطالب حسن تنشئته ورعايته بدنيا وعقليا ونفسيا واجتماعيا وأخلاقيا .

ولا يتسع المقام لايراد التجارب او الأبحاث العلمية التي أكدت حقيقة الفروق الفردية سواء في الناحية الجسمية او العقلية ام المزاجية وغيرها ، ويكفينا في هذا الصدد مناقشة مبادىء « الفروق الفردية » والتركيز على أهميتها في التنشئة الاجتماعية للفرد ، وما تقتضيه من تنويع وتعديل لأساليب المعاملة التربوية حتى يجد كل فرد ، وفق تكوينه الوراثي

---

(1) الروم / 22
(2) الحجرات / 13
(3) الليل / 4

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وظروفه البيئية ، الرعاية السليمة قدر الامكان بما يساعده على استكمال نموه الجسدي والعقلي والنفسي والاجتماعي والأخلاقي ، بانسجام وتوازن بين هذه الجوانب حتى يتم بناء شخصيته على أساس سويّ وسليم يجنبه الخلل والعلل والصراع النفسي .

والفروق الفردية التي تظهر بين الأفراد ، منها ما هو موروث ومنها ما هو مكتسب ، على أن البيئة يمكن ان تزيد من حدة الفروق الفردية التي يولد بها الأفراد ، وهو ما يحمّل الآباء والمربين مسؤولية جسيمة حيال أبنائهم ، وضرورة توفير الجو التربوي الملائم لتنشئتهم السليمة وحسن رعايتهم ، بما يمكنهم من التحصن من أي خلل او انخرام يلحق « بشخصيتهم » وهي في طور التشكيل والنمو ، ويقلل من حدة آثار الفروق الفردية بينهم ، ولا شك أن المناهج الرشيدة ، والأساليب التربوية السديدة يمكنها ان تسد كثيرا من الثغرات ، وتملأ كثيرا من الفجوات التي تترتب على « الفروق الفردية » بين الأفراد في حالة اهمالها ، وعدم اعطائها الاهتمام اللازم لها ، كقضية من أخطر القضايا التربوية المرتبطة بتنشئة الوليد البشري منذ فجر حياته الأولى ، التي تعتبر الأساس لحياته المستقبلة كلها .

لقد اقتضت حكمة الله عزّ وجلّ وجود « الفوارق الفردية » بين البشر لكونها من أهم الوسائل الدافعة « للانسان » كفرد و« للمجتمع الانساني » نحو الترقي والتطور المستمر ، وتحقيق الآمال والطموح ، وتكامل الجهود وتظافرها ، والتجديد والتنويع ، والابتكار والابداع ، والخلق والاختراع ، تبعا لتنوع واختلاف الهوايات والميول والمواهب والقدرات والعبقريات .

وفي كتاب الله عزّ وجلّ الذي أنزل على سيدنا محمد ﷺ هداية وذكرا وتبيانا ومنهج حياة إشارات عديدة لتأكيد أهمية « الفروق الفردية » وضرورة العناية بها ، وتوجيهها بما يحقق التكامل في الجهد البشري من أجل صنع حياة أفضل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى : ﴿وقد خلقوا أطوارا﴾[1]

وقال : ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم﴾ .[2]

وهذا الاختلاف والتنوع في خلق البشر يحملهم مسؤولية التكامل والالتحام ، ويدفعهم الى تظافر الجهود من أجل صنع حياة أفضل بجهد جماعي مشترك ، تتلاقح فيه القدرات وتتمازج المواهب بما يحقق خير الجميع .

وقد أولت السنّة النبوية لقضية « الفروق الفردية » أهمية كبيرة تتواءم وخطرها في تنشئة الأفراد وتربيتهم ، وسجلت بذلك سبقا تربويا فريداً ، بفارق زمني شاسع ، على النظريات التربوية الحديثة .

ذلك ان السنة النبوية بينت أن الأفراد يولدون مختلفين ، وكل منهم ميسر ، بالفطرة ، لما خُلِق له ، ولا بد من مراعاة قدراته واستعداداته الفطرية في توجيهه ورعايته ، وكل انحراف أو شطط في معاملته وتوجيهه ، لا يراعي هذه الحقيقة التربوية من شأنه ان يلحق به الأذى ، ويؤدي الى اضطراب التوازن بين جوانب شخصيته .

عن عليّ ، قال : كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً ، وفي يده عود ينكت به ، فرفع رأسه ، فقال :

« ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار . »

قالوا : يا رسول الله ، فلم نعمل ؟ أفلا نتّكل ؟ قال :

« لا . اعملوا فكل ميسر لما خُلِق له ، ثم قرأ : فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى الى قوله : فسنيسره لليسرى » .[3]

---

(1) نوح/14

(2) الأنعام / آخرها (165)

(3) مسلم جـ 8/ص 47

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا الحديث يوحي بدلالات تربوية غاية في الأهمية ، وهي اختلاف وتنوع الميول والقدرات والامكانيات والاستعدادات لدى الأفراد ، إذ أن كلا منهم ميسر لما خلق له ، وبتمازج قدراتهم وميولهم وإمكانياتهم واستعداداتهم وتلاقحها وتكاملها يمكنهم صنع الحياة الفاضلة الخيّرة التي تكفل لهم سعادتهم في هذه الدار التي جعلها الله عزّ وجلّ دار بلاء ، واختبار وتمحيص. كما يوحي الحديث أيضا بضرورة الاهتمام بالقدرات والاستعدادات الفطرية التي يولد بها الفرد منذ طفولته حتى يمكن تنميتها واستثمارها على النحو الأفضل .

وأكدت السنة النبوية في مواضع عديدة ، وجود الفروق الفردية ، بل شبهتها تشبيها هو غاية في الروعة من حيث ايحاءاته التربوية ، فوصفت الناس بأنهم معادن ، كالذهب والفضة وغيرهما من المعادن .

عن أبي هريرة بحديث يرفعه قال :

« الناس معادن كمعادن الفضة والذهب ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا ، والأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف »[1]

إن هذا الحديث يوجه الآباء والمربين الى ضرورة تنويع أساليبهم التربوية بما يتلاءم مع الفروق الفردية التي يجبل عليها الطفل عالية كانت أم عادية ، فهو حاله في الاختلاف عن غيره ، من الأفراد كحال المعادن تختلف في نفاستها وندرتها وقيمتها ، ولا يستهان بأي معدن منها وإن قلت قيمته عن غيره لأنه يسد حاجة ماسة قد تظهر اليه ، ويصلح لغرض معين لا يصلح له سواه .

ولا ريب في أن الأسلوب التربوي الذي يفلح في توجيه هذا الناشىء قد لا يفلح في توجيه غيره ، ولو كان توأما له ، لما يوجد بينهما من فروق

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 41-42

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فردية موروثة .

وقد راعت السنة النبوية مبدأ « الفروق الفردية » في معاملة الأفراد حتى يتم توجيههم وإرشادهم وتعليمهم على أسس تربوية سليمة ، وتفهم واع لاختلاف مستوياتهم من حيث الاستعدادات والقدرات والامكانيات .

قال رسول الله ﷺ :
« أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم »[1]

كما راعت « التمييز » في المعاملة على أساس الفروق الفردية حتى يلقى كل فرد العناية والاهتمام اللازم على قدر حاجته اليه ، وبما يتمشى ومستواه العقلي والتحصيلي ، وبما يساعده على حسن تنمية شخصيته في جوانبها المختلفة .

عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :
« أنزلوا الناس منازلهم »[2]

وقد راعى رسول الله ﷺ ، فعلا في معاملته ، أصحابه مبدأ الفروق الفردية والتمايز بينهم عليهم رضوان الله تعالى ، وذلك قصد تحفيزهم وتشجيعهم على العمل المثمر الخالص لله تعالى في الدنيا والآخرة ، وإحداث التكامل بين قدراتهم واستعداداتهم المتنوعة .

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :
« لو كنت متخذا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبي »[3]

وفي هذا الحديث إشادة بتميز سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في صدق محبته ومودته للرسول ﷺ .

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 4/ص 70 (رواه الديلمي عن : ابن عباس)
(2) ابو داود / جـ 4/ص 411
(3) البخاري / جـ 5 / ص 5

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعن أبي سعيد الخدري يقول قال ﷺ :

« بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي ، وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما دون ذلك ، وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجرّه » قالوا : فما أوّلت ذلك يا رسول الله ؟ قال : « الدين »[1]

وفي هذا الحديث تنويه بقوة تديّن سيدنا عمر بن الخطاب وهو الملقب بالفاروق ، وقوته في الحق ، وتميزه في هذه الصفات عن غيره .

وعن علي رضي الله عنه ، قال ما سمعت رسول الله ﷺ يفدّي أحدا غير سعد ، سمعته يقول « ارم فداك أبي وأمي » أظنه يوم أحد .[2]

وفي هذا الحديث تنويه بشجاعة هذا الصحابي الجليل وتميزه عن غيره في الإقدام . هذه أمثلة للتدليل ، والأحاديث التي جاءت في فضل الصحابة وتمايزهم والفروق الفردية بينهم كثيرة ، ولا يتسع المقام لسردها .

وكان رسول الله ﷺ يراعي في توجيهه وارشاده للصحابة السائلين السمات الغالية عليهم ، فيهدف الى تعزيز الحسن منها ، وتحفيزهم على تجنب السيء منها .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي ﷺ أوصني . قال « لا تغضب » فردد مرارا ، قال : « لاتغضب »[3]

وقد راعى الرسول ﷺ في توجيه الصحابي الذي طلب منه ان يوصيه ، تميزه او تفرده عن سواه بسمة الغضب ، فكرر له النصح مراراً بعدم الغضب .

وبذلك يتضح لنا تأكيد السنة النبوية على ضرورة مراعاة مبدأ الفروق

---

(1) البخاري / جـ 1/ص 12

(2) البخاري / جـ 8/ص 52

(3) نفس المصدر السابق / ص 35

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفردية في المعاملة ، والرعاية التربوية ، ليس فقط بين مختلف الأفراد ، ولكن في مختلف مراحل نمو الفرد الواحد أيضا وذلك لكون نموه العقلي والنفسي والخلقي والاجتماعي والبدني يتطور ويتغير ويتلون من مرحلة الى أخرى .

وبتحليل المضامين التربوية في الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، المذكورة سابقا ، نلمس تركيزاً هاماً على الأسس التربوية التي يجب مراعاتها في العناية « بالفروق الفردية » ومدى أهميتها في تشكيل الشخصية الانسانية بأبعادها المتكاملة : عقليا ووجدانيا وخلقيا واجتماعياً وبدنياً .

ويمكن ان نبيّن فيما يلي أهم تلك الأسس :

1— النظر الى الفروق الفردية بين الناشئين على أساس كونها أمراً طبيعيا ، وهي تشمل جميع نواحي الشخصية . فكما يلاحظ اختلاف الأفراد في الوزن والطول ، والنضارة والشحوب ، والسمنة والنحافة ، فيجب ألاّ يستغرب الآباء والمربون وجود الفروق الفردية في الذكاء وغيره من الاستعدادات العقلية ، وفي الميول والهوايات ، وفي السمات المزاجية كالانطواء والانبساط ، والانفعال والرصانة ، ونحو ذلك .

2— تتصف بعض الفروق الفردية بالصفات الوراثية ، وبعضها يتأثر ويزداد بتأثير البيئة والظروف الاجتماعية المحيطة بالفرد ، ونوع التربية التي يتلقاها ، واذا كان من الصعب التحكم في العوامل الوراثية فانه يمكن التحكم في العوامل المكتسبة باخضاعها للتغيير والتعديل . وهو ما يحمل الآباء والمربين حسن العناية والرعاية بالناشئين كل حسب مستواه وقدراته وميوله واتجاهاته ، قدر الامكان ، وبما يساعده على استكمال نمو شخصيته المتكاملة الجوانب .

3— ان وجود الفروق الفردية من الخصائص البشرية الهامة التي جعلها الله عزّ وجلّ وسيلة بناءة لتنويع وتطوير الحياة وتقدمها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واستمرارها ، فالحياة لا تستقيم اذا كان حظ الناس أجمعين واحداً من حيث درجة الذكاء والقدرات والميول والمواهب والهوايات والمزاج والعواطف ، وغيرها . ولا بد من مراعاة الفروق الفردية وحسن تنميتها وتكاملها مهما كان مستواها وتوظيفها لخير الفرد والجماعة وبما يحقق لهما الاهداف والغايات المشتركة في الحياة .

4— من أهم واجبات الآباء والمربين التعرف على الفروق الفردية لدى أبنائهم واكتشافها اثناء التعليم واللعب والنشاط الترويحي ، وتمكينهم من تنميتها وصقلها حتى يحققوا أقصى قدر ممكن من الجودة والاتقان والابداع .

5— لا بد من تحديد طبيعة الفروق الفردية ، والعوامل المؤثرة فيها وراثية كانت أم مكتسبة ، وكيفية قياسها بغية مراعاة قدرات وامكانيات واستعدادات الأفراد المتنوعة في برامج ومناهج التعليم والتربية .

الوراثة والبيئة
« وأثرهما في النمو »

من أهم العوامل المؤثرة في نمو الوليد البشري ، في مختلف الجوانب ، عامل الوراثة وعامل البيئة . وتشير « الوراثة » الى تلك الخصائص والاستعدادات الفطرية لدى الكائن الحي ، منذ اللحظة التي يتم فيها تلقيح الخلية الأنثوية بالخلية الذكرية .

وتأثير عامل الوراثة يتركز فيما يرثه الكائن الحي من صفات واستعدادات فطرية من والديه وأجداده وأسلافه في نوع السلالة .

كما تشير « البيئة » الى مجموعة العوامل الخارجية التي تؤثر في الكائن البشري منذ بداية تكوينه وهو جنين في بطن أمه ، الى أن يولد ، وينمو ويترعرع ويشتد عوده ، والى آخر حياته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا نجد أن الوليد البشري يتأثر بالعوامل البيئية جنيناً ، ويقوى تأثره بها عند ولادته ونموه ونضجه ، وزيادة خبراته وتجاربه ومعارفه واحتكاكه بعناصرها المختلفة ، ويمكنه كذلك ان يكون عنصر تأثير فيها .

وفي الصفحات التالية نستعرض ، بشيء من التفصيل ، أهمية تأثير عامل « الوراثة » وعامل « البيئة » في نمو الكائن البشري . ونبين التضمينات التربوية الخاصة بالوراثة والبيئة في السنة النبوية ، واهتمامها بتأثيرها في تنشئة الانسان ، وبناء شخصيته .

أولا ـ الوراثة :

أكدت جميع الأبحاث التي أجراها علماء النفس والتربية أهمية عامل « الوراثة » في تكوين الكائن البشري ، وما يولد به من قدرات واستعدادات وخصائص فطرية ، لها أبلغ الأثر في نمو شخصيته وفي مستقبل حياته كلها .

ويعتبر جريجور مندل العالم النمساوي(*) المؤسس الأول لعلم الوراثة ، وتعد النتائج التي حصل عليها في تجاربه على نبات « البازلاء » نموذجاً لما يحدث في كل كائن حي ، ومدى تأثره بالعوامل الوراثية الفطرية .

وتأسيساً على ذلك ، فقد أصبحت معالم (علم الوراثة) الجديد تتضح شيئاً فشيئاً ، وأصبح هذا العلم مختصاً بدراسة « الجينات » GENES التي

(*) ولد جريجور مندل في 22 يوليه 1822 من أبوين فقيرين ، في قرية « هينزندروف » بالنمسا وهي تتبع حاليا تشيكوسلوفاكيا . التحق في بداية حياته بأحد الاديرة ببلدة برون وأصبح راهبا ثم قسيسا وبعدها التحق بالجامعة ، وعاد الى « برون » ليعمل بالتدريس في مدرستها الثانوية . وشرع في إجراء تجاربه للكشف عن طلاسم الوراثة ، وأجرى تجاربه على نبات البازلاء ، ولاحظ من خلال تهجين النباتات الطويلة بالقصيرة أن نتاجها يكون كله طويلا . فأطلق اسم الصفة السائدة على الطول ، والصفة المتنحية أو المتوارية على القصر . ثم أطلق من بعده العلماء لفظ جينات Genes على العوامل التي تتحكم في كل من الصفات السائدة والمتنحية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تتحكم في الصفات الموروثة السائدة أو المتنحية لدى الكائن البشري ، وقد اشتق اسم GENES من كلمة يونانية تعني العنصر أو الأصل .

وهكذا يتضح ان المقصود بالوراثة هي كل ما يأخذه الفرد عن والديه « عن طريق ما يسمى بالكروموزومات والجينات . »[1]

والكروموزومات Chromosomes التي سميت بالصبغيات ، لأنه يمكن رؤ يتها باستعمال أصباغ معينة كائنات تشبه العصي أو الخيوط ، وهي توجد في الخلية الملقحة Zygote عند التقاء الحيوان المنوي للرجل Spermatozoon ببويضة الأنثى The Ovum، وتعد الخلية الملقحة أولى مراحل تكوين الجنين .

وقد أثبتت الأبحاث ان الكروموزومات هي التي تنقل العوامل الوراثية عن طريق الجينات أي المورثات التي هي عبارة عن أكياس مائية دقيقة للغاية تصعب رؤ يتها بالمجهر مهما كانت قوته . وعدد الجينات لا يحصى ، وهي التي تحمل الصفات الوراثية من الوالدين ، ولا تخرج أية صفة وراثية في أصلها عن إحدى الجينات ، او مجموعة منها ، ويظهر أثر الوراثة في الذكاء والقدرات العقلية المختلفة ، وفي تركيب الدم من حيث التجلط او السيولة ، وفي السمنة او النحافة ، وفي لون الجلد والشعر وحدقة العين ، وفي خفة الشعر او الصلع ، ونحو ذلك .

وهناك قاعدة عامة وإن لم تكن قطعية في الوراثة تقود الى القول بأن الطفل يولد شبيهاً بوالديه ، وهو ما أكدته الأبحاث العلمية في ميدان الوراثة وتأثيراتها . وهي تشير الى أن « المبدأ العام في الوراثة هو أن الانسان ميال الى ولادة مثيله »[2]

وهذا يعني ان أبناء الأذكياء يرثون عن والديهم صفات « الذكاء »

---

(1) د/سعد جلال / المرجع في علم النفس / ص 57

(2) د. فاخر عاقل / علم النفس / ص 254

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكذلك هو الحال بالنسبة لمتوسطي وقليلي الحظ من الذكاء .

وهو ما يلاحظ في الصفات الجسمانية الظاهرية ، أيضا ، فالأبناء يرثون عن آبائهم « الطول » أو « القصر » و« قسمات وملامح الوجه » ، ونحو ذلك ، وإن كانت تجدر الاشارة الى أن هذه القاعدة لا تنطبق على جميع المواليد انطباقاً كلياً ، بل لها بعض الشذوذ لدى بعض الأفراد الذين لا يكونون صورة طبق الأصل لوالديهم في ذكائهم أو سماتهم او طبعهم ، وهو ما يطلق عليه اسم « الاختلاف أو التنوع » Variation .

ومن المهم أن نشير الى أن الوليد لا يتأثر وراثيا بوالديه فقط ، بل يتأثر كذلك بأجداده وأسلافه ، وإن كانت وراثته عن والديه أكثر من غيرهما ، ذلك أنه كلما تباعد النسب كلما نقص تأثيره الوراثي ، فهو من الجدود في الاحفاد أقل من الوالدين في الأولاد .

والمثال على وراثة الأبناء من الأجداد ، نلمسه في أن بعض الآباء المتوسطي الذكاء قد يلدون أبناء أكثر ذكاء منهم ، وأن بعض الآباء الأذكياء قد يلدون أبناء أقل ذكاء منهم ، وهو ما يلمس ايضا في بعض السمات الظاهرية كلون البشرة والعين والشعر ونحو ذلك .

على أن أهم ما يجب ان نركز عليه هو مدى تأثير « الأسرة » وراثياً على الأبناء ، وهو يعظم مسؤولية الوالدين ، في ضرورة حسن اختيار أحدهما للآخر ، وكفاءته الدينية والعقلية والنفسية والخلقية والصحية للزواج حتى ينجبا أطفالا أصحاء الأبدان والعقول ، أسوياء الأمزجة والنفوس ، فإن الولد يولد شبيهاً ، كقاعدة عامة ، بوالديه ، يرث عنهما كثيرا من خصائصهما العقلية والبيولوجية والفسيولوجية والمزاجية وغيره ، من المميزات والصفات التي تحدد معالم شخصيته المستقبلة ، منذ اللحظة الأولى التي تلقح فيها بويضة الأم ، بالحيوان المنوي للأب .

« . . . وتحمل أنوية الخلايا الجنسية الصفات الوراثية : فهي تأوي أصول المميزات والخواص التي تحدد شخصية الانسان ، ولما كان يستقبل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه العوامل من ناحية أمه كما يستقبلها من ناحية أبيه ، لذا يتحكم في تحديد كل صفة وراثية عاملان ، وتحمل هذه العوامل في نفسها قدرة تطورية ذاتية تتأثر بالظروف الخارجية . . »[1]

إن الحقائق العلمية تؤكد المسؤولية التربوية للآباء والأمهات نحو أبنائهم ، وتبرز مدى تأثيرهم وراثيا في أبنائهم وأحفادهم ، وهو ما يدعو الى ضرورة حسن الاختيار عند الزواج ، ومراعاة توفر الكفاءة والأهلية الدينية والنفسية والعقلية والجسدية .

ولو أنعمنا النظر في التضمينات التربوية في السنة النبوية المطهرة ، لوجدنا انها تولي اهتماما كبيرا « للوراثة » وآثارها في أجيال المواليد ، بل وحققت سبقاً تربوياً فريداً ، يتمثل في سبقها الزمني بقرون طويلة ، للنظريات التربوية الحديثة التي أبرزت أهمية الوراثة ودورها في تحديد صفات ومميزات وخصائص الشخصية الانسانية .

فقد أكدت السنة النبوية تأثير الوراثة ، وذلك فيما يرثه الأبناء من شبه عن والديهم .

عن أم سلمة قالت: جاءت أم سليم الى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل اذا احتلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: (نعم اذا رأت الماء). فقالت أم سلمة: يا رسول الله ، وتحتلم المرأة؟ فقال: (تربت يداك، فبِمَ يشبهها ولدها). [2]

والشبه الذي يشير اليه هذا الحديث بين الأم وولدها ، لا يقتصر على الشبه في السمات الظاهرية كالجسدية والمزاجية ، بل يتعداه الى الصفات والخصائص العقلية والنفسية .

---

(1) د. هربرت جولنر / أطلس الصحة لوحة رقم 2

(2) مسلم / جـ 1/ص 172

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن جانب آخر تبرز لنا السنة النبوية المطهرة أن أثر الأم كأثر الأب في التأثير الوراثي على المولود .

عن أنس قال دخلت على رسول الله ﷺ أم سليم وعنده أم سلمة ، فقالت : المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل فقالت أم سلمة : تربت يداك يا أم سليم فضحت النساء . فقال النبي ﷺ منتصرا لأم سليم . « بل أنت تربت يداك وان خيركنّ التي تسأل عما يعنيها . اذا رأت الماء فلتغتسل » قالت أم سلمه : وللنساء ماء يا رسول الله ؟ قال : « نعم فأين يشبههن الولد إنما هنّ شقائق الرجال . »[1]

وبقوله ﷺ « فأين يشبههن الولد انما هنّ شقائق الرجال » يسبق ما أكدته الأبحاث العلمية الحديثة من أن خصائص ومميزات وصفات الشخصية الانسانية تنتقل من الوالدين الى أبنائهم منذ ان تتم عملية تلقيح بويضة الأم ، بالحيوان المنوي للذكر ، وأن أثر الأم وراثياً في أبنائها لا يقل عن أثر الأب .

وأحيانا يرث المولود الخصائص الوراثية من والده أكثر من أمه ، وأحيانا يحدث العكس .

عن أم سليم حدثت انها سألت نبي الله ﷺ عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل فقال رسول الله ﷺ « اذا رأت ذلك المرأة فلتغتسل » . فقالت أم سليم واستحييت من ذلك قالت : وهل يكون هذا .

فقال نبي الله ﷺ :

« نعم . فمن أين يكون الشبه إن ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فمن أيهما علا أو سبق يكون منه الشبه »[2]

---

(1) الدارمي / السنن / جـ 1/ص 195

(2) مسلم / جـ 1/ص 172

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما أن المولود يرث الخصائص الوراثية لأخواله أو أعمامه .

عن عائشة أن امرأة قالت لرسول الله ﷺ هل تغتسل المرأة اذا احتلمت وأبصرت الماء . فقال : « نعم » فقالت لها عائشة تربت يداك وألّت. قالت : فقال رسول الله ﷺ « دعيها . وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك . إذ علا ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله ، واذا علا ماء الرجل ماءها أشبه أعمامه »[1]

كما أكدت السنة النبوية على أن تأثير الوراثة قد يكون أبعد من الوالدين ، أي قد يكون منحدرا من الأجداد والأسلاف ، وفي هذا التأكيد سبق تربوي فريد .

عن أبي هريرة أن أعرابيا أتى رسول الله ﷺ فقال : ان امرأتي ولدت غلاما أسود ، واني أنكرته ، فقال له رسول الله ﷺ : « هل لك من ابل ؟ » قال : نعم . قال : فما ألوانها ؟ » قال : حمر . قال : « هل فيها من أورق ؟ » قال : إن فيها لورقا . قال : « فأني ترى ذلك جاءها ؟ » قال : يا رسول الله عرق نزعها . قال : « ولعلّ هذا عرق نزعه » . ولم يرخص له في الانتفاء منه .[2]

وهذا الحديث يشير الى تأكيد الأثر الوراثي للأجداد والأسلاف مهما بعدوا ، في الانسان ، وفي الكائنات الحية عموماً ، ففي الحديث ضرب رسول الله ﷺ المثل الحي بالابل حتى يفهم الأعرابي الناكر للون ابنه ، الذي لا يشبهه ، مدى تأثير الوراثة ، فلعل عرق ، قريب او بعيد ، نزعه من أحد الأجداد أو الأسلاف . وهو ما أكدته الأبحاث العلمية حول تأثيرات الوراثة في الخصائص الموروثة عن الآباء ، وعن الأجداد والأسلاف وان علوا .

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 173

(2) البخاري / جـ ٩/ص 125

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبخصوص تأثيرات الوراثة ، ومن الوالدين بالذات ، اهتمت السنة النبوية بالتركيز الكبير على ضرورة حسن الاختيار . فلا بد ان يحسن الرجل اختيار زوجه ، وان تحسن المرأة اختيار بعلها ، ولا بد ان تتوفر في كل منهما شروط « الصلاح » الديني والعقلي والنفسي والخلقي والبدني .

عن عائشة عن النبي ﷺ قال :
« انكحوا الصالحين والصالحات »[1]

ذلك أنه لا بد من « التخيّر » للنطف التي ستحمل الصفات والخصائص الوراثية الى الأبناء وهو من أهم مسؤوليات الوالدين ، ومن شأن حسن الاختيار ان ينتج أجيالا سوية عقليا وسليمة بدنيا .

عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :
« تخيروا لنطفكم ، وانكحوا الأكفاء ، وانكحوا اليهم »[2]

وتركز السنة النبوية على « الصلاح » الروحي والديني في اختيار المرأة التي ستكون أمّاً ، وذلك لكون المرأة المتدينة المستقيمة ، تحفظ لزوجها عرضه وشرفه ، وتنشىء أبناءها على الهداية والصلاح .

فالأم تؤثر في ابنها وراثيا من حيث ما يرثه عنها من خصائص وصفات ومميزات ، وتؤثر فيه بيئيا من حيث توجيهها وارشادها ، ومن حيث تقليد ومحاكاة ابنائها الناشئين لها في سلوكها وتصرفاتها ، ومن حيث مظاهر تقواها وورعها .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :
« تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، وجمالها ، ولدينها ، فأظفر بذات الدين تربت يداك »[3]

---

(1) الدارمي / السنن / جـ2/ص 137
(2) ابن ماجه / جـ1/ص 633
(3) البخاري / جـ7/ص 9

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فالمرأة المتدينة السليمة البدن أفضل من غيرها وان كانت أقل مالا وجمالا وحسباً ، ولا خير في امرأة جميلة او ذات حسب او نسب اذا كانت عليلة او حمقاء او سيئة الخلق ، أو قليلة التقوى ، لكونها ستؤثر في أبنائها تأثيراً سيئاً عن طريق ما يرثونه عنها من خصائص وصفات معتلة أو ما يكسبونه منها من سلوك واتجاهات سيئة .

وهكذا يتبين للآباء والمربين اهتمام السنة النبوية المطهرة بموضوع « الوراثة وتأثيراتها » في المواليد ، والذي يعتبر من أخطر المواضيع التربوية ، وسبقها الفريد للنظريات الحديثة في هذا المجال ، وفتحها لباب البحث والدراسة العلمية على مصراعيه حتى يتسنى « للانسان » بناء حياته على أساس تربوي سليم من الفهم والوعي والتبصر ، وهو مع كشوفاته العلمية المتقدمة لا يزال في حاجة الى المزيد من ارتياد المجهول من خصائص حياته ، وتركيبه ، والكون الذي يعيش فيه .

قال تعالى : « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً »[1]

وهذا تحفيز رباني من الخالق عزّ وجلّ للانسان الذي جعله خليفته في أرضه، على أن يداوم البحث وطلب العلم والمعرفة ، ولا يتوقف عند مقدار معين ما دامت ملكاته وقدراته التي أودعها الله عز وجل في عقله قادرة على المزيد من العطاء والكشف عن خبايا نفسه وحقائق الأشياء من حوله .

ثانيا : البيئة

البيئة هي الوسط الانساني والطبيعي ، بعناصره المختلفة وجملة ظروفه الثقافية والاقتصادية والجغرافية التي تكتنف حياة الوليد البشري ، وتؤثر فيها منذ حمله ثم ولادته وبدء حياته الى آخرها .

---

(1) الاسراء 85

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا نرى أن البيئة في نظر علماء النفس والتربية « عبارة عن النتاج الكلي لجميع المؤثرات التي تؤثر في الفرد من بداية الحمل حتى الوفاة »[1]

وهذا التعريف للبيئة على قصره ، يتميز بالشمول ، فهو يتضمن جميع المؤثرات التي تؤثر في الانسان مهما كان نوعها ، على دورة حياته كلها منذ بداية تخلقه الى وفاته .

وللبيئة تأثير لا ينكر في العوامل الوراثية ذاتها ، ولو كان محدوداً . ولا يخفى ان الابن يرث عن والديه خصائصهما وصفاتهما . ولكن للبيئة تأثيرها الكبير على الأم منذ حملها بابنها من حيث الصحة والمرض وحسن التغذية أو سوئها ، ومن حيث الراحة والتعب ، كما لها تأثيرها على مزاجها من حيث الاضطرابات العصبية والنفسية وهو ما يؤثر بالتالي فيما يرثه طفلها عنها .

وقد بينت بعض الدراسات العلمية ان الجينات التي تحمل الصفات الوراثية ليست محصنة دائما ضد مؤثرات البيئة الخارجية .

« فقد استخدمت أنواع الأشعة المختلفة والكيماويات لاحداث تغييرات فيها ، وهذه التغييرات اذا ما تمت أمكن توريثها للأبناء والأحفاد . ومعنى ذلك إيجاد عامل وراثي عن طريق عامل بيئي . »[2]

مما سبق نلمس أهمية تأثير العوامل البيئية على الانسان . وان كان المقام لا يتسع الى استعراض مسهب لكل العوامل والعناصر البيئية بالتفصيل ، إلا أنه يمكن ان نجمل الاشارة الى أن من أهمها ما يلي :

1— **الأسرة** : وهي البيئة الأولى التي يولد فيها الطفل والتي يلقى فيها التربية والعناية والرعاية ، وبقدر ما تكون معاملته معاملة واعية رشيدة متفهمة لاحتياجاته النفسية والطبيعية وفق مراحل نموه وخصائصها ، بقدر

---

(1) (2) د. سعد جلال / المرجع في علم النفس / ص 63

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما تكون تنشئته سليمة تساعده على تكامل جوانب شخصيته المختلفة . واذا ما لحق بالوسط العائلي اي نقص او اختلال فإنه ينعكس في تكوين شخصية الناشيء . ويعتبر الأب والأم القدوة المثلى للأبناء ، يرون فيهما صورة الكمال ويقلدوهما ويحاكوهما في سلوكهما وتصرفاتهما ، ويكتسبون منهما بالامتصاص والتشرب ، وبطريقة لا شعورية ، كثيرا من القيم والمبادىء والمثل والفضائل الأخلاقية . وما يفتقر اليه الأبوان من السمات والصفات الصالحة ينعكس في مفهوم الأبناء الأخلاقي .

وعليه تعتبر « الأسرة » مهما كان وضعها الاقتصادي او العلمي او الاجتماعي أو السياسي ، من أخطر الأوساط البيئية وأبعدها أثراً ، إيجابا وسلبا في تنشئة الأجيال الجديدة .

2— **وسط الرفاق** : ويعتبر وسط الرفاق في الحي والمدرسة ، وجماعة اللعب ، من أخطر أوساط البيئة بعد الأسرة ، فالطفل منذ سن الخامسة تقريبا يبدأ في الاتجاه الى اللعب مع نظرائه ومخالطتهم ويكتسب منهم كثيرا من أنماط السلوك والتصرفات ، ويعدل سلوكه وتصرفاته وفقا لمقتضيات المواقف التي يشترك فيها معهم . ولذلك فانه من أهم واجبات الوالدين توجيه الناشىء الى حسن اختيار رفاقه ، فالشبيه يميل الى شبيهه وكما يكون القرين يكون قرينه ، اذ أن التأثير والتأثر متبادل بين الأفراد ، وخاصة في مرحلة التكوين الأولى التي لم يتم فيها النضج العقلي بشكل متكامل يجعل الفرد قادراً على التمييز بين الأمور ، واتخاذ المواقف الصحيحة حيالها ، وفق إرادة ذاتية تمنعه من الانسياق الأعمى وراء المؤثرات المختلفة .

3— **الوسط التعليمي** : ونعني به المدرسة والمعاهد والكليات وما اليها والمناهج التي تقوم بتدريسها ، ومدى إشباعها لاحتياجات « المتعلمين » ، ومدى إتاحتها لتكافؤ الفرص وعدالتها بين الجميع ، مع مراعاة ميولهم ومواهبهم وهواياتهم ومستوياتهم العقلية المتنوعة .

فبقدر ما يكون النظام التعليمي بمناهجه المختلفة ملبيا لاحتياجات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الناشئين مع موازنتها باحتياجات البيئة الاجتماعية ، واضعاً في الاعتبار المعاملة التربوية المتفهمة لمراحل نمو الناشئين وخصائصهم النفسية والعقلية والاجتماعية والجسدية ، بقدر ما يمكنهم من تحقيق طموحاتهم وبلوغ أهدافهم الفردية في إطار أهداف وغايات المجتمع ، ويجعل نموهم يتم على أسس متينة من التكامل والانسجام بين جميع جوانب الشخصية .

ويعد الوسط التعليمي ، من أهم العوامل البيئية تأثيرا في الفرد لكونه المجال الذي يتلقى فيه الفرد منذ سنيّ حياته الأولى ، التعليم والاعداد لحياته المستقبلة كلها . وغني عن البيان تأثير الاساتذة والمدرسين والرواد والمشرفين داخل هذه المؤسسات التعليمية ، على الناشئة الذين يمتصون منهم كثيرا من القيم والمواقف والاتجاهات ، خاصة وأن الناشىء يعتبر المربين كالوالدين ويتأثر بهم .

4— **المجتمع** : وهو أوسع الاوساط البيئية المؤثرة في الفرد ذلك أن الفرد لا بد وان يعيش في المجتمع . ويرتبط بأفراده ، ويتعاون معهم في التغلب على المشاكل والعقبات التي لا يستطيع الفرد لوحده مهما كانت جهوده وقدراته ان يتغلب عليها . والفرد لكي تستقيم حياته الاجتماعية لا بد أن يتشرب ويمتص كل القيم والمبادىء والعادات والتقاليد والعرف الاجتماعي ، أي يتمثل ويعي ويحافظ على « التراث الاجتماعي والثقافي » في مجتمعه ، وكما يتأثر الفرد باتجاهات ونظم مجتمعه، فهو يكون عنصر تأثير فيها ، بحفاظه على هذه الاتجاهات والنظم ، وبإثرائها وتنميتها ، أو تبديل وتغيير ما لم يعد صالحا منها وغير قادر على مسايرة الفترة التي يمر بها . وكما لا ينكر دور المجتمع في التأثير على حياة الفرد ، لا ينكر دور الفرد في تغيير وتطوير وتبديل ملامح المجتمع .

ومختصرُ القول فان المجتمع بهيئاته المختلفة : كالمؤسسات التعليمية والثقافية ، والروابط الاجتماعية والمهنية والسياسية وغيرها ، ذو أثر كبير على سلوك الفرد وقيمه واتجاهاته . وبقدر ما يكون المجتمع صالحاً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

متماسكاً متلاحماً ، بقدر ما يشد الفرد الى الارتباط به ويدفعه على الحفاظ على تماسكه وصلاحه ، وحمايته من التفكك والانحلال .

وإذا ما استنطقنا التضمينات التربوية في السنة النبوية بالنسبة لأثر « البيئة » في تنشئة الوليد البشري ، وجدناها توليها عناية واهتماماً كبيراً ، فهي تؤكد تأثيرها الخطير في تكوين شخصية الناشئين .

فبالنسبة لتأثير الأسرة ، تبرز السنة النبوية المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتق الأبوين في حسن رعاية الأبناء وتنشئتهم .

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . والأمير راع ، والرجل راع على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .[1]

وهذه المسؤولية التي يحملها هذا الحديث الشريف للرجل والمرأة بشأن رعاية أولادهما انما توضح أثر الوسط الأسري في تنشئة الوليد منذ مهده .

وتعطينا السنة النبوية أروع وأدق الأمثلة التربوية على أثر الوالدين ليس فقط في الرعاية العامة للوليد ، بل وفي بناء معتقداته الروحية والعقلية والخلقية التي يحملها طيلة حياته .

عن أبي هريرة أنه كان يقول : قال رسول الله ﷺ :
« ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ، ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء . »[2]

وفي هذا الحديث ايضاح كامل لأثر البيئة من خلال الوالدين في

---

(1) البخاري / جـ 7/ص 41
(2) مسلم / جـ 8/ص 52

تكوين شخصية الناشىء وبناء معتقداتها .

وكذلك تؤكد السنة النبوية على تأثير وسط « الرفاق » على الفرد الذي يأخذ عنهم كثيرا من السمات والصفات ، ويؤثرون في أخلاقه واتجاهاته ومعتقداته ومواقفه .

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال :
« إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير . فحامل المسك إما ان يحذيك وإما ان تبتاع منه وإما ان تجد منه رائحة طيبة . ونافخ الكير إما ان يحرق ثيابك وإما ان تجد ريحاً خبيثة . »[1]

إن هذا الحديث يبرز التأثير البيئوي في وسط الرفاق والخلّان فإن كانوا أخيارا تطبع الفرد بحسن أخلاقهم وسلوكهم وقلدهم في الجد وطلب المعالي ، وإن كانوا أشراراً قادوه معهم الى الفساد والضلال ، أو على أقل تقدير وصم معهم بسوء السمعة لكونه وضع نفسه في مواطن الشبهة والريبة .

ويمكن معرفة شخصية الفرد ، وسلوكه وأخلاقه ، من خلال معرفة خلّانه أو رفقائه ، واتجاهاتهم وتصرفاتهم ، فإنما يشده التشابه والتماثل والتلاقي في الميول والنوازع ، وفي الرغبات والتطلعات .

عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال :
« الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل »[2]

كما أكدت السنة النبوية أهمية الوسط التعليمي على الناشئين وأبرزت خطورة تأثرهم بمعلميهم وأساتذهم ، وأوجبت ضرورة اتصاف القائمين بالتعليم والتربية بكمال الخلق وسمو النفوس ، فخير الناس علماؤ هم ، وشرّ الناس علماؤ هم ، وذلك لأثرهم الكبير على حياة الفرد

---

(1) مسلم /جـ 8/ص 37-38
(2) أبو داود / جـ 4/ص 407

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والجماعة حسنا وسوءا .

عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال: سأل رجل النبي ﷺ عن الشرّ . فقال : « لا تسألوني عن الشر واسألوني عن الخير» . يقولها ثلاثا . ثم قال : « إلا أن شرّ الشرّ شرار العلماء . وأن خير الخير خيار العلماء . »[1]

وأكدت أهمية أثر « العلم » الصحيح في تكوين الناشىء ، وحثه على طلبه منذ نشأته ، بل جعله سبيلا الى الجنة .

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً الى الجنة . »[2]

وقد تعوّذ رسول الله ﷺ من (علم لا ينفع) وهو ما نستنتج منه شجب السنة النبوية لأي تعلم او تعليم او علم لا يكون وسيلة لبناء الشخصية السوية المتكاملة روحياًوعقلياً وخلقياً ونفسياً واجتماعياً ، ولا يترتب عليه تغيير ايجابي سويّ في حياة الفرد والجماعة .

عن زيد بن أرقم قال لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول ، كان يقول :
« اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل والهرم ، وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها ، وزكّها أنت خير من زكّاها أنت وليّها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » .[3]

وهذا الحديث يقودنا الى استنباط اهتمام السنة النبوية بالوسط التعليمي الذي هو وسيلة التعلم والتعليم وكسب العلم ، ومدى تأثيره بأجهزته البشرية ، وبمناهجه التعليمية ، وبرامجه المكملة الأخرى ، في

---

(1) الدارمي / السنن / جـ 1/ص 104
(2) الترمذي / جـ 10/ ص 115
(3) مسلم / جـ 8/ 82،81

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نفسية الناشىء وتشكيل شخصيته ، وتزويده بالمعارف والعلوم والخبرات والقيم والمبادىء والاتجاهات .

عن مالك أنه بلغه ان لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال : « يا بني جالس العلماء ، وزاحمهم بركبتيك ، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء »(1)

ولا غرو فإن الناشىء يتأثر بمربيه ومعلميه في سلوكه وتصرفاته وأخلاقه ، ومواقفه واتجاهاته ، الى جانب تنمية مداركه وقدراته العقلية ، ومن هنا تأتي خطورة الوسط التعليمي والعلمي الذي يجب ان يكون فيه « العلم » وسيلة للتغيير الايجابي في الشخصية وبنائها الروحي والخلقي ، ولا خير في علم لا يواكب الفضائل والقيم والمبادىء والمثل العليا وينميها ويقيس نتائجه وآثاره وفقا لمعاييرها .

أما فيما يتعلق بتأثير المجتمع في حياة الفرد ، فقد أكدته السنة النبوية بدعوتها الى الحرص على أن يكون المجتمع متصفا بصفات الخير والمعروف ، والتلاحم والتماسك ، والتراحم والتعاطف ، ومسؤولية المجتمع من مسؤولية كافة أعضائه فرادى ، فالمجتمع ليس إلا مجموعة أفراد بهم يسعد او يشقى ، وينهض او يتردى ، ويتماسك أو يتفكك ويترتب بالتالي على ما يسود فيه من صلاح صلاح الناشئين وعلى ما يسود فيه من طلاح طلاح الناشئين .

عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ :
« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »(2)

ولا غرو ، فان البيئة الاجتماعية القائمة على التعاطف والتراحم والمودة يكون لها أبلغ الآثار الايجابية في حياة الناشئين فيها ، وينعكس في

---

(1) مالك / الموطأ / ص 707
(2) مسلم / جـ 8/ص 20

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سلوكهم ومواقفهم واتجاهاتهم الفردية والاجتماعية خلق المودة والرحمة والعطف ، وهي من أهم وشائج التماسك والتلاحم الاجتماعي .

وهذه البيئة الصالحة هي التي يختفي فيها « المنكر » والفحشاء والرذيلة ويكون الفرد فيها ملتزما بصون المجتمع والحفاظ على تراثه الأخلاقي ، مما يوفر الجو الصالح لتنشئة أجياله الجديدة تنشئة صالحة .

قال أبو سعيد سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان . »[1]

ودرء المنكر ، بما يترتب عليه من مفاسد ، عن المجتمع من واجب الفرد والجماعة . كما ان من واجبهم الدعوة الى الخير والمعروف وسبل الصلاح والهداية .

قال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾[2]

تلك إشعاعات من نور السنة النبوية المطهرة ، التي تستهدف إصلاح البيئة الاجتماعية وإقامتها على دعائم الهداية والخير والمعروف والخلق القويم والتضامن المخلص، لكونها ذات تأثير فعال في تكوين الأجيال الجديدة وبناء شخصياتهم ، وإكسابهم الصفات والخلال الحميدة ، واتصافهم بالصفات الايجابية المرغوب فيها ، حتى يكونوا عنصر بناء وفعالية في حياةالجماعة ، وإنما الأفراد مرآة صادقة لمجتمعهم تطبع فيهم صورته الحقيقية ، حسنة كانت أم مشوهة .

التأثير المتبادل بين الوراثة والبيئة :

اختلف العلماء في قوة تأثير كل من الوراثة والبيئة ، ورجحت بعض

---

(1) مسلم / جـ 1/ص 50
(2) آل عمران / 104

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

آرائهم البيئية على الوراثة ، وذهبت آراء أخرى الى العكس . على أن الاتجاه الحالي في التربية الحديثة يؤكد أهمية كل منهما ، وتفاعلهما معا في التأثير على « الوليد » وتنشئته ، بل واستحالة فصل أثر أحدهما عن الآخر ، او حتى تحديد أثر كل منهما على نحو قطعي .

وذلك لأن الفرد يولد مزوداً ـ وراثياً ـ باستعدادات وقدرات كامنة في الفرد لا تنشط وتنمو إلا بالمؤثرات الخارجية والداخلية المناسبة لها . كما أن البيئة ليست إلا تلك المؤثرات الخارجية ، طبيعية كانت أم إنسانية ، التي تحرك تلك الاستعدادات والقدرات الكامنة في الفرد وتنشطها وتعطيها فرص التفتح والنمو الى أقصى حد ممكن لها .

والأمثلة كثيرة على التفاعل بين عنصري الوراثة والبيئة وتأثيرهما المتبادل على الكائن الحي فمثلا لا بد من تفاعل عنصري الوراثة والبيئة في عملية الابصار . فالفرد يولد مزوداً ـ فطريا ـ بجهاز الإبصار وهو المكوّن من عينيه وتركيبهما من عدسة وشبكية وقرنية وأعصاب مختلفة . وفي البيئة الخارجية توجد مثيرات الضوء . ولا تتم عملية الإبصار إلا بالمثير الخارجي وهو انعكاس الضوء على العين بما فيها من استعدادات فطرية كامنة فيحدث الإبصار.

كذلك هو الحال بالنسبة لبقية الحواس : السمع واللمس والذوق والشم ، وهو على ذلك المنوال بالنسبة للقدرات العقلية ايضا التي تنميها وتصقلها العوامل البيئية المناسبة .

ومهما كان شأن الخلاف في وجهات النظر ، فإنه لا يجب ان نبالغ في تسبيق أهمية البيئة على الوراثة ، أو العكس ، بقدر ما يجب علينا ـ كآباء ومربين ـ تحسين الظروف البيئية بما يوفر فرص التربية الجيدة للناشئين وتنمية قدراتهم واستعداداتهم الفطرية حتى تصل أقصى حد ممكن لها من النبوغ والجودة والاتقان ، وذلك لأن القدرات والاستعدادات التي تهمل ، وتترك على حالها كما يولد بها الكائن البشري فطرياً ، لا تساهم في نمو شخصية الفرد ، ولا في تطور المجتمع ونهضته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان صلاح تربية الناشئين انما هو في الاهتمام والانسجام والتكامل قدر الامكان بين عاملي الوراثة والبيئة ، وبدون أي تقليل او مبالغة في شأن احدهما على حساب الآخر .

« والتربية الحديثة تميل الى تأكيد العوامل الخارجية والعوامل الداخلية معا ، وذلك على خلاف التربية القديمة التي تؤكد أهمية الظروف الخارجية التي تتدخل في ضبط الخبرة وتهمل الى حد كبير العوامل النفسية الداخلية للفرد ، وبذلك لم يتحقق في خبرات التربية التقليدية مبدأ التفاعل الصحيح لأن التفاعل الصحيح يتضمن تأكيد النوعين من العوامل كما يتضمن التوفيق والتنسيق بينهما »[1]

واذا ما استجلينا موقف السنة النبوية من قضية التأثير المتبادل بين الوراثة والبيئة ، لما وجدنا فيها أية معارضة لما أثبتته التربية الحديثة بل نجد أنها سبقت التربية الحديثة في إبراز مدى تأثير كل من الوراثة والبيئة على « الفرد » وتفاعلهما في تنمية قدراته واستعداداته . وصقل ميوله ومواهبه . فالسنّة النبوية تؤكد أهمية « فطرة » الانسان واحتوائها على استعدادات وإمكانات وقدرات كامنة يستحيل الغاؤها وتبديلها بصورة قطعية ، ولا تستقيم تنشئة الانسان على نحو سليم إلا بمراعاتها وتوجيهها وتوفير المناخ التربوي والنفسي الملائم لنموها ، أي تهيئة الظروف الخارجية وتحسينها حتى تؤتي ثمارها في صقل وتنمية وتحريك وتنشيط تلك الاستعدادات والقدرات الفطرية الكامنة .

عن علي ، قال : كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا ، وفي يده عود ينكت به ، فرفع رأسه ، فقال : « ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار » .

قالوا : يا رسول الله ، فلم نعمل ؟ أفلا نتكّل ؟ قال :

« لا . إعملوا فكل ميسر لما خُلِق له » . ثم قرأ : « فأما من أعطى

---

(1) د. الشيباني / تطور النظريات التربوية / ص 350-351 (نقله عن : جون ديوي / الخبرة والتربية / ترجمة محمد رفعت رمضان ونجيب اسكندر / ص 35-39)

واتقى وصدق بالحسنى ، لى قوله : فسنيسره لليسرى » .[1]

إن هذا الحديث يتضمن إيحاءات تربوية غاية في الأهمية فيما يتعلق بالقدرات والامكانات والاستعدادات الموروثة ، والتي ليس في الامكان تبديلها او تغييرها او الغاؤ ها من طرف المؤ ثرات الخارجية .

فلا يمكن ان نخلق من شخص لا يملك موهبة الموسيقى مثلا ، فناناً موسيقياً كبيراً ، ولا من شخص متواضع القدرات العقلية عالماً عبقرياً ، ولا من شخص لا يميل الى الأعمال اليدوية عاملاً ماهراً ، وهلم جراً، ذلك أن المؤثرات الطبيعية والانسانية الخارجية اذا راعت القدرات او الاستعدادات الكامنة ، ووفرت لها فرص التوجيه والتنمية الملائمة ، مكنتها من التفتح والزيادة والعطاء ، أما إذا تجاهلتها وعملت في اتجاه مخالف لها فلن تفلح في صنع امرىء على عكس ما فُطِر عليه . صدق رسول الله ﷺ في قوله : « اعملوا فكل ميسر لما خُلِق له » كل ميسر ان يكون ما هيأه الله تعالى له وفق استعداداته وإمكاناته وقدراته الكامنة كمون النار في الحجر الصوان ، اذا ما قدح انطلق الشرر منه !

هذا بالنسبة لعامل « الوراثة » وتأكيد السنة النبوية لأهميته وخطورته في التربية .

أما بالنسبة لعامل « البيئة » فقد أولته السنة النبوية كل اهتمام وعناية لما له من أثر فعال ـ الى جانب عامل الوراثة ـ في تنشئة الوليد . فعامل البيئة الذي يتمثل في العناصر والمؤثرات الخارجية له خطورته وفعاليته في تحريك وتنشيط وتنمية القدرات والاستعدادات الفطرية التي إن أهملت وأغفلت فلن تساعد « الفرد » على النمو المتكامل ولا المجتمع على التطور والنهضة .

وقد تستغل العوامل البيئية بمؤثراتها المختلفة ، في تضليل وإفساد الفرد البشري منذ نشأته الأولى ، مما يدل على مدى تأثير عنصر البيئة

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 47

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخارجية في التعتيم على الاستعدادات والقدرات الفطرية وطمسها ، وتكديس ركام ثقيل من التعمية عليها ما دامت لا تستطيع الغاءها نهائيا .

عن أبي هريرة أنه كان يقول ، قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، **فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه** كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء . »[1]

ان هذا الحديث يثبت أهمية الفطرة أي الوراثة ، وأهمية البيئة معا . كما يدل على مدى خطورة وفعالية عنصر « البيئة » بمؤثراتها الخارجية في طمس « ما فطر عليه المرء من قدرات واستعدادات » والتعتيم عليها ، والتي لو توفرت لها البيئة الصالحة ، والظروف الملائمة لأعطت أحسن الثمار ، « فالانسان » يولد على الفطرة بريئا طاهراً غير وارث للضلالة او الشرّ اوالخطيئة ، ولكنه قد يضل الصراط المستقيم اذا عاش في الانحراف والسوء والفساد في وسط عائلي سقيم بين أبوين ضالين ، أو في بيئة اجتماعية منحلة مليئة بالانحراف والخطايا .

وهكذا يتضح لنا ان السنة النبوية تؤكد أهمية ما يفطر عليه المرء وراثياً ، وتؤكد فعالية البيئة الخارجية : الطبيعية والانسانية ، في توجيه وتنمية وصقل ما فطر عليه المرء من استعدادات وقدرات كامنة ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

وبذلك تنبه السنة النبوية الآباء والمربين الى ضرورة احترام القوى الطبيعية ، والقدرات والاستعدادات الفطرية لدى الوليد البشري منذ مهده ووفق تدرج نموه بمراحله المختلفة وخصائصها ، وتوفير الوسط البيئوي الصالح له ، روحيا ونفسيا وخلقياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً وترويحياً وتنقية أية شوائب او مظاهر انحراف تعترض طريق تنشئته السليمة ، ومراعاة مستوجبات فطرته البريئة التي فطره الله عزّ وجلّ عليها ، فالانسان خير وبريّ بالفطرة ، واذا ما عاش في « بيئة صالحة »

---

(1) مسلم / جـ 8/ ص 52

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اكتملت هدايته وصلاحه ، واذا ما عاش في « بيئة طالحة » انساق في تيار الضلالة والطلاح .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثواب والعقاب
« وأثرهما في التربية »

تنبنى القيمة التربوية « للجزاء » بشقيه : الثواب والعقاب على أساس إثابة المحسن على أفعاله الطيبة وسلوكه المحمود ، ومعاقبة المسيء على أفعاله السيئة وسلوكه المرذول ، مع مراعاة ألّا يكال الثواب او العقاب بغير حقّ ، وأن يكونا في مستوى الاحسان والاساءة ، حتى يحققا الهدف المنشود منها ، وهو تشجيع المحسن على المزيد من الاحسان ، وإرجاع المسيء عن الانسياق في الاساءة .

ان الجزاء ثواباً كان أو عقاباً لا بد أن يوقع بعدل ونزاهة ، فلا يستفيد منه محسن ، أو يتضرر مسيء ، بغير وجه حق ، فهذا من شأنه ان يدفع الأول الى التحايل او التملق ، ويدفع الثاني الى الانطواء أو التمرد ، فيقع المربي ، في خاتمة المطاف ، في نتائج تربوية سيئة قد تصعب معالجتها ودرء مخاطرها ، لأنه يربي كائناً بشرياً قادراً على تلوين سلوكه وتصرفاته ومواقفه الخارجية ، قد يظهر خلاف ما يبطن ، فيبدي الطاعة بينما هو يضمر التمرد ، ويبدي الانقياد بينما يخفي العصيان ، وهو ما قد ينفجر مرة واحدة وفجأة ، عندما تتهيأ له الظروف الملائمة ، وخاصة عندما يكبر وينضج ويشعر بالنزعة الاستقلالية عن الآباء والمربين .

ومن هذا المنطلق فان من واجب الآباء والمربين مراعاة عدم الافراط او التفريط في كل من الثواب والعقاب لما في مجانبة الحكمة في إكالتهما من نتائج وخيمة تنعكس في تشكيل شخصية الناشىء وتطبعها بسمة الضعف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والانطوائية ، أو بسمة التمرد والعصيان ، وهما أمران غير مرغوب فيهما في تكوين « الفرد » الذي تستهدف التربية الصحيحة جعله عضواً صالحاً في الجماعة ، قادراً على الاعتماد على نفسه ، وشق طريقه في الحياة بثقة وصلابة ومواجهة ما يعترض سبيله من مشاكل وعقبات والتغلب عليها ، أو حسن التكيف معها بما يجنبه الاضطراب والصراع النفسي ، ويجعله سعيداً في حياته .

ولمزيد من الايضاح ، نناقش في ما يلي ، شقي الجزاء : الثواب والعقاب ، كُلّاً على حدة .

أولا ـ الثواب :

للثواب أثر كبير في تربية الناشئين ، بل وفي تحفيز الراشدين أيضا .

وقيمة الثواب التربوية تتمثل في كونه يحفز الناشىء ويشجعه على معاودة « الأفعال » التي يثاب عليها ، ويجعل السرور والابتهاج الذي يحصل في نفسية المثاب دافعاً له على تكرار النتائج المحمودة التي حققها في مختلف أوجه نشاطه .

وهذا ما أكده علماء النفس التربوي الذين يرون انه لكي يتم ثبات وتحسين استجابات الفرد :

« لا بد من توفر عامل الجزاء Reward فالاستجابات اذا لم تؤد الى نوع من الترضية او الجزاء أو الاشباع فإن الفرد لا يحاول تكرارها »[1]

وبذلك فإن أسلوب الثواب يحقق نتائج تربوية ايجابية أفضل من تلك التي يحققها أسلوب العقاب .

وقد أثبتت التجارب « أن العقاب والثواب لا يتساويان في أثرهما ، فأثر الثواب عادة أقوى من أثر العقاب »[2]

(1) د. مصطفى فهمي / الانسان وصحته النفسية ص /239

(2) د. سعيد جلال / المرجع في علم النفس / ص 570.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومرد ذلك الى أن آثار الثواب دائما سارة ، أما آثار العقاب فهي مؤلمة .

ويفضل استعمال « الثواب » كوسيلة جيدة في التعليم والتربية على العقاب لأسباب هامة نذكر منها :

1— يدفع « الثواب » الفرد الى اعادة وتكرار النجاح في أعماله ونشاطه ، وذلك لأثر النتيجة الحسنة في نفسه ، وسروره بها وقد قيل : لا شيء يدفع للنجاح كالنجاح !

2— في الوقت الذي يحفز فيه الثواب الفرد على مداومة الأعمال والأنشطة التي أثيب على نجاحه فيها ، فالعقاب لا يمنعه من الوقوع مرة اخرى في الخطأ الذي عوقب عليه ، بل قد يثبت لديه الزلات والعيوب .

فقد أثبت بعض تجارب العيادات السيكولوجية (النفسية) ان عقاب الطفل على بعض الحركات العصبية كقضم الأظافر او فرقعة الأصابع ، او دعك الأنف ، قد يؤدي الى تثبيتها بدلا من إزالتها .

3— الثواب عادة ما يكون أوضح لدى الفرد من العقاب ، فالطفل الذي يردع من أجل خطأ ما دون ان يوضح له ، أو يرشد الى ما يجب عليه فعله حتى يتلافاه ، قد يكرر ثانية نفس الخطأ ، ويقوده عقابه عليه من جديد الى الاضطراب والصراع النفسي .

4— يدوم أثر الثواب أكثر مما يدوم أثر العقاب ، فالمرء ميال الى استعادة الذكريات السارة واللحظات السعيدة ، بينما يكره تذكر الآلام ولحظات الشقاء ويكبتها في اللاشعور .

5— يدفع الثواب الطفل الى محبة الشخص الذي أثابه ، والداً كان أم معلماً أم رائداً ، وحسن بناء العلاقة معه واحترامه وحب « النشاط » أو العمل الذي يكلفه به ، بينما قد يكره الطفل الشخص الذي أوقع عليه العقوبة ، وكل ما يمت له بصلة من نشاط أو عمل . فقد يكره تلميذ ما مادة ما لكراهيته لمدرسه الذي عاقبه بضرب أو بطرد أو توبيخ مقذع أمام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

زملائه .

وبناء على ما تقدم فان « الثواب » من أفضل الوسائل التربوية في إشباع حاجة الناشىء الى الحب والتقدير والثناء والقبول الاجتماعي ، ودفعه وتشجيعه بالتالي على معاودة الاحسان في الانشطة والأعمال التي يحقق له النجاح فيها ما يحتاج اليه من إشباع لحاجاته النفسية . وهو ما نادى به كثير من علماء النفس والتربية والاجتماع ، وفي مقدمتهم الامام الغزالي بقوله :

« ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل ، وفعل محمود ، فينبغي ان يكرم عليه ، ويجازى بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس . »[1]

على أنه لا بد من التذكير بمراعاة عدم منح الثواب بغير وجه حق ومراعاة . عدم الزيادة والاسراف فيه ، حتى لا يؤدي الى نتائج تربوية وخيمة .

ويجب على الآباء والمربين ان يراعوا في استعمال أسلوب الثواب بعناصره المختلفة ، معنوية كانت أم مادية ، عدة نقاط هامة نذكر منها :

1— عدم الاسراف في استعمال عبارات المدح والاطراء والثناء والاستحسان حتى لا تفقد قيمتها التربوية ، أو تأثيرها الفعال ، او تقود الى الغرور والمباهاة الكاذبة بين الناشئين .

2— مراعاة ألّا يكون الثواب نوعا من الرشوة ، المعنوية او المادية ، حتى لا تدفع الطفل الى السلوك الابتزازي او الانتهازي او النفعي ، الذي يجعله لا يقوم بالعمل لذاته ، ولكن للفائدة التي تعود نيلها على أدائه ، وهو ما قد يفرغ أعمال الطفل وسلوكه من مضمونها الروحي والأخلاقي . واذا ما قلت اثابته او انقطع تكريمه عليها ، تقاعس عن أدائها مع أنها قد تكون من أخص واجباته والتزاماته .

---

(1) الغزالي / احياء علوم الدين / مجلد 2/جزء 8/ص ص 1469

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

3— مراعاة ربط الثواب بالاخلاص والمثابرة في المجهود المبذول من طرف الناشىء لأداء الأعمال التي يكلف بها ، بأقصى حد لقدراته واستعداداته وإمكانياته ، حتى تعزز قيم الاخلاص والجد والمثابرة في نفسه ، وتصبح أساسا لمبادءاته الذاتية ، دون انتظار لدفع من سلطة خارجية او نيل لثواب زائل ، وهو مما يرسخ لدى الناشىء الالتزام الذاتي بأداء الواجبات وإن لم يثب عليها .

4— مراعاة العدالة والنزاهة في الثواب ، واستثماره كوسيلة لتقويم السلوك المعوج ، واصلاح الخلق المعتل ، فلا يجوز مطلقا التمييز في إثابة طفلين كانا على درجة متساوية من الاحسان ، لأن تفضيل أحدهما على الآخر يقود الناشئين الى الشعور بالظلم ، والى كراهية السلوك الحسن ، أو يدفعهم الى الغش والخداع ، ويزعزع ثقتهم واطمئنانهم الى الآباء والمربين .

5— تجنب اتخاذ الثواب وسيلة للتنافس غير الشريف ، أو الحقد والحسد وفساد العلاقات الاجتماعية بينهم ، او إتصافهم بالوصولية والانتهازية ، أو استمرائهم للخضوع والخنوع للآباء والمربين فيتملقونهم ، وتخبت في أنفسهم روح الابتكار والفاعلية ، والمبادءة الذاتية التي هي أساس الاعتزاز بالنفس واحترام الذات .

واذا ما سلطنا أضواء السنة النبوية المطهرة على « الثواب » لوجدناها توليه عناية تامة باعتباره وسيلة تربوية فعالة للتحفيز على العمل الخيّر ، والتنافس الشريف على الصالحات ، والتشجيع على القيام بالأعمال المثمرة ، وتحريك المبادءات الذاتية لدى الأفراد للعطاء والبذل .

والسنة النبوية ترى أن المحسن يجب ان يجازى على إحسانه ، حتى تعتز لديه قيم الاحسان والخير والعمل الصالح .

قال تعالى : ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾[1]

---

(1) الرحمن / 60

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا نستشعر أن الشخص الذي يحسن يجب ان يثاب على إحسانه ، لأن في هذه الاثابة تكريما له على جميل صنعه وترسيخا « للاحسان » في نفسه ، فيداوم على عمل الخيرات والقيام بالصالحات بالتزام ذاتي نابع من نفسه لا مفروض من سلطة خارجية وقد كان رسول الله ﷺ يمدح الصحابة ويثني على حسن صنيعهم ، وإحسانهم في أعمالهم ، تشجيعا لهم وتحفيزا على مزيد من الاحسان .

عن علي رضي الله عنه قال: ما سمعت رسول الله ﷺ يفدي أحدا غير سعد ، سمعته يقول :

« أرم فداك أبي وأمي » أظنه يوم أحد[1]

ومن هذا الحديث نلمس أيضا ، عدم إسراف رسول الله ﷺ في إكالة المدح ، فان سيدنا علي كرم الله وجهه أفاد بأنه لم يسمع رسول الله ﷺ يفدي أحدا غير سعد .

وترغب السنة النبوية في أداء الصالحات بما تبديه من كثرة الثواب على الاحسان ، فالحسنة بعشر أمثالها .

قال تعالى :

﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾[2]

إن هذه الآية الكريمة تؤكد أهمية « الثواب » في تحفيز وتشجيع المحسنين على مداومة الاحسان والأعمال الصالحة .

وكان رسول الله ﷺ يبشر بالجنة ، وهي أعلى مراتب الثواب الرباني ، الصحابة الأقوياء في عقيدتهم في الله تعالى المخلصين في طاعتهم له . المتسابقين الى فعل الباقيات الصالحات .

قال سعد : ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض أنه

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 52
(2) الانعام / 160

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام .[1]

وان تبشير النبي ﷺ بإثابة الصحابي عبدالله بن سلام رضي الله عنه بالجنة ، كان يزيده إخلاصاً واخباتاً وقوة في العقيدة ، وفعل الخيرات ، والتحلي بمكارم الأخلاق العظيمة ، وهو ما يدفع غيره من المسلمين الى الاحتذاء به في الأعمال الصالحة ، ويحفزهم على الاخلاص والاحسان في عقيدتهم وعبادتهم وطاعتهم وأعمالهم .

وراعت السنة النبوية خطورة الاسراف في الثواب ، وتقديمه بغير وجه حق : فنبهت على تجنب كثرة « المدح » والاطراء ، وخاصة لمن يخشى عليه من الفتنة والغرور ، مما قد يسبب له نتائج عكسية .

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه أن رجلا ذكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيراً ، فقال النبي ﷺ :

« ويحك قطعت عنق صاحبك ، يقوله مرارا . إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا ، إن كان يرى انه كذلك ، وحسيبه الله ، ولا يزكي على الله أحداً »[2]

وهكذا توضح لنا السنة النبوية في سبق تربوي رائع أهمية الثواب بأنواعه المختلفة ، كوسيلة تربوية فعالة ، وخاصة فيما يتعلق بتحفيز الناشئين ودفعهم الى الاحسان والاتقان في أعمالهم وأنشطتهم المختلفة ، غير أنها تحذر من الاسراف في الثواب ، وإعطائه بغير حق ، لما يترتب على ذلك من نتائج وخيمة قد تقود الى الغرور والمباهاة ، او الى التملق والتزلف ، أو الى الخضوع والخنوع ، كل ذلك بقصد نيل الثواب وكأنه غاية في حد ذاته . ان الثواب في مجال التربية والتعليم يجب ألا يكون غاية في ذاته ، ولكن ينبغي ان يستثمر كوسيلة بناءة الى غايات أبعد وأجلّ .

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 22

(2) البخاري / جـ 8/ص 22

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانياً : العقاب

العقاب بشتى أنواعه: إحدى وسائل التربية التي لا ترتاح اليها النفس البشرية، ولا ينظر اليها احد بعين الرضا والقبول.

ولكنه مع ذلك قد يكون ضرورة من ضرورات التربية، يلجأ اليها « الوالد » أو « المربي » أو « المسؤول » عندما تعوزه الحيلة ولا يجد بدا من معاقبة المسيء لردعه عن تكرار اساءته، وارتداع غيره من النظراء بالعقوبة الموقعة عليه.

ويرى كثير من الباحثين التربويين ان العقاب قد لا يفلح في تغيير سلوك الناشىء على النحو المرغوب فيه، وباقتناع منه بخطأ مواقفه.

فالاكثار مثلا من العقاب واللوم والتوبيخ قد يجعل الطفل يعتاد عليه، فلا يؤثر فيه، ولا يجعله يرعوي عما يقع فيه من أخطاء.

ويقول الامام الغزالي في شأن توجيه الطفل المسيء:
« ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملامة، وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه. »[1]

والأسلوب الأفضل تربويا هو التسامح مع الطفل عندما يخطىء في المرة الأولى ، وعدم هتك سرّه بعتابه علنا أمام نظرائه مما يجعله يستشعر المهانة والذلة ، واذا كان لا بد من عتابه فليكن سرّاً مع توجيهه وترشيده حتى يقتنع بخطئه فيعمل على تلافيه ، من نفسه ، مستقبلا .

ولا نستغرب أن تقود التربية القاسية ، القائمة على أسلوب العقاب ، الى خلخلة شخصية الناشىء ، ودفعه الى أن يكون منطويا سلبياً ذليلاً

---

(1) الغزالي / إحياء علوم الدين / مجلد 2/جـ 8/ص 1469

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خانعاً ، أو الى أن يكون متمردا عاصياً متعجرفا مخرباً كلما سنحت له الفرص ، كما قد تحمل الناشىء على الكذب والمكر والمخادعة وإظهار ما لا يبطن ليغطي أخطاءه بغية النجاة من العقاب ، وهو ما يفسد أخلاقه وينقص من كرامته واعتزازه بذاته فيصبح عضواً مشلولاً في الجماعة غير صالح لنفسه أو لغيره .

وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون :

« . . . ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين او المماليك أو الخدم ، سطا به القهر وضيّق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه الى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره ، خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعلّمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقاً ، وفسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن وهي الحميّة والمدافعة عن نفسه او منزله ، وصار عيالا على غيره في ذلك ، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها ، فارتكس وعاد في أسفل السافلين »[1]

ومهما يكن من تباين الآراء في شأن العقاب ، فان على الآباء والمربين مراعاة أن يكون العقاب من جنس الذنب المقترف أو الخطأ المرتكب ، بلا قسوة أو عنف وإلاّ أدى الى عكس ما يقصد منه ، وتسبب في تمرد « المعاقب » وحقده ، أو الى خديعته ومكره ، بدلا من أن يكون العقاب بأنواعه وسيلة للردع والتقويم والعبرة .

ولذلك فإن من واجب الآباء والمربين اذا اضطروا الى توقيع العقاب على الناشئين : بلوم او توبيخ أو عتاب ، أو حرمان من ميزة معينة ، مراعاة عدة أمور عامة نذكر منها :

1– مراعاة العدالة في توقيع العقاب ، بحيث تكون العقوبات الموقعة متمشية مع روح العرف أو النظام او القانون او اللوائح وحرفيتها ،

---

(1) ابن خلدون / المقدمة / ص 1043

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تجنباً لأي زيادة أو مبالغة فيها .

2— مراعاة تناسب العقوبات مع مستوى الذنب او الخطأ . وأن تستهدف أساسا تقويم المسيء المنحرف او المهمل ، وتذكيره وتنبيهه الى عدم العود ، لا إشعاره بالكراهية والانتقام منه .

3— مراعاة الحالة النفسية « للمعاقب » ، وظروفه الشخصية والبيئية . ومعرفة ما اذا تكرر وقوعه في نفس الذنب أو الخطأ . وتعود على ارتكابه ، أم كان من غير قصد منه ، فالعقاب كأسلوب تربوي تلجىء اليه الضرورة يجب أن يقود الى التقويم والاصلاح ، وإلا فإنه لا خير فيه .

4— مراعاة « النزاهة » في توقيع العقوبات على المخطئين بغض النظر عن مشاعر منفذي العقاب تجاههم . فلا إسراف في العقاب لكره المخطىء ، ولا تخفيف فيه لمحبته ، فموقع العقاب ، أباً كان أم مربياً ، إنما هو في نظر الناشىء « خصم وحكم » في آن واحد .

5— مراعاة أن يكون في « العقاب » عظة وعبرة للآخرين ، دون تشدد فيه أو قسوة . فاذا ما تسبب طفل في إتلاف بعض الأشياء في المنزل فقد يكفي حرمانه من بعض المزايا كالمصروف المعتاد لعدة أيام ، أو حرمانه من التنزه ونحو ذلك . واذا ما تسبب تلميذ في كسر بعض الأشياء في المدرسة مثلا فيكفي دفع ثمنه او استبداله بغيره ، وفي هذا العقاب ردع للمخطىء ولنظرائه عن العودة الى مثله .

6— مراعاة أن يكون العقاب من جنس الخطأ او الذنب ، حتى يستشعر الطفل العدالة في توقيعه عليه ، ويقتنع بخطئه فيحاول ألا يكرره مرة ثانية . فمثلا يكفي أن يعاقب طفل يزاحم أخوته في الدخول الى إحدى غرف البيت ، او يزاحم زملاءه في الدخول الى الفصل ، بأن يكون آخر من يدخل ، ففي هذا العقاب ردع له ولنظرائه من الوقوع في مثله ، مرة أخرى .

7— إفهام الناشئين بالأسباب التي دفعت الى معاقبتهم ، وتوضيح

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أخطائهم لهم ، حتى يحسوا بأنهم إنما يعاقبون لكي يتجنبوا سيء السلوك والتصرفات والأعمال ، ولكي يكونوا رجالا مستقيمين في مستقبل حياتهم ، وملتزمين ذاتيا بالخلق القويم ، وبذلك يقتنعون بأنهم إنما عوقبوا لمصلحتهم وفائدتهم وليس بقصد إذلالهم والانتقام منهم .

وبدراسة المفهوم التربوي « للعقاب » في السنة النبوية الشريفة ، نلمس ان السنة النبوية أولته اهتماما تاماً ، وسبقت النظريات التربوية الحديثة الى توجيه الآباء والمربين الى معاملة أبنائهم الناشئين معاملة رحيمة قائمة على العطف والحدب والرفق ، متجنبة الايذاء والقسوة والشدة ، وكأن السنة النبوية المطهرة تؤكد لنا منذ عشرات القرون ، وفي سبق تربوي فريد ، ما نادت به التربية الحديثة بأن أسلوب الشدة والقهر والعسف لا تؤدي إلا الى النتائج الوخيمة في تربية الناشئين .

وها هو رسول الله ﷺ يدعو الآباء والمربين الى التحلي بخلق « الرفق » في المعاملة .

عن عائشة عن النبي ﷺ قال :

« ان الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلاّ شانه »[1]

ويؤكد صلوات الله وسلامه عليه أن من يحرم الرفق فقد حرم الخير ، وذلك لكون السلوك المجانب للرفق والقائم على الشدة والقسوة يؤدي دوما الى نتائج غير محمودة ، سواء لصاحبه أو لمن يتولى رعايتهم .

عن جرير عن النبي ﷺ قال :

« من يحرم الرفق يحرم الخير »[2]

وينعي رسول الله ﷺ على أحد الصحابة شدّته وقسوته تجاه بنيه ،

---

(1) مسلم / جـ 8/ ص 22

(2) نفس المصدر السابق / ص 22

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعدم رحمته لهم ، ورفقه بهم .

عن أبي هريرة قال : أبصر الأقرع بن حابس النبي ﷺ وهو يقبّل الحسن ، فقال : إن لي من الولد عشرة ما قبلت أحدا منهم . فقال رسول الله ﷺ :

« انه من لا يرحم لا يُرحم »[1]

وهذه التربية العطوفة الرحيمة الرفيقة بالناشئين لا بد وان تتحاشى أسلوب « العقاب » القائم على الشدة والقسوة ، والمجانب للصواب والتعقل وغير المتفهم لنفسيات الناشئين ، وتقدير مستوى ادراكهم وعقولهم وفهمهم للأمور ، والذين قد يقعون في أخطاء وذنوب لا يعون حقيقتها ، ولا يعرفون أبعادها .

والسنة النبوية المطهرة ترفض العقاب بمعنى التعذيب رفضا باتاً ومهما كانت الدوافع ، وتتوعد القائمين به بعذاب الله تعالى .

عن هشام بن حكيم بن حزام قال : أشهد أني لسمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إنّ الله يعذّب الذين يعذبون الناس في الدنيا »[2]

ويحكي لنا الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه جانباً مضيئا من معاملة رسول الله ﷺ له ، وتسامحه معه ، فيقول :

« خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف ، ولا لم صنعت ولا ألّا صنعت . »[3]

وفي هذه التربية المحمدية البناءة ، المتسامحة العطوفة على الناشئين ، توجيه للآباء والمربين الى تجنب أسلوب العقاب المؤذي وغيرالمجدي واتباع أسلوب الرفق والارشاد والتوعية حتى يستكمل الناشئون بناء شخصياتهم

---

(1) الترمذي / جـ 8/ص 103 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

(2) مسلم / جـ 8/ص 32

(3) البخاري / جـ 8/ص 17

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على نحو سويّ ، وتتوسع مداركهم ، ويتفهموا بالتدريج الواجبات والتكاليف التي يطلب منهم القيام بها ، وفق التزام ذاتي منهم ، وبدون انتظار لدفع أو أمر من سلطة خارجية .

ولئن وجدنا في السنة المطهرة بعض الممارسة الفعلية لبعض أنواع العقاب ، كاللوم والعقاب والتوبيخ ، او التذكير والتنبيه ولفت الأنظار ، فإنما كان ذلك بحكمة ورحمة ، وتقدير للظروف النفسية للأشخاص ، والقصد منه دائما هو الوعظ والتقويم ، لا التشفي والإذلال والقهر ، ولقد ضرب لنا رسولنا الأكرم ﷺ أروع الأمثلة التربوية في هذا الصدد ، والتي يجب ان نستهدي بها في تنشئة أبنائنا في عصرنا الحاضر .

* عن أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلا من الأزد على صدقات بني سليم يدعى « ابن الأتبية » فلما جاء حاسبه ، قال : هذا مالكم ، وهذا هديّة . فقال رسول الله ﷺ : « هلاّ جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا » . ثم خطبنا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد فاني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاّني الله ، فيأتي فيقول هذا مالكم ، وهذا هدية أهديت لي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً ، والله لا يأخذ أحد منكم منها شيئا بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة ، فلأعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر » ثم رفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه ثم قال :
« اللهم هل بلّغت ؟ ! »[1]

ففي هذا الدرس التربوي الرائع نرى أن رسول الله ﷺ أقنع الصحابي « ابن الأتبيّة » بخطئه في أخذه ما لايستحقه وهو ما قال عنه « هدية » ، وحاججه بأن يجلس في بيت أبيه وأمه لينظر هل تأتيه هديته

---

(1) مسلم / جـ6/ص 11-12

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن كان صادقاً ، وجعله امام محاكمة عقلية ذاتية . وكان العقاب الذي وقعه عليه من جنس العمل وذلك بإرجاع ما قال عنه هدية الى مال المسلمين . ثم خطب الناس ، موجها ومرشداً ، ليتعظوا ويعتبروا بخطأ « ابن الأتبيّة » .

ولكنه ﷺ راعى مشاعره فلم يسمه باسمه ولم يشهّر به علنا مما يؤذيه نفسيا ويحط من قدره ويلحق به إهانة قد لا تمحى . وزاد رسول الله ﷺ في إقناع المسلمين عامة في تجنب الخطأ المشار اليه بتبيانه أن من أخذ هدية بغير حقها لقي الله تعالى يحملها على عاتقه يوم القيامة ، وبذلك يلتزم المسلمون ذاتيا وعن اقتناع بعدم الوقوع فيها يغضب الله تعالى ورسوله ﷺ ، ولو كان ذلك في السر وفي غير مرأى من الناس !

وتسوق لنا السنة النبوية المطهرة درساً آخر ، في مراعاة أن يكون العقاب من جنس الخطأ أو الذنب . وأن يكون القصد منه أولا وقبل كل شيء الوعظ والتوجيه والارشاد ، وان تتدرج ألوان العقاب مع مستوى الذنب ، وأن تراعى الحالة النفسية للمعاقب ، والتي يكفيها أحيانا التنبيه والتذكير واللوم بطريقة مناسبة تؤتي مفعولها الايجابي فيها ، فتعود الى جادة الصواب .

عن عبدالله بن عباس أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل ، فنزعه فطرحه وقال :
« يعمد أحدكم الى جمرة من نار فيجعلها في يده » فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به ، قال : لا والله ، لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ .[1]

وفي هذا الدرس التربوي البناء ، نرى رجلا من المسلمين أخطأ في لبس خاتم من ذهب ، فكان عقاب رسول الله ﷺ بنزعه منه ثم طرحه ، ثم التوبيخ على الخطأ دون ذكر لاسم المخطىء ، وتشبيهه للبس

---

(1) مسلم / جـ 6/ص 149

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خاتم الذهب المحرم بجمرة من نار للتنفير منه . وقد أتى هذا الأسلوب التربوي مفعوله الايجابي في نفس المخطىء ، فأدرك خطأه . وعقد العزم على عدم العودة اليه ، فرفض أن يأخذ خاتمه الذي طرحه رسول الله ﷺ لينتفع به ، وزهد فيما كان سببا لغضب رسول الله ﷺ وتوبيخه .

وما أحوجنا الى اتباع هذا الأسلوب التربوي الهادف في كيفية توقيع أنواع « العقاب » بغية الاصلاح والتقويم ، لا التشفي والانتقام ، وبشكل يحفظ للنفس البشرية كرامتها واحترامها .

على ان السنة النبوية وان تضمنت اشارات الى استخدام الضرب في التقويم والتربية ، وخاصة في تعليم الصلاة للناشئين وهم أبناء عشر سنين فإن المقصود هو ضرب « الرحمة » لا ضرب الشدة والقسوة والعنف ، وأوجبت تجنب ضرب الوجه الذي « كرمه » الله تعالى من جهة ، والذي يقع في الرأس وقد تلحق به أضرار جسيمة وغير متوقعة عند الضرب ، من جهة أخرى .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
« اذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه »[1]

ولا شك أن الأب والمربي مدعوان أكثر من غيرهما الى اجتناب ضرب الوجه عندما يعاقبا الناشىء لما قد يلحقه هذا الفعل غير المحمود بالعين او الأذن أو الأنف أو الفم ، أو الوجه عامة ، او الدماغ ، من أضرار فادحة قد تؤدي الى إصابات بليغة لا تعالج ، الى جانب الأذية النفسية للناشىء ، إذ أن ضرب الوجه يشعره بالذلة والمهانة ولا بد من حفظ كرامة الانسان الذي كرمه الله عزّ وجلّ وخلقه على صورته .

في حديث ابن حاتم عن النبي ﷺ قال :
« اذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فان الله خلق آدم على صورته » .[2]

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 32 (2) مسلم / جـ 8/ص 32

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحددت السنة النبوية حدا معيناً لا ينبغي تعديه في معاقبة الفرد أو تعزيره بالجلد ، إلا في حد من حدود الله تعالى .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تعزّروا فوق عشرة أسواط »(1)

على أن هذا العقاب او التعزير ، الذي يجب ألاّ يوقع بطريقة عنيفة ، مؤذية ، فالقصد هو التـأديب ، لا يلجأ اليه إلا بعد نفاذ استعمال أسلوب التوجيه والارشاد ، واللوم والعتاب ، فالرحمة تسبق الشدّة والرفق قبل القسوة .

ذلك ما تراه السنّة النبوية المطهرة في شأن استعمال « العقاب » بأنواعه المختلفة ، كأسلوب تلجىء اليه الضرورة في تربية الناشئين .

أما عقاب الراشدين المكلفين الذين يذنبون عن وعي وإدراك ، ويرتكبون المعاصي وهم يعرفون حرمتها ، فلا مناص منه ، وخاصة فيما يتعلق بحدود الله تعالى ، وحق الجماعة ، وحقوق الأفراد بغية حماية العقيدة والأخلاق والمجتمع .

وتخطىء التربية الحديثة في تنفيرها المطلق من « العقوبة » ومناداتها بنبذ أساليب العقاب كافة في معاملة الناشئين والراشدين على حد سواء .

فالتربية التي لا تتضمن عقوبة لمن يستحقها تنشىء جيلاً منحلاً مفككاً لا يراعي ذمة ولا ضميراً ولا خلقاً ، ولا رباطاً برب أو أهل أو مجتمع كما نراه حاصلا على نحو مؤسف وبشكل جماعي في المجتمعات الحديثة التي يسودها الخواء الروحي والانحلال الأخلاقي والتفكك الاجتماعي ، ولا شكّ أن فساد المجتمع ناجم عن فساد وخطل تربية الفرد ، فما المجتمع إلا مجموع عدد أفراده حاله كحالهم قوة وضعفاً، وتماسكاً وانحلالاً وسمواً وتدنياً .

والعقاب في نظر السنّة النبوية ليس ضروريا لكل شخص ، فهناك

---

(1) ابن ماجه / جـ2/ص 867

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من تصلحه الموعظة والنصيحة والتوجيه فلا حاجة الى عقابه . غير أن الناس ليسوا سواسية في تكوينهم وأمزجتهم فمنهم من لا يردعه إلا « العقاب » خفيفاً كان أم شديداً .

وكما رأينا سالفاً ، فإن السنّة النبوية لا تأخذ بمبدأ العقاب إلا تجاه من لا تنفع فيه الموعظة الحسنة ، والدعوة الى الخير ، والتوجيه السديد ، وبعد صبر على الخطأ والانحراف وفتح باب التوبة النصوح للمخطىء والمسيء .

وتأخذ السنة النبوية بمبدأ التدرج في العقاب ، فمن العتاب واللوم والتوبيخ ، الى التهديد والترهيب والوعيد ، الى توقيع العقاب اللازم ، والحد الرادع . وللعقاب في هذه الحالة فائدة مزدوجة فهو قد يفلح في اعادة المنحرف الى الجادة القويمة ، وفي ذات الوقت يردع من « يشهده » ويقي الجماعة بما يغرسه من تحوط نفسي وتحصّن ذاتي في ألّا يقع الحاضرون فيما وقع فيه المعاقب فينالهم ما ناله .

فبخصوص الموعظة والنصح والتوجيه أولا ، أمر رسول الله ﷺ بأن يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة :

* قال تعالى : ﴿أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾.[1]

والتزم رسول الله ﷺ بهذه القاعدة التربوية الربانية ودعا أصحابه الى وجوب التزام التيسير والتبشير ، وتجنب التعسير والتنفير .

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ :
« يسّروا ولا تعسّروا ، وسكّنوا ولا تنفّروا »[2]

كما أمر ﷺ بأن يصبر على قومه حتى يؤتي النصح والارشاد مفعوله في النفوس الخيّرة .

* قال تعالى ﴿وأصبر على ما يقولون﴾ [3]

---

(1) النحل / 125

(2) البخاري / جـ ٨/ص 36 (3) المزمل / 10

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان رسول الله ﷺ القدوة المثلى في خلق « الصبر » ، فكان قومه يكذبونه ويؤذونه باللسان واليد ، وكان يدعو لهم بالهداية ، ولم ينتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط .

* عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :
« ما خيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما ، فان كان إثما كان أبعد الناس منه . **وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط** إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها لله »[1]

وبتدرج سيكولوجي ومنطقي ينتقل بعد ذلك الى العتاب واللوم والتوبيخ .
* قال تعالى : ﴿ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾[2]

وكان رسول الله ﷺ يحرص على التوجيه والتنبيه ولفت الأنظار الى الأخطاء المرتكبة حتى يعود المخطئون الى الصواب ، ويلتزموا بعدم الوقوع فيها مرة أخرى . فالمقصود هو تربية « النفوس » وترقيتها وتهذيب الأخلاق وهو ما يتأتى بالتوجيه أكثر مما يتأتى بالشدة والعقاب .

* عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ مرّ على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال :
« ما هذا يا صاحب الطعام ؟ » قال : أصابته السماء يا رسول الله .
قال : « أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس . من غشّ فليس مني » .[3]

وفي الحديث توجيه هادف ، وعتاب رقيق ، وتنبيه حاسم الى أن الغشّ ينقص من الايمان ، وليس الغشاش جديراً بأن يكون من أتباع

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 36-37
(2) الحديد / 16
(3) مسلم / جـ 1/ص 69

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رسول الله ﷺ .

ثم ينتقل الى التهديد والوعيد بالعذاب الشديد لعله يهز النفوس الغافلة ويردها الى الصراط المستقيم بعد ان تتدبر حالها وتتبين ضلالها .

قال تعالى :

﴿ . . . وأن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة . ﴾[1]

وقد مارس رسول الله ﷺ أسلوب الانذار والوعيد حتى يؤثر في بعض « النفوس » التي تحمل شيئاً من الخير ، ويمكن ان يعيدها التهديد والترهيب بما ينتظرها إن ظلت على معصيتها ، الى سبل الرشاد والإنابة .

* عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال :

« من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار ، وحرم عليه الجنة . » فقال له رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ قال : « وان قضيبا من أراك . . »[2]

وإن لم تفلح الموعظة الحسنة والتذكير والنصح ، ولم يفلح اللوم والعتاب والتوبيخ ، ولم يفلح التهديد والوعيد والانذار ، كان من المنطقي عقلا وديناً ان توقع العقوبات الرادعة على الذين يصرون على ارتكاب المعاصي والفواحش . والقصد هو إصلاح حال الفرد والجماعة ، بردع المخطئين وإرجاعهم الى الجادة السوية ، ووقاية غيرهم من الانسياق معهم في تيار الضلالة والفساد .

* قال تعالى : ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ (3)

---

(1) التوبه / 74

(2) مسلم / جـ 1 / ص 85

(3) النور / 2

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أمر رسول الله ﷺ بجلد البكرين الزانيين ونفيهما .

* عن زيد بن خالد الجهني قال : سمعت النبي ﷺ :
« يأمر فيمن زنى ولم يحصن جلد مائة وتغريب عام »[1].

وهذا العقاب الذي شرعه الله تعالى إنما هو بقصد حماية المجتمع من الانحلال الأخلاقي والتفكك الاجتماعي ، وصون الأعراض والثقة بين المسلمين الذين هم كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، فكان من العدالة ومن البداهة معاقبة من يحاول تخريب تماسكهم ، وتقويض أخلاقهم ، والاساءة الى عقيدتهم ، فلا رأفة في إقامة حدود الله تعالى بعدل ونزاهة على القريب والبعيد .

* عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ :
« أقيموا حدود الله على القريب والبعيد ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم »[2]

وهذا هو الشأن في توقيع العقاب المناسب على كل جريمة بما يتمشى والأخطار أو الاضرار المترتبة عليها .

* قال تعالى: ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ﴾[3]

ولم يتردد رسول الله ﷺ في إقامة حدود الله تعالى . ومنها حد السرقة ، ولم يقبل الشفاعة ، ولم يفرق في ذلك بين الشريف والضعيف ، كلهم أمام الله سواء .

* عن عائشة رضي الله عنها : أن قريشا أهمتهم المرأة ـ المخزومية التي سرقت ، فقالوا : من يكلم رسول الله ﷺ ومن يجترىء عليه إلا

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 212
(2) ابن ماجة جـ 2/ص 849
(3) المائدة / 38

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أسامة حبّ رسول الله ﷺ فكلم رسول الله ﷺ فقال : « أتشفع في حد من حدود الله » ثم قام فخطب ، قال « يا أيها الناس إنما ظلّ من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحدّ ، وأيم الله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »[1]

وليس المقصود هنا مطلقا القسوة في العقاب على السرقة بقطع الأيدي ، لكن المقصود هو قطع دابر جريمة السرقة ، كجريمة خطيرة ، تمزق الثقة بين أفراد المجتمع ، وتدفعهم الى الشك والظن السيء بعضهم ببعض فتخرق جدار الطمأنينة بينهم وتقطع أواصر التعاون والتماسك والمحبة ، فضلا على ما فيها من استحواذ على مال الناس بالباطل ، وإشاعة البغضاء والكراهية والحقد ، والتقاعس عن العمل المنتج الحلال ونشر للبطالة ما دامت جريمة السرقة وسيلة للكسب ، وفي هذا كله طمس لمعالم الانسانية النبيلة ، وإسفاف أخلاقي يتدنى بالانسان الى أسفل سافلين وهو الذي جعله الله تعالى خليفة له على أرضه ؛ وأمره باقامة حياته وعلاقاته ونهجه على دعائم التقوى والصلاح والاستقامة .

تلك إيضاحات موجزة حاولنا ان نبرز بها اهتمام السنة النبوية المطهرة « بالعقاب » كأحد وسائل التربية ، وعدم التجائها اليه إلا بما تمليه الضرورة القصوى في حماية العقيدة والأخلاق ، والفرد والجماعة ، وحيث لا يجدي أسلوب النصح والارشاد ، والتوجيه والتذكير ، والموعظة الحسنة .

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 199

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأسلوب النبوي الشريف
« في التربية »

يراعي الأسلوب النبوي الشريف في التربية ، خصائص النمو العقلي والنفسي والوجداني لدى الأفراد ، ومستوى إدراكهم ، والحوافز المؤثرة فيهم ، والدوافع التي يمكن ان تثير مشاعرهم ، وتهيء نفوسهم للتلقي والتعلم ، مع احترام مباداءاتهم الشخصية ونشاطهم الذاتي ومشاركتهم الفعالة في عملية التعليم والتربية بفهم ووعي وتبصر ، وليس عن طريق التلقين وحشو الأذهان بالمعلومات والمعارف دون فهمها واستيعابها .

وبذلك نجده أسلوبا حيّاً وفعالاً ، وغاية في الروعة والاعجاز ، سابقا لما توصل اليه الفكر التربوي في العصر الحديث من أسس وقواعد لا بد من اتباعها في تربية الناشئين تربية متكاملة وسوية .

ونستعرض فيما يلي بشيء من الايضاح ، أهم جوانب الأسلوب النبوي الشريف في التربية .

أولا : أسلوب النصح والارشاد

من الأساليب المؤثرة في توجيه الانسان ، أسلوب الوعظ والنصح والارشاد ، خاصة وأن كل امرىء يمكن ان يتأثر بنصائح الأحباب والأقارب والأصدقاء ، وكل من هو أكثر منه دراية وخبرة وعلما وفهما . وللنصيحة او الموعظة أثرها النفسي الكبير في الانسان اذا كانت صادرة عن شخص محبوبٌ لديه تربطه به علاقة المودة والاحترام والتقدير ، ويطمئن الى نصحه وإرشاده ، ويشعر بنبرات الصدق والاخلاص فيه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكثيرا ما أصلحت الموعظة المخلصة والنصيحة الواعية من كانوا على غير هدى ، ومن كانوا على وشك الضياع .

وقد ركز الأسلوب النبوي الشريف على أهمية الموعظة والنصيحة والارشاد الهادف لما له من أثر فعال في التربية .

فأوجب رسول الله ﷺ النصيحة الخالصة الصادقة على جميع المسلمين تجاه بعضهم بعضا ، ورفعا لشأنها فقد عرّف بها الدين ، وقرن النصح لعامة المسلمين بالنصح لله ولكتابه ولرسوله .

* عن تميم الداري ان النبي ﷺ قال :
« الدين النصيحة » قلنا : لمن ؟ قال :
« لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[1]

وجعل رسول الله ﷺ من حق المسلم على المسلم ان ينصحه اذا استنصحه وطلب منه إرشاده في أي شأن من شؤونه يمكنه توجيهه فيه .

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
« حق المسلم على المسلم ست » قيل ما هن يا رسول الله ؟
قال : « إذا لقيته فسلم عليه ، واذا دعاك فأجبه ، واذا استنصحك فانصح له ، واذا عطس فحمد الله فسمّته واذا مرض فعده ، واذا مات فاتبعه »[2]

وباشر رسول الله ﷺ أسلوب النصح والارشاد للمسلمين فيما يعنيهم من أمور دينهم ودنياهم ، بل وفي أخص شؤونهم حتى يتلافوا أية أخطاء قد تسبب لهم ضرراً .

* عن أبي هريرة قال : كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل فأخبره انه

---

(1) مسلم / جـ 1/ص 53
(2) مسلم / جـ 7/ص 3

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تزوج امرأة من الانصار ، فقال له رسول الله ﷺ : « أنظرت اليها ؟ » قال : لا . قال : « فاذهب فانظر اليها فإن في أعين الأنصار شيئاً » [1]

وكان رسول الله ﷺ كلما رأى خطأ في سلوك المسلمين أو في تصرفاتهم ينصحهم بتركه ويرشدهم الى السلوك السويّ والتصرف اللائق .

* عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :
« لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ، ثم يجلس فيه . »[2]

وكان يرشدهم الى الأدعية الصالحة التي تقوي عقيدتهم وترسخ إيمانهم ، وتشبع في نفوسهم السكينة والطمأنينة والسلام .

* عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال :
« إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم إني أسلمت وجهي اليك ، وفوضت أمري اليك ، والجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ منك إلاّ اليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت . واجعلهن من آخر كلامك ، فاذا متّ من ليلتك متّ وأنت على الفطرة » [3]

ولم يمتنع رسول الله ﷺ عن تقديم النصيحة لكل من طلبها ، مع مراعاة حالته النفسية الخاصة .

* عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رجلا قال للنبي ﷺ أوصني . قال « لا تغضب » فردد مرارا . قال « لا تغضب » .[4]

فكأن رسول الله ﷺ لاحظ على السائل كثرة غضبه ، فردد مراراً

(1) مسلم / جـ 4/ص 142
(2) البخاري / جـ 8/ص 75
(3) مسلم / جـ 8/ص 77
(4) البخاري / جـ 8/ص 35

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نصيحته له بترك الغضب ، وفي هذا الحديث إيحاء بضرورة مراعاة الظروف النفسية والمزاجية لمن يقدم اليهم النصح أو الوعظ أو الارشاد .

وأنذر رسول الله ﷺ بالعقاب الأليم يوم القيامة كل صاحب علم وخبرة ودراية لا يقدم النصيحة المفيدة لمن يحتاج اليها .

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « **من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة** »[1]

ومما يزيد في تأثير « النصيحة » نفسيا على الأشخاص شعورهم بالتزام « الناصح » بتطبيق ما يبديه من نصح وإرشاد للآخرين . ولا تأثير لناصح لا يلتزم بتطبيق نصائحه لغيره ، ولا خير في آمر بالمعروف وتاركه ، وناهٍ عن المنكر وآتيه .

* عن أسامة بن زيد . . سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحيّ ، فيجتمع اليه أهل النار فيقولون : يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول : بلى . قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه . »[2]

ولا بد أن يراعى في النصح والارشاد أسلوب التيسير واللين ، وإشعار المنصوح بالمودة والعطف ، والابتعاد عن التعنيف والذم والسباب الذي يؤدي الى النفور والكراهية .

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ :

« **يسروا ولا تعسّروا ، وسكّنوا ولا تنفروا** » .[3]

وقال تعالى :

---

(1) ابو داود / جـ 3/ص 360

(2) مسلم / جـ 8/ص 224

(3) البخاري / جـ 8/ ص 36

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾[1]

هذا باختصار بعض ما تراه السنّة النبوية في شأن أهمية أسلوب النصح والارشاد في « التربية » ، والذي يشترط فيه عدة شروط أساسية ـ تضمنتها الأحاديث السابق ذكرها ـ حتى يؤتي ثماره ، نذكر منها :

1— لا بد من توفر الصدق والاخلاص في النصيحة والارشاد والتوجيه ، وإحساس الناصح بمسؤوليته الدينية والخلقية فيما يقدمه من نصائح وإرشادات وتوجيهات الى غيره ممن يحتاجون اليها ، ويرى أنها تساعدهم على حل مشكلاتهم والتغلب على صعوباتهم .

2— أن يكون الناصح من أهل الدراية والعلم والمعرفة والتجربة والخبرة في المجال الذي يقوم فيه بالنصح والارشاد والتوجيه . وألا يقدم نصائحه بناء على افتراضات شخصية قد تضر أكثر مما تفيد .

3— أن يراعي الناصح الحالة النفسية والمستوى العقلي لمن يقدم اليه نصحه وإرشاده ، بحيث يقدر ظروفه ، ويتفهم مشاكله ، وينتهج أفضل السبل الموصلة الى اقناعه ، والتأثير فيه إيجابيا ، وهذا لا يتم إلّا بأسلوب التبشير والتيسير والملاطفة ، واجتناب أسلوب التقريع والتوبيخ واللوم الشديد لما فيه من تنفير وتحقير .

4— أن يكون الناصح من الملتزمين في سلوكهم وتصرفاتهم ونهجهم في الحياة بالقيم والمبادىء والمثل التي يدعو اليها ، ويوجه الآخرين الى الأخذ بها ، فلا تأثير ايجابياً يرجى من امرىء يخالف فعله قوله ، وسلوكه نصائحه .

5— ان النصح والارشاد واجب ديني واجتماعي على كل فرد مؤهل له لا

---

(1) لقمان / آية 13

بد أن يبديه لكل من يحتاج اليه ، أو يسأله عنه وليس له أن يحجبه عن أحد . ولا تستقيم الحياة المشتركة للأفراد داخل الجماعة إلاّ بتناصحهم وتبادلهم للآراء والأفكار فيما بينهم ، وتوجيه بعضهم بعضا ، كل حسب علمه وفهمه وتجربته وخبرته يكمّل غيره ، فيفيد ويستفيد .

ثانيا : أسلوب التذكير

وهو أسلوب مكمّل لأسلوب النصح والوعظ والارشاد . و« للتذكير » فعالية واضحة في التوجيه التربوي ، والتأثير النفسي اذا ما أحسن استغلال الظرف المناسب ، والطريق المناسبة التي تراعي الحالة النفسية والوجدانية للفرد ومستوى إدراكه وفهمه .

والانسان بفطرته ليس شرّيراً . ولذلك فإن معاملته بالعطف والرقة ، وتذكيره باتباع طريق الخير والفضيلة كلما حاد عنها ، وربط ذلك بعقيدته ورضا الله تعالى عنه في الدنيا والآخرة من جهة ، وحقوق آله وذويه ومجتمعه الذي يحرص على أن يكون عضواً صالحاً فيه من جهة أخرى ، كل ذلك من شأنه ان يؤثر فيه تأثيراً إيجابياً ويجعله يرعوي عن غيّه ، ويعود الى سواء السبيل .

ولا شك أن التذكير ينفع القلوب المرهفة التي تحمل في طياتها الخشوع وإن رانت عليها الغفلة والنسيان بعض الأحيان .

قال تعالى :

﴿فذكّر إن نفعت الذكرى. سيذكر من يخشى﴾[1]

ولتأكيد أهمية التذكير فقد أمر الله عزّ وجلّ نبيّه الأكرم ﷺ باتباع أسلوب التذكير ، وبيّن له أنه إنما بعث مذكّراً .

---

(1) الأعلى / آية 9-10

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال تعالى :

﴿فذكّر إنما أنت مذكّر لست عليهم بمصيطر﴾[1]

ولا شك في فائدة التذكير للمؤمنين ، لكونه يزيح عن عقولهم ما يحجبها عن رؤية الحق .

قال تعالى :

﴿وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [2]

وقد ركزت السنّة النبوية على أهمية وفعالية أسلوب « التذكير » في تربية الفرد واصلاح المجتمع ، وجعلته من مسؤولية الجماعة كلها ، ولا خير في جماعة لا تتواصى بالحق والخير والمعروف ، ولا تتناهى عن الضلال والباطل والمنكر .

* عن اليمان عن النبي ﷺ قال :

« والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ، ولتنهونّ عن المنكر ، أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » . [3]

وكان رسول الله ﷺ يذكّر المسلمين بالجنة والنار ، وما يؤدي اليهما من أعمال ، في أسلوب بليغ مؤثر ، يرقق قلوبهم ويفتّح عقولهم ويهزّ نفوسهم ، حتى كأنهم يرون الجنّة والنار عياناً ، فيحفزهم على اتباع سبيل الجنة ، واجتناب سبيل النار بقناعة والتزام ذاتي .

* عن حنظلة الأسيدي . . . قلت : نافق حنظلة يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : (وما ذاك ؟) قلت : يا رسول الله نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنة حتى كأنّا رأي عين ، فاذا خرجنا من عندك عافسنا

---

(1) الغاشية / آية 21-22

(2) الذاريات / آية 55

(3) (الترمذي /جـ 9/ص 17 (وقال عنه : حديث حسن)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا . فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي ، وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات »[1]

ثالثا : أسلوب القدوة :

تعتبر « القدوة » من أهم العوامل المؤثرة في تربية الناشئين ، وكذلك في توجيه الراشدين . فالفرد يتأثر بمن يراه « قدوة » له ، ونموذجا للكمال او النجاح او الشهرة ، وذلك عن طريق التقليد والمحاكاة والايحاء والاستهواء .

وقد جعل الله عزّ وجلّ رسوله الخاتم ﷺ بكماله في الخلق والشخصية ، قدوة لكل أتباعه الذين عاصروه او الذين يأتون من بعدهم الى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

* قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾[2]

وفي هذا تأكيد على مدى أهمية « القدوة » أو الأسوة الحسنة في التنشئة والتوجيه .

وأبرزت السنّة النبوية في مواطن عديدة أهمية « القدوة » وفعالية تأثيرها في التربية .

* عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال :

« إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما ان تبتاع منه وإما ان تجد منه ريحاً

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 94-95

(2) الأحزاب / 21

طيبة . ونافخ الكير إما ان يحرق ثيابك وإما ان تجد ريحاً خبيثة » .[1]

ويجب على الشخص الذي ينظر اليه الناشئون على انه « قدوتهم » سواء أكان أبا أم مربيا، أن يحمل مسؤوليات وتبعات « القدوة » حق حملها ، وأن يكون مثالاً حياً لحسن الخلق والسلوك والالتزام حتى يكون تأثيره ايجابيا وفعالاً في نفوس المقتدين به .

وضرب رسول الله ﷺ أمثلة حية رائعة على حسن القدوة ، وفي مناسبات متباينة ، فكان المقدام الشجاع في الحروب ، لا يقتصر على حثّ الناس وتحريضهم على القتال ولكنه يقودهم بنفسه ويتقدم صفوفهم ويثبت بعزيمة فولاذية في وجه الأعداء وعند الملمات وإن ولّى الناس الأدبار .

* عن أنس قال : كان النبي ﷺ أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس الى الصوت وهو يقول : « لن تراعوا ، لن تراعوا » وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج في عنقه سيف ، فقال « لقد وجدته بحرا ، أو أنه لبحر »[2]

وكان رسول الله ﷺ يضرب المثال في المشاركة في « العمل » ، الذي يكلف به الصحابة ، ولا يستنكف من أن يقوم بكل ما يقومون به من عمل عضلي ، ويبذل من الجهد أكثر مما يبذلون . وهو خاتم الرسل أجمعين وأكرم خلق الله ، كل ذلك حرصاً منه على أن يكون قدوة الخير والعمل الصالح .

عن البراء رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه ، وهو يقول : « لولا أنت ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا ، فأنزل السكينة علينا ، وثبت الأقدام إن

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 37-38

(2) البخاري / جـ 8/ص 16

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاقينا ، إن الأولى قد بغوا علينا ، إذا أرادوا فتنة أبينا »[1]

ولقد رأى رسول الله ﷺ وهو معلم البشرية ومنقذها من الضلالة الى الهدى ، أن « القدوة الخيّرة » أكثر تأثيراً في النفوس والعقول من الدعوة بالقول ، أو الاقتصار على مجرد النصح أو الوعظ وإن كان مهما في حد ذاته ، فكان الأسوة الحسنة التي تجسّد دعوتها القولية بتطبيقاتها العملية ، فجذب النفوس ، وأقنع العقول ، فالتفت حوله قلوب المؤمنين الصادقين ، وامتصوا من معين خلقه الكامل ما استحقوا به أن يكونوا الأمناء على رسالته الخاتمة بعد التحاقه بالرفيق الأعلى ، وأن يكونوا واسطة نقل التراث الروحي والخلقي الذي تلقوه في مدرسة النبوّة من جيل الى جيل ، لما فيه من صلاح البشرية وهداها في دنياها وأخراها .

رابعا : أسلوب الحوار :

وهو من أهم أساليب التربية النبوية لما فيه من تشويق ، وشحذ للذهن ، وتقريب للمعاني ، وتشخيص للحقائق ، وتشجيع على المبادءة والمشاركة الذاتية في عملية التعليم والتربية .

وقد استعمل النبي ﷺ أسلوب الحوار كوسيلة فعالة في تعليم الصحابة أمور دينهم ، وركائز عقيدتهم ، وتوضيح الكثير من القضايا الدينية والدنيوية التي تهمهم .

ومن أهم الأمثلة على ذلك في السنّة النبوية « الحوار » الذي جرى بين النبي ﷺ وجبريل عليه السلام في شأن أركان الدين بطريقة مشوّقة وجذابة شدّت انتباه الصحابة الحاضرين ، وهيّأت عقولهم للتلقي والفهم ، ومتابعة الحوار من بدايته الى خاتمته بوعي وتركيز شديدين .

* عن عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم

(1) البخاري /4/ص 31

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منّا أحد ، حتى جلس الى النبي ﷺ فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفّيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الاسلام . فقال رسول الله ﷺ :

« الاسلام أن تشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا » .

قال : صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الايمان . قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الاخر ، والقدر خيره وشرّه » قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الاحسان . قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . قال : فأخبرني عن الساعة . قال : « ما المسؤول عنها بأعلم ، من السائل » . قال : فأخبرني عن أماراتها . قال : « أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » . قال : ثم انطلق فلبثت مليّاً ، ثم قال لي : « يا عمر أتدري من السائل ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »[1] .

وبهذا تبرز السنّة النبوية فعالية الحوار في عملية التعليم والتربية ، ويتوضح ان ما يتم تعلّمه عن طريق الحوار يتصف بالثبات والاستمرار لكون المتعلم يساهم فيه بمشاركته الذاتية وتهيئه للتلقي والفهم ، وانتباهه وتركيزه الذهني على موضوع الحوار .

خامساً : أسلوب الاستجواب :

ويرتبط أسلوب الاستجواب ، بأسلوب الحوار الذي تناولناه في الفقرة السابقة . على أن « الاستجواب » يتميز بكونه وسيلة فعالة لتوجيه

(1) مسلم / جـ /ص 29

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« الناشىء » وإرشاده بالتدريج ، ووفق مستواه العقلي والتحصيلي ، الى التوصل الى حقائق الأشياء بنفسه وتوضيحها له في حالة عجزه ، وفي هذا الأسلوب تنمية للعقل ، وتشجيع على التفكير ، وإبداء الرأي والاجتهاد ، والمبادءة الذاتية ، والمشاركة الشخصية الفعالة في العملية التربوية .

وقد استعمل رسول الله ﷺ أسلوب « الاستجواب » في تعليم الصحابة رضي الله عنهم ، وتشجيعهم على التفكير الصحيح والاستنتاج العلمي ، والاستنباط المنطقي ، قصد تنمية قدراتهم العقلية ، وتوسيع مداركهم وقدح أذهانهم .

* عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وهي مثل المسلم ، حدّثوني ما هي ؟ » فوقع الناس في شجر البادية ، ووقع في نفسي أنها النخلة ، قال عبدالله : فاستحييت ، فقالوا : يا رسول الله أخبرنا بها . فقال رسول الله ﷺ : هي النخلة »[1]

ومن مسؤوليات المربي كما أرشدنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث بعد أن يتيح فرصة التفكير والمبادءة الذاتية للمتعلم ، ارشاده الى الحقائق التي يعجز عن معرفتها بنفسه ، وبذلك لا تكون عملية التعليم والتربية عملية القاء وتلقين ، بل عملية فعالة يتفاعل فيها طرفاها الأساسيان وهما : المعلم والمتعلم .

سادسا : أسلوب التفكير المنطقي :

يرتبط أسلوب التفكير المنطقي ، أو النقاش العقلي ، بأسلوبي الحوار والاستجواب ، ويتكامل بهما .

غير ان ما نريد إبرازه في هذه الفقرة ان السنة النبوية ركزت على

---

(1) البخاري / جـ 1/ص 45

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استعمال « العقل » والتفكير المنطقي السليم في فهم حقائق الأشياء ، والتمييز بين الصواب والخطأ ، والحسن والقبيح ، والحق والباطل ، بالحجة والبرهان والاقتناع ، وليس بالتقليد الأعمى ، أو بالقسر والاكراه .

وقد جعلت الدعوة المحمدية الاقناع المنطقي ، والبرهان العقلي السند الصحيح للايمان السليم ، فشرّفت بذلك العقل البشري ، وأحلته المكانة الرفيعة التي تتوافق وكرامة الانسان كخليفة لله تعالى على أرضه .

ولذلك فقد حثت السنّة النبوية في مواطن عديدة على أسلوب التفكير المنطقي ، والاجتهاد في أعمال الرأي والتفكير في فهم الأمور ومعرفة الحقائق ، وتفسير القضايا التي تهم الانسان في دينه ودنياه .

* عن الحارث بن عمرو بن أخي المغيرة بن شعبة : عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ بن جبل: أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذا الى اليمن قال :
« كيف تقضي اذا عرض لك قضاء ؟ » قال : أقضي بكتاب الله . قال : « فإن لم تجد في كتاب الله ؟ » قال : فبسنّة رسول الله ﷺ . قال : « فإن لم تجد في سنّة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله ؟ » قال : **أجتهد برأيي ولا ألو .**
فضرب رسول الله ﷺ صدره ، فقال « الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله »[1]

وفي هذا الحديث درس تربوي رائع في استبشار النبي ﷺ بعزم معاذ بن جبل رضي الله عنه على استعمال العقل والتفكير المنطقي في قضائه فيما لا يجد فيه حكما في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ .

وهكذا تكرّم السنّة النبوية التربوية « العقل » وتأخذ بأسلوب التفكير

---

(1) ابو داود / جـ 3/ص 330-331

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المنطقي في معالجة القضايا الدينية والدنيوية وتجعله وسيلة لبلوغ « الايمان » السليم ، القائم على الاقتناع والدليل العقلي .

وهي بذلك تدعو الآباء والمربين والمسؤولين عن الرعاية التربوية والاجتماعية الى احترام الفكر ، وإعلاء شأن الاجتهاد في الرأي وتجنب الإكراه في التوجيه او الاقتصار على مجرد التلقين وإلقاء المعلومات وحشوها في الأذهان .

فلا خير في تعليم وتربية لا تعلي من شأن التفكير المنطقي ، وتشجع على المبادءات الفكرية ، والمشاركة الذاتية في تعلم المعارف والعلوم وفهمها واستيعابها .

سابعا : أسلوب الايضاح

أسلوب الايضاح من الأساليب الهامة للغاية في عملية التعليم والتربية ، فلا غنى عنه في تقريب المعاني المجردة الى الأذهان وشرح الحقائق التي قد تغمض على عقول الناشئين ، ولا يستطيعون بجهدهم العقلي الذاتي إدراك كنهها ، أو إدراك بعض جوانبها، أو ارتباطها بغيرها او تأثيراتها وما الى ذلك .

وإذا ما وضعنا في الاعتبار أن مستوى الذكاء والقدرات العقلية لدى الأفراد ليس متساويا ، فمنهم الذكي السريع الفهم ، ومنهم العادي المتوسط الفهم ، ومنهم قليل الحظ من الذكاء البطيء الفهم، أدركنا مدى اهمية « أسلوب الايضاح » وفعاليته في عملية التعليم والتربية ، وحاجة الأفراد جميعا اليه وان اختلف مستوى الحاجة من فرد الى آخر ، هذا من جهة ، وتنوع الحقائق والمعارف والعلوم التي يتلقونها ومدى عمقها وتعقيدها من جهة أخرى .

وكلما كان أسلوب « الايضاح » دقيقاً وواعياً ومتفهماً لحاجات الأفراد ومستواهم العقلي والتحصيلي ومراحل نموهم ، كلما كان مثمراً في نتائجه

الايجابية التي تنعكس في عملية تعليمهم وتربيتهم .

وقد أدركت السنّة النبوية المطهرة أهمية وفعالية أسلوب « الايضاح » في عملية التعليم والتربية ، وركزت على استعماله في مواطن عديدة .

* عن عبدالله قال : خط لنا رسول الله ﷺ خطاً مربعاً ، ثم خط وسطه خطاً ، ثم خط حوله خطوطاً . وخط خطاً خارجاً من الخط ، فقال : « هذا الانسان للخط الاوسط ، وهذا الأجل محيط به ، وهذه الأعراض الخطوط، فان أخطأه واحد نهشه الآخر، وهذا الأمل للخط الخارج »[1]

وهذا التوجيه التربوي النبوي العظيم الذي يعتبر سبقا تربويا لما توصلت اليه التربية الحديثة يؤكد أهمية وسائل الايضاح في الاعانة على التعليم والتربية ، وفعاليتها في شرح حقائق الاشياء وتوضيحها للأذهان ، وتقريب المعاني والمجردات للعقول ، وربط التلقي بالفهم ، والتعليم بالاستيعاب ، والتربية بالوعي والادراك .

ثامناً : أسلوب ضرب الأمثال :

وهو أسلوب مكمّل لأسلوب الايضاح ، ولأهميته فقد أفردنا له فقرة خاصة به لابراز فعاليته وجدواه .

ويعتبر أسلوب ضرب الأمثال ، والتشبيه ، من أهم الأساليب في عملية التربية ، وخاصة في التوجيه العقائدي والخلقي ، لما له من تأثير ايجابي في العواطف والمشاعر ، وفي تحريك نوازع الخير في النفس البشرية اذا ما استعمل بحكمة ووعي في الظرف المناسب نفسيا لحالة الفرد الذي يجعله مهيأ للتأثر بعمليتي الاستهواء والايحاء اللتين تتضمنها التشبيهات والأمثال المضروبة .

---

(1) الدارمي / جـ 2/ص 304

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد ضرب القرآن الكريم كثيرا من الأمثال وأورد العديد من التشبيهات ، وهو ما يؤكد أهمية أسلوب ضرب الأمثال والتشبيه في الدعوة والتوجيه والتعليم والتربية .

وإبرازا لأهمية الأمثال ، قال تعالى :
﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾[1]

وفي التوجيه الخلقي بالأمثال والتشبيهات قال تعالى :

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ○ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون○ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار○﴾[2]

وكذلك نجد السنّة النبوية قد أولت لأسلوب ضرب الأمثال والتشبيه أهمية كبيرة من حيث كونه أسلوبا فعّالاً ومؤثراً في عملية التوجيه والارشاد والتعليم والتربية ، وقد استخدمت هذا الأسلوب مراراً عديدة في تقريب المعاني والمجردات للأذهان ، وشرح الحقائق التي قد يغمض على العقول فهمها ، وخاصة المتعلقة بالأمور الغيبية .

* عن أبي هريرة أن الناس قالوا للنبي ﷺ :
هل نرى ربّنا يوم القيامة ؟ فقال النبي ﷺ :
« هل تمارون في رؤ ية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ » قالوا : لا يا رسول الله . قال : « فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ » قالوا : لا . قال : « فإنكم ترونه كذلك . »[3]

وهكذا قرّب رسول الله ﷺ الى أذهان المسلمين كيفية رؤ ية ربهم عزّ

---

(1) العنكبوت / 43
(2) ابراهيم / 26:24
(3) الدارمي / جـ 2/ص 326

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجلّ يوم القيامة ، وأكّد لهم ـ موضحاً بالتشبيه والمثال أنهم يرونه كما يرون الشمس أو القمر ليس دونها سحاب .

كما استعملت السنّة النبوية الأمثال والتشبيه في الترغيب في الطاعات والتقرب لله تعالى ، كقراءة القرآن والتنفير من تركها .

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ :

« مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة لا ريح لها وطعمها حلو . ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مرّ ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ريحها مرّ وطعمها مرّ » [1]

والأمثال والتشبيهات كثيرة في كتب الحديث ، حتى أن بعض جامعي الحديث أفرد لها بابا خاصا بها كما نجد في صحيح الترمذي ، وهو ما يبرز اهتمام السنة النبوية بأسلوب ضرب الأمثال والتشبيه في التوجيه والارشاد والتربية .

* روي عن عبدالله بن عمر انه قال : حفظت عن رسول الله ﷺ ألف مثل .[2]

تاسعا : أسلوب الربط بين التوجيه والمواقف :

من أهم أساليب التربية أسلوب الربط بين التوجيه والارشاد وبين المواقف او القضايا المعينة التي يعايشها الفرد ، ويكون توجيهه وارشاده بناء عليها فعالا ومؤثرا في نفسه ومشاعره ، ومثبتا لعملية التعلم الذي يتم في هذه الحالة بفهم ووعي وإدراك . وتتضمن السنّة النبوية كثيراً من التوجيهات ـ في مجال التشريع والتهذيب ـ التي ترتبط بمواقف معينة ،

---

(1) الترمذي / جـ 10/ص 308-309 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

(2) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي / جـ 10/ص 295-296

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وذلك قصد ترسيخها وتركيزها ، وربط التعاليم والآداب بالوقائع حتى تكون أكثر ثباتا في ذهن المتعلمين والناشئين . والشواهد على ذلك كثيرة في السنّة النبوية ، ويمكن إيراد بعضها على سبيل المثال لا الحصر :

* عن ابن مسعود قال : قال رجل : يا رسول الله إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها . فغضب رسول الله ﷺ ، ما رأيته غضب في موضع كان أشدّ غضباً منه يومئذ ، ثم قال : « يا أيها الناس إن منكم منفّرين ، فمن أمّ الناس فليتجوّز فإن خلفه الضعيف ، والكبير ، وذا الحاجة »[1]

وقد جاء توجيه النبي ﷺ الى عدم التنفير ، بالاطالة في الصلاة بالجماعة ، ومراعاة الصغير والكبير وذي الحاجة ، مرتبطا بموقف معين وحادثة معينة اشتكى اليه فيها أحد الصحابة رضي الله عنهم من أن تأخره عن صلاة الفجر ناجم عن إطالة إمامهم بهم في الصلاة فكان توجيه النبي ﷺ مقترنا بموقف حيّ .

* عن أبي هريرة قال : أبصر الأقرع بن حابس النبي ﷺ وهو يقبّل الحسن ، فقال : إن لي من الولد عشرة ما قبلت أحداً منهم ، فقال رسول الله ﷺ :

« انه من لا يرحم لا يُرحم »[2]

هذا الحديث يتضمن ربط توجيه رسول الله ﷺ المسلمين الى التحلي بصفات الرحمة والرفق والعطف على الأطفال ، بحادثة معينة ، وهي رؤية الأقرع بن حابس رضي الله عنه لرسول الله ﷺ وهو يقبّل الحسن ، فأبدى دهشته وهو الذي لديه من الولد عشرة لم يقبّل أحداً منهم ، تمشيا مع روح التربية التقليدية والعرف الاجتماعي السائد في عصره ، فأنكر

---

(1) البخاري / جـ 1/ص 180

(2) الترمذي / جـ 8/ص 103 (وقال عنه : حديث حسن صحيح) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رسول الله ﷺ عليه غلظته ، ووجهه الى السلوك الصحيح ، والموقف السليم الذي يجب ان يقفه من أولاده ، وهو : الرحمة ، فإن من لا يَرحم لا يُرحم . وهكذا كان التوجيه مؤثراً وفعالاً لكونه اقترن بواقعة حية تدعمه ، وترسخه في النفوس .

وبذلك فقد أكدت السنّة النبوية المطهرة ان التوجيه كلما ارتبط بمواقف أو وقائع معاشة كلما كان تأثيره أقوى ، ورسوخه أشد في نفوس الناشئين ، إذ يتطابق فيه الجانبان النظري والتطبيقي للعملية التعليمية والتربوية .

عاشراً : أسلوب الممارسة العملية :

يعتبر هذا الأسلوب ، من أهم أساليب التربية ، لكون التعلم والخبرة يتمان **بالطريقة المباشرة الفعالة** التي تتضمن الممارسة الفعلية والنشاط الذاتي للفرد وتسمح له بعنصر المبادءة والاشتراك الفعلي في عملية التعليم والتربية .

وبهذه الطريقة يكتسب الفرد المعارف والمهارات والخبرات اللازمة ويضبطها ويعدلها بناء على تجاربه وممارساته الذاتية .

وهذا الأسلوب الفعال في التربية من الأساليب التي يقرها علم النفس وعلماء التربية في العصر الحديث ، إذ أن « عملية التربية » بجوانبها المختلفة لا تتم عن طريق التلقين والحفظ ، أو النصح والوعظ والارشاد فقط ، بل تحتاج الى « الممارسة الفعلية » والنشاط الذاتي للفرد حتى تتكامل ـ شخصيته ويبني حياته على أساس من الفهم والادراك ، وبمشاركة فعلية مباشرة في صنعها ورسم أبعادها المختلفة .

وقد ركزت السنّة النبوية المطهرة على هذا الأسلوب الهام في التربية الفعالة من خلال القيام بالعبادات والفرائض « كالصلاة » و« الصوم » و« الزكاة » و« الحج » و« الجهاد » وغيرها ، وجليّ للعيان أن هذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« العبادات » ذات تأثير حي ومتواصل ومرتبط بحياة المسلم إما ارتباطاً يومياً « كالصلاة » واما ارتباطاً « سنوياً » كالصوم و « الزكاة » وإما ظرفياً تمليه الضرورة في حماية الوطن، والحفاظ على الدين ونشره « كالجهاد » واما ارتباطاً مكملاً لأركان الاسلام « كالحج » بأدائه مرة واحدة في العمر على الأقل وإثابة من يقوم به أكثر من ذلك. هذا فضلا عن التقرب لله تعالى والتعبد بالنوافل والسنن التي تمثل رافدا حيويا للعبادات المفروضة في تأثيرها على استكمال تربية الفرد وتهذيبه وترقية خلقه وتزكية نفسه.

إن القيام بالعبادات والفرائض يعتبر تربية متصلة مستمرة للفرد، وهذا المفهوم المتكامل للتربية الفعالة سبقت به السنّة النبوية المطهرة النظريات والفلسفات التربوية في العصر الحديث.

وهكذا نلمس أن التربية المحمدية لا تركز على أساليب الوعظ والارشاد والتذكير والتلقين فحسب، بل تركز على أسلوب الممارسة الفعلية كذلك لكونها تتضمن التطبيق العملي المتكرر الذي يساعد على تثبيت المعارف والمعلومات والخبرات وتعديلها وفق التجربة الذاتية، كما يساعد على ترسيخ القيم والمثل والمبادىء الخيّرة في نفس الانسان.

ومن شواهد السنّة النبوية في التركيز على هذا الأسلوب أيضاً، حثّ الرسول ﷺ المسلمين على **الممارسة الفعلية لأعمال الخير** وإشرافه المباشر على قيامهم بها لا الاقتصار على التوجيه اليها أو الاشادة بها.

عن جرير بن عبدالله قال: جاء ناس من الأعراب الى رسول الله ﷺ عليهم الصوف، فرأى سوء حالهم، قد أصابتهم حاجة، فحثّ الناس على الصدقة فأبطأوا عنه حتى رؤي ذلك في وجهه، قال: **ثم إن رجلا من الأنصار جاء بصرّة من ورق، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا** حتى عرف السرور في وجهه، فقال رسول الله ﷺ:

« من سنّ في الاسلام سنّة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الاسلام سنّة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سيئة فعمل بها بعده كتب عليه، مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء . »[1]

والسنّة الحسنة أو السيئة التي تضمنها هذا الحديث تعني الممارسة الفعلية للأمور ، بحيث تصبح طريقة متبعة ، ولا تعني التوجيه أو الارشاد النظري .

ومن شواهد السنّة النبوية المطهرة ، ترك الرسول ﷺ الصحابي الذي أساء صلاته ، يعيدها مرارا ليحاول بالممارسة العملية والتجربة الذاتية التفطن الى أخطائه فيها ، ويصلحها ، حتى تثبت لديه عملية التعلم على مرّ الزمن ، ولم يوجهه الرسول ﷺ الى كيفية آداء « الصلاة » على النحو الصحيح إلا بعد أن عجز عن ذلك بنفسه وبعد ممارسات متعددة .

* عن أبي هريرة أن النبي ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى ، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد النبي ﷺ السلام ، فقال « أرجع فصلّ فإنك لم تصل » . فصلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ ، فقال : « أرجع فصلّ فإنك لم تصلّ » ثلاثا . فقال : والذي بعثك بالحق فما أحسن غيره فعلمني . قال : « اذا قمت الى الصلاة فكبّر ، ثم اقرأ ما تيسّر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها » .[2]

ان هذا الحديث النبوي الشريف يبرز أهم جوانب أسلوب الممارسة الفعلية في التربية : كالمبادءة الشخصية والنشاط الذاتي ، وتمكين « المتعلم » من استعمال قدراته العقلية في الفهم والاستيعاب ، والتعلم

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 61

(2) البخاري / جـ 1/ص 200-201

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن طريق الممارسة المباشرة والتجربة الشخصية ، ومساعدته بالتوجيه والارشاد اللازم اذا لم يستطع بنفسه أن يحسن التعلم أو الأداء او اكتساب المعارف والخبرات والمهارات اللازمة .

أحد عشر : أسلوب القصص :

من أهم أساليب التربية الحديثة « أسلوب التوجيه والارشاد والتربية بالقصص » ، لما لها من تأثير نفسي في الأفراد خاصة اذا ما وضعت في قالب مشوّق يشد الانتباه ، ويؤثر في العواطف والوجدان ، ويجذب الذهن الى محتواها فيتفاعل معها « السامع » ، ويتقمص بعض شخصيات القصة فيحس بإحساسها ، ويستشعر انفعالاتها ، ويرتبط نفسيا بالمواقف التي تواجهها فيسعد بسعادتها ، ويحزن لحزنها ، وهذا مما يثير فيه النوازع الخيّرة لا شعوريا وينعكس في سلوكه وتصرفاته .

ولذلك فإنه يجب مراعاة ايراد القصص ذات المغزى الديني والأخلاقي والانساني الرفيع حتى تؤثر تأثيراً إيجابيا مرغوباً فيه ، في سلوك الناشىء ونوازعه وعواطفه ومواقفه في الحياة . والناشىء يتأثر بما يقرأ أو يسمع من قصص وحكايات مشوقة وهادفة ، فيميل الى المعروف والخير ثم ينتقل بعد ذلك الى فعله ، وينفر من المنكر والشرّ ثم يبتعد عنه ويجتنبه ، متأثرا في الحالتين « بنتيجة »القصة او الحكاية خيراً او شراً ، فالخاتمة الحسنة تشده الى الخير وتحثه عليه وتدفعه الى تقليد بطل القصة في عمله ، والخاتمة السيئة تثير فيه النفور من الشر والابتعاد عنه والتحرز من أن يقع كبطل القصة في سوء أعماله الشريرة .

وقد أبرز القرآن الكريم أهمية القصص الايجابية وتأثيرها النفسي والأخلاقي في التربية وتهذيب النفوس .

قال تعالى :

﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن ،

وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾[1]

كما أبرز دور القصة في التدبر والتفكر والاعتبار .

قال تعالى : ﴿ . . . فأقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾[2]

ووردت في القرآن عدة قصص : كقصة عيسى والخضر عليهما السلام ، وقصة قابيل وهابيل ، وقصة قارون ، وقصة فرعون ، وقصة ذي القرنين ، وقصص عدد من الأنبياء عليهم السلام وغيرها . وركزت هذه القصص على الجوانب الروحية والخلقية التي تزكي الأرواح وتهذب النفوس ، وترقي الوجدان ، وتطهر الأبدان ، وترسخ الفضائل وحب الخير ، وتدعو الى الهداية والصلاح في الدارين .

واهتمت السنّة النبوية بأسلوب القصة كوسيلة تربوية فعالة في التوجيه والارشاد والموعظة والعبرة بما جرى « لأبطالها » . وركزت السنّة النبوية على « القصص » ذات التأثير الروحي والخلقي والاجتماعي والانساني ، مستهدفة غرس الخير والفضائل والقيم والمبادىء والمثل العليا في « النفوس » ، وترقية الوجدان ، وتهذيب السلوك .

والشواهد على ذلك كثيرة ، نذكر منها للايضاح ، « قصة أصحاب الغار » ، لما تضمنته من تشويق وإثارة نفسية تشدّ « السامع » ، وما حوته من إشارات وتضمينات خلقية وإنسانية سامية ، ولخاتمتها السعيدة الايجابية التي جاءت كنتيجة منطقية مقنعة لأعمال الخير التي قام بها « النفر الثلاثة » ، وبذلك فقد توفرت في قصة « أصحاب الغار » على قصرها كل العناصر الأساسية المطلوبة للقصة الرفيعة الهادفة .

* عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

« بينما ثلاثة نفر ممن كانوا قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فآووا الى

---

(1) يوسف / 3

(2) الأعراف / 176

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غار فانطبق عليهم . فقال بعضهم لبعض انه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق . فليدع كلّ رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه . فقال واحد منهم : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه ، وأني عمدت الى ذلك الفرق فزرعته ، فصار من أمره أني اشتريت منه بقرا ، وأنه أتاني يطلب أجره ، فقلت أعمد الى تلك البقر فسقها ، فقال لي : انما لي عندك فرق من أرزّ ، فقلت له : أعمد الى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها . فان كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنّا ، فانساحت عنهم الصخرة .

فقال الآخر : اللهم ان كنت تعلم كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي ، فأبطأت عليهما ليلة فجئت وقد رقدا ، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع ، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي ، فكرهت أن أوقظهما ، وكرهت ان ادعهما فيستكنا لشربتهما ، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر ، فان كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنا ، فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء .

فقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عمّ من أحبّ الناس الي ، وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار ، فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها اليها ، فأمكنتني من نفسها ، فلما قعدت بين رجليها ، فقالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقمت وتركت المائة دينار ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنا ، ففرّج الله عنهم فخرجوا »[1]

ولا نغالي إذا ما قلنا ان هذه القصة النبوية تجسد الفوائد التربوية والتعليمية والتوجيهية « لأسلوب القصص » كوسيلة فعالة من وسائل التربية ، ويمكن أن نذكر أهم تلك الفوائد في ما يلي :

---

(1) البخاري / جـ 4/ص 210

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

1— الأخذ بأسلوب التشويق ، وجذب الانتباه ، وتركيز الذهن ، وإثارة المشاعر ، بما يشد « السامع » الى مجريات القصة حتى يستجلي أحداثها ، ويتعرف على نتائجها .

2— تحفيز السامع أي الاتعاظ والاعتبار بما « حدث » لأبطال القصة ، والتأثر بالأعمال الخيّرة التي توسلوا بها لله تعالى وصدقوا في القيام بها خالصة لوجهه الكريم رغبة ورهبة ، وكانت سبب نجاتهم من المحنة باستجابة الله عزّ وجلّ لدعائهم .

3— دفع السامع الى الاقتداء بالصالحين وأهل الخير ، فالفرد ميال الى تقليد الأبطال والعظام والصالحين سواء أكانوا من معاصريه أم كانوا ممن يسمع او يقرأ عنهم .

وقد توفرت في قصة « أصحاب الغار » العناصر المؤثرة في نفسية السامع بما ساقته من « صفات » ايجابية لأبطالها الذين قاموا بأعمالهم الخيّرة خشية لله تعالى لا لسواه ، ومراعاة لمرضاته واتباعا لأوامره ونواهيه ، وهو ما يدفع « السامع » ال الاقتداء بهم في حياتهم ، وتقليدهم في عملهم الصالح .

4— اشباع حبّ الاطلاع لدى السامع ، فالفرد يميل الى معرفة ما يجهله ويسعى الى الكشف عن حقائق الأشياء وأسرارها ، وسياق هذه « القصة » منذ بدايتها يثير لدى « السامع » الشغف بمعرفة ما جرى لأبطالها الذين انطبق عليهم الغار الذي أووا اليها ، ويزداد انتباها وتشوقاً الى معرفة الخاتمة عندما انتهى الشخص الأول من دعائه فانساحت الصخرة قليلا ، ثم يتصاعد التأثر النفسي عندما « يفرغ الثاني » من دعائه فتنساح الصخرة حتى ترى السماء ، الى أن يصل الخاتمة المؤثرة السعيدة بالانسياح الكامل للصخرة عندما ينهي الشخص الأخير دعاءه لله تعالى .

إن سياق قصة أصحاب الغار جرى بطريقة مشوّقة مثيرة لانفعالات

السامعين ودهشتهم ، وهو ما يجعلهم مشدودين الى متابعة أحداثها منذ بدايتها الى خاتمتها ، ويمتصون بطريقة لا شعورية تضميناتها الروحية والخلقية والانسانية النبيلة .

5— التركيز على « عملية الايحاء » التي تعتبر من أهم الوسائل المؤثرة في التوجيه والتربية ، فأعمال الخير التي أوردتها القصة ، وكانت سببا في نجاة أصحاب الغار الذين توسلوا بها لله تعالى ، تغري « السامع » وتوحي له بفوائد حرصه على الخير واتباعه ، وذلك بانعكاس تأثره النفسي بالنتيجة السارة لتلك القصة في سلوكه وتصرفاته ومواقفه الخيرة في حياته .

إثنا عشر : أسلوب الحكم القصيرة :

من أهم الأساليب التربوية في السنّة النبوية : أسلوب الحكم القصيرة التي كان يلقيها رسول الله ﷺ ببيان ساحر مؤثر يحرك العواطف ، ويثير نوازع الخير بما يحويه من دقة وجمال في التصوير ، وجرس موسيقي عذب و معانٍ رائعة ، ومفاهيم جلية .

والحِكم النبوية القصيرة كأنها قواعد منطقية كلية تتفرع الى جملة من النتائج الجزئية ، وكأنها في اختصارها اختزال غير مخلّ لنتائج المواقف في الحياة . بل أنها ذات ميزة منطقية فريدة في كونها تنطبق على المواقف المتكررة في حياة البشر وإن اختلفت بيئاتهم وعصورهم .

ولهذه الحكم النبوية القصيرة فوائد تربوية خصبة لا تنقطع في التوجيه الديني والأخلاقي والاجتماعي .

والسنّة النبوية المطهرة مليئة بالشواهد على الحكم القصيرة المؤثرة عقليا ووجدانيا في الفرد .

ونذكر من ذلك على سبيل المثال ما يلي :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« الدين النصيحة »[1]
« من لا يرحم لا يُرحم »[2]
« شفاء العيّ السؤال »[3]
« لا حليم إلا ذو عثرة ، ولا حكيم إلا ذو تجربة »[4]
« هلك المتنطعون »[5]
« حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره »[6]
« المجاهد من جاهد نفسه »[7]
« لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين »[8]
« إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث »[9]
« كفى بالمرء كذباً أن يحدّث بكل ما سمع »[10]
« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »[11]

ويمكن للمربين ان يربطوا هذه الأحاديث الشريفة وما يماثلها ، بحوادث ومواقف واقعية ، جرت للناشئين أو لغيرهم من الناس لكي يغرسوا في نفوسهم القيم والمثل والمبادىء التي تدعو اليها ، ويرشدوهم الى الأخذ بتوجيهاتها الدينية والخلقية والاجتماعية ، ويحثوهم على حفظ تلك الأحاديث وفهمها واستيعابها ، والاستهداء بها في حياتهم ، وجعلها

---

(1) مسلم /جـ 1/ص 53
(2) الترمذي / جـ 8/ص 103 (وقال عنه حديث حسن صحيح)
(3) ابن عبد البر / جامع بيان العلم وفضله / جـ 1/ص 105
(4) الترمذي / جـ 8 / ص 186 (وقال عنه : حديث حسن غريب)
(5) مسلم / جـ 8/ص 58
(6) البخاري / جـ 8/ص 127
(7) الترمذي / جـ 7/ص 123 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(8) البخاري / جـ 8/ص 38
(9) الترمذي / جـ 8/ص 156 وقال عنه : حديث حسن صحيح
(10) مسلم / جـ 1/ص 8
(11) مالك / 650

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقياساً لسلوكهم وتصرفاتهم ومواقفهم حتى يتكوّن لديهم حسّ مرهف بالنقد الذاتي ، والالتزام الداخلي النابع من وجدانهم الذي هو أقوى في تأثيره عليهم من جميع أنواع سلطة الضبط الخارجي .

ثلاثة عشر : أسلوب الترغيب والترهيب :

يعد أسلوب الترغيب والترهيب من أهم الأساليب التربوية ، وأبعدها أثراً ، لكونه يتمشى مع طبيعة النفس البشرية التي ترغب فيما يحقق لها السرور والسعادة فتقبل عليه ، وترهب ما يسبب لها التعاسة والشقاء فتنأى عنه .

ولذلك كانت النتائج السارة للأنشطة والأعمال والتكاليف من أهم دوافع ترغيب الفرد في تكرارها المستمر وتحقيق المزيد من النجاح فيها .

كما كانت النتائج المؤلمة لبعض الأنشطة والأعمال من أهم دوافع ترهيب الفرد من معاودة ممارستها ، وعدم الرغبة فيها ، مما قد يسبب مزيداً من الفشل في القيام بها .

على أنه لا بد من مراعاة الحكمة والاعتدال في استخدام أسلوب الترغيب والترهيب في تربية الناشئين ، بحيث لا يؤدي الترغيب الى التملق او المخادعة أو الخنوع ، ولا يؤدي الترهيب الى الخوف او الضعف او الاستسلام .

ولا بد أن يراعى في استعمال هذا الأسلوب وضوح « المرغّبات » و« المرهّبات » ، فاذا ما وضحت صورتها للناشىء حفزته بفاعلية للإقبال على ما يسّره ويسعده ، وللإحجام عما يؤلمه ويشقيه .

وقد ركز القرآن الكريم على أسلوب الترغيب والترهيب ، لأثره الفعال في « الفطرة البشرية » التي خلقها الله عزّ وجلّ ، وهو أعلم بأسرارها وخصائصها ودوافعها وحوافزها ، واستجاباتها وردود أفعالها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الأمثلة القرآنية على أسلوب الترغيب ، ووعد الله عزّ وجلّ لعباده المحسنين ، بزيادة حسناتهم الى عشر أمثالها .

قال تعالى :

﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾[1]

وعد الله تعالى الذين يعملون الصالحات بجنات عدن ، لباسهم فيها ذهب ولؤلؤ وحرير وهو ما يُرَغِّب المؤمنين الصادقين ـ في مداومة الطاعات وزيادة الحسنات حتى ينالوا أعلى الدرجات في جنة الخلد .

قال تعالى :

﴿جنات عدن يدخلونها يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير﴾ [2]

ولا شك في إثابة المحسن على إحسانه تكريما وتشريفاً وتعظيماً .

قال الله تعالى :

﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ [3]

ومن الأمثلة على الترهيب ، تحذير الله عزّ وجلّ فاعلي السيئات من عذاب النار .

قال تعالى : ﴿ومن جاء بالسيئة فكبّت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ [4]

وقد رهّب الله عزّ وجلّ المؤمنين من الآثام والمعاصي التي تقودهم الى عذاب جهنم وأمرهم بالعمل على اتقائها .

---

(1) الأنعام / 160
(2) فاطر / 33
(3) الرحمن / 60
(4) النمل / 90

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[1]

وقد مارس رسولنا الأكرم ﷺ أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة والتوجيه والتربية وراعى فيه معيار الحكمة والاعتدال والظرف المناسب الذي يؤثر في نفسية الفرد ويحفزه ايجابيا في الإقبال على « المرغبات » طلبا لرضا الله عزّ وجلّ وطمعا في ثوابه وفي الإحجام عن « المرهبات » خشية لله عزّ وجلّ واتقاء لعقابه .

ونذكر فيما يلي بعض الأمثلة التي تضمنتها السنّة النبوية على أسلوب الترغيب والترهيب .

* فقد رغّب رسول الله ﷺ في عمل الحسنات وبشر فاعلها بمضاعفتها الى سبعمائة ضعف .

قال ﷺ :

« إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها ، حتى يلقي الله »[2]

ورغّب رسول الله ﷺ في ملازمة طاعة الله عزّ وجلّ والاخلاص له وخشيته في كل الأحوال ، وبشّر بأن جزاء ذلك الجنّة .

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه . إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه ، ورجل قلبه معلق في المسجد ، ورجلان تحابا في الله ، ورجل

---

(1) التحريم 6

(2) مسلم / جـ 1/ص 82

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دعته امرأة ذات منصب وجمال الى نفسها فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه »[1]

ورغّب رسول الله ﷺ في صنائع المعروف ومساعدة المحتاجين ، وجعل جزاءها كالصدقة الخالصة لله تعالى :

* عن أبي ذرّ قال قال رسول الله ﷺ :

« تبسمك في وجه أخيك لك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وارشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة ، واماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة »[2]

ورغّب رسول الله ﷺ في كفالة اليتيم وحسن رعايته ، وبشّر كافل اليتيم بأن يكون رفيقه في الجنة ، وهو ما يؤكد حرصه ﷺ على تقوية روح التكافل الاجتماعي بين المسلمين ، وترغيبهم في الأخذ بأسبابه .

* عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال :

« أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وقال بأصبعيه السبابة والوسطى »[3]

وكذلك هو الشأن في ترغيبه في السعي على الأرملة وإعانة المسكين وجعل الجزاء عليه كالجزاء على الجهاد ، وكالجزاء على صوم النهار وقيام الليل .

* عن صفوان بن سليم يرفعه الى النبي ﷺ قال :

« الساعي على الأرملة والمسكين ، كالمجاهد في سبيل الله ، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل »[٤]

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 203
(2) الترمذي / جـ 8/ص 134-135 (وقال عنه : حديث حسن غريب)
(3) البخاري / جـ 8/ص 10
(4) نفس المصدر السابق ص / 10

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه بعض الشواهد على أسلوب الترغيب في السنّة النبوية سقناها على سبيل الايضاح .

وأما فيما يتعلق بأسلوب الترهيب فقد زخرت به السنّة النبوية أيضا لأهميته في التوجيه والتربية ، ولأثره الفعال في النفس البشرية بما يجعلها ترجع عن غيّها وإسرافها في أمرها .

فقد رهّب رسول الله ﷺ المسلمين من الاتصاف بسيء الأخلاق كالمنّ ، والحلف الكاذب ، والخيلاء ، وحذرهم من أن الله تعالى لا يكلم يوم القيامة من اتصف بها .

* عن أبي ذرّ عن النبي ﷺ قال :
« ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة المنّان الذي لا يعطي شيئا إلاّ منّه ، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر ، والمسبل إزاره »[1]

وأنذر رسول الله ﷺ كل من يأخذ حق غيره بغضب الله تعالى .

* عن ابن مسعود يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« من حلف على مال امرىء مسلم بغير حقّه لقي الله عليه وهو عليه غضبان »[2]

ورهّب رسول الله ﷺ من خطورة الكلام الذي يلقى على عواهنه بغير حق ودون تبينّ ويقين ، مما قد يؤذي الآخرين ، ويعود على قائله بالوبال في الدنيا والآخرة .

عن أبي هريرة سمع رسول الله ﷺ يقول :
« ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ، يزلّ بها في النار أبعد ما بين المشرق »[3]

---

(1) مسلم / جـ 1/ص 36
(2) مسلم / جـ 1/ص 86
(3) البخاري / جـ 8/ص 125

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأنذر رسول الله ﷺ قاطع الرحم بالحرمان من الجنة ، حرصاً منه ﷺ على تمتين الروابط الأسرية وعلاقات القربى .

* عن جُبَيْر بن مطعم أنه سمع النبي ﷺ يقول : « لايدخل الجنّة قاطع »[1]

تلك أمثلة عن أسلوب الترهيب في السنة النبوية أوردناها للايضاح .

ولكي يؤتي أسلوب الترغيب والترهيب أثره النفسي في الفرد بمقارنة النتيجة الايجابية السارة بالنتيجة السلبية المؤلمة في آن واحد فقد جمع رسول الله ﷺ بينهما في العديد من توجيهاته وأوامره ونواهيه .

فقد رغّب في الصدق لكونه يهدي الى الجنة ، ورهب من الكذب لكونه يقود الى النار ، وجمع بينهما كضدين لهما نتيجتان مختلفتان تؤثران تأثيرا نفسيا بالغا في الفرد عندما يقابل بينهما مقابلة منطقية سريعة ، فيجد نفسه مدفوعا الى اتباع سبيل السعادة وتجنب سبيل التعاسة .

عن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ :
« إن الصدق يهدي الى البرّ وان البرّ يهدي الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا . وان الكذب يهدي الى الفجور وإن الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب كذاباً » (2)

ومثل ذلك فقد جمع الرسول ﷺ في توجيه واحد بين الترغيب في سنّ السُنن الحسنة والترهيب ، من سنّ السنن السيئة في الاسلام وترك للمقابلة المنطقية بين نتيجتيها الايجابية والسلبية تفعل فعلها النفسي المؤثر في الاشخاص وتحفزهم الى اتباع « المرغبات » للفوز بثوابها ، وتجنب « المرهبات » اتقاء لعقابها .

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 6
(2) مسلم / جـ 8/ص 29

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن جرير بن عبدالله قال : جاء ناس من الأعراب الى رسول الله ﷺ عليهم الصوف ، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة ، فحثّ الناس على الصدقة فأبطأوا عنه حتى رؤي ذلك في وجهه قال : ثم ان رجلا من الأنصار جاء بصرّة من ورق ، ثم جاء آخر ، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه ، فقال رسول الله ﷺ :

« من سنّ في الاسلام سنّة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء . ومن سنّ في الاسلام سنّة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء »[1]

تلك بعض الشواهد على اهتمام السنّة النبوية بأسلوب الترغيب والترهيب ، واستعماله في الدعوة والتربية والتوجيه ، لكونه من الأساليب المؤثرة نفسيا في مختلف الأفراد بالايحاء والاستهواء والتحفيز ، وإثارة نوازع الخير في النفس البشرية ، واستغلال ميولها الفطرية في ما يفيدها ويحقق سعادتها وسرورها ، واجتنابها لما يؤذيها ويكون مصدر شقائها وآلامها .

ومن المناسب ان نشير الى ارتباط أسلوب الترغيب والترهيب بأسلوب الثواب والعقاب في التربية بجانبيه المعنوي والمادي ، فإنما يكون الترغيب فيما يعود على الفرد بالثواب ، فيطلبه ، والترهيب فيما يعود عليه بالعقاب فيجتنبه .

ولقد اهتمت السنة النبوية اهتماما كبيرا بأسلوب الثواب والعقاب وآثاره البالغة في التربية ، كما تبين لنا من خلال مناقشتنا له في الفقرة المستقلة الخاصة به فيما تقدم ، وتجنبا للتكرار يمكن العودة اليها في مكانها .

أربعة عشر : أسلوب التربية البناءة بالتوبة والغفران : .

إنّ السنّة النبوية الشريفة التي حرصت على توجيه الانسان وارشاده

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 61

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتنمية شخصيته بمختلف الاساليب النبوية الفعالة ، لا توصد الباب أبدا في وجه المخطىء او المسيء او المذنب أو الضال .

ان السنّة النبوية المطهرة حملت في طياتها من المضامين التربوية الرائعة والزاخرة ما يرسي دعائم « تربية بناءة » حقيقية تنتشل الأفراد الضالين من ضياعهم ، وتدلهم على درب النجاة والسلامة ، وتعيدهم الى حظيرة الحياة السوية الرشيدة .

والتربية البناءة في السنّة النبوية تستهدف أساسا وبصورة مستمرة ، انقاذ النفس البشرية من آلامها وآثامها ، ووقايتها من انحرافها وضلالها ، وعلاجها من أمراضها وعللها ، وتطهيرها بالندم والتوبة ، وتزكيتها بالتجاوز عن سيئاتها وغفران ذنوبها ، فتعود الى الصراط المستقيم آمنة مطمئنة عاملة على الخير والصلاح والهدى .

وإن أسلوب « التوبة والغفران » من أقوى وسائل الاصلاح في التربية البناءة ، وهو ما تفطنت اليه النظريات التربوية الحديثة ودعت الى الأخذ به كلما أمكن السبيل ، التماساً لإصلاح المنحرفين وتمكينهم من العودة السوية الى مجتمعهم ، ففي تركهم لانحرافهم يكمن الخطر المحدق بالمجتمع بأسره .

وقد دعا رسول الله ﷺ الى « التوبة » ورغَّب في الاسراع فيها وبشَّر بأن الله تعالى يقبلها لأنها دليل على شعور الشخص بأخطائه وإدراكه لذنوبه ، وعزمه على عدم العودة اليها ، وحرصه على إصلاح شأنه .

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
« من تاب قبل ان تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه »[1]

وضرب رسول الله ﷺ لنا القدوة الحسنة من نفسه الشريفة تشجيعاً وتحفيزاً على التوبة المستمرة لما فيها من تطهير للنفس وتقوية للايمان .

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 73

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :
« يا أيها الناس توبوا الى الله فإني أتوب في اليوم اليه مائة مرة »[1]

وأوضح لنا رسول الله ﷺ ان الله تعالى يفرح أشد الفرح بتوبة عبده ، حثاً لنا على إتاحة فرص التوبة المستمرة للمنحرفين ، لكونها وسيلتهم للخلاص من الانحراف والضلال ، واتقاء شرورهما :
عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضلّه في أرض فلاة »[2]

وأكد رسول الله ﷺ أن الله تعالى يقبل توبة التائبين ، ويغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم ، وكأنه يوجه الآباء والمربين الى فتح باب التسامح والتجاوز والمغفرة لأبنائهم مهما كانت أخطاؤهم وذنوبهم حتى يصلحوا من شأنهم بأنفسهم ويعودوا الى سبل الحياة السوية في مجتمعهم .

* عن جندب أن رسول الله ﷺ حدّث :
« أن رجلاً قال والله لا يغفر الله لفلان ، وان الله تعالى قال من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان ، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك »[3]

وفي هذا الشأن يقول الله عزّ وجلّ :
﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ، ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم﴾[4]

هذه هي التربية البناءة الحقيقية التي تحرص على فتح سبل اصلاح المنحرفين باستمرار ليرجعوا عن غيهم ، ويتركوا ضلالهم ، ويعودوا الى مجتمعهم أعضاء صالحين عاملين على الخير والبر والتقوى .

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 73
(2) البخاري / جـ 8/ص 34
(3) مسلم / جـ 8/ص 36
(4) التوبة / 104

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انها التربية المتسامحة التي تأخذ بأسباب الرحمة لا الانتقام الذي قد يردع ولكنه لا يصلح .

* عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال :
« لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي »[1]

ومن كرم الله عزّ وجلّ ونعمته على عباده أن جعل « الاستغفار » وهو مفتاح الصلاح والرجوع الى سبل الرشاد والهداية مصدر خيري الدنيا والآخرة .

قال تعالى :
﴿ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفّارا ○ يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ○ ﴾[2]

ان التربية البناءة الحقيقية هي التربية التي تشرع أبواب المغفرة ، فتشجع الضالين على ترك ضلالهم ، والتخلص من احتقارهم لأنفسهم ، وتلزم الجماعة بقبول او بتهم اليها وإعانتهم على اعادة بناء حياتهم من جديد على أساس متين من الطهارة والعفة والهدى .

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
« يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، ومن يستغفرني فأغفر له »[3]

تلك بعض الشواهد من السنة النبوية المطهرة على إرساء دعائم « التربية البناءة » السليمة التي تستهدف الاصلاح المستمر « للفرد »

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 95
(2) نوح / 10/ 12
(3) البخاري / جـ 8/ص 88

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بأسلوب التوبة والغفران ، وعدم تركه لضلاله وانحرافه فيضيع ويكون عامل هدم وتقويض في مجتمعه ، وما أحوجنا الى هذا النوع من التربية الايجابية الهادفة في عصرنا الحديث الذي تكتنفه الاتجاهات المادية ، وتنتشر فيه الفلسفات الانحلالية ذات المظاهر البراقة التي تجذب الفرد كما يجذب لهب النار أسراب الحشرات ليحرقها ، وليس هناك من مخرج صالح لأزمات الانسان وضلاله في عصره المادي سوى فتح الباب لأوبته الرشيدة وتوبته الصادقة والتجاوز عن سيئاته ، وغفران ذنوبه ، وتقدير الدوافع النفسية والظروف البيئية التي تدفعه الى ارتكابها . وارشاده وعونه المستمر على التغلب على مصاعبه واصلاح عيوبه ، وسد نقائصه ، والرجوع عن غيّه بالنصيحة المخلصة والتوجيه السليم ، والتسامح والرحمة ، وتجنب الامتهان والاحتقار والاذلال والسباب الذي قد يدفعه الى مزيد من الضلال والانحراف واتباع سبيل الشيطان .

* عن أبي هريرة رضي الله عنه : أُتي النبي ﷺ برجل قد شرب ، قال : « اضربوه ». قال ابو هريرة : فمنّا الضارب بيده ، والضارب بنعله ، والضارب بثوبه ، فلما انصرف قال بعض القوم أخزاك الله . قال « لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان »[1]

وعندما يشعر الفرد التائب بأنه محل « القبول الاجتماعي » برغم أخطائه وسيئاته وذنوبه ، السابقة ، خاصة اذا ما أخلص التوبة وعقد العزم على عدم العودة الى ضلاله ، فإنه سيعمل بروح ايجابية متفائلة على إعادة بناء شخصيته ، وتقويم اعوجاجها ، وإصلاح عيوبها ، وبذلك نكسب « عضواً » في الجماعة كأنه ولد من جديد ، يعمل لخيرها وحمايتها والمساهمة في تحقيق أهدافها وغاياتها .

وقد حثّ الله عزّ وجلّ الذي سبقت رحمته غضبه ، عباده على

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 196

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاسراع في التوبة والاستغفار ، وتكفل بغفران الذنوب للتائبين الصادقين .

قال الله تعالى :

﴿والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾[1]

---

(1) آل عمران / 135-136

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

● الفصل الثاني

التّربيَة الجسميَّة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد بحثنا في الفصل السابق مراحل النمو وخصائصها وأهمية دراستها، وأوضحنا أهم العوامل المؤثرة فيها.

وفي هذا الفصل سنبحث موضوع التربية الجسمية، فنبين أهم خصائص النمو الجسمي وضرورة الاهتمام بها، ونستعرض أهم العوامل المؤثرة في النمو الجسمي، ونوضح أثر النمو الجسمي في النمو العقلي والنفسي والاجتماعي، ثم نختم الفصل بابراز أهم أهداف التربية الجسمية في السنة النبوية.

النمو الجسمي وخصائصه:

تكتنف النمو الجسمي، منذ ولادة الانسان، كثير من التغيرات والتطورات التي تحكم المميزات والخصائص العامة للنمو الجسمي للوليد البشري منذ مهده ومرورا بطفولته وشبابه وحتى اكتمال نموه الجسماني.

وتتأثر تلك الخصائص بكثير من العوامل، منها ما يرتبط بالوراثة التي تنتقل اليه من الوالدين، والاجداد والسلالة التي انحدر منها، ومنها ما يتصل بالبيئة الاجتماعية والطبيعة التي يعيش فيها.

والافراد يختلفون عن بعضهم بعضا من حيث خصائصهم الجسمية تبعا لعامل الوراثة، مثل اختلافهم في لون الأعين والشعر، وفصيلة الدم، وسمات وجوههم، وشكل اجسامهم من حيث الطول أو القصر، ومن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حيث النحافة أو الامتلاء، ويختلف الافراد بعضهم عن بعض في نموهم الجسمي من حيث عامل « الجنس » فالمميزات والخصائص الجسمية لدى الذكور غيرها لدى الإناث، وكذلك الأمر بالنسبة لاختلاف الجنسين من حيث بداية البلوغ والنضج الجنسي والمراهقة ونهايتها.

والافراد يختلفون في خصائصهم ومميزاتهم الجسمية من حيث مراحل النمو، فخصائص مرحلة الطفولة المبكرة، مثلا تختلف عن خصائص المراحل الأخرى، ولكل من هذه المراحل مميزات وتغيرات خاصة بها تميزها عن غيرها من المراحل التي تسبقها أو التي تليها.

ويختلف الأفراد في درجة نموهم الجسمي وصحتهم وحيويتهم وقدرتهم. تبعا لاختلاف نوعية تغذيتهم المرتبطة بمستواهم الاقتصادي، ومن الملحوظ أن النمو الجسمي أسرع وأكمل لدى ابناء الدول الغنية المتقدمة منه لدى ابناء الدول الفقيرة الذين يعانون من سوء التغذية وسوء الرعاية الصحية.

ومن أبرز خصائص النمو الجسمي - التي تعرضنا لها في الفصل السابق في مراحل النمو- نذكر ما يلي:

1- مرحلة الطفولة المبكرة:

تتميز السنة الأولى من عمر الوليد البشري بالنمو الجسمي السريع، اذ يصل وزن الطفل فيها الى ثلاثة امثال وزنه تقريبا عند ولادته. وتعقبها بعد ذلك فترة يكون فيها النمو الجسمي بطيئا، على أن معدل النمو الجسمي يختلف من طفل الى آخر، ويرجع ذلك الى عوامل وراثية أو بيئية قد تجعل بعض الأطفال سريعي النمو بالمقارنة بغيرهم.

وقد يتعرض الأطفال نتيجة لنموهم السريع، والذي يقترن بسوء التغذية أو بالعدوى، في السنتين الأوليين من عمرهم لبعض الأمراض كالسعال الديكي، والحصبة، والكساح، والأمراض الجلدية، وأمراض

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العيون، وأمراض الجهاز الهضمي، ويلاحظ في هذه المرحلة كثرة وفيات الأطفال. ولا بد من توفير التغذية الجيدة، والرعاية الصحية اللازمة لحماية الأطفال من الأمراض التي تصيبهم في هذه المرحلة.

ويبدأ نمو « الحواس » لدى الطفل بالتدريج، فهو في الفترة الأولى من عمره لا يميز بين الضوء والظلام، ثم يبدأ يدرك الضوء تدريجيا، ويبدأ في الشهر الثاني أو الثالث من عمره في ادراك الفرق بين الألوان وهكذا تنمو حاسة البصر لديه بالتدريج، وأما من حيث حاسة السمع فانه يبدأ في التمييز بين الأصوات المختلفة في الشهر الرابع تقريبا.

ومن حيث النمو « الحركي » تكون حركات الطفل في الأشهر الأولى طائشة ولا يكون قادرا على ضبط عضلات يديه ورجليه والتحكم فيها، ثم يتمكن بالتدريج من استعمال يديه في مسك الأشياء، ويشرع الطفل في الأشهر الأولى من عمره في تعلم كيفية ضبط حركات فمه ورأسه وظهره ورجليه، ثم يتمكن في السنة الأولى من تعلم بعض المهارات اللازمة له كالجلوس والوقوف، ثم يتعلم الحبو، ثم المشي، والصعود والنزول، والجري.

على أنه تجدر ملاحظة ارتباط نمو عضلات الطفل وتحكمه فيها « بالنضج الطبيعي » الذي خصه الله تعالى به، وقبل بلوغه لا يمكنه الاستفادة بأي تمرين أو تدريب، وهو ما يجب على الوالدين والمربين مراعاته حتى يجنبوا الناشىء اية برامج تدريبية أو تعليمية تحمله المشاق ولا تفيده.

2- مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة:

وفي بدايتها يكون النمو الجسمي سريعا، أي من سن الخامسة حتى سن السابعة تقريبا، وتليها فترة يكون النمو فيها بطيئا.

والملحوظ أن النمو الجسمي السريع في بداية هذه المرحلة يكون في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطول أكثر منه في الوزن، ولذلك يبدو الطفل أنحف وأرفع مع وجود الفوارق الفردية بين الأطفال. وقد يتعرض الطفل نتيجة لهذا النمو السريع للاصابة بعدة أمراض: كالسعال الديكي والحصبة والجدري والدفتيريا والتهاب السحايا والتي قد يكون من أعراضها نحول جسم الطفل، وفقدانه جزءا كبيرا من وزنه.

وفي هذه المرحلة تتساقط الأسنان اللبنية لتحل محلها الأسنان الدائمة التي ترتبط سلامتها مدى الحياة بحسن التغذية والرعاية الصحية والنظافة.

وفي فترة التثبيت التي يكون فيها النمو الجسمي بطيئا وهي الممتدة من سن السابعة الى الثانية عشرة تقريبا، تتحسن صحة جسم الطفل وتزداد حيويته وحركته ونشاطه، وميله للعب والقفز والجري، حتى ان بعض المربين أطلق عليها اسم «مرحلة الحركة والنشاط». وتقوى في هذه الفترة عضلات الطفل فيستطيع مواصلة العمل الحركي لمدة طويلة، ويكون أقدر وأدق في الأعمال التي تتطلب «الضبط والتكيف الحركي» كالرسم والكتابة والأشغال اليدوية والعزف على الآلات الموسيقية ونحوها.

ويحتاج النمو الجسمي للطفل في هذه المرحلة الى التغذية الصحية الجيدة كما وكيفا، والعناية الصحية وقاية وعلاجا، واعطائه قسطا وافرا من الراحة والنوم الكافي لتعويض الجهد المبذول، وعدم تحميله من المشاق والتكاليف ما لا يطيق، واتاحة فرص اللعب له وذلك لأهميته في التنفيس عن طاقاته، واستجمامه بدنيا ونفسيا، بل ويكون اللعب في هذه المرحلة وسيلة للتعلم وكسب المهارات، واتساع التجارب والخبرات، والتعرف على البيئة الخارجية وتكوين العلاقات الاجتماعية.

3- مرحلة البلوغ والمراهقة:

يكون النمو الجسمي سريعا في بداية هذه المرحلة، أي حوالى سنّ الحادية أو الثانية عشرة وينتهي في حوالى سنّ السادسة عشرة، مع ملاحظة الفروق الفردية بين المراهقين. وتليها فترة يكون النمو الجسمي فيها بطيئا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتستمر الى سن العشرين وهي سن التكامل الجسماني تقريبا.

ويحدث الاسراع في النمو الجسمي لدى الإناث قبل الذكور، بحيث يسبق فترة البلوغ عند الإناث، ويحدث اثناء فترة البلوغ عند البنين.

ويشمل النمو الجسمي السريع: الطول والوزن: واتساع الكتفين وطول الساقين، ومحيط الأرداف، واستدارة الأيدي، وغيرها.

ونتيجة لهذا النمو السريع يستنفذ الجسم كثيرا من طاقاته وقوته وحيويته، مما يجعل المراهقين في حاجة الى الغذاء الصحي الجيد كما وكيفا، والى الراحة والنوم الكافي لاستعادة النشاط والجهد المنصرف.

ومن خصائص النمو الجسمي في هذه المرحلة اختلاف السمات البدنية بين الإناث والذكور، وظهور التغيرات التي تميز بينهم، والمرتبطة بنضج غريزتهم الجنسية، فبلوغ الفتى يعني بداية مرحلة رجولته، وحدوث الطمث لدى الفتاة يعني بداية مرحلة أنوثتها، وهو ما يتطلب حسن الرعاية والتوجيه والتربية الملائمة لكل من الجنسين.

وأهم ما يجب ملاحظته أن النمو الجسمي السريع في هذه المرحلة قد يسبب بعض الأمراض الخطيرة للمراهقين: كفقر الدم، والسل، والتهاب الغدة النكفية والأمراض التناسلية، واضطرابات الهضم، وأوجاع الرأس، وأمراض العيون، وهو ما يتطلب الرعاية الصحية الكاملة من حيث الوقاية والعلاج، والتغذية الصحية الجيدة من حيث الكم والكيف، والراحة الكافية والترويح اللازم بعد الجهد والنشاط المبذول.

تلك هي أهم مظاهر النمو الجسمي وخصائصه ومميزاته في مختلف مراحل النمو والتي يجب مراعاتها والاهتمام بها من قبل الآباء والمربين، وذلك بتوفير المناخ الصحي والتربوي الملائم للطفل كي يشب سليم البدن عضويا وحسيا وحركيا، صحيحا معافى قويا، قادرا على إسعاد نفسه والمشاركة في إسعاد غيره من اعضاء مجتمعه الذي يعيش فيه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واذا ما سلطنا أضواء السنة النبوية المطهرة على أهم الأسس التي يجب مراعاتها تجاه النمو الجسمي وخصائصه بغض النظر عن التفاصيل التي ليست من شأنها، لوجدناها توليها العناية التامة التي تحفظ للبدن سلامته، وتنمي قوته، وتحافظ على حيويته.

فمن اهم الأسس - كما بينا آنفا - التي ينبغي مراعاتها في شأن النمو الجسمي وخصائصه ومميزاته في مختلف مراحل النمو: التغذية الصحية، والراحة الكافية والترويح اللازم، والوقاية، والعلاج.

ولئن كنا سنناقش هذه الجوانب على نحو من التفصيل في الفقرة القادمة الخاصة بالعوامل المؤثرة على النمو الجسمي، الا أنه يمكن ايراد بعض الشواهد للتدليل على اهتمام السنة النبوية بالتوجيه السديد الى أهم أسس العناية بالنمو الجسمي وخصائصه.

فقد حثت السنة النبوية المطهرة على الاهتمام بالانفاق على الأبناء، وجعلت أفضل ما ينفق الرجل من ماله ما ينفقه على عياله وسبقته على ما ينفقه على دابته وأصحابه في سبيل الله تعالى، تأكيدا على ضرورة العناية بتوفير الغذاء الصحي الجيد كما وكيفا للابناء، واعتباره بمنزلة الجهاد في سبيل الله تعالى.

* عن ثوبان أن النبي ﷺ قال:

« **أفضل الدينار دينار ينفقه الرجل على عياله**، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله. »[1]

ودعت السنة النبوية المطهرة الى ضرورة اعطاء الجسم القدر الكافي من الراحة التي يستعيد بها حيويته ونشاطه ويجدد طاقاته وقدراته.

---

(1) الترمذي / جـ 8 / ص 144 (وقال عنه حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال: « ما هذا؟ » قالوا: لزينب تصلي فاذا كسلت أو فترت امسكت به. فقال:

« حلّوه. ليصل أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر قعد. »[1]

ودعت الى اللعب والترويح الهادف لأثره الفعال في الاستجمام واعادة تنشيط القوى والطاقات الجسدية والنفسية وتجديدها.

* عن عائشة قالت: « كنت ألعب بالبنات فربما دخل علي رسول الله ﷺ وعندي الجواري، فاذا دخل خرجن، واذا خرج دخلن »[2]

* وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ مر ببعض المدينة فاذا بجوار يضربن بدفهن ويتغنين ويقلن:

« نحن جوار من بني النجار. . . يا حبذا محمد من جار »

فقال النبي ﷺ « الله يعلم أني لأحبكن ».[3]

وأكدت السنة النبوية المطهرة ضرورة الاهتمام « بوقاية الجسم » من مختلف الأمراض والعلل.

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

« لا توردوا الممرض على المصحّ. »[4]

وحثت السنة النبوية المطهرة على التماس « العلاج » المناسب لكافة الأمراض التي تصيب البدن، فقد جعل الله تعالى لكل داء دواء، ومن واجب الانسان أن يطلب العلاج الشافي.

* عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال:

---

(1) مسلم / جـ 2 / ص 189

(2) أبو داود / جـ 4 / ص 438

(3) ابن ماجة / جـ 1/ ص 612

(4) البخاري / جـ 7 / ص 179، 180

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« لكل داء دواء، فاذا أصيب دواء الداء برأ باذن الله عزّ وجلّ. »[1]

تلك بعض الأمثلة سقناها للتدليل وليس على سبيل الحصر، لابراز اهتمام السنة النبوية المطهرة بالاسس الرئيسية التي يجب مراعاتها في الاهتمام بالنمو الجسمي وخصائصه، صونا له من العلل والأمراض، وحفظا لحيويته ونشاطه وطاقاته وتجديدها، وتمكينا له من حسن النمو والتكامل حتى يكون قادرا على حمل متاعب الحياة ومشاقها، والاستمتاع بطيباتها، وأداء العبادات والتكاليف الدينية على وجهها الصحيح، والقيام بالاعمال والواجبات الدنيوية بنجاح وفعالية، كل ذلك بغية تحقيق سعادة الفرد واشباع حاجاته ومطالبه، وخدمة المجتمع والمساهمة في نهضته وتطويره، بموازنة واعتدال بين قطبي الدنيا والآخرة.

العوامل المؤثرة في النمو الجسمي:

هناك العديد من العوامل التي تؤثر في النمو الجسمي وتكون مصدر صحته أو علته، ومن أهم هذه العوامل نذكر:

عامل الوراثة، وعامل التغذية، وعامل النظافة الذاتية، وعامل النظافة البيئية، وعامل المرض، وعامل الارهاق والتعب، وعامل الراحة والترويح، وعامل التربية البدنية.

ولعل هذه العوامل اذا ما حللت تنقسم الى العديد من العوامل الفرعية، ولكن أجملناها بغية تجنب الإغراق في التفاصيل والتماسا لوضوح المناقشة.

وفيما يلي نناقش بشيء من التفصيل العوامل المذكورة كلا على حدة.

أولا: عامل الوراثة:

سبق وأن ناقشنا في الفصل الأول في موضوع مستقل أثر عامل

---

(1) مسلم / حـ7/ ص 21

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوراثة في التربية بصورة عامة. ولا بأس من أن نبين باختصار في هذا المقام أثر الوراثة في النمو الجسمي.

فقد ثبت أن تأثير الوراثة يبدأ في الكائن الحي منذ اللحظة الأولى التي تلقح فيها بويضة الأنثى بالحيوان المنوي للذكر، وبذلك يرث الكائن الحي عن والديه الكثير من خصائصهما وصفاتهما قوة وضعفا، وعافية ومرضا وتكمن امكانيات وصفات الشخص في المورثات الصبغيات. « فكل موروثة من الآلاف المكونة لنواة الخلية تعد مسؤولة عن صفة من صفات الشخص، لذلك كان اكتساب الطفل لصفات والديه أمرا متوقعا ما دامت الخلية الملقحة هي تزاوج بين صبغيات من الام وصبغيات من الأب. »[1]

وكما يلاحظ على الأفراد تأثير « الوراثة » في الصفات الظاهرية كلون العين والشعر وسمات الوجه والطول والقصر وشكل الأجسام، فإنهم يرثون عن والديهم - وأجدادهم وسلالتهم - نوع الدم وفصيلته، والافرازات الغددية والهرمونية وسلامة الغدد والاجهزة الداخلية أو مرضها، ونحو ذلك من الصفات البيولوجية.

ومن الميسور ان نلمس في حياتنا اليومية الأهمية البالغة لعامل الوراثة على النمو الجسمي للانسان، فعادة ما يميل أبناء أصحاء الاجسام الى مماثلة والديهم وأبناء عليلي الاجسام الى مماثلة والديهم، وكذلك هو الحال في طول القامة او قصرها وغيرها من الخصائص، وان كان للقاعدة بعض الشواذ، إلا أن الحكم بالغالب الأعم. وهذا ما أثبتته الأبحاث والدراسات التربوية، فالواقع يبين مثلا: انه لا بد لتعيين نسبة طول طفل ما لوزنه « من أخذ وراثته بعين الاعتبار، وذلك لأن متوسط بعض العائلات في الطول أطول من بعض العائلات الأخرى، وقل الشيء نفسه عن الوزن »[2]

---

(1) د. احمد فائق / و د. محمد عبد القادر / مدخل الى علم النفس العام / ص 31

(2) د. فاخر عقل / علم النفس / ص 300

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبذلك تتضح لنا أهمية عامل الوراثة في التأثير على النمو الجسمي وخصائصه.

وبدراسة السنة النبوية المطهرة نجدها تولي « عامل الوراثة » أهمية بالغة، بل انها تسبق النظريات التربوية الحديثة في ابراز أهميته وخطره، والتوجيه الى العناية به، فقد حثت على حسن الاختيار عند « الزواج » ومراعاة الكفاءة والصحة الجسمانية وغيرها ادراكا منها لتأثير العوامل الوراثية في « النسل » واستهدافها أن يكون نسلا سليما معافى، والتحوط منذ البداية من التزاوج بين المرضى وذوي الأجسام العليلة.

* عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ:
« تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء وانكحوا اليهم. »[1]

وأكدت السنة النبوية بما لا يدع مجالا للشك، وهو ما أثبتته التجارب والدراسات الحديثة، التي جاءت بعدها، أن الطفل يرث عن والديه كثيرا من صفاتها وخصائصهما، وعن طريقهما يرث صفات الأجداد والأقارب والاسلاف.

* عن عائشة أن امرأة قالت لرسول الله ﷺ: هل تغتسل المرأة اذا احتلمت وأبصرت الماء؟ فقال: « نعم ». فقالت عائشة: تربت يداك وألّت قالت: فقال رسول الله ﷺ: « دعيها. **وهل يكون الشبه الا من قبل ذلك. اذا علا ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله. واذا علا ماء الرجل ماءها أشبه أعمامه.** »[2]

وبهذا يتضح لنا أن السنة النبوية تؤكد ضرورة الاهتمام بعامل « الوراثة » وأثره على النمو الجسمي وغيره من الجوانب الأخرى للشخصية الانسانية، وتتحوط للتأثيرات السيئة لعامل الوراثة في حثها

---

(1) ابن ماجة / جـ 1 / ص 633
(2) مسلم / جـ 1/ ص 173

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منذ بداية تكوين الأسرة وهي الخلية الاجتماعية الاولى على حسن التخير للنطف، ونكاح الاكفاء حتى يولد نسل صحيح الابدان، سليم العقول، ، قادر على تحمل تبعات حياته ومشاقها، وتحقيق طموحاته وآماله، وخدمة مجتمعه والمساهمة الفعالة في نهضته وتطويره.

وهذا لا يتم الا اذا روعي في تكوين « الأسرة » اختيار الصالحين والصالحات جسميا وعقليا وروحيا وخلقيا واجتماعيا.

* عن عائشة عن النبي ﷺ قال:

« انكحوا الصالحين والصالحات. »[1]

ثانيا: عامل التغذية:

تعتبر « التغذية » من أهم العوامل المؤثرة في النمو، فاذا كانت جيدة كماً وكيفاً ساعدت على نمو الجسم نمواً متكاملاً، واكسابه صحة جيدة طيلة الحياة، ولا شك ان مراحل النمو متشابكة ويؤثر سابقها في لاحقها، فنوع التغذية التي يلقاها الفرد في طفولته تؤثر في بنائه الجسماني في شبابه، ورجولته وكهولته، ايجابا وسلبا.

ومن تأثيرات سوء التغذية تأخير فترة القوة والشباب والتكامل الجسماني عموما، ومن سماتها النقص في مقدار الوزن ومعدل الطول، وإضعاف مقاومة الجسم للامراض، والإنقاص من حيويته ونشاطه وقدراته.

ولا يعني سوء التغذية النقص في كمية الغذاء ولكن يعني سوء النوعية كذلك، ويعنى آخر الاختلال في التكافؤ بين كمية الغذاء ونوعيته وفق احتياجات الجسم، ومرحلة النمو، وما يبذله الشخص وما يستنفذه من مجهود.

ولا بد من مراعاة الاعتدال في التغذية، فالافراط في تناول الطعام

---

(1) الدارمي / السنن / جـ 2/ ص 137

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وخاصة الغني بالسكريات والنشويات والدهون، دون مراعاة النوعية، أو سد حاجة الجسم دن الزيادة عليها، يؤدي الى البدانة والترهل والإضرار بالجسم، واصابته بعديد من الأمراض الخطيرة: كمرض القلب، والسكر، وضغط الدم وزيادة نسبة الدهون (الكوليسترول) في الدم، وأمراض المعدة وغيرها.

ان الغذاء ضروري للجسم، بشرط التحكم والضبط والاعتدال، فزيادته عن حاجة البدن وقلته يتساويان في الضرر، وكثير من الأمراض التي تصيب جسم الانسان يرجع الى سوء التغذية كما ونوعا بالزيادة أو النقصان. ولا يرقى الشك الى وثوق الصلة بين صحة البدن الجيدة والتغذية الجيدة.

وفيما يلي نستعرض بايجاز المواد الغذائية الضرورية لبناء الجسم بناء سليما.

1- المواد البروتينية:

وهي مواد لا غنى عنها في بناء خلايا الجسم، وتزداد الحاجة اليها في اطوار النمو. وتنقسم هذه المواد الى نوعين: النوع الأول: المواد البروتينية الحيوانية، كاللحوم، والسمك، والحليب والجبن والبيض ونحوها، ويشترط أن تمثل هذه المواد ثلث ما يتناوله المرء من بروتينات مع مراعاة الاعتدال وعدم الزيادة فيها لكونها قد تضر بالبدن، وتسبب له بعض الأمراض: كمرض الكليتين والمفاصل وزيادة الدهن في الدم وغيرها.

والنوع الثاني: المواد البروتينية النباتية: كالحمص والفول والعدس والبازيلا والجوز والبندق والدهون النباتية، وغيرها، وهي ذات اهمية كبيرة في بناء الجسم وصحته.

2- المواد الكربوهيدراتية والدهنية:

وهي المواد الموجودة في السكريات والنشويات: كالقمح والشعير،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأرز، والمكرونة، والبطاطس، والسكر والعسل، والفواكه المجففة وغيرها.

وهي تلي في الأهمية المواد البروتينية، لكونها ضرورية للغاية في انتاج الطاقة والدفء اللذين يحتاج اليهما البدن. وتقاس كميتها بالوحدة الحرارية (أو السعر). على انه لا بد من مراعاة الاعتدال في تناول هذه المواد لكون كثرة الدهون ترهق الجهاز الهضمي: كالكبد والمعدة.

وبما أن البدن يحول المواد السكرية الزائدة عن حاجته الى مواد دهنية ويختزنها فانه ينبغي، بالنسبة لذوي البدانة بالذات، الاقلال من المواد الدهنية والسكرية وممارسة الرياضة والاعمال العضلية التي من شأنها حرق الدهون المخزنة.

3- الاملاح المعدنية والفيتامينات:

وهي مواد لازمة للحياة وصحة البدن، وتوجد بكثرة في الأغذية النباتية كالخضروات والفواكه الطازجة، وهي تساعد على تنشيط وظيفة الامعاء، وتنظيم عملية الاخراج بما تحتوي عليه من مواد «سيلوزية» لا تهضم.

وتشتمل الأملاح على مواد هامة لتكوين العظام كالجير، ومواد ضرورية لبناء الجسم وتكوين الدم كالحديد، ومواد هامة في نقل التأثيرات العصبية خلال الخلايا العضلية وهامة لوظيفة القلب كالبوتاسيوم. بالاضافة الى فصائل اخرى من الأملاح والمعادن ضرورية «للجسم» كالفوسفور والكلسيوم والكبريت والنحاس والألمينيوم والمنجنيز، والذهب والفضة والرصاص واليود والزرنيخ. وتوجد هذه الأملاح والمعادن بكميات وافرة في الخضروات والأغذية الحيوانية.

وتعطي نفس الأهمية «للفيتامينات» التي يسبب نقصها عدة أمراض: كالتعب العام، والضعف، ونزيف اللثة التي تنتج عن النقص في فيتامين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(ج)، وكساح الأطفال وينتج عن النقص في فيتامين (د)، والتهاب الأعصاب وضعف القلب وفقدان الشهية وينتج عن نقص فيتامين (ب)، وضعف المناعة ومقاومة العدوى الذي ينتج عن النقص في فيتامين (أ).

ولكي تكون التغذية جيدة فانه يجب ان يراعى في اعداد قائمة الأطعمة الاسبوعية احتواؤها على المواد الضرورية المذكورة آنفا بشكل متوازن ومتكامل: أي أن تحتوي على البروتين، والدهن، والاملاح المعدنية والفيتامينات.

ومن نعم الله تعالى على خلقه ان مكن الغني والفقير من وجود كفايتهما الغذائية في مختلف الأطعمة اذا ما أحسنا مراعاة التكامل فيما يحتاجان اليه من مختلف انواع الغذاء لبناء الجسم بناء سليما.

واذا ما استنطقنا السنة النبوية الشريفة لوجدناها ترسم لنا من التوجيهات التربوية البناءة بشأن « التغذية الصحية الجيدة » ما ان اتبعناه لكفل لنا حسن تنمية اجسامنا واجسام ناشئتنا، وحفظ صحتها وسلامتها على النحو الأمثل.

فالسنة النبوية تحمل الوالدين مسؤولية رعاية الابناء، وفي مقدمة ذلك حسن رعايتهم الصحية، وتربيتهم الجسمية.

* عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

« ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالامام الذي على الناس راع هو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. »[1]

---

(1) البخاري / جـ 9/ ص 77

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتؤكد السنّة النبوية مسؤولية الوالدين عن الانفاق على الأبناء، وتحثهم على تحملها، وترغبهم في الثواب الذي ينالونه عليها، جاعلة شرف الانفاق على الأبناء كشرف الجهاد في سبيل الله تعالى، بل سبقته عليه في السياق لأن الانفاق على الأبناء هو في سبيل الله تعالى أيضا.

* عن ثوبان أن النبي ﷺ قال:

« أفضل الدينار دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله. »[1]

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

« دينار انفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، **أعظمها أجر الذي أنفقته على أهلك.** »[2]

وجعلت السنة النبوية من حق الأبناء على الآباء الرزق الطيب، وهو ما يعني توفير الغذاء الحلال النافع كما وكيفا.

* قال ﷺ:

« حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية **وأن لا يرزقه الا طيبا.** »[3]

ذلك لأن موقف السنة النبوية المطهرة من الجسد ومطالبه ليس موقف الكبت أو القمع أو الاحتقار، بل هو موقف الاشباع المعتدل والتهذيب والتطهير وتحقيق الموازنة بين الجوانب العاطفية والعقلية والروحية والخلقية »

---

(1) الترمذي / جـ 8/ ص 144 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)

(2) مسلم / جـ 3/ ص 78

(3)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى :

﴿ قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . ﴾[1]

وقال عزّ وجلّ :

﴿ كلوا من رزق ربكم واشكروا له . ﴾[2]

ولا شك ان البدن السليم يمكن صاحبه من القيام بواجباته الدينية على الوجه الأمثل، ولذلك حرصت السنة النبوية المطهرة على التوجيه الى اشباع حاجات البدن من الغذاء بغير زيادة أو نقصان ضارين .

وأعتبر رسول الله ﷺ كل انواع الغذاء الحلال صالحة ما دامت مفيدة للبدن وغير ضارة به، ولم يعب منها شيئا .

* عن أبي هريرة قال « ما عاب النبي ﷺ طعاما قط إن اشتهاه أكله وان كرهه تركه . »[3]

وفي هذا الحديث توسيع على الفرد بأن يتناول ما يحتاج من انواع الطعام الحلال، وما يمكن أن يتوفر له منه حيوانيا كان أم نباتيا .

وبدراسة ما كان يتناوله رسول الله ﷺ من أنواع الطعام نجد ايحاءات تربوية هامة بالتوجيه الى الغذاء المفيد من الناحية النوعية، وهو ما أكدته الأبحاث العلمية الحديثة، وما سبقت اليه السنة النبوية المطهرة قبلها بقرون طويلة .

ومن تلك الايحاءات التوجيه الى تناول الطعام الغني (بالبروتينات) وهي المتوفرة في اللحوم .

---

(1) الأعراف / 32

(2) سبأ / 15

(3) البخاري / جـ 7 / ص 96

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد أكل رسول الله ﷺ لحم الدجاج.

* عن زهدم الجرمي قال دخلت على أبي موسى وهو يأكل دجاجة فقال: « ادن فكل. فاني رأيت رسول الله ﷺ يأكله. »(1)

وأكل ﷺ لحم الضان والماعز.

* عن جعفر بن عمرو بن امية الضمري عن أبيه قال:

« رأيت رسول الله ﷺ يحتز من كتف شاة فأكل منها، فدعي الى الصلاة فقام فطرح السكين فصلى ولم يتوضأ. »(2)

ونوّع رسول الله ﷺ في تناول اللحوم بين المطهي والمشوي، توجيها الى التماس الفائدة الصحية في تنويع اعداد الطعام.

* عن أم سلمة: « أنها قرّبت الى رسول الله ﷺ جنبا مشويا فأكل منه ثم قام الى الصلاة وما توضأ. »(3)

ونلاحظ من الحديثين السابقين أن رسول الله ﷺ كان يحرص على تناول اللحم الطري، الذي يسهل نضجه وهضمه، وذلك بتخيره المواضع الطرية في الشاة، كأكله من كتفها وجنبها، مع ملاحظة تنويع تناول اللحم بين المشوي والمطهي.

كما حرص رسول الله ﷺ في غذائه على تناول « اللبن » لفائدته الصحية الكبيرة، باحتوائه على عناصر البروتين الضرورية للبدن، وأكد رسول الله ﷺ قيمته الغذائية البالغة، وهو ما أثبته الطب الحديث.

* عن ابن عباس قال: دخلت مع رسول الله ﷺ أنا وخالد بن الوليد

---

(1) الترمذي جـ 8/ ص 20، 21 (وقال عنه: حديث حسن)

(2) البخاري / جـ 7 / ص 98

(3) الترمذي / جـ 8/ ص 24، 25/ (وقال عنه: حديث حسن صحيح غريب)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على ميمونة بنت الحارث فجيء باناء من لبن، فشرب رسول الله ﷺ، وقال الرسول ﷺ:

« من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه، ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، **فانه ليس من شيء يجزى من الطعام والشراب غير اللبن.** »[1]

هذه لمحات سقناها للتدليل على اهتمام السنة النبوية بالمواد الغذائية الغنية « بالبروتينات » واللازمة لبناء الجسد بناء صحيا سليما.

ومن ايحاءات السنة النبوية المطهرة المتعلقة بالتغذية توجيهها الى تناول أنواع الغذاء التي تحتوي على المواد الكربوهيدراتية والدهنية التي تتوفر بكثرة في السكريات والنشويات التي يستمد منها البدن ما يحتاج اليه من دفء وطاقة.

وعلى سبيل المثال، فقد كان رسول الله ﷺ يحب أن يأكل الحلواء والعسل، وهما مادتان سكريتان.

* عن عائشة رضي الله عنها قالت:
« كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل. »[2]

وكان رسول الله ﷺ يتغذى بخبز الشعير وهو مادة نشوية.

* عن أنس بن مالك أن خياطا دعا النبي ﷺ لطعام صنعه، فذهبت مع النبي ﷺ فقرب خبز شعير، ومرقا فيه دبّاء وقديد، رأيت النبي ﷺ يتتبع الدبّاء من حوالي القصعة فلم أزل أحب الدبّاء بعد يومئذ. »[3]

وأكل رسول الله ﷺ « السّويق » وهو من دقيق الشعير أو القمح ويعتبر من المواد النشوية.

---

(1) ابن سعد / الطبقات الكبرى / جـ 1/ ص 397
(2) البخاري / جـ 7/ ص 100
(3) البخاري / جـ 7 / ص 101، 102

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن سويد بن النعمان ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ الى خيبر ، فلما كنا بالصهباء « دعا بطعام » فما أتي إلا بسويق فأكلنا ، فقام الى الصلاة فتمضمض ومضمضنا »[1]

وأكل رسول الله ﷺ « التمر » وهو مادة مغذية غنية بالسكريات ، مع احتوائها على بعض العناصر الهامة الأخرى .

* عن عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : « من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر. »[2]

ومن ايحاءات السنة النبوية الخاصة بالتغذية نذكر كذلك توجيهها الى تناول الأطعمة الغنية بالاملاح المعدنية والفيتامينات المتوفرة بكثرة في الأغذية النباتية كالخضروات والفواكه، وذلك لضرورتها في تكوين العظام وعملية الهضم، وصحة البدن ومقاومته للامراض.

فقد تناول رسول الله ﷺ في غذائه الرطب وهو من الفواكه والقثاء وهو من الخضروات.

عن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهما : « رأيت النبي ﷺ يأكل الرطب بالقثاء »[3]

وأكل رسول الله ﷺ البطيخ والرطب وهما من الفواكه .

* عن عائشة ان النبي ﷺ كان يأكل البطيخ بالرطب »[4]

وأكل رسول الله ﷺ الدبّاءوهي من الخضروات .

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 105

(2) نفس المصدر السابق / ص 104

(3) البخاري / جـ 7/ص 102

(4) الترمذي / جـ 8/ص 35 (وقال عنه : حديث حسن غريب)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن أنس بن مالك قال :

« رأيت رسول الله ﷺ يتتبع في الصفحة ، يعني الدبّاء ، فلا أزال أحبه »(1)

تلك أمثلة معدودة من شواهد كثيرة حفلت بها السنة النبوية المطهرة سقناها تبيينا لاهتمام الرسول الأكرم ﷺ بالتوجيه الى العناية التامةبالغذاء الجيد في قيمته النوعية ، حرصا منه على تكامل العناصر الغذائية التي يحتاج اليها الانسان في بنائه الجسماني ، ووقايته من الأمراض والقدرة على مقاومتها وتزويده بالطاقة والدفء اللازمين .

واذا كانت السنة النبوية المطهرة قد اهتمت بنوعية الغذاء فهي قد اهتمت ايضا بكميته ، واشترطت فيها ميزان الاعتدال ، بحيث لا تزيد عما يحتاج اليه المرء ، لأن في الزيادة ضرراً مثلما هو في النقصان .

عن مقدام بن معدي كرب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »(2)

ونعت السنّة النبوية على النهمين إفراطهم في الأكل وجعلت من صفات المؤمن ألا يكون أكولاً ، صونا له من سوء الصحة المترتبة على الإفراط في تناول الطعام .

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ :

« يأكل المسلم في معي واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء »(3)

صدق رسول الله ﷺ فيما حدد من ميزان معتدل قويم لتناول الطعام . ونعم التوجيه الغذائي الصحي الهادف الذي أرشدنا اليه ، فقد

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 42 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

(2) الترمذي / جـ 9/ص 224 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

(3) البخاري / جـ 7/ ص 93

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أثبتت التجارب الطبية والعلمية الحديثة ما أرشد اليه رسول الله ﷺ مؤكدة ان زيادة الطعام عما يحتاجه البدن تربك جهازه الهضمي ، وتحول دون امتصاصه الجيد من الطعام ما يحتاجه من عناصر الطاقة والقوة اللازمة ، وتسبب للبدن التخمة والسمنة المفرطة ، فتصيبه أمراض عديدة غير متوقعة قد تورد المرء موارد الهلاك ، أو تنغص عليه راحته وحياته .

قال تعالى :

﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين﴾[1]

ثالثا : النظافة الشخصية

يلعب اهتمام الفرد بنظافته الشخصية ، او عدمه ، دوراً فعالاً في صحة بدنه أو مرضه ، وبالتالي حسن نموه الجسمي او سوئه .

وبقدر ما يحرص الشخص على نظافته الذاتية بقدر ما يصون بدنه من مختلف العلل والأمراض التي تنجم عن القذارة والأوساخ .

ويهتم الآباء والمربون الواعون المخلصون دوماً بإرشاد الناشئين الى الأخذ بأسباب النظافة الشخصية في أبدانهم وملابسهم وغذائهم ، وجعل ذلك عادة راسخة في طبعهم يمارسونها في حياتهم اليومية دون اهمال او نسيان .

وحرصاً من السنةالنبوية المطهرة على ضمان صحة البدن وحسن نموه وسلامة أجهزته الداخلية والخارجية فقد أرشدت الآباء والمربين الى جملة من أسس « النظافة الشخصية » التي لو روعيت في تربية الناشئين ، ورسخت في نفوسهم ، منذ سنيّ حياتهم الأولى القابلة للتطويع والتقويم والتشرب والامتصاص ، لأعطت أعظم النتائج الايجابية في حسن النمو الجسمي للناشئين ووقايتهم من الأمراض والعلل ، وحفظ صحتهم من

(1) الأعراف / 31

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاضطراب والخلل .

فقد بدأت السنة النبوية بتأكيد الالتزام « بالطهارة » في البدن والثياب ونحوها وجعلتها شرطاً لازماً لصحة الصلاة التي هي عماد الدين وعلامة المسلمين .

قال تعالى :

﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[1]

* عن ابن عمر قال : أني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لا تقبل صلاة بغير طهور ، ولا صدقة من غلول »[2]

وجعل رسول الله ﷺ الطهور نصف الايمان ، إعلاء لشأن النظافة وتأكيداً لأهميتها في حياة الانسان .

* عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ :

« الطهور شطر الايمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السموات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها »[3]

وحددت السنّة النبوية المطهرة خصال الفطرة الحميدة التي تعتبر أهم ركائز النظافة الشخصية .

* عن زكرياء بن ابي زائدة عن مصعب بن شيبه عن طلق بن حبيب عن عبدالله بن الزبير عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :

« عشر من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظافر ، وغسل البراجم ، ونتف الابط ،

---

(1) البقرة / 222

(2) مسلم / جـ 1/ص 140

(3) نفس المصدر السابق / ص 140

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحلق العانة ، وانتقاص الماء » قال زكريا : قال مصعب ونسيت العاشرة إلا ان تكون « المضمضة »[1]

وأوجبت ضرورة التقيد بأداء هذه الخصال ، ووضعت حداً أقصى للقيام بما ينبغي عدم تعديه .

* قال أنس :

« وقّت لنا في قص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وحلق العانة أن لا نترك أكثر من اربعين ليلة »[2]

والقاعدة أن يكون المسلم نظيفاً في حياته اليومية ، فقد حرص الرسول ﷺ على أن يضرب لنا في ذلك الأسوة الحسنة ، باستعماله للسواك حين قيامه من الليل ، وعند دخوله لبيته .

* عن حذيفة : ان رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك »[3]

* وسئلت عائشة بأيّ شيء يبدأ النبي ﷺ اذا دخل بيته ، قالت : « بالسواك »[4]

وترسيخاً من الرسول ﷺ لمبادىء النظافة الشخصية ، وحثه للمؤمنين على الالتزام بها كل حين ، أنه أوشك على أمرهم « بالسواك » عند كل صلاة ، أي خمس مرات في اليوم ، لولا خشية المشقة عليهم .

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« لولا أن أشق على المؤمنين لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة »[5]

---

(1) مسلم / جـ 1/ص 153-154

(2) نفس المصدر السابق / ص 153

(3)نفس المصدر السابق / ص 152

(4) نفس المصدر السابق / ص 152

(5) مسلم / جـ 1/ص 151

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد حرصت السنّة النبوية المطهرة على التوجيه الى ضرورة العناية بنظافة البدن ككل ، ونظافة أجزائه كل على حدة ، وخاصة تلك الأجزاء التي تتعرض للعدوى وقد تنقل الأمراض الى البدن .

فبالنسبة لنظافة البدن ألزمت السنّة النبوية كل « محدث » بالطهارة وجعلتها شرطاً أسياسياً لصحة الصلاة .

* عن أبي هريرة : قال رسول الله ﷺ :
« لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ »[1]

وألزمت السنة النبوية كل شخص بالغ بالغسل يوم الجمعة ، وبذلك فقد حددت له اسبوعا واحداً كحد أقصى لا يتعداه لتطهير بدنه وتنظيفه .

* عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله ﷺ قال :
« الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم »[2]

وأوضح رسول الله ﷺ ضرورة ان يشمل الغسل تنظيف الرأس والجسد ، وجعل ذلك من حق الله تعالى على كل مسلم زيادة في تأكيد النظافة الذاتية .

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :
« حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة : يغسل رأسه وجسده »[3]

* وعن أبي هريرة قال :
« حق على كل مسلم ان يغتسل في كل سبعة أيام يوما يغسل فيه رأسه وجسده »[4]

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 140-141
(2) مسلم / جـ 3/ص 3
(3) نفس المصدر السابق / ص 4
(4) البخاري / جـ 2/ص 7

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما بالنسبة لأجزاء البدن فقد حرصت السنة النبوية على تطهيرها وتنظيفها من الأوساخ والقذرات حتى لا تصاب بأية أمراض ، أو تكون وسيلة لنقل العدوى .

فأوجبت ضرورة غسل اليدين جيدا عقب الاستيقاظ من النوم مباشرة ، لأن اليدين هما وسيلتا المرء لتناول طعامه ، وهما من أكثر الأعضاء تعرضاً للأوساخ ، لأن الانسان يعمل بهما ويستعملهما في مسك مختلف الأشياء وحملها .

* عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال :
« اذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثاً فإنه لا يدري أين باتت يده »(1)

وحث هذا الحديث على غسل اليد ثلاث مرات إنما هو لتأكيد العناية بحسن تنظيفها .

وركز رسول الله ﷺ على نظافة اليد اليمنى بالذات وعدم استعمالها في الاستنجاء، لأنها هي التي يستخدمها الانسان في تناول غذائه .

* عن عبدالله بن أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ :
« لا يمسكنّ أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول ، ولا يتمسح من الخلاء بيمينه ، ولا يتنفس في الاناء »(2)

وأمر النبي ﷺ بتنظيف « الفم » لإزالة فواضل الطعام حتى لا تتعفن فتضر بصحة الاسنان وصحة اللثة وتؤذي المعدة وباقي أجهزة البدن . وغني عن البيان خطورة الأمراض التي قد تلحق « بالفم » وما يترتب عليها من ضرر للجسد عامة . وعرف عن رسول الله ﷺ انه كان يمضمض فمه عقب الطعام ، وكان يستعمل السواك دائما .

---

(1) مسلم / جـ 1/ص 160
(2) نفس المصدر السابق / ص 155

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن ابن عباس رضي الله عنهما : ان رسول الله ﷺ شرب لبنا فمضمض وقال : « إن له دسما »[1]

* وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« لولا أن أشقّ على المؤمنين لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة »[2]

وأوجبت السنّة النبوية في الوضوء أن يغسل الانسان فمه خمس مرات في اليوم ، حرصاً منها على صحة الفم وحمايته من الآفات .

وأمر الرسول ﷺ بالحرص على نظافة « الأنف » لكونه العضو الرئيسي الذي يتنفس منه الانسان ، وهوالذي يقوم بتنقية الهواء وتصفيته ، وقد تلتصق به بعض الأوساخ او الجراثيم العالقة بالهواء فتؤذيه ، وتؤذي البدن اذا لم يطهر بصورة منتظمة وجيدة .

* عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« اذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاث مرات فان الشيطان يبيت على خياشيمه »[3]

وحث هذاالحديث على الاستنثار ثلاث مرات عند الاستيقاظ إنما هو تأكيد العناية بتنظيف الأنف تنظيفاً تاماً .

هذا فضلا عن أن السنّة النبوية أوجبت الاستنشاق والاستنثار في الوضوء خمس مرات يوميا .

وألزم رسول الله ﷺ المؤمنين بحسن تنظيف وجوههم لأن فيها العينين والفم والأنف والأذنين وهي من أهم الأعضاء ، علاوة على ان حسن المظهر يقتضي نظافة الوجه وتطهيره ، لأنه أشرف أجزاء الجسم اذ

---

(1) البخاري / جـ 7/ص 141
(2) مسلم / جـ 1/ص 151-152
(3) نفس المصدر السابق/ ص 146-147

خلق الله عزّ وجلّ آدم على صورته .

* عن أبي هريرةقال:قال رسول الله ﷺ :

« أنتم الغرّ المحجّلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرّته وتحجيله »[1]

وقد وصف رسول الله ﷺ في هذا الحديث المؤمنين بالغرّ ترغيبا لهم في إحسان تنظيف وجوههم من الأدران والأوساخ لحمايتها وحماية أجزائها من الأمراض والآفات ، وظهورهم بالمظهر اللائق المقبول عند الآخرين ، فالانسان القذر ينفر منه الناس .

كذلك أمر رسول الله ﷺ المؤمنين بغسل أيديهم الى المرافق ، ومسح رؤوسهم ، وغسل أرجلهم لكونها من اكثر الاعضاء تعرضا للاتساخ فهي وسيلة الانسان للتنقل اثناء نشاطه المختلف .

* عن حمران مولى عثمان انه رأى عثمان دعا بإناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلهما ، ثم أدخل يمينه في الاناء فمضمض ، واستنثر ، ثم غسل وجهه ثلاث مرات ، ويديه الى المرفقين ثلاث مرات ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل رجليه ثلاث مرات ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : «من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين لا يحدّث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه »[2]

وأكد النبي ﷺ على الالتزام التام بالنظافة الكاملة والطهارة التامة حتى تصبح عادة مألوفة لدى المرء يؤديها على نحو تلقائي في حياته اليومية .

* عن عمر بن الخطاب ان رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه ، فأبصره النبي ﷺ فقال :

---

(1) مسلم / جـ ١/ص 149

(2) نفس المصدر السابق / ص 141

« أرجع فأحسن وضوءك » فرجع ثم صلى[1].

ورغّب رسول الله ﷺ في اتقان الوضوء ، وجعله وسيلة لغفران الخطايا والذنوب ، ترسيخا لمبادىء النظافة والطهارة في النفوس.

* عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :

« اذا توضأ العبد المسلم او المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء او مع آخر قطر من الماء ، فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع قطر الماء ، فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء او مع آخر قطرالماء ، حتى يخرج نقيا من الذنوب »[2]

ولم يغفل الرسول ﷺ إرشاد المسلمين الى ضرورة تنظيف وتطهير أعضائهم التناسلية لوقايتها من القذارة التي قد تلحق بها العلل والأمراض ، وتضر بصحة الانسان كلها .

* عن عبد الرحمن بن يزيد عن سلمان قال : قيل له : قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة . قال ، فقال : أجل لقد نهانا ان نستقبل القبلة لغائط او بول ، او نستنجي باليمين ، أو أن نستنجي بأقل من ثلاث أحجار ، او نستنجي برجيع أو عظم »[3]

وفي هذا الحديث تأكيد على ضرورة حسن تنظيف الأعضاء التناسلية وأماكن الاخراج ، إذ نص على الاستنجاء بثلاثة أحجار على الأقل في غياب الماء ، والغسل بالماء أولى ، وعدد الأحجار ليس شرطا ولكن الشرط هو إتمام النظافة .

كما نص على استخدام الرجيع ، أي الروث أو البعر ، والعظم لأنها

---

(1) مسلم / جـ 1/ص 148
(2) نفس المصدر السابق / ص 148-149
(3) نفس المصدر السابق / ص 154

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أصلا غير طاهرين، ويمكن ان ينقلا الآفات والجراثيم للانسان.

واهتماما من السنة النبوية بنظافة المرأة المسلمة وطهارتها، فقد أفردتها بالتوجيه الى كيفية اغتسالها من الحيض لما فيه من اذى، علاوة على اشتراكها مع الرجل في التوجيهات ذات الصبغة العامة.

* عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة سألت النبي ﷺ عن الحيض كيف تغتسل منه. فقال:

« تأخذين فرصة ممسّكة فتوضئين بها. » قالت: كيف أتوضأ بها يا رسول الله؟ قال النبي ﷺ: « توضئين بها. » قالت عائشة: فعرفت الذي يريد رسول الله ﷺ فجذبتها اليّ فعلمتها. »[1]

واهتمت السنة النبوية بالتوجيه الى تنظيف شعر الرأس لما في تنظيفه من وقاية له من الحشرات والأمراض، ولما فيه من جمال وحسن مظهر.

* عن يحي بن سعيد: أن أبا قتادة الأنصاري قال لرسول الله ﷺ: ان لي جمّة أفأرجلها؟

فقال رسول الله ﷺ« نعم، واكرمها. »[2]

ودعت السنة النبوية الى الاهتمام بالثياب لارتباطها بحسن المظهر والذوق الجمالي الذي تحرص السنة النبوية على اتصاف المسلم به، فالمظهر غالبا ما ينبيء عن الجوهر. فضلا عن أن الثياب ذات أثر كبير في حماية الجسد ووقايته ولا بد من انتقائها وفق ما يتلاءم مع مختلف فصول السنة.

* عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال:

« لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. »

قال رجل: ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال:

---

(1) البخاري / جـ9/ص 135,134

(2) مالك / الموطأ / ص 676

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« ان الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق، وغمط الناس »[1]

واذا لم تتوفر ثياب، جديدة، فهو مطالب بحسن تنظيف ثيابه القديمة بصورة منتظمة حتى لا تتكدس عليها القذارة والأوساخ فتؤذيه.

* عن عائشة أنها قالت: كان الناس ينتابون الجمعة من منازلهم من العوالي، فيأتون في العباء ويصيبهم الغبار، فتخرج منهم الريح فأتى رسول الله ﷺ انسان منهم، وهو عندي، فقال رسول الله ﷺ:
« لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا. »[2]

وضرب رسول الله ﷺ لنا المثل الأعلى في حسن العناية بالمظهر، ونظافة الثياب وانتقائها.

* عن البراء يقول: « ما رأيت أحداً أحسن في حلة حمراء من النبي ﷺ »[3]

ونهى رسول الله ﷺ عن سوء الهيئة، أي سوء المظهر بثياب متسخة أو مهلهلة، وجعل حسن المظهر من موجبات التمتع بنعم الله عزّ وجلّ.

* عن أبي الأحوص عن أبيه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فرآني سيء الهيئة، فقال النبي ﷺ: « هل لك من شيء. » قال نعم. من كلّ المال قد آتاني الله. فقال: « اذا كان لك مال فلير عليك. »[4]

وحث رسول الله ﷺ المسلمين على التطيب بغية أن تكون رائحتهم ذكية ترتاح اليها الأنفس، وتجعلهم محل القبول، وتكون عنوانا على طهارتهم وحسن نظافتهم.

* عن عائشة قالت: « كنت أطيّب النبي ﷺ بأطيب ما يجد حتى

---

(1) مسلم / جـ 1/ص 65
(2) مسلم / جـ 3 /ص 3
(3) البخاري / جـ 7 /ص 207
(4) النسائي / جـ 8/ص 196

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أجد وبيص الطيب في رأسه ولحيته . »[1]

ومن ذلك تطييبه ﷺ بالمسك والعنبر، وهو ما يوحي بالحث على استخدام كل انواع الرائحة العطرة التي يمكن توفرها .

* عن محمد بن عليّ قال: سألت عائشة أكان رسول الله ﷺ يتطيب؟ قالت: « نعم، بذكارة الطيب المسك والعنبر »[2]

بل وحث ﷺ على حمل الطيب، وهو من الروائح العطرة واستعماله عند الحاجة .

* عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:
« من عرض عليه طيب فلا يرده فانه خفيف المحمل، طيب الرائحة »[3]

تلك ومضات من نور السنة النبوية الشريفة تهدينا الى الأخذ بأسباب الصحة الذاتية المتكاملة، وتأصيلها في نفوسنا حتى تصبح سلوكا يوميا ملازما لنا، فنحفظ لاجسادنا صحتها، ونقيها من القذارة والأوساخ التي تسبب الكثير من الأمراض والعلل الفتاكة .

صدق رسول الله ﷺ في قوله ذي البعد الطبي والصحي العظيم:

« الطهور شطر الايمان . » حثا منه للمسلمين عامة على أن يحرصوا على طهارة أبدانهم وأعضائهم المختلفة، ونظافة ثيابهم ومساكنهم وأدواتهم التي يستعملونها في مختلف شؤونهم، وتحفيزا لهم على القيام بذلك بصورة مستمرة في حياتهم اليومية اذا ما أرادوا استكمال « ايمانهم » الذي هو تصديق وعمل، ويقين وسلوك، وعقيدة وتطبيق .

---

(1) البخاري / جـ7/ص 210-211
(2) النسائي / جـ8/ص 150-151
(3) نفس المصدر السابق / ص 189

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رابعا: نظافة البيئة:

لا يخفى أن للبيئة أثرا كبيرا على نمو الأفراد الذين يعيشون في محيطها، صحة ومرضا.

فاذا كان محيطها نظيفا نقيا ساعد على النمو الجسمي السليم. واذا كان مليئا بالأوساخ والقذارة كان مصدرا للأمراض والعلل التي تضر بالصحة، وتعرقل النمو الجسمي وتصيبه بالعاهات والنقائص.

ومن مظاهر قذارة البيئة تلوث المياه ، وأمراض الحيوانات، وامراض النباتات وكثرة القمامة والقذارة والأوساخ في المساكن والمرافق العامة، والمحيط البيئي، وما اليها من مظاهر عدم النظافة. ويقاس معدل نظافة البيئة بمدى اختفاء المظاهر السيئة المذكورة، والاهتمام بازالتها والتحوط منها لخطورتها على الصحة العامة لكافة افراد المجتمع.

وقد أولت السنة النبوية المطهرة اهتماما بالغاً لنظافة البيئة التي يعيش فيها الفرد ادراكا منها لتأثيرها الكبير على صحته، ونموه، وساقت من التوجيهات الرشيدة الهادفة التي إن اتبعناها لضمنًا لنا ولابنائنا بيئة صحية نقية خالية من أسباب المرض والعدوى الى اقصى حد ممكن. وجعلت مسئولية الحفاظ على « نظافة البيئة » مسؤولية جماعية لا بد ان يستشعرها كل فرد من نفسه حتى يتحمل تبعاتها كلما تطلب منه الأمر ذلك.

ومن الشاهد على ذلك نهي الرسول ﷺ عن « البزاق » وخاصة في الأماكن العامة التي يرتادها عدد كبير من الأفراد، وتتطلب الوقاية الصحية دفن البزاق في التراب أو استعمال مناشف ورقية ونحوها.

والمرمى الطبي والصحي ظاهر من هذا النهي، فبزاق المريض يلوث البيئة وينشر الجراثيم، فتنتقل الى الأصحاء عن طريق التنفس أو اللمس ونحوهما.

* عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « البزاق في المسجد خطيئة

وكفارتها دفنها »[1]

وشدد رسول الله ﷺ في النهي عن التغوط في الطرق أو أماكن الظل، وما اليها من الاماكن العامة التي يؤمها الناس، حماية لهم من انتقال العدوى، وتوقيا لانتشار الأمراض بينهم.

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « اتقوا اللعانين. » قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: « الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم. »[2]

وأمر رسول الله ﷺ بعدم تلويث المياه، ببول أو غائط، أو غيرها من عوامل القذارة والأوساخ المؤذية للصحة والناشرة للامراض بشرب او اغتسال.

* عن جابر عن رسول الله ﷺ:
« أنه نهى أن يبال في الماء الراكد. »[3]

* وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:
« لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه. »[4]

ووجه رسول الله ﷺ المسلمين الى العناية بحسن تنظيف أوانيهم ومعداتهم وأدواتهم التي يستعملونها في حياتهم، وخاصة أدوات الطعام.

* عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ:
« طهور اناء أحدكم اذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولهن بالتراب. »[5]

---

(1) مسلم / جـ 2/ ص 77
(2) مسلم / جـ 1/ ص 156
(3) نفس المصدر السابق / ص 162
(4) نفس المصدر السابق / ص 162
(5) نفس المصدر السابق / ص 162

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعدد مرات الغسل الواردة في هذا الحديث ليس المقصود منها التحديد ولكن المقصود هو التأكد من النظافة التامة للاناء حتى لا يكون سببا في نقل سعار الكلاب الى الانسان، وهو مرض فتاك.

من تلك الأمثلة التي سقناها على سبيل الدلالة، وليس على سبيل الحصر، نلمس ادراك السنة النبوية المطهرة لخطورة تأثير البيئة على الفرد وتوجيهها الى الحرص والعناية الجماعية المستمرة بنظافتها وطهارتها، وتنقيتها من كل عوامل القذارة والأوساخ التي قد تكون سببا في انتشار الأمراض الخطيرة بين الأفراد، مما يلحق الضرر بهم فرادى فيشقون في حياتهم ويعجزون عن تحقيق طموحاتهم، ويلحق الضرر بالمجتمع عامة، فالمجتمع الذي يكثر فيه عدد المرضى أو ينتشر في محيطه المرض، لا يمكنه بلوغ النهوض والتطور الذي يبتغيه أو تحقيق الأماني التي يتطلع اليها في التقدم والازدهار.

خامسا: الصحة والمرض:

لا شك أن لكل من الصحة والمرض أثرا فعالا في النمو الجسمي، فإذا توفرت للفرد شروط الصحة الجيدة اسرع نموه الجسمي وتكاملت بنيته، واشتد عوده، وقويت عافيته، وهو ما يمكنه من تحمل المصاعب والمشاق في حياته التي يتطلب شق طريقه فيها كثيرا من الجهد والعناء والتضحية، كما يمكن جسمه من مقاومة الأمراض ومدافعة العلل، فيحيا حياة هانئة سعيدة.

اما اذا أصيب الفرد ببعض الأمراض والعلل فانها تعرقل نموه الجسمي سواء في العضلات أم العظام، أم البنية البدنية عامة. وبذلك يكون المرض من أشد المعوقات التي تحول دون النمو الجسمي السليم وهو ما يترتب عليه سوء النمو العقلي والنفسي، فيشقى الفرد، ويعجز عن مغالبة العراقيل التي تواجهه في حياته، ويختل اتزانه النفسي، ويفشل في تحقيق طموحاته في الحياة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان الصحة هبة من الله عزّ وجلّ لخلقه جعلها مصدر هنائهم وسعادتهم، ومبعث قوتهم وطاقتهم لحمل تكاليف حياتهم ومشاقها ومصاعبها ولا يقدِّر الانسان القيمة الحقيقية للصحة الا اذا فقدها بصورة مؤقتة أو دائمة.

ولذلك كان من أوكد واجبات الانسان في دنياه اهتمامه بصحته والحفاظ عليها، وتوفير أسبابها ومراعاة شروطها، ومغالبة المرض والتوقي منه، والاسراع بعلاجه في حالة الاصابة به.

وقد ركزت السنة النبوية على أهمية الصحة وأثرها الايجابي في النمو، لكونها من أهم دعائم الحياة السعيدة للانسان وحثته على مراعاة جانب الوقاية وجانب العلاج بكل عناية واهتمام حتى يحافظ على عافيته، ويحمي بدنه من الاصابة بالعلل والامراض التي ان لم تفتك به، عرقلت نموه ونشاطه وكانت سببا في عجزه وفشله في حياته، وحولت حاله من ذروة السعادة الى درك الشقاء.

ولذلك فقد استثارت السنة النبوية اهتمام الفرد بالصحة والعافية، ودعته الى الحرص على ان يكون قويا قادرا على تحمل اعباء حياته وتبعاتها.

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز.»[1]

ونوهت السنة النبوية بقيمة الصحة وضرورة الحفاظ عليها والاستفادة بها في تحقيق المطامح والاهداف.

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ:

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 56

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ »[1]

وفيما يلي نستعرض بعض الشواهد على اهتمام السنة النبوية بالجانب الوقائي والجانب العلاجي اللذين يعتبران اساسا لبلوغ الصحة والحفاظ عليها، وتوقي الأمراض وعلاجها.

1- الجانب الوقائي:

أولت السنة النبوية الصحة الوقائية عناية فائقة، ولذلك فقد دعت الى الاهتمام بالنظافة الشخصية وبطهارة البدن والملبس والمسكن والادوات والمعدات التي تستعمل في الحياة اليومية،وغيرها، والمرافق العامة التي يرتادها الناس ونحوها.

وترى السنة النبوية ان النظافة والطهارة من سيماء الكمال والجمال والنقاوة علاوة على انها وسيلة فعالة لحماية الصحة، وترى ان القذارة والاوساخ من سيماء النقص والقبح والدنس فضلا عن أنها وسيلة للعدوى وانتشار المرض.

عليه فقد جعلت السنة النبوية « الطهارة » شرطا أساسيا من شروط صحة الصلاة التي تعتبر الركن الثاني في الاسلام، تأكيدا لكون الطهارة وسيلة وقائية هامة، وتعويدا للمسلمين على آدائها بصورة لزومية في حياتهم اليومية حتى تصبح طبعا متأصلا في نفوسهم.

* عن ابن عمر قال اني سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« لا تقبل صلاة بغير طهور ، ولا صدقة من غلول »[2]

وأكدت على وجوب إحسان الوضوء للصلاة ، وهو من أهم أساليب

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 109
(2) مسلم / جـ 1/ص 140

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوقاية الصحية لأن المسلم يغسل فيه أطرافه المعرضة للعدوى والجراثيم خمس مرات في اليوم .

* عن عثمان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة، وذلك الدهر كله. »[1]

وكذلك اشترطت السنة النبوية الطهارة من الحدث، وأوجبت الغسل يوم الجمعة، وبينت خصال الفطرة ودعت الى تطبيقها ووقتت ميعادا لادائها لا تزيد عن أربعين ليلة، ودعت الى العناية بالثياب، وبالتطيب، وغير ذلك، مما يبرز اهتمامها بالنظافة والطهارة الشخصية كوسيلة من الوسائل الفعالة للوقاية الصحية.

قال تعالى:

﴿ ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. ﴾[2]

ودعت السنة النبوية المطهرة الى التحوط من خطر التلوث في المياه أو المعدات أو الأدوات التي يستخدمها الانسان، أو الاماكن التي يرتادها، وغير ذلك مما يكون وسيلة ناقلة للعدوى، أو مصدرا من مصادر الأمراض، وبذلك تكون السنة النبوية قد وضعت قواعد متينة للوقاية الصحية ولم تقتصر على التوجيهات العامة أو الارشادات العابرة.

ومن تلك القواعد الأساسية للوقاية الصحية نهي النبي ﷺ عن ادخال المستيقظ يده في الاناء قبل غسلها لكونها تعرضت للأوساخ أو الجراثيم طيلة الليل، ولمست من الثياب أو الأشياء ما قد يكون غير نظيف، وبذلك قد تكون مصدرا للاصابة ببعض الأمراض.

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 142

(2) البقرة / 222

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

« اذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثا فانه لا يدري أين باتت يده. »[1]

ونهى ﷺ عن الاستنجاء باليد اليمنى، لكونها تستعمل في تناول الطعام، فاذا ما مست النجاسة تكون وسيلة لنقل الجراثيم.

* عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ:

« لا يمسكن احدكم ذكره بيمينه وهو يبول، ولا يتمسح من الخلاء بيمينه، ولا يتنفس في الاناء. »[2]

ونهى ﷺ عن التنفس في الاناء أو النفخ فيه حتى لا يكون مصدرا لنقل العدوى بين الشاربين فيه.

* عن عبد الله بن قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ:

« اذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الاناء واذا بال أحدكم فلا يمسك ذكره بيمينه، واذا تمسح احدكم فلا يتمسح بيمينه »[3]

وأمر ﷺ بربط الأسقية واحكام تغطية الأواني والمعدات والأدوات التي يستعملها الانسان في طعامه وشرابه حتى لا تكون عرضة للقذارة أو الجراثيم.

* عن جابر قال قال رسول الله ﷺ:

« اطفئوا المصابيح بالليل اذا رقدتم، وغلقوا الأبواب، وأوكوا الأسقية، وخمروا الطعام والشراب. »[4]

وحث رسول الله ﷺ على العناية الشديدة بنظافة معدّات وأدوات

---

(1) مسلم / جـ 1/ص 160

(2) مسلم / جـ 1/ص 155

(3) البخاري / جـ 7/ص 146

(4) البخاري / جـ 8/ص 81

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطعام والشراب وصونها من أية أوساخ أو قذرات أو جراثيم تنقل الأمراض الخطيرة الى الانسان.

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

« طهور اناء احدكم اذا ولغ فيه الكلب ان يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب. »[1]

وفي هذا الحديث سبق علمي وطبي فريد لم يدرك سره الا بعد عشرة قرون تقريبا عندما اكتشف داء الكلب. وهو ما يؤكد بشكل قاطع اهتمام السنة النبوية بالصحة الوقائية قبل النظريات الحديثة.

ونهى ﷺ عن التبول أو التغوط في الماء الراكد والاغتسال منه، منعا لانتقال العدوى.

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

« لا يبولن احدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه. »[2]

كما نهى عن قضاء الحاجة في الاماكن التي يرتادها الناس، كالطريق ومواطن الجلوس، منعا لانتقال العدوى بينهم.

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

« اتقوا اللعانين »، قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم. »[3]

وأمر النبي ﷺ بالتحوط في زيارة المرضى، توقيا للاصابة بالامراض، وانتشارها عن طريق العدوى.

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

---

(1) مسلم / جـ 1/ص 162
(2) نفس المصدر السابق / ص 162
(3) نفس المصدر السابق / ص 156

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« لا توردوا الممرض على المصح . »[1]

ونهى ﷺ عن ارتياد المناطق التي توجد بها أوبئة، كما نهى عن الخروج منها والانتقال الى مناطق سليمة، منعا لتفشي الوباء بكثرة بين الناس، وحصرا له في مكان واحد توطئة لعلاجه والقضاء عليه، ووقاية لغير المصابين به.

والمثال على ذلك ما ورد في السنة بشأن « الطاعون » واتخاذ الحجر الصحي لمنع انتشاره.

* عن أسامة بن زيد قال رسول الله ﷺ :
« فاذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها عليه، واذا دخلها عليكم فلا تخرجوا منها فرارا . »[2]

وضرب رسول الله ﷺ لنا المثل في الوقاية الصحية، حتى نتبعه ونستهدي به.

* عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل اليه النبي ﷺ :
« انا قد بايعناك فارجع . »[3]

ومن أوجه اهتمام السنة النبوية المطهرة بالوقاية الصحية تحريم الخبائث من الغذاء: كالميتة والدم ولحم الخنزير.

* قال تعالى :
﴿ انّما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم . ﴾[4]

---

(1) البخاري / جـ 7/ص 179-180
(2) مسلم / جـ 8/ص 27
(3) مسلم / جـ 7/ص 37
(4) سورة النحل / 115

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتحريم الخبائث من الشراب، كالخمر.

* قال تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. ﴾[1]

وكذلك تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، أي العلاقة الجنسية غير المشروعة سرا أو علانية. ولا شك أن الاباحية الجنسية تسبب أمراضا خطيرة فتاكة بالجنس البشري، كالزهرى والسيلان والسفلس وغيرها، علاوة على كونها وسيلة تحلل اخلاقي، وفساد اجتماعي، يؤدي الى تقوّض الأسرة، وضياع الفرد، وخراب المجتمع.

* قال تعالى:

﴿ ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا. ﴾[2]

2- الجانب العلاجي:

كما اهتمت السنة النبوية بالجانب الوقائي، اهتمت بالجانب العلاجي ووسائله المختلفة اهتماما بالغا، لكونه السبيل السليم لتخليص الفرد من امراضه وآلامه اذا ما أخفق في وقاية نفسه. واصابته الأمراض والعلل.

فقد دعت الجميع الى طلب الدواء النافع، لان الله سبحانه وتعالى هو خالق الداء والدواء، وعلى الانسان ان يواصل البحث والدراسة والتجريب العلمي حتى يتوصل الى الكشف عن الأدوية الناجعة لمختلف العلل والامراض باذن الله تعالى.

* عن اسامة بن شريك قال: قالت الأعراب يا رسول الله الا نتداوى؟

---

(1) المائدة / 90

(2) الاسراء / 32.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال: « نعم، يا عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء أو قال دواء الا داء واحد. » قالوا: يا رسول الله وما هو؟ قال: « الهرم »[1]

وليس من المقبول ولا المعقول بقاء الانسان على أمراضه وعلله دون علاج بحجة انها مقدرة له، فقدر الله تعالى يشمل الداء والدواء معا وهو مالك الأمر كله.

* قال الرسول ﷺ:
« الدواء من القدر وقد ينفع باذن الله. »[2]

وقال تعالى:
﴿ واذا مرضت فهو يشفين. ﴾[3]

كما أكدت على ضرورة التماس الدواء المناسب لكل داء حتى يكون العلاج سليما ويشفي العليل في أسرع وقت ممكن.

* عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال:
« **لكل داء دواء، فاذا أصيب دواء الداء** برأ باذن الله عزّ وجلّ. »[4]

ودعت السنة النبوية المطهرة الى الاستفادة بجميع أساليب العلاج، مع مراعاة تناسبها مع العلل والأمراض المختلفة.

* عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: جاءنا جابر بن عبد الله في أهلنا، ورجل يشتكي خراجا به، أو جراحا، فقال: ما تشتكي؟ قال: خراج بي قد شقّ عليّ. فقال: يا غلام ائتني بحجّام. فقال له: ما تصنع

---

(1) الترمذي / جـ 8/ص 192 (وقال عنه حديث حسن صحيح)
(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 3/ص 496 (رواه الطبراني في الكبير وابو نعيم عن ابن عباس)
(3) الشعراء / 80
(4) مسلم / جـ 7/ص 21

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالحجام يا أبا عبد الله؟ قال: أريد أن أعلّق فيه محجما. قال: والله ان الذباب ليصيبني، أو يصيبني الثوب فيؤذيني، ويشق علي.

فلما رأى تبرمه من ذلك، قال: اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ان كان في شيء من أدويتكم خير، ففي شرطة محجم، أو شربة من عسل، أو لذعة بنار. » قال رسول الله ﷺ وما أحب أن أكتوي. » قال: فجاء بحجام فشرطه فذهب عنه ما يجد.[1]

ومن ذلك توجيه النبي ﷺ الى تبريد رأس المحموم بالماء تخفيفا لدرجة الحرارة المرتفعة، وحماية الدماغ من النزيف أو غير ذلك من أنواع الأذية التي قد تلحقها الحمى بالمصاب بها.

* عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال:

« الحمي من فيح جهنم فأبردوها بالماء. »[2]

ومن ذلك أيضا، توجيهه الى العلاج بالحبة السوداء (الشونيز) لما تناسبه من أمراض.

* عن خالد بن سعد قال: خرجنا ومعنا غالب بن أبحر فمرض في الطريق فقدمنا المدينة وهو مريض، فعاده ابن أبي عتيق فقال لنا: عليكم بهذه الحبيبة السوداء فخذوا منها خمسا أو سبعا فاسحقوها ثم أقطروها في أنفه بقطرات زيت في هذا الجانب وفي هذا الجانب، فان عائشة حدثتني انها سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ان هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء الا السّام. » قلت وما السام؟ قال: « الموت »[3]

وهكذا نلمس أن رسول الله ﷺ حدد في توجيهاته الصحية بعض

---

(1) مسلم / جـ 7/ص 21-22
(2) نفس المصدر السابق / ص 23
(3) البخاري / جـ 7/ص 160

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أساليب العلاج كالجراحة، والمداواة الباطنية، والكي، وتبريد الحمى بالماء، ونحوها وكل اسلوب منها صالح لعلاج أو علة أو مرض معين، وليس التعداد الوارد في الأحاديث على سبيل الحصر ولكن على سبيل المثال، بما يوحي بالحث على طلب كل الأساليب الطبية الصالحة للعلاج.

وأكدت السنة النبوية على ضرورة الالتزام بأخذ الدواء حتى استكمال الدورة العلاجية، لكي يؤتي الدواء مفعوله في البدن وفق الكميات أو الجرعات المحددة والمكررة في اوقاتها المعلومة. وهي من اهم المبادىء العلاجية التي أكدها الطب الحديث، وسبقت اليها السنة النبوية المطهرة.

* عن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل الى النبي ﷺ فقال:

« ان أخي استطلق بطنه. فقال رسول الله ﷺ: « اسقه عسلا. » فسقاه، ثم جاءه فقال: اني سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا. فقال: له ثلاث مرات. ثم جاء الرابعة، فقال: « اسقه عسلا » فقال: لقد سقيته فلم يزده الا استطلاقا. فقال رسول الله ﷺ:

« صدق الله، وكذب بطن أخيك. » فسقاه فبرأ.[1]

وواضح من هذا التوجيه الطبي النبوي انه لا بد من الصبر على العلاج، وعدم التعجل، واستكمال الدورة المناسبة للدواء حتى يشفي المرض، فقد أتى « العسل » مفعوله في علاج اسهال بطن المريض المعني في الحديث بعد تكراره عدة مرات ولمدة كافية من الزمن.

ومن ذلك أيضا تكرار رسول الله ﷺ لاسلوب المعالجة بالجراحة حتى يشفي المريض، فاذا لم تنفع المعالجة الأولى فقد تنفع المعالجة الثانية، مع تعديل اسلوب العلاج وفق ما يتبين للمعالج من تطورات وخصائص المرض.

---

(1) مسلم / جـ7/ص 26

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن جابر، قال: رمي سعد بن معاذ في اكحله، قال: « فحسمه النبي ﷺ بمشقص »، ثم ورمت فحسمه الثانية.[1]

تلك بعض الشواهد الحية في السنة النبوية المطهرة سقناها للتدليل على اهتمامها البالغ « بالجانب العلاجي » حرصا منها على المحافظة على صحة البدن، وضمان سلامة نموه، وتقوية بنيته، وحمايته من الأمراض والعلل التي تبدد قدراته وطاقاته، وتشله وتجعله غير قادر على بذل الجهد المطلوب لمواجهة أعباء الحياة وتبعاتها الثقيلة.

سادسا: التعب والارهاق:

من أهم العوامل المؤثرة على البناء الجسماني التعب والارهاق فهما مضران للنمو الجسمي، في كل مراحل العمر. ومن الخصائص الطبيعية للنمو الجسمي أن يصيبه التعب، ويكتنفه الارهاق عقب بذل المجهود المتواصل والمكثف وقد يحل التعب بعضو من أعضاء الجسد، أو مجموعة من الأعضاء قامت ببذل مجهود معين، أو يحل بالجسد كله اذا سرى مع الدم وعم جميع اجهزة البدن، وينتج في هذه الحالة عن « المواد المهدومة أو المحترقة » التي صرفت في بذل المجهود.

ومن علامات التعب أو الارهاق الأولى: الترنح والدوار، واضطراب العمل المشترك بين القلب والجهاز التنفسي، وقد يصل المرء المتعب الى حد الاغماء. وذلك لأن لطاقة الانسان وقدراته مهما كانت قوته العضلية وصحة بنائه الجسدي حدا معينا تنتهي اليه وهو « الشعور بالتعب » الذي عندما يبلغه تبدأ طاقته الانتاجية في الانخفاض، ويقل شغفه بمواصلة نشاطه أو عمله، وتكثر اخطاؤه. ولعله من المفيد أن نشير الى أنه يمكن تقسيم « التعب » الى ثلاثة أنواع رئيسية: أولها: التعب الجزئي وهو الذي

---

(1) مسلم / جـ 7/ص 22

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يحصل في عضو واحد أو مجموعة أعضاء تشترك في أداء نشاط ما أو القيام بعمل ما وثانيها: تعب عام يشمل الجسد كله نتيجة للمواد المهدمة، وثالثها: التعب الزائد وهو الذي يصاحبه الارهاق الشديد وبعض حالات العجز عن أداء أي جهد وهو نوع يهدد بالمرض.

ويحدث التعب دائما نتيجة للاضطراب في عملية تبادل المواد داخل الجسم، بأجهزته المختلفة، اذ ينشأ نقص في المواد المولدة للطاقة والحركة، بينما يكثر تهدم المواد المصروفة في الجهد والنشاط والعمل.

ولذلك كان من الضروري الحصول على قسط كاف من الاستجمام والراحة لازالة التعب والارهاق، وتجدد النشاط والقدرة على العمل وتقوية طاقات الحركة. وكان من الضروري أيضا مراعاة حدود المقدرة والطاقة الجسمية للانسان عند تكليفه بأية مهام أو أعمال، وأخذ ذلك في الحسبان في مختلف مراحل نموه، سواء أكان طفلا أم شابا أم رجلا، حتى لا نشق عليه ونحمله فوق ما يحتمل، ونلحق به الضرر من حيث نريد له المنفعة.

ولقد راعت السنة النبوية الشريفة هذا الاساس الهام في التربية والتوجيه، ودعت الى اسلوب الرفق في التنشئة وتجنب العنف، وذلك بعدم تحميل الناس ما لا يستحملون.

* عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة: ان الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه.»[1]

ودعت الى مراعاة الطاقة والقدرة منعا للمشقة والغلو في القيام بالاعمال وأداء التكاليف.

* عن عائشة قالت: كان لرسول الله ﷺ حصير، وكان يحجره من الليل

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 22

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيصلي فيه، فجعل الناس يصلون بصلاته ويبسطه بالنهار، فثابوا ذات ليلة فقال:

« يا أيها الناس عليكم من **الأعمال ما تطيقون**، فان الله لا يمل حتى تملوا، وأن أحب الأعمال الى الله مادووم عليه وان قلَّ. »[1]

وكان رسول الله ﷺ ذاته يراعي في تعليمه للصحابة عدم اتعابهم والمشقة عليهم، ويجنبهم الملل والسآمة.

* عن ابن مسعود قال:

« كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا. »[2]

وكان يأمر الصحابة الذين يؤمون الناس ألاّ يطيلوا في القراءة أو في الصلاة حتى لا يشقوا عليهم.

* عن جابر بن عبد الله أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يصلّي مع النبي ﷺ، ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة، فقرأ بهم البقرة، قال: فتجوَّز رجل فصلى صلاة خفيفة، فبلغ ذلك معاذا فقال: انه منافق. فبلغ ذلك الرجل فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله انّا قوم نعمل بأيدينا ونسقي بنواضحنا، وان معاذا صلى بنا البارحة، فقرأ البقرة فتجوَّزت فزعم أني منافق، فقال النبي ﷺ:

« يا معاذ أفتّان أنت (ثلاثا)، اقرأ الشمس وضحاها، وسبح اسم ربك الأعلى و نحوها »[3]

وإنما يقصد رسول الله ﷺ بهذا التوجيه عدم تحميل الناس فوق قدراتهم وطاقاتهم ، فان منهم الضعيف صغيرا كان أم كبيرا والمسنّ وغيرهما ، وذلك حرصاً منه ﷺ على عدم تنفيرهم من أداء التكاليف والأعمال وفق ما لا يطيقون ولا يحتملون .

---

(1) مسلم / جـ2/ص 188-189
(2) البخاري / جـ1/ص 27
(3) البخاري / جـ8/ص 32-33

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن ابن مسعود قال: قال رجل : يا رسول الله إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها ، فغضب رسول الله ﷺ ، ﷺ ، ما رأيته غضب في موضع كان أشدّ غضبا منه يومئذ . ثم قال :

« يا أيها الناس إنّ منكم منفّرين فمن أمّ الناس فليتجوّز ، فان خلفه الضعيف ، والكبير ، وذا الحاجة »[1]

وأكدت السنة النبوية ضرورة مراعاة الاستطاعة، فلا تكليف يتجاوز قدرة الانسان واستطاعته .

* قال تعالى :

﴿ لا يكلف الله نفسا الا وسعها . . ﴾[2]

وهذا ما كان رسول الله ﷺ يراعيه بحق عندما كان يبايعه المؤمنون والمؤمنات كبارا وصغارا، فكان يوجههم الى ان السمع والطاعة انما يكونان في حدود الاستطاعة والقدرة .

* عن ابن عمر قال: كنّا حين نبايع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول: « فيما استطعتم »[3]

* وعن أميمة بنت رقيقة قالت: بايعنا رسول الله ﷺ في نسوة، فقال فيما استطعتن واطقتن »[4]

وهكذا نلمس اهتمام السنة النبوية بمراعاة حدود قدرة البدن وطاقاته وحاجته للراحة بعد الجهد والعناء حتى يسترد طاقاته ويستجمع قواه ويصبح قادرا على معاودة العمل والنشاط من جديد .

---

(1) البخاري / جـ 1/ص 180
(2) البقرة / 286
(3) النسائي / جـ 7/ص 152
(4) نفس المصدر السابق / ص 152

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ:
« يا عبد الله ألم أخبر أنّك تصوم النهار وتقوم الليل؟ » قلت: بلى يا رسول الله. قال: « فلا تفعل، صم وافطر، وقم ونم، فان لجسدك عليك حقا، وان لعينك عليك حقا، وان لزوجك عليك حقا. »[1]

وليس من أروع من هذا التوجيه النبوي الهادف الذي يحوي في طياته مضامين تربوية وصحية غاية في الدقة والحكمة، فالانسان لكي يصون حياته من التلف لا بد أن يراعي حدود طاقاته وقدراته ويحرص على سلامة صحته، وعافية بدنه بالراحة بعد التعب، والاستجمام بعد الارهاق، وبذلك يستعيد قواه ويستجمع نشاطه فيعود من جديد الى البذل والجهد والعمل بحيوية دافقة وكفاءة عالية.

سابعا: الراحة والترويح:

إتضح لنا في الفقرة السابقة مدى حاجة الإنسان الى الراحة بعد العناء والتعب حتى يحفظ لبدنه صحته وسلامته من العلل والأمراض ويساعده على حسن النمو والتكامل وخاصة في مراحل حياته الأولى.

فلا غنى اذا لأي فرد بشري عن التمتع بقسط كاف من الراحة بعد الأعمال المضنية والمجهودات الشاقة. واذا لم ينظم الانسان لنفسه مواعيد معينة للراحة والاستجمام في « يومه » فان عناصر التعب تتجمع وتسبب له ارهاقا متواصلا يظهر في صورة: صراع أو اغماء ، أو اضطرابات عصبية شديدة، وتزداد هذه المخاطر عند ذوي السن المبكرة، وعند ذوي البنية الجسدية الضعيفة، اذا ما أرهقوا أنفسهم وكلفوها باعمال تفوق طاقاتهم وقدراتهم بدافع اثبات المقدرة والكفاءة، وتحقيق النجاح أو الطموح.

---

(1) البخاري / جـ 7/ص 40-41

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وترتبط الراحة، لكي تتم، بعنصر هام مجدد للطاقات والقوى النفسية والجسدية، الا وهو « الترويح » الذي يشمل ممارسة مختلف الهوايات والرياضات والألعاب والانشطة الحرة: الفردية والجماعية. والترويح ببرامجه الهادفة ليس عبثا، ولكنه وسيلة بناءة، اذا ما وجدت التوجيه التربوي الهادف، لاستغلال اوقات الراحة والفراغ فيما يصقل العقل ويهذب الخلق، ويروح عن النفس، ويرقي الوجدان ويريح البدن، ويتيح للانسان فرص السعادة والتمتع بميوله ومواهبه ورغباته المشروعة.

واذا ما درسنا موقف السنة النبوية من « الراحة » كأساس هام مؤثر في البدن ونموه وقدراته، لوجدناه موقف التفهم والادراك الكامل، فهي تؤكد ضرورة أخذ نصيب كاف من الراحة بعد الجهد والتعب حتى يستعيد البدن قدراته وقواه على النشاط والعمل.

* عن أنس قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال: « ما هذا؟ » قالوا: لزينب تصلي فاذا كسلت أو فترت أمسكت به. فقال:

« حلّوه! ليصلّ أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر قعد »[1]

وكان رسول الله ﷺ يضرب من نفسه المثل التربوي للصحابة الذين يتشددون أو يغالون في العبادة، توجيها لهم لاراحة أبدانهم وعدم تحميلها فوق ما تطيق، ولو كان ذلك في العبادة، خوفا عليهم من الحاق الضرر بأبدانهم، أو نفورهم من التكاليف والاعمال، فلكل انسان طاقة محدودة وقدرة معينة لا يستطيع بعدها مواصلة أي جهد أو نشاط.

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثة رهط الى بيوت ازواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه

---

(1) مسلم / جـ 2/ص 189

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فاني أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.
فجاء رسول الله ﷺ فقال:

« أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله انّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنّي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني. »[1]

ومن رحمة الله عزّ وجل بعباده أن منَّ عليهم بنعمة « النوم » الذي يرتاحون فيه بعد التعب والمشقة وتستجم فيه ابدانهم وتستعيد قواها وطاقاتها فتعود الى بذل الجهد والنشاط من جديد بحيوية وفعالية.

وهكذا تكون حياة الانسان السليمة دورة متكاملة من العمل والراحة، والحركة والسكون، والنشاط والاستجمام.

* قال تعالى:

﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار، لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾[2]

ولذلك تحثنا السنة النبوية على ألّا نتجاوز طاقاتنا وقدراتنا ليس فقط في اعمالنا وأنشطتنا بل وفي الطاعات والعبادات أيضا، وهي الأشرف لكونها وسيلة التقرب لله تعالى ونيل رضاه، وذلك استجابة لحاجات الطبيعة البشرية ومراعاة لحدودها.

* عن عائشة قالت: كانت عندي امرأة، فدخل عليّ النبي ﷺ فقال: « من هذه؟ » قلت: فلانة، لا تنام تذكر من صلاتها فقال النبي ﷺ: (عليكم بما تطيقون، فوالله لا يملّ الله حتى تملوا. »[3]

---

(1) البخاري / جـ 7/ص 2
(2) القصص / 73
(3) ابن ماجة / جـ 2/ص 14-16

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان مفهوم التربية في السنة النبوية وان كان يركز على الناحية المثالية المتمثلة في تزكية الروح وترقية الاخلاق، الا انه لا يغفل الناحية الواقعية التي تراعي فطرة الانسان وخصائصه المادية، وحدود قدراته وطاقاته، واحتياجاته ونوازعه واشباعها بالطرق المشروعة الحكيمة.

ولذلك كانت التربية في السنة النبوية تقام على أسس الرحمة والشفقة والرفق، وتجانب أسلوب العنف والمشقة والمغالاة.

وبهذه النظرة المتكاملة للانسان، كروح وبدن، أعطت السنة النبوية « للبدن » حقه في الراحة والاستجمام، ودعت الى تجنيبه الارهاق والتعب، صونا لسلامته وحفاظا على صحته لكي يؤدي دوره الفعال في الطاعات والتكاليف والاعمال.

واهتمت السنة النبوية ايما اهتمام « بالترويح » لأثره الفعال في الصحة البدنية، وبالتالي في الصحة العقلية والصحة النفسية. وكان موقفها الايجابي من الترويح بمظاهره وعوامله المختلفة، موقفا تربويا سباقا ورائدا عندما نضع في الحسبان ما أكدته نظريات التربية الحديثة بخصوص أهمية الترويح وفعاليته في التنفيس عن الطاقات الجسدية والنفسية للانسان واستجمامه واستعادته لقواه واستجماعه لطاقاته وحيويته من جديد، فضلا عن تعلمه وتدربه ونمو خبراته وتجاربه من خلال ما يمارسه من ألعاب وأنشطة ترويحية.

فقد أكدت السنة النبوية على ضرورة الترويح والتسلية بعد الجهد والنشاط، ووازنت بذلك موازنة معتدلة بين الجانبين الجدي والترويحي في الحياة البشرية تمشيا مع فطرة الانسان وتلبية لمطالبه الضرورية واشباع حاجاته الطبيعية.

* عن حنظلة الأسيدي... قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« وما ذاك؟ » قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرا. فقال رسول الله ﷺ: « والذي نفسي بيده ان لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذّكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ثلاث مرات. »[1]

ولم تمانع السنة النبوية في المزاح البريء والتفكه والتبسط والملاطفة والمداعبة شرط الاعتدال دون أن يقود ذلك الى التباغض والسباب، أو الى السخرية والاحتقار والتندر بعيوب الناس، فكل شيء زاد عن حده انقلب الى ضده.

وقد كان رسول الله ﷺ يلاطف الأطفال ويتفكه معهم.

* عن أنس بن مالك يقول:
« كان رسول الله ﷺ من أفكه الناس مع صبي. »[2]

وكان ﷺ يداعب الأطفال ويتبسط معهم.

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: ان كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير:
« يا أبا عمير ما فعل النّغير؟. »[3]

ولم يمنع رسول الله ﷺ الصحابة من « الضحك » الذي يعد حاجة بشرية طبيعية لما فيه من ترويح عن النفوس، بل كان يشاركهم « بتبسمه الشريف » عليه الصلاة والسلام.

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 94-95
(2) البيهقي / دلائل النبوة / ص 246
(3) البخاري / جـ 8/ص 37

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت النبي ﷺ مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته، انما كان يبتسم. »[1]

وكان رسول الله ﷺ يمازح بعض الصحابة ويداعبهم، لادخال السرور على أنفسهم:

* عن أنس بن مالك أن رجلا استحمل رسول الله ﷺ فقال: « اني حاملك على ولد الناقة. » فقال: يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: « وهل تلد الابل الا النّوق. »[2]

ولكنه كان صادقا في مزاحه ومداعبته، ولا يقول الا حقا.

* عن أبي هريرة قال: قالوا يا رسول الله انك تداعبنا قال « اني لا أقول الا حقا. »[4]

وكان رسول الله ﷺ يضحك للامر الطريف في جلال وهيبة ووقار، دون قهقهة.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت. قال

« ويحك! » قال: وقعت على أهلي في رمضان. قال: « اعتق رقبة » قال: ما أجدها. قال: « فصم شهرين متتابعين. » قال: لا أستطيع قال: « فأطعم ستين مسكينا. » قال: ما أجد. فأتى بعرق فقال: « خذه فتصدق به ». فقال: يا رسول الله أعلى غير أهلي، فوالذي نفسي بيده ما بين طنبي المدينة أحوج مني. فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه قال: « خذه »[3]

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 29-30

(2) الترمذي / جـ 8/ص 158 (وقال عنه : حديث حسن صحيح غريب)

(3) نفس المصدر السابق / ص 157 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

(4) البخاري / جـ 8/ص 47-48

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن النبي ﷺ نهى عن المزاح الذي قد يقود الى تحقير الناس وابراز عوراتهم وسيئاتهم لا لشيء الا للضحك عليها والتندر بها.

* عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:

« لا تمار أخاك ولا تمازحه، ولا تعده موعدة فتخلفه. »[1]

ونهى عن الضحك مما يصدر عن الانسان لضرورة طبيعية منعا لفضحه والسخرية منه.

* وعن عبد الله بن زمعة قال:

« نهى النبي ﷺ أن يضحك الرجل مما يخرج من الأنفس. »[2]

كما نهى عن اتخاذ الكذب وسيلة للاضحاك والمزاح. وذلك بغية الحفاظ على الاحترام والمودة بين الناس.

* عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له. »[3]

ولم تمانع السنة النبوية في « الغناء » أو الانشاد الذي لا فتنة فيه، والذي لا يكون وسيلة لاثارة الغرائز أو التحريض على الفسق والفجور، أو يكون عاملا من عوامل الالهاء والغفلة، وذلك لكون الغناء والأناشيد من وسائل الترفيه البريء الذي يخفف عن النفس أعباءها، فيُدخل عليها الفرح والسرور، ويُذهب عنها الكدر والحزن، ولكونه ايضا من وسائل الحماسة والتحفيز على الأعمال الصالحة والأنشطة الهادفة.

* عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ مرّ ببعض المدينة، فاذا هو بجوار

---

(1) الترمذي / جـ 8/ص 160-161 (وقال عنه : حديث حسن غريب)

(2) البخاري / جـ 8/ص 18

(3) الدارمي / السنن / جـ 2/ ص 296

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يضربن بدفهن ويتغنين ويقلن:

نحن جوار من بني النجار. . يا حبذا محمد من جار.

فقال النبي ﷺ: « الله يعلم أنّي لأحبكن. »[1]

ورخص رسول الله ﷺ في الغناء الذي لا معصية فيه في أيام العيد وهي ايام فرحة وبهجة وسرور وتسلية بريئة.

* عن عائشة قالت: دخل عليّ أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ، وذلك يوم عيد. فقال رسول الله ﷺ: « يا أبا بكر ان لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا. »[2]

وفي هذا الحديث دليل على أن رسول الله ﷺ لم يمنع « الغناء » البريء كوسيلة من وسائل الترويح، على أنه حين وجد في الغناء بعض الميل الى المغالاة والشطط نهى عنهما، وأمر بتركهما، ولم يمنع الغناء ذاته.

* عن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ بن عفراء، قالت: جاء رسول الله ﷺ فدخل علي صبيحة بني بي، فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جويريات يضربن بدف لهن ويندبن من قتل آبائي يوم بدر الى أن قالت احداهن:

وفينا نبيّ يعلم ما في غد. فقال: « دعي هذا، وقولي الذي كنت تقولين. »[3]

وقد كان صحابة رسول الله ﷺ السابقين يحيون الأعراس بالغناء ابتهاجا وفرحة وسرورا.

---

(1) ابن ماجة / جـ 1/ ص 612

(2) مسلم / جـ 3 / ص 21

(3) أبو داود / جـ 4/ ص 433، 434

* عن عامر بن سعد قال: دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الانصاري، في عرس، واذا جوار يغنين فقلت: أنتما صاحبا رسول الله ﷺ، ومن أهل بدر يفعل هذا عندكم؟! فقال: اجلس ان شئت فاسمع معنا، وان شئت اذهب، قد رخص لنا في اللهو عند العرس.[1]

* بل أبدى رسول الله ﷺ امتنانه لمن كانوا يحتفلون بأعراسهم فيغنون ويلعبون ويفرحون ويدخلون البهجة والمرح على الناس، توجيها لأخذ النصيب الطبيعي من زينة الحياة وفرحتها المشروعة، وموازنة عادلة بين قوى النفس البشرية دون افراط أو تفريط.

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أبصر النبي ﷺ نساء وصبيانا مقبلين من عرس، فقام ممتنا فقال: « اللهم أنتم من أحبّ الناس اليّ »[2]

ومن هذا الحديث نلمس ان السنة النبوية اباحت الغناء والانشاد البريء، لكونه يرفه عن النفس المكدودة، ويرقق العاطفة، ويحفز على نوازع الخير. لكن تجدر الاشارة الى أنها نهت عن الغناء الفاسد الذي يثير الغرائز، ويدعو الى الضلال، ويشوه الحقائق، ويغرس في النفس النفاق والانحلال.

* عن عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« ان الغناء ينبت النفاق في القلب. »[3]

ولم تعارض السنة النبوية الشريفة اللهو البناء، لكونه من عناصر الترفيه والترويح عن الأبدان والنفوس.

---

(1) النسائي / جـ 6 / ص 135

(2) البخاري / جـ 7/ ص 33

(3) ابو داود / جـ 4/ ص 435

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال رسول الله ﷺ :

« ألهوا والعبوا فإني أكره أن يرى في دينكم غلظة »[1]

على أنها أكدت مراعاة أن يكون « اللهو » مفيداً للانسان ، وليس مجرد تمضية للوقت، وذلك باستغلاله في اكتساب مختلف المهارات والخبرات النافعة .

* قال رسول الله ﷺ:

« خير لهو المؤمن السباحة، وخير لهو المرأة المغزل. »[2]

وبذلك تركز السنة النبوية على مبدأ تربوي غاية في الأهمية وهو استغلال وقت الفراغ في الترويح عن البدن والنفس بطريقة بناءة تنمي الميول والمواهب، وتصقل المهارات والخبرات، فلا يضيع وقت الفراغ هباء في لهو عابث، ولعب طائش.

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ:

« نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ »[3]

وعليه فقد سمحت السنة النبوية المطهرة « باللعب » بمختلف جوانبه لكونه يعتبر من أهم وسائل الترويح والترفيه، البدني والنفسي، ولكونه من الغرائز أو الدوافع الفطرية لدى الانسان التي تتطلب الاشباع، ولكونه يساعد بما فيه من حركات وتمرينات على نمو العضلات والعظام نموا صحيا سليما، وبالتالي يساعد على حفظ توازن النمو الجسمي، وبشرط مراعاة أن يكون « اللعب » مناسبا لمراحل النمو، وللطاقات والقدرات. هذا فضلا على ما في اللعب من اشباع للحاجات النفسية والعقلية، وخاصة

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6/ ص 173 (رواه: أبو عدي في الكامل عن ابن عباس)

(2) نفس المصدر السابق / ص 173 (رواه: البيهقي في شعب الايمان عن المطلب بن عبد الله)

(3) البخاري / جـ8/ ص 109

اخصاب ملكة الخيال وتطويرها من المستوى الايهامي اللاّهي، الى المستوى الواقعي العلمي.

وهكذا فقد حرصت السنة النبوية على التوجيه الى اشباع حاجة الأطفال الى اللعب والترويح واللهو البريء.

* عن عائشة قالت: «كان الحبش يلعبون بحرابهم فسترني رسول الله ﷺ وأنا أنظر، فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف، **فأقدروا قدر الجارية** الحديثة السن تسمع اللهو.»[1]

ذلك لأن لعب الطفل مع أترابه، من ذوي مرحلته العمرية، ينمي مداركه، ويساعده على تكوين العلاقات الاجتماعية، علاوة على ما يدخله على نفسه من بهجة وسرور، وينفس به عن طاقاته الجسدية والنفسية، وهو ما كان يحرص عليه الرسول ﷺ في ممارساته التربوية الى جانب توجيهاته الحكيمة.

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ اذا دخل يتقمعن منه، فيسر بهن الي فيلعبن معي.»[2]

وأدركت السنة النبوية المطهرة أن لعب الأطفال وان بدا في مظهره الأول عابثا لاهيا ايهاميا، الا انه بتطور النمو، وزيادة النضج العقلي، وتوسع المدارك والمعارف والخبرات، يصبح لعبا واقعيا وجاداً ومنميا لملكة الخيال العلمي الذي يساعد على استكمال النمو العقلي. ولذلك اتاحت للناشىء الفرصة الرحبة لاشباع خياله وحاجته للعب.

* عن عائشة قالت قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أو خيبر وفي سهوتها ستر، فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة،

---

(1) البخاري / جـ 7/ ص 36

(2) البخاري / جـ 8/ ص 37

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لعب. فقال:

« ما هذا يا عائشة؟. » قالت: بناتي!

ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع. فقال « ما هذا، الذي أرى وسطهن؟ قالت: فرس قال: « وما هذا الذي عليه؟ » قالت: جناحان. قال: فرس له جناحان؟! » قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة؟ » قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه.[1]

هذا، وأكدت السنة النبوية المطهرة وجوب مراعاة أن تكون الألعاب بناءة ومفيدة لصقل المواهب والمهارات المختلفة النافعة للانسان في حياته، خصوصا بعد أن يتدرج في نموه من مراحل الطفولة الى مرحلة البلوغ والنضج، ويصبح على مشارف تكامل الرجولة فيحتاج الى ان يكون لعبه ولهوه جادا وهادفا، ومرتبطا بنمو خبراته وقدراته وصقل ملكاته ومواهبه.

* عن عقبة بن عامر قاال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله، فلا يعجز احدكم أن يلهو بأسهمه. »[2]

والنبي ﷺ بهذا التوجيه التربوي وغيره يؤكد ضرورة مواصلة الحفاظ على المهارات النافعة، وصقلها المستمر، للاستفادة بها وقت الحاجة، ولذلك فقد دعت السنة النبوية المطهرة الى ممارسة عدة العاب مفيدة للبدن، نافعة للياقته، ومعينة على شحذ طاقاته وقدراته، علاوة على ما تجلبه للانسان من مسرة وترويح عن النفس، وذلك مثل العاب: المشي، والسباق، والرمي، والسباحة والمصارعة ونحوها، وهو ما سنتعرض له بالمناقشة المفصلة اثناء حديثنا عن التربية البدنية وأثرها في النمو الجسمي

---

(1) ابو داود/ جـ4/ ص 439

(2) مسلم / جـ6/ ص 52

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في الفقرة القادمة.

وعليه يتضح لنا اهتمام السنة النبوية الشريفة « بالترويح » بأشكاله المختلفة، لكونه يمثل حاجة طبيعية للانسان لا بد من اشباعها بالطرق المشروعة حتى يخفف عن نفسه أعباءها، وينفس عن طاقاته وقدراته الجسدية، ويتيح لها فرصة الاستجمام والراحة، واستجماع الحيوية والنشاط والقوة من جديد، ليعود الى أداء اعماله والقيام بتكاليفه بعقل صاف متوقد، ونفس منشرحة مستبشرة، وبدن مستجم قادر.

وبذلك تكون السنة النبوية قد حققت سبقا تربويا في ادراكها، وتأكيدها على ان وقت الفراغ وما يشغل به من لعب ولهو، ليس مضيعة للوقت، ولا هدرا للطاقات، ولكنه وسيلة تربوية فعالة في صقل وتنمية مختلف المهارات والخبرات والميول والمواهب.

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ:
« نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ. »،[1]
صدق رسول الله ﷺ في هذا التوجيه

صدق رسول الله ﷺ في هذا التوجيه التربوي الرائع، فمن استفاد بصحته وفراغه فهو مغبوط، ومن ضيّعهما وأهدرهما بغير حقهما فهو مغبون!

ثامنا: التربية البدنية:

من أهم العوامل المؤثرة على النمو الجسمي التربية البدنية بعناصرها المختلفة، فاذا كانت سليمة ومناسبة أدت الى حفظ صحة الجسد، ورفعت طاقاته، وزادت من كفاءته الانتاجية، ونشطت دورته الدموية، وساعدته على تعويض خلاياه المهدومة، ومكنته من التنفس السليم بما توفره له من « أوكسجين » ضروري للحياة، وبذلك تصبح التربية البدنية الجيدة التي

---

(1) البخاري / جـ 8 / ص 109

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يشترط توافقها مع عمر وطاقات وقدرة الانسان، من اهم العوامل المساعدة على تكامل النمو الجسمي السليم. اما اذا كانت غير سليمة وغير مناسبة لقدرات وطاقات البدن فانها تعود عليه بالضرر والخطورة.

والتربية البدنية محببة الى النفس، اذ تؤدى باقبال وشغف شخصي يزيد من قيمتها في الترويح عن النفس وادخال المسرة عليها، وبذلك يكون حسن أدائها مؤثرا تأثيرا ايجابيا في البناء الجسماني، ولكون الفرد البشري منذ صغره مولعا بالحركة والتنقل، ويعبر من خلال حركاته ونشاطه عن دوافعه الفطرية، فانه من الخطأ التربوي الفاحش ان يحرم من متعته الطبيعية ويمنع من التعبير عن ميوله الفطرية فيما يقوم به من جري وقفز، وحركة وتنقل وصعود وهبوط، ولعب ونشاط، وغير ذلك . وهذه كلها من عناصر التربية البدنية التي لم يعد أحد يشك في أثرها الايجابي - اذا ما روعيت فيها الحكمة - على ابدان وعقول الناشئين وخاصة في طور النمو والنضوج فضلا عن أنها وسيلة هامة من وسائل التنفيس عن رغباتهم والتعبير عن نوازعهم والترويح عنهم، وابدال واعلاء غرائزهم.

وصفوة القول: ان التربية البدنية، عموما، من أهم وسائل العناية الصحية للبدن والعقل والنفس، لأنها تقود ممارسيها الى احضان الطبيعة حيث الشمس والهواء الطلق فيستجمون ويمرحون، ويرفهون عن أنفسهم، وتقوى أبدانهم وتنمو عضلاتهم، وتتحسن وظائف قلوبهم وأجهزتهم التنفسية:

« وقد أثبتت الاحصائيات الرياضية الألمانية أن التمرينات الرياضية تزيد قوى عضلات الفتيان بين 14-16 سنة من العمر 20%، وتنمي القلب والرئتين 100% »[1]

---

(1) د. جولنر / أطلس الصحة / لوحة رقم 8

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما تتحسن وظائف بقية أجهزة البدن الداخلية والخارجية.

« وقد دلت فحوص طبية كثيرة على أن قدرة امتلاء الرئة بالهواء عند الرياضيين أقوى منها بكثير عند غير الرياضيين، ومثل هذا ينطبق على بقية الأعضاء وتبادل المواد والدورة الدموية والقلب والهضم. »[1]

وهذا الى جانب دور التربية البدنية الايجابي في تقوية عزيمة الفرد، وتركيزه العقلي اثناء لعبه وممارساته لهواياته الرياضية، وتحفيزه وتهيئته لعناصر المفاجأة والاستعداد لها، وغرس روح الفريق لديه بما ينمي ميله الفطري للانتماء الاجتماعي، وتعويده على الطاعة والنظام والالتزام الذاتي، وهو ما يؤكد ارتباط النمو الجسمي بالنمو العقلي والنفسي والاجتماعي والخلقي، بما يؤدي الى تكامل الشخصية الانسانية بمختلف جوانبها.

وقد اهتمت السنة النبوية المطهرة اهتماما فائقا بالتربية البدنية، بأشكالها وعناصرها المختلفة، ادراكا منها لفعاليتها في تكوين الجسم السليم، واعداده اعدادا سويا لمجابهة أعباء الحياة ومشاقها وتكاليفها، فكل عمل أو جهد أو نشاط أو حركة أو تنقل يقوم به الانسان في حياته انما يرتبط ارتباطا وثيقا بحالة جسده الصحية، فحسنها يقود الى النجاح وسوؤ هايقود الى الفشل.

ومن الأدلة على اهتمام السنة النبوية بالتربية البدنية، تأكيدها على أداء بعض التمارين والمهارات والممارسات الرياضية على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر، حثا للانسان على العناية بصحة جسده وبنائه الوظيفي الداخلي والخارجي.

ومن ذلك نذكر حثّها على رياضة المشي، وهي في عرف التربية

---

(1) نفس المصدر السابق / لوحة رقم 8

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحديثة سيدة الرياضات لما لها من تأثير ايجابي فعال على البدن وأجهزته الوظيفية.

* عن جابر بن عبد الله قال: كانت ديارنا نائية عن المسجد فأردنا أن نبيع بيوتنا فنقترب من المسجد، فنهانا رسول الله ﷺ فقال:
« ان لكم بكل خطوة درجة. »[1]

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
« من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه أحدهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة. »[2]

وقد مارس رسول الله ﷺ بنفسه رياضة المشي، سواء في تنقله لاداء الصلاة أو في زياراته، أو في هجرته، أو في غزواته ونحوها. هذا مع ملاحظة أن مناسك الحج، وهو من أركان الاسلام تعتمد على المشي والهرولة، كالطواف حول البيت، والسعي بين الصفا والمروة، وأداء غيرهما من الشعائر.

وكذلك حثت السنة النبوية على ممارسة رياضة السباق بانواعها المختلفة، فقد سابق رسول الله ﷺ بالخيل.

* عن ابن عمر:

« أن رسول الله ﷺ سابق بالخيل التي قد أضمرت من الحفياء وكان أمدها ثنية الوداع. وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية الى مسجد

---

(1) مسلم / جـ 2/ ص 131
(2) نفس المصدر السابق / ص 131

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بني زريق. وكان ابن عمر فيمن سابق بها.[1]
وحث الرسول ﷺ على رياضة الفروسية لما لها من فوائد جمة.

* عن عروة بن الجعد عن النبي ﷺ قال:
« الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة. »[2]
وعلاوة على أثر الفروسية في تقوية البدن ولياقته، فهو وسيلة لاعداده للدفاع عن دينه ووطنه ونفسه.
كما سابق رسول الله ﷺ بالابل.

* عن أنس قال: كانت ناقة لرسول الله ﷺ تسمى **العضباء**، وكانت لا تسبق، **فجاء اعرابي على قعود له فسبقها**، فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا: سبقت العضباء!
فقال رسول الله ﷺ:
« ان حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه. »[3]

كما حثت السنة النبوية على ممارسة رياضة « الرمي » لفوائدها المتعددة.

* عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مرّ النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون، فقال النبي ﷺ:
« ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان راميا. »[4]

وأوضح رسول الله ﷺ أن « الرمي » رياضة بدنية، ووسيلة بناءة في اعداد الفرد الصالح للدفاع عن دينه ونفسه وأهله ومجتمعه. وفي هذا تأكيد على ضرورة استغلال التربية البدنية في خدمة الأهداف والغايات

---

(1) مسلم / جـ 6 / ص 31
(2) البخاري / جـ 4/ ص 34
(3) البخاري / جـ 8/ ص 131
(4) البخاري / جـ 4 / ص 45

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السامية، وابراز لدورها الفعال في ذلك.

* عن عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول:
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة. الا ان القوة الرمي، الا ان القوة الرمي، الا ان القوة الرمي. »[1]

وأكد الرسول ﷺ على استثمار اللهو في رياضة التدرب على رمي السهام، حتى يقضي وقت الفراغ على نحو مفيد، وحتى يحافظ الانسان على ما اكتسبه من مهارات وقدرات ويصقلها صقلا مستمرا.

* عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
« ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو باسهمه. »[2]

ودعت السنة النبوية الى ممارسة رياضة السباحة وتعلمها واتقانها لكونها وسيلة هامة من وسائل التربية البدنية، وتقوية اللياقة، الى جانب فوائدها الأخرى التي يستفيد بها الانسان وقت الضرورة.

* قال الرسول ﷺ:
« حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية، وأن لا يرزقه الا طيبا. »[3]

وكذلك دعت السنة النبوية الى ممارسة رياضة المصارعة واتقانها، لأثرها في بناء الجسد وتقوية عضلاته، بما يجعله على استعداد للدفاع عن نفسه وأهله ومجتمعه ودينه. وقد ضرب رسول الله ﷺ لنا في ذلك القدوة

(1) مسلم / جـ 6/ ص 52
(2) نفس المصدر السابق / ص 52
(3) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6 / ص 434 (رواه الحكيم، وأبو الشيخ في الثواب والبيهقي في شعب الايمان عن أبي رافع)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المثلى بمصارعته « لركانة » وكان أقوى قريش وأبرز مصارعيها.

* كان ركانة بن يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشد قريش، فخلا يوما برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة فقال له رسول الله ﷺ:

« يا ركانة، ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك اليه؟ » فقال: اني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك.

فقال رسول الله ﷺ: « أفرأيت ان صرعتك، أتعلم أن ما أقول حق؟ » قال: نعم. قال: « فقم حتى أصارعك. » قال: فقام اليه ركانة يصارعه، فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه وهو لا يملك من نفسه شيئا. ثم قال: عد يا محمد. فعاد فصرعه. فقال: يا محمد والله ان هذا للعجب أتصرعني؟![1]

تلك بعض الدلائل الحية التي تبرز اهتمام السنة النبوية المطهرة بالتربية البدنية، وادراكها السبّاق لتأثيرها الإيجابي الفعال في تكامل النمو الجسمي، وحسن قيام أجهزته الداخلية والخارجية بوظائفها، تمكينا للبدن من الاستعداد لمواجهة مشاق الحياة، والقدرة على حمل أعبائها وتأكيدا من السنة النبوية على فوائد مختلف انواع الرياضة البدنية للانسان، وحثه على ممارستها في لهوه وفراغه.

أثر النمو الجسمي في جوانب النمو الأخرى وتأثره بها:

لا شك أن جوانب الشخصية الانسانية متكاملة ويؤثر بعضها في البعض الآخر ويتأثر به، وهي وحدة مترابطة ولا يمكن الفصل بينها الا في مجال الدراسة النظرية، فمنذ مهد الانسان الى الوقت الذي يتم فيه نضجه ويكتمل نموه، تتفاعل عناصر تكوينه المختلفة ويحدث التأثير المتبادل بينها على نحو قد يكون ظاهرا حينا وقد يكون مستترا حينا آخر إذ « ان هناك

---

(1) ابن اسحق المطلبي سيرة النبي ﷺ / جـ1/ ص 262

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اتصالا وثيقا بين النفس والجسم، وتفاعلا مشتركا، النفس تؤثر في الجسم، والجسم يؤثر في النفس، ولا انفصال بين هذا وذاك. »[1]

ولذلك نجد أن النمو الجسمي يؤثر في جوانب النمو الأخرى: العقلي والنفسي والاجتماعي ويتأثر بها. فمثلا نلاحظ أن النمو الجسمي يتأثر بالجو النفسي والاجتماعي الذي يعيش فيه الناشىء داخل أسرته، ونتيجة للتوترات العصبية والانفعالات والقلق النفسي الذي يلحق به قد يتأثر نموه الجسمي وتصيبه بعض الأمراض والعلل التي يكون منشؤها عصبيا نفسيا ولكن تؤثر في وظائف الجسم البيولوجية والفسيولوجية وتؤدي الى عرقلة النمو الجسمي وقد أثبتت بعض الأبحاث التربوية :

« ان القلق النفسي يحدث اختلالا في صحة الفرد العامة، ويتسبب في اختلال نظامه الهضمي ودورته الدموية ونومه. واذا ما طال القلق والخوف في اختلال نظامه لمدة طويلة من الزمن فان من شأنهما أن يتسببا في بطء عملية النمو الجسمي. »[2]

على أن الناشىء اذا ما وجد الجو التربوي والنفسي والاجتماعي الصالح، وذلك بتجنب الأسرة، وغيرها من المؤسسات التي تشترك في رعايته وتربيته لأسلوب القمع والقهر والعنف، وأخذها بأسلوب الرفق والعطف والرحمة، هنأت نفسه، وارتاح باله، وتخلص من الانفعال العصبي والتوتر، وهو ما يساعد على حسن نموه الجسمي، فقد دلت نتائج بعض الدراسات على: « ... أن تحويل الأطفال من جو نفسي يقوم على القمع والنبذ والحرمان الى جو نفسي أحسن يتوفر فيه الامن النفسي والحرية والتقديرة وكثرة المثيرات السارة من شأنه أن يحدث تحسنا في نموهم الجسمي. »[3]

---

(1) محمد قطب / منهج التربية الاسلامية / ص 126

(2) د. عمر التومي الشيباني / الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب / ص 47

(3) د. عمر التومي الشيباني / الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب / ص 48

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكذلك هو الحال بالنسبة لتأثير النمو العقلي في النمو الجسمي، فكلما اتسعت المدارك العقلية لدى الفرد وازداد نضجه وفهمه واستيعابه، ـ كلما أخذ بالأساليب الصحية في غذائه ونظافته وكسائه وعاداته الصحية الوقائية والعلاجية، وبمعنى آخر زاد وعيه الصحي السليم بما يساعده على الحفاظ على صحة جسده والعناية به ووقايته وعلاجه، وهو ما يكفل له حسن النمو الجسمي وتكامل وظائفه.

وتأثير النمو الجسمي في الجوانب الأخرى أمر مؤكد، فلا شك أن الصحة والقوة وحسن النمو واللياقة البدنية تسهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة في النمو العقلي للفرد، وفي تكامل شخصيته، وفي نجاحه في الحياة. وتقرر الحكمة اليونانية الشهيرة « العقل السليم في الجسم السليم » قاعدة صحية عامة، نلمسها في حياتنا، اذ أن مصدر سعادة الانسان تكمن في سلامة العقل والجسم معا. وليس في مقدور الرجل العليل الذي يعاني من الأمراض، والخائر القوى، والضعيف الجسم أن ينتفع بذكائه وقدراته العقلية، فهو حبيس جسده العليل، وأسير أمراضه وعلله.

فمثلا: دلت عدة أبحاث على ارتباط الذكاء بحسن صحة البنية الجسدية.

« فقد قاس ساندويك في كتابه Intellegence and Disease (الذكاء والمرض) ذكاء (423) تلميذا ثم أخضع الأربعين تلميذا الأشد غباوة لفحص طبي شامل فوجد أن 52% من الأربعين المتفوقين خالون من كل عيب جسدي، في حين لم يكن أي واحد من الأربعين الأغبياء كذلك »[1]

ولذا كان لا بد من الاهتمام بالنمو الجسمي من حيث التغذية الجيدة، والنظافة، والعادات الصحية الحسنة، والوقاية والعلاج، والراحة والترويح، حتى نضمن لبقية جوانب النمو الأخرى السلامة وحسن

(1) د. فاخر عقل / علم النفس / « دراسة التكيف البشري » ص 453

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاكتمال والنضوج.

وقد وعت السنة النبوية المطهرة ـ قبل النظريات التربوية الحديثة ـ التأثير المتبادل بين جوانب النمو الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية، فدعت الى توفير الجو النفسي والاجتماعي الملائم داخل الأسرة والذي ينبني على أسلوب الرفق والرحمة والعطف والاحترام والتقدير ويتجنب أسلوب العنف والشدة والقهر والاحتقار، وحملت الوالدين والمربين مسئولية « الرعاية » المتكاملة السليمة للناشئين، وجعلت من أساليب الترويح والتربية البدنية وسيلة التكامل بين النمو الجسدي والعقلي والنفسي لما يتحقق بواسطتها من لياقة بدنية، وصقل للمهارات واتساع التجارب والخبرات، وتنفيس عن الطاقات وتخفيف للاعباء النفسية، وتنمية للعلاقات الاجتماعية، ومقدرة على حمل التكاليف والواجبات، وقد أبرزنا ذلك في العديد من الأحاديث الشريفة المتقدمة.

ان السنة النبوية الشريفة تؤكد ضرورة العناية « بالبدن » وتجعل له حقوقا لا بد من مراعاتها، استشعارا منها لأهمية صحته وراحته وحسن نموه في حياة الانسان وسعادته، وقدرته على أداء واجباته وتكاليفه الدنيوية والأخروية، وادراكا منها لارتباط النمو العقلي والنفسي والاجتماعي بالنمو الجسمي، ولا غرو فان البدن هو وعاء العقل واطار الروح، والمجال الذي تتحرك فيه وتتفاعل قوى النفس، وهو مطية الانسان لتحقيق اهدافه وبلوغ امانيه فلا بد من رعاية حقه علينا حق الرعاية.

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ:

« يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار، وتقوم الليل؟ » قلت: بلى، يا رسول الله. قال « فلا تفعل، صم وافطر، وقم ونم، **فان لجسدك عليك حقا، وان لعينك عليك حقا، وان لزوجك عليك حقا.** »[1]

(1) البخاري / جـ 7/ ص 40، 41

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أهداف التربية الجسمية:

بعد أن قمنا ببحث خصائص النمو الجسمي، والعوامل المؤثرة فيه، وأثره في جوانب النمو الأخرى، يجدر بنا أن نستعرض أهم أهداف التربية الجسمية في السنة النبوية وفق ما تجلى في الأحاديث المتقدمة، وذلك فيما يلي:

1- تنمية الوعي الغذائي الصحي السليم، حتى تتم مراعاة الناحية الكمية والكيفية في الغذاء الجيد الذي يساعد على حسن النمو، ويحفظ له صحته، ويقوي مناعته للامراض، ويعوض طاقاته وقدراته المصروفة، وخلاياه المهدومة فيما يقوم به من عمل وجهد ونشاط تتطلبه أعباء الحياة المختلفة.

2- الحث على الاهتمام بأساليب النظافة الذاتية وغرس مبادئها في النفوس وجعلها عادات يومية تمارس من طرف الفرد منذ يقظته الى منامه وتشمل جميع خصوصياته من نظافة بدنه وأطرافه المختلفة، الى نظافة شرابه وغذائه وثيابه ومسكنه والمحيط الذي يعيش فيه؛ ولا يخفى أن النظافة الذاتية من أهم وسائل الوقاية من الأمراض.

3- الدعوة الى الاهتمام باللياقة البدنية، وتنيمة وظائف الأعضاء على نحو سليم بممارسة بعض الأنشطة الرياضية، كالمشي والجري والسباق والسباحة والرماية وركوب الخيل والمصارعة وما اليها، وذلك لما لها من أثر ايجابي فعال في حسن النمو الجسمي.

4- الحث على العناية بالراحة والاستجمام الكافي بعد الارهاق والتعب نتيجة لبذل الجهد في الأنشطة والأعمال المختلفة، لكون البدن يحتاج الى القسط الكافي للراحة حتى يستعيد حيويته وطاقاته المستنفذة، ويسترد قدرته على الحركة والجهد، ويجدد قواه وفعاليته في الرفع من كفاءته الانتاجية.

5- التوجيه الى الاهتمام ببرامج الترويح البريء، من لعب وغناء وانشاد، وذلك لأثره في راحة البدن واستجمامه، والتنفيس عن الطاقات والقوى النفسية والعقلية، واستعادة الشخص لنشاطه وحماسه للعمل والبذل والقيام بواجباته المختلفة، شرط أن يكون الترويح هادفا وبريئا، ومتجنبا لبواعث الفساد والفتنة، والانحلال والميوعة، والتفسخ والاستهتار.

6- الحث على الاهتمام بأساليب الوقاية الصحية، وتنمية الوعي المستمر بها، والالتزام الذاتي بقواعدها، فيما يتعلق بالنظافة الشخصية، والشراب والطعام، والمأوى، والبيئة وغيرها، وذلك لما « للوقاية الصحية الجيدة » من أثر في صحة الافراد من جهة، وفي نهضة وتطور المجتمع وسلامته من جهة أخرى.

7- الحث على الاهتمام بأساليب « العلاج » الطبي السليم بمختلف الأمراض والعلل والعاهات التي تصيب الانسان؛ فقد خلق الله تعالى الداء والدواء، ومن واجب الانسان أن يواصل البحث في طلب اكتشاف الدواء النافع لكل داء يصيبه حتى يشفيه الله عز وجل منه. ولا شك ان العلاج السليم يقتضي حسن التشخيص لمعرفة أسباب الداء وآثاره ودرجته، وهو ما يتطلب مراجعة الأطباء كلما أحس الانسان خللا في صحته، أو تراجعاً في عافيته، أو لحقت به بعض الأعراض المرضية.

8- التأكيد على تسخير قوة البدن وقدراته وطاقاته في السبل المشروعة التي أحلها الله عز وجل، من عبادات وطاعات، كالصلاة والصوم والحج والجهاد، وسعي على الأهل وكسب الرزق الحلال، واستعمال حواس البدن من بصر، وسمع ولمس، وذوق، وشم، بحقها ووفق حدود الشرع، والتوقي من المعاصي والفواحش: كالزنى، وشرب الخمر، وأكل الحرام، لكونها سببا في كثير من العلل والأمراض، واذا ما راعى

كل فرد حق الله تعالى في بدنه وصحته حق الرعاية نال السعادة في الدارين.

تلك هي أهم أهداف التربية الجسمية في السنة النبوية سقناها على نحو شمولي للتوضيح، ويمكن بالتحليل الذي قد لا يتسع له هذا المقام تفصيلها الى العديد من الاهداف الجزئية والفرعية.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

● الفصل الثالث

التّربية الرُّوحيّة


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعرضنا في الفصل السابق لبحث موضوع التربية الجسمية ، وبينا أهم خصائص النموالجسمي وضرورة العناية بها ، كما أوضحنا أهم العوامل المؤثرة في النمو الجسمي وأبرزنا التأثير المتبادل بين النمو الجسمي والنمو العقلي والنفسي والاجتماعي ، واستعرضنا أهم أهداف التربية الجسمية في السنة النبوية .

وفي هذا الفصل سنبحث الجوانب المختلفة لموضوع التربية الروحية « التي تعتبر من أسمى أنواع التربية في السنة النبوية المطهرة لكونها تستهدف تزكية النفس وترقية الخلق وتطهير البدن وتسخير قواه وقدراته في الخير والصلاح ، وإشباع حاجاته ونوازعه بطرق الحلال المشروع . ونبدأ ببحث موضوع الدين فنبين معناه وآثاره ، ثم نبين النزعة الفطرية نحو التدين والايمان ، ونبرز الحاجة الى الايمان والعقيدة ، ونخلص الى مناقشة مفهوم التربية الروحية ، وجوانبها وآثارها ، ثم نستعرض ركائز التربية الروحية في الدعوة المحمدية ، ونبين أهم الآثار الايجابية للتربية الروحية ، ثم نختم الفصل باستعراض أهم أهداف التربية الروحية في السنة المحمدية .

الدين : معناه وآثاره :

الدين في مفهومه العام هو : اعتقاد بوجود ذات غيبية علوية قادرة على تصريف شؤون المخلوقات وتدبير أمورها ، ويرتبط هذا الاعتقاد لدى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المؤمن بها بالخضوع لها وتمجيدها ومناجاتها واللجوء اليها والتعبد لها في رغبة ورهبة ، وخوف وطمع ، وفق قواعد وطقوس عملية محددة .

وبذلك يشمل مفهوم الدين معنيين رئيسيين : المعنى الأول يتعلق بالاحساس بالدين ، او النزعة نحو التدين ، او الاعتقاد . والمعنى الثاني يتعلق بظواهر الدين وجملة نواميسه النظرية التي تحدد صفات الذات العلوية وتعاليمها وأوامرها ونواهيها والقواعد والطقوس الدينية التي يتعبد بهاالفرد أو الجماعة . ويشير بعض الباحثين الى هذا التعريف العام لمفهوم الدين ومعناه بقولهم :

« إن للدين معنيين : معنى يفسره كعقيدة تعيش بين جنبات النفس ، ومعنى يشير الى مظاهره والى الآثار العملية التي تنبعث من هذه العقيدة ، فتضفي على السلوك حلتها ، وتصبغ المجتمع بصبغتها » .[1]

والدين نزعة فطرية لدى البشرية ، حتى أنه يمكننا القول دون شطط ان الانسان حيوان متدين . إذ تؤكد بعض الأبحاث والدراسات الأنثروبولوجية :

« أن ظاهرة التدين ظاهرة غريزية » .

وبمعنى آخر وجود غريزة دينية لدى الانسان من بين الغرائز أو الدوافع الفطرية التي يولد بها .

وكما أثبتت أبحاث التحليل النفسي أن : « التدين من النزعات الأساسية في الانسان تلك التي تكمن في اللاوعي »[2]

وهو ما يؤكد حاجة الانسان الطبيعية الى الاعتقاد في ذات غيبية علوية قادرة ومريدة ، يلجأ اليها في محنه ويستعين بها على الشدائد ، ويسألها العون والالهام والهداية .

---

(1) عبد الرحمن نحلاوي/أسس التربية الاسلامية وطرق تدريسها/ص 6
(2) د. محمد فاضل الجمالي/تربية الانسان الجديد/ص 39

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا كانت البشرية قد ضلت طريقها الى التوحيد في العبادة في أطوار مختلفة في حياتها ، فان اعتقادها في الذات الغيبية وان ارتبطت ببعض التجسيدات دليل قاطع على نزعتها الفطرية نحو التدين ، فالدين هو مصدر سكينتها وطمأنينتها وسعادتها ، ولا يمكنها الاستغناء عنه مطلقا ، والعاطفة الدينية هي أعمق وأرسخ العواطف الانسانية وأشدها أثراً في الفرد والجماعة .

« فليس ثمة عاطفة انسانية أبعد غوراً وأرسب تأثيراً في مشاعر الفرد والمجتمع من العاطفة الدينية . »[1]

واذا كان الله تعالى قد جبل عباده على التدين ، فهم في حاجة ماسة الى من يهديهم الى سواء السبيل باتباع دين التوحيد الحق ، وهو الدين الاسلامي الحنيف الذي توج به الله تعالى الأديان السابقة له ، وختم به رسالته ، وأظهره على الدين كله .

* قال تعالى : ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾ .[2]

* وقال تعالى : ﴿إن الدين عند الله الاسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب﴾ .[3]

وتظل مسؤولية هداية الناشئين الى اتباع الصراط المستقيم باعتناق الدين الاسلامي وغرس مبادئه في نفوسهم وترسيخ دعائمه في وجدانهم ، تظل تلك المسؤولية معلقة في أعناق والديهم ومربيهم وكافة المسؤولين عن رعايتهم لأن الله عز وجل خلق المواليد على الفطرة ، وحمل الآباء والمربين وغيرهم من المسئولين عن الرعاية بصفة عامة ـ مهمة هدايتهم.

(1) د. مصطفى الخشاب/علم الاجتماع ومدارسه/الكتاب الثاني المدخل الى علم الاجتماع/ص 347

(2) الفتح/. 28

(3) آل عمران . 19

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أساس التوحيد في العقيدة والعبادة .

ويؤكد الله عز وجل النزعة الفطرية لدى الانسان نحو التدين ، والايمان به تبارك وتعالى ، وهو رب كل شيء ومليكه ، في قوله :

﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم ، قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . ﴾[1]

* وقال تبارك وتعالى :

﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون . »[2]

وقد أكد النبي ﷺ أن الانسان مفطور على الايمان وحدد مسئولية الوالدين والمربين بشكل حاسم في استكمال عقيدة أبنائهم الصحيحة أو انحرافهم عنها .

* عن أبي هريرة أنه كان يقول قال رسول الله ﷺ :

« ما من مولود إلّا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجّسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء . »[3]

وهذا ما أثبتته وأكدته الدراسات والأبحاث التربوية والعلمية الحديثة .

« وهناك أدلة كثيرة على أن التعاليم الدينية المبكرة من قبل المنزل والكنيسة [والمسجد وغيره من المؤسسات التربوية] هي العامل الأساسي

---

(1) الاعراف/. 172
(2) الروم/. 30
(1) مسلم/جـ 8/ص 52

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في تحديد الاتجاهات الدينية اللاحقة . ان المنهج المستخدم في تقديم المفاهيم الدينية للأطفال له أهمية عظيمة . »[1]

إن من لطف الله عز وجل بخلقه أن هداهم فطرياً إلى التديّن لأن للدين أهمية تربوية بالغة في تشكيل الشخصية الانسانية ، وطبعها بطابع التفاؤل واشاعة الأمل فيها ، واسعادها وتقوية عزيمتها مما يجعل للفرد دوراً ايجابياً في صنع حياته ، وبلوغ أهدافه ، والمشاركة في خدمة جماعته وتحقيق غاياتها ، ورعاية مصالحها وصون تماسكها ووقايتها من عوامل التفكك والانحلال .

ومن أهم الآثار الايجابية للدين في حياة الفرد والجماعة نذكر ما يلي : -

1 ـ الدين مصدر استكمال النزعة الفطرية للاعتقاد ، واشباع الميول الطبيعية للتدين ، ولا شك أن الايمان بالله عز وجل وحده وعدم الشرك به ، والعبودية الخالصة له وحده ، هي مصدر شعور الانسان بحريته ، واستقلاليّة ذاتيّته ، واعتداده بنفسه وكرامته .

2 ـ الدين يؤدي الى تحقيق التكامل النفسي لدى الناشىء بالايمان واليقين في العقيدة ، وهو ما يعتبر مصدرا أساسياً لسعادة الفرد وقوة عزيمته ونظرته الايجابية للحياة .

3 ـ الدين يولد التفاؤل والسكينة والطمأنينة والسلام والأمن النفسي لدى الناشىء ، ويغرس في نفسه الثقة والاقدام وحب الحياة ، ويجنبه الصراع النفسي الذي ينجم عن الشك والضلال والإلحاد.

4 ـ الدين مصدر كثير من الفضائل والقيم والمبادىء والمثل العليا ، التي

(2) انظر مجلة عالم الفكر/المجلد السابع/العدد الثالث/الكويت/ديسمبر « بحث للدكتور عبد الرحمن عيسوي عن النمو الخلقي والروحي والتنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة والمراهقة/ص 151 »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تغرس في نفس الناشىء منذ فجر حياته الاولى ، وتنمو مع شخصيته ، وتسمها بطابعها الذي يصعب محوه مع الأيام .

5 ـ الدين يقوي لدى الفرد الشعور بالمسؤولية والالتزام الذاتي النابع من نفسه سواء أكان ذلك في حضور السلطة الخارجية أم اثناء غيابها ، وبذلك يكفل الدين تماسك المجتمع واستقراره ، ويضمن بقاءه واستمراره ، ويحافظ على تراثه ونظمه الصالحة .

6 ـ الدين يلزم افراد المجتمع الواحد بإقامة علاقاتهم الاجتماعيّة وتعاملهم على أساس قيم : الحق والخير والعدل والنزاهة والتسامح والتعاطف ، وبذلك يقوي العلاقة بين الأفراد من جهة وبينهم وبين الجماعة من جهة أخرى ، ويحدث التوازن العادل المتكافىء بين الفرد والجماعة فلا افراط ولا تفريط ، وهو أساس سعادة الفرد والجماعة وتكاملهما ، وتبادل الخدمة النافعة بينهما .

7 ـ الدين مصدر خصب لإشباع الميول والدوافع النفسية لدى الانسان كالمشاركة الوجدانية ، والتقليد ، والمحاكاة ، والاستهواء ، والايحاء ، والانتهاء الاجتماعي وغيرها ، وبذلك فهو يقوي نزعة الانسان للتكامل والتعاون مع غيره ، مما يستغل لخيره وخير مجتمعه وخير الانسانية قاطبة .

النزعة نحو التدين والايمان :

مما سبق يتضح لنا أن الانسان ينزع فطرياً نحو التدين والايمان بقوة غيبية عليا تسيطر على المخلوقات ، وتدبر شؤونها وتسيرها بحكمة بالغة ، وترتبط هذه النزعة بحاجة الانسان الأساسية للأمن النفسي والاطمئنان والسكينة ، وحاجته العقلية الى استجلاء ما غمض على فهمه من شؤون الكون والحياة ، وما خفي عليه من أمور الغيب والمجهول .

وقد جاءت الدعوة المحمدية الى البشرية كافة نوراً مبيناً ، وهدى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ساطعاً ، وبرهاناً قاطعاً ، تقودها الى الايمان الصحيح بالله الواحد الأحد لا اله الا هو الذي لم يكن له كفؤاً أحد ، الكامل المنزه عن كل النقائص ، له المثل الأعلى سبحانه وتعالى ، علوا لا يدانى .

* قال تعالى : ﴿قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد﴾[1]

وبذلك تكون العقيدة الاسلامية عقيدة كمال ، تختم كل العقائد السماوية التي سبقتها ومهدت لها .

« ومجمل ما يقال في عقيدة الذات الإلهية التي جاء بها الاسلام ، أن الذات الإلهيّة غاية ما يتصوره العقل البشري من الكمال في أشرف الصفات ، فالله هو المثل الأعلى . »[2]

وارتكزت في ذلك على النزعة الفطرية للتدين والايمان التي ولد بها الانسان وجعلها الله تعالى كامنة في نفسه وتظهر بالدعوة القويمة والتربية السليمة والهداية النيرة الى دين الحق ، وقد لفت القرآن الكريم الأنظار الى هذه الحقيقة ، وذلك بتأكيده على وجود : « احساس غريزي بالايمان بالله العلي القدير ، خالق الكون ، وهو الاحساس الذي يشعر به المرء عندما يتحرر من الميول والنزعات أو من تشتت الفكر بسبب الأعمال الرتيبة الجامدة ، او عندما تدهشه مشكلة أصل الوجود ، أو عندما تجابهه المشاق والصعاب ، أو يحالفه سوء الطالع وتلم به النكبات فلا يستطيع التغلب عليها وحده . »[3]

ويتوقد الايمان الغريزي الفطري في القلوب غير الغافلة فجأة كما تتوقد النار من الحجر الصوان عندما يقدح بالزناد .

---

(1) سورة الاخلاص

(2) العقاد/الله/ص 154

(3) محمود شلتوت/الاسلام : الصراط المستقيم/ص 128

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال تعالى : ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم .﴾[1]

* وقال رسول الله ﷺ : « ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة . . . »[2]

وحاجة البشريّة الى الدين والايمان حاجة طبيعية لا يمكنها أن تستغني عنها مطلقا ، مهما بلغت من النهضة الفكرية والتقدم العلمي ، ذلك لأن كل ما يصنعه الانسان غير كامل وغير ثابت ، وهو خاضع للتغيير والتبدل المستمر ، ولا غنى للانسان عن اشباع حاجته الى الايمان بالكامل المطلق القادر مالك كل شيء ، وهو الله عز وجل الذي يطلب منه الهداية والعون ويلجأ اليه في ساعات الضيق والحرج ، ويستعينه على مصاعبه وأزماته ، ويسأله رفع الضر والأذى عنه .

* قال تعالى : ﴿وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون .﴾[3]

وبغير الدين والايمان لا تستقيم للفرد حياته ، ولا يهنأ باله ، ولا تتوفر له أسباب السكينة والأمن النفسي ، فيشعر بالضياع والتمزق النفسي والاضطراب العصبي والعقلي ، ولا يكون قادراً على أن يعيش حياة سوية هادئة ، وكثيراً ما يؤدي الشك والالحاد بالمرء الى الانتحار ، وترك الدنيا التي يشعر ببؤسه وعذابه فيها ، ولو كان مؤمناً لكانت نظرته الى الحياة نظرة التفاؤل والاستبشار ، فيسعد لمسراتها ولذائذها ويغالب مشاكلها ومصاعبها . ان الايمان هو منبع السعادة الحقيقية والأمن والطمأنينة النفسية .

---

(1) الزخرف/9
(2) مسلم/جـ 8/ص 52
(3) يونس/اية 12

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال تعالى :

﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[1]

والنزعة الفطرية للتدين التي أودعها الله عز وجل في الانسان عندما خلقه هي طريق الايمان السليم بالله عز وجل وحده ، لا شريك له في العقيدة والعبادة والخضوع والتسليم ، ولا يصح ايمان بشرك أبداً مهما كانت صورة هذا الشرك أو درجته .

* عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه . »[2]

والايمان الصحيح هو الذي توجه فيه كل الأعمال خالصة لله تعالى وحده ، لا يبتغي بها المؤمن الا مرضاته .

* عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه ان رسول الله ﷺ قال :

« من أعطى لله ومنع لله ، وأحب لله وأبغض لله ، وأنكح لله ، فقد استكمل ايمانه . »[3]

وتوحيد الله عز وجل والايمان المطلق بربوبيته وقدرته ودعوته المخلصة في اخبات وانابة هو مصدر النجاة من الضيق و الشدة والكروب .

* عن ابن عباس أن نبي الله ﷺ كان يقول عند الكرب :

« لا اله الا الله العظيم الحليم ، لا اله الا الله رب العرش

---

(1) الرعد/28

(2) مسلم/جـ 8/ص 223

(3) الترمذي/جـ 9/ص 323 (وقال عنه حديث حسن)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العظيم، لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم» . [1]

صدق رسول الله ﷺ في دعائه الموحد لله ، الممجد له ، فالايمان بالله عز وجل هو الصراط المستقيم ، والنور المبين ، والهدى الذي ليس بعده ضلالة، واليقين الذي لا يعقبه شك ، وهو معقد الرجاء والسعادة والسكينة والسلام ، وهو مصدر الحياة الصالحة المبنية على التقوى والخير والفضيلة ، ومناط النجاح والفلاح في الدارين .

* قال تعالى :

﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون. ﴾ [2]

الحاجة الى الايمان والعقيدة :

لا يستطيع الانسان أن يحيا حياة قويمة صالحة بدون عقيدة يؤمن بها ، فهو بفطرته يستشعر حاجة طبيعية الى الايمان ، تتطلب اشباعا ملحا يشيع في نفسه السكينة والراحة ، وهو بدون عقيدة يفقد راحته النفسية والعقلية ، لأن وجوده يصبح بدون معنى ، وحياته بلا غاية خاصة عندما تنعدم لديه الآمال في حياة أخرى باقية يعوض فيها عما يلقاه من آلام ومتاعب في دنيا زائلة .

وقد ثبت ـ كما أوضحنا سالفاً ـ ان الانسان منذ نشأته وهو يتطلع الى عقيدة صحيحة تريح قلبه وتطمئن نفسه وتقنع عقله ، وهو وان جانب السبيل الصحيح اليها في فترات مختلفة ، الا انه كان دوما يبحث عن القوة الغيبية المطلقة المهيمنة القادرة التي يتوجه اليها بعبادته وخضوعه

---

(1) مسلم / جـ 8/ ص 85
(2) البقرة 3 : 5

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتقربه ، تمنحه الخير وتعينه في الشدائد والمحن ، وتحفظه من الشر ويلجأ اليها وقت الضيق والكروب ، ولذلك فقد عبد الانسان في طفولته العقائدية الساذجة بعض مظاهر الطبيعة التي شعر بقوتها وعجز عن تفسيرها ، كالرياح ، والبحار ، والشمس والقمر ، والنار ، والحيوانات ، والأصنام ، وغيرها مما اتخذه رمزا لقوى غيبية قاهرة يتعبد لها ويقدم اليها القرابين زلفى .

ولئن كانت هذه الأنواع من العقيدة صورا مختلفة للشرك والوثنية ، الا انها تعبر عن محاولة الانسان المستمرة ـ ولو كانت ضالة ـ لاشباع حاجته الفطرية الى الايمان والعقيدة.

وقد اقتضت رحمة الله عز وجل بعباده ، واشفاقه عليهم ، عدم تركهم لضلالتهم وتخبطهم في البحث عن العقيدة السليمة ، بأن ارسل اليهم الانبياء والرسل لهدايتهم الى عقيدة التوحيد ، والاخذ بأيديهم الى الطريق المستقيم .

* قال تعالى :

﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . ﴾[1]

* وقال عز وجل :

﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله الحجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً . ﴾[2]

ولو ترك الله سبحانه وتعالى بني آدم دون رسل يهدونهم الى سبل الخير والفضيلة والعدل والحق والتوحيد لعاشوا حياة الغاب تتحكم فيهم شهواتهم وغرائزهم ، لا يعرفون للفضائل أو الأخلاق الحميدة اوالمسؤولية الاستخلافية ، سبيلاً .

---

(1) الاسراء/15

(2) النساء/165

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واشباعاً لحاجة الانسان الطبيعية الى العقيدة الصحيحة والايمان الكامل السليم ، فقد جاءت جميع الرسالات الإلهية ، وهي التي تنبع من مصدر واحد ، داعية الى وحدانية الله تبارك وتعالى ، وافراده سبحانه وتعالى بالعبادة ، والايمان باليوم الآخر وما فيه من جزاء ان خيراً فخير وان شراً فشر .

وبالرغم من تباين هذه الرسالات الإلهية في بعض صور العبادة وأنواعها وكيفيتها الا أنها جميعاً واحدة في عقيدة التوحيد .

وختم الله عز وجل تلك الرسالات برسالة نبينا ورسولنا الأكرم ﷺ التي أنزلت مصدقة لما بين يديها ، مهيمنة عليها ، وناسخة لها ، وذلك لأن دعوات الأنبياء والرسل السابقين كانت موجهة الى مجتمع محدد يتمثل في قوم النبي المرسل دون سواهم ، كما أنها كانت دعوات مرحلية غير دائمة ، قصد تهيئة البشرية وخاصة عندما تنضج نفسياً وعقلياً ـ الى الدعوة المحمدية الخاتمة ، التي وجهت الى الناس كافة منذ نزولها الى يوم الدين ، وخاطبت أساساً العقل البشري لتقيم دعائم العقيدة الصحيحة ، والايمان السليم ، على الحجة والبرهان والاقناع العقلي .

وقد عرف علماء الكلام المسلمون الاعتقاد الصحيح بأنه « الادراك الجازم ، المطابق للواقع ، الناشىء عن الدليل . »[1]

وفي وصف الاعتقاد السليم في هذا التعريف الشامل الموجز بأنه « الادراك الجازم » نفي للوهم او الشك والظن ، وفي وصفه بأنه « المطابق للواقع » إبعاد للاعتقاد الباطل ، وفي وصفه بأنه « الناشىء عن الدليل » إخراج للايمان الذي ينبني على التقليد ولا يستند الى الدليل العقلي .

وللعقيدة دور بارز ومؤثر في حياة الفرد والجماعة لكونها من أهم الدوافع النفسية المحركة للانسان ، والمحفزة لقواه ، والمسيطرة على سلوكه

(1) د. محمد فاروق النبهان/مبادىء الثقافة الاسلامية/ص 103

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتصرفاته ، والضابطة لاتجاهاته وقيمه ، وذلك لما لها من سلطان على النفس والفكر والارادة ، ولإذعان الانسان بصورة شعورية أو لا شعورية لما يرتبط بعقيدته من قضايا وأمور الى أبعد الحدود .

وهذا المفهوم السليم للعقيدة يتجلى على نحوه الصحيح في الدعوة المحمدية التي تعرف العقيدة الاسلامية بأنها ايمان وعمل ، يرتبط كل منهما بالآخر ارتباطا عضويا ، وما العمل الا تجسيد للايمان ، وانعكاس له وما الايمان الا روح العمل وجوهره .

* قال الله تعالى :

﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون . ﴾[1]

* وقال تعالى :

﴿وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار . . . ﴾[2]

وهذا المفهوم السليم ابرزته السنة النبوية المطهرة وأكدته في عدة مواضع ، بجعلها طرفي العقيدة الصحيحة الايمان ، والعمل .

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

« الايمان بضع وسبعون ، أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق .»[3]

التربية الروحية : (مفهومها ، وجوانبها وركائزها وآثارها) :

التربية الروحية من أهم جوانب التربية التي تؤثر في شخصية الفرد

---

(1) النحل/97

(2) البقرة/25

(3) مسلم/جـ1/ص 46

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تأثيراً كبيراً فتجعله ميالاً للخير ، متحلياً بالصفات الحميدة ، ملتزماً في سلوكه وتصرفاته التزاماً ذاتياً مستمراً بالخلق الكريم ، عاملاً على مساعدة الآخرين ، محباً للتعاون ، ذا نفس مطمئنة ومتفائلة يقبل على الحياة بروح ايجابية ، وعزيمة متوقدة ، لا يعجز ان اعترضت سبيله العقبات والعراقيل في محاولاته المستمرة لتخطيها ، مستعيناً بالله عز وجل الذي يؤمن به ، ويلجأ اليه في الشدائد ، ويثق في عونه وهدايته وتوفيقه .

ان التربية الروحية السوية ضرورة حياتية لكل انسان بدونها تختل موازين شخصيته ، وتضطرب قواه العقلية والنفسية ، فيشقى في حياته ، وتصبح نظرته اليها نظرة متشائمة قاتمة ، ويقوده الخواء الروحي الذي يشيع في نفسه الى التخبط والضياع مما قد يدفعه الى التخلص من حياة لا يشعر فيها الا بالبؤس والشقاء ، والصراع النفسي والتمزق العقلي .

وفيما يلي نبحث مفهوم التربية الروحية : وأهم جوانبها الأساسية ، وأهم ركائزها ، وأهم آثارها الايجابية في تشكيل الشخصية السوية المتكاملة .

مفهوم التربية الروحية :

يقصد بمفهوم التربية الروحية ترسيخ القوى الروحية لدى الناشئين وغرس الايمان في نفوسهم اشباعا لنزعتهم الفطرية للتدين ، وتهذيب غرائزهم والسمو بنزعاتهم ، وتوجيه سلوكهم على اساس القيم الروحية والمبادىء والمثل الاخلاقية التي تستمد من الايمان الصحيح بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

وعندما تتم تربية الناشئين تربية روحية متكاملة تصفو أرواحهم ، وتزكو نفوسهم ، وتستنير عقولهم ، وتستقيم اخلاقهم ، وتتطهر أبدانهم ، وذلك لارتباطهم الوثيق بربهم عز وجل ، الذي يراقبونه في كل حركاتهم وسكناتهم ، ويشعرون بأنه معهم في كل وقت وفي كل مكان فان لم يكونوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يرونه فانه يراهم ، فيخافونه ويرجونه ، ويرهبونه ويطمعون فيه ، ويتوكلون عليه ، ويحسنون الظن به ، ويثقون في عونه وهدايته وتوفيقه .

وبذلك يتبين لنا ان مفهوم التربية الروحية الصحيحة مستمد من الايمان والعمل ، والعقيدة والأخلاق ، والموازنة بين مطالب الدنيا والآخرة ، بلا افراط أو تفريط .

ان التربية الروحية السليمة هي التي ترسم المعيار الصحيح لتنمية مختلف الشخصية الانسانية تنمية شمولية ، فهي مصدر هداية العقل ، بالايمان بالله عز وجل وتوحيده ، وصفاء النفس بسكينتها وطمأنينتها ، وتزكية الأخلاق بالتحلي بالفضائل والقيم والمثل العليا ، وطهارة الأبدان باستعمال اعضائها وجوارحها في حقها وصونها من المعاصي والفواحش ، وتسخيرها للعبادة وأعمال الخير النافعة للفرد والجماعة ، وحسن العلاقة الاجتماعية مع الآخرين بالتكافل والتآزر والتعاون على البر والتقوى .

وقد أعطت الدعوة المحمدية الخاتمة للتربية الروحية مفهومها الصحيح وأضفت عليها كل عناصر الكمال والجلال التي تجعلها صالحة لتكوين المؤمن الكامل روحياً وعقلياً ودينياً وخلقياً واجتماعياً وبدنياً ، فيفلح في حياته الاولى والأخرى .

* قال تعالى :

﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * الا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين * فمن أبتغى وراء ذلك فأؤلئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون * اولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون *﴾[1]

---

(1) المؤمنون/ 1 : 11

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا يستطيع أن يتبع سبيل الجنة المحفوف بالمكاره والشدائد وتجنب سبيل النار المحفوف بالشهوات واللذائذ الا من كانت تربيته الروحية تربية قوية راسخة الدعائم ثابتة الأركان ، وكانت اخلاقه وتصرفاته ومواقفه واتجاهاته انعكاسا صادقا لإيمانه القوي بالله عز وجل .

* عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :

« حجبت النار بالشهوات ، وحجبت الجنة بالمكاره . »[1]

وبذلك تكون التربية الروحية حقا عماد التنشئة المتكاملة وبدونها لا يستقيم بناء الشخصية الانسانية التي تصبح معرضة في كل وقت للخلل والاضطراب نتيجة لأبسط الهزات وأهون الأزمات .

وقد حرصت السنة النبوية المطهرة على تأصيل مفاهيم التربية الروحية وترسيخ دعائمها في النفوس بعدة وسائل نذكر منها : -

1 - غرس الفضائل والقيم والمثل الأخلاقية في نفوس الناشئين ، وابراز آثارها الايجابية في حياة الفرد والجماعة ، واظهار مساوىء الرذائل وسفاسف الأخلاق ، والحث على تجنبها لآثارها السلبية السيئة على الفرد والمجتمع .

* عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« ان الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً . وان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً . »[2]

2 - تلقين الناشىء ، منذ طفولته المبكرة ، مبادىء دينه الحنيف ، وتمرينه على العبادات لكي ترسخ في نفسه ويلتزم بأدائها التزاماً ذاتياً طيلة حياته .

---

(1) البخاري / جـ8/ ص127
(2) البخاري / جـ8 / 30

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال رسول الله ﷺ :

« مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع . »[1]

وكذلك تعويد الناشيء منذ صغره على ممارسة اعمال الخير والبر والاحسان بما يقوي فيه روح التعاون والايثار والتكافل الاجتماعي ، ويجعله عضوا صالحا في الجماعة .

* عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، ثم شبك بين أصابعه . »[2]

3 ـ التأكيد على أن الوالد أو المربي او الداعي أو المرشد ، لا بد وأن يكون قدوة صالحة للناشئين ، تجسد أفعاله أقواله ، ويعكس سلوكه نصائحه ، وذلك من خلال التزامه الشخصي التام بتطبيق الفضائل والخلال الحميدة والصفات الصالحة التي يدعو اليها الناشئين ويوجههم الى اكتسابها والتحلي بها . وقد كان رسول الله ﷺ أسوة حسنة في جميع أقواله وأفعاله للمسلمين كافة .

* قال تعالى :

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا . »[3]

فهو عندما يدعو الى اتباع سلوك معين ، أو التحلي بصفة معينة ، او التزام خلق معين ، يجسده في مواقفه وسلوكه الشريف .

---

(1) المتقى/منتخب كنز العمال/جـ6/ص433 (رواه احمد في مسنده وابو داود ، والحاكم في المستدرك عن : ابن عمر .
(2) البخاري/جـ8 /ص14
(3) الأحزاب/12

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فمثلاً عندما دعا الى رحمة الأطفال والرفق بهم ، ضرب المثال الحي الخالد في العطف على الأطفال وحسن معاملتهم والشفقة عليهم .

فقد حمل ﷺ حفيدته على عاتقه في صلاته ولم يتضايق منها أو ينهرها .

* عن ابي قتادة قال خرج علينا النبي ﷺ ، وأمامة بنت أبي العاص « على عاتقه » ، فصلى فإذا ركع وضع وإذا رفع رفعها » .[1]

وبال طفل كان يحنكه على ثيابه فلم يشمئز أو ينفر منه .

* عن عائشة أن النبي ﷺ وضع صبياً في حجره يحنكه فبال عليه ، « فدعا بماء فأتبعه . »[2]

وضرب القدوة المثلى في المشاركة في حفر الخندق وحمل التراب مثله مثل بقية المسلمين .

* عن البراء رضي الله عنه قال : رأيت النبي ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه ، وهو يقول « لولا أنت ما أاهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا ، فأنزل السكينة علينا ، وثبت الأقدام ان لاقينا ، ان الأولى قد بغوا علينا ، اذا أرادوا فتنة أبينا . »[3]

4- توجيه الناشئين الى حسن اختيار اصدقائهم ورفقائهم ممن يتحلون بالأخلاق الفاضلة والسلوك القويم ، وذلك لتأثرهم بهم ومحاكاتهم لسلوكهم وتقليدهم لتصرفاتهم ، وهو ما يؤثر في تكوينهم الروحي والخلقي سلباً أو ايجاباً .

5- عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال :

---

(1) البخاري / جـ8 / ص 8
(2) البخاري / جـ8 / ص 10
(3) البخاري / جـ4 / ص 31

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل . »[1]

ه ـ معاملة الناشئين باللين والرفق واتباع اسلوب التيسير والتبشير ، ومجانبة الشدة والعنف ، والبعد عن اسلوب التعسير والتنفير ، حتى تسكن نفوسهم وتطمئن ويتشربوا القيم الروحية والمثل والمبادىء والفضائل الاخلاقية بسهولة ويسر .

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ :

« يسروا ولا تعسروا ، وسكنوا ولا تنفروا . »[2]

* وعن عائشة عن النبي ﷺ قال :

« ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ، ولا ينزع من شيء الا شانه . »[3]

6 ـ مراعاة المستوى العقلي للناشئين ، ومدى اتساع فهمهم واستيعابهم لأسس التربية الروحية ، والتركيز أساساً على تشربهم وامتصاصهم للقيم والمبادىء الروحية منذ فجر طفولتهم الاولى عن طريق المحاكاة والتقليد والايحاء . وعندما يتكامل نضجهم العقلي وقدرتهم على التفكير المجرد والاستنباط والتحليل ، يتم تزويدهم بالمعارف والمعلومات المناسبة لنموهم العقلي ، والبراهين والأدلة والحجج العقلية والمنطقية المقنعة لهم .

* قال النبي ﷺ :

* أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم . »[4]

---

(1) أبو داود/ جـ4 / ص402

(2) البخاري / جـ8 / ص36

(3) مسلم / جـ8 / ص 22

(4) المتقى / منتخب كنز العمال/ جـ4 / ص70 (رواه الديلمي عن ابن عباس)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مع مراعاة تجنب التعنيف واللوم والتضايق من الأسئلة المتكررة التي قد يبديها الناشئون حباً في الاستطلاع واشباع الفضول عن وجود الله عز وجل ، وعن الحياة ، والموت ، والبعث ، وظواهر الكون المختلفة وغيرها من القضايا ، وبشرط أن تكون اجابتهم على هذه الأسئلة في حدود فهمهم واستيعابهم ومستواهم العقلي والتحصيلي .

* قال النبي ﷺ :

« علموا ولا تعنفوا ، فان المعلم خير من المعنف . »[1]

جوانب التربية الروحية :

ترتكز التربية الروحية على عدة جوانب أهمها ثلاثة : أولها جانب الوقاية الذي يحفظ الناشىء من الضلالة والكفر ، وثانيها جانب البناء أو التدعيم الذي يستهدف تأصيل وترسيخ القيم الروحية لدى الناشىء ، وثالثها جانب العلاج الذي يرمي الى اصلاح حال المنحرفين أو الزائغين واعادتهم الى حظيرة الهدى والايمان .

ونبحث فيما يلي هذه الجوانب بشيء من الايضاح .

اولا : جانب الوقاية الروحية :

يولد الكائن البشري وقد اودع الله عز وجل في فطرته ميلا طبيعياً الى الايمان والتوحيد والتدين .

ومنذ ولادته تبدأ مسؤولية الوالدين والمربين في الأخذ بيده الى العقيدة الصحيحة ، وغرس القيم الروحية في نفسه ، وحفظه من الضلالة والكفر والالحاد ، ووقايته من الانحراف العقائدي ، والشك الديني ، والانحلال الاخلاقي .

---

(1) نفس المصدر السابق/ص69 (لأبي عدي في الكامل والبيهقي في شعب الايمان عن ابي هريرة)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتؤكد السنة النبوية المطهرة جانب الوقاية الروحية ، وتجعلها من أخص وأوكد مسؤوليات الآباء والمربين تجاه أبنائهم الذين يكونون في طفولتهم العاجزة كالعجينة القابلة للتشكيل على النحو الذي يريده الآباء والمربون ، مع الأخذ في الاعتبار قواهم واستعداداتهم الوراثية والفطرية .

* عن أبي هريرة أنه كان يقول قال رسول الله ﷺ :

« ما من مولود الا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجّسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء .هل تحسون فيها من جدعاء . »[1]

كما تحمل السنة النبوية الآباء والمربين وغيرهم من المسؤولين عن تربية الناشئين مسؤولية الرعاية المتكاملة التي من أهمها الرعاية الروحية ، ووقاية الناشئين من الكفر والضلال وحفظهم من الزيغ والانحراف .

* عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

« ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالامام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئوولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . »[2]

وأكد الله عز وجل مسؤولية رب الاسرة وكذلك هي مسؤولية كافة المربين ـ في تعليم أهله أمور دينهم كالصلاة وغيرها ، وغرسها في نفوسهم ، والصبر على تعليمهم وتوجيههم وارشادهم وهو ما يعتبر من أساسيات وقايتهم الروحية من الضلالة والكفر .

---

(1) مسلم / جـ8 / ص 52

(2) البخاري / جـ9 / ص 77

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال تعالى :

وأمر أهلك بالصلاة وأصطبر عليها لا نسئلك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى. ﴾[1]

ونلمس في هذه الآية الكريمة وفي الحديث المتقدم تأكيد السنة النبوية على الوقاية الروحية بالنسبة لجميع أفراد المجتمع بتأكيدها على مسؤولية الامام أو الحاكم عن رعيته ، وترشيدها وتوجيهها وصون عقيدتها ودينها ، وهو ما يشير الى ضرورة تسخير جميع امكانيات الدولة واجهزتها الثقافية والاعلامية والتعليمية والارشادية في خدمة جانب الوقاية الروحية ، والحفاظ على التراث الروحي ، والحيلولة دون انتشار المبادىء الالحادية الهادمة بين الناشئين خاصة ، وأفراد المجتمع عامة .

ولعل ابرز ما تؤكده الدعوة المحمدية في مجال الوقاية الروحية ترسيخها لمبدأ « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » وجعله من المسئووليات العينية الواجبة على كل فرد ، حتى تجنّد كافة أفراد المجتمع لدرء ما يتهددهم من مخاطر في دينهم وقيمهم الروحية ، وحتى تجعل « المجتمع » الاسلامي يقف سداً منيعاً متلاحماً في وجه موجات الكفر والالحاد والضلالة مهما كانت صورها الظاهرية التي تتبدى فيها تقدمية أم علمية أم حضارية .

ولذلك فقد أمر رسول الله ﷺ المسلمين كافة بتغيير المنكر حسب الاستطاعة باليد لمن له القدرة او باللسان نصحاً وتذكيراً أو بالقلب وهو رفض الضلال وعدم قبوله حتى لا يتسع انتشاره .

* قال ابو سعيد : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم

---

(1) طه/132

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان . »[1]

وتشدد رسول الله ﷺ في الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعل في القيام به رضا الله وفي تركه غضبه وعدم استجابته والعياذ بالله .

* وعن اليمان عن النبي ﷺ قال :

« والذي نفسي بيده لتأمُرنَّ بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم . »[2]

وقد اوجب الله سبحانه وتعالى على المؤمنين الصادقين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما فيه من صلاح وتقويم للفرد ، وحفظ ووقاية لعقيدته ، وصون وحماية للمجتمع من الانحلال والضلال .

* قال تعالى :

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون . »[3]

* وقال عز وجل : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون . »[4]

ثانياً : جانب البناء الروحي :

يستهدف هذا الجانب ترسيخ الايمان والعقيدة في نفوس الناشئين ،

---

(1) مسلم/جـ1 /ص50

(2)الترمذي/جـ9 /ص17 (وقال عنه : حديث حسن)

(3) آل عمران/104

(4) آل عمران/110

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ودعم وتعزيز القيم الروحية لديهم ، وتوسيع وإنارة وعيهم وادراكهم الديني ، وتنمية وصقل معارفهم الدينية والخلقية السليمة بطريقة تتمشى مع مستوى فهمهم العقلي وتحصيلهم التعليمي والعلمي ، والتيسير عليهم وتبشيرهم وجذب انتباههم بمختلف الوسائل التربوية المشوقة والمرغبة .

ومن أهم الوسائل التي انتهجتها السنة النبوية في البناء الروحي « العبادات » لكونها ذات تأثير نفساني كبير في الناشىء ، ولكون أدائها يتم بطريقة مستمرة ، وفي أوقات معلومة ، مما يرسخ القيم الروحية ويأصلها في نفس الناشىء ويجعله ملتزما بالحفاظ عليها على نحو من السلوك التلقائي المعتاد غير المفرّغ من النية والقصد والارادة .

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول :

« سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« **انما الأعمال بالنية ، وانما لامرىء ما نوى** ،

فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو الى امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه . »[1]

ولذلك فقد حرصت السنة النبوية على تعليم الناشىء الصلاة ـ بعد تعليمه الشهادة واركان الايمان ـ

وتعويده على أدائها منذ سني طفولته المبكرة حتى تصبح طبعاً مألوفاً لديه يحافظ على القيام به طيلة عمره . والصلاة هي أول العبادات ذات التأثير الفعال على الجانب النفسي والوجداني والسلوكي لدى الفرد ، لأنها تؤدى خمس مرات في اليوم مما يجعل ترسيخ وتدعيم القيم الروحية لدى المسلم تتم بصورة متتابعة لا انقطاع فيها .

---

(1) البخاري / جـ8 / ص 175

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال رسول الله ﷺ :

« مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع . »[1]

ورغبت السنة النبوية في الالتزام بأداء الصلوات الخمس وصلاة الجمعة لما في أدائها من هداية وفلاح وتوبة وغفران .

* عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :

« الصلاة الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر . »[2]

وكما حرصت السنة النبوية على تأكيد اقامة الصلاة في أوقاتها حرصت على تأكيد صوم رمضان ، وإيتاء الزكاة ، والحج الى بيت الله تعالى لمن استطاع اليه سبيلاً ، لكونها أركان الاسلام ولا يصح بدونها .

* عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ :

« بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت . »[3]

وبذلك تجد القيم الروحية لدى المسلم تعزيزاً وتأصيلاً وشحذاً مستمراً ومتتابعاً طيلة حياته ، بما يقوي ايمانه ويرسخ عقيدته ، ويجعله ملتزماً التزاماً ذاتياً في استقامته الخلقية ، محباً للخير ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، متعاوناً ومصلحاً ومنتجاً ، وهكذا تعود التربية الروحية القوية

---

(1) المتقى/منتخب كنز العمال/جـ 6/ص433 (رواه احمد في مسنده ، وابو داود ، والحاكم في المستدرك عن : ابن عمر) .

(2) مسلم/ جـ1 /ص 144

(3) الترمذي/جـ 10/ص74 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

على الفرد والمجتمع بالخير والنفع العميم .

وقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على تعليم المسلمين بصفة مستمرة وارشادهم وتبصيرهم بأمور دينهم ، وشؤون دنياهم ، وذلك قصد تمتين البناء الروحي لديهم ، وتأصيل القيم والاتجاهات الروحية الصالحة في نفوسهم ، وحثهم على الحفاظ عليها ، ولم يفرق في ذلك بين الرجال والنساء والكبار والصغار .

فبالنسبة الى دعم وترسيخ البناء الروحي لدى النساء حرص رسول الله ﷺ على تخصيص وقت معين لهن يأتي فيه اليهن ليعلمهن ويبصرهن بشؤون دينهن ودنياهن .

* عن أبي سعيد الخدري قال : جاءت امرأة الى رسول الله ﷺ فقالت :

يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فأجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله . قال : « اجتمعن يوم كذا وكذا » فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ ، فعلمهن مما علمه الله ، ثم قال : « ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة الا كانوا لها حجابا من النار . » فقالت امرأة : واثنين ، واثنين ، واثنين ؟ فقال رسول الله ﷺ : « واثنين ، واثنين ، واثنين . »[1]

وبالنسبة الى غرس البناء الروحي في نفوس الناشئين وتأصيله فقد حرص النبي ﷺ على تعويد الطفل منذ صغره على تسمية الله في كل شيء ليرسخ في نفسه الايمان به عز وجل وشكره وحمده وحسن التوكل عليه .

* عن عمر بن أبي سلمة يقول : كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ

---

(1) مسلم / جـ8 / ص 89

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام سم الله ، وكل بيمنك ، وكل مما يليك » فما زالت تلك طعمتي بعد . »[1]

وقد حث رسول الله ﷺ كافة المسلمين على اتباع كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله المطهرة لأنهما الكفيلان بحفظ البناء الروحي واستمرار قوته واشعاعه ، ولأنهما المصدر الأساسي للقيم الروحية والفضائل الخلقية التي يتشربها الناشئون منذ بداية حياتهم من آبائهم ومربيهم سواء عن طريق المحاكاة والتقليد ، او عن طريق التقليد والتعليم ، أو عن طريق التدريب والممارسة ، ولأنهما يمدان الناشئين على الدوام بالزاد الروحي الذي يزكي نفوسهم ، ويصلح اخلاقهم ، ويهدي عقولهم الى سواء السبيل .

* قال رسول الله ﷺ في خطبة حجة الوداع :

« . . . وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً ، كتاب الله وسنة نبيه . »[2]

كما حث رسول الله ﷺ على ابتداع السنن الحسنة وجعل لمن سنها أجر كل من عمل بها من بعده ، ودعا الى تجنب ابتداع السنن السيئة وجعل على من سنها وزر كل من عمل بها من بعده ، وذلك قصد دعم القيم الروحية القويمة وتنميتها ، وتنقيتها مما يعلق بها من مساوىء ورذائل تؤذي الفرد وتلحق الضرر بالمجتمع .

* عن جرير بن عبدالله قال . . . فقال رسول الله ﷺ :

« من سن في الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من اجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة

---

(1) البخاري/جـ7 /ص 88

(2) ابن اسحق/سيرة النبي ﷺ /جـ3 /ص 1023

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء . »[1]

ثالثاً : جانب العلاج الروحي :

يرمي هذا الجانب الهام في التربية الروحية الى مساعدة الناشئين المخطئين أو الضالين على العودة الى حظيرة الايمان الصحيح والعقيدة السليمة ، وذلك بتخليصهم من حبائل الشك العقائدي ، وانقاذهم من براثن الزيغ الديني ، ونشلهم من مهاوي الزلل الخلقي ، وتبصيرهم بالصراط المستقيم ، واعانتهم المستمرة ـ في صبر وتسامح وعطف ـ على الرجوع الى جادة الايمان والحق و الصواب .

وقد أكدت السنة النبوية المطهرة ان الله عز وجل الغفور الرحيم الذي هو أرأف بعباده من الأم الرؤوم والأب الحنون ، يفتح دوما أبواب رحمته وغفرانه لعباده التائبين المستغفرين النادمين على معاصيهم ، العائدين عن ذنوبهم ، العازمين على ترك الضلالة ونبذ الفحشاء ، وعدم العودة الى المنكر . وهذا فضل عظيم من الله تبارك وتعالى فيه البلسم الشافي ، والعلاج الوافي للأمراض والعلل الروحية التي قد يتعرض لها كثير من العباد لغفلة او جهل او طيش او زيغ أو ضلال أو تغرير طارىء سرعان ما يزول عند التذكير والنصح والموعظة الحسنة لذوي النفوس الخيرة ، والعقول القابلة للاتعاظ والعبرة ، والوجدان الذي يستجيب الى داعي الهدى والحكمة .

وهذا ما يميز الدين الاسلامي الحنيف الذي جعله الله عز وجل خاتماً للأديان السماوية كلها ، ويجعله ذا حيوية وتجدد واستمرارية دائمة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ويربط به اتباعه والمؤمنين به بميثاق غليظ ، خاصة وهو يتيح لهم فرص تربية نفوسهم بأنفسهم واصلاح

---

(1) مسلم /جـ8 / ص 61

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اخطائهم بأيديهم ، وتزكية ارواحهم بارادتهم ، ويبشرهم بأن الله عز وجل جعل رحمته تغلب غضبه .

* عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : ان رحمتي تغلب غضبي . »[1]

بل وجعل الله تعالى رحمته تسبق غضبه ، وهذه منة كبرى من الله جل جلاله على عباده تحفزهم على التوبة والاستغفار والعودة الى سواء السبيل ، وتؤكد قبول توبتهم واستغفارهم وندمهم .

* عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« قال الله عز وجل سبقت رحمتي غضبي . »[2]

وليس لأحد أن يقسم بالله أنه لا يغفر للعاصي مهما كانت ذنوبه وخطاياه ما دام مؤمناً بالله تعالى ورسوله الخاتم ﷺ ، وليس له ان يقفل في وجهه أبواب التوبة والاستغفار ، بل من واجبه أن يساعده على ترك معاصيه وذنوبه ، والعودة الى تفيؤ ظلال الايمان والتقوى والاستقامة .

* عن جندب أن رسول الله ﷺ حدث :

« أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان ، وأن الله تعالى قال : من ذا الذي يتألى على أن لا أغفر لفلان ، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك . »[3]

ويؤكد رسول الله ﷺ أهمية العلاج الروحي بالتقرب من الله عز وجل والتماس رضاه ، وهو الذي يقبل توبة التائبين ولو جاؤوه بملء

---

(1) مسلم/جـ8 /ص 95
(2) نفس المصدر السابق/ص 95
(3) نفس المصدر السابق/ص 36

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأرض خطيئة ، وهو الغفور الرحيم سبحانه .

* عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ :

« يقول عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها ، أو أغفر ، ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة . »[1]

فالحمد لله الذي أعطى لكل عاص أملاً في التوبة ، ولكل مذنب رجاء في المغفرة ، وفتح باب السكينة والطمأنينة للمعذبين البائسين ، وجعل لهم في رحمته وغفرانه وعفوه علاجاً روحياً شافياً من أسقام الروح وعلل النفس .

ومن أوكد واجبات الآباء والمربين تجاه علاج الناشئين روحياً ، وانقاذهم من ضلالهم أو انحرافهم أو خطاياهم ، صدق النصيحة والتذكير ، والموعظة الحسنة مع انتقاء الاسلوب الجيد ، والوقت المناسب ، ومراعاة الظروف النفسية والاجتماعية ، والمستوى الادراكي والتعليمي .

فالنصح الصادق مثلاً ، له أثر ايجابي بالغ في ذوي النفوس الطيبة ، يحفزهم على ترك المعاصي ، والعودة عن ضلالتهم ، والنصح المخلص واجب مؤكد على المسلمين تجاه بعضهم بعضاً ، بل هو جزء لا يتجزأ من الدين .

* عن تميم الداري ان النبي ﷺ قال :

« الدين النصيحة : قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . »[2]

---

(1) مسلم/جـ8 /ص 67
(2) مسلم/جـ1 /ص 53

وللتذكير والموعظة الحسنة أيضاً أثرها الفعال في ازالة غشاوة الغفلة عن العقول ، والتفطن الى الأخطاء ، وتلمس سبيل الرشاد .

* قال تعالى : ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين . ﴾[1]

* وقال عز وجل :

﴿أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . ﴾[2]

وكا رسول الله ﷺ يذكر المسلمين بصفة مستمرة ويعظهم ، شحذاً لايمانهم وتزكية لنفوسهم ، وتبصيرهم بموجبات دينهم ، وحدود ربهم ، وأوامره ونواهيه . ولا بد أن يراعى في العلاج الروحي ، للمذنبين والمخطئين اتباع اسلوب التيسير والتبشير حتى تسكن أنفسهم المعذبة وتطمئن ويشيع فيها الرجاء ، وتجنب اسلوب التعسير والتنفير ، حتى لا ييأسوا ويشعروا بالنبذ ، فيسرفوا على انفسهم وينساقوا في سبيل العصيان والضلالة .

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ :

« يسّروا ولا تعسّروا ، وسكّنوا ولا تنفّروا . »[3]

هكذا ترسم لنا السنة النبوية المطهرة الاسس القويمة للعلاج الروحي الذي يفتح باب الأمل والرجاء والهداية بصفة مستمرة أمام المخطئين والمذنبين والضالين ، ويحفزهم دوماً الى العودة الى الصراط المستقيم .

* قال تعالى :

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان

---

(1) الذاريات/55

(2) النحل/125

(3) البخاري/جـ8 /ص 36

الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم. ﴾[1]

تلك هي أهم جوانب التربية الروحية في السنة المحمدية التي لا غنى عنها اذا ما أردنا أن نضمن لأنفسنا حياة سعيدة صالحة قوامها الايمان والهداية والحق والعدل والخير والفضيلة .

ونحن المسلمين في أشد الحاجة الى التمسك بأهداف التربية الروحية السامية ، النابعة من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله الخاتم ﷺ ، في هذا العصر المليء بالضلال والمغريات المادية والفلسفات الالحادية والدعوات التحللية ، والتي زاد من استشرائها بين الأجيال الجديدة فساد التربية الأسرية ، وفساد التربية العامة وتوعية المجتمع الذي يعتبر من مسؤوليات الدولة ، والمتمثل في فراغ النظام التعليمي من الإشباع الروحي باقتصاره على حشو المعارف والمعلومات التي تفتقر الى المحتوى الديني والاخلاقي السليم ، والمتمثل في فساد وسائل الاعلام والتوجيه والتثقيف من سينما وتلفزيون ومطبوعات وغيرها .

وقد نتج عن ذلك كله ضعف الوازع الروحي والخلقي ، والانسياق وراء أهواء النفس ونوازعها وشهواتها ، والانقياد الى بهرج الأفكار والعادات والتقاليد المنافية لديننا الحنيف لا لشيء الا لكونها تشبع نهم الانسان للذائذ المادية الزائلة التي اصبح أسيرها بعد خوائه الروحي ، وتحلله الخلقي ، وضعف تكوينه الديني .

وان حياتنا لن تصلح في هذا العصر المادي الذي تحيط بنا أحابيله من كل جانب الا بالعودة الى منبعي ديننا الحنيف : كتاب الله عز وجل الذي أنزله نوراً مبيناً ، وسنة رسوله الأكرم ﷺ المبينة لأحكامه والشارحة لقواعده ، والموضحة لمضامينه ، فهما وحدهما مصدر هدايتنا وسعادتنا وعزتنا ووقايتنا من كافة أشكال التخبط والضياع والحيرة والضلال .

---

(1) الزمر/53

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكي يتم ذلك على نحو متكامل وسليم لا بد من إصلاح « الاسرة » وحسن اعدادها وتبصيرها بمسؤولياتها الكبيرة في التربية الروحية ، ولا بد من اصلاح النظام التعليمي وجعل مناهجه ومواده المختلفة وسيلة لترسيخ البناء الروحي في نفوس الناشئين ، ولا بد من اصلاح اجهزة الاعلام والتوعية والتثقيف لتكون قادرة ومؤهلة لنشر وتعميق القيم الروحية والفضائل الاخلاقية ، ولا بد من اصلاح احوال المجتمع ومؤسساته وهيئاته كافة بجعل تشريعات الدولة ونظمها ولوائحها وقراراتها مستمدة من روح الدين الاسلامي ، معمقة لمبادىء التكافل والتآزر والتآخي بين الناس محددة لعلاقاتهم على أساس الاحترام المتبادل ، وضمان الحقوق ، والالتزام بالقيام بالواجبات ، واستشعار روح المسؤولية الجماعية ، والتعاون على البر والتقوى والمناصرة على الحق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ركائز التربية الروحية :

سنبحث في الصفحات التالية ركائز التربية الروحية في الدعوة المحمدية ، والتي تعتبر أساس العقيدة ، وقوام العبادة ، ومناط الصلة بين العبد وربه عز وجل .

وعلى هذه الركائز تنبني حياة المسلم كلها ، وتتلون بها ، وتكتسي بصبغتها ، وتستمد منها أصولها ونظامها العام ، فيعيش في امن وسكينة وسعادة وسلام ، ايمانه الخالص بربه تعالى منبع ثقته وقوته ، ويقينه به مصدر ايجابيته وتفاؤله ، وتوكله عليه مبعث فلاحه وصلاحه .

وتتكون ركائز التربية الروحية من : الايمان بالله تعالى ووحدانيته وربوبيته ، والايمان بالملائكة عليهم السلام ، والايمان بالكتب السماوية ، والايمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام ، والايمان باليوم الآخر ، والايمان بالقدر خيره وشره . والتوحيد في العبادة .

وفي ما يلي نستعرض بنوع من الايضاح ، كل ركيزة من هذه الركائز الروحية على حدة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اولا : الايمان بالله تعالى ووحدانيته وربوبيته : -

أول شروط صحة الاسلام هو الايمان بالله تعالى ، أي الاقرار والتصديق بوجوده ، وبأنه خالق كل شيء ، عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومالك أمره ، الواحد الأحد الفرد الصمد لا اله الا هو ولا اله سواه ، متصف بالكمال ، منزه عن النقص .

ولا يكون المسلم مسلماً الا باقراره ابتداء وتصديقه ، في يقين واعتقاد راسخ ، بربه الواحد البارىء المصور الذي لا شريك له .

* قال تعالى : ﴿انني أنا الله لا اله الا أنا فأعبدني واقم الصلاة لذكري . ﴾[1]

* وقال تعالى : ﴿هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . ﴾ (2)

وعقل الانسان الواعي وتدبّره البصير وتفكره المستمرّ ، واستنتاجاته واستدلالاته المنطقية تثبت له دون ادنى شك وحدانية الله تعالى وتفرّده .

فلو كان له شريك ـ سبحانه وتعالى ـ لنازعه في المخلوقات ، ولو كان هناك أكثر من اله لعلا بعضهم على بعض ولتقربوا الى أعظمهم ، سبحان ربي عما يصفون ، وهو الواحد الأحد لا شريك له في الملك .

* قال تعالى :

﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون . ﴾[3]

* وقال تعالى :

---

(1) طه/14
(2) الحشر/24
(3) المؤمنون/91

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا . ﴾[1]

ولا بد من الايمان بكمال الله تعالى ، وبأن صفاته المطلقة لا تماثل صفات المخلوقين الناقصة ، وهو منزه عن الشبه .

* قال تعالى :

﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . ﴾[2]

* وقال عز وجل :

﴿قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . ﴾[3]

ولا بد من الايمان بربوبيته للأشياء كلها ، لكونه خالقها ومدير أمرها ومالكه .

قال تعالى :

﴿رب السموات والأرض ، وما بينهما ان كنتم موقنين . لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين﴾[4]

إن الايمان التام بالله تعالى ثم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره هو جوهر الاسلام وأساسه ، وبدونه ، او بنقصه ، لا يصح الاسلام ، وما الاسلام إلا تجسيد للايمان الصحيح عن يقين قاطع وعقيدة راسخة .

---

(1) الاسراء/24
(2) الشورى/11
(3) الاخلاص/
(4) الدخان / 7-8

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس الى النبي ﷺ فأسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه . وقال : يا محمد ، أخبرني عن الاسلام ، فقال رسول الله ﷺ « الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا » . قال : صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فاخبرني عن الايمان . قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر . وتؤمن بالقدر ، خيره وشره » قال : صدقت . قال : فاخبرني عن الاحسان قال :
« ان تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » قال : فأخبرني عن الساعة . قال :
« ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » . قال : فأخبرني عن اماراتها . قال : « أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » قال : ثم انطلق فلبثت مليا ، ثم قال لي : « يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .[1]

والأدلة على وجود الله تعالى كثيرة . وآياته عزّ وجلّ في الكون ناطقة بالبراهين القاطعة على وجوده ، وهي لا تغيب عن كل ذي عقل حصيف ، وفكر سديد ، ونية صادقة .

ومعجزة الرسالة المحمدية معجزة عقلية أساسا جاءت مخاطبة لعقل الانسان بالمنطق والحجة والبرهان ، حتى يكون إيمانه بالله تعالى عن اقتناع

---

(1) مسلم / جـ 1/ص 29

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتدبر وتفكر ، فيسلم من الريبة والشك والضلال ، اذا سلمت طويته ، وصدقت نيته ، ولم يكابر أو يعاند ، ولم يصر على مجرد تقليد آبائه الضالين او يستمر على ما ورثه من عقائد فاسدة .

وقد دعا رسول الله ﷺ الى التفكير في خلق الله وآياته حتى يقوى إيماننا بالأدلة والبراهين العقلية .

* قال رسول الله ﷺ :

« تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره »[1]

كما حث على مداومة التفكر والتدبر والتعقل لترسيخ العقيدة بالحجج العقلية المقنعة .

* قال رسول الله ﷺ :

« عودوا قلوبكم الترقب واكثروا التفكر والاعتبار »[2]

وأمرنا الله عزّ وجلّ بتدبر القرآن الكريم ، وتعقل ما جاء فيه من براهين وحجج منطقية ، واشارات واضحة لآيات الله تعالى في الأرض والسماء .

* قال تعالى :

﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[3]

ووجهنا الى تدبر آياته في الكون وتعقلها وهي ناطقة بالأدلةِ المقنعة لذوي البصيرة النيرة والنية السليمة .

* قال تعالى :

﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك﴾[4]

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1/ص 155 (رواه ابو الشيخ عن ابن عباس)

(2) نفس المصدر ص 155 (رواه الديلمي في الفردوس عن الحكم بن عمير)

(3) محمد / 24 (4) آل عمران / 191

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وقال عزّ وجلّ :

﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. ﴾[1]

وقد توصل الفلاسفة والمفكرون على اختلاف عقائدهم الى وضع كثير من الأدلة والبراهين على وجود الله تعالى . وبدراسة القرآن الكريم ، وتدبر آياته نجده يتضمن بين دفتيه الكريمتين تلك البراهين والأدلة المقنعة ،! ويخاطب بها « العقل البشري » ويحثه على تدبرها وتعقلها ومناقشتها مناقشة منطقية متفحصة حتى ينبني الايمان بوجود الله عز وجل وربوبيته ووحدانيته على أساس من القناعة العقلية التي لا يرقى اليها الشك .

وعلى سبيل المثال سنستعرض أهم تلك الأدلة العقلية على وجود الله تعالى ، وهي أربعة : دليل الخلق ، ودليل الغاية او القصد ، ودليل الكمال او المثل الأعلى ، ودليل الأخلاق .

(1) دليل الخلق :

ويعرف هذا الدليل أو البرهان باسم آخر هو البرهان الكوني The Cosmological Argument ويعتبر من أقدم البراهين وأوضحها وأقواها حجة وأكثرها اقناعا .

ومفاد هذا البرهان ان لكل مخلوق خالقاً . ولكل مصنوع صانعاً ، ولكل موجود موجداً ، وهذا ما نلمسه فعلا في واقع حياتنا إذ لم نجد شيئاً قط قد تم على نحو تلقائي او بمحض الصدفة او بطريقة عفوية او أوجد نفسه بنفسه .

---

(1) الحج / 46

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واذا قلنا ان المنطق يقتضي ان نقر بأن لكل موجود موجداً أوجده ، ولكل مخلوق خالقاً خلقه ، فإن المنطق يلزمنا بألا نذهب في تسلسل لا نهائي من موجد الى موجد ، إذ لا بد ان نتوقف عند موجد واحد أوجد كل شيء ، وخالق واحد خلق كل شيء ، وهو الله عز وجل الخالق البارىء المصور ، الذي لم يخلق ولم يولد ولم يكن له كفوا أحدا ، له صفات الكمال المطلق تعالى عن الشبيه ، وتنزه عن النظير ، هو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر وليس بعده شيء وهو الباطن والظاهر وهو المحيي والمميت ، وهو الحي الذي لا يموت .

وقد دعا القرآن الكريم الناس الى تدبر أدلة وبراهين الخلق ليكون إيمانهم بالخالق عز وجل مبنيا على الاقتناع والحجة القاطعة .

والكون مليء بالشواهد الحية على وجود الخالق تعالى لمن يتعقلها ويتدبرها ببصيرة واعية ونية صافية ، ولا ينكرها إلا ناكر جحود ، أو أعمى البصيرة لا يرى ما يحيط به ، وقد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ، فالعين المصابة بالرمد لا ترى الشمس لعلة فيها ، وليس لكون الشمس غير موجودة .

وليتأمل الانسان بعض الشواهد الحية الماثلة امام عينيه الدالة على خالقها الأعظم ، كالابل والسماء والجبال والأرض وغيرها .

* قال تعالى :

﴿أفلا ينظرون الى الابل كيف خُلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت ، فذكِّر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر﴾[1]

وليتأمل كيف تحيا الأرض البور بالماء وتعطي الثمار اللازمة لحياة الانسان وفيها آية ناطقة لكل متدبر .

---

(1) الغاشية / 22:17

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال تعالى :

﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ، وجعلنا منها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ، ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ، سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾[1]

وتحثنا السنة النبوية المطهرة على التفكر الواعي في المخلوقات حتى يكون إيماننا بالخالق سبحانه وتعالى مستندا الى الشواهد الحية والأدلة المنطقية والبراهين العقلية ، والعقل يدرك وجود الخالق من خلال مخلوقاته وان كان غير قادر على الاحاطة به .

* قال رسول الله ﷺ :

« تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في الله فتهلكوا »[2]

* وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق ، فمن خلق الله . فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله»[3]

بل جعلت السنة النبوية التفكير مفضلا على العبادة الآلية المفرغة من التدبر ، لأن العقل سند الايمان ، والبرهان المنطقي أساس العقيدة الصحيحة .

* قال رسول الله ﷺ :

« فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة »[4]

---

(1) يس / 36:33

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1/ص 155 (رواه ابو الشيخ عن أبي ذرّ)

(3) مسلم / جـ 1/ص 83-84

(4) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1/ص 155-156 (رواه أبو الشيخ في العظمة عن أبي هريرة) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تلك بعض الأمثلة على ورود « دليل الخلق » في الكتاب والسنة اللذين يحثان المسلم على ألا يقتصر في عقيدته على النقل أو التقليد ـ برغم أهميتهما ـ بل يجب ان يدعم إيمانه ويعزز عقيدته بالبراهين والأدلة العقلية المقنعة المستمدة من التفكر في آيات الله عز وجل والتدبر في خلقه .

(1) دليل الغاية :

دليل الغاية أو القصد The Teleological Argument من أهم الأدلة العقلية المقنعة على وجود الله تعالى ، الخالق الأعظم .

فالمخلوقات لم توجد عبثا ، ولم تخلق سدى اذ نلمس لكل منها كبيرا كان أم صغيراً ، قصداً في خلقها ، وغاية في تكوينها ، وحكمة في تسييرها ودقة في تدبيرها .

هذه الدقة في التدبير والحكمة في التسيير ، وتلك الغاية في التكوين والقصد في الخلق انما تدل على نحو يقيني لا يرقى اليه الشك في أن وراءها مدبرا حكيما وخالقاً عظيماً .

وقد دعانا القرآن الكريم الى تدبر دليل الغاية والقصد في المخلوقات حتى نؤسس عقيدتنا على الحجة العقلية المقنعة ، التي لا يرفضها إلا أعمى البصيرة .

* قال تعالى :

﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ، والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾[1]

ولولا أن حكمة الخالق تعالى جعلت لكل مخلوق قصدا وغاية

---

(1) يس / 40:36

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يؤديها ، وتكون هي أساس ارتباطه بغيره من المخلوقات وترتيبه في منظومتها الدقيقة ، لاختلت موازين الكون كله .

قال تعالى :

* ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين . هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذَّكرون . وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى في الأرض رواسي ان تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون . وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم﴾[1]

وفي هذه الآيات الكريمة تأكيد قاطع على أن لكل المخلوقات قصدا وغاية هي أساس وجودها وخلقها ، وبتدبرها ، والتفكر فيها تستنبط البراهين العقلية على وجود الخالق الأعظم سبحانه وتعالى الذي جعل للمخلوقات مقاصد وغايات لا تحيد عنها .

وكذلك تدعونا السنة النبوية المطهرة الى التعقل والتدبر والتفكر في

---

(1) النحل / 18:5

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المخلوقات ، ومقاصدها وغاياتها ، حتى نبني ايماننا على أساس صحيح من الاقتناع العقلي ، ولا نكتفي بمجرد النقل والتقليد .

* قال رسول الله ﷺ :

« عودوا قلوبكم الترقب ، واكثروا التفكر والاعتبار »[1]

(3) **دليل الكمال :**

دليل الكمال أو المثل الأعلى The Oniological Argument من الأدلة العقلية المقنعة على وجود الخالق عز وجل ، وهو من الأدلة التي وضعها الباحثون في المنطق والفلسفة الدينية . وقد صاغه في صورته الأولى القديس أنسيلم (Anselm)، وأثراه اللاحقون ونقحوه حتى تكامل في فلسفة « ديكارت » الفيلسوف الفرنسي . وصفوة هذا الدليل ان العقل البشري كلما تصور عظيما تصور ما هو أعظم منه ، وكلما تصور كاملا تصور ما هو أكمل منه ، فلكل عظيم او كامل مثل اعلى ، هو العظيم المطلق والكامل المطلق .

« فما من شيء كامل إلا والعقل الانساني متطلع الى ما هو أكمل منه ، ثم أكمل منه ، الى نهاية النهايات ، وهي غاية الكمال المطلق التي لا مزيد عليها ولا نقص فيها . وهذا الموجود الكامل الذي لا مزيد على كماله موجود لا محالة »[2]

ومن الأدلة القاطعة على وجود الله تعالى ما جبل عليه الانسان فطريا من إدراك عقلي بديهي للكامل المطلق في كل شيء الذي هو أساس إدراك مراتب الكمال في مختلف القيم وكيفية تمييزها وتصورها ، فلا ندرك مراتب الجمال إلا بتصورنا للجميل المطلق ، ولا مراتب الحق إلا بتصورنا

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1/ص 55 (رواه الديلمي في الفردوس عن الحكم بن عمير)

(2) العقاد / الله / ص 221

للحق المطلق ، ولا مراتب العظمة إلا بتصورنا للعظيم المطلق ، ولا مراتب الكمال إلا بتصورنا للكامل المطلق .

« والله ثابت الوجود لأنه غاية الكمال ، وكل نقص عن هذه المرتبة القصوى لا يتصوره العقل ولا يقبله ولا يستريح اليه ، لأن تصور الكمال الأسمى مرادف لتصور الكمال الموجود »[1]

ويسوق لنا القرآن الكريم هذا الدليل ، ويدعونا الى التأمل فيه وتدبره ، في مواضع كثيرة ، فالله الذي فطر السموات والأرض وخلق كل ما فيهن تعالى عن الشبيه ، وتنزه عن النقص .

* قال تعالى :

﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[2]

ولله سبحانه وتعالى كل صفات السمو والكمال والجلال .

* قال تعالى :

﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحانه الله عما يشركون ، هو الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبّح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾[3]

* قال عزّ وجلّ :

﴿فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾[4]

ولله تعالى الأسماء الحسنى ، والصفات المطلقة الكمال .

---

(1) العقاد / الله / ص 221

(2) الشورى / 11

(3) الحشر / 24:22

(4) المؤمنون / 116

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال تعالى :

﴿قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ، ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ، وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ﴾[1]

وليس لله وهو الكامل المطلق في كل شيء كفؤ أحد .

* قال تعالى :

﴿قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد﴾[2]

وقد كان رسول الله ﷺ في كل دعواته وذكره وتسبيحه يمجد الله عز وجل ويعظمه ، ويتقرب اليه بصفاته الكاملة ، وأسمائه الحسنى ، ولا شك أن الدعاء والذكر والتسبيح يرسخ الايمان ويقوي اليقين بالله تعالى الكامل في كل شيء القادر على كل شيء الذي تسامى عن الشبيه ، وتعالى عن النظير ، وملك كل صفات العظمة والعزة والجلال والكمال .

* عن ابن عباس أن نبي الله ﷺ كان يقول عند الكرب :

« لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم . »[3]

* وعن عبدالله رفعه أنه قال :

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير »[4]

---

(1) الاسراء / 110-111

(2) الاخلاص

(3) مسلم / جـ 8/ص 85

(4) نفس المصدر السابق / ص 83

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحث رسول الله ﷺ المسلمين على حمد ربهم وتعظيمه وتسبيحه ورغبهم في الثواب على ذلك ، لكي يزداد إيمانهم به ، ويقوى يقينهم بقدرته ، ويستشعروا ضعفهم امام قوته ، ونقصهم امام كماله ، وذلهم امام عزته ، ويبتغوا اليه الوسيلة ، وهو العزيز المهيمن ، المدبر الحكيم .

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل اكثر من ذلك . ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر »[1]

وتوجهنا السنة النبوية المطهرة الى الايمان بالكمال المطلق لله عزّ وجلّ، دون ان نقحم العقل في محاولة مستحيلة لادراك ذات الله وصفاته وكيفيتها ، فان عقل البشر المخلوق لا يحيط بالخالق ، وهو أقصر من أن يدرك كمال ذاته او صفاته على نحو كيفي او تفصيلي .

* قال رسول الله ﷺ :

« تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا »[2]

* وقال عليه الصلاة والسلام « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره »[3]

4— دليل الأخلاق :

دليل الأخلاق الذي ينبع من فطرة النفس البشرية أحد الأدلة القوية

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 69

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / 1/ 155 (رواه ابو الشيخ عن أبي ذرّ)

(3) نفس المصدر السابق / 155 (رواه ابو الشيخ)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على وجود الله عزّ وجل مصدر الخير المطلق والحق المطلق والجمال المطلق . وقد قال بهذا الدليل عدد من الفلاسفة والمفكرين . وأول من ستدل ببرهان الأخلاق القديس « توما الأكويني » الذي رأى في آيات الخير والجمال الكامنة في نفس الانسان وفي مشاهد الطبيعة دليلا قاطعا على وجود الله تعالى . كما أخذ بهذا الدليل من بعده الفيلسوف الألماني عمانويل كانت A. Kant الذي يثبت وجود الله تعالى بوجود علامة اخلاقية فطرية في النفس البشرية يرتبط وجودها بوجود الخالق عز وجل ، وهي علامة الوازع الاخلاقي او الشعور بالواجب الذي يستمده الانسان من ضميره ، ويحس بأنه نابع منه ، مما يشير الى فطرته عليه .

ولا شك أن الاحساس بالقيم المطلقة : كالحق والخير والجمال مغروس في النفس البشرية ، وتحس به تلقائيا ووفق البديهة والطبيعة ، وهو وسيلتها في تمييز الفضائل من الرذائل ، والمحاسن من القبائح ، والخيرات من الشرور ، وإدراكها لمراتب كل منها وتمايزها والمفاضلة بينها ، وهو الذي يدفعها الى اتباع واجب معين وإن كان ثقيلا عليها ومخالفاً لهواها ونوازعها .

« فنحن نفضل جميلا على جميل ، ومأثرة على مأثرة ولا يتأتى لنا المفاضلة بينها بغير قسطاس شامل نرجع اليه في فهم الخير والجمال . وهذا القسطاس الشامل لا يكون فيها دون الخيرات والمحاسن ، بل فيما فوقها الى مصدرها الأصيل ، وهو الله »[1]

ويشير القرآن الكريم الى الدليل الأخلاقي في آيات عديدة ، ويدعو الى تأملها والتفكر فيها وتدبر فطرة الانسان على أسس الخير والخلق القويم والاحساس بالمسؤولية والواجب التي يجب ان ينميها في حياته ويلتزم بها في سلوكه وتصرفاته ، وان يتجنب مساوىء الاخلاق ورذائل الصفات ،

---

(1) العقاد / الله / ص 244

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا دليل قاطع على وجود الله تعالى الذي غرس في النفس البشرية الوازع الأخلاقي . فالذي سوى النفس البشرية وألهمها طريق التقوى او الفجور هو خالقها عز وجل ووجودها وشعورها الفطري بالوازع الأخلاقي دليل على وجوده .

* قال تعالى :

﴿ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها﴾ [1]

والنفس البشرية المجبولة على التمييز بين الخير والشر ، والهدى والضلالة ، رهينة بأعمالها الخيِّرة والشريرة ، لا تجزى إلا بها .

* وقال تعالى :

﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ [2]

وخلق الانسان وسلوكه هو أساس تقييمه وجزائه ولا عذر له في ارتكاب الخطايا والشرور ، والإصرار عليها .

* قال تعالى :

﴿بل الانسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره﴾ [3]

ومن التزم بوازعه الأخلاقي فعمل صالحا يجزى به ، ومن حاد عنه واتبع هواه وعمل السيئات يجزى بها ، ولا يظلم الله تعالى أحدا بعد أن بين للناس طريق الخير والشر .

* قال تعالى :

﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام

---

(1) الشمس / 10:7
(2) المدثر / 38
(3) القيامة / 14-15

للعبيد﴾[1]

ونجد في السنة النبوية المطهرة إشارات كثيرة الى دليل الأخلاق ، وخاصة في دعاء رسول الله ﷺ لربه عز وجل ليهديه الى أحسن الأخلاق وجميل الصفات، باستعاذته به من سيء الأخلاق، وقبيح الصفات، واستغفاره له في كل الأوقات، وكذلك في تأكيد رسول الله ﷺ على أن حسن الأخلاق وتمامها من خلق عز وجل وكأنها مطبوعة في النفس البشرية منذ أن خلقها الله تعالى وبتنميتها وصقلها تشع بالخير والتقوى على كل ما حولها.

* عن زيد بن أرقم قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله يقول . كان يقول :

« اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ، والهرم ، وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي قواها ، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ،ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها »[2]

والله سبحانه وتعالى هو الذي خلق النفس البشرية ويملك تزكيتها وتقواها وهو وليها ومولاها . فقد كان رسول الله ﷺ يدعو الله عز وجل ان يجعل له « نورا » في نفسه وبدنه حتى يكون خلقه وسلوكه كمشكاة تضيء ما حوله ، ويستهدي بها الجميع ، ولا غرو فقد بعثه الله هادياً وسراجاً منيراً .

* عن ابن عباس رضي الله عنهما . . ان رسول الله ﷺ كان يقول في دعائه :

---

(1) فصلت / 46

(2) مسلم / جـ 8/ 81-82

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن يساري نوراً ، وفوقي نوراً ، وتحتي نوراً ، وأمامي نوراً ، وخلفي نوراً ، واجعل لي نوراً »[1]

واستعاذ رسول الله ﷺ بالله تعالى خالق النفس البشرية وملهمها من الرذائل والصفات السيئة .

* عن أنس قال : كان النبي ﷺ يقول :

« اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والجبن والبخل ، وضلع الدين وغلبة الرجال »[2]

وكان رسول الله ﷺ يداوم على استغفار الله تعالى ويحث عليه ، وذلك لكون الاستغفار يقوي في النفس ايجابيتها ويطهرها ويزكيها . ويحصنها من الانسياق في تيار الرذائل والمعاصي والقبائح .

* عن ابن عباس كان النبي ﷺ اذا قام من الليل يتهجد قال :

« اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق وقولك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد حق ، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك »[3]

وكان رسول الله ﷺ يسأل الله تعالى الهداية والتقوى والعفة والغنى . وهي صفات تعتبر رأس الأخلاق الفاضلة .

* عن عبدالله عن النبي ﷺ أنه كان يقول :

---

(1) البخاري جـ 86/8

(2) البخاري / جـ 98/8

(3) نفس المصدر السابق / 86-87

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى »[1]

وكان يدعو ربه تعالى ان يتجاوز عما ارتكبته نفسه من خطيئة وإسراف في أمرها .

* عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء :

« اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني انت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير »[2]

وكان رسول الله ﷺ يدعو ربه ان يصلح له دينه ودنياه وآخرته ، وهو ما لا يتم إلا بصلاح نفسه وتزكيتها وترقية أخلاقها ، وتهذيبها والسمو بها .

* عن أبي هريرة قال كان رسول الله ﷺ يقول :

« اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر »[3]

فسبحان الله تعالى الذي خلق النفس البشرية وألهمها فجورها وتقواها ، بأن أوضح لها سبيل التقوى لاتباعه ، وسبيل الفجور لاجتنابه ، والذي يملك تزكيتها وهدايتها الى الخير والخلق القويم ، وعصمتها من الضلالة وسيء الأخلاق .

ويمكن الانسان ان يبلغ الكمال الانساني الممكن في استهدائه بالكمال

---

(1) مسلم / جـ 81/8

(2) مسلم / جـ 81/8

(3) نفس المصدر السابق / 81

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرباني المطلق ، فقد خلق الله تعالى آدم صورته .

* عن ابن حاتم عن النبي ﷺ قال :

« إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فان الله خلق آدم على صورته »[1]

وبذور الأخلاق الحسنة الكاملة مغروسة في النفس البشرية فطريا كفيض من صفات الله تعالى المطلقة الكمال .

* قال رسول الله ﷺ :

« حسن الخلق خلق الله الأعظم »[2]

والله سبحانه وتعالى يحب الأخلاق الفاضلة ، ويكره الأخلاق السيئة ، ومن مسؤولية العباد استكمال خلقهم الحميد وقد هدوا اليه وتجنب الخلق السيء وقد حذروا منه .

* قال رسول الله ﷺ :

« إن الله تعالى يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها »[3]

تلك شواهد حية على اهتمام الكتاب والسنة ببناء الايمان بالله تعالى ووحدانيته وربوبيته على أساس التدبر العقلي والتفكير المنطقي والحجة المقنعة والدليل القاطع والبرهان الساطع ، وهو ما يجعل التربية الروحية في الدعوة المحمدية تتميز بخاصية ايجابية ليست لسواها وهي مسؤولية الانسان عن الايمان بخالقه الواحد الأحد بعد أن زوده بالعقل الذي يمكنه من التمييز والفهم وزوده بالحواس التي تمكنه من المعرفة والادراك ، ودعاه الى اتباع سبيل الهداية وبينها له على أيدي أنبيائه ورسله الأطهار ، وليس للانسان بعد ذلك على ربه تعالى حجة أبدا ، فكل شيء في الكون الذي

(1) مسلم / 8/31

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / 1/130 (رواه الطبراني في الكبير عن عمار بن ياسر)

(3) نفس المصدر السابق / 131-132 (رواه الحاكم في المستدرك عن سهل بن سعد)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يعيش فيه يحتوي على آيات ناطقة بوجوده سبحانه وتعالى وما على الانسان إلا تدبرها وتعقلها والتفكير فيها حتى يقتنع عقليا ويؤمن ايمانا يقينيا بوجود خالقه الأعظم .

* قال تعالى :

﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذي تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز. ﴾[1]

ثانيا : الايمان بالملائكة عليهم السلام :

لا بد أن يؤمن المسلم - بعد إيمانه بالله تعالى - بالملائكة عليهم السلام وبوجودهم .

* قال رسول الله ﷺ في تعريف الايمان :

« ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره »[2]

* وقال الله تعالى :

﴿آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير﴾[3]

ولا يكمل إيمان المسلم بغير الايمان بالملائكة .

* قال تعالى :

﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا﴾[4]

---

(1) الحج / 73-74
(2) مسلم / 29/1
(3) البقرة / 285
(4) النساء / 136

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد خلق الله تعالى الملائكة عليهم السلام من نور ، فهم عباد الله المكرمون ومن أشرف خلقه .

* عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :
« خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »[1]

وقد كلفهم الله تعالى بوظائف وواجبات يقومون بها ، فمنهم حاملو العرش .

* قال تعالى : ﴿والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ [2]
ومنهم حفظة الناس من أذى الجن والشياطين .

* قال تعالى :
﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ [3]
ومنهم المكلفون بمراقبة العباد وكتابة أعمالهم خيراً أو شراً ..

* قال تعالى :
﴿وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون﴾ [4]

ومنهم المكلفون بالجنة ونعيمها .

* قال تعالى :
﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم

---

(1) مسلم / 226/8
(2) الحاقة / 17
(3) الرعد / 11
(4) الانفطار / 10-12

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾[1]

ومنهم الموكلون بالنار وعذابها .

* قال تعالى :

﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾[2]

ومنهم المسبحون آناء الليل وأطراف النهار لا يفترون .

* قال تعالى :

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ [3]

ومنهم المقربون كجبريل وميكال عليهما السلام ومنهم دون ذلك .

* قال تعالى :

﴿من كان عدوا لله ، وملا ئكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين﴾[4]

وبالتدبر والتفكر نجد أن العقل لا ينفي وجود الملائكة عليهم السلام إذ هناك شواهد تدل على وجودهم وتؤكده ، منها نزول الوحي على الأنبياء والرسل عن طريق الروح الأمين جبريل عليه السلام ، ومنها قبض أرواح الخلائق عند الوفاة ، ومنها حفظ الناس من شرور الجن والشياطين . وليس من المقبول منطقيا التعلل بعدم رؤية الملائكة لرفض وجودهم فكثير من الكائنات الدقيقة لا نراها بالعين المجردة ، ولا تظهر إلا بعد تكبيرها وتقريبها بوسائل وأجهزة خاصة ، ولا يعني عدم رؤيتها

(1) الرعد / 23-24
(2) المدثر / 31
(3) البقرة / 30
(4) البقرة / 98

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عدم وجودها ، ثم ان الايمان اليقيني بالله تعالى وقدرته المطلقة وحكمته التامة وتدبيره المحكم يقتضي الايمان بالملائكة ، وبكل ما ورد في كتبه المنزلة وما ثبت مجيئه على ألسنة أنبيائه ورسله المطهرين .

وللايمان بالملائكة آثار تربوية ايجابية بالغة الأهمية في توجيه المؤمن الى الاقتداء بهم ، والتشبه بصفاتهم العظيمة ، وخاصة في عبادتهم لله تعالى وتقديسهم له وطاعتهم لأمره . هذا فضلا عن استشعار الفرد لرقابتهم عليه مما يدعوه الى التيقظ المستمر فيحسن العبادة ويعمل الصالحات ، ويتجنب المعاصي والموبقات .

ثالثاً : الايمان بكتب الله تعالى :

لا يكتمل إيمان المسلم إلا بإيمانه بكتب الله عز وجل وصحفه التي نزلها على أنبيائه ورسله ليبلغوا بها شرعه ودينه الى عباده .

وأعظم هذه الكتب وأكملها وأشملها القرآن الكريم الذي أنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه ، وناسخا لما سبقه من الشرائع والأحكام ، وخالدا مدى الدهر لأن الله تعالى تكفل بحفظه دون سواه .

* قال تعالى :

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[1]

ثم التوراة وهي المنزلة على موسى عليه السلام ، ثم الزبور المنزل على داود عليه السلام ، ثم الانجيل المنزل على عيسى عليه السلام .

* قال تعالى :

﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والانجيل . من قبل هدى للناس ، وأنزل

---

(1) الحجر / 9

الفرقان . ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام﴾[1]

وقال تعالى :

﴿وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾[2]

* وأكد رسول الله ﷺ إن شروط صحة العقيدة الايمان بكتب الله عز وجل فقال في تعريف الايمان :

« أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره »[3]

وبالتدبر العقلي السليم نجد أن حكمة الله تعالى ولطفه اقتضت إنزاله للكتب السماوية على رسله الأطهار لهداية عباده وتبصيرهم بالشرائع والأحكام التي تحقق لهم كمالهم الانساني ، وتدلهم على طريق سعادتهم في الدنيا والآخرة ، فضلا عن أن الكتب المنزلة برهان إلهي على صدق الأنبياء والرسل حتى لا يكذبهم الناس ، وهي تبقى مع البشر مصدر هداية بعد وفاة الأنبياء والرسل .

وللايمان بالكتب السماوية عامة وبخاتمها وناسخها القرآن الكريم خاصة أبلغ الآثار الايجابية في تربية المؤمن وتوجيهه وتكوين شخصيته ، وتزكية نفسه ، وترقية خلقه ، فهي ترسم المنهج المتكامل الرشيد للحياة الفاضلة التي تحقق للانسان كماله المادي والخلقي والروحي ، وتصلح له دنياه التي فيها معاشه ، وآخرته التي فيها معاده ، وتزوده بالهداية المستمرة في مختلف شؤونه الدنيوية والدينية .

---

(1) آل عمران / 2-4

(2) المائدة / 48

(3) مسلم / جـ 1 / ص 29

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رابعا : الايمان بالرسل عليهم السلام :

لا يصح إيمان المسلم دون إيمانه بالأنبياء والرسل جميعا عليهم السلام ، من أولهم وهو آدم عليه السلام والى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ .

فقد اصطفى الله عزّ وجلّ من خلقه رسلا أخياراً أطهارا أوحى اليهم شرعه وكلفهم تبليغه الى الناس ، وأيدهم بالمعجزات لاقناع الناس بدعوتهم .

* قال رسول الله ﷺ في تعريف الايمان :

« أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره »[1]

* وقال الله تعالى :

﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير﴾[2]

وقال عزّ وجلّ :

« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾[3]

ولا بد من الايمان بأن الرسل جميعا بشر ، يجري عليهم ما يجري على البشر كافة من أعراض وحاجات بشرية كالأكل والشراب ، والصحة والمرض ، والنوم واليقظة ، والتذكر والنسيان ، والضحك والبكاء ، والفرح والحزن ، والحياة والموت ، ولكنهم عليهم السلام أكمل خلق الله تعالى وأفضلهم وأشرفهم .

* قال تعالى :

﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في

---

(1) مسلم / جـ 1/ص 29
(2) الحج / 75
(3) الحديد / 25

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً ﴾[1]

ولا بد من الايمان التام بأن آخر الأنبياء والرسل هو سيدنا محمد ﷺ الذي ختم بنبوته النبوات ، وبرسالته الرسالات ، وبكتابه القرآن العظيم الكتب والصحف التي أنزلت من قبله .

وقد فضل الله تعالى رسوله الخاتم محمدا ﷺ على الأنبياء والمرسلين، وأرسله الى الناس كافة .

* قال تعالى : ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾[2]

* وقال تعالى :

﴿وما أرسلناك إلا كافّة للناس﴾[3]

وأرسله رحمة للعالمين .

* قال عزّ وجلّ :

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[4]

ووجه كتابه القرآن العظيم الى الناس جميعا .

* * قال تعالى :

﴿تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ [5]

* وقال عزّ وجلّ :

﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾[6]

وأشار رسول الله ﷺ الى أنه النبي والرسول الخاتم للأنبياء والمرسلين

---

(1) الفرقان // 20
(2) الأعراف / 158
(3) سبأ / 28
(4) الأنبياء / 107
(5) الفرقان / 1
(6) يوسف / 104

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما تكمل اللبنة الأساسية البناء الحسن الجميل وبدونها لا يكتمل حسنه وبهاؤه .

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون هلّا وضعت هذه اللبنة ، قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين ».[1]

* وقال تعالى :

﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾[2]

والعقل السليم يصدق بالأنبياء والرسل الذين اقتضت حكمة الله تعالى ورحمته وشفقته بعباده إرسالهم اليهم لهدايتهم وتعليمهم وإرشادهم الى ما فيه كمالهم الروحي والخلقي والانساني ، وما فيه خيرهم وسعادتهم في الدارين ، وتوجيههم الى كيفية تزكية أنفسهم وتطهير أبدانهم ، وتحذيرهم من تدنيس أرواحهم بارتكاب المعاصي والذنوب والفواحش ما ظهر منها وما بطن .

ولو ترك الناس لعقولهم وحدها بدون هداية ربانية لضلوا سواء السبيل بانجذابهم الى اللذائذ المادية التي تدخل عليهم المسرة الآنية والسعادة الوقتية وتسدل على عقولهم حجاب الغفلة ، وتعمي بصائرهم ، وتكبل أرواحهم وأجسادهم بمطالب الغرائز والشهوات فينساقون وراءها دون وعي ، ويصعب عليهم الفكاك من حبائلها .

إن إرسال الله تعالى لأنبيائه ورسله حجة على عباده الذين زودهم بالعقل ليمكنهم من التمييز بين ما تدعوهم اليه هداية الرحمن وما تلوح به

---

(1) مسلم / جـ 7/ص 64-65

(2) الأحزاب / 40

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غواية الشيطان ولن يقبل الله تعالى يوم القيامة تعللهم بعدم تمييزهم للطاعات والمعاصي ولأوجه الحق من الباطل ، ولدعوة الهداية من غواية الضلالة ، فقد أنزل اليهم الهداية الكاملة على يد أنبيائه ورسله الذين ختمهم بسيدنا محمد ﷺ فان اتبعوها وأحسنوا أحسنوا لأنفسهم ، وان تركوها وأساءوا أساءوا لأنفسهم .

وللايمان بالرسل والأنبياء أبلغ المؤثرات التربوية الايجابية في شخصية المؤمن ، فهو يحفزه على التأسي بهم ، والاهتداء بسننهم ، والاقتداء بأخلاقهم واعتبارهم قدوته المثلى وأسوته الحسنة في عبادته وعمله وخلقه وسلوكه ومواقفه واتجاهاته ومختلف مناشط حياته وعلاقاته وارتباطاته وقيامه بواجباته وتبعاته .

خامسا : الايمان باليوم الآخر :

من شروط صحة إيمان المسلم إيمانه باليوم الآخر الذي تنتهي فيه الحياة نهايتها المحتومة التي كتبها عليها خالقها عزّ وجلّ ، ويبعث بعد ذلك الله تعالى الخلائق جميعا ويحشرهم للحساب وينشر أمامهم اعمالهم في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فيجزي المؤمنين بنعيم الجنة المقيم ويجزي الكافرين بعذاب النار الأليم .

وأكد رسول الله ﷺ في تعريفه للايمان ضرورة الايمان باليوم الآخر :
« أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره »[1]

والدنيا فانية ولن يخلد أحد فيها فكل الخلق ميتون ولا بد من رجوعهم الى خالقهم الحي الذي لا يموت .

* قال تعالى :

(1) مسلم / جـ 1/ص 29

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفئن متّ فهم الخالدون . كل نفس ذائقة الموت ، ! ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون﴾[1]

وبعد موت الخلائق يأتي البعث ويوم الحساب .

قال تعالى :

﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثنّ ، ثم لتنبؤنّ بما عملتم ، وذلك على الله يسير﴾ [2]

ثم يجزي المحسنون بالجنة والمسيئون بالنار .

* قال عزّ وجلّ :

﴿وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ [3]

والمسلم الذي يؤمن بالله تعالى أساسا وبأنه خالق كل شيء يؤمن بقدرته عز وجل على بعث خلقه في الآخرة بعد موتهم والله تعالى الذي خلق الكائنات من عدم قادر على بعثها بعد فنائها ، وذو العقل السليم لا يقرّ أن البعث أصعب من الخلق من عدم ، فالقادر على هذا قادر على ذلك سبحانه وتعالى .

كما أن من يتدبر في الحياة الدنيا ببصيرة واعية ، وتفكير منطقي يجد شواهد تدل على وجود حياة أخرى وكل من الدين والأخلاق يقتضي الإيمان باليوم الآخر حتى تستقيم الحياة البشرية ولا تتدنى الى مستوى الغاب ذلك ان الذين يشقون ويتعبون ويعانون في حياتهم الدنيا مع إحسانهم لا بد وأن يثابوا ويسعدوا في يوم آخر ، والذين يظلمون ويفسقون ويفجرون لا بد وأن يلاقوا العقاب في يوم آخر ولو سلموا في دنياهم .

---

(1) الأنبياء / 34-35

(2) التغابن / 7

(3) الشورى / 7

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن ما يوجد في الدنيا من نعيم بمراتبه وأنواعه المختلفة شاهد على نعيم أكمل في يوم آخر أبقى وأدْوَم من الدنيا يجزى فيه المحسنون بالجنة وما يوجد في الدنيا من شقاء بمراتبه وأنواعه المختلفة دليل على شقاء أكبر وأعظم في يوم آخر يجزى به المسيئون في نار جهنم .

* قال تعالى :

﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾[1]

وللايمان باليوم الآخر أبلغ التأثيرات التربوية في نفس المؤمن ، وتوجيهه الى فعل الخيرات والصالحات واتباع الهداية والفلاح ، وعدم الوقوع في الشرور والمنكرات واجتناب سبل الغواية والضلال .

سادسا : الايمان بالقدر خيره وشره :

لا يكمل إيمان المسلم إلا بإيمانه بالقضاء والقدر خيره وشره ، وأنها من قبيل حكم الله تعالى ومشيئته في خلقه .

وقد ورد ذلك في تعريف رسول الله ﷺ للايمان بقوله :

« أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره »[2]

* وقال تعالى :

﴿إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر﴾[3]

وأن يؤمن المسلم بأنه لا يقع شيء في الوجود إلا بعلم الله تعالى وتقديره ، حتى أفعال العباد الاختيارية .

---

(1) الزلزلة / 6-8

(2) مسلم / جـ 1/ص 29

(3) القمر / 49

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال تعالى :

﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾[1]

وأن يؤمن المسلم بأن الله تعالى عدل في قضائه وقدره ، حكيم في تصرفه وتدبيره ، وان لم يدرك كنه ذلك بعقله ووسائل معارفه المحدودة .

* قال تعالى :

﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾[2]

وان يؤمن المسلم بمشيئة الله تعالى ، وتحكمه الكامل في كل مخلوقاته ، وان يفوض الأمر اليه ، ويتوكل عليه ، ويسأله وحده العون ، فهو وحده القادر على كل شيء .

* قال تعالى :

﴿وما تشاؤ ون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾[3]

* وقال عزّ وجلّ :

﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾[4]

وهذا ما حرص رسول الله ﷺ على غرسه في نفوس المؤمنين حتى يكمل إيمانهم ويتم يقينهم بربهم عزّ وجلّ القادر على كل شيء وذو المشيئة النافذة والحكم الجاري على كل المخلوقات .

---

(1) الأنعام / 59
(2) الحجر / 21
(3) التكوير / 29
(4) التوبة / 51

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما ، فقال : « يا غلام إني أعلمك كلمات : أحفظ الله يحفظك ، أحفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الأمة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف »[1]

وبالتدبير العقلي السليم لا نجد ما ينفي وجود القضاء والقدر والمشيئة والارادة الالهية ، بل هناك شواهد كثيرة في حياتنا وفي الكون تؤكد القضاء والقدر الالهي .

هذا فضلا عن أن الايمان الصحيح بالله تعالى خالق كل شيء يستلزم الايمان بقضائه وقدره ، وارادته ومشيئته ، وهو على كل شيء قدير يكتب ويقدر المقادير المتعلقة بمخلوقاته وبجميع شؤونها ويحدد كميتها وكيفيتها وزمانها ومكانها وبدايتها ونهايتها ، منذ أن خلقها الى ان تقوم الساعة .

* قال تعالى :

﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير﴾[2]

وللايمان بالقدر خيره وشره تأثيرات تربوية ايجابية في شخصية المؤمن فهي تزوده بقوى وطاقات متجددة في مغالبة الصعاب ، ومواجهة العقبات وتصغر في نظره الأمور الجسام ، وتكون مصدر حيوية وتفاؤل مستمر يجنبه الوقوع في براثن الاستكانة والفشل والشعور بالعجز والهزيمة ، فكل شيء بقدر الله تعالى خيرا كان أم شراً .

---

(1) الترمذي / جـ9/ص 319-320 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(2) الحديد / 22

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سابعا : التوحيد في العبادة :

توحيد الله عزّ وجلّ ، والايمان بألوهيته وربوبيته وحده هو أساس العقيدة الصحيحة التامة التي نزلت بها كل الرسالات السماوية حتى ختمت برسالة سيدنا محمد ﷺ التي جاءت مصدقة لما سبقها من الرسالات ومكملة لها ومهيمنة عليها وناسخة لشرائعها وأحكامها .

وقد دعت الرسالة المحمدية الى الايمان الخالص بوحدانية الله تعالى ورفض عبادة الشرك والأوثان وتصحيح الديانات السماوية السابقة وتنقيتها مما علق بها من شوائب ، ومما ران عليها من صور الشرك ، خاصة وقد جعل أهل الكتاب ، من اليهود والنصارى أنبياءهم ورسلهم في مصاف الاله جل جلاله وأشركوهم معه سبحانه وتعالى ، وافتروا في ذلك بهتانا كبيرا ما أنزل الله به من سلطان ، فقالت اليهود « عزير ابن الله » وقالت النصارى « المسيح ابن الله » بل اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله تعالى .

وسبحان الله تعالى عما يشركون ، فهو الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

وأورد القرآن الكريم الكتاب المنزل على سيدنا محمد ﷺ الذي كلف بتبليغ أحكامه وشرائعه للناس كافة، تصحيحا نهائيا لصور الشرك في عبادة أهل الكتاب ودعاهم الى توحيد الله الذي لا إله غيره .

* قال تعالى :

﴿وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انّي يؤفكون. اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلاّ هو سبحانه عما يشركون﴾[1]

---

(1) التوبة / 30-31

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبالنقاش العقلي والتفكير المنطقي السليم تثبت عقيدة التوحيد وعبادة إله واحد لا إله سواه ، وذلك لأن نظام الكون وسننه ودقته وقصديته لا تستقيم مع تعدد الآلهة ، إذ أن تعددها يقتضي تعدد أفعالها واختلاف رغباتها ، وكل منها يفعل ما يرى ويأمر بما يشاء ، مما ينجم عنه اضطراب نظام الكون واختلال سننه وفساد قصديته وضياع دقته ، فتختل موازينه فيتقوض وينتهي .

ولا يحفظ للكون اتزانه وانسجامه ونظامه ودقته إلا الله الواحد القهار الذي يملك أمره وحده دون شريك له .

وهذا وحده هو الذي يصدقه العقل ويقر به المنطق ، وتدعمه الحجة والبرهان .

قال تعالى :

﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾[1]

* وقال عزّ وجلّ :

﴿لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾[2]

ووحدانية الله تعالى في الايمان تقتضي وحدانيته في العبادة والعبودية لا تكون إلا لله تعالى يخضع له المسلم وحده ولا يخضع لسواه ويسلم له أمره كله ، ويبرىء قلبه وعمله من كل صور الشرك بالله تعالى .

* عن معاذ بن جبل قال: كنت ردف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل ، فقال : « يا معاذ بن جبل » قلت لبيك رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ثم قال : « يا معاذ بن جبل » قلت لبيك يا

---

(1) المؤمنون / 91
(2) الأنبياء / 22

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ، ثم قال : « يا معاذ بن جبل »
قلت : لبيك رسول الله وسعديك قال : « هل تدري ما حق الله على
العباد ؟ » قال قلت : الله ورسوله أعلم . قال « فإن حق الله على العباد
ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا » ثم سار ساعة ثم قال « يا معاذ بن جبل »
قلت : لبيك رسول الله وسعديك قال : « هل تدري ما حق العباد على
الله اذا فعلوا ذلك ؟
» قال : قلت الله ورسوله أعلم . قال : « أن لا يعذبهم »[1]

وتتجسد العبودية والخضوع والانقياد والتسليم التام لله تعالى وحده ، بالالتزام الكامل بفرائض الله تعالى ، واستشعار رقابته في جميع الأحوال ، ورعاية حرماته باتباع أوامره واجتناب نواهيه وعدم تخطي حدوده ، والتوجه الخالص اليه بكل الأعمال والأقوال .

إن الايمان والعبادة وجهان لشيء واحد هو العقيدة الموحدة لله عزّ وجلّ ، فاذا كان الايمان هو جوهر العبادة ، فإن العبادة تجسيد للايمان وإبراز لمعانيه وتطبيق لغاياته وتحقيق لأهدافه .

ولذلك كان على المسلم أن يقرّ بداية بتصديق كامل ويقين تام وينطق بشهادة التوحيد وهي « لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » ثم يجسد هذا التصديق والاقرار الايماني في القيام بالعبادات المفروضة ، وهي الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، وبدون أدائها يكون إيمانه مبتورا ، وإسلامه غير صحيح ، ذلك ان الذي يؤمن بالله تعالى ويوحده ، يؤمن بكل ما جاء في كتبه وما دعا اليه انبياؤه ورسله ، ويقوم بكل الفرائض والطاعات والتكاليف التي يوجبها عليه ايمانه .

(1) مسلم / جـ 1/ص 43

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن ابن عمرقال:قال رسول الله ﷺ :
« بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؛ وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت »[1]

والالتزام بأداء هذه الفرائض يغذي الايمان ويقويه بصورة مستمرة ويشيع الاحساس في المسلم برقابة الله تعالى والصلة الدائمة به ، فيتحقق لديه معنى العبودية الكاملة لله وحده دون سواه ، ويكون سلوكه وخلقه ترجماناً حياً لايمانه وطاعته وعبادته ، وهذا هو « الاحسان » في أداء العبادات والطاعات والأعمال الخالصة لله تعالى .
* قال رسول الله ﷺ في تعريف الاحسان :
« أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[2]

ونتحدث فيما يلي بشيء من الايضاح عن العبادات المفروضة في الاسلام وهي : الصلاة ، والزكاة ، والصوم والحج ، ونبين أهم آثارها التربوية .

1— الصلاة :
الصلاة هي أول الفرائض أمر الله تعالى بها في كتابه الكريم في العديد من الآيات ، ويجب على كل مؤمن أداؤها في أوقاتها .
* قال تعالى : ﴿فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ [3]

وعلى المؤمن ان يحرص على المحافظة عليها ولا يجوز له تركها او

---

(1) الترمذي / جـ10/ص 74 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(2) مسلم / جـ1/ص 29
(3) النساء / 103

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التهاون فيها .

* وأكد رسول الله ﷺ أن أفضل الأعمال الصلاة على ميقاتها . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سألت رسول الله ﷺ قلت : يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال : « الصلاة على ميقاتها »[1]

وأمرنا الله عز وجل بالمحافظة على أداء الصلاة والخشوع فيها .

* قال تعالى :

﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾[2]

وقد جعل رسول الله ﷺ الصلاة القاعدة الثانية من قواعد الاسلام الخمس .

* عن ابن عمر قال:قال رسول الله ﷺ :

« بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت »[3]

ومن واجب المؤمن ، علاوة على محافظته على الصلاة ، أن يأمر أهله بها ويغرسها في نفوسهم حتى يلتزموا بها التزاما ذاتيا دائما .

* قال تعالى :

﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾[4]

وأن يأمر أولاده بها ويعلمها لهم منذ بداية وعيهم حتى يتعودوا على أدائها وتثبت في نفوسهم منذ الصغر .

* عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ

---

(1) البخاري / جـ 4/17
(2) البقرة / 238
(3) الترمذي / جـ 10/ص 74 (وقال عنه حديث حسن صحيح)
(4) طه / 132

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع »[1]

وترك الصلاة التي هي عماد الدين وعلامة المسلمين يقود الى الكفر ، ذلك أن الصلاة هي الفيصل بين الايمان والكفر .

* عن جابر أن النبي ﷺ قال :

« بين الكفر والايمان ترك الصلاة »[2]

* وعن جابريقول :سمعت النبي ﷺ يقول :

« ان بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »[3]

وللصلاة أثر كبير في تقوية الايمان واليقين بالله تعالى ، وتزكية النفس وتطهيرها وترسيخ الفضائل والصفات الحميدة لدى الشخص الذي يحرص على أدائها ، ووقايته من الرذائل والفحشاء والمنكر .

* قال تعالى :

﴿ أتْلُ ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾[4]

ولذلك فقد رغب رسول الله ﷺ في الحفاظ عليها وأدائها في أوقاتها ، وجعلها كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم ترتكب الكبائر.

* عن عثمان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم يؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله » [5]

---

(1) أبو داود / جـ 1/ص 185
(2) الترمذي / جـ 10/ص 89 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(3) مسلم / جـ 1/ص 62
(4) العنكبوت / 45
(5) مسلم / جـ 1/ص 142

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجعل رسول الله ﷺ الصلاة وسيلة لرفع الدرجات ومحو الخطايا .

* عن أبي هريرة أن رسول الله قال :

« ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات » قالوا : بلى يا رسول الله . قال « إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط »[1]

وأكد رسول الله ﷺ ان الصلاة تمحو الخطايا كما يمحو الاغتسال في نهر دائم أوساخ البدن ، ترغيبا في أدائها وحثا على الحفاظ عليها .

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء قال : « فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا »[2]

وبيّن رسول الله ﷺ أن أداء الصلوات الخمس يوميا ، والحرص على صلاة الجمعة ، تكفّر ما بينها من الذنوب والخطايا ما لم تغش الفواحش والكبائر .

* عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :

« الصلاة الخمس والجمعة الى الجمعة كفّارة لما بينهنّ ما لم تغش الكبائر »[3]

وحث رسول الله ﷺ على الحرص على صلاة الجماعة ، وبيّن ان ثوابها وفضلها أكبر من صلاة المؤمن منفرداً وذلك لتعميق معاني الأخوّة والمحبة بين المسلمين في الله تعالى ، وتقوية توادهم وتراحمهم وتكافلهم .

* عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 151
(2) مسلم / جـ 2/ص 131-132
(3) مسلم / جـ 1/ص 144

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« صلاة الجماعة تعدل خمسا وعشرين من صلاة الفذّ »[1]

وللصلاة تأثيرات تربوية إيجابية في تشكيل الشخصية السوية المتكاملة لدى المسلم .

ونبين فيما يلي أهم التأثيرات التربوية للصلاة :

أ ـ تحقق الصلاة الصلة الدائمة بين العبد وربه عز وجل ، فيقوى إيمانه ويزداد يقينه ، وتتحقق عبوديته الخالصة لله تعالى وتشعره بوجوده وجودا حقيقيا فيحس بأنه قريب منه ، فيناجيه ويدعوه ويسلم له قياده ويستعينه على أمره ويتيقن من استجابته لدعائه .

ب ـ تشيع الصلاة في نفس المؤمن السكينة والطمأنينة والثقة ، وتجعله يقبل على الحياة بمصاعبها ومشاكلها بروح إيجابية متفائلة ، فتحفظ سلامته النفسية وتقيه من الصراع والتوتر والقلق النفسي والأمراض والعلل العصبية والعقلية .

ج ـ ترفع الصلاة الروح المعنوية لدى المؤمن ، وتقوي عزيمته وارادته بحسن توكله على الله تعالى وتفويض أمره اليه ، وثقته في عونه وهدايته ، فيمضي الى أهدافه وغاياته دون خور او تردد ، ولا يؤثر فيه الفشل العارض فيتقاعس ، بل يحرص دوما على ما ينفعه ويستعين بالله ولا يعجز .

د ـ تطبع الصلاة نفس المؤمن بطابع التواضع ، وتقيها من الغرور والكبرياء والخيلاء التي تهز إيمان الفرد وعقيدته وتؤثر في سلوكه وتصرفاته وتكون مصدر فشله في حياته الاجتماعية .

هـ ـ تطهر الصلاة نفس المؤمن من الرذائل وتقيها من الكبائر وتنهاها عن الفحشاء والمنكر ، وتهذبها وتزكيها وتربي فيها الضمير الخلقي الحي ، وتفجر فيها ينابيع الخير والرحمة وتعودها على الاستقامة والعفة .

---

(1) مسلم / جـ 2/ص 122

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و- تغرس الصلاة في نفس المؤمن صفات الصبر والثبات والجلد وذلك ليقينه بالله تعالى وتوكله عليه فلا يجزع أو يهلع لما يواجهه من متاعب وأزمات ، بل يحفظ لنفسه هدوءها وسكينتها ويجنبها الانفعال والتوتر والقلق النفسي المدمر .

ز- تحفز الصلاة وخاصة صلاة الجماعة المؤمن الى التعاون المثمر مع الآخرين ، وتجعله عضوا صالحاً في الجماعة التي يعيش معها ، يعمل على نفعها ويشارك بايجابية في تحقيق أهدافها وغاياتها وحفظ حياتها وتماسكها وتلاحمها ، ويحرص على تمتين الروابط والصلاة الاجتماعية بين مختلف أفرادها .

ح- تعوّد الصلاة المؤمن على الالتزام الذاتي والانضباط واحترام النظام والتقيد بأداء الواجبات والمهام المناطة به في أوقاتها بدقة تامة وعدم التهاون في القيام بالتبعات والمسؤوليات الملقاة على عاتقه او تأجيلها ، وهو ما يعود بالفائدة الجليلة على الفرد والجماعة معا .

ط- تغرس الصلاة في نفس المؤمن مبادىء الطهارة والنظافة الشخصية في البدن والملبس والسكن ، وهو ما يحقق له الوقاية الصحية من كثير من الأمراض والآفات والعلل المرتبطة بالأوساخ والقذارة .

ي- تحقق الصلاة لياقة بدنية جيدة للمؤمن الذي يحرص على أدائها باستمرار وخاصة فيما يتعلق بالتوافق العضلي والحركي ، ومرونة الجذع والعمود الفقري ونحوها .

2— الزكاة :

الزكاة فريضة على كل مسلم يجب ان يؤتيها من ماله وفق شروط شرعية محددة ، والزكاة إنما هي تطهير للمال وتزكية وتنمية له بفضل الله تعالى عزّ وجلّ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال تعالى :

﴿ . . . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأقرضوا الله قرضاً حسنا﴾[1]

وقال عزّ وجل :

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾[2]

والزكاة من قواعد الاسلام الخمس ، لا يكمل الاسلام إلا بايتائها لمن توفرت فيه أحكامها الشرعية .

* عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ :

« بني الاسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ـ وإقام الصلاة ـ وإيتاء الزكاة ـ وصوم رمضان ـ وحج البيت »[3]

ولا يجوز ترك إيتاء الزكاة ، وقد أنذر رسول الله ﷺ الممتنع عن أدائها بالعذاب الأليم في نار جهنم والعياذ بالله .

* عن أبي هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ :

« ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا اذا كان يوم القيامة صفّحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنّم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي بين العباد فيري سبيله إما الى الجنة وإما الى النار »[4]

وللزكاة تأثيرات تربوية بالغة الأهمية في تكوين شخصية الفرد كعضو صالح في الجماعة التي يعيش بينها ويشترك معها في تحقيق الأهداف والغايات ذات المنافع المشتركة .

ونبيّن فيما يلي أهم التأثيرات التربوية للزكاة :

---

(1) المزمل / 20

(2) التوبة / 103

(3) الترمذي / جـ 10/ص 74 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

(4) مسلم / جـ 3/ص 70

أ ـ تطهر الزكاة نفس المؤمن من الرذائل وخاصة : البخل والشح والجشع والطمع والشر التي تنعكس آثارها السلبية على حياة الجماعة .

ب ـ تساعد الزكاة المؤمن على التخلص من الأنانية والإثرة وحب الذات ، وانحراف الميل الطبيعي للتملك ولو أدى ذلك الى إيذاء الآخرين وسلب حقوقهم والتقاعس عن إعانة المحتاجين مع توفر الاستطاعة .

ج ـ تعود الزكاة المؤمن على التحلي بالفضائل الأخلاقية وخاصة الايثار والبذل والكرم والجود والتضحية في سبيل الآخرين ، ومساعدة البؤساء والمعوزين ومواساة الفقراء والمحرومين .

د ـ تقوي الزكاة في المؤمن روح الانتهاء الاجتماعي ، والاهتمام بأمر الجماعة ، ومشاركتها الايجابية الفعالة فيما يحقق سعادتها ويخفف من بؤسها وشقائها .

هـ ـ تؤثر الزكاة تأثيراً مباشراً في الحياة الاجتماعية ، وفي علاقات الأفراد بعضهم ببعض ، أغنياء وفقراء ، وتشيع بينهم روح التعاون والرحمة والتلاحم ، فتقلل من الحقد الاجتماعي والصراع الطبقي اللذين يعودان على الجماعة بأوخم العواقب التي من شأنها ان تؤدي الى تفككها وتقويض تماسكها ، ونشر الشرور والتطاحن والرذيلة بين أفرادها .

و ـ تسهم الزكاة بشكل مباشر في إقامة المصلحة العامة ذات الأهداف والغايات المشتركة بين مختلف أعضاء الجماعة ، فقراء وأغنياء ، والتي تتوقف عليها حياة الجماعة وسعادتها وتقدمها .

ز ـ تحد الزكاة من تكدس الأموال في أيدي الأغنياء وهم فئة قليلة في مختلف الجماعات البشرية ، وتمنع حصرها في أيديهم وحدهم ممايتسبب في زيادة الأغنياء غنى ، والفقراء فقراً .

وبذلك تشعر الأغنياء بصورة دائمة بضرورة إيتاء حق إخوانهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المعوزين والفقراء في أموالهم ، وفق أحكام الشريعة ، فتزيل من نفوس الأغنياء الشح والأنانية ، وتزيل من نفوس الفقراء الحقد والكراهية وتضمن التوازن السليم بين الطبقات الاجتماعية الذي يرفع من مستوى الفقير ويحقق له الكفاية ، ويجنبه شظف العيش ، ولا يضيق على الغني بأخذ قيمة معلومة محدودة من ماله الكثير لصالح اخوته البائسين والمحتاجين .

ح ـ للزكاة أثر نفسي كبير على المؤمن لأنها تشعره بالسكينة والطمأنينة وتشيع في نفسه الراحة والرضا لاحساسه بأنه أدى حق الله تعالى في ماله وطهره وزكاه مما يحفزه على بذل مزيد من الجهد ، لتنمية ماله الحلال بالطرق الشريفة ، وكلما أعطى الزكاة كلما شعر براحة البال ورضا الضمير فتكون الزكاة بذلك مصدر سعادة مستمرة له في حياته .

3ـ الصـــوم :

الصوم فريضة على المسلمين ، فرضه الله عز وجل عليهم كما فرضه على الأمم التي سبقتهم .

* قال تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[1]

ولذلك كان صيام شهر رمضان واجباً على كل مسلم ، لا يجوز تركه ما دام قادراً عليه .

* قال تعالى :

﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر

---

(1) البقرة / 183

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فعدّة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبّروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾[1]

وعلى المسلم ان يشرع في صوم شهر رمضان عندما يرى الهلال ، ويفطر عندما يراه ، فان غمّ عليه عدّ ثلاثين .

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :
« إذا رأيتم الهلال فصوموا واذا رأيتموه فافطروا فإن غمّ عليكم فصوموا ثلاثين يوماً »[2]

والصوم من القواعد الخمس التي ينبني عليها الدين الاسلامي الحنيف ولا يصح إيمان المسلم إلّا بالحفاظ على أدائها ما دام قادراً .

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ :
« بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ـ وإقام الصلاة ـ وإيتاء الزكاة ـ وصوم رمضان ـ وحج البيت »[3]

ولفضل صوم شهر رمضان فقد ميّزه الله تعالى عن سائر عمل ابن آدم الصالح وجعله خالصاً له سبحانه وتعالى يجزي عليه خير ما يكون الجزاء .

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :
« كل عمل ابن آدم يضاعف : الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف . قال الله عز وجل إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من أجلي . للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك [4]

---

(1) البقرة / 185
(2) مسلم / جـ 3/ص 124
(3) الترمذي / جـ 10/ص 74 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(4) مسلم / جـ 3/ص 158

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبشر رسول الله ﷺ الصائمين بجزاء عظيم في الجنة لا يكون لسواهم .

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

« ان في الجنّة باباً يقال له الريّان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم ، يقال أين الصائمون ، فيدخلون منه فاذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد »[1]

وبشر رسول الله ﷺ بأن الصوم حجاب من النار .

* عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

« ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله إلاّ باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً »[2]

وقد شرع الله عز وجل الصيام لحكم كثيرة اهمها الوقاية من الرذائل والآفات والعلل النفسية والخلقية والاجتماعية والجسدية الضارة بالفرد والجماعة .

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

« الصيام جنّة »[3]

* وعن عبد الله : كنا مع النبي ﷺ شبابا لا نجد شيئاً ، فقال لنا رسول الله ﷺ :

« يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطيع فعليه **بالصوم فإنه له وجاء** »[4]

وللصوم تأثيرات تربوية بالغة الأهمية في تشكيل الشخصية السوية

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 158-159
(2) نفس المصدر السابق / ص 159
(3) مسلم / جـ 3/ص 157
(4) البخاري / جـ 7/ص 3

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المتكاملة المتزنة .

وفيما يلي نورد أهم التأثيرات التربوية للصوم :

أ ـ يقوي الصوم إيمان المسلم ويزيد يقينه بالله تعالى وينمي فيه ملكة التقوى والمراقبة وإحساسه بوجود ربه معه ، فتكون عبوديته موحدة خالصة له وتكون عبادته صادقة خاشعة له .

ب ـ الصوم يطهر نفس المؤمن ويزكيها ويضبط انفعالاتها ونوازعها ويعلي غرائزها ، ويقيها من الرذائل والموبقات والانسياق في تيار الهوى والشهوات .

جـ ـ يقوي الصوم عزيمة المؤمن وقدرته على التحمل والصبر ، ويعده لمواجهة الصعاب والمشاق والشدائد التي قد تعترضه في حياته بروح إيجابية وهمة عالية .

د ـ يفجر الصوم في نفس المؤمن معاني الخير والرحمة والشفقة والعطف والكرم ونحوها مما يرقي اخلاقه ويسمو بها ويجعله متحليا بالصفات الحميدة والخلال الكريمة .

هـ ـ ينمّي الصوم لدى المؤمن الميل الطبيعي للمشاركة الوجدانية وروح التعاون فيساعد المحتاجين والمعوزين ويعطف على البؤساء والمحرومين ، ويحسن الى الفقراء والضعفاء .

و ـ يقوي الصوم لدى المؤمن الميل الطبيعي للانتماء الاجتماعي فيعمل على رعاية حق الجماعة ويحرص على تآزرها وتكافلها وتراحمها وتماسكها . كما يشيع الصوم بين الجماعة قيم العدل والمساواة والاحسان والتراحم فيصونها من الرذائل والمفاسد والشرور .

ز ـ يحفظ الصوم للمؤمن صحته البدنية ، ويقيه من الأمراض والآفات التي يسببها النهم والافراط في تناول الطعام ، ويطهر معدته وأمعاءه من الفضلات والرواسب ، ويخفف عن بدنه الوزن الزائد الضار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالصحة ، وينقي دمه من الشحوم والترسبات المؤذية .

4— الحـــج :

الحج فريضة على كل مسلم لا بد من أدائها اذا توفرت لديه سبل الاستطاعة ، كالزاد والراحلة وأمن الطريق .

* قال تعالى :

﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكّة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين﴾[1]

وهو من القواعد الخمس التي لا يصح الاسلام بدونها .

* عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ :

« بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ـ وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت »[2]

ولا بد أن يؤدي المسلم الذي تتوفر لديه سبل الاستطاعة الحج مرة واحدة في العمر على الأقل ويستحب له التطوع بعدها .

* عن أبي هريرة قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال :

« يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحجّ فحجوا » فقال رجل : أكلّ عام يا رسول الله ؟ « فسكت » حتى قالها ثلاثا . فقال رسول الله ﷺ « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » . ثم قال : « ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شيء فدعوه »[3]

---

(1) آل عمران / 96-97

(2) الترمذي / جـ 10/ص 74 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

(3) مسلم / جـ 4/ص 102

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أكد رسول الله ﷺ أن جزاء الحج المبرور الجنة ، حثا للمسلمين على أداء هذه الفريضة العظيمة .

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »[1]

ورغّب رسول الله ﷺ في الحج بجعله وسيلة لغفران الذنوب اذا أداه المسلم وفق أركانه وواجباته الصحيحة .

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

« من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه »[2]

وللحج تأثيرات تربوية ايجابية بالغة في تربية الفرد وتكوين شخصيته وصقلها وتكامل جوانبها المختلفة .

وفيما يلي نبيّن أهم التأثيرات التربوية لفريضة الحج :

أ ـ يقوي الحج إيمان المسلم وعقيدته وذلك بشعوره بعظمة الله تعالى وقدرته وإظهار عبوديته وخشوعه له وتسبيحه والتلبية له ودعائه والرغبة فيما لديه من نعيم مقيم والخوف من عذابه الأليم . والاطمئنان الى عفوه ورحمته ، وكرمه ولطفه وهدايته وعونه .

ب ـ يشيع الحج في نفس المؤمن السكينة والأمن والسلام ، ويقوي أمله في الله تعالى واطمئنانه الى تجاوزه عن زلاته وسيئاته وذنوبه وخطاياه ، فيقبل على الحياة بمزيد من الثقة والتفاؤ ل والروح الايجابية .

جـ ـ يعوّد الحج المؤمن على ضبط غضبه والتحكم في انفعالاته ، ويغرس فيه روح التسامح والتجاوز والعفو وغيرها مما يجعل خلقه رصينا محموداً محببا الى الآخرين .

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 107

(2) نفس المصدر السابق / ص 107

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

د ـ يزكي الحج نفس المؤمن ويطهرها ويفجر فيها المعاني السامية والقيم العليا كالعفة والاستقامة والحياء ، والشعور بالمساواة والتواضع والعدل والخير والرفق والعطف والتعاون ونحوها من الصفات الحميدة النافعة للفرد والجماعة .

هـ ـ يهذّب الحج نفس المؤمن ويرقي خلقه ويجنبه الصفات المذمومة كالغرور والتكبر والعجب والخيلاء والمباهاة وغيرها من الأخلاق المذمومة الضارة بالفرد والجماعة .

و ـ الحج وسيلة بناءة لتنمية روح الانتماء الاجتماعي والميل للمشاركة الوجدانية بين المسلمين وتقوية تماسكهم وتلاحمهم وتراحمهم وتعاطفهم والعناية بشؤونهم العامة وتحقيق الأهداف والغايات التي تعود عليهم بالفائدة المشتركة في دينهم ودنياهم .

الآثار الايجابية للتربية الروحية :

للتربية الروحية آثار إيجابية بالغة الأهمية في تشكيل الشخصية الانسانية السوية المتزنة المتكاملة ، وهذه الآثار لا تقتصر على الجانب الروحي بتقوية الايمان وتنمية العقيدة ولكنها تشمل الجانب الخلقي بتزكية النفس وتطهيرها ، والجانب العقلي بتنمية المدارك والملكات والقدرات العقلية وتأكيد أهمية التفكر والتعقل والتبصر ، والجانب الاجتماعي بدعم وتعزيز معاني التلاحم والتعاطف والتكامل والتراحم والتعاون والتآزر . وهي توازن باعتدال تام بين المطالب والحاجات الفردية والمقاصد والغايات الاجتماعية فتصلح للكائن البشري دينه ودنياه .

ومن أهم الآثار الايجابية للتربية الروحية نذكر ما يلي :

أولا : الاخلاص لله تعالى :

من أهم الآثار الايجابية للتربية الروحية الصحيحة غرس معاني الاخلاص لله تعالى في نفس المؤمن ، وذلك بأن تكون نواياه وأقواله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأعماله خالصة لوجه الله عز وجل ، لا يبتغي من ورائها إلا مرضاته ، مبرّأة من تحقيق أي مغنم أو جاه أو كسب دنيوي .

وبذلك يحقق الاخلاص لله تعالى سلامة المؤمن من خبيث النوايا وسيّىء السرائر ، وارتفاعه عن فاحش الأقوال ونقائص الأعمال ، وتنزهه عن رذائل الأخلاق ومذموم الخلال والصفات .

إن الاخلاص لله تعالى في المقاصد والمساعي يحقق الصلة المباشرة الدائمة بالله عز وجل ، ويزكي روح المؤمن ويطهر نفسه ، ويجعله عبدا صالحا في دينه ودنياه لنفسه وأهله وأفراد المجتمع الذي يعيش فيه ، يراعي ربه تعالى ويراقبه في كل حركاته وسكناته ويتوجه اليه بكل خلجات نفسه وذكر لسانه واعتبار فكره ونبض قلبه وعمل يده وسعي قدمه .

وقد أمرنا الله عز وجلّ بالاخلاص له في صلاتنا ونسكنا ومحيانا ومماتنا أي في جميع شؤون دنيانا وأخرانا .

* قال تعالى :

﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ، ومماتي لله ربّ العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾[1]

*وقال تعالى :

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء..﴾[2]

والاخلاص لله تعالى دليل على كمال الايمان به ، والاعتقاد فيه ، واليقين التام به ، ولذلك أمرنا رسول الله ﷺ بالاخلاص لله عز وجل في مشاعرنا وأحاسيسنا ومواقفنا واتجاهاتنا وأعمالنا ومناشطنا .

* عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنيّ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال :

---

(1) الأنعام / 162-163

(2) البينة / 5

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« من أعطى لله ومنح لله ، وأحبّ لله وأبغض لله ، وأنكح لله ، فقد استكمل إيمانه »[1]

ووجهنا الرسول ﷺ الى اخلاص النيات والمقاصد لله تعالى أساسا لكونها هي المحركة والباعثة الأصلية لكل الأعمال والأنشطة وللجهود التي ترتبط بها ارتباطا لازماً في شرفها ونبلها وصدقها ، أو في سوئها وخبثها وكذبها .

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيّة ، وإنما لامرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او الى امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه »[2]

إن الاخلاص هو المحرّك للفرد في سلوكه وتصرفاته ومواقفه واتجاهاته ، هو الذي يرتفع به الى ذروة السمو ومنزلة الأبرار ويكون مبعث فلاحه ونجاحه اذا كان صادقا فيه لله تعالى ، وللاخلاص أثر كبير في حياة الجماعة فهي بكثرة افرادها المخلصين تتجه الى الخير والتعاون والتكافل والتآزر ، والتراحم والتعاطف ، وتحقق أهدافها في الرقي والرفعة ، ومطامحها في النهضة والتقدم ويسودها الوئام والمحبة ، والخلق الفاضل ، وتسلم من الصراع والفرقة وسيّىء الأخلاق من حقد وكراهية ونفاق وكذب ورياء وخديعة .

لذلك كان من واجب الآباء والمربين ان يغرسوا في نفوس أبنائهم منذ نشأتهم الأولى معاني الاخلاص لله تعالى ، وصدق النوايا ونبل المقاصد ، حتى تكون أعمالهم ترجمانا صادقا لنواياهم ، ويراعوا الله عز وجل في كل شؤونهم ويتوجهوا اليه وحده بقولهم وفعلهم يبتغون مرضاته ويستلهمون

---

(1) الترمذي / جـ9/ص 323 (وقال عنه : حديث حسن)

(2) البخاري / جـ8/ص 175

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هدايته ويسألون عونه ، فيفلحوا ويسعدوا في حياتهم ، ويكونوا أعضاء صالحين فعالين في المجتمع الذي يعيشون فيه ، يلتزمون التزاما نابعا من اخلاصهم لله تعالى بخدمته والسهر على رعايته ، وصونه من التفكك والانحلال ، والمساهمة في تحقيق ما يصبو اليه من مطامح وآمال .

ثانيا : التوكل على الله تعالى :

ومن الآثار الايجابية الهامة للتربية الروحية ترسيخ ثقة المؤمن في الله تعالى بحسن توكله واعتماده عليه ، وتفويض أمره إليه ، والاستعانة به ، واللجوء اليه ، والتيقن بأن أمر الله نافذ في مخلوقاته لا يرده شيء ، وأنه قريب سميع مجيب ، يجيب دعوة الداعي اذا دعاه ، ويعين من يتوكل عليه صادقاً عازماً مخلصاً موقناً بعونه .

والتوكل على الله تعالى يشيع في نفس المؤمن السكينة والطمأنينة وراحة البال ، وهو ما ترتبط به صحته النفسية والعقلية وعافيته البدنية وذلك لأن التوكل على الله تعالى يحفظ المؤمن من المخاوف والآلام النفسية والصراع والتوتر والانفعالات والأمراض العقلية والعلل العصبية التي تحيل سعادة الانسان الى شقاء وبؤس وهدوءه الى قلق واضطراب ، وتفاؤله الى تشاؤم وايجابيته الى سلبية ونجاحه الى فشل .

وبذلك يكون التوكل على الله تعالى وحسن الظن به والثقة في اغاثته مصدر الصحة النفسية والعقلية والبدنية علاوة على كونه علامة الايمان الصحيح والعقيدة الراسخة .

إن التوكل على الله ضرورة روحية وعقلية ونفسية لا يستغني عنها أحد من المؤمنين سواء كانوا قادرين ام عاجزين ، حكاما أم محكومين ، كباراً أم صغاراً ، ذكوراً أم إناثاً ، عالمين أم عاملين ، جميعهم في حاجة الى عون ربهم العظيم الذي يستجيب الى دعائهم ويلبي استغاثتهم ، ويعينهم في إقدامهم ، ويخفف عنهم آلامهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أمر الله عزّ وجلّ عباده بالتوكل عليه لما لهم فيه من فوائد ونعم خافية وبيّنة في مختلف شؤون حياتهم الفردية والجماعية .

* قال تعالى :

﴿وتوكّل على الحي الذي لا يموت﴾[1]

والتوكل على الله تعالى من علامات الايمان الراسخ به .

* قال تعالى :

﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾[2]

ولا شك أن توكُّل المؤمن على ربه تعالى يكفيه ما أهمّه في حياته ويعينه على مصاعبه ، ويكون مصدر خيره في الدنيا والآخرة .

* قال تعالى :

﴿ومن يتوكّل على الله فهو حسبه﴾[3]

وأمرنا رسول الله ﷺ بحسن التوكل على الله تعالى .

* عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ :

« لو أنكم كنتم توكّلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا »[4]

وأمرنا ﷺ بأن نستعين بالله وحده ولا نستعين بسواه ، فلن ينفعنا أو يضرنا شيء أبدا إلّا بإذنه تعالى .

* عن ابن عباس قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال :

« يا غلام ، إني أعلّمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان

(1) الفرقان / 58
(2) ابراهيم / 11
(3) الطلاق / 3
(4) الترمذي / جـ 9/ (وقال عنه : حديث حسن صحيح) ص 209-208

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأمة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف »[1]

وكان رسول الله ﷺ يعلم الصحابة صلاة الاستخارة مثلما يعلمهم سور القرآن وهي تبرز حسن التوكل على الله تعالى ثم المضي قدماً عقبها في السعي والعمل والكدح والله هو ولي التوفيق والسداد .

* عن جابر رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن ، اذا همّ بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول :

« اللهم إني استخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم ، وأنت علّام الغيوب . اللهم ان كنت تعلم ان هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فأقدره لي ، وان كنت تعلم ان هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، أو قال في عاجل أمري وآجله ، فأصرفه عني وأصرفني عنه وأقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضّني به ، ويسمّي حاجته »[2]

ووجهنا رسول الله ﷺ الى تفويض أمرنا الى الله تعالى والتسليم له ، واللجوء اليه وحده ، فهو نعم المولى ونعم الوكيل .

* عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
« اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل : اللهم أسلمت نفسي اليك ، وفوضت أمري اليك ، والجأت ظهري اليك رهبة ورغبة اليك ، لا ملجأ ولا منجأ منك

---

(1) الترمذي / جـ 9/ (وقال عنه : حديث حسنٌ صحيح) ص 319-320
(2) البخاري / جـ 8/ص 101

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلا اليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت . فاذا متّ متّ على الفطرة ، فاجعلهنّ آخر ما تقول » فقلت استذكرهن وبرسولك الذي أرسلت . قال : « لا وبنبيك الذي أرسلت »[1]

وكان رسول الله ﷺ يتوكل على ربه تعالى في كل شيء ويفوّض اليه الأمر في كل شيء .

* قال تعالى :

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾[2]

* وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول :

« اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت ، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحيّ الذي لا يموت ، والجن والأنس يموتون »[3]

والله سبحانه وتعالى هو حسب كلّ من توكل عليه ، يسمع دعاءه ويجيب نداءه ، ويلبي استغاثته ، ويعينه على أمره وينجيه مما أهمّه ، فالحمد والشكر له على رحمته وعطفه وشفقته بعباده .

* عن أبي هريرة : قال : قال رسول الله ﷺ :

« ان الله يقول أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه اذا دعاني »[4]

والتوكل على الله تعالى لا يعني تعطيل الأخذ بالأسباب ، ولا يعني التواكل والتقاعس عن السعي الجاد وبذل الجهود المخلصة لتغيير الواقع

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 84-85
(2) التوبة / 128-129
(3) مسلم / جـ 8/ص 80
(4) مسلم / جـ 8/ص 66

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دائما نحو الأفضل .

فالله تعالى الذي ربط المسببات بأسبابها ، والنتائج بمقدماتها يلزم عباده بالجهد والاجتهاد والعمل الدؤوب في غير تواكل أو عجز ويجعل من توكلهم الصادق عليه مصدر ثقتهم وسكينتهم وتفاؤلهم الذي يحركهم ويبعثهم على العمل المتواصل وطلب معالي الأمور .

* قال تعالى :

﴿. . إن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم . .﴾[1]

* وقال عز وجلّ :

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾[2]

* وقال تعالى :

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوكم﴾[3]

وقد حثنا رسولنا الأكرم ﷺ على الأخذ بالأسباب وابتغاء الوسائل المحققة للنتائج المطلوبة مع التوكل الصادق على الله تعالى وهو خالق كل شيء ومالك أمره .

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« بادروا بالأعمال ، فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافراً ، او يمسي مؤمنا ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا »[4]

---

(1) الرعد / 11
(2) المائدة / 35
(3) الأنفال / 60
(4) مسلم / جـ1/ص 76

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان رسول الله ﷺ وهو سيد المتوكلين ، يأخذ بالأسباب ، ويستعد الاستعداد الكامل لمواجهة مختلف الأمور ، ومن الأمثلة الحية على ذلك حسن استعداده للهجرة حين أمره الله تعالى بها ، فقد اتخذ الترتيبات اللازمة التي تتطلبها الحيطة والحذر والأمن من الكفار ، فأمر علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه بالنوم بدلا منه ، واصطحب أبا بكر الصديق رضي الله عنه رفيقاً له في سفره ، ومكث مدة بالغار لتضليل الكفار ، وكان يتسقط أخبارهم ليحتاط لما يدبرونه ، وأعدّ الزاد من طعام وشراب ، وأعدّ الراحلة واختار الدليل وانتهج طريقاً غير مألوف ، وغير ذلك مما يعتبر مثالا رائعاً يجسد حسن التوكل على الله تعالى ثم الأخذ بالأسباب واعداد العدة لكل أمر حسب مقتضياته وبذل الجهد والسعي الموصل الى الغايات المرجوة .

وكان رسول الله ﷺ يستعد استعدادا تاماً لملاقاة الكفار في غزواته ومعاركه المختلفة ويتخذ أسباب النصر ، وكان يعمل ويكدح ويسعى للكسب ، ويأمر بالعمل والكدح والسعي وبذل الجهود اللازمة لتحقيق الأهداف التي يروم الانسان تحقيقها بإذن الله تعالى وعونه وسداده .

* عن أبي هريرةقال:قال رسول الله ﷺ :

« المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وان أصابك شيء فلا تقل لو أنّي فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل فان« لو »تفتح عمل الشيطان »[1]

وعليه فإن من واجب الآباء والمربين أن يوجهوا الناشئين الى حسن التوكل على الله تعالى ، مالك كل شيء وخالق الأسباب والمسببات ، والاستعانة به ، والثقة فيه ، مع بذل الجهد اللازم والسعي الدؤوب

---

(1) مسلم / 8/ص 56

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والعمل المتواصل والاستعداد الكامل الذي تتطلبه الأهداف والغايات التي يطمحون الى بلوغها .

ومن أهم ما تعنى به التربية الروحية في الدعوة المحمدية تأكيدها وتأصيلها لمبدأ « ترابط الايمان » والعمل ترابطا عضوياً في الدين الاسلامي الحنيف وبذلك يكون حسن توكل المؤمن على الله تعالى الذي يعكسه إيمانه الراسخ ، وعمله الدائب الذي تعكسه طاعته الصادقة أمرين لازمين له في كل شؤونه الدينية والدنيوية .

* قال تعالى :

﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[1]

وقال عزّ وجلّ :

﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار﴾[2]

ثالثاً : الاستقامة الذاتية :

من أهم الآثار الايجابية للتربية الروحية خلق الاستقامة لدى المؤمن ، بمعنى التزامه التزاماً ذاتياً بأوامر ربه ونواهيه ، ومراعاته لحدوده ، واستشعاره لوجوده معه في كل زمان ومكان ، وحرصه على ابتغاء مرضاته وحده في كل أعماله والتوجه اليه وحده بنواياه ، وبذلك تكون استقامة المؤمن منهجا سلوكيا ذاتيا يسير عليه طيلة حياته ، ويستمده من كتاب الله عزّ وجلّ وسنة رسوله الخاتم ﷺ اللذين يلتزم بهما في السر والعلن ، وفي النية والعمل ، وفي الغاية والوسيلة ، وفي الدين والدنيا .

وقد أمرنا الله عزّ وجلّ بالاستقامة ، وجعلها أعلى المقامات التي تحفها

---

(1) النحل / 97

(2) البقرة / 25

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الملائكة ، وتشيع فيها السكينة والطمأنينة ، وتقود الى الجنة ، وتضمن خيري الدنيا والآخرة .

قال تعالى :

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم﴾[1]

والاستقامة هي تجسيد الايمان الكامل وترجمان العقيدة الصحيحة ، وثمرة الدين الاسلامي الحنيف .

عن سفيان بن عبدالله الثقفي قال : قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحداً بعدك .

قال « قل آمنت بالله فأستقم »[2]

ويحرص المؤمن المستقيم ، الملتزم ذاتياً ، على اخلاص النية لله تعالى في كل ما يقوم به من عبادات وطاعات وأعمال .

عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ :

« إنما الأعمال بالنية وإنما لامرىء ما نوى . فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله . ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه »[3]

كما يحرص على الاحسان التام في كل ما يقوم به مستشعرا رقابة الله تعالى عليه ، واطلاعه على نواياه وأعماله ، طالبا رضاه وحده .

وقد قال رسول الله ﷺ في تعريف الاحسان :

---

(1) فصلت / 32:30

(2) مسلم / جـ ١/ص 47

(3) مسلم / جـ 6/ص 48

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« ان تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[1]

وشعور المؤمن بأن الله عزّ وجلّ معه في كل لحظة ، يعلم ما في نفسه ، وما تصنع يداه ، هو مصدر استقامته وتقواه والتزامه الذاتي بما جاء في دينه الحنيف فيما يحب ويكره .

* عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :

« حجبت النار بالشهوات ، وحجبت الجنة بالمكاره »[2]

ولذلك فان من أهم واجبات الآباء والمربين غرس مبادىء الاستقامة والالتزام الذاتي في نفوس أبنائهم منذ الصغر ، وتعويدهم على الرقابة الذاتية والنقد الذاتي النابع من أنفسهم ، لأن الاستقامة اذا تحققت لدى الفرد ترقى به الى أعلى درجات السمو والكمال الروحي والخلقي والسلوكي ، وتقيه من المفاسد والشرور ، وتصونه من الرذائل والموبقات ، وتحفظ بذلك عقله ونفسه وبدنه من عوامل الضرر والفساد الناجمة عن المعاصي والفواحش والكبائر .

كما أن للإستقامة أثرا ايجابياً كبيراً في حياة الجماعة ، إذ أنها اذا سادت بين اعضائها شاع فيها الأمن والهدوء والاستقرار واكتنفتها عواطف التراحم والتعاطف والتكافل والتآزر ، وحصنت ضد عوامل التفكك الاجتماعي والتحلل الأخلاقي .

إن صلاح الفرد والجماعة ، في الدارين يكمن في الاستقامة ، والالتزام الذاتي باتباع صراط الله المستقيم .

* قال تعالى :

﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون ﴾[3]

---

(1) مسلم / جـ1/ص 29

(2) البخاري / جـ8/ص 127

(3) الأنعام / 153

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال تعالى مخاطبا نبيه ﷺ ومن معه من المؤمنين ثم أتباعه من بعدهم الى يوم الدين :

« فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ، ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير﴾ (1)

رابعاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

من أينع ثمرات التربية الروحية « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » الذي له أبلغ الآثار في تربية المؤمن وتنمية شخصيته وحمايته من الانحراف والخطايا والمعاصي وفي حياة الجماعة وحفظ كيانها من عوامل الهدم والتفكك المترتبة على انتشار الفساد والشرور والفواحش ما ظهر منها وما بطن .

وقد أوجب الله عزّ وجلّ على المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأن فيه فلاحهم في الدارين .

* قال تعالى :

﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (2)

وربط الله عزّ وجلّ بين الايمان به والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو ثمرة الايمان الصحيح .

* قال تعالى :

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (3)

وحثنا رسول الله ﷺ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعل

---

(1) هود / 112
(2) آل عمران / 104
(3) آل عمران / 110

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تركه من موجبات غضب الله تعالى وعقابه وعدم استجابته للدعاء .

* عن خذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ قال :

« والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم »[1]

وجعل رسول الله ﷺ تغيير المنكر من الايمان ، أعلاه التغيير باليد عند الاستطاعة ، وأدناه عدم الرضا عليه ورفض قبوله ولو في القلب ، وذلك حرصاً منه ﷺ على الحدّ من إشاعة المنكر بين الناس .

* عن أبي سعيد : . . . سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان »[2]

ومن واجب المؤمنين الصادقين ان يأمروا بعضهم بعضاً بالمعروف وأن يتناهوا عن المنكر ، لأن في ذلك صلاح دينهم ودنياهم ، وأن يقيموا حياتهم على التناصح المخلص ودعوى الخير والهداية ، فيسعدوا ويفلحوا ويعزوا .

* عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال :

« ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل »[3]

وعليه فإن من من أوكد ما تلزم التربية الروحية الصحيحة به الآباء

---

(1) الترمذي / جـ 9/ص 17 (وقال عنه حديث حسن)

(2) مسلم / جـ 1/ص 50

(3) مسلم / جـ 1/ص 50-51

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمربين الحرص على ان يعوّدوا أبناءهم الناشئين على تقبل أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وامتثال توجيهاتهم الرشيدة في هذا الشأن على أن يكون الآباء والمربون القدوة المثلى لأبنائهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قولاً وفعلاً وتوجيهاً وتطبيقاً .

وكذلك تعويد أبنائهم على أن يكونوا فيما بينهم ، وبين رفاقهم ، وفي وسطهم المدرسي ، والاجتماعي ، من الملتزمين بقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، سواء في إبدائه لزملائهم او تقبلهم له منهم .

وبقدر ما يلتزم الأفراد بمبادىء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبقدر ما تشيع هذه المبادىء في الجماعة ، بقدر ما تكون حياة الانسان مؤسسة على النقاوة والطهر والعفاف ومبنية على الرشد والاستقامة والهداية ، محصنة ضد التفكك والتحلل والانحراف ومحمية من الفساد والضياع والضلالة .

أهداف التربية الروحية :

بتحليل مضامين التربية الروحية في السنة النبوية يتضح لنا انها ترمي الى تحقيق جملة من الأهداف الرئيسية ، وفق الأحاديث الشريفة المتقدمة ، ويمكن أن نورد أهم هذه الأهداف فيما يلي :

1- غرس العقيدة السليمة في نفس الفرد والايمان الصحيح بالله الذي لا إله إلا هو مالك كل شيء ولا شريك له في الملك ، الخالق المدبر الحكيم ، ذي الكمال المطلق الذي ليس كمثله شيء ، وليس له كفواً أحد ، ومصدر الهداية والفضائل والخير والنعم ، وبذلك تتم وقاية الفرد منذ نشأته من جميع صور الشك والكفر والضلالة والشرك .

2- توجيه الفرد الى الوحدانية الصحيحة في عبوديته وعبادته ، بحيث يسلم قلبه كله لربه تعالى ، رب العالمين ، ويجعل عمله جميعا خالصاً لوجهه الكريم ، لا يشرك فيه معه أحداً ، يطلب رضاه ، ويسأله هداه ،

وبه يستعين وعليه يتوكل واليه يلجأ وبه يعتصم ، ويعتقد في يقين قاطع أنه لا ينفعه او يضره شيء ولو اجتمع له الناس أجمعون إلا بإذن الله تعالى .

وهذا الايمان هو سر تحرر الانسان ، ومصدر اعتداده بنفسه ، واعتزازه بكرامته ، وشعوره باستقلاله ، وترفعه عن كل ما يشينه من مظاهر الذل والخضوع والخنوع لغير الله تعالى ، مهما كانت الفوائد الدنيوية التي يجنيها بذلك .

3- غرس الايمان بالملائكة والكتب السماوية والرسل والأنبياء، واليوم الآخر والقدر خيره وشره في نفس الفرد بعد الايمان بالله تعالى ووحدانيته وربوبيته ، لاستكمال العقيدة السليمة من جهة ، ولكون هذا الايمان مصدر الفضائل الأخلاقية وبناء الضمائر الحية الملتزمة باتباع سبل التقوى والخير والهدى والحصن الذي يحمي سلوك الفرد من الانحراف والفساد والضلال من جهة أخرى .

4- تزكية روح المؤمن ، وتطهير نفسه وذلك بإشباع ميله الطبيعي للتدين ، وفطرته على التوحيد ، بالايمان الكامل بإله واحد ، خالق كل شيء ، هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، رقيب على القلوب ، عالم بالأسرار ، عليم بالأفعال ، يرى عباده ولا يرونه ، وهو معهم أينما كانوا .

وهذا الايمان الكامل يجعل الفرد مخلصا لله في نواياه وأعماله ، مراعيا له في كل حركاته وسكناته ، محسنا في كل شيء يقوم به لا يبتغي إلا مرضاة الله تعالى .

5- تنمية حب المؤمن لرسول الله الخاتم الأمين سيدنا محمد ﷺ والاقتداء به ، واتباع سنته المطهرة ، فهو الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، مبشراً ومنذراً ، هادياً للبشرية ومنقذاً لها من الضلالة ، ومخرجا لها من الظلمات الى النور ، وداعياً لها الى سبل الجنة ، وراسماً لها منهاج

الحياة الفاضلة القائمة على الهدى والحق والخير والتقوى والصلاح ومكارم الأخلاق .

6- إكساب الفرد الفضائل والقيم الأخلاقية ، والعواطف الانسانية السامية ، وترسيخها في نفسه ، حتى تصبح طبعا له يأتيه دون تكلف او رياء أو سمعة ، وهو ما يصلح حياته ، وينعكس على حياة الجماعة بالخير والنفع الغزير .

7- تعويد الفرد منذ نشأته على روح التضحية والبذل والعطاء ، والغيرية والايثار ، ومساعدة الآخرين والتعاون على البر والتقوى ، وهو ما يساعد الفرد على بناء علاقات اجتماعية صالحة ومتينة يرتبط فيها مع اعضاء جماعته برباط المحبة والتراحم والتآزر والتوادد ، فتهنأ حياتهم جميعا ويصلح حالهم ، ويعملوا معا ، كبنيان مرصوص ، على تحقيق أهدافهم وغاياتهم المشتركة ، وحماية بنائهم الأخلاقي ونظامهم الاجتماعي من التفكك والانحلال .

8- حماية الفرد بإيمانه القوي المتين ، من الانسياق وراء الشهوات واللذائذ المادية ، والانصياع لمطالب الغرائز والأهواء ، لما يسببه الاسراف والتكالب على إشباعها غير المشروع وفق ما قررته أحكام الدين الحنيف ، من مضار فتاكة تلحق بصحة الفرد العقلية بما تسببه ، من أمراض واضطرابات عقلية ، وبصحته النفسية بما تسببه من توترات وإحباط وصراع نفسي ، وبصحته البدنية بما تسببه من علل وأمراض تصيب أجهزة البدن المختلفة ، وهو ما من شأنه ان يعود على الفرد والمجتمع معاً ، بأوخم العواقب .

وبذلك يتضح لنا أن التربية الروحية ، المبنية على الايمان الكامل ، واليقين الصادق ، والاخلاص التام لله تعالى ، إنما هي حصن للفرد والجماعة من أذى المنكرات والفواحش ، ومضار المعاصي والموبقات ، وهي مصدر سعادتها وفلاحها في الدارين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال تعالى :

﴿والذين اهتدوا زادهم هدي وآتاهم تقواهم﴾[1]

وقال عزّ وجلّ :

﴿وأن الله لهادٍ الذين آمنوا الى صراط مستقيم﴾[2]

---

(1) محمد / 17

(2) الحج / 54

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

● الفصــل الرابــع

التّربيَة العَقْليّة


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تحدثنا في الفصل السابق عن موضوع الدين، وبيّنا معناه، وآثاره، ثم ناقشنا النزعة نحو الدين والايمان، وأبرزنا الحاجة الى الايمان والعقيدة، وأوضحنا مفهوم التربية الروحية وجوانبها وآثارها واستعرضنا ركائز التربية الروحية في الدعوة المحمدية وبيّنا أهم آثارها الايجابية، ثم أوردنا أهم أهداف التربية الروحية في السنة النبوية.

وسنبحث في هذا الفصل موضوع النمو العقلي وخصائصه فنوضح الذكاء كقدرة عامة، والاستعدادات والقدرات العقلية والميول العقلية، ثم نبين أهم العوامل المؤثرة في النمو العقلي، ونبحث اهم العمليات العليا، ثم نستعرض موضوع التعلم وأهم نظرياته وطرقه والوسائل المساعدة عليه، ونبحث بعد ذلك موضوع التعلم في السنة النبوية ونبرز أهم عناصره، ونبين مكانة العقل في السنة النبوية، ونوضح بعد ذلك أهم موازين البحث العلمي في السنة النبوية، ونخلص في الختام الى ابراز أهم اهداف التربية العقلية في السنة النبوية.

النمو العقلي وخصائصه:

من أهم خصائص النمو العقلي: الذكاء كقدرة عامة، والاستعدادات والقدرات العقلية، والميول العقلية، وبقدر ما تجد هذه الخصائص من عناية تربوية واعية وسليمة بقدر ما يكون نضجها وكمالها وانعكاسها في حياة الفرد والمجتمع.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسنبحث هذه الخصائص كلاّ على « حدة » ثم نخلص الى ابراز العوامل المؤثرة فيها.

أولا: الذكاء كقدرة عامة:

اختلفت تعريفات الذكاء بحسب اختلاف اختصاصات واهتمامات العلماء والمفكرين، حتى انه أصبح من الصعب وضع تعريف « واحد » محدد له تقبله جميع المدارس النفسية والتربوية.

ومن الملحوظ أن التعريفات القديمة للذكاء تغلّب عوامل الوراثة بحيث ترى أن « الذكاء » موروث ولا دخل للبيئة فيه.

بينما تميل التعريفات الحديثة الى التأكيد على أهمية تأثير العوامل البيئية والخبرات المكتسبة في الذكاء وفي النمو العقلي بصورة عامة، وظلت المحاولات، منذ بداية القرن العشرين، متتالية لتفسير الذكاء ووضع تعريف له، وبناء مقايسه، ولعله من المفيد أن نورد فيما يلي بعض التعريفات الشائعة للذكاء للإيضاح

1-يعرّفه جالفن Galvin بأنه:

« القدرة على التعلم » [1]

2- ويعرفه ديربورن Dearborn بأنه:

« القدرة على اكتساب الخبرة والافادة منها »[2]

3- ويعرّفه ودرّو Woodrrou بأنه:

« القدرة على اكتساب القدرة »[3]

4- ويعرّفه ستيرن Stern بأنه:

« مقدرة عامة للفرد يكيّف بها تفكيره عن قصد وفقا لما يستجد عليه

---

(1) د. أحمد زكي صالح / علم النفس التربوي / ص 417

(2) نفس المصدر السابق / ص 417

(3) نفس المصدر السابق / ص 417

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من مطالب، أو هو القدرة العامة على التكيّف عقليا طبقا لمشاكل الحياة. »[1]

5- ويعرّفه ألفريد بيني A. Binet بأنه:

« القدرة على الحكم السليم »[2]

6- ويعرفه تيرمان Terman بأنه:

« القدرة على التفكير المجرد »[3]

7- ويعرّفه سبيرمان Spearman بأنه:

القدرة على ادراك العلاقة واستنباط المتعلقات »[4]

8- ويعرّفه جورج استودارد بأنه:

« القدرة على القيام بنشاط عقلي يتميّز بالصعوبة، والتعقيد، والتجريد، والسرعة، والاقتصاد، والتكيّف الهادف، والابتكار والأصالة، وتركيز الطاقة، ومقاومة الاندفاع العاطفي. »[5] ويعتبر هذا التعريف من أهم وأشمل تعريفات الذكاء.

وباستعراض التعريفات المذكورة، وتدقيق النظر فيها، يتضح لنا: أنها تحاول تعريف الذكاء في ضوء وظائفه وآثاره وهي لم تتعرض لطبيعته التي لم يكشف عنها القناع بعد، مثلها في ذلك مثل الطاقات الطبيعية كالحرارة والكهرباء والمغناطيسية التي تعرف من خلال وظائفها وآثارها ونتائجها، ولم يتم بعد التعرف على كنهها أو حقيقتها.

ويلاحظ على أغلب تلك التعريفات تأكيدها: لوظيفة معينة من

---

(1) د. أحمد زكي صالح / علم النفس التربوي / ص 417
(2) نفس المصدر السابق / ص 417
(3) نفس المصدر السابق / ص 417
(4) د. عمر التومي الشيباني / الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب / ص 65
(5) نفس المصدر السابق / ص 65

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وظائف الذكاء، أو مظهرا من مظاهر السلوك الذكي، وهي بذلك تفتقر الى الشمول، الاّ اذا استثنينا تعريف ستودارد Stoddard الذي يعتبر أشملها.

كما يلاحظ على غالبية التعريفات المذكورة للذكاء كونها متأثرة بنزعة واضعيها وبميادين تخصصهم واهتماماتهم، فمنهم من جعله قدرة على التعلم ومنهم من جعله قدرة على اكتساب الخبرة، ومنهم من جعله قدرة عامة على التكيف، ومنهم من جعله قدرة على التفكير المجرد، ومنهم من جعله قدرة على الحكم السليم، وهكذا وبعبارة أخرى فان علماء الاجتماع يرون ان الذكاء هو القدرة على التكيف الاجتماعي وبناء العلاقات الاجتماعية وعلماء النفس التربوي يرون أنه القدرة على التعلم والتفكير المجرد.

وبتفحص التعريفات السابقة، ودراسة وظائف وآثار ونتائج الذكاء لدى مختلف الأفراد في تعلمهم وخبراتهم وسلوكهم وتكيفهم وعلاقاتهم وأسلوب حياتهم، نجد أن الذكاء انما هو قدرة عقلية عامة تدخل في جميع أساليب النشاط المعرفي والاجتماعي والسلوكي.

كما أن الذكاء قدرة عقلية تدخل في جميع الاستعدادات والقدرات العقلية سواء كانت طائفية أم نوعية خاصة، وبمعنى آخر فان الفرد الذي يفتقر الى الذكاء لا يمكنه أن يحقق بغيره من القدرات العقلية المختلفة نجاحا مرموقاً في أي مجال.

ثانيا: الاستعدادات والقدرات العقلية:

يولد الانسان مزودا باستعدادات وقدرات عقلية متعددة يمكن أن تبلغ أقصى حد لها من الجودة والاتقان والكمال اذا وجدت الاهتمام الواعي، والعناية السليمة، واذا هيّىء لها الجو النفسي والتعليمي والتربوي والاجتماعي الصالح.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والاستعداد والقدرة مرتبطان ارتباطا تاما ويعتبر الاستعداد سابقا للقدرة ولازما لها لكونه أساسها الوراثي، وما القدرة الّا نتاج للتفاعل بين الاستعداد الفطري وعامل البيئة والنضج.

وهكذا يمكننا أن نقول أن الاستعداد Aptitude انّما هو « قدرة فطرية على التعلم واكتساب المعارف والمهارات المختلفة »

وإن القدرة العقلية: « هي التمكّن من القيام بالاعمال العقلية والحركية المختلفة ».

وبدراسة القدرات العقلية نجد أنها عديدة ويمكن أن نذكر منها للإيضاح: القدرة على الإدراك، القدرة على التذكر، والقدرة على التخيّل، والقدرة على الإستنباط والإستنتاج، والقدرة على التحليل، والقدرة على التركيب، والقدرة على الاستقراء، والقدرة على التكيّف، والقدرة اللغوية والقدرة الكتابية، والقدرة العددية أو الحسابية، والقدرة العملية، والقدرة الفنية أو الجمالية ونحوها.

وهناك اتجاهات الى تقسيم القدرات العقلية الى: قدرات طائفية، وقدرات نوعية أو خاصة، ولا بأس من أن نستعرضها بشيء من الايجاز.

ففيما يتعلق بالقدرات الطائفية لم يتفق علماء النفس بشكل نهائي على عددها، وان اتفقوا على وجودها على نحو مشترك في الأعمال ذات الوحدة في الشكل والموضوع والتي تحتاج الى أساليب معينة لأدائها والمثال على ذلك: القدرة اللغوية التي تتجمع فيها أساليب النشاط اللغوي المتعلقة بالكلمات والجمل والعبارات والحفظ سواء كان آليا أم مبنيا على الفهم، والابداع اللغوي في التركيب والاستقامة وجمال الاسلوب اللغوي عامة، ونحو ذلك.

وزد على ذلك القدرات الطائفية الأخرى، كالقدرة الكتابية والقدرة الرياضية، والقدرة الفنية، والقدرة العملية وغيرها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويمكن تحليل القدرات الطائفية الى قدرات جزئية هي في مجموعها مكّونات القدرة الطائفية، كتحليل القدرة اللغوية مثلا: الى القدرة على انتقاء الكلمات، أو تركيب الجمل، أو صياغة الفقرات.

كما أن القدرات الطائفية قد ترتبط فيما بينها باعتبارها مظهرا من مظاهر القدرة العقلية العامة وهي الذكاء، وان اختلفت هذه القدرات في مدى تشبعها بالذكاء، وذلك مثل: ارتباط القدرة اللغوية بالقدرة الكتابية، وارتباط القدرة على الاستنباط بالقدرة على الادراك، وارتباط القدرة على التحليل بالقدرة على التركيب، ونحو ذلك.

أما القدرات النوعية أو الخاصة فهي تلك القدرات المتعلقة بعمل معيّن يتطلب مهارة معينة، ويمكن ان نمثّل ذلك بالقدرة الخاصة على عزف آلة موسيقية معينة، فقد يكون شخص ما بارعا في العزف على آلة العود دون أن يحسن العزف على أية آلة موسيقية أخرى.

وكذلك هو الحال بالنسبة الى قدرة الشخص الخاصة على القيام بمهنة ما دون غيرها كالحدادة، أو النجارة، وغيرهما.

وكما أن للذكاء ـ كقدرة عامة ـ أهميته الأساسية في كل نشاط عقلي وعملي وسلوكي، فان للقدرات العقلية الطائفية، والقدرات النوعية الخاصة أهميتها البالغة، لأنها تتكامل مع بعضهاالبعض في كل انتاج عقلي، وبمعنى آخر فان أي انتاج عقلي انما هو نتيجة تفاعل الذكاء والقدرة الطائفية والقدرة النوعية.

على أن الذكاء، كقدرة عامة، يدخل في جميع أساليب النشاط العقلي والمعرفي مهما كان نوعه أو شكله، وبذلك يكون توفر الذكاء شرطا لازما لنمو القدرات الطائفية والقدرات النوعية الخاصة.

والملاحظ أن الشخص الذكي تكون قدراته العقلية الطائفية والنوعية بشكل عام خصبة ومنتجة ونامية بشكل مستمر، أما الشخص الغبي، كالأبله أو المعتوه، فتكون قدراته الطائفية والنوعية معطلة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما يلاحظ أن القدرات الطائفية والخاصة لدى العباقرة وشديدي الذكاء تبرز بشكل لامع في مجال معين من النشاط الفكري البشري.

والمثال على ذلك: علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ذو الذكاء العالي والقدرة البلاغية الفائقة، وخالد بن الوليد رضي الله عنه ذو الذكاء العالي والقدرة الحربية الفذة.

وإينشتين ذو الذكاء العالي والقدرة الرياضية الممتازة، وبتهوفن ذو الذكاء العالي والقدرة الموسيقية الرائعة.

واذا ما درسنا نظرة السنة النبوية الى خصائص النمو العقلي، لوجدناها تهتم بها اهتماما شموليا متكاملا يدعو الى تنمية القدرات العقلية عموما، وقدح الذكاء وشحذه باعتباره مصدرا مغذيا لجميع القدرات العقلية طائفية كانت أم نوعية خاصة.

وهي لا تعارض النظريات التربوية والنفسية والسلوكية والاجتماعية الحديثة التي تحاول تفسير الذكاء وتعريفه وتنميته وصقله، بل تؤيدها في كل كشف جديد صالح ومفيد لبناء الفكر البشري، وسبقتها في نظرتها الشمولية المتكاملة التي ترى أن لا استقلال للذكاء عن بقية القدرات العقلية الأخرى، بل تؤكد في مواضع كثيرة أن الذكاء قدرة عامة مشعة ومشبعة، ولو بدرجات متفاوتة، لمختلف القدرات العقلية الطائفية والخاصة، وبمعنى آخر تؤكد أن الذكاء قاسم مشترك لمختلف المحاور التي تدور فيها القدرات العقلية، وبدونه لا تفلح أية قدرة عقلية، طائفية أم نوعية، في تحقيق أية نتائج تتسم بالنبوغ أو الاتقان أو المهارة.

فمثلا، بالنسبة لمحور التفكير المجرد نجد أن السنة النبوية تحرص على قدح الذكاء وشحذ الذهن لدى الفرد حتى ينمي قدرته العقلية على الاستنتاج والاستنباط.

* عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

« إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم. حدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة قال عبد الله: فاستحييت، فقالوا: يا رسول الله أخبرنا بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « هي النخلة »[1]

كما حرص رسول الله ﷺ على تحفيز العقول على تحليل وتفسير المعاني والاشارات والرموز وما تشير اليه، والمثال على ذلك تعبير الرؤيا وتأويل الأحلام وتفسيرها.

* عن ابن عباس رضي الله عنه كان يحدث أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت الليلة في المنام ظلّة تنطف السمن والعسل فأرى الناس يتكفّفون منها، فالمستكثر والمستقل، واذا سبب واصل من الأرض الى السماء فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ، ثم أخذ به رجل آخرفانقطع ثم وصل، فقال أبو بكر يا رسول الله بأبي أنت والله لتدعني فأعبرها.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أعبر ».

قال: أما الظلمة فالاسلام، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنطف، فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء الى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذه رجل آخر فينقطع به ثم يوصّل له فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت أأصبت أم أخطأت؟.

قال النبي ﷺ: « أصبت بعضا وأخطأت بعضا ».

---

(1) البخاري / ص 1 / ص 45

قال: فوالله لتحدثني بالذي أخطأت. قال: « لا تقسم »[1]

وبالنسبة لمحور الاختراع والابتكار والأصالة، فقد حثت السنة النبوية على الخلق والابداع، وقوام ذلك الذكاء المتقد، والذهن المتفتح ومن ذلك حثها على الابداع الفني.

* عن أبي بن كعب ان رسول الله ﷺ قال:

« إن من الشعر حكمة »[2]

وحثها على الابتكار في الأحكام الشرعية.

* عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا أراد أن يبعث معاذا الى اليمن، قال: « كيف تقضي اذا عرض لك قضاء؟ » قال: أقضي بكتاب الله قال « فإن لم تجد في كتاب الله؟ » قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: « فان لم تجد في سنة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ولا في كتاب الله؟ » قال: أجتهد برأيي ولا ألو. » فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره فقال: « الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله. »[3]

ومن ذلك تقبل رسول الله ﷺ للآراء المبتكرة والاقتراحات المجددة الرشيدة في مختلف المجالات الفكرية والدينية والحياتية.

* عن أنس قال عمر: وافقت ربي عز وجل في ثلاث، أو وافقني ربّي في ثلاث قال: قلت يا رسول الله لو اتخذت المقام مصلّى، قال فأنزل الله عز وجل:

﴿ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلّى ﴾.

---

(1) البخاري / جـ 9 / ص 55

(2). البخاري / جـ / ص 42

(3) أبو داود / جـ 3 / ص 331,330

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقلت: لو حجبت عن أمهات المؤمنين فإنه يدخل عليك البر والفاجر، فأنزلت آية الحجاب.

قال: وبلغني عن أمهات المؤمنين شيء فاستقريتهن أقول لهن لتكفنّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليبدلنه الله بكن أزواجا خيرا منكن مسلمات، حتى أتيت على احدى أمهات المؤمنين فقالت: يا عمر أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهنّ فكففت، فأنزل الله عز وجل:

﴿ عسي ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات. . . الآية ﴾[1]

ومن ذلك حرص السنة النبوية على تحفيز العقول على الاختراع والابتكار في المجال العملي والمهني، وهو الذي يعتمد على الذكاء قبل اعتماده على المهارة اليدوية.

* كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يخطب الى جذع في المسجد قائما، فقال:

« ان القيام قد شقّ عليّ »

فقال له تميم الداري: ألا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام؟ فشاور رسول الله ﷺ المسلمين في ذلك فرأوا أن يتخذه، فقال العباس بن عبد المطلب: ان لي غلاما، يقال له كلاب، أعمل الناس، فقال رسول الله ﷺ: « مره أن يعمله. »[2]

وكذلك هو الحال بالنسبة لاهتمام السنة النبوية بالحث على الخلق والابداع في المجال الحربي والعسكري وما يستندان عليه من خطط قوامها العبقرية والنبوغ العقلي.

---

(1) مسند أحمد / جـ 1 / ص 24
(2) ابن سعد / جـ 1 / ص 250,249

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* في غزوة بدر الكبرى قال الحباب بن المنذر: يا رسول الله، ان هذا المكان الذي أنت به ليس بمنزل، انطلق بنا الى أدنى ماء الى القوم فاني عالم بها وبقلبها، بها قليب قد عرفت عذوبة مائه لا ينزح، ثم نبني عليه حوضا فنشرب ونقاتل، ونعوّر ما سواه من القلب. فنزل جبريل على رسول الله ﷺ فقال:

« الرأي ما أشار به الحباب »

فنهض رسول الله صلى الله وسلم، ففعل ذلك[1]

ودعت السنة النبوية الى استعمال التفكير الذكي، والتعقل الواعي في ضبط الانفعالات ومقاومة الاندفاعات العاطفية، ورد النفس عن غيّها وهواها ولا يتم رشد المرء الا وفق نضجه العقلي ورؤ يته المتبصرة لمختلف الأمور.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

« ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »[2]

فبالعقل الذي محوره الأساسي الذكاء يستطيع الانسان ان يتحكم في اندفاعه وتوتره الانفعالي اللذين قد يقودانه الى الضرر والشر اذا لم يضبطها ويملك زمامها.

واهتمت السنة النبوية بقدح الذكاء وتسخيره في الاجتهاد العقلي واستنباط الأحكام الصائبة في شتى المجالات.

عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، واذا حكم فاجتهد

---

(1) ابن سعد / جـ 2 / ص 15
(2) البخاري / جـ 8 / ص 34

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم أخطأ فله أجر. »[1]

وبالاضافة الى اهتمام السنة النبوية بالذكاء كقدرة عامة وأساسية لكل محاور العقل والتفكير في مختلف المجالات، فانها لم تغفل الاهتمام بالقدرات الطائفية والنوعية، وان لم تتعرض لها على نحو تفصيلي، ادراكا منها لمدى ارتباط نمو العقل ونضج الذكاء بتنمية وصقل القدرات العقلية والعناية بها.

وفيما يلي نسوق بعض الشواهد على اهتمام السنة النبوية بالقدرات العقلية وتنميتها.

فقد اهتمت السنة النبوية بتنمية القدرة على الكتابة والقدرة على القراءة، لكونهما مفتاح العلم والمعرفة، والوسيلة الأساسية الأولى لتنمية العقل والتفكير.

* وقد بدأ نزول القرآن الكريم على خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم بكلمة « اقرأ » تعظيما لشأن القراءة وتنبيها على أهميتها وخطورتها وآثارها الجليلة في حياة الانسان.

* قال تعالى: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الانسان ما لم يعلم. ﴾[2]

وترتبط بالقدرة على القراءة القدرة على الكتابة ارتباطا عضويا، وطرديا، فكلما تحسنت احدا هما تحسنت الأخرى.

* قال تعالى:

﴿ اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم ﴾.

* عن جابر بن عامر قال: أسر رسول الله ﷺ يوم بدر سبعين أسيرا، وكان يفادي بهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون واهل

---

(1) البخاري / جـ 9 / ص 133

(2) العلق / 5:1

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دفع اليه عشرة غلمان من غلمان المدينة، فعلّمهم فاذا حذقوا فهو فداؤه. »[1].

واهتمت السنة النبوية بتنمية القدرة اللغوية، وحث رسول الله ﷺ ذو الملكات والقدرات الخاصة من الصحابة على تعلم اللغات التي يستطيعون تعلّمها.

* عن زيد بن ثابت قال:

« أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم السريانية »[2]

واهتمت السنة النبوية بالقدرة العملية، وذلك بدعوتها الى اكتساب مختلف المهارات، وتعلم المهن المناسبة.

* قال رسول الله ﷺ:

« علموا أبناءكم السباحة و الرمي والمرأة المغزل. »[3]

ودعت السنة النبوية الى الاهتمام بتنمية القدرة الفنية.

* وعن ابن عمر: أن رجلين قدما في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطبا فعجب الناس من كلامهما، فالتفت الينا رسول الله ﷺ فقال:

« إن من البيان، سحرا، أو أن بعض البيان سحر. »[4]

ووجهت القدرة الفنية توجيها رشيدا مفيدا يبتعد عن الانحراف والتحلل:

عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال:

---

(1) ابن سعد جـ 2 / ص 22

(2) الترمذي / جـ 10 / ص 182 (وقال عنه حديث: حسن صحيح)

(3)- المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6 / ص 434 (رواه البيقهي في شعب الايمان عن عمر).

(4)- الترمذي / جـ 8 / ص 184 (وقال عنه: حديث حسن صحيح).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« إن من الشعر حكمة . »[1]

ولم يكن اهتمام السنة النبوية بالقدرات العقلية المختلفة اهتماما نظريا أو توجيهيا فحسب، بل راعتها في مجال التطبيق، وهو ما يتمثل في اختيار رسول الله ﷺ للصحابة كلّاً حسب مقدرته واستعداداته العقلية والعملية، أثناء تكليفهم بمختلف المهام والواجبات.

فقد راعى رسول الله ﷺ في تكليفه بالمهام الحربية ذوي النبوغ العسكري مثل خالد بن الوليد رضي الله عنه في قيادته للجيوش.

وراعى في تكليفه بالمهام العملية، ذوي الخبرة والمهارة مثل سليمان الفارسي رضي الله عنه في حفر الخندق أثناء غزوة الأحزاب.

تلك بعض الشواهد سقناها للتدليل على عناية السنة النبوية المطهرة بتنمية الذكاء كقدرة عامة، وبالقدرات العقلية طائفية كانت أم نوعية، ونظرتها الشمولية الى تكامل التفاعل والانسجام بين الذكاء والقدرات العقلية المختلفة بما يؤدي الى النضج العقلي، والتفتح الفكري، وتوقد الذهن وشحذ الملكات، وابراز الاستعدادات العقلية الكامنة.

ونعتقد أن هذه النظرة الشمولية « للعقل الانساني » هي النظرة الصائبة البنّاءة التي لا تسرف في التقسيمات القسرية، والتفصيلات النظرية، ولا تنساق وراء المناقشات الجدلية العقيمة، خاصة وان الكائن البشري بعقله وروحه ووجدانه كل متكامل لا يتجزأ.

ثالثا: الميول العقلية:

تعتبر الميول العقلية من أهم خصائص النمو العقلي لدى الناشئين، وهي بالتالي من أهم أسس تكوين شخصياتهم على نحو سوي ومتكامل، ولا بد من مراعاة « الميول » المتنوعة لدى مختلف الأفراد في شتى البرامج

---

(1) ـ البخاري / حـ 8 ص 42

التوجيهية والتعليمية والتربوية والمهنية والترويحية.

ويمكن بملاحظة بسيطة لما يجري في حياتنا اليومية ان يدرك الآباء والمربون أهمية الميول وفعاليتها في نمو جوانب الشخصية المختلفة، فالناشئون يتحمسون دوما الى أداء الأعمال المرتبطة بميولهم، والاقبال على الأنشطة التي تشبع هواياتهم، ويحققون فيها اتقانا ونجاحا ملحوظا، علاوة على ما يشعرون به من سعادة غامرة تدفعهم من جديد الى التفوّق في الأداء، وكثيرا ما يعزف الناشئون عن أداء الأعمال التي لا يميلون اليها، أو يخفقون في تحقيق أية نتائج ايجابية فيها، هذا فضلا عن فقدانهم للراحة النفسية والشعور بالرضى اثناء القيام بها.

ان الميول هي أساس نجاح الفرد وسعادته في ممارسة مختلف الأنشطة تعليمية كانت أم ترويحية، لأنها تدفعه الى الاهتمام بتلك الأنشطة، وحبه لها، ومتابعته لتطوراتها، وبذل أقصى الجهد فيها، لأن نجاحه في أدائها مرتبط بشعوره بالرضا والسعادة.

وبذلك تكون الميول لأي نوع من النشاط مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمجهود الذي يبذل فيها على نحو ايجابي فعال، خاصة وان المقدرة ذاتها في أداء أي عمل من الأعمال ليست كافية نظرا لعزوف الفرد عن النشاط الذي لا يميل اليه، ولا يشعر بارتباطه بمواهبه وهواياته، وكثيرا ما نرى في حياتنا أفرادا تخصصوا في مجال معين، يملكون المقدرة على مواصلة السير فيه، ولكنهم تركوه الى لون آخر يميلون اليه اكثر من غيره، ويشعرون بالسعادة والسرور في ممارسته مهما كانت المشاق التي يلقونها فيه، فهناك بعض الأطباء مثلا الذين هجروا مهنتهم الأصلية واصبحوا شعراء أو أدباء أو فنانين بارعين.

والميول هي: استعدادات فطرية بالفرد الى الاهتمام بنشاط معين يوليه شغفه وانتباهه وتركيزه، ويرتبط به وجدانيا ويسخر له كل طاقاته الذهنية أو الجسدية حتى يبلغ فيه النتائج الايجابية التي تشعره بالراحة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النفسية والسعادة وتحقيق الذات.

وأغلب التعريفات التي حاولت تحديد معنى « الميول » ركّزت على الجوانب التي تعرضنا اليها وللايضاح يمكن ايراد بعض هذه التعريفات فيما يلي:

1- يعرف جون ديوى Jhon . Dewey الميل بأنه:

« يعني ببساطة أن الشخص قد حقق ذاتيته، أو وجد نفسه في قيامه بعمل معين. »[1]

2- ويرى جيرسلد A. T. Jersild وتاش R. J. Tasch أن الميل:

« يتضمن نوعا من النشاط يثير شعورا سارا عند الشخص. »[2]

3- ويرى الدكتور سعد جلال أن الميل:

« عبارة عن استعداد لدى الفرد يدفعه الى الانتباه باستمرار الى أشياء معينة أو أوجه نشاط معينة تستثير وجدانه ».[3]

ومهما يكن اختلاف تعريفات الميول فاننا لا نجد تناقضا بينها، بل نجد بتحليلها، تركيزا مشتركا على الاهتمام بمشاعر الشخص واستجاباته وارتباطها بانواع النشاط أو الوان الأعمال التي يمارسها، ويقبل عليها في حماس وانتباه وتركيز وبذل جهد متزايد.

ومما يجدر تأكيده في هذا المقام هو ارتباط ميول الفرد بحاجاته سواء كانت عقلية أم نفسية أم اجتماعية أم جسمية، وذلك لأن الفرد عندما يشعر بالحاجة الى شيء ما فانه يحاول أن يرضي هذه الحاجة بالقيام بالأعمال والأنشطة التي تؤدي الى اشباعها.

(1) ـ ج. واين رايتستون، وجوزف جاستمان، وايرفيننج روبينز / التقويم في التربية الحديثة ص 442

(2) ـ نفس المصدر السابق / ص 442

(3) ـ د. سعد جلال / المرجع في علم النفس / ص 456

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبذلك تصبح الميول المرتبطة بالحاجات لدى الفرد عوامل تحفيز ودفع ذاتي يقتضي منه بذل أقصى الجهود لارضاء حاجاته وتحقيق ذاته.

وقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن زود البشر فطريا بميول متنوعة تنعكس في أنشطتهم العقلية والفنية والترويحية، وتنوعها هو أساس تكامل الحياة البشرية وتلونها وتمازجها بما يحقق غايات واهداف الأفراد على مختلف مشاربهم، ويدخل على نفوسهم البهجة والسعادة.

وهكذا فقد تباينت الميول الانسانية وتنوعت تبعا لتباين وتنوع اغراض الحياة البشرية ومتطلباتها، فهناك الميول العقلية المتصلة بالخلق والابتكار والابداع والعلم والمعرفة والمنطق، وهناك الميول الفنية المرتبطة بالفنون والآداب والتربية الجمالية والذوقية، وهناك الميول العملية المتعلقة بالصناعات والمهن والمهارات، وهناك الميول الترويحية المتصلة بالهوايات والمواهب، وهناك الميول الدينية التي هي أساس تنمية العقيدة الروحية وترسيخ العبادات والاقبال على الطاعات، وهناك الميول الأخلاقية التي تحفز الفرد على صون القيم والمثل العليا والتمسك بأهداب الفضائل ومكارم الأخلاق، والميول الاجتماعية التي تدفع الفرد الى عون الآخرين ومساعدتهم ونجدتهم، وغير ذلك من الميول الانسانية المتنوعة التي قد لا يتسع المقام الى الاحاطة بها على نحو تفصيلي.

والميول الفطرية تبدو بسيطة فجة ولكنها تنمو وتبرز بتفاعلها مع العوامل البيئية وخاصة التعليم والتربية والتوجيه، وتصبح في اطارها النهائي اتجاهات واضحة لدى الفرد ومؤثرة في حياته ايجابا وسلبا.

واذا درسنا موقف السنة النبوية الشريفة من « الميول العقلية » لوجدناه موقفا ايجابيا يعترف بأهميتها وآثارها الفعالة في تشكيل الشخصية الانسانية، ويوجهها وجهة خيرة تعود على الفرد والمجتمع بالفائدة المشتركة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد أكد رسول الله ﷺ أن كل امرىء ميسر لما خلق له وفق ميوله الفطرية.

* عن علي قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا، وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال:

« ما منكم من نفس الاّ وقد علم منزلها من الجنة والنار. »

قالوا: يا رسول الله فلم نعمل؟ أفلا نتكّل؟

قال: « لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له. ثم قرأ : فأما من أعطى وصدق بالحسنى الى قوله: فسنيسره باليسرى »[1]

وبتنوع الميول والاستعدادات الفطرية يتنوع السعي والعمل، وتتظافر الجهود بما يحقق التكامل في الحياة البشرية ويضفي عليها المتعة والبهجة والسرور.

قال تعالى:

﴿ إن سعيكم لشتّى ﴾[2]

وأكدت السنة النبوية هذا التنوع في الميول بين مختلف الأفراد، وأبرزت مدى التفاضل فيما بينهم، بما يكون مدعاة لتكاملهم وتمازجهم، لا تمايزهم وتفرقهم.

* عن أبي هريرة بحديث يرفعه قال:

« الناس معادن كمعادن الفضة والذّهب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا. »[3]

وأبرزت السنة النبوية أهمية تشابه الميول في بناء العلاقات الاجتماعية

---

(1) ـ مسلم / جـ 8 / ص 47

(2) ـ الليل / 4

(3) ـ مسلم / جـ 8 / ص 42,41

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بين مختلف الأفراد وارتباطهم بعضهم ببعض.

* عن أبي هريرة بحديث يرفعه قال:

« الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. »[1]

ودعت السنة النبوية الى اهمية مراعاة الميول في التوجيه والتربية والمعاملة.

* عن عائشة... قالت: قال رسول الله ﷺ:

« انزلوا النّاس منازلهم. » [2]

* وقال رسول الله ﷺ:

« أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم. »[3]

ومن الواضح أن إنزال الناس منازلهم. ومخاطبتهم على قدر عقولهم، يستوجب مراعاة ميولهم واستعداداتهم ومواهبهم المختلفة والتي بدونها لا تستقيم مطلقا عملية التربية.

وتقف السنة النبوية المطهرة بالنسبة الى توجيه الميول وتعديلها موقفا ايجابيا بناء.

فهي تدعو الى تنمية « الميول » المرغوب فيها، وتشجع على دعمها وتعزيزها وتقويتها في النفوس، والمداومة على ممارستها لما تعود به من خير عميم على الفرد والجماعة.

ويتضح ذلك في ما كان يبديه رسول الله ﷺ من ارتياح وثناء واطراء للصحابة على خلقهم الكريم، وسلوكهم المحمود، ومواقفهم المشكورة،

---

(1). نفس المصدر السابق / ص 42

(2). أبو داود / جـ 4 / ص 411

(3).المتقي / منتخب كنز العمال / حـ 4 / ص 70 (رواه الديلمي عن ابن عباس)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهي التي تنبع اساسا من ميولهم وترتبط بها ارتباطا وثيقا، فيزيدهم رضا رسول الله ﷺ قوة ومثابرة في أداء الطاعات والواجبات.

* عن علي رضي الله عنه، قال ما سمعت رسول الله ﷺ يفدّي أحدا غير سعد سمعته يقول:

« أرم، فداك أبي وأمي »[1]

وفي هذا الحديث الشريف دعم وتعزيز « للميل » الايجابي الى الفداء والتضحية والجهاد في سبيل الله تعالى.

كما ان رسول الله ﷺ كان يحرص على توجيه الميول وجهة خيرة ونافعة.

* عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

« لا حسد في اثنتين: رجل أتاه الله مالا فسلّطه على هلكته في الحق، وآخر أتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلّمها »[2]

وفي هذا الحديث الشريف توجيه لذي الميل الى جمع المال الى انفاقه بحقه، وتوجيه لذي الميل الى تحصيل العلم الى نشره وتعليمه وكان رسول الله ﷺ يدعو الى تشبيط الميول السيئة ودرئها صوناً للفرد والجماعة من ضررها ومخاطرها ..

* عن جندب يقول: قال رسول الله ﷺ:

« من سمّع سمّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به. »[3]

وفي هذا الحديث حث على ترك الميول السيئة الى الشهرة وذيوع الصيت ولو بغير حقها، وذلك لأن الانسان اذا تحكم فيه حب الظهور أعمى بصيرته، ومحق عمله لأنه ليس خالصا لله تعالى بل القصد منه أن تملأ سمعته الكاذبة آذان الناس، وتخدع محاسنه الزائفة انظارهم، وانسان

(1) البخاري / جـ 8 / ص 52
(2) البخاري / جـ 9 / ص 78
(3) البخاري / جـ 8 / ص 130

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذاحاله،لا خير فيه لنفسه ولا لمجتمع، ولا صلاح له في دين أو دنيا.

العوامل المؤثرة على النمو العقلي:

تعتبر الوراثة والبيئة أهم العوامل المؤثرة في خصائص النمو العقلي، ونبحث فيما يلي بشيء من الايضاح كلا منهما على حدة.

1-عامل الوراثة:

تتأثر خصائص النمو العقلي من ذكاء وقدرات عقلية طائفية وخاصة وميول بعامل الوراثة تأثراً كبيرا شأنها شأن غيرها من مظاهر الحياة.

ويبدأ تأثير الوراثة في الخصائص والاستعدادات العقلية لدى الفرد من اللحظة الأولى التي تلقح فيها الخلية الذكرية الخلية الأنثوية، وبذلك يرث الفرد من والديه وأجداده واسلافه كثيرا من خصائصهم العقلية قوة وضعفا.

« ويذكر علماء الوراثة والحياة أن الخلية الملقحة تتضمن أربعة وعشرين زوجا من الخيوط الصبغية، وهذه الخيوط الصبغية تحمل عناصر غير مرئية تسمى بالجينات. وهذه الجينات هي حاملات الاستعدادات الوراثية بما في ذلك الاستعداد العقلي العام أو الذكاء. »[1]

وبذلك يكون الذكاء كقدرة عامة، وغيره من القدرات العقلية، قوى كامنة في الفرد تتحدد أصلا نتيجة تكوينه الوراثي.

وكما أن للوراثة أثرها في الذكاء والقدرات العقلية فان لها اثرها الفعال في الميول العقلية التي تتكون وتتحدد معالمها وفقا للصفات والخصائص الوراثية لدى الفرد، ودرجة ذكائه وقدراته واستعداداته العقلية وامكاناته وطاقاته الجسدية، ودوافعه النفسية الفطرية، ونوع جنسه، وسنه ودرجة نضجه ومرحلة النمو التي يمر بها، وأحواله المزاجية والانفعالية،

---

(1) د. عمر التومي الشيباني / الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب / ص 76

وسماته الشخصية ودرجة توازنه الشخصي ونحو ذلك.

وتقف السنة النبوية المطهرة من تأثير عامل الوراثة في خصائص النمو العقلي موقفا مؤيدا، وتؤكد ضرورة الاهتمام به في مواضع كثيرة.

فهي تحوّطا منها الى أن يولد الفرد مزودا بالخصائص العقلية الجيدة الموروثة عن والديه، أوجبت عند الزواج حسن الاختيار القائم على الاصلاح العقلي والديني والنفسي والجسدي.

* عن عائشة عن النبي ﷺ قال:
« انكحوا الصالحين والصالحات. »[1]

وأكدت السنة النبوية في تضميناتها التربوية التأثير الوراثي للوالدين على الأبناء وشبههم الكبير بهم في خصائصهم العقلية، واستعداداتهم الفطرية وغيرها.

* عن أم سليم حدثت أنها سألت نبي الله ﷺ عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل، فقال رسول الله ﷺ:
« اذا رأت ذلك المرأة فلتغتسل. »

فقالت أم سليم واستحييت من ذلك، قالت: وهل يكون هذا؟
قال نبي الله ﷺ:
« نعم فمن أين يكون الشبه، ان ماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر، فمن أيهما علا أو سبق يكون منه الشبه. »[2]

كما أكدت التأثير الوراثي للأجداد وأن علوا في الخصائص العقلية لدى الأحفاد وان نزلوا.

* عن أبي هريرة أن أعرابيا أتى رسول الله ﷺ فقال: ان امرأتي ولدت

---

(1) سنن الدارمي / جـ 2/ص137
(2) مسلم / جـ 1 / ص 172

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غلاماً أسود، وانّي أنكرته، فقال رسول الله ﷺ: « هل لك من ابل؟ » قال: نعم. قال: « فما ألوانها؟ » قال: حمر. قال: « هل فيها من أورق؟ » قال: ان فيها لورقا. قال: « فأنى ترى ذلك جاءها؟ » قال: يا رسول الله عرق نزعها. قال: « ولعل هذا عرق نزعه » ولم يرخص له في الانتفاء منه.[1]

2-عامل البيئة:

كما تتأثر خصائص النمو العقلي بعامل الوراثة، فانها تتأثر بعامل البيئة وذلك لأن الخصائص العقلية الموروثة تكون عبارة عن قدرات كامنة لا تنمو أو تنشط الا بتفاعلها مع الظروف البيئية.

واذا كانت الوراثة تحدد نسبة الذكاء فان البيئة هي التي تتيح لهذه النسبة فرص النمو والتحسن والعطاء.

وتشمل البيئة جميع العوامل الخارجية المؤثرة في الكائن البشري منذ بداية تكوينه، أي منذ اللحظة التي تلقح فيها بويضة الأنثى بالحيوان المنوي للذكر.

ويتأثر الجنين بالمؤثرات البيئية التي تقع على أمه، وهذه المؤثرات تشمل الحالة الصحية والنفسية للأم، ونوع وكمية تغذيتها، ثم يزداد أثر العوامل البيئية بعد ولادة الجنين، ويقوى ويشتد بتفاعله المستمر معها كلما تقدم به العمر وازدادت درجة نضجه العقلي والنفسي والاجتماعي، وكلما توسعت دائرة خبراته وتجاربه وثقافته وعلاقاته الاجتماعية.

وقد أثبتت دراسات تربوية عديدة تأثير عوامل البيئة في الذكاء كقدرة عامة، وفي غيره من القدرات العقلية الموروثة.

ومن تلك الدراسات الدراسة التي أجراها سنيدر Snyder وليهمان

---

(1) البخاري / جـ 9 / ص 125

Lehmanعلى تسعة وعشرين زوجاً من التوائم المتحدة، ومن النتائج الهامة التي توصّلا اليها أن: « الفرق في نسبة الذكاء بين عضوي الزوج الواحد من التوائم المتحدة قد وصل في بعض الحالات 24 درجة، وليس لهذا الفرق من سبب اذا ما سلمنا أن التوأمين من نوع التوائم المتحدة سوى سبب اختلاف البيئة »[1]

وكذلك هو الحال بالنسبة للميول الفطرية التي تبرز وتتنوع وتتطور وتتحدد كاتجاهات متميزة بصفة الثبات الى درجة كبيرة بتفاعلها مع العوامل البيئية.

فميول الفرد تتأثر بالميول السائدة في أسرته، وبمستواها الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، وبعلاقاته الاجتماعية بزملائه وجيرانه، وبمدى توفر فرص التعليم والتدريب والخبرة التي تنمي مواهبه وتشبع هواياته، وبالقيم والمثل والعادات والتقاليد والثقافة السائدة في مجتمعه، وبالعصر الذي يعيش فيه وما يسود فيه من متغيرات وتطورات اقتصادية وفنية وثقافية وتكنولوجية، ونحو ذلك.

والسنة النبوية المطهرة تؤكد أهمية تأثير العوامل البيئية في خصائص النمو العقلي، مثلها مثل بقية خصائص النمو: الوجدانية والاجتماعية والجسمية وغيرها.

وهي لذلك تبرز مدى مسؤولية « الأسرة » كبيئة أولى مؤثرة في تربية الناشيء ورعايته، ولا شك أن في مقدمة ذلك تأثيرها الذي ينبغي ان يكون ايجابيا في تنمية خصائصه العقلية الموروثة.

* عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

« ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالامام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على اهل بيته وهو

---

(1) د. عمر التومي الشباني / الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب / ص 78

مسؤول عن رعيته. والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .[1]

كما أبرزت السنة النبوية تأثير الرفقاء والجلساء وغيرهم ممن يخالطهم المرء ويكوّن العلاقات الاجتماعية معهم، في ميوله واتجاهاته في الحياة.

* عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال:
« انّما الجليس الصالح والجليس السوء كحامل السمك ونافخ الكير. فحامل السمك اما أن يحذيك واما ان تبتاع منه، واما أن تجد منه ريحا طيبة. ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما ان تجد ريحا خبيثة »[2]

وأكدت السنة النبوية فعالية الوسائل والبرامج والمناهج التعليمية، وهي من العناصر البيئية الهامة، في صقل وتنمية الخصائص العقلية التي تبلغ غاياتها بكسب العلم والمعرفة، وزيادة الخبرات والتجارب، واتساع المدارك والأفهام، وخاصة اذا استثمرت منذ المراحل المبكرة من عمر الناشىء التي يكون فيها عقله مهيئا للتلقي، وقدراته العقلية المختلفة في طور التفتح والنشاط.

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:
« من تعلّم العلم وهو شاب كان كوشم في حجر. ومن تعلم العلم بعدما يدخل في السن كان كالكاتب على ظهر الماء. »[3]

ومما تجدر الاشارة اليه أن عامل الوراثة وعامل البيئة يتشابكان ويتفاعلان ويتكاملان في التأثير على الكائن الحي وليس من قبيل الحسم

---

(1) البخاري / جـ 9 / ص 77
(2) مسلم / جـ 8 / ص 38,37
(3) ابن عبد البر / جامع بيان العلم وفضله / جـ 1 / ص / ص 98

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العلمي تغليب أحدهما على الآخر بشكل نهائي ومطلق، فالوراثة تؤثر في الفرد من داخله وترتبط بمكوناته، والبيئة تؤثر في الفرد من خارجه وتعمل على تنمية تلك المكونات وصقلها وتطويرها.

وهذا ما تؤكده السنة النبوية في جمعها لعنصري الوراثة والبيئة معا في التأثير على تكوين الفرد وتربية وتنمية خصائصه المختلفة، وفي مقدمتها قدراته وميوله العقلية.

* عن أبي هريرة أنه كان يقول:

قال رسول الله ﷺ:

« ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء. »[1]

العمليات العقلية العليا:

لا شك أن العمليات العقلية العليا من أهم وظائف ومظاهر القدرات العقلية التي يتميّز بها الانسان كحيوان عاقل عن سائر الحيوانات الأخرى، ويرتبط مستوى تلك العمليات ونضجها وقوتها بما تجده القدرات العقلية من رعاية صالحة تتيح لها فرص التفتح والنمو والنضج.

ومع ان العلماء يختلفون في تحديد العمليات العقلية العليا اذ أن لبعضها صفة العموم ويمكن تفريعها الى عمليات جزئية، الا أنه يمكننا للايضاح أن نبحث أهم العمليات العقلية وهي عملية الادراك، وعملية التفكير، وعملية الحفظ، وعملية التخيل.

أولاً: عملية الادراك PERCEPTION

تعتبر عملية الادراك من أهم العمليات العقلية التي يتمكن بها

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 52

الانسان من فهم واقعه وبيئته وظروفه والكون الذي يعيش فيه وتحديد فلسفته، في الحياة، وتكوين الاتجاهات السليمة واتخاذ المواقف الصائبة تجاه جميع الأمور المتعلقة بحياته.

وأول وسائل عملية الادراك هو الاحساس ويتم هذا الاحساس بواسطة الحواس وأبرزها الحواس الخمس وهي الذوق والشم واللمس والبصر والسمع.

وقد زود الله سبحانه وتعالى عبده بها لتكون نافذتهم على العالم الخارجي بكل مكوناته، وواسطة اتصالهم وتعرفهم عليه، وعن طريقها يشعرون بجميع أنواع الاحساس.

فبحاسة الذوق يتذوقون الحلو والمر، وبحاسة الشم يشمون الرائحة الطيبة الذكية والرائحة النتنة العفنة، وبحاسة اللمس يحسون البارد والساخن، والناعم والخشن، وبحاسة البصر يميزون بين الأشياء في ألوانها وأحجامها وأوضاعها المختلفة، وبحاسة السمع يسمعون مختلف الأصوات ويميزون بينها في ارتفاعها وانخفاضها وفي مستوياتها المختلفة.

على أن للانسان وسائل أخرى يحس بها مختلف ما يطرأ على نفسه وبدنه داخليا غير الحواس الخمس، وذلك مثل: تمكنه من الاحساس بالجوع، والاحساس بالعطش، والاحساس بالراحة، والاحساس بالتعب، والاحساس بالفرح، والاحساس بالحزن ونحو ذلك.

ويبدو أن هناك مجموعة «ألياف عصبية Introceptive Nerve Fibersending» تمكن الانسان من الاحساس بعدة حالات داخلية خاصة لا يحسها بواسطة الحواس الخمس التي تتعلق بادراك الأمور الخارجية.

وهذه الأعصاب تعمل في حالات خاصة عند الشعور بالجوع أو بعسر الهضم مثلا.»[1]

---

(1) د. مصطفى فهمي / سيكولوجية التعلم / ص 158

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومعنى ذلك ان الجهاز الحسي Sensory Apparatus مكوّن من أدوات الاحساس الخارجي، وهي الحواس الخمس، ومن أدوات الاحساس الداخلي وهي مجموعة الألياف العصبية التي تمكن الانسان من الاحساس بالحالات الداخلية.

ولا تتم عملية الادراك بمجرد « استجابة الحواس » للمؤثرات الخارجية، بل لا بد أن تنتقل الاحساسات الى « العقل » الذي يتمثلها ويعيها ويدركها ويميزها في سرعة خاطفة بناء على خبراته السابقة، « وذلك التمثيل العقلي الذي يتم استجابة لآثار المحسوسات الخارجية هو ما نطلق عليه عملية الادراك. »[1]

واذا ما درسنا موقف السنة النبوية من عملية الادراك لوجدناه موقف الاهتمام بها كعملية عليا تساعد على النمو العقلي، وتعتبرها أساس التعلم الصحيح، والفهم الواعيوالتمييز السليم.

وهي تدعو الى شحذها وتنميتها مع غيرها من العمليات العقلية العليا، واستثمارها في التوجيه الى العقيدة الصحيحة واكتساب الأخلاق الفاضلة، واتباع النهج السوي في الحياة.

* عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال:

« أن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم. حدّثوني ما هي؟ »

فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة. قال عبد الله: فاستحييت، فقالوا: يا رسول الله أخبرنا بها. فقال رسول الله ﷺ: « هي النخلة »[2]

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 159.
(2) البخاري / جـ 1 / ص 45

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي هذا الحديث حث على تنمية عملية الادراك، من خلال استخراج أوجه الشبه بين المؤمن بتميزه عن غيره، والنخلة بتميزها عن غيرها من الشجر، فالمؤمن كلّه خير بايمانه واستقامته وخلقه ونفعه، والنخلة تفضل غيرها من الأشجار بثمرها واخضرارها الدائم والفوائد التي يمكن أن تجنى من جريدها وليفها وجذعها.

* وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ:

« لا تكونوا إمعة تقولون أن احسن الناس أحسّنا، وان ظلموا ظلمنا، ولكن وطّنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا، وان اساءوا فلا تظلموا. »[1]

ويتضمن هذا الحديث التركيز على أهمية عملية الادراك في اتخاذ المواقف والاتجاهات العقائدية والخلقية والاجتماعية السليمة، فلا ينساق الانسان وراء غيره فيما يسلك أو يعمل دون ادراك سليم يميز به بين الحق والباطل، والخير والشر، والحسن والقبيح والصالح والطالح.

والادراك الواعي السليم هو الذي يحفظ المرء من أن يكون إمعة مسلوب الارادة، ضعيف الشخصية، يقلد الآخرين فيما يصنعون بلا فهم وتمييز.

ان عملية الادراك الواعي هي أساس الايمان الصحيح والعقيدة السليمة القائمة على التدبر والفهم، والمبتجنبة للتقليد الأعمى والاتباع الأصم.

قال تعالى:

﴿ والذين اذا ذكّروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صما وعميانا. ﴾[2]

---

(1) الترمذي / جـ 8 / ص 170 (وقال عنه: حديث حسن غريب)

(2) الفرقان / 73

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا: عملية التفكير Thinking

تعد عملية التفكير كعملية عقلية عليا من أهم وظائف العقل البشري، التي تمكنه من الفهم والادراك والتمييز والمعرفة والاستيعاب والاستنباط والاستنتاج واصدار الأحكام الصائبة.

وقد حاول بعض الباحثين المتخصصين تحليل عملية التفكير بغية شرحها وتفسيرها، وأوضح تحليل لعملية التفكير هو الذي وضعه الفيلسوف الأمريكي جون ديوى J. Dewey والذي حدّد فيه للتفكير خمس خطوات وهي باختصار :

1- الشعور بالمشكلة.
2- البحث عن حل لهذه المشكلة في ضوء الخبرات السابقة.
3- فرض الفروض التي تساعد على حل المشكلة.
4- دراسة الفروض بدقة ووزنها.
5- وضع الحل العملي الذي انتهى اليه العقل.[1]

وبدراسة السنة النبوية نجدها قد أولت لعملية التفكير عناية كبيرة ودعت الى قدح الذهن، وشحذ التفكير تمكينا للمسلم من اقامة حياته على أسس الفهم السليم والادراك الصحيح، والتمييز الواضح بين الأمور، والقدرة على اتخاذ المواقف الصائبة والأحكام السديدة في شتى المجالات.

ويمكن أن نسوق مثالا حيا على ذلك حديث النخلة كشجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم.

* عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله صلى الله ﷺ قال:

« ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم. حدّثوني ما هي؟ »

---

(1) د. مصطفى فهمي / سيكولوجية التعلم / ص 204,203.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنّها النخلة. قال عبد الله: فإستحييت، فقالوا يا رسول الله أخبرنا بها. فقال رسول الله ﷺ: « هي النخلة ».[1]

وبتحليل هذا الحديث الشريف، نلمس بوضوح تام الخطوات الرئيسية لعملية التفكير التي سبقت اليها السنة النبوية وأثبتتها النظريات التربوية الحديثة وهي على النحو التالي:

1- أثار هذا الحديث الشريف « مشكلة » أمام الصحابة ليفكروا في حلها، وهي التوصل الى معرفة الشجرة التي لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم، مع استخراج أوجه الشبه بين المسلم وتلك الشجرة.

2- شرع الصحابة في البحث عن حل هذه المشكلة في ضوء خبراتهم السابقة بالأشجار.

3- وافترض عدد منهم أن الشجرة المقصودة هي من بين أشجار البادية.

4- ثم بدأوا يزنون فروضهم، ويقارنون في أذهانهم أوجه الشبه بين تلك الأشجار والمسلم.

5- توصّل أحدهم الى الحل العملي الصحيح بعد تمحيص فروضه بدقة، وهو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عندما هداه تفكيره الى أن الشجرة المقصودة هي النخلة، ولكن غلبه الحياء فلم يبد الاجابة.

وفي الحديث المتقدم تضمين تربوي غاية في الروعة، وهو ما يشير الى ان رسول الله ﷺ درّب الصحابة على خطوات التفكير المستنير Reflcctive Thinking، باعطائهم المثال الحيّ الذي يمكن الاقتداء به في مختلف عمليات التفكير، وعندما عجز الصحابة عن بلوغ الحل السليم، بعد محاولات متعددة، أفادهم الرسول ﷺ بالاجابة الصحيحة.

---

(1) البخاري / جـ 1 ص 45

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثا: عملية الحفظ Retention

عملية الحفظ من العمليات العقلية التي تعدّ من أهم خصائص النمو العقلي. وهي قدرة عقلية يتميز بها الانسان عمن سواه من الحيوانات التي لا يفوقها في «الحفظ» وتذكر ما يحفظ فحسب، ولكنه ينفرد عنها في قدرته على نقل ما يحفظ الى الأجيال الناشئة.

ومع ان بعض الحيوانات الراقية كالقرود قادرة على اكتساب التدرب، وتذكر هذا التدرب، الا أنه كلما طالت عليها المدة الزمنية نسيت ما تدربت عليه، هذا بالاضافة الى عجزها عن نقل ما تدربت عليه الى أولادها.

وعملية الحفظ ضرورية للغاية بالنسبة للحياة البشرية فهي وسيلتها في صون تراثها الديني والثقافي والحضاري ونقله وتجديده بصفة مستمرة.

وترتبط بعملية الحفظ عمليات عقلية أخرى هامة كالتذكر والاسترجاع وتركيز الانتباه التي تؤدي معا الى تثبيت عملية التعلم، وعدم نسيان المعارف والمعلومات والخبرات، وتتم عملية الحفظ وفق أساليب التنويع والتوزيع التي تراعي راحة المتعلم وعدم ارهاقه، وبصورة أسرع وأفضل منها في حالة الحفظ المتصل أو المستمر. مع ملاحظة عدم اطالة فترات الراحة حتى لا تؤدي الى النسيان أو عدم القدرة على التذكر السريع.

وتجدر الاشارة الى أهمية القصد أو النية Intention في تثبيت عملية الحفظ وقوة التذكر وسرعة الاسترجاع، وذلك لكون النية من اهم الحوافز الايجابية على التعلم والتلقي بما توفره من اشباع نفسي للفرد في تعلم ما يميل اليه، ويعقد العزم والنية والقصد على بذل كل امكانياته لاتقانه بالقدر الممكن له.

وللايقاع والوزن كذلك أهمية كبيرة في تسهيل عملية الحفظ وسرعتها، بما تحتويه من تشويق واثارة وبهجة. ولذلك نجد الناشىء يحفظ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأغاني والاشعار لموسيقاها وايقاعها ووزنها، بشكل أسرع وأيسر من حفظه لبقية النصوص الأدبية أو النصوص العلمية. وقد استخدمت طريقة الوزن والايقاع في حفظ كثير من الأفكار والحقائق العلمية وذلك بنظمها في قوالب شعرية. واستعملت هذه الطريقة في أنواع كثيرة من التربية ولا سيما التربية القديمة. ويمكن استعمالها في التربية الحديثة أيضا، وخاصة في مراحل التعليم الأولى مع ربطها بعملية الفهم والاستيعاب.

ويجب أن نؤكد أهمية اقتران عملية الحفظ بعملية الفهم القائم على التفكير والادراك والاستيعاب الذي يجنب الحفظ من أن يكون مجرد ترديد آلي ببغاوي لمعلومات محشوّة لا تفيد صاحبها ولا تنفع مجتمعه.

ولا شك أن فهم المعاني وادراك المرامي يساعد على سرعة الحفظ وثبوته، كما ان عدم الفهم يعسر عملية الحفظ ويعيق التذكر والاسترجاع السريع، فضلا عن عدم فائدته الفعلية للمتعلم.

وبدراسة السنة النبوية وتحليل مضامينها التربوية نجدها تولي عملية الحفظ كعملية عقلية عليا والأساليب المرتبطة بها أهمية كبيرة.

فقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على توجيه الصحابة وتدريبهم على تنمية قدرتهم على الحفظ وصقلها واذكائها. لأن الحفظ وسيلة هامة للغاية في تثبيت معارفهم الدينية والعلمية والعامة، وهي التي لا تصلح بدونها أمور حياتهم في الدارين.

* عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ:

« اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقّك الأيمن وقل: اللهم أسلمت نفسي اليك، وفوضت أمري اليك، وألجأت ظهري اليك»، رهبة ورغبة اليك، ملجأ ولا منجأ منك إلاّ اليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيّك الذي أرسلت. فاذا متّ متّ على الفطرة. فاجعلها آخر ما تقول.) فقلت أستذكرهنّ وبرسولك الذي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أرسلت. قال: « لا. وبنبيّك الذي أرسلت. »[1]

وفي هذا الحديث تأكيد على اهتمام رسول الله ﷺ بعملية الحفظ وتدريبه للصحابي البراء بن عازب على تنميتها وعنايته باختبار قدرة هذا الصحابي على التذكر والاسترجاع بعد أن أتم عملية حفظ ما أمره به، فقد طلب منه ان يحفظ الدعاء الوارد في الحديث المذكور، ليدعو به عند ذهابه للنوم، ثم استمع اليه وهو يستذكره ويسترجع مقاطعه، وعندما اخطأ فيه وجهه الى الصواب ليكون حفظه كاملا لا خلل فيه.

وقد راعت السنة النبوية أهمية توزيع الحفظ وتنويعه وتخلله بفترات من الراحة الكافية التي تجنب الناشىء السأم والملل والارهاق، فيقبل عليه بشغف ونشاط متجدد.

* عن ابن مسعود قال:
« كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة كراهة السآمة علينا. »[2]

مع العناية بأسلوب التشويق، والتيسير والتبشير الذي يشد الناشىء ويجعله يعنى بها عناية كبيرة في رضا نفس، وتجنب أسلوب التعسير والتنفير والقسوة الذي يجعله يكره عملية الحفظ فيعجز عن اتمامها على الوجه الصحيح.

* عن أنس عن النبي ﷺ قال:
«يسروا ولا تعسّروا، وبشروا ولا تنفروا »[3]

وركزت السنة النبوية على ابراز فعالية النية او القصد في الاعمال التي يؤديها الانسان، واعتبرتها مصدر التحفيز الذاتي، والالتزام النابع من

---

(1) البخاري / ح 8 / 84، 85
(2) البخاري / جـ 1 / ص 27
(3) البخاري / جـ 1 / ص 27

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النفس، ومعقد الصدق والاخلاص في كل المناشط، واذا كانت النية الصادقة مبعث عملية الحفظ فانها ستتم على النحو الأمثل دون شك.

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« **إنّما الأعمال بالنّية**، وانما لامرىء ما نوى، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله، فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه. »(1)

وأبرزت السنة النبوية أهمية الوزن والايقاع في تسهيل عملية الحفظ، ومن ذلك نذكر رجز رسول الله ﷺ وبعض الصحابة أثناء حفر الخندق، وتركيزهم في هذا الرجز على عدة قضايا تتعلق بالايمان والاسلام، حتى تثير حماسهم، وترسخ في اذهانهم، وتثبت عملية حفظها بيسر وسهولة.

* عن أنس رضي الله عنه قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم وهم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمدا — على الاسلام ما بقينا أبدا

قال: يقول النبي ﷺ وهو يجيبهم:

اللهم انه لا خير إلا خير الآخرة — فبارك في الأنصار والمهاجرة(2)

* وعن البراء رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو اغبّر بطنه، يقول:

« والله لولا أنت ما أهدينا — ولا تصدقنا ولا صلّينا
فأنزلن سكينة علينا — وثبت الأقدام ان لاقينا
ان الألى قد بغوا علينا — اذا أرادوا فتنة أبينا

(1) البخاري / جـ 8 / ص 175
(2) البخاري / جـ 5 / ص 138

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقال النبي ﷺ :

« هل تمارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ »

قالوا: لا يا رسول الله .

قال: « هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ »

قالوا: لا

قال: فانكم ترونه كذلك . »[1]

ومن ذلك الاستعانة بالخيال في تصوّر نعيم الجنة ودوامه، وهو ما من شأنه أن يرغّب المؤمنين في التسابق اليها واتباع سبيلها .

* عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

« ينادي مناد: أنّ لكم أن تصحّوا فلا تسقموا أبدا، وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبدا، فذلك قوله عز وجل: ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون . »[2]

وكذلك الاستعانة بالخيال في تصوّر عذاب جهنم وشدة حرّها، مما يشعر المؤمنين بالخوف منها واتقاء سبيلها، والتحصن من الأعمال المؤدية اليها .

* عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال:

« ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من حرّ جهنم . »

قالوا: والله ان كانت لكافية يا رسول الله . قال:

« فانها فضّلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرّها . »[3]

---

(1) سنن الدارمي / جـ 2 / ص 326
(2) مسلم / جـ 8 / ص 148
(3) مسلم / جـ 8 / ص 149, 150

ومن تلك الشواهد يتبين اهتمام السنة النبوية المطهرة بتنمية وشحذ واثارة عملية التخيل حتى تتظافر مع غيرها من العمليات العقلية العليا في استكمال النمو العقلي، واتمام النضج الفكري، وصقل القدرة على التصور العلمي، وهو ما من شأنه ان يعود على الفرد والمجتمع بالخير والفائدة، خاصة وان كل نهضة أو تطور أو تقدم علمي أو تكنولوجي كان في بدايته «خيالا» علميا وأصبح حقيقة بتوفير أسباب اخراجه من طور التصور الذهني الى طور الواقع المحقق.

التعلم:

يعتبر التعلم من أهم وسائل نمو الخصائص العقلية، وبلوغ النضج العقلي، وصقل وتزكية القدرات والملكات والمواهب والميول والهوايات وبدونه يظل عقل الانسان قاصرا معطلا غير قادر على العطاء والانتاج الفكري والعملي.

وقد وجدت عملية «التعلم» عناية فائقة من مختلف العلماء النفسانيين والتربويين والفسيولوجيين، وقد تباينت أراؤهم ونظرياتهم تبعا لتباين اهتماماتهم وميادين تخصصهم.

ولشرح وفهم أهم عناصر هذه العملية الهامة، نبحث فيما يلي، أشهر نظريات التعلم وهي: نظرية التعلم الشرطي، ونظرية التعلم عن طريق المحاولة والخطأ، ونظرية التعلم عن طريق الاستبصار.

نظريات التعلم:

أولا: نظرية التعلم الشّرطي:

يتم التعليم وفق هذه النظرية، بالاستجابة الى مثير او منبه غير أصلي، أو غير طبيعي عندما يرتبط بالمثير الأصلي أو الطبيعي في عدة حالات متكررة.

وتسمى الاستجابة للمثير غير الطبيعي ـ فعلا منعكسا شرطيا

ورفع بها صوته، أبينا، أبينا. »[1]

واهتمت السنة النبوية بفهم المعاني والأفكار والموضوعات حتى تسهل عملية حفظها وتثبت في الذاكرة، ويمكن للفرد استيعابها والاستفادة بها، ويتيسر عليه استرجاعها وتذكرها كل حين.

ولذلك فقد كان رسول الله ﷺ لا يعجل في الكلام، ويعيد قوله ويكرره بتؤدة حتى يسمع منه ويفهم عنه جيدا.

* عن أنس عن النبي ﷺ أنّه اذا تكلّم بكلمة **أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه**، واذا أتى على قوم فسلّم عليهم، **سلّم عليهم ثلاثا**. »[2]

* وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« ألا أنبؤكم بأكبر الكبائر؟ » قلنا: بلى يا رسول الله، قال:

« الاشراك بالله، وعقوق الوالدين » وكان متكئا فجلس فقال: « **ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور**. »

فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت.[3]

رابعا: عملية التّخيّل: Immagenation

تعد عملية التخيل البناء الهادف Constructive Immagenation من أهم العمليات العقلية العليا ومن أبرز خصائص النمو العقلي.

وتبدأ عملية التخيّل منذ الطفولة، وتنتقل تدريجيا من الطور الايهامي غير المقيد الى الطور الناضج الابداعي.

ولا شك أن الخيال أمر رئيسي في اكتشاف النظريات واستجلاء

---

(1) البخاري / جـ 5 / ص 140
(2) البخاري / جـ 1 / 35
(3) البخاري / جـ 8 / ص 4

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحقائق، والتعرف على المجهول، وحل المشكلات، وبالتالي في تحسين مستوى الحياة البشرية حاضرا ومستقبلا.

وقد أكدت الأبحاث والدراسات، وملاحظة ما يجري في حياتنا اليومية «أن التخيل عبارة عن نوع من التفكير تستعمل فيه الحقائق لحل مشكلات المستقبل والحاضر، ومن أمثلة ذلك تخيّل المخترعين والكتّاب الروائيين.»[1]

وبتحليل المضامين التربوية في السنة النبوية نجدها تولي عناية كبيرة لهذه العملية العقلية الهامة لصلتها الوثيقة بالتفكير والفهم والاستنتاج والاستنباط والتحليل والتركيب وغير ذلك من العمليات العقلية المتكاملة.

وتبرز عناية السنة النبوية بعملية التخيل في ايرادها الكثير من القصص الرمزية في المجال العقائدي والخلقي والاجتماعي، بطريقة تثير الخيال وتنميه وتشحذه وتكسبه وجهة انشائية هادفة، وتجنبه الوجهة الايهامية العابثة.

ومن أبرز تلك القصص: قصة أصحاب الغار، وقصة موسى والخضر عليهما السلام وقصة أصحاب الأخدود وغيرها.

كما استعانت السنة النبوية بالخيال العلمي المستند الى يقين الايمان والعقيدة، والمبرأ من وهم الباطل والضلال، في تثبيت وترسيخ العقائد الدينية في نفوس المؤمنين.

ومن ذلك تأكيد رؤية العباد لخالقهم في الآخرة، وتصور ان تتم رؤيتهم له حقا وصدقا ـ وفق خيال علمي يستند الى الايمان اليقيني كما يرون الشمس أو القمر ليس دونهما سحاب: حقا وصدقا.

* عن أبي هريرة أن الناس قالوا للنبي ﷺ: هل نرى ربنا يوم القيامة؟

---

(1) د. مصطفى فهمي / سيكولوجية التعلم / ص 206

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهناك تجربة قام بها انجلش English أثبت بها :

« أن اقتران الأصوات العالية ببعض لعب الأطفال وخاصة ما يشبه منها الحيوانات كان كفيلا أن يكسب الأخيرة الصفات الطبيعية للمثيرات الأولى (الفزع والخوف)، بالرغم من أن المثيرات الأولى كانت تجلب السرور الى قلب الطفل . . »[1]

والنتيجة العلمية لهذه التجربة هو حدوث فعل منعكس شرطي لدى الطفل بالخوف من رؤيته للعب، فقد كان يخاف اصلا من الأصوات العالية المزعجة، ويسر باللعب، ولكن عند ربط تقديم اللعب وهي مثير غير أصلي اليه عدة مرات بالأصوات العالية المزعجة وهي مثير أصلي، أصبحت اللعب تفزع الطفل وتسبب له الخوف تماما كما تفزعه الأصوات العالية وتسبب له الخوف.

وقد ركز دعائم هذه النظرية، في أوائل القرن الحالي ثلاثة من العلماء: الأول هو العالم الفسيولوجي الروسي بافلوف Pavlov (1849 - 1946) الذي أجرى تجاربه على الكلاب فأسال لعابها بمثير مصاحب وهو الجرس بعد ربطه في عدة حالات بالمثير الطبيعي وهو الطعام.

والثاني : هو طبيب الأعصاب الروسي بشترف Bechtrev (1857 - 1927) والثالث: هو العالم الأمريكي تويتمير Twitmyer (1873 - 1943).

وأهم ما لوحظ في التجارب العلمية التي أجراها علماء هذه النظرية أن « التكرار » عامل مهم في الفعل الشرطي لدى الحيوان وهو ما يثبت أهمية عامل التكرر وقيمته الفعّالة في مختلف أنواع التعلم لدى الانسان.

---

(1) د. مصطفى فهمي / سيكولوجية التعلم / ص 43، 44

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصفوة القول أنه يمكن الاستفادة بنتائج نظرية التعلم الشرطي في عملية التعلم وتنمية القدرات العقلية المختلفة وفق أساسين هامين هما:

1- يتم التعلم نتيجة للاستجابة الى مثير أو باعث أو منبه، ولذا فانه يمكن الاستفادة بالبواعث والمثيرات والمنبهات والحوافز والدوافع في تعليم الناشئين واستكمال نموهم ونضجهم العقلي.

2- للتكرار والتمرين المعاد أثر كبير في حدوث الاستجابة الشرطية للبواعث والمثيرات والمنبهات، ومن ثم في اكتساب واتقان التعلم، وهو ما يؤدي الى حسن نضج القدرات العقلية.

وعليه يمكن الاستفادة بالتكرار والتمرين في عملية الحفظ، كحفظ القرآن الكريم، والنصوص الأدبية، وبعض الشواهد التاريخية، والنظريات العلمية ونحوها، وفي عملية تعلم المواد الرياضية كالحساب والهندسة ونحوها، وفي عملية تعلم المواد الكتابية كالاملاء والانشاء وغيرها، وفي عملية تعلم المهارات واكتسابها كالاشغال اليدوية والمهارات الفنية ونحوها.

وبتحليل المضامين التربوية في السنة النبوية لا نجد أي تعارض بينها وبين هذه النظرية، بل تركز السنة النبوية في سبق تربوي فريد، على أهم دعائمها وهي: العناية بأثر الحوافز والبواعث والمثيرات في عملية التعلم. وابراز قيمة التكرار والتمرين في اتقان التعلم وكسب المهارات المختلفة.

فقد حثت السنة النبوية المطهرة على طلب العلم وربطته بالمقام الكريم في الجنة وفضلته على العبادة، وجعلت العلماء ورثة الأنبياء، وفضلتهم على غيرهم، وهذه كلها عبارة عن بواعث وحوافز دينية وتربوية فعّالة، تؤثر في نفسية الفرد، فيستجيب لها برغبة وشغف كبيرين لما تعده من مكانة رفيعة يحظى فيها برضوان الله تعالى وجزائه العظيم في الدنيا والآخرة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن أبي الدرداء . . . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:
« من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله به طريقا من طرق الجنة، فان الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطلب العلم، وان طالب العلم ليستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء. وان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم. ان العلماء هم ورثة الأنبياء - ان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظه أو بحظ وافر. »[1]

كما استعملت السنة النبوية المطهرة أسلوب التكرار، والتمرين المعاد، لتثبيت عملية التعلم واتقانه على الوجه السليم، هذا مع تأكيد ضرورة التوجيه والارشاد اذا عجز المتعلم عن التعلم أو الأداء الصحيح.

* عن أبي هريرة أن النبي ﷺ، دخل المسجد فدخل رجل فصلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: « ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ. » فصلّى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: « ارجع فصلّ فانك لم تصلّ. » (ثلاثا) فقال: والذي بعثك بالحق فما أحسن غيره فعلمني. قال: « اذا قمت الى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها. »[2]

وفي هذا الحديث تأكيد واضح على أهمية عنصر التكرار والتمرين في التعلم والاتقان فقد أمر رسول الله ﷺ الصحابيّ المسيء صلاته، باعادة صلاته حتى يحسنها، فكرر أداءها ثلاث مرات متتالية، ولما عجز عن آدائها على الوجه الصحيح طلب من رسول الله ﷺ أن يعلمه، ولا شك ان ما أرشده اليه رسول الله ﷺ بشأن القواعد الأساسية

---

(1). سنن الدارمي / جـ 1 / ص 98
(2) البخاري / جـ 1 / ص 201

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لصحة آداء الصلاة كان يحتاج فيه الى تكرار في الآداء حتى تكون صلاته صحيحة وخاشعة، والصلاة في حد ذاتها كفرض يؤدى خمس مرات في اليوم يؤكد أهمية عملية التكرار والتمرين المتواصل في حسن الآداء واتقان التعلم، وبلوغ أعلى المراتب في الاكتساب والتحصيل.

ثانيا: نظرية التعلم عن طريق المحاولة والخطأ: Trial and Eror

أكدت هذه النظرية، ان عملية التعلم تتم وفق شرطين أساسيين: أولهما مدى ذكاء الكائن الحي ومقدرته على التذكر وتصور خطط الحل قبل الشروع في تنفيذها، وثانيهما مدى صعوبة المشكلة المراد حلها.

وقد أجريت معظم تجارب هذه النظرية على الحيوانات كالفئران والقطط والكلاب.

ومن أبرز علماء نظرية التعلم بالمحاولة والخطأ داشيل Dasheil الذي أجرى تجاربه على فئران بيضاء جائعة بأن صمم لها متاهات ذات طرق بعضها مفتوح وبعضها مغلق، ليرى مقدرتها على سلوك الطريق الذي يقودها الى الطعام.

ولاحظ من نتائج تجاربه أن الفأر الجائع يتعلم بعد عدة تجارب ومحاولات فاشلة، ويتجه الى هدفه مباشرة.

كما ان من أبرز علماء هذه النظرية أيضا ثورنديك Thorndike الذي أجرى تجاربه على حيوانات أرقى من الفئران، وهي القطط والكلاب فقد جوّعها ووضعها في اقفاص مقفلة، ووضع أمامها الطعام، ولاحظ أنها تنتقل من ركن الى ركن، وتحاول ايجاد مخرج لها من الفتحات الضيقة بالنهش بالمخالب والعض بالأسنان، وتحاول وتخطىء مرارا الى أن نجحت بحركة عشوائية في فتح الأقفاص واتجهت الى الطعام وعندما تعاد عليها التجارب تقل محاولاتها الفاشلة وتختصر الزمن، ثم تبدأ محاولاتها الناجحة متسمة بنوع من الدقة.

ويذهب واطسون Watson أحد علماء هذه النظرية الى أن:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« الحركات التي تبقى ويحفظها الحيوان هي التي تتكرر كثيرا، وهذه هي الحركات الناجحة التي تؤدي الى الهدف. »[1]

ومن هذا التفسير استنتج واطسون قانون التردد أو التكرار Law of Freguency واعتبره أحد قوانين التعلم.

على ان ثورنديك ينقد هذا القانون ويذهب الى أن العبرة ليست بالتكرار ولكن بالأثر السّار الذي تجلبه الحركات الناجحة ويجعل الحيوان يكررها حتى تكتسي صفة الثبات. واطلق على تفسيره هذا قانون الأثر Law of Effect.

ومن مشاهير هذه النظرية كذلك كوفكاKOFKA الذي أكد اعتماد الحيوانات على المحاولة والخطأ في حل المشكلات التي تواجهها وهي صعوبة فتح الأقفاص.

ولا تخفي فائدة معطيات نظرية المحاولة والخطأ في مجالات التعليم والتربية بمراعاة عدة عناصر أساسية أهمها:

1- استناد التعلم عن طريق المحاولة والخطأ الى مبدأ النشاط الذاتي، والمبادرة الشخصية والممارسة الفعلية Learning by Doing حتى تصبح استجابات المتعلم استجابات نشطة Active Responses.

2- استناد التعلم عن طريق المحاولة والخطأ الى مبدأ الحرية. اذ ان دور الحرية ـ Role of Freedom ـ يعتبر أساسيا في تحرك المتعلم ونشاطه وحيويته ومبادءته الذاتية واستجاباته النشطة والمتابعة. وأي قيد يسلط على المتعلم يعوق محاولاته وبالتالي تكون نتائجه سلبية.

3- استناد التعلم بالمخاولة والخطأ الى التدرج في الصعوبة مع مراعاة تجنيب المتعلم الشعور بالتقاعس والفشل والتراخي Apathy مما يقتل فيه

---

(1) د. مصطفى فهمي / سيكولوجية التعلم / ص 51

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرغبة والاقبال على مواصلة النشاط حتى يبلغ هدفه.

وبتحليل المضامين التربوية في السنة النبوية نجدها لا ترفض معطيات هذه النظرية، بل تؤكد أهميتها في عملية التعليم والتربية، وتسبقها الى ابراز العناصر الأساسية للتعلم بطريق المحاولة والخطأ، مع عنايتها بتوجيه المتعلم وارشاده في حال عجزه عن التعلم والاتقان بمجهوداته الذاتية.

ومن شواهد السنة النبوية على ذلك، نذكر تركيزها على النشاط الذاتي والمبادرة الشخصية في التعلم بالمحاولة والخطأ وذلك لما فيه من شد لانتباه المتعلم وتركيزه واثارة اهتمامه وبذل جهده بدوافع نابعة من ذاته وتحريره من القيود التي تمنع حركته وتنقص من حيويته.

* عن أبي هريرة أن النبي ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد النبي ﷺ عليه السلام، فقال: « ارجع فصل فإنك لم تصل. » فصلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: « ارجع فصل فانك لم تصل. » (ثلاثا) فقال: والذي بعثك بالحق فما أحسن غيره فعلمني. قال: « اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها. »[1]

وفي المضمون التربوي لهذا الحديث ابراز رائع لأهمية التعلم بالمحاولة والخطأ المقرونة بالمبادرة الشخصية والنشاط الذاتي والتحرر الحركي الذي يؤكد الدور الفعال للمتعلم ذاته في عملية التعليم والتربية.

فقد أمر رسول الله ﷺ المسيء صلاته باعادتها، فحاول المرة الأولى

---

(1) البخاري / جـ 1 / ص 20

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واخطأ، والمرة الثانية واخطأ، والمرة الثالثة واخطأ، فلم يضق صدر رسول الله ﷺ بخطأ ذلك الصحابي من المرة الأولى فيحد من حركته ويمنعه من تكرار المحاولة، بل أعطاه الفرصة الى المرة الثالثة، وحتى تأكد الرسول ﷺ أنه لا يحسن غيرما أدى، فوجهه رسول الله ﷺ الى كيفية الصلاة على النحو الصحيح وبذلك ثبتت في عقله عملية « تعلم » الصلاة لأنه شارك فيها بمحاولاته الذاتية اكثر من مرة.

* وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

« اذا اتيت مضجعك فتوضأ وضؤك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت نفسي اليك، وفوضت أمري اليك، والجأت ظهري اليك، رهبة ورغبة اليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا اليك، آمنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي أرسلت، فاذا مت مت على الفطرة، فاجعلهن آخر ما تقول. » فقلت استذكرهن، وبرسولك الذي أرسلت: قال: « لا. وبنبيك الذي أرسلت. »[1]

وفي مضمون هذا الحديث أيضا، ابراز لاهتمام رسول ﷺ بالمبادءات الذاتية والنشاط الذاتي من طرف المتعلم في عملية التعليم فقد علم الصحابي البراء بن عازب رضي الله عنه الدعاء المذكور ليدعو به قبل نومه، فحاول « البراء » استظهاره امام رسول الله ﷺ وهو يستمع اليه وشرع في ترديد مقاطعه، وظل ينجح في محاولاته المتتالية ويثبت حفظه لتلك المقاطع الى أن بلغ آخرها وهو « وبنبيك الذي أرسلت » فأخطأ وقال « وبرسولك » فوجهه رسول الله ﷺ الى تصحيح خطأه قائلا: « لا. وبنبيك الذي أرسلت. » فثبت تعلم هذا الدعاء في ذاكرة ذلك الصحابي

---

(1) البخاري / جـ 8 / 84، 85

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجليل لأنه شارك في عملية التعلم، وحاول وأخطأ، ثم أتقن الصواب.

كما اهتمت السنة النبوية بعنصر التدرج في المعلومات والمعارف والمشاكل المطروحة في عملية التعلم بالمحاولة والخطأ حيث لا يعجز المتعلم عن بلوغ النتائج الايجابية للتعلم، فيصاب بالفشل، والتراخي وفقدان الرغبة في مداومة النشاط.

ومن ذلك مراعاة النبي ﷺ لأسلوب التدرج في تعليم المسلمين ووعظهم، مع اعطائهم الراحة الكافية لمنع اصابتهم بالملل أو السأم، أو التراخي في التحصيل وعدم القدرة على متابعة التعلم.

* عن ابن مسعود قال: «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا.»[1]

والتخول بالموعظة في هذا الحديث لا يراعي في رأينا الفترة الزمنية فقط، بل يراعي المواضيع المطروحة من حيث التدرج وفق مستوى عقول المتعلمين، وقدراتهم واستعداداتهم، ومبادءتهم الذاتية.

وهو ما يؤكده الأسلوب النبوي الشريف في التربية، في أحاديث عديدة.

* عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ:
«انزلوا الناس منازلهم»[2]

* وقال رسول الله ﷺ:
«أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم.»[3]

ان السنة النبوية المطهرة تجعل التجربة، وهي التي تعتمد على المحاولة

---

(1) البخاري / جـ1 / ص 27.
(2) أبو داود / جـ 4/ ص 411
(3) المتقي / منتخب كنز العمال / جـ 4 / ص 70 (رواه الديلمي عن ابن عباس)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والخطأ قبل بلوغ الصواب، مصدرا للحكمة، وهذا توجيه سديد منها الى ممارسة التجارب بفعالية وبمبادءة ذاتية وجهد متواصل حتى تحقق عملية التعلم أروع النتائج.

* عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ :
« لا حليم الا ذو عثرة ولا حكيم الا ذو تجربة . »[1]

كما جعلت السنة النبوية للمحاولة والخطأ في الاجتهاد أجرا وهو ما بزت فيه كل الفلسفات والنظريات التربوية التي وان كرمت المرء على بلوغه الصواب لا تكرمه على الخطأ ان لم تعاقبه عليه.

* عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :
« اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر. »[2]

ثالثا : نظرية التعلم عن طريق الاستبصار : Insight

الإستبصار يعني الادراك المباشر عن طريق الالمام الشمولي أو الكلي بالموقف أو المشكلة التي يريد المتعلم حلها، ثم يتجه بعد ذلك الى فهم أجزائها وادراك مختلف أبعادها.

وقد نادى كثير من علماء النفس « بالاستبصار » كفكرة جديدة لتفسير عملية التعلم، وكان على رأسهم علماء مدرسة الجشطلت Gestalt وهي كلمة المانية تعني: الشكل Shape أو الصورة Form أو الصيغة Pattern »[3]

ويمكن أن نسمي هذه المدرسة « بالمدرسة الكلية » وقد ظهر أثرها في التعليم فيما يعرف بالطريقة الكلية التي تتجه من الكل الى الأجزاء:

---

(1) الترمذي / جـ 8 ص 186 (وقال حديث حسن غريب)
(2) البخاري / جـ 9 / ص 133
(3) د. مصطفى فهمي / سيكولوجية التعلم / ص 161

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتعلم القراءة من الجملة الى الكلمة الى الحرف، وتعلم بعض المواد الأخرى على هذا النحو فمثلا: في الجغرافية يمكن الالمام بالقارة ثم بالدول التي تتكون منها ثم بكل دولة على حدة، ثم بالأنشطة الانسانية والاقتصادية والمظاهر الطبيعية في كل دولة وهلم جرا.

وقد أثبت أهمية « الاستبصار في التعلم » العالم الألماني كوهلر Kohler في تجاربه على الشمبانزي سلطان Sultan وقد كان أقدر القردة لديه، اذ توصل هذا القرد الى ربط عصاتين ببعضهما فجأة عندما كان يلعب بهما ويحركهما واتجه بهما مباشرة الى الموز فأنزله من مكانه العالي المعلق عليه والتهمه.

وبهذا فقد أثبت كوهلر أن الفهم يقوم على ادراك علاقات جديدة بين الأشياء التي توجد في المجال الادراكي للمتعلم، وبمعنى آخر تعتمد عملية التعلم على الالمام بعناصر الموقف وتجميعها ككل.

وعليه فانه يمكن الاستفادة بنظرية الاستبصار في عملية التعليم بعدة وسائل أهمها:

1- التعلم عن طريق ادراك العلاقات التي تتكون منها المشكلة المطروحة على نحو شمولي، أي فهم المتعلم للموقف وادراكه ادراكا « كليا » Total Pattern.

وهذه الطريقة تساعد في تعلم عدة مواد، كما أسلفنا، وخاصة في تعلم اللغات بأن يشرع المتعلم في تعلم العبارات والكلمات بدلا عن المقاطع والحروف، كما تصلح هذه الطريقة في عملية الحفظ.

2- ان الاستبصار، أو الادراك المباشر، يعد عاملا هاما في مساعدة المتعلم على الاسراع في عملية التعلم وتيسير فهمه للمشكلة المعروضة عليه، والمقصود هو أن المتعلم يحاول ولو بصفة عامة فهم طبيعة الموضوع أو الدرس ويربط بين أجزائه حتى يدرك العلاقات بينها على نحوشمولي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكلي، وذلك قبل قيامه بتعلمه أو حفظه، ولا شك ان عملية التعلم أو عملية الحفظ تكون أثبت وأقوى عندما تقترن بالفهم والادراك.

فمثلا: قبل أن يحفظ المتعلم قطعة من النصوص الأدبية ويتذوقها، لا بد أن يفهم معناها العام وما ترمي اليه اذ يساعده هذا الفهم على حفظها من جهة، ويدفعه الى التعمق في تفاصيلها وما يتصل بظروف كتابتها، والتعرف على كاتبها، وهكذا تكون عملية التعلم أرسخ وأشمل وأوسع.

وبتحليل المضامين التربوية في السنة النبوية نلمس عدم معارضتها أو رفضها لمعطيات هذه النظرية، الهامة، بل أبرزت في سبق تربوي أهم الدعائم الأساسية التي تستند اليها عملية التعلم وفق ما نادت به هذه النظرية التي وضعت بعد رسولنا الأكرم ﷺ بقرون طويلة. ويمكن أن نقول، بشكل آخر، ان معطيات هذه النظرية، أكدت صحة ما ورد في السنة النبوية المطهرة من أساليب فعالة في عملية التعلم والتعليم في مضامينها التربوية.

وهناك شواهد كثيرة تثبت اهتمام السنة النبوية بمبدأ الادراك الكلي أو الشمولي، وهو ما يسمى بالاستبصار والالمام العام المباشر بالموقف ككل، وجعله أحد الأسس الايجابية الفعالة في عملية التعلم.

ومن تلك الشواهد حديث «جبريل» عليه السلام الذي جاء الى المسلمين يعلمهم دينهم بحواره مع رسول الله ﷺ.

* عن عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس الى النبي ﷺ فأسند ركبتيه الى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الاسلام. فقال رسول الله ﷺ: «الاسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا.»

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدّقه، قال: فأخبرني عن الايمان، قال: « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. » قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الاحسان. قال: « أن تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك. » قال: فأخبرني عن الساعة. قال: « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. » قال: فأخبرني عن اماراتها. قال « أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. » قال: ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال لي « يا عمر أتدري من السائل » قلت: الله ورسوله أعلم. قال: « فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »[1]

وفي هذا الحديث تركيز على مبدأ الاستبصار والادراك الكلي في تعليم المسلمين أركان دينهم الاساسية: وهي الايمان والاسلام والاحسان في حديث واحد، لأنها مرتبطة بعضها ببعض وهي تشكل معا العقيدة الصحيحة والعبادة الصحيحة، وبعد الالمام بها جاءت أحاديث أخرى مفصّلة لأجزائها شارحة لها مبرزة لفضلها: كالأحاديث الواردة في الايمان وفضله وفي الصلاة وفي الصوم وفي الزكاة وفي الحج، كلّ على حدة مع ابراز أفضالها، والأحاديث الواردة في احسان الأعمال والاخلاص فيها، ونحو ذلك.

ومن شواهد اهتمام السنة النبوية بالادراك الكلي في التعلم الأحاديث الواردة في تعليم شعائر الحج، فالمسلم يبدأ في الألمام العام بأركان وواجبات الشعائر ثم ينطلق الى تعلم تفاصيلها وكيفية أدائها، وما يحرم منها أو يكره فيها ومعرفة أفضال الحج.

فمثلا: يتعلم المسلم على نحو كلي ان المحرم للحج والعمرة لا يلبس

---

(1) مسلم / جـ 1 / ص 29

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المخيط وهذا موقف عام أو قاعدة عامة ثم ينطلق الى معرفة التفاصيل المتعلقة باللباس الذي لا يجوز له أن يرتديه عند احرامه.

* عن ابن عمر عن النبي ﷺ أن رجلا سأله ما يلبس المحرم فقال: «لا يلبس القميص، ولا العمامة، ولا السراويل، ولا البرنس، ولا ثوبا مسّه الورس أو الزعفران، فان لم يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين.»(1)

كما اهتمت السنة النبوية بتأثير الاستبصار أو الادراك المباشر في عملية فهم المتعلم بما يساعده على سرعة التعلم وتثبيته.

ومن الشواهد على ذلك شرح السنة «للوضوء» كطهارة، وجعل المتعلم يلم به الماما عاما ويدركه ادراكا شموليا، وذلك بتعريفه كأنه نهر جار يغتسل منه المؤمن خمس مرات في اليوم، ثم ينطلق بعد ذلك الى تعلم تفاصيله الخاصة بكيفيته والمتعلقة بشروط صحته ونواقضه.

* عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال:
«أرأيتهم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا.»(2)

فمن هذا الحديث يكون المسلم تصورا عاما «للوضوء» لصلاته خمس مرات في اليوم، مما يساعده على تعلم قواعده الجزئية من نية وغسل لأطراف معينة وتثبيت هذا التعلم في ذهنه.

* عن حُمْرَان مولي عثمان: أنه رأى عثمان دعا باناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلهما، ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ويديه الى المرفقين ثلاث مرات، ثم مسح

---

(1) البخاري / جـ 1 / ص 45
(2) مسلم / جـ 2 / ص 131، 131

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

برأسه، ثم غسل رجليه ثلاث مرات ثم قال: قال رسول الله ﷺ «من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه.»[1]

طرق التعلم:

تتعدد طرق التعلم تبعا لاختلاف المربين في ميادين اختصاصاتهم، وفي نظرياتهم التربوية، وفهمهم للوظائف الأساسية للتربية.

كما تختلف طرق التعلم تبعا لاختلاف المواد العلمية التي يتطلب كل منها أسلوبا معينا في المعالجة، ونهجا خاصا في ايصال المعلومات التي تتضمنها تلك المواد الى أذهان الناشئين.

وللطرق أهمية قصوى في عملية التعلم، اذ يترتب على خللها وقصورها الفشل في بلوغ اهداف التعلم الفردية والجماعية، ويترتب على كفايتها وتوفيقها النجاح في تحقيق تلك الأهداف.

ونظرا لكثرة طرق التعلم، واختلاف المربين في حصرها، فان المقام لا يتسع لبحثها كلها، على أنه يمكننا ايراد بعض أهم الطرق للايضاح فيما يلي من الصفحات.

أولا: طريقة التجربة والممارسة:

يتم التعلم في هذه الطريقة بالتجربة والمحاولة والخطأ وفق ممارسة عملية يباشرها المتعلم ذاته، وفيها يستفيد المتعلم من أخطائه فيستبعدها، وبنجاحه فيعززه، ويعتمد على مباداته الشخصية ونشاطه الذاتي.

وهذه الطريقة تعتبر من الطرق الفعالة لأنها تمكن المتعلم من المشاركة الذاتية في عملية التعليم، ولا تجعله قاصرا على التلقي وكأنه جهاز استقبال آلي.

---

(1) مسلم / جـ 1 / ص 141

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبدراسة موقف السنة النبوية المطهرة من هذه الطريقة نجدها حافلة بالشواهد التي تؤكد أهميتها الفعالة في التعليم والتربية، فلم يقتصر الرسول ﷺ على تلقين المسلمين تعاليم دينهم في جميع المناسبات، بل كثيرا ما كان يثير لديهم عناصر المبادءة الشخصية، والنشاط الذاتي، والممارسة العملية التي قد يصيبون فيها أو يخطئون، ثم يصحح لهم اخطاءهم اذا عجزوا عن تلافيها بأنفسهم.

ومن الأمثلة على ذلك حديث المسيء صلاته الذي صلى أمام الرسول ﷺ وأخطأ فأمره باعادة الصلاة، وظل يجرب ويخطىء، فلما لم يحسنها وجهه الرسول ﷺ الى الكيفية الصحيحة لاقامة الصلاة.

ومن ذلك تأكيد رسول الله ﷺ بقوله: « لا حكيم الا ذو تجربة » لأهمية الممارسة والمحاولة والخطأ في توصل المتعلم بمشاركته الفعلية الى المعرفة الصحيحة، وتثبيت التعلم في ذهنه، وتنمية قدراته العقلية واذكائها.

ثانيا: طريقة الاستقراء:

وهي طريقة هامة ينتقل فيها ذهن المتعلم من المعلوم الى المجهول، ومن المحسوس الى المعنوي، ومن الملموس الى غير الملوس، وذلك بتدرجه في الانتقال من « الجزئي » الى « الكلي ». ويستطيع المتعلم بواسطة الملاحظة والمشاهدة والتجربة اكتشاف الحقائق الجزئية والتعرف عليها حتى يصل الى التعميم والمفهومات الكلية الشاملة، وبمعنى آخر تمكين المتعلم باستقرائه للحقائق الجزئية استنباط المبدأ العام أو القاعدة الكلية.

وقد سميت هذه الطريقة « بطريقة هربرت » وهو مربي ألماني، وضع لهذه الطريقة أربع خطوات هي: « المقدمة أو التمهيد، والربط أو الموازنة، والاستنباط، والتطبيق. »[1]

---

(1) عبد الحميد فايد / رائد التربية واصول التدريس / ص 55

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أضاف تلاميذه من بعده الى هذه الخطوات الأربع، خطوة خامسة هي « العرض ».

وتعتبر هذه الطريقة من أهم الطرق في التربية والتعليم لأنها تشرك المتعلم في عملية التعلم، وتعوده على التفكير المتأني، وتعميق قدرته على الملاحظة والتجربة، لاكتشاف المعلومات والحقائق، واستنباط التعريفات والقواعد.

وتصلح هذه الطريقة لتعلم العديد من المواد العلمية الهامة، كالرياضيات، والعلوم الطبيعية، والكيميائية والجغرافية، وما اليها.

وبدراسة موقف السنة النبوية من هذه الطريقة نجدها تهتم بها وتؤكد أهميتها وفعاليتها في التعليم والتربية، فلكي يتم « ايمان » المسلم بالخالق عز وجل ووحدانيته وربوبيته، وهذا الايمان هو القاعدة الكلية والمبدأ الأساسي الأول في العقيدة الاسلامية، فانه يمكن التوصل الى اثباته، وتأكيد صحته، بالطريقة الاستقرائية التي يشاهد فيها الفرد المخلوقات على اختلاف أنواعها ويدرس كيفية تركيبها ووظائفها، ويتدرج فيها الى استنباط « الايمان » الموقن بخالقها عز وجل كقاعدة كلية.

قال تعالى:

﴿ أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت. والى السماء كيف رفعت. والى الجبال كيف نصبت. والى الأرض كيف سطحت. ﴾[1]

* وقال رسول الله ﷺ:

« تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره »[2]

والتفكر في الخلق يرتكز أساسا على الطريقة الاستقرائية التي تقوم على

---

(1) الغاشية / 20:17

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 155 (رواه أبو الشيخ عن ابن عباس)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الملاحظة والمشاهدة والتجربة، وتتدرج من الجزئي الى الكلي، ومن المحسوس الى المعنوي المجرد.

ثالثا: طريقة القياس:

هذه الطريقة هي عكس طريقة الاستقراء، وفيها ينتقل ذهن المتعلم من « الكلي » الى « الجزئي » في دراسة الأشياء والحقائق والتعريفات اذ بدراسة المفهومات والحقائق الكلية يتم استنتاج جزئياتها وقضاياها وأحكامها وأسبابها ومسبباتها.

وهذه الطريقة تصلح في تعليم الكبار المدركين الذين وصل نضجهم العقلي الى درجة القدرة على الاستنتاج والقياس.

وتنفع هذه الطريقة في تعلم المواد المجردة كالجبر، والهندسة، والعلوم والآداب ونحوها.

وفي هذه الطريقة يعرض المعلم على المتعلم النظرية العامة، أو الحادثة التاريخية العامة أولا على نحو كلي وشمولي، ثم يوضحها ويفسر أجزاءها وتفصيلاتها بالدليل والبرهان، أو بالقصة، أو بتحليل الحوادث، أو بضرب الأمثلة ونحو ذلك.

وبدراسة المضامين التربوية في السنة النبوية نجدها تولي اهتماما كبيرا لهذه الطريقة لفعاليتها في عملية التعليم والتربية.

وقد ركزت السنة النبوية على أهمية القياس والاستنتاج في شواهد كثيرة، لعل من أبرزها تحريم كل المسكرات، بالقياس على القاعدة الكلية الأساسية وهي حرمة الخمر، فقد حرم الخمر لأنه مسكر، ولذلك كان حكم كل مسكر كحكم الخمر.

* عن عائشة تقول سئل رسول الله ﷺ عن البتع (وهو نبيذ العسل) فقال رسول الله ﷺ:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« كل شراب أسكر فهو حرام . »[1]

* وعن ابن عمر قال: لا أعلمه الا عن النبي ﷺ قال:
« كل مسكر خمر، وكل خمر حرام »[2]

ان القاعدة الكلية التي يشير اليها هذان الحديثان هي:« الخمر حرام لأنه مسكر » وبتطبيق عملية القياس عليها نستنتج حرمة كل الأجزاء التي تتفق مع الخمر في كونها مسكرة مثله، ولو كانت: عسلا أو لبنا.

رابعا: طريقة التحليل والتركيب:

وهذه الطريقة أو العملية مرتبطة بطريقتي الاستقراء والقياس، فنحن في عملية التحليل، وهي المرتبطة بطريقة القياس، ننتقل في دراستنا وبحثنا من « الكلي » الى أجزائه وعناصر تركيبه ومكوناته، وبحث تلك العناصر كل على حدة.

ويمكن أن نأخذ مثالا على عملية التحليل من مادة الجغرافيا. ففي دراستنا « للكرة الأرضية » نبحث شكل الأرض وتكوينها ودورانها، ثم ننتقل الى دراسة القارات والمحيطات التي تشملها، ثم ندرس كل قارة على حدة والدول التي تتكون منها، ثم ننتقل الى الدول، ثم الى المدن والقرى ثم الى التضاريس من جبال وسهول وأنهار ووديان، الى آخر عملية التحليل التي نسير فيها من « الكل » أو المركب وهو الكرة الأرضية الى الجزء أو البسيط وهو المدن والقرى والسهول والأنهار والجبال ونحو ذلك.

وفي عملية التركيب، وهي المرتبطة بعملية الاستقراء، ندرس الأجزاء المكونة للشيء حتى نصل الى شكله العام أو تركيبه الكلي، وما الكل الا

---

(1) مسلم / جـ 6 / ص 99
(2) مسلم / جـ 6 / ص 101

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مجموع أجزائه المتكاملة المكونة له.

واذا عكسنا السير في المثال الذي سقناه على عملية التحليل نكون قد قمنا بعملية التركيب التي ننتقل فيها من الأجزاء الى الكل المركب منها.

وتعتبر كل من عملية التحليل والتركيب هامة للغاية في التعليم والتربية ولا مفاضلة بينهما الا من حيث قرب ظواهر ومعالم « الكلي » أو « الجزئي » في الأشياء المدروسة الى حواس المتعلم وبالتالي قدرته على فهمها.

فاذا كان « الكلي » أقرب الى حواس المتعلم وفهمه نتبع عملية التحليل، واذا كان « الجزئي » أكثر ظهورا نتبع طريقة التركيب.

وبدراسة موقف السنة النبوية المطهرة من طريقة التحليل والتركيب نجدها تركز على أهميتها في التعلم والتربية، وتعنى بها كعنايتها بطريقتي الاستقراء المتضمن لعملية التركيب والقياس المتضمن لعملية التحليل.

خامسا: طريقة التلقين:

تعتمد عملية التعلم في هذه الطريقة على المعلم وحده دون مشاركة ذاتية فعالة من المتعلم. فالمعلم يقوم بتلقين تلاميذه واخبارهم المعلومات والمعارف، ويشرح لهم الحقائق، ويقوم باجراء التجارب والاختبارات التي تفسرها.

وبالرغم من أن المعلم في هذه الطريقة هو المؤثر الوحيد، وأن المتعلم لا يتعدى التلقي، فان هذه الطريقة تصلح لتزويد الناشئين بالمعارف والمعلومات والحقائق التي تستقى عن طريق السماع والنقل، ولا تحتاج الى التحليل أو المحاورة، وذلك مثل الوقائع التاريخية، والظواهر الجغرافية، والمعلومات المتعلقة بالأشخاص والأماكن وغيرها.

وقد اهتمت السنة النبوية المطهرة بهذه الطريقة في تعليم المسلمين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتلقينهم العديد من المبادىء الأساسية والعامة المتعلقة بأمور دينهم.

وذلك مثل: تعليمهم قواعد الاسلام، وقواعد الطهارة، والحدود وكيفية اقامتها، والقواعد الأساسية للآداب الاجتماعية والتعامل بين الناس، وتلقينهم الدعوات الصالحة، وكيفية حمد الله تعالى والثناء عليه وشكره وتسبيحه والتقرب اليه والاخلاص له، وكيفية التوكل على الله عز وجل والاستعانة به والانابة اليه، وتعليمهم صلاة الاستخارة، وغير ذلك من المعارف والمعلومات والتوجيهات العقائدية والدينية التي يكون رسول الله ﷺ مصدرها سواء فيما يوحى اليه من ربه تعالى، أو مما يلهمه اليه، أو مما يراه رسول الله ﷺ صالحا للمسلم في دينه ودنياه معا.

ومن أروع وأوضح الأمثلة على ذلك «الكلمات» التي لقنها رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وجمع فيها خيري الدنيا والآخرة.

* عن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: «يا غلام انّي اعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، اذا سألت فاسأل الله، واذا استعنت فاستعن بالله، واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفّت الصحف.»[1]

ومن ذلك أيضا ما علمه رسول الله ﷺ لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه من كلام يحبه الله تعالى.

* عن أبي ذرّ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ألا أخبرك بأحب الكلام الى الله» قلت يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام الى الله. فقال:

---

(1) الترمذي / جـ 9 / ص 319، 320 (وقال عنه حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« إن أحب الكلام الى الله سبحان الله وبحمده. »[1]

ومن ذلك ما لقنه رسول الله ﷺ لجرير بن عبد الله رضي الله عنه في شأن السمع والطاعة والنصح.

* عن جرير بن عبد الله، قال: بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، فلقنني

« فيما استطعت، والنصح لكل مسلم »[2]

سادسا: طريقة الحوار:

وتعتبر هذه الطريقة من أهم طرق التعلم لما تتيحه للمتعلم من فرص المشاركة بنشاطه الذاتي في العملية التعليمية، وقد استعمل هذه الطريقة الفيلسوف اليوناني سقراط وأسماها «طريقة التوليد» أي توليد الأفكار والحقائق من أذهان التلاميذ واشراكهم في الكشف عنها بأنفسهم.

وتهدف هذه الطريقة الى اثارة اذهان المتعلمين وتحفيزهم على التفكير والكشف عن الحقائق والخبرات والمعارف المختلفة والوصول الى الأدلة والبراهين والاستنتاجات بواسطة الأسئلة والاستفسارات والقضايا المتتالية التي تطرح عليهم ويناقشونها ويجيبون عنها.

وتعتمد هذه الطريقة على الملاحظة والمشاهدة والتفكير مع المقارنة والتجربة والتمحيص والتدقيق، ولذلك فهي تصلح لتعليم قواعد اللغة، وشرح دروس الهندسة، والتربية الأخلاقية ونحوها.

وقد أولت السنة النبوية الشريفة لهذه الطريقة الهامة في التعلم عناية كبيرة، واعتمدتها في تعليم وتربية المسلمين وتوجيههم في أمور دينهم ودنياهم.

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 86
(2) النسائي / جـ 7 / ص 152

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأبرز الأمثلة على ذلك « الحوار » الذي جرى بين سيدنا محمد ﷺ وبين جبريل عليه السلام حول معنى الايمان،والاسلام،والاحسان، وحول امارات قيام الساعة، وذلك بهدف تعليم المسلمين أمور دينهم، وعندما انتهى الحوار بينهما وانصرف جبريل عليه السلام، قال رسول الله ﷺ:
« انه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم. »[1]

ومن الشواهد على الاهتمام بطريقة الحوار والسؤال والاستفسار في السنة النبوية محاورة عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ في كثير من الأمور حتى تعرفها.

* عن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي ﷺ: كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: « من حوسب عذب » قالت عائشة فقلت: أوليس يقول الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا. قالت: فقال: « انما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك. »[2]

ومن أبرز الشواهد أيضا على اهتمام السنة النبوية بطريقة الحوار تأكيدها لفعالية السؤال والاستفسار في التعلم والفهم والادراك، ولا شك ان الحوار ينبني أساسا على الأسئلة والاستفسارات والنقاش.

قال رسول الله ﷺ:
« شفاء العيّ السؤال. »[3]

تلك هي أهم طرق التعلم التي يجب استعمالها بحقها على النحو الذي يحقق للعملية التعليمية والتربوية أهدافها، وهذا لا يتيسر الا اذا

---

(1) مسلم / جـ 11 / ص 29
(2) البخاري / جـ 1/ ص 37
(3) ابن عبد البر/ جامع بيان العلم وفضله / جـ 1 / ص 105

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

راعينا لكل مادة من المواد أو علم من العلوم ما يتناسب معه من طرق، وما يلائمه من وسائل.

واذا كان لكل طريقة محاسنها وعيوبها، فان كلا منها يصلح في تعليم بعض المعارف والعلوم والحقائق بما لا يصلح له غيرها، ولذلك فاننا لا نميل الى تبني بعضها ورفض البعض الآخر، ولكننا نميل الى المفاضلة بينها حيث تكون المفاضلة مبنية على الملاءمة والصلاحية في تحقيق أهداف العملية التعليمية بهذه الطريقة دون تلك.

ويمكن في بعض الأحيان المزج بين طريقتين في آن واحد في عملية التعليم، كالمزج بين طريقة التلقين والحوار مثلا، اذ يعتمد المعلم على الاستجواب والاستفسار واثارة الذهن على التفكير والكشف فاذا لم يجد استجابة ايجابية من المتعلمين زودهم بالمعارف والمعلومات والحقائق التي تكون بالتالي أرضية ممهدة لمناقشتهم وحوارهم واستنتاجاتهم بعد ذلك.

كما يمكن استعمال طريقتي التحليل والتركيب على نحو متعاقب في شرح وتوضيح مادة معينة، فيتدرج المعلم مع المتعلمين نزولا من الكل الى الجزء، ثم يعكس السير ويتدرج معهم صعودا من الجزء الى الكل، وهكذا.

وقد سبقت السنة النبوية المطهرة الى مراعاة هذا الجانب الحكيم في استعمال مختلف الطرق التعليمية على النحو الذي يحقق الجدوى من اتباع طريقة بعينها فيما لا تجدي فيه طريقة اخرى، وهي تنظر أساسا في تضميناتها وتطبيقاتها التربوية البناءة الى صلاحية ونفع كل طريقة من الطرق في تعليم الناشئين، وتزويدهم بالمعارف، واثارة اذهانهم، وشحذ قدراتهم، ومشاركتهم الذاتية، ومبادءاتهم الفعالة في التحصيل العلمي والمعرفي.

ولذلك فقد جمعت السنة النبوية في منهاجها التربوي والتعليمي وفق ما أوردناه من شواهد كل طرق التعلم، واستعملتها على نحو منفرد تارة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى نحو متزاوج تارة أخرى، وذلك بغية تحقيق اهداف عمليات التعلم والتربية بشتى الطرق والوسائل الصالحة.

الوسائل المساعدة على التعلم:

الى جانب طرق التعليم التي ذكرناها آنفا هناك العديد من الوسائل التي تساعد على اتمام عملية التعلم على النحو الايجابي المرغوب فيه، وتمكن المعلم من اعانة المتعلم على فهم الحقائق وادراك المعارف واكتساب الخبرات والتجارب التي تؤدي الى حسن نضجه العقلي ومستواه التحصيلي.

ونظرا لكثرة تلك الوسائل المساعدة على التعلم حينا وامتزاجها حينا آخر، وعدم الاتفاق النهائي عليها بين المربين، واختلافهم في كيفية استغلالها وفق تباين اتجاهاتهم وتجاربهم وخبراتهم، فاننا سنورد أهم تلك الوسائل التي نرى فعالية الاستفادة بها في عملية التعليم والتربية.

أولا: وسائل الايضاح:

تعد وسائل الايضاح من أهم الوسائل المساعدة على عملية التعليم والتربية، وذلك لتفتيح مدارك المتعلمين وتقريب المعاني الى أذهانهم واعانتهم على الفهم والاستيعاب، بالاضافة الى تجنيب عملية التعلم الجمود والتعقيد والصعوبة.

ووسائل الايضاح عديدة، ويمكن تحسينها وتطويرها باستمرار وابتكار وسائل جديدة على الدوام تزيد من تيسير نقل المعلومات الى المتعلم ومساعدته على اكتساب المعارف والخبرات والتجارب والمهارات بشكل أشد وضوحا ورسوخا.

وترتبط بكل موضوع حسيا كان أم مجردا وسائل ايضاحه المناسبة له والتي تعين على شرح حقائقه، وتفسير غوامضه، وتوضيح أبعاده وبذلك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تكون وسائل الايضاح من أهم شروط التعليم الناجح.

وقد تكون وسائل الايضاح مرتبطة بالحواس الخمس، عندما يتم التعرض الى شرح موضوع حسي، يمكن رؤيته أو سمعه أو لمسه أو شمه أو ذوقه، وقد تحضر عينات حقيقية كالخضار أو الفواكه اذا كان الموضوع عن النباتات أو تحضر بعض الصور الشمسية أو المجسمة أو التماثيل اذا كان الموضوع عن حيوانات لا تتوفر فرصة رؤيتها على حقيقتها، أو اعداد خرائط اذا كان الموضوع عن الظواهر الجغرافية، أو اعداد الرسوم والخطوط التقريبية اذا كان الموضوع عن المعاني والمجردات، وهكذا ومن أشهر وسائل الايضاح العصرية: الوسائل السمعية البصرية كالفانوس السحري، وآلات عرض الصور، والسينما، والتلفزيون والمذياع، وغيرها.

وتهتم السنة المطهرة اهتماما كبيرا بوسائل الايضاح لفعاليتها في الشرح والتفسير وتقريب المعاني الى الأذهان وافهام المتعلمين وتنمية مداركهم وزيادة قدرتهم على الاستيعاب والتحصيل.

وقد استعمل رسول الله ﷺ الرسوم الايضاحية والتقريبية بالخطوط على الأرض لتقريب معنى ما يحيط بالانسان من أمل وأجل وأعراض حسبما قدّر له في حياته.

* عن عبد الله قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطا مربعا، ثم خط وسطه خطا، ثم خط حوله خطوطا، وخط خطا خارجا من الخط.

فقال: «هذا الانسان للخط الأوسط. وهذا الأجل محيط به، وهذه الأعراض للخطوط، فاذا أخطأه واحد نهشه الآخر. وهذا الأمل للخط الخارج.»[1]

كما استعمل رسول الله ﷺ القصص والأمثال والتشبيهات كوسائل

(1) سنن الدارمي / جـ 2 / ص 304

ايضاحية لمختلف الموضوعات والقضايا المتعلقة بأمور الدين والدنيا التي كان يعلمها للمسلمين، وكان ﷺ يراعي لكل موضوع أو قضية ما يناسبه من وسائل ايضاحية تشرحه وتفسره وتجلوه للأذهان.

وها هو رسول الله ﷺ يوضح مثل المؤمن القارىء للقرآن والمؤمن الذي لا يقرأه، ومثل المنافق القارىء للقرآن والمنافق الذي لا يقرأه، بتشبيهات مرتبطة بالمحسوسات هي غاية في البلاغة والوضوح.

* عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ:

« مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ريحها مر وطعمها مر. »[1]

ثانيا: وسيلة التكرار:

يعتبر التكرار من أهم الوسائل المساعدة على التعلم، وخاصة في المواضيع التي تغمض على المتعلم ولا تتضح له الا بمزيد من الشرح والتفسير المكرر حتى يستوعب حقائقها ويفهم جوانبها ويعي ما ترمي اليه.

وهناك مواضيع كثيرة لا غنى في تعلمها عن استعمال وسيلة التكرار حتى ترسخ في أذهان المتعلمين مع مراعاة مستوى ذكائهم وقدراتهم العقلية، ومن ذلك مثلا القواعد والمبادىء الأساسية لمختلف العلوم، كالرياضيات واللغة، وغيرها.

وقد اهتمت السنة النبوية الشريفة بوسيلة التكرار لفعاليتها في شرح وتثبيت كثير من القواعد والتعاليم الدينية.

---

(1) الترمذي / جـ 10 / ص 308، 309 وقال عنه: حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان رسول الله ﷺ، يكرر في تعليمه للمسلمين وتوجيههم، ولا يعجل حتى يعوا عنه ما يقول، ويفهموا ما يطرحه عليهم، ويستوعبوا ما يوجههم اليه، ويتيقنوا مما يأمرهم به.

* عن ابن عمر قال النبي ﷺ:
« هل بلّغت » ثلاثا.[1]

* وعن أنس عن النبي ﷺ أنه: « اذا تكلم بكلمة اعادها ثلاثا حتى تفهم عنه، واذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا. »[2]

ثالثا: وسيلة الشرح والتفسير:

وهي من الوسائل الهامة التي تساعد على حسن اتمام عملية التعليم والتربية، اذ يجب الا يقتصر المعلم على القاء المعلومات وتقديم الحقائق دون شرح أو تفسير، وذلك لأن المتعلم لا يستطيع لوحده فهم وادراك الحقائق والمعارف التي تطرح عليه للمرة الأولى دون تفسير لما يغمض عليه فيها، وشرح ما يصعب عليه فهمها، ووسيلة الشرح والتفسير ضرورية في شتى طرق التعلم الناجحة المحققة لأهدافها وغاياتها.

هذا فضلا عما يترتب على وسيلة الشرح والتفسير من تثبيت للمعارف وترسيخ للحقائق في أذهان المتعلمين، واستمرارها، وتعودهم على المشاركة الذاتية، والمبادءة الشخصية في عملية التعلم لا الاقتصار على التلقين والتلقي وكأنهم جهاز استقبال آلي.

وقد أولت السنة النبوية المطهرة عناية كبيرة لوسيلة الشرح والتفسير، لأنها كانت تهدف الى اشباع حاجة المسلمين الى العلم والمعرفة الدينية والدنيوية على نحو من الوعي والتبصر والادراك الكامل الذي يتيح لهم

---

(1) البخاري / جـ 1 / ص 34
(2) نفس المصدر السابق / ص 35

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فرص النضج العقلي والرشد الفكري والاقتناع المنطقي.

وها هو رسول الله ﷺ يفيض في شرح وتفسير ما يلبس « المحرم » حتى لا يبقى أمر غامض في الاحرام على المسلمين.

* عن ابن عمر عن النبي ﷺ أن رجلا سأله ما يلبس المحرم فقال: « لا يلبس القميص، ولا العمامة، ولا السراويل، ولا البرنس ولا ثوبا مسه الورس أو الزعفران، فان لم يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين. »[1]

رابعا: وسيلة الاستجواب:

يعتبر الاستجواب من أهم الوسائل المساعدة على التعلم وتنمية الملكات والقدرات العقلية وخاصة في طريقتي التعلم الاستقرائية والقياسية.

واذا ما استثيرت عقول المتعلمين بالاستجوابات والأسئلة المناسبة في كيفيتها ومراعاتها لمستواهم العقلي والتحصيلي فانهم لكي يجيبوا عليها اجابات صحيحة يفكرون ويحاولون الكشف والاستنتاج، واستكناه الحقائق، واستجلاء المعارف، وفهم القواعد والتعريفات.

ولذلك فقد اعتبر المربون الاستجواب وسيلة ناجحة في تحريك العقول والافهام وتهيئتها للتلقي والتعلم ومشاركتها الذاتية الفعالة فيها.

والاستجواب يمكن أن يتنوع وفق الطريقة التعليمية المتبعة، فأحيانا يرمي الاستجواب الى هز عقول المتعلمين وقدحها وتحفيزها على الاستكشاف والاستنباط. قال سقراط الفيلسوف اليوناني:

« ان العقول حبالى بالحقائق، ومهمة المربي الحاذق هي توليد تلك

---

(1) البخاري / جـ 1 / ص 45

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحقائق »[1]

وأحيانا أخرى يرمي الاستجواب الى اختبار عقول المتعلمين ومعرفة مستوى فهمهم وادراكهم واستيعابهم ومدى المامهم بالعلوم والمعارف والخبرات التي تعلموها، وشد انتباههم وتركيزهم، ومنع تشتت أذهانهم وشرودهم، وتخفيف الجمود الذي قد يرتبط بعملية الالقاء أو التلقين.

وقد اهتمت السنة النبوية الشريفة بالاستجواب اهتماما كبيرا لفعاليته الايجابية في التعليم والتربية.

وقد مارسه رسول الله ﷺ كثيرا في تعليم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وقدح عقولهم، واستثارة أذهانهم، واختبارهم وتحفيزهم المستمر على المشاركة الذاتية والمبادءة الشخصية في عملية التعلم وتهيئتهم لما يتلقونه من تعاليم وتكاليف.

وها هو رسول الله ﷺ يهيء عقول المسلمين عن طريق الأستجواب لاستيعاب تحريم دمائهم وأموالهم وأعراضهم بينهم.

* عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه: ذكر النبي ﷺ قعد على بعيره وأمسك انسان بخطامه أو بزمامه، قال: « أي يوم هذا؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه. قال: « أليس يوم النحر؟ » قلنا: بلى، قال: « فأي شهر هذا؟ » فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. فقال: « أليس بذي الحجة؟ » قلنا: بلى. قال: « فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ليبلغ الشاهد الغائب، فان الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه. »[2]

ويعتبر حديث « جبريل » عليه السلام في تعليم المسلمين أمور دينهم،

(1) عبد الحميد قايد / رائد التربية العامة وأصول التدريس / ص 84
(2) البخاري / جـ 1 / ص 26

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد تقدم من الأدلة البارزة على استعمال الاستجواب في السنة النبوية كوسيلة فعالة مساعدة على التعلم.

ويعتبر حديث تشبيه المسلم « بالنخلة » وقد تقدم أيضا من الأدلة المؤكدة لاستعمال السنة النبوية لأسلوب الاستجواب في قدح الأذهان، وتحفيز العقول على الاستنتاج والاستنباط والمقارنة.

كما يعد حديث « معاذ بن جبل » حول سؤال النبي ﷺ له عن كيفية قضائه اذا عرض له قضاء عندما أوفده الى اليمن، وقد تقدم، يعدّ دليلا بارزا على استعمال الاستجواب في السنة النبوية لمعرفة المستوى التعليمي والتحصيلي للمتعلم، ومدى استيعابه وفهمه وخبراته في مجاله العلمي.

خامسا: وسيلة الحدس:

الحدس من الوسائل الهامة التي يمكن أن يستغلها المعلم في عملية التعليم والتربية، خاصة وان الله عز وجل قد فطر عباده على فهم كثير من الحقائق والمبادىء والمسلمات والبديهيات العقلية أو الخلقية بما يلتمع في ذهنهم من ادراك سريع لها، وفق الهام رباني، وكأنها مطبوعة في عقولهم.

وهكذا يقود الحدس ذهن المتعلم الى تصور ومعرفة الكثير من الحقائق والأمور المجردة أو المعنوية، فيراها بوضوح، ويدرك العلاقات بينها.

كما يجعل الحدس الانسان يدرك كثيرا من القيم الأخلاقية وفوائدها البناءة، ومراميها النبيلة بفطرته السليمة التي تهديه الى الخير والفضيلة دون حاجة الى دليل أو برهان عقلي لاقناعه بذلك.

ويمكن استعمال بعض الوسائل الحسية لتنمية الحدس وشحذه في عملية التعلم، فعن طريق رؤية المتعلم للأشياء أو لصورها أو نماذج مجسمة لها يمكنه أن يعرف بالحدس الذي ينير عقله ويقدح ذهنه، الحقائق والتعريفات التي نريد تعليمها له بسرعة ووضوح.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أولت السنة النبوية المطهرة للحدس كحالة ذهنية متوقدة، أهمية بالغة لفعاليتها في اثارة العقول والأذهان وتهيئتها للتعلم والتلقي بالمشاركة الفكرية الذاتية المباشرة من طرف المتعلم.

ومن الأدلة على ذلك موافقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لربّه تعالى بحدسه ثلاث مرات ويلهمه الله عزّ وجلّ الصواب في أمور هامة جليلة الخطر والأثر.

* عن ابن عمر قال عمر:

« وافقت ربّي في ثلاث: في مقام ابراهيم، وفي الحجاب، وفي أساري بدر. »[1]

وقد وجد من رسول الله ﷺ في ذلك التشجيع والثناء.

* عن عائشة عن النبي ﷺ أنه كان يقول:

« قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فان يكن في أمتي منهم أحد فان عمر بن الخطاب منهم. »[2]

ومن الأدلة على ذلك أيضا حدس الحباب بن المنذر، رضي الله عنه في اختيار « المنزل » المناسب في معركة بدر الكبرى، وموافقة رسول الله ﷺ له، وكان ذلك الحدس المصيب أولى خطوات الأعداد الناجح للانتصار في هذه المعركة.

الأسس التي تقوم عليها طرق التعلم ووسائله المساعدة في السنة النبوية:

بتحليل المضامين التربوية في السنة النبوية نجدها تؤكد جملة من الأسس الهامة التي ترى ضرورة مراعتها في طرق التعلم ووسائله المساعدة حتى تحقق أهدافها في تنمية القدرات العقلية للفرد وصقل استعداداته

---

(1) مسلم / حـ 7 / ص 116

(2) مسلم / حـ 7 / ص 115

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومواهبه وميوله، اذ أن الفرد وسيلة وغاية في ان واحد في عملية التعليم والتربية.

وفيما يلي نذكر أهم تلك الأسس:

أولا: مراعاة ميول المتعلم ومواهبه وهواياته وحاجاته ودوافعه الفطرية مع توجيهه الحازم والبناء الى ما يمكنه وفقها أن يحصله من معلومات ومعارف، وما يكتسبه من مهارات وخبرات، وما يتقنه من أعمال وأنشطة.

وذلك لقوله ﷺ:
« اعملوا فكل ميسّر لما خلق له. »

ثانيا: مراعاة المستوى العقلي للمتعلم، من حيث معدل النمو والنضج ومن حيث ذكائه واستعداداته وقدراته وملكاته العقلية، واختيار الأسلوب الناجح في تعليمه وتوجيهه وتربيته.

وذلك لقوله ﷺ:
« أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم. »

ثالثا: مراعاة طاقة المتعلم ومقدرته وجعل العملية التعليمية سارة ومشوقة له واعطاؤه القسط الوافر من الراحة العقلية والجسدية، وتجنيبه الارهاق والمشقة في عملية التعليم حتى لا ينفر منها، ويكره العلم والتحصيل.

وذلك لقوله ﷺ:
« يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا. »

ولقول ابن مسعود: « كان النبي ﷺ يتخوّلنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا. »

رابعا: مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، وتفاوت حظوظهم في الذكاء والقدرات والاستعدادات العقلية، وتمايزهم في الخصائص الوجدانية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والطاقات الجسمانية، مما يقود الى تفاوتهم في معدل التعلم والتحصيل العلمي.

وذلك لقوله ﷺ:

« الناس كمعادن: الفضة والذهب. »

خامسا: مراعاة اتاحة الفرص للممارسة العملية، وتهيئة سبل التجربة والمحاولة والخطأ، مع التوجيه السديد، والحزم الرشيد، حتى يشارك المتعلم مشاركة ذاتية مباشرة في عملية التعليم والتربية ولا يقتصر دوره على التلقي السلبي

وذلك لقوله ﷺ:

« ولا حكيم الا ذو تجربة. »

سادسا: مراعاة تشجيع المتعلم على التفكير والوعي والتبصر حتى يتمكن بنفسه من الفهم والادراك المباشر للحقائق والمعلومات والمعارف، بدل اعتماده على الحفظ الآلي دون فهم أو استيعاب.

لقوله ﷺ:

« فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه. »

سابعا: مراعاة تشجيع المتعلم على استقلالية الفكر، وتحفيزه على الخلق والابتكار والابداع والتجديد، حتى تؤتي العملية التعليمية ثمارها في اعداد العقول الخلاقة المبدعة.

وذلك لقوله ﷺ لمعاذ بن جبل، عندما أجابه بأنه سيجتهد برأيه في القضاء الذي لا يجد له نصا في كتاب الله وسنة رسوله، لقوله:

« الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله »

ثامنا: مراعاة ابراز الأغراض والأهداف التي ترمي اليها عملية التعلم، حتى تشد انتباه وتركيز المتعلم اليها، وتجعله يقبل عليها في شغف وشوق، وبجد ونشاط، لكونه يحس انه يحقق ذاته وآماله ببلوغ تلك الأغراض والأهداف. ومن بين الأهداف التي ينبغي التركيز عليها التقرب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى الله تعالى وطلب رضاه وحسن طاعته، والحرص على ما ينفع الانسان في دنياه بالوسائل المشروعة دينيا وخلقيا حتى يصبح مؤمنا قويا نافعا لنفسه ومجتمعه.

وذلك لقوله ﷺ:

« المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز. ».

التعلم في التربية النبوية:

اعتنت السنة النبوية المطهرة عناية فائقة بعملية « التعلم » لكونها الوسيلة الفعالة لتنمية العقول، ونضج التفكير، واذكاء الملكات والقدرات والكشف عن المواهب والميول وصقل الاستعدادات العقلية، وهي بالتالي أساس كل نهضة فكرية وحضارية للبشرية قاطبة، فبدون « العلم » الذي لا يحصل الا بالتعلم المستمر والمناسب لا يمكن للبشر أن يصنعوا حياة الرخاء والسعادة والرفاهية.

وسنبين في هذا الصدد أهم التضمينات التربوية المتعلقة بعملية التعلم في السنة النبوية، فنركز على أبرز عناصرها، وهي: تعلم القراءة والكتابة، وطلب العلم ونشره، وفضل العلم والعلماء، ووسائل المعرفة.

أولا: تعلم القراءة والكتابة:

لكي تتم عملية التعلم على نحو كامل وبناء وتحقق أغراضها وأهدافها التعليمية والتربوية، فقد اهتمت السنة النبوية المطهرة بوسيلتيها الأساسيتين اللتين لا بديل عنها، ولا غنى عن أحدهما بالأخرى، وهما: القراءة والكتابة.

وترتبط القراءة والكتابة ببعضهما ارتباطا طرديا لازما فكلما تحسنت احداهما ونمت، تحسنت الأخرى ونمت وأتت ثمارها في التحصيل العلمي والمعرفي، ولذلك كان من أولى واجبات الآباء والمربين تعليم أبنائهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القراءة والكتابة واعتبار حاجة الانسان اليهما في التعلم وتحصيل العلم ونمو الخصائص العقلية كحاجته لرئتيه الاثنتين في تنفسه السليم وقيام بدنه بوظائفه الأساسية في أجهزته الداخلية والخارجية، وأي قصور في عملية القراءة والكتابة يترتب عليه قصور في التعلم والكسب العلمي وتحصيل المعرفة.

وقد أكدت السنة النبوية المطهرة، في سبق تربوي فريد للفلسفات والنظريات التربوية، أهمية القراءة كنافذة أساسية أولى يطل منها الانسان على حقل العلم والمعرفة، ووسيلة فعالة يجني بها منها أطيب الثمار وأينعها.

ولشرف القراءة وجلالها وخطورتها في نمو وتقدم الفكر البشري نزل القرآن أول ما نزل معلنا على البشرية كلها، ومستفتحا بلفظ «اقرأ».

* عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدي به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا الآ جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبّب اليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه: وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارىء» قال: «فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم.»[1]

(1) البخاري / جـ 1 / ص 3

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونستوحي من هذا الحديث الشريف الاهتمام بعملية القراءة كمفتاح للتعلم والفهم ونضج العقل وذلك من خلال التركيز على تكرار كلمة اقرأ ثلاث مرات.

وهو تأكيد جاء في كلام الله عزّ وجلّ، بالتركيز على تكرار كلمة اقرأ مرتين في سورة العلق.

قال تعالى:
﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. ﴾[1]

ويقترن تعلم القراءة بتعلم الكتابة منذ اللحظة الأولى للتعلم، اذ أنه لا تجدي احداهما دون الأخرى.

ولقد تم الجمع بين القراءة والكتابة في سورة العلق التي علمها جبريل عليه السلام للرسول ﷺ وطلب منه قراءتها، تركيزا على ارتباطهما العضوي.

* قال تعالى:
﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الأكرم، الذي علّم بالقلم. علم الانسان ما لم يعلم. ﴾[2]

فالتعليم بالقلم الذي جاء في هذه السورة انما يعني تعلم عملية الكتابة أساسا، وبتعلم القراءة والكتابة معا وما يرتبط بهما من نمو عقلي

---

(1) العلق / 3:1
(2) العلق / 5:1

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونضج فكري يهدي الله تعالى عقول عباده الى تعلم ما لم يكونوا يعلمون.

وابرز المولى عزّ وجل جلال الكتابة وأهميتها وخطورتها في قسمه بالقلم وما يكتب به.

﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾[1]

واعتنى رسول الله ﷺ عناية شديدة بتعليم المسلمين القراءة والكتابة، حتى أنه جعلها فدى لأسرى المشركين في موقعة بدر، فمن علّم منهم عشرة غلمان حتى حذقوا القراءة والكتابة كان ذلك فداء له من الأسر.

وهذا من أبرز الأدلة على اهتمام السنة النبوية بالتعلم والتعليم والعلم.

* عن جابر بن عامر قال:

« أسر رسول رسول الله ﷺ يوم بدر سبعين أسيرا، وكان يفادي بهم على قدر أموالهم. وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دفع اليه عشرة غلمان من غلمان المدينة، فعلمهم فاذا حذقوا فهو فداؤه. »[2]

وراعت السنة النبوية المطهرة مبدأ تكافؤ الفرص وعدالتها في التعلم، فلم تقصرها على فئة دون أخرى، أو تمايز بين الناس لحسبهم أو نسبهم أو مالهم، بل جعلت التعليم حقا للجميع يتساوون في النهل من معينه الفياض.

* عن مالك بن الحويرث (من وفد عبد القيس) قال لنا النبي ﷺ:

« ارجعوا الى أهليكم فعلموهم. »[3]

وفي هذا الحديث حث على تعليم الجميع بدون تمييز أو تفرقة.

---

(1) القلم / 1
(2) ابن سعد جـ 2/ ص 22
(3) البخاري / جـ 1 / ص 32

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن أبي برده عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ:
« ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك اذا أدّى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده امرأة فأدّبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران. »(1)

وفي هذا الحديث حث على تكافؤ الفرص في التعلم وعدم التفرقة فيه بين الحر والعبد، أو بين السيد والمسود، أو بين الشريف والضعيف.

وهو أمر أكده رسول الله ﷺ في ممارساته العملية، فلم يميز بين الناس في التعلم والتلقي لطبقة أو جنس أو حسب ونسب.

* عن أبي سعيد جاءت امرأة الى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله، فقال: « اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا » فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله. (2)

بل ان السنة النبوية، في سبق تربوي رائع للنظريات التربوية الحديثة أكدت في تضميناتها التربوية على ضرورة تحمل المتعلمين لواجب محو أمية أهلهم وذويهم، وحددت لذلك مدة معينة « وهي سنة واحدة » وهو ما يبرز العناية الفائقة التي أولتها السنة النبوية لجعل « التعلم » حقا مشاعا بين الجميع، دون أية تفرقة أو تمييز، وحمل رسول الله ﷺ مسؤولية محو الأمية للمتعلمين ولغير المتعلمين معا، حتى تتظافر جهودهم المشتركة بصدق واخلاص والتزام في ذلك احدهما بالتعليم والتدريس، والآخر بالتلقي والاقبال على التعلم.

* عن علقمة بن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن جده

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 35
(2) البخاري / جـ 9 / ص 124

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال: خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا، ثم قال:

« ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم، ولا يأمرونهم ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون، أو لاعاجلنهم العقوبة. »

ثم نزل، فقال قوم: من ترونه عني بهؤلاء؟ قال: « الأشعريين هم قوم فقهاء، ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب. »

فبلغ ذلك الأشعريين فأتوا رسول الله عليه الصلاة والسلام فقالوا: يا رسول الله ذكرت قوما بخير، وذكرتنا بشر فما بالنا؟ قال: « ليعلمن قوم جيرانهم وليعظنهم وليأمرنهم ولينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتعظون ويتفقهون، أو لاعاجلنهم العقوبة في الدنيا. »

فقالوا: يا رسول الله أنفطن غيرنا؟ فأعاد قوله عليهم، فأعادوا قولهم: أنفطن غيرنا؟ فقال ذلك أيضا. فقالوا: أمهلنا سنة. فأمهلهم سنة ليفقهوهم ويعلموهم ويعظوهم، ثم قرأ:

« لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم... الآية »[1]

تلك شواهد من السنة النبوية سقناها للدلالة على عنايتها الفائقة بتعلم القراءة والكتابة كمفتاح للنضج الفكري والنمو العقلي، وتحصيل العلوم والمعارف المفيدة في الدين والدنيا.

(1) المنذري / الترغيب والترهيب من الحديث الشريف / جـ 1 / ص 100,99 (رواه الطبراني في الكبير عن بكير بن معروف عن عقلمة)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا: طلب العلم ونشره:

عملية التعليم في السنة النبوية وسيلة أساسية فعالة في طلب العلم وتحصيله وبلوغ أقصى درجات الترقي الممكن فيه، وتنميته وتزكيته المستمرة ونشره بين الناس، لتعم به الفائدة، وينتشر به الخير في المجتمع البشري كافة.

وتركيز السنة النبوية على « التعلم » وجعله واجبا عينيا على كل مسلم انما يستهدف تفتيح العقول، وقدح الأذهان، وتنمية القدرات والاستعدادات حتى تبلغ أسمى الكمالات الممكنة في مدارج العلم الانساني، الذي يحقق الخير والرفاهية للفرد والمجتمع على حد سواء، ويكون سبيل الحياة الصالحة السعيدة لهما.

ولذلك فقد جعل رسول الله ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم.

* عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:
« طلب العلم فريضة على كل مسلم. »[1]

كما جعل رسول الله ﷺ طلب العلم وسيلة الى الجنة وكأن طريقهما واحد اجلالا لشأن العلم وترغيبا فيه وحثا على مداومة طلبه وتلقيه.

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
« من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهّل الله له طريقا الى الجنة »[2]

* وقال رسول الله ﷺ:
« لكل شيء طريق، وطريق الجنة: العلم. »[3]

ولمزيد الترغيب في طلب العلم، والحث عليه، فضله رسول الله ﷺ

---

(1) ابن عبد البر / جامع بيان العلم وفضله /جـ 1 / ص 8
(2) الترمذي / جـ 10/ ص 115 (وقال عنه حديث حسن)
(3) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 4/ ص 33 (رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عمر)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على العبادة، لكون طلب العلم النافع في حد ذاته عبادة خالصة لله تعالى، وسبيل للايمان الموقن به.

* قال رسول الله ﷺ:
« طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة، وطلب العلم يوما خير من صيام ثلاثة أشهر. »[1]

* وجعل رسول الله ﷺ طالب العلم وكأنه مجاهد حتى يرجع.

* قال رسول الله ﷺ:
« من طلب العلم فهو سبيل الله حتى يرجع »[2]

وجعل رسول الله ﷺ طلب العلم معقد التنافس الشريف، والتسابق والاغتباط الحقيقي بين الناس.

* عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ:
« لا حسد الا في اثنتين: رجل أتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها. »[3]

ولم تجعل السنة النبوية لطلب العلم سنا محدودة لا يطلب بعدها الانسان العلم، اذ أن العلم يطلب في الصغر وفي الكبر على حد سواء، وحاجة الانسان اليه دائمة.

وقد علم رسول الله ﷺ الصحابة رضوان الله تعالى عنهم في كبرهم.

* قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه:
« تفقهوا قبل ان تسودوا. »[4]

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 27 (رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عباس)
(2) نفس المصدر السابق / ص 29 (رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس)
(3) البخاري / جـ 1 / ص 28
(4) البخاري / جـ 1/ ص 28

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وان كانت السنة النبوية قد أكدت ان طلب العلم في الصغر أيسر وأثبت من طلبه في الكبر، وهو ما أثبتته النظريات التربوية الحديثة، وسبقتها اليه السنة النبوية.

* عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال:
« من تعلم العلم وهو شاب كان كوشم في حجر. ومن تعلم العلم بعد ما يدخل في السن كان كالكاتب على ظهر الماء »[1]

وقد أبرز رسول الله ﷺ في ممارساته العملية اجلاله للعلم وتقديره لقيمته، اذ مرَّ ذات يوم على حلقة ذكر، ومجلس علم، فآثر أن يجلس في مجلس العلم وقال:
« كل على خير، هؤلاء يقرأون القرآن ويدعون الله فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون، وانما بعثت معلما. »[2]

وأمرت السنة النبوية بنشر العلم واشاعته بين الناس، وذلك لادراكها الحكيم في أن نماء العلم واذكاءه وزيادته تكمن في نشره وتبليغه وتداوله، وأن خفوت جذوته وانطفاء نوره وضياعه يكمن في حفظه والبخل به ومنع نشره وتبليغه للناس أجمعين.

ولذلك فقد بشر رسول الله ﷺ ناشر العلم ومبلغه برضا الله تعالى وحسن جزائه.

* عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود يحدث عن أبيه قال: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
« نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع »[3]

---

(1) ابن عبد البر / جامع بيان العلم وفضله / جـ 1 / ص 98
(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 4 / ص 31 (رواه ابن ماجة عن ابن عمر)
(3) الترمذي / جـ 10 / ص 125 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجعل رسول الله ﷺ ثواب نشر العلم أفضل من ثواب الصدقات على جلالها.

* قال رسول الله ﷺ:
« ما تصدق الناس بصدقة أفضل من علم ينشر. »[1]

وتبليغ العلم يجب ان يكون للناس جميعا دون تمييز أو تفرقة، ولذلك فقد أنذر رسول الله ﷺ كل من كتم علماً عن سائل بالعذاب الأليم في الآخرة.

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

« من سئل عن علم ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار. »[2]

ولا نبالغ اذا ما قلنا ان السنة النبوية المطهرة بتركيزها على طلب العلم وفضله ودعوتها الى تبليغه ونشره، قد أكدت للعالمين انها دعوة الى ايمان أساسه العلم، والى عقيدة قوامها العرفان، والى دين عماده البرهان، وجمعت في ذلك بدون تعارض أو تناقض بين العقيدة والتشريع، والدين والدنيا، والتقدم الروحي والمادي ولم يجد اعداؤها بدا من أن يشهدوا لها بأنها سبقت في رفعها للواء العلم والمعرفة نظريات وفلسفات الفكر الانساني المعاصر.

ومن شواهد ذلك ما جاء في تعليق المسيو كازانوفا، أحد أساتذة الكوليج دي فرانس بباريس، على أقوال رسول الله ﷺ في شأن طلب العلم وتفضيله على العبادة، ومفاده:

« يعتقد الكثيرون منا ان المسلمين لا يستطيعون تمثل آرائنا وهضم أفكارنا، يعتقدون ذلك وينسون ان نبي الاسلام هو القائل بان فضل

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 4 / ص 33 (رواه الطبراني في الكبير عن سمرة)
(2) الترمذي / جـ 10 / ص 118 (وقال عنه: حديث حسن)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العلم خير من فضل العبادة. فأي رئيس ديني كبير، أو أي قس من القساوسة العظام كانت له الجرأة في أن يقول مثل هذا القول الفاصل المتين، هذا القول هو نفسه عنوان حياتنا الفكرية الحاضرة. »[1]

* عن أبي الدرداء، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله به طريقا من طرق الجنة، فان الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وان طالب العلم ليستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء. وان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم. وان العلماء هم ورثة الأنبياء، ان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظه، أو بحظ وافر. »[2]

ثالثا: فضل العلماء:

كرّمت السنة النبوية المطهرة العلماء وفضلتهم على من سواهم، ورفعتهم الى أعلى الدرجات وأرقى المقامات، وأرفع المراتب. وفي هذا تأكيد على عناية الدعوة المحمدية بالعلم وجعله أساس الايمان الصحيح وسند العقيدة الموقنة، وبذلك أبرزت دون غيرها من الشرائع ان العلم والايمان لا يتناقضان ولكنهما يتظافران ويسند أحدهما الآخر، فالايمان بدون علم قد يكون مبعثه التقليد بغير اقتناع، والعلم بدون ايمان قد يقود الى الضلالة والفساد والخواء الروحي والأخلاقي، ويصبح وسيلة مادية غاشمة مدمرة.

وهل هناك تشريف وتكريم وتعظيم للعلماء أجل وأرفع من أن يقرن الله عز وجل شهادتهم على ألوهيته ووحدانيته وقيامه بالقسط بشهادته وشهادة ملائكته الكرام.

---

(1) خليل ياسين / محمد عند علماء الغرب / ص 35

(2) سنن الدارمي / جـ 1 / ص 98

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى :

« شهد الله أنه لا اله الا هو، والملائكة، وأولوا العلم، قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم. »[1]

وقد تكفل الله عز وجل برفع درجات العلماء وتكريمهم.

قال تعالى :

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات. ﴾[2]

ولا يستوى عند الله تعالى العلماء بغيرهم.

قال تعالى :

﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. »[3]

وذلك لأن العلماء المؤمنين يعرفون الله حق المعرفة، ويخشونه حق الخشية.

قال تعالى :

﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾[4]

وجعل الله تعالى أهل العلم مراتب، كي تتكامل جهودهم العلمية، ويزكو العلم وتزدهر المعرفة بتلاقح آرائهم وأفكارهم وتلقيهم عن بعضهم بعضا.

قال تعالى :

﴿ .. وفوق كل ذي علم عليم. ﴾[5]

---

(1) آل عمران / 18
(2) المجادلة / 11
(3) الزمر / 9
(4) فاطر / 28
(5) يوسف / 76

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأورد رسول الله ﷺ في حديثه عن موسى والخضر عليهما السلام ان الخضر قال لموسى: « يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه لا أعلمه... »[1]

وليس من صفة العالم الحق ان يغتر بعلمه ويزهو به، فعلمه بالنسبة لعلم الله تعالى قليل بالغا ما بلغ.

قال تعالى:

﴿... وما أوتيتم من العلم الاّ قليلا.﴾[2]

* وقال رسول الله ﷺ في حديثه عن موسى والخضر عليهما السلام:

« ... فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر، فقال الخضر يا موسى: ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كنقرة هذا العصفور في البحر.. »[3]

وكذلك ليس من صفة العالم أن يماري بعلمه أو يباهي به أو يجعله وسيلة لاقبال الناس عليه.

* عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ:

« من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو ليماري به السفهاء أو يريد أن يقبل بوجوه الناس اليه أدخله الله جهنم. »[4]

والعلماء الأخيار هم دائما في أعلى مراتب الخير، كما ان العلماء الأشرار هم في أسوأ مدارك الشر.

* عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال، سأل رجل النبي ﷺ عن الشر. فقال: « لا تسألوني عن الشر واسألوني عن الخير. »يقولها : ثلاثا.

---

(1) البخاري / جـ 1 / ص 42
(2) الاسراء / 85
(3) البخاري / جـ 1 / ص 42
(4) سنن الدارمي / حـ 1 / ص 105, 104

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم قال « الا ان شر الشر شرار العلماء، وان خير الخير خيار العلما ء»[1]

ان رسولنا الأكرم ﷺ وهو يعلي من شأن العلماء، ويفضلهم على العابدين، ويجعلهم ورثة الأنبياء يؤكد جلال دورهم وخطورته في توجيه شؤون الحياة وبهجة الخير، وتطويرها بما يكفل الهداية والسعادة للبشرية قاطبة.

وقد كانت دعوته ﷺ دعوة ايمان وعلم، وعقيدة ومعرفة وعبادة وعمل، رسم بها معالم نهضة علمية رائعة في وقت كان فيه ظلام الجهل يخيم على العقول. وسواد الكفر يطمس القلوب، فاذا بالعقول والقلوب تستضيء بنور دعوة الايمان والعلم فتخلق حركة علمية مزدهرة قدمت للبشرية الجاهلة في مشارق الأرض ومضاربها أينع ثمار المعرفة النيرة والعقيدة السمحاء.

ولا عجب في ذلك فالدعوة المحمدية فاقت غيرها من الرسالات وسبقت النظريات التربوية الحديثة في اقرارها لمبادىء عظيمة خالدة تعتبر ركائز كل تقدم علمي مستمر لا تنطفىء شعلته، وهي :

1- العلم طريق الى الجنة.
2- العلم كالجهاد في سبيل الله تعالى.
3- العلم أفضل من الصدقات.
4- العالم أفضل من العابد.
5- العالم أعرف بالله تعالى وأشد خشية له من غيره.
6- العالم شهادته مقرونة بشهادة الله تعالى وشهادة ملائكته.
7- العالم وريث الأنبياء.

* عن أبي الدرداء قال، سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 104

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله به طريقا من طرق الجنة، فان الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم. وان طالب العلم ليستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء، وان فضل العالم كفضل القمر على سائر النجوم. وان العلماء هم ورثة الأنبياء. ان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظه، أو بحظ وافر. »[1]

رابعا: وسائل المعرفة

اختلف الفلاسفة والمفكرون المحدثون في تحديد وسائل المعرفة اليقينية Epistemology، وتشعبت أبحاثهم وتباينت مذاهبهم، بحيث يطول الحديث عنها بالتفصيل، الا انه يمكننا ان نتعرض بشكل موجز لأهم تلك المذاهب التي عالجت موضوع وسائل المعرفة، وهي مذهب الحسيين، ومذهب العقليين، ومذهب الحدسيين.

1- مذهب الحسيين: **Empirisism**

يرى اصحاب هذا المذهب ان الحواس وحدها هي وسيلة المعرفة، لأن الحواس في نظرهم هي واسطة اتصالنا بالعالم، ولولاها لكان العالم معدوما بالنسبة لنا، ويعتقدون أن الحواس وان كانت تخطىء أحيانا الا انها تدرك اخطاءها وتصححها بالتجربة. ويذهبون الى أن العقل يتأثر بالحواس لأنه لا يدرك الأشياء الا من خلالها، ولا تكون معرفة العقل يقينية الا بواسطة الحواس.

2- مذهب العقليين: **Rationalism**

يعتقد أصحاب هذا المذهب ان « العقل » هو وحده وسيلة المعرفة اليقينية، لأن العقل في رأيهم هو الذي يدرك الحقائق ويميزها ويمحصها بعد أن تأتيه عن طريق الحواس، فيقبل ما يراه صحيحا، ويرفض ما يراه

---

(1) سنن الدارمي / جـ 1 / ص 98

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

زائفاً، والعقل في هذا المذهب هو المسيطر على الحواس، وهو مصدر المعرفة الصحيحة، اذ أن الانسان ميز به عن الحيوان، كما ان حواس الانسان محدودة، ويشاركه فيها الحيوان، بل أن بعض الحيوان أرهف وأدق في بعض الحواس من الانسان، كالشم عند الكلاب، والبصر عند الطيور، والسمع عند الخفافيش ونحو ذلك.

3- مذهب الحدسيين : **Intuition**

يرى أصحاب المذهب الحدسي ان للعالم مظهرين: احدهما خارجي حسي يدرك بالبحث والملاحظة والتجربة،والثاني خفي نفسي لا يدرك الا من خلال الشعور والوجدان بالبديهة أو الحدس، ويذهب بعض الفلاسفة الى ان الحدس حاسة سادسة ندرك بها الأشياء عن بعد، ونعرف بها بعض الأمور الغيبية، وتمكننا من قراءة الأفكار، ويعرفها بعضهم وكأنها كشف شعوري عن بعد Telepathy بغير حاسة السمع أو البصر، ولكن بحاسة الحدس.

واذا ما نظرنا الى وسائل المعرفة في ضوء المضامين التربوية في السنة النبوية، لوجدناها لا تعارض اتخاذ الحس، أو العقل، أو الحدس في حد ذاتها كوسائل للمعرفة، ولكنها تعارض ما قد يذهب اليه أصحابها من شطط وفروض ظنية ومجادلات سفسطائية تعطل الانتاج الفكري السليم وتقود الى المهاترات الجدلية العقيمة التي تعرقل العقول والافهام عن بلوغ المعارف المفيدة، والأحكام الصائبة، والعلوم النافعة.

وقد جمعت السنة النبوية في منهجية واقعية بين الحواس والعقل والحدس كوسائل هامة للمعرفة اليقينية المستنيرة أساسا بما جاء في الوحي المنزل، القرآن الكريم، فيما يخص الأمور الغيبية التي لا تدركها العقول، ولا تنالها الحواس، ولا يحيط بها الحدس البشري، وكل ذلك حماية للعقول من مزالق الأوهام والظنون والضلالات، وهدايتها الى السبيل الرشيد في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تحصيل المعرفة الصالحة والعلوم النافعة للفرد وللبشرية بما يصلح دنياهم وأخراهم.

وقد جمعت السنة النبوية في منهجها العلمي الواقعي بين الحواس والعقل، والحدس كوسائل متكاملة للمعرفة الصالحة التي يمكن للانسان بلوغها بامكاناته وقدراته البشرية الفطرية والمكتسبة، بالاضافة الى ما زوده الله تعالى به من هدى وعلم ومعرفة يقينية في رسالاته المنزلة على رسله عليهم السلام الى ان ختمت بالرسالة الشاملة الكاملة الجامعة المهيمنة وهي « رسالة الاسلام » المنزلة على النبي والرسول الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ.

ونبين فيما يلي من الايضاح موقف السنة النبوية المطهرة من الحواس والعقل والحدس كوسائل للمعرفة.

1-الحواس:

تعتبر السنة النبوية الحواس من أهم وسائل المعرفة، وترى انها مكملة للعقل وليس بينهما تعارض أو انفصال كما يشتط الفلاسفة الحسيون والعقليون فيغلب أولهما الحواس وينكر العقل ويغلب ثانيهما العقل ويرفض الحواس.

ولا شك ان الرأي الصائب الذي تصدقه الشواهد والتجارب هو ما تذهب اليه السنة النبوية فالحواس واسطة تنقل المعارف الى العقل الذي يقوم بادراكها وتعقلها وخزنها في الذاكرة وتوظيفها وربطها بغيرها حتى يتكامل البناء المعرفي لدى الانسان، فلا غنى اذن عن أحدهما، بل لا بد من تكاملهما وانسجامهما.

وقد أكدت الرسالة المحمدية نعمة الله تعالى على خلقه « بالحواس » ولتأكيد تكاملها مع العقل حتى تتم عملية التعلم والتحصيل العلمي والمعرفي والادراكي جمع بينهما في العديد من آيات القرآن الكريم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى :

﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون. ﴾[1]

وفي هذه الآية نص صريح على أهمية الحواس، كالسمع والبصر وتكاملها مع الأفئدة وهي العقول، حتى يتعلم الانسان ويكتمل بناؤه المعرفي والعلمي.

وجعل الله عز وجل الانسان مسؤولاً عن استخدامه لوسائل المعرفة حسية كانت أم عقلية، وجمع بينها في آية واحدة لتأكيد هذه المسؤولة بما يبرز تكامل الحواس والعقل.

قال تعالى :

﴿ ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا. ﴾[2]

ومن أهم دعائم المعرفة تحصيلا ونقلا والتي نأخذها دليلا على اهتمام السنة النبوية بالحواس كوسيلة للمعرفة هي دعامة السماع، فعن طريق السماع يتلقى الجيل الجديد العلوم والمعارف والخبرات والتجارب المفيدة له في حياته الشخصية والعامة، وبالسماع والنقل والتلقي والتعلم والتحصيل تتجدد المعرفة البشرية وتزدهر وتتكامل حتى يعم خيرها كافة الأجيال المتعاقبة، وليست المعرفة البشرية الا « بناء متكاملا » متكونا من اللبنات التي يساهم فيها البشر، كل بنصيبه الممكن ووفق قدراته وامكاناته، منذ أن خلق الله عز وجل الحياة الى أن تقوم الساعة ومن مسؤولية البشر أمام خالقهم أن ينقلوا معارفهم وعلومهم الى بعضهم بعضا من جيل الى جيل، ولا يزال السماع حتى في مناهج تربيتنا ونظامنا التعليمي المعاصر من أهم وسائل التعليم والتعلم وتحصيل العلوم

---

(1) النحل / 78

(2) الاسراء / 36

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمعارف والتجارب والخبرات، ولم تترك السنة النبوية دعامة « السماع » بدون قيود بل وضعت لها قواعد وشروط دقيقة ورشيدة حتى تؤتي ثمارها اليانعة، وتتجنب الانحراف والزيغ والضلالة.

وفيما يلي نبين اهم تلك القواعد والشروط التي ترى السنة النبوية ضرورة توفرها في « السماع كوسيلة حسية من أهم وسائل المعرفة.

أ ـ وجوب نقل العلوم والمعارف والخبرات والتجارب من أهل العلم والدراية والخبرة والتجربة الى غيرهم من المتعلمين ومن يطلبها ويحتاج اليها فالعلم والمعرفة ليست ملكا شخصيا محتكرا، ولكنها ملك مشاع للجميع لأنها من هداية الله تعالى والهامه وتوفيقه، لا بد أن تنقل من العالم الى المتعلم.

والعالم يؤجر على نقله العلوم والمعارف الى غيره.

عن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
« نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه. »[1]

والعالم الذي يمتنع عن تعليم غيره يحاسب حسابا عسيرا.

* عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ:
« من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة »[2]

ب ـ تحرى الأمانة التامة، والدقة الكاملة في نقل المعارف والمعلومات الصحيحة الواضحة، أي بدون تحريف وايهام أو لبس وتدليس، ولا زيادة ونقصان.

وكل من حرف أو ضلل أو كذب فانه يتحمل مسئولية كبيرة جزاؤها

---

(1) سنن أبي داود / حـ 3 / ص 360، 361
(2) نفس المصدر السابق / ص 360

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العذاب الأليم.

* عن أنس بن مالك انه قال: انه ليمنعني ان احدثكم حديثا كثيرا ان رسول الله ﷺ قال:
« من تعمد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار. »[1]

ولا بد أن يتجنب العالم نقل ما يشك في صحته، أو ما لا تتوفر فيه شروط الدقة والصحة، حتى لا يقع ولو بدون قصد في تضليل الآخرين وايهامهم، فيبوء بذنبه وذنب سامعيه والناقلين عنه.

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
« كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع. »[2]

جـ - تجنب المراء والجدل العقيم، والافتراضات الظنية التي تؤدي الى تضييع الوقت والجهد في غير طائل، وتضلل العقول وتثير المشاحنات والخلافات والعناد وهو ما يسيء الى عملية التربية والتعليم، ويعيق النهضة العلمية، ويعرقل تقدم المعرفة الانسانية.

* عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

« من ترك الكذب وهو باطل بني له في ربض الجنة. ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسطها، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها. »[3]

* وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:
« لا تمار أخاك ولا تمازحه، ولا تعده موعدة فتخلفه. »[4]

د - حسن الاستجابة والتقبل للمعارف والمعلومات الصحيحة المقترنة

---

(1) مسلم / جـ 1 / ص 7
(2) نفس المصدر السابق / ص 8
(3) الترمذي / جـ 8/ ص 159 (وقال عنه: حديث حسن)
(4) نفس المصدر السابق / ص 161،160 (وقال عنه: حديث حسن غريب)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالمنطق والدليل والبرهان والحجة، وتجنب العناد والتعنت والمغالاة وتجاوز الحدود في المناقشة غير المفيدة التي تقود الى الجهل والضلال.

* عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

« هلك المتنطعون. » قالها ثلاثا.[1]

هـ - تلقي العلوم والمعارف النافعة التي تساعد الانسان على إصلاح شؤونه وتهديه سبيل الرشاد في دينه ودنياه، وترك ما لا فائدة فيه من أبحاث ودراسات، وخاصة المتعلقة بالأمور الغيبية التي لا يحيط بها عقل الانسان ولا تطولها حواسه، وهي من علم الله تعالى وحده.

* عن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم الا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول:

« اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، **اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع**، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها. »[2]

و - مراعاة التمييز العقلي السليم والنقد المنطقي الدقيق، في انتقاء ما يصلح ويفيد من المعلومات والمعارف والخبرات التي يتلقاها الانسان ويسمعها مهما كان مصدرها، فالعلوم والمعرفة ليس لها موطن معين ولا تقتصر على شخص معين، ومعيار أخذها يقوم دائما على صحتها وفائدتها. وعدم تعارضها مع العقيدة أو الأخلاق.

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

« الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، حيثما وجدها، فهو أحق بها. »[3]

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 58

(2) مسلم / جـ 8 / ص 82,81

(3) ابن ماجة / جـ 2/ ص 1395

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال تعالى:

﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب. ﴾[1]

ز ـ مراعاة تلقي العلوم والمعارف والخبرات والتجارب من العلماء الصالحين والأخيار والأكفاء، كلّما كان ذلك ممكنا، اذ انهم مصدر العلم والمعرفة بالنسبة للمتعلم ولا بد أن تتوفر فيهم شروط الكفاءة والأهلية، والصفات الحميدة والأخلاق الكريمة، فهم منارة للعلم النافع وقدوة في الخلق القويم اذا كانوا أخيارا.

قال تعالى:

﴿ فسئل به خبيرا. ﴾[2]

وقال عزّ وجلّ: ﴿ فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون. ﴾[3]

* وعن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال: سأل رجل النبي ﷺ عن الشر. فقال: (لا تسألوني عن الشر واسألوني عن الخير) يقولها ثلاثا. ثم قال: « ألا ان شر الشر شرار العلماء. وان خير الخير خيار العلماء »[4]

2- العقل:

يعتبر العقل أساس المعرفة البشرية، ووعائها ووسيلة ادراكها وتنظيمها وترتيبها وخزنها وتوظيفها، وبدونه لا يمكن أن تحصل المعرفة ولا أن يقوم العلم، ولا أن تتم عملية التعلم والتعليم.

وقد كرّم الله عز وجل الانسان بالعقل، وميزه به عن سائر المخلوقات، وجعله به خليفة له على أرضه يدرك مسؤولياته وتبعاته ويقوم.

---

(1) الزمر / 18,17
(2) الفرقان / 59
(3) الأنبياء / 7
(4) سنن الدارمي / جـ 1/ ص 104

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بها على الوجه الأمثل اذا هدي الى الصراط المستقيم .

والمعجزة الأساسية للرسول الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ هي معجزة عقلية باقية ما بقي البشر، تخاطب عقولهم وتحاكمها بالحجة والدليل والبرهان العقلي والمنطقي والعلمي .

ولذلك فان أول كلمة أوحى الله عز وجل بها، عن طريق الروح الأمين، الى خاتم الأنبياء والرسل هي كلمة « اقرأ » لتعلن على العالمين أن الفرقان جاء مخاطبا « للعقل » البشري، يقيم عليه الحجة بما جعله الله تعالى قادرا على ادراكه وفهمه ومعرفته دون لبس أو غموض، الا اذا أنكر بجحود أو ضلالة أو غفلة .

والسنة النبوية المطهرة، وهي سنة تجمع بين المثالية والواقعية والروحية والمادية، يمتزج فيها الادراك العقلي باليقين الايماني، ترى انه لا بد من مراعاة عدة شروط وضوابط تكفل « للعقل » حسن الادراك والفهم والمعرفة وتحصيل العلوم الصحيحة النافعة، نذكر أهمها فيما يلي :

أ ـ تحرر العقل من قيود المؤثرات السابقة، ومن أغلال التقليد الأعمى المتوارث، والانسياق وراء الآخرين دون وعي أو تمييز، حتى يمكنه ان ينطلق في البحث المنهجي النقدي السليم في تحصيل المعارف والعلوم، وكسب الخبرات والتجارب الصحيحة .

قال تعالى :

﴿ واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أولو كان آباؤ هم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون . ﴾[1]

* عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تكونوا امّعة تقولون ان أحسن الناس أحسنا، وان ظلموا

---

(1) البقرة / 170

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ظلمنا، ولكن وطّنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤا فلا تظلموا. »[1]

ب ـ استثمار العقل في الادراك السليم، والاقتناع المنطقي، ودعم الايمان بالحجة والدليل والبرهان، وتجنب اقحام العقل فيما لا يدركه ولا يحيط به من أمور الغيب حتى لا يضيع جهد الانسان ووقته سدى.

قال تعالى:

﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها. ﴾[2]

وقال عزّ وجلّ:

﴿ والذين اذا ذكّروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صماً وعمياناً »[3]

* وقال رسول الله ﷺ:

« تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره »[4]

ج ـ الاحساس بالمسؤولية الكاملة في استعمال نعمة العقل الربانية بحقها وفي وجهها الصحيح، فلا تستغل الا في الخير والصلاح والهداية، وتوقي الضرر والفساد والغواية، فهي مكرمة للانسان دون غيره من المخلوقات وحجة له وعليه في آن واحد.

قال تعالى:

﴿ ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا. ﴾[5]

* وقال رسول الله ﷺ:

---

(1) الترمذي / جـ 8/ ص 170 (وقال عنه: حديث حسن غريب)
(2) محمد / 24
(3) الفرقان/ 73
(4) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1/ ص 155 (رواه ابو الشيخ عن ابن عباس)
(5) الاسراء / 36

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« عودوا قلوبكم الترقب واكثروا التفكر والاعتبار »[3]

د ـ تسخير العقل بصورة مستمرة في طلب العلوم والمعارف النافعة وكسب المهارات والخبرات اللازمة التي تفيد الانسان في حياته.

* عن أبي هريرة قال: كان من دعاء النبي ﷺ:
« اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن دعاء لا يسمع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع »

قال تعالى:
﴿ وقل رب زدني علما ﴾

والعقل هو وسيلة كسب العلم وازكائه وتنميته وهو وعاؤه الحافظ له والقادر على توظيفه والاستفادة به في شتى مجالات الحياة.

مكانة العقل في السنة النبوية

جاءت الدعوة المحمدية مخاطبة للعقل موجهة اليه متخذة منه حجة على « الانسان » وكل القضايا والأحكام التي تضمنتها الدعوة المحمدية « معقولة » بحيث يستطيع العقل ان يجد البراهين والأدلة والحجج على صحتها وسلامتها وفائدتها للانسان في حياته الفردية والاجتماعية واقامتها على دعائم الايمان والخير والفضيلة والعدالة.

ولا نغالي اذا ما قلنا ان الدعوة المحمدية دعوة « عقلية » لأنها تعلي شأن العقل وتجله وتحث على استعماله في التفكر والتدبر والتبصر، والنظر في ملكوت السموات والأرض، والتعمق في البحث والدراسة والاستقصاء بغية الوصول الى أسرار الكون، وادراك حقائق الأشياء، بما يقوي الايمان

---

(3) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 155 (رواه الديلمي في الفردوس عن الحكيم بن عمير).
(4) ابن ماجة / جـ 1 / ص 92
(5) طه / 114

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويرسخ العقيدة لدى الانسان ويصلح من شأنه كله في دينه ودنياه.

وتعتبر السنة النبوية العقل أساس التكليف والاختيار والتمييز، ولم تمارس عليه أي جبر أو قهر أو اكراه، ولم نجد دعوة من الدعوات أو نظرية من النظريات تعلي من شأن العقل وتمجده كما تجله وتمجده الدعوة المحمدية الخاتمة.

وسنبين فيما يلي أهم مظاهر اهتمام السنة النبوية « بالعقل » واعلاء شأنه واجلاله وهي: تمجيد العقل، وأهمية التفكير، واعمال الرأي والاجتهاد.

أولا: تمجيد العقل:

القرآن الكريم الكتاب المنزل على سيدنا محمد ﷺ، يمجد العقل ويكرمه ويرفعه الى أعلى المقامات، ويدعو الى تنميته وازكائه وتصريفه في خير البشرية دنيا ودينا، بشكل لم يعهد في كتاب سماوي سواه، حتى انه تكرر لفظ العقل ومترادفاته ومشتقاته في آياته الكريمة أكثر من ثلاثمائة مرة، وذلك مثل قول الله تعالى:

﴿ ويريكم آياته لعلكم تعقلون. ﴾[1]

وقوله عز وجل:

﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون »[2]

وقوله تعالى:

﴿ انّما يتذكر أولوا الألباب. ﴾[3]

وقوله عز وجل:

« ومن يؤمن بالله يهد قلبه. »[4]

---

(1) البقرة / 73

(2) العنكبوت / 43

(3) الرعد / 19

(4) التغابن / 11

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونحو ذلك من الآيات التي تشير الى العمليات العقلية كالتدبير والتبصر والتفكر والنظر والاعتبار والتأمل والاستقراء والقياس والادراك والتحليل وغيرها، كما استعمل في القرآن الكريم لفظ الفؤاد والقلب مرادفا للعقل.

ومن أهم وأبرز مظاهر اجلال الدعوة المحمدية للعقل عدم قهره على الايمان واكراهه على العقيدة دون اقتناع ومنهج يستند على الدليل والبرهان والحجة المستقاة منه.

وقد أبانت له طريق الايمان والكفر وبينت له جزاء اتباعهما وتركت له حرية الاختيار بين الهداية والضلالة، والحق والباطل والجنة والنار، واقامت عليه الحجة بما أودعه الله فيه من قدرة على الاختيار والارادة والادراك والفهم والتمييز، فان آمن فالى النجاة والخير والهداية، وان كفر فالى التردي والشر والضلالة.

قال تعالى:

﴿ لا اكراه في الدين. ﴾[1]

وقال عز وجل:

﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.. ﴾[2]

وقال تعالى:

﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين... »[3]

وفي هذه الآيات الكريمة توجيه للرسول الأكرم ﷺ بعدم اكراه العقول على الايمان، بل تذكيرها ودعوتها بالحكمة والموعظة والحسنة، حتى

---

(1) البقرة / 256
(2) الكهف / 29
(3) يونس / 99

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تتفكر وتتأمل وتتدبر وتؤمن عن اقتناع كامل بالدليل المنطقي والبرهان العقلي.

قال تعالى:

﴿ فذكر انما انت مذكر. لست عليهم بمصيطر. ﴾[1]

وبهذا يتضح ان الدعوة المحمدية تنظر الى العقل باعتباره ميزانا للحق والباطل، وتترك له حرية الاختيار المبني على التقدير والفهم والقناعة والتمييز والموازنة، ثم تحمله مسؤولية اختياره ان خيرا فخير وان شر فشر، وهو أمر يقره المنطق السليم.

قال تعالى:

﴿ وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه. ﴾[2]

ولا شك ان تقرير الدعوة المحمدية لحرية العقيدة ومسؤولية الانسان عن اختياره وارادته، يعد تكريما للعقل، واعلاء لقيمته وتمجيدا لشأنه.

ومن أهم مظاهر تمجيد الدعوة المحمدية للعقل حثها على تنميته، واذكاء قدراته واستعداداته بطلب العلم وتحصيله المستمر ما أمكن السبيل، ولا غرو فإنما العقل وعاء العلم ووسيلة حفظه وازدهاره.

وهناك العديد من آي الذكر الحكيم التي تدعو العقل الى كسب العلم، ليس لفائدة الانسان في استغلاله في صنع حياة سعيدة فحسب، ولكن ايضا لكونه طريقا موصلا الى الايمان الصحيح بالله عز وجل وحسن طاعته وخشيته واستخلافه على الأرض.

قال تعالى:

﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[3]

---

(1) الغاشية / 21 و22
(2) الاسراء / 13
(3) فاطر/28

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال :

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾[1]

وفي حث القرآن الكريم على تعلم القراءة والكتابة كمدخل اساسي وحيد للمعرفة والعلم والحكمة ، وبدء نزول الوحي بكلمة (إقرأ) وإقرانها في التعلم (بالقلم) دعوة للعقل البشري الى الأخذ بأسباب العلوم والمعارف كطريق الى الايمان بخالق الكون والاقرار بوجوده ، وكسبيل الى النظر في الكون وفهمه وتسخيره لمصلحته .

ولكي لا يتوقف نمو « العقل » عند حد ويزداد نهلا من ينابيع العلم والمعرفة غير المحدودة فقد بيّن القرآن الكريم « للعقل » ان علمه قليل بالقياس الى علم الله عز وجل ، وعليه ألّا يغتر ويدعي بلوغ العلم المطلق والاحاطة بكل الحقائق ، مهما كانت الدرجة التي بلغها من العلم .

قال تعالى :

﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾[2]

وهذه النسبية في العلم الانساني أكبر حافز تربوي للعقل البشري على الاستمرار في طلب العلم والحكمة والترقي في مدارجهما وتطوير وسائله وحسن استثماره لقواه واستعداداته وقدراته وتنميتها وشحذها والبلوغ بها الى أقصى حد ممكن من الجودة والاتقان والعطاء الزاخر الذي يسهم في صنع الحضارة والنهضة والتقدم الانساني .

وهكذا نلمس تمجيد السنة النبوية المطهرة « للعقل » واعلائها لشأنه ، وجعله سندا للايمان ، وأساسا للعقيدة وهو حجتها الساطعة وبرهانها القاطع ودليلها الوضاء ، وذلك لأن القرآن الكريم المنزّل على الرسول

---

(1) المجادلة / 11

(2) الاسراء/85

الخاتم محمد ﷺ معجزة عقلية باقية خالدة ، تتميز عن غيرها من المعجزات الحسية التي نزلت على الأنبياء والرسل السابقين والتي لم يدم تأثيرها لأنه لا يؤمن بها إلا من حضرها وهو مشدوه بها مستغربا لخلافها للمألوف ، وان كان غير مقتنع بهااقتناعا عقليا تاما لأنها من الخوارق التي تتجاوز تصوراته ومفاهيمه وتفارق عقله ومنطقه .

إن القرآن الكريم معجزة العقل الذي يمكنه الايمان بربه والاقتناع بوجوده بتأمله وتدبّره وتفكره في آياته التي لا تحصى في كونه ومخلوقاته .

قال تعالى :

﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾[1]

وقال عزّ وجلّ :

﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها . .﴾[2]

ثانيا : أهمية التفكير :

من اهم وظائف العقل البشري : التفكير والتأمل والنظر . واذا تعطلت هذه الوظائف تعطل نشاط العقل ونموه وقدرته على العطاء ويتبع ذلك توقف النشاط البشري وجموده بل وفناؤ ه .

والتفكير هو وسيلة العقل في فهم قوانين الحياة وعلل الكون وسنن الله تعالى في خلقه ، ولولا التفكير ما تطورت البشرية ونهضت منذ فجر حياتها الأولى .

وليس من قبيل المغالاة ان نؤكد ان التفكير العميق المبدع هو اساس المدنية البشرية ورفاهيتها ونهضتها وتقدمها .

---

(1) آل عمران/190

(2) الحج/46

وقد حرصت الدعوة المحمدية على تمكين العقل البشري من التحرر من قيوده ، ونقض ما ران عليه من تراكمات التقليد الأعمى والتبعية للمؤثرات السلفية ، والاستيقاظ من سباته ، وازاحة حجب الغفلة والضلالة عنه ، ودعته الى النظر والتأمل والتفكير الواعي المتدبر في شؤون الكون بما يصلح للبشرية حياتها الدنيوية ويهديها الى الصراط المستقيم .

ولنراجع بعض الشواهد التي تبرز اهتمام الدعوة المحمدية « بالتفكير » فيما نزل على سيدنا محمد ﷺ من آيات بينات .

قال تعالى :

﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض. . . ﴾[1]

وقال :

﴿قل إنما أعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا﴾[2]

وقال عز وجل

﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾[3]

ودعا رسول الله ﷺ الى التفكير الواعي المتبصر بما يقوّي العقيدة ، ويرسخ الايمان ، ويهدي المسلم الى سواء السبيل في الدين والدنيا .

* قال رسول الله ﷺ :

« عودوا قلوبكم الترقب واكثروا التفكر والاعتبار »[4]

وفي هذا الحديث حث على عملية التفكير الدقيق الممحص الذي

---

(1) يونس/101

(2) سبأ/46

(3) آل عمران/191

(4) المتقى/منتخب كنز العمال/جـ1 /ص155 (رواه الديلمي في الفردوس عن الحكم بن عمير)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يستطيع ان يميز به الانسان الأمورالدينية والدنيوية : صالحها وطالحها حقها وباطلها ، خيرها وشرها ، حسنها وقبيحها ، نافعها وضارها .

* وقال رسول الله ﷺ :

« فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة »[1]

وفي هذا الحديث تشريف لعملية التفكير ، وتعظيم لشأنها ، حتى أنه جعل فكر ساعة خيرا من عبادة ستين سنة ، ولا عجب فالتفكير المتبصر في حد ذاته عبادة لأنه يقود الى الايمان بالله تعالى وخشيته ومراعاة حدوده وحسن طاعته واتباع أوامره واجتناب نواهيه .

وعملية التفكير هي أساس التدبر ، والتدبر هو أساس الاقتناع بالحجة والدليل والبرهان ، والاقتناع هو أساس الايمان الصحيح والسلامة في الدارين .

قال تعالى :

﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[2]

وحذرت الدعوة المحمدية من تعطيل العقل عن التفكير لأنه يتدنى بالانسان الى مرتبة السوائم ، ويقيم الحجة على نفسه ، فقد اعطاه الله تعالى الارادة والاختيار وحمّله المسؤولية في تنمية تفكيره وتسخيره في ما يصلح دينه ودنياه ، وهو محاسب على تعطيله او استغلاله : في الخير أو الشر ، وفي سبل الهداية أو الضلال .

قال تعالى :

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون﴾[3]

---

(1) نفس المصدر السابق/ص156,155 (رواه أبو الشيخ عن أبي هريرة)
(2) محمد/24 (3) الأعراف/179

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وما تحنّث رسول الله ﷺ قبل نزول الوحي في غار حراء إلّا أروع الأمثال على اعمال التفكير والنظر والتأمل والتدبر في ملكوت الله عز وجل ، وما الحجج والبراهين والأدلة المقنعة التي كان يسوقها رسول الله ﷺ في دعوته إلا نتيجة لايمان يقيني راسخ بربه تعالى عن اقتناع عقلي قائم على تفكير واع وتبصر نافذ وتدبّر حصيف .

والسنة النبوية في اعلائها لشأن التفكير العقلي دعت الى نبذ التقليد لأنه يمنع الفكر عن التفتح ويحد من انطلاقه ، ويشل إدراكه لجواهر الأشياء ، ويحجب رؤ يته لحقائق الأمور .

وقد ندد الرسول ﷺ في ما كان يتلوه من آيات الذكر الحكيم « بالمقلّدين » الذين ينساقون وراء غيرهم ، بدون روية ، ويقلدونهم في معتقداتهم واتجاهاتهم دون تبصر ووعي ويرفضون كل جديد ولو كان أهدى لعقولهم وأطهر لنفوسهم وانفع لهم في حياتهم الدنيوية والأخروية .

قال تعالى :

﴿واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤ هم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾[1]

وقال عز وجل :

﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنّا وجدنا آباءنا على أمّة وإنا على آثارهم مقتدون﴾[2]

ووصف رسول الله ﷺ المقلّد الذي يعطل « تفكيره » بالأمّعة المسلوب الارادة المتّبع للناس بانسياق أعمى ، في إحسانهم واساءتهم دون إدراك واع وتمييز دقيق بين الهدى والضلالة والحق والباطل ، والخير والشر ، والعدل والظلم ، والحسن والقبيح .

---

(1) البقرة/170
(2) الزخرف/23

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ :

« لا تكونوا امّعة تقولون أن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا فلا تظلموا »[1]

وأثنى الله عز وجل على الذين يعملون الفكر ، فيميّزون بين الأشياء بعد البحث والتدقيق والتمحيص ، ويعرفون الأمور على حقيقتها ، فيأخذون الأحسن والأفضل ، ويتركون ما عداه .

قال تعالى :

﴿فبشّر عباد . الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾[2]

ولم تحجر السنة النبوية على الانسان أن يعمل فكره في أي ميدان، بل دعته الى التفكير في كل شيء عدا ذات الله تعالى لأنها فوق ادراكه ويستحيل عليه الاحاطة بها صونا لجهوده من أن تهدر فيما لا طائل له من ورائه.

وقد دعا الرسول ﷺ الناس كافة، طبقا لما أنزل عليه من الوحي القرآني، الى التفكير والتأمل والنظر في خلق الله، وفي السموات والأرض، وفي أنفسهم، حتى يعرفوا الحقائق والأسباب والمسببات والسنن التي تحكم المخلوقات وظواهر الكون وما فيها من خصائص وتراكيب وامكانيات وطاقات، وذلك بغية تسخيرها لخير البشرية قاطبة وتحقيق سعادتها ورفاهيتها وصنع تقدمها ونهضتها.

قال تعالى:

﴿ فلينظر الانسان مما خلق خلق من ماء دافق. يخرج من بين

---

(1) الترمذي/جـ8 /ص170 (وقال عنه : حديث حسن غريب)
(2) الزمر/18,17

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصلب والترائب . ﴾[1]

وقال تعالى :

﴿وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون .﴾[2]

وقال عز وجل :

﴿كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة . . . ﴾[3]

وقال عز وجل :

﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب :ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصّل الآيات لقوم يعلمون﴾[4]

وقال تعالى :

﴿ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع النّاس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبثّ فيها من كلّ دابة وتصريف الرياح والسحاب المسّخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون . ﴾[5]

وحثّ رسول الله ﷺ في أحاديثه الشريفة وتوجيهاته التربوية على التفكير في كل شيء في هذا الكون الفسيح ، حتى يكون ايمان المسلم ثابتاً وراسخاً عن يقين وقناعة ، وحتى يسهم بوعي وفاعلية في عمارة الأرض ،

---

(1) الطارق/5 : 7

(2) الذاريات/12,20

(3) البقرة/220,219

(4) يونس/5

(5) البقرة/164

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتطوير الحياة نحو الأفضل .

* قال رسول الله ﷺ :

« تفكّروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنّكم لا تقدرون قدره . »[1]

وفي هذا الحديث تأكيد قاطع على أهمية التفكير الرشيد المستنير في ترسيخ دعائم العقيدة ومعرفة الآخرة ، وفهم ظواهر الكون وسننه وقوانينه لاستثمارها فيما يفيد البشر في حياتهم الدنيا .

وبتلك الشواهد يتبينّ لنا أن السنة المحمدية تكرّم الانسان ، وتمجد عقله وتدعوه الى النظر والتأمل والتفكير الواعي المستنير ، ولا تكرهه على شيء مطلقاً حتى يكون مسؤ ولا بحق مسؤ ولية تامة تقترن بالارادة والحرية والاختيار أمام ربه عز وجل عن استخلافه في الأرض ، ومواقفه تجاه نفسه وبني جلدته وسائر المخلوقات في هذا الكون ، ودوره في عمارته والانتفاع بخباياه وامكانياته .

وليس أمام مناهجنا ونظمنا التعليمية والتربوية إلاّ العودة الى منابع السنة النبويةالمطهرة ، سنة العقل الرشيد والخلق القويم ، لتنهل من معينها المتدفق العذب الدائم ، اذا ما أرادت ان تحقق أهدافها الايجابية في خلق الانسان الصالح والمجتمع الفاضل ، وان تقيم حياتها على اسس الهدى والخير والعدل والفضيلة .

ثالثاً : اعمال الرأي والاجتهاد :

من أهم وظائف « العقل » الناضج وآثاره : الاجتهاد في فهم حقائق الامور واستنتاج أحكامها ومعرفة أسبابها ومسبباتها واستنباط النتائج من مقدماتها ، وابداء الآراء الوجيهة المبنية على حسن التدبر والتفكير والتعقل

---

(1) المتقى/منتخب كنز العمال/جـ1 /ص155 (رواه ابو الشيخ عن ابن عباس)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بما يصلح شؤون الفرد والجماعة في شتى مجالات الحياة .

وبالاجتهاد العقلي تزدهر العلوم ، وترقى المعارف ، وتصنع الحضارة والتقدم ، ولو قفل باب الاجتهاد وابداء الآراء الصائبة لتعطلت العقول ، وشلّ التفكير وجمدت الحياة ، وانقرض التطور .

وفتح باب الاجتهاد واعمال الرأي على مصراعيه أمام الناس الأكفاء المؤهلين له جميعاً هو من أبرز مظاهر العناية بتنمية عقولهم واحترام فكرهم وصون حريتهم واختيارهم ، واقرار مسؤوليتهم في حمل أمانة الاستخلاف بحقها .

والتربية البناءة هي التي تتيح للعقل فرص النمو والنضج والعطاء وتشجعه باستمرار على البوح بمكنوناته وخباياه والتعبير عمّا يعج به من أفكار وآراء قد يكون لها أكبر الفوائد للبشرية ، وإذا ما جانبه التوفيق فلا تقهره وتكبته وتقفل في وجهه باب الاجتهاد وإنّما توجهه ، برشد وعناية وصبر الى ما يكفل له السداد والصواب .

ومن مزايا السنة النبوية الشريفة على غيرها من السنن والشرائع والفلسفات أنهافتحت الباب على مصراعيه في وجه الاجتهاد العقلي بل جعلت للمخطىء أجراً على اجتهاده ، وذلك تشجيعاً منها على مداومة الاجتهاد وابداء الآراء وان كانت خاطئة ، فالخطأ يقود الى الصواب .

ولم نجد سنة من السنن أو حتى نظرية من النظريات الحديثة تجزي المجتهد على خطأه كالسنة النبوية ، نعم قد تجازيه على اصابته ولكنها لا تكافؤه على الخطأ ان لم تعاقبه عليه .

ان اشراك المخطىء في الثواب مع المصيب وان قلّ عنه أمر تفردت به السنة النبوية عن سواها ، وهو ما يقطع بسبقها الفريد لغيرها من السنن والشرائع والنظريات في اعلاء شأن الفكر وتمجيد العقل وتكريم الاجتهاد وابداء الرأي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله أجر . »[1]

وقد ضرب رسول الله ﷺ لنا المثل في اجتهاداته في بيان الأحكام الواردة في القرآن الكريم بتبيين المجمل ، وتقييد المطلق وتخصيص العام ، والاجتهاد فيما لم ينزل فيه نص قرآني :

وذلك مثل : تحريمه بالرضاعة ما يحرم بالنسب ، وغيره من احكام الرضاعة .

* عن عروة عن عائشة أنها أخبرته أن عمّها من الرّضاعة يسمّى أفلح استأذن عليها فحجبته ، فأخبرت رسول الله ﷺ فقال لها :

« لا تحتجبي منه فانه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النّسب »[2]

كما أن رسول الله ﷺ مارس اجتهادات مطلقة في ميادين مختلفة استعمل فيها عقله ، واستشار فيها أصحابه ، واختار من آرائهم ما رآه محققاً للمصلحة ودافعاً للمضرة .

واذا كان رسول الله ﷺ قد أخطأ في بعض اجتهاداته وآرائه فيما لا يتعلق بتبيين بوحي الله عز وجل ، فإنما في ذلك حكمة الهية بالغة جعلها الله تعالى على يد رسوله ﷺ الذي يصدق عليه ما يصدق على البشر ، وما كان إلّا بشراً رسولاً ، حتى يكون قدوة تربوية مثلى يستهدى بها اتباعه جيلاً بعد جيل في فتح باب الاجتهاد وابداء الرأي « للعقول » بصفة دائمة حتى تنمو وتنضج وتزكو وتؤتي ثمارها اليانعة كل حين ، ولا يقفل في وجهها الباب لكونها أخطأت بعض المرات أو يخنق تفكيرها لكونها جانبت الصواب بعض الأحيان ، ولكن توّجه وترشد وتمكّن دوماً من

---

(1) البخاري / جـ9 / ص 133
(2) مسلم / جـ4 / ص 164

التفاعل والنشاط والحركة والنضج والعطاءالمستمر .

وها هو رسول الله ﷺ يجتهد في شأن اسرى بدر ، فيميل الى رأي أبي بكر الصديق رضي الله عنه بأخذ الفداء ، ولا يوافق على رأي عمر رضي الله عنه في ضرب اعناق أئمة الكفر ، فينزل الوحي معاتبا لرسول الله ﷺ مؤيداً لرأي الفاروق .

انه نعم المثال الرائع على الاجتهاد وابداء الرأي واحترام العقل والتفكير يضربه لنا الرسول الأكرم ﷺ لنستوعب أبعاده ، ونتمثّل مراميه ، ونستهدي به في مناهجنا التربوية والتعليمية في تنشئة اجيالنا الجديدة .

* عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب : فلمّا أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : « ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟ » فقال أبو بكر : يا نبيّ الله هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوّة على الكفار فعسى الله أن يهديهم الى الاسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « ما ترى يا ابن الخطاب ؟ » قلت: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكنّي أرى أن تمكّنا فنضرب اعناقهم ، فتمكّن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكّني من فلان (نسيبا لعمر) فأضرب عنقه ، فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت ، فلما كان الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان ، قلت : يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما . فقال رسول الله ﷺ : « أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض عليّ عذابهم ادنى من هذه الشجرة » (شجرة قريبة من نبي الله ﷺ) وأنزل الله عز وجل : ما كان لنبي أن يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً ، فأحل الله الغنيمة لهم .[1]

---

(1) مسلم / جـ5 / ص 158,157

قال تعالى :

﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما اخذتم عذاب عظيم . فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم .﴾[1]

وها هو رسول الله ﷺ يجتهد في اختيار المكان المناسب لجيشه في معركة بدر ، فيخالفه الصحابي الحباب بن المنذر الرأي، فتبدو له صحة ما ذهب اليه الحباب فينزل عن رأيه ويأخذ بما أشار به الحباب رضي الله عنه .

* قال الحباب بن المنذر : يا رسول الله ان هذا المكان الذي أنت به ليس بمنزل ، انطلق بنا الى ادنى ماء الى القوم ، فاني عالم بها وبقلبها ، بها قليب قد عرفت عذوبة مائه لا ينزح ، ثم نبني عليه حوضا فنشرب ونقاتل ونعوّر ما سواه من القلب . فنزل جبريل على رسول الله ﷺ فقال : الرأي ما أشار به الحباب .[2]

وليس أروع من هذا الحديث كدليل على اهتمام السنة النبوية المطهرة بالاجتهاد العقلي واحترام الآراء والأفكار واتاحة الفرص لابدائها في شتى الميادين ، بل فيه اشارة الى التوجيه الرباني في هذا الشأن ، فهذا الروح الأمين جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله مؤيداً لاجتهاد الحباب مؤكداً صحةرأيه في إختيار منزل جيش الايمان في معركة بدر الكبرى .

وقد كان رسول الله ﷺ يشجّع الصحابة دوماً على الاجتهاد وابداء الرأي في مختلف المجالات، ويقبل اجتهاداتهم الرشيدة ، وآراءهم الصائبة .

---

(1) الانفال/67 : 69

(2) ابن سعد/جـ2 /ص 15

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن ذلك قبوله ﷺ لاجتهاد عمر بن الخطاب في حجب امهات المؤمنين رضي الله عنهن الذي صدقه الله عز وجل في وحيه المنزل .

* عن عائشة أن أزواج رسول الله ﷺ كنّ يخرجن بالليل اذا تبّرزن الى المناصع وهو صعيد أفيح ، وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله ﷺ أحجب نساءك ، فل يكن رسول الله ﷺ يفعل ، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاء ، وكانت امرأة طويلة ، فناداها عمر : ألا قد عرفناك يا سودة ، حرصاً على ان ينزل الحجاب ، قالت عائشة : فأنزل الله عز وجلّ الحجاب .[1]

ومنها قبول رسول الله ﷺ رأي عمه العباس بن عبد المطالب رضي الله عنه في استثناء الأذخر من التحريم ، عندما حرّم رسول الله ﷺ وسلم عضد شجر مكة المكرمة ، وذلك لحاجة الناس الى الأذخر في بنائهم وقبورهم ، ووقودهم .

* عن مجاهد ان رسول الله ﷺ قام يوم الفتح فقال:

« ان الله حرّم مكّة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرام الله الى يوم القيامة ، لم تحلّ لأحد قبلي ، ولا تحلّ لأحد بعدي ،ولم تحلل لي إلاّ ساعة من الدهر : لا ينفّر صيدها ، ولا يعضد شوكها ، ولا يختلي خلاها ، ولا تحل لقطتها إلاّ لمنشد » .

فقال العباس بن عبد المطلب : إلاّ الأذخر يا رسول الله ، فإنه لا بدّ منه للقين والبيوت . فسكت ثم قال :

« الا الأذخر فانه حلال . »[2]

ومن ذلك قبوله ﷺ لرأي القائل باتخاذ خاتم يختم به كتبه الى الملوك

---

(1) مسلم/جـ7 /ص 7

(2) البخاري/جـ5 /ص 194

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والامراء الذين يدعوهم الى الاسلام .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ اراد ان يكتب الى رهط أو أناس من الأعاجم ، فقيل له : انهم لا يقبلون كتاباً الا عليه خاتم . فاتخذ النبي ﷺ خاتماً من فضة نقشه محمد رسول الله . »[1]

ومن ذلك قبوله ﷺ للرأي القائل بغسل الأواني التي طهي فيها لحم الحمر الأنسية ، بعد أن حرّمها ، بدل كسرها ، وذلك لما رآه من مصلحة الانتفاع بها بعد تطهيرها بالغسل .

* عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال . . . : فأتينا خيبر فحاصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة ، ثم ان الله فتحها عليهم ، فلما أمسى الناس اليوم الذي فتحت عليهم أوقدوا نيراناًكثيرة فقال رسول الله ﷺ : « ما هذه النيران ؟ على أيّ شيء توقدون ؟ . » قالوا : على لحم . قال : « على أيّ لحم » قالوا : على لحم حمر انسية . فقال رسول الله ﷺ (أهريقوها واكسروها . » فقال رجل : يا رسول الله أو نهريقها ونغسلها ؟ قال : « أو ذاك »[2]

ومنها قبول رسول الله ﷺ لرأي تميم الداري رضي الله عنه بإتخاذ المنبر بعد أن شقّ عليه القيام ، وخاصة بعد تأييد المسلمين لرأي تميم حين شاورهم الرسول ﷺ .

* كان رسول الله ﷺ يوم الجمعة يخطب الى جذع في المسجد قائما ، فقال : « ان القيام شقّ عليّ . » فقال له تميم الداري : ألا أعمل لك منبراً كما رأيت يصنع بالشام ؟ فشاور رسول الله ﷺ المسلمين في ذلك فرأوا ان يتخذه . فقال العباس بن عبد المطلب : ان لي غلا ما يقال له كلاب أعمل الناس . فقال رسول الله ﷺ :

---

(1) البخاري / جـ7/ ص 202

(2) البخاري / جـ8 / ص 43 .

« مره أن يعمله . »[1]

ووجّه رسول الله ﷺ المسلمين الى الرجوع الى الصواب والاعتراف بالخطأ وتصحيحه عند الاخفاق في الاجتهاد وابداء الرأي ، وضرب لهم رسول الله ﷺ المثل من نفسه الكريمة .

* عن عائشة ، وعن ثابت بن أنس : أن النبي ﷺ مرّ بقوم يلقّحون ، فقال : « لو لم تفعلوا لصلح . » قال : فخرج شيصا . فمرّ بهم ، فقال : « ما لنخلكم ؟ » قالوا : قلت كذا وكذا . فقال :

« أنتم أعلم بأمر دنياكم . »[2]

ولهذا الحديث رواية اخرى تؤكد تبيان رسول الله ﷺ لاجتهاده كبشر ، وامكانية صوابه أو خطأه في الأمور الدنيوية .

* عن رافع بن خديج قال : قدم النبي ﷺ المدينة وهم يأبرون النخل ، يقولون يلقّحون النّخل ، فقال : « ما تصنعون ؟ » قالوا : كنا نصنعه . قال : « لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً . » فتركوه ، فنفضت أو فنقصت . قال : فذكروا ذلك له ، فقال : « إنّما أنا بشر . اذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر . . »[3]

صدق رسول الله ﷺ وهو قدوتنا الحسنة في كل شيء إذا أردنا لأنفسنا السلامة والسعادة في الدارين .

وأكّد رسول الله ﷺ ضرورة الاجتهاد في التشريع والقضاء فيما لا توجد فيه أحكام في كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

---

(1) ابن سعد/جـ1 /ص 250
(2) مسلم/جـ7 /ص 95
(3) نفس المصدر السابق/ص95

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن أناس من أهل حمص ، من أصحاب معاذ بن جبل ، أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذا الى اليمن ، قال : « كيف تقضي اذا عرض لك قضاء ؟ » قال أقضي بكتاب الله . قال : « فإن لم تجد في كتاب الله ؟ » قال : فبسنة رسول الله ﷺ . قال : «وإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله ؟ » قال : اجتهد برأيي ولا ألو . فضرب رسول الله ﷺ صدره ، فقال : « الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله . »[1]

وفي هذا الحديث الدليل القاطع على اعلاء شأن الاجتهاد في السنة النبويةالمطهرة واحترامها للآراء السديدة والأفكار الرشيدة والاقتراحات البناءة التي هي من ثمرات العقل الناضج ، والتفكير المنطقي ، والتحليل السليم .

ولا عجب في ذلك ، فإنّما السنة النبوية سنة عقلية في تعاليمها وتوجيهاتها واساليبها ، وفي دلائلها وحججها وبراهينها ، ولذلك فقد تشربتها النفوس الخيّرة بفطرتها ، واقتنعت بها العقول الصافية التي لم يحجبها ضلال الغيّ والكفر والجحود ، وبقت خالدة على مرّ الزمان منارة هداية وبؤرة اشعاع ، وطوق نجاة للفرد والمجتمع من أمواج التحلل والتفسخ والفساد .

موازين البحث العقلي في السنة النبوية :

بدراسة مضامين السنة النبوية المطهرة نجد أنها وضعت لنا عدة موازين ومعايير وشروط ينبغي مراعاتها في البحث العقلي حتى يتم اكتساب العلوم والمعارف وتنميتها ونشرها على الأساس السليم المفيد للانسان في دينه ودنياه .

---

(1) سنن أبي داود/جـ4 /ص 331,330

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن أهم هذه الموازين نذكر ما يلي :

أولاً : أول خطوات السير في البحث العقلي السليم هو التجرد من الأهواء والميول الشخصية والتعصب الذميم لمذهب او اتجاه معيّن ، والانسياق وراء الظنون والأوهام ، حتى لا تنحرف بصاحبها عن المنهج العلمي الدقيق والنظرة الموضوعية للامور .

قال تعالى :

﴿وأما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هي المأوى . ﴾[1]

وقال تعالى :

﴿ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدي من الله . . ﴾[2]

وقال عز وجل :

﴿ان يتّبعون الا الظّن وما تهوى الأنفس . . ﴾[3]

* وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« إيّاكم والظّن ، فإن الظّن أكذب الحديث »[4]

* وعن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« المجاهد من جاهد نفسه . »[5]

ومن مجاهدة النفس : التحكم في أهوائها وضبط ميولها ، وعدم

---

(1) النازعات/41,40
(2) القصص/50
(3) النجم/23
(4) الترمذي/جـ8 /ص156,155 (وقال عنه حديث حسن صحيح)
(5) الترمذي/جـ7 /ص123 (وقال عنه حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الانسياق وراء تعصبها الفكري لبعض الاتجاهات والمذاهب والعادات .

وقد ضرب لنا الرسول ﷺ أروع الأمثال - كما أوضحنا آنفاً - في التجرد من الأهواء وعدم التعصب للآراء ، وكان عليه الصلاة والسلام يقبل الآراء الوجيهة والأفكار الصائبة ، بل كان ينزل عن رأيه الشريف اذا ما تبيّن له تحقق الفائدة والمصلحة في غيره على نحو أفضل ، كما حصل في موقعة بدر الكبرى وقبوله لرأي الحباب بن المنذر رضي الله عنه في اختيار منزل جيش المسلمين وعدوله عن رأيه ، وكما حصل في قبوله لآراء عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره من الصحابة في أكثر من مجال هام يتعلق بالتشريع أو بالمصالح الدنيوية للمسلمين .

ثانياً : التبيّن والتثبّت والتروّي في معرفة الحقائق العلمية وفهم أسبابها واستخراج قوانينها ، بشتى الوسائل من ملاحظة ومشاهدة وتجربة ، قبل تقرير نتائجها ، واعلان أحكامها .

* قال تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .﴾[1]

* وعن أبي هريرة سمع رسول الله ﷺ يقول :

« ان العبد ليتكلّم بالكلمة ما يتبيّن فيها ، يزلّ بها في النار أبعد مما بين المشرق . »[2]

* وقال رسول الله ﷺ :

« إذا أردت أمراً فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج »[3]

---

(1) الحجرات/6

(2) البخاري/جـ8 /ص 125

(3) المتقى/منتخب كنز العمال/جـ1 /ص154 (رواه البخاري في الأدب والبهيقي في شعب الايمان) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثاً : عدم الاقتصار على فهم ظواهر الأشياء وأعراضها ، بل العناية التامة بفهم جواهرها وحقائقها حتى يحقق البحث العقلي والعلمي أهدافه الصحيحة . والعبرة دائماً في تحصيل العلوم والمعارف والحقائق بالكيف والجوهر ، وليس بالكم والمظهر .

قال تعالى :

﴿كذلك يضرب الله الحقّ والباطل ، فإمّا الزبد فيذهب جفاء وأمّا ما ينفع النّاس فيمكث في الأرض . .﴾[1]

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« ربّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبّره . »[2]

رابعاً : التواضع في العلم ؛ وعدم التعالي والغرور وتزكية النفس ، وادعاء الأحاطة الشاملة بالعلوم والمعارف ، إذ فوق كلّ ذي علم عليم ، وعلم الانسان مهما بلغ فانه قليل ومحدود بالنسبة لعلم خالقه تعالى .

قال تعالى :

﴿وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً .﴾[3]

وقال عز وجل :

﴿وفوق كل ذي علم عليم .﴾[4]

وقال تعالى :

﴿ألم تر الى الذين يزكّون أنفسهم بل الله يزكّي من يشاء﴾[5]

* عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ :.

---

(1) الرعد/17

(2) مسلم/جـ8 /ص 36

(3) الاسراء/85

(4) يوسف/76

(5) النساء/49

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« قام موسى النبي خطيباً في بني اسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال : **أنا أعلم** . فعتب الله عليه اذ لم يردّ العلم اليه . فأوحى الله اليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك . . . »[1]

* وعن زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« نضّر الله أمرأ سمع منّا حديثاً فحفظه حتى يبلّغه ، فربّ حامل فقه الى **من هو أفقه منه** ، ورب حامل فقه ليس بفقيه . »[2]

خامساً : ربط البحث العقلي بالوسائل التجريبية من ملاحظة ومشاهدة وتجربة ، وربط التفكير والتأمل والنظر بالحواس المختلفة في الدراسات العلمية والتطبيقية التي تستهدف فهم ظواهر الكون وأسبابها ومسبباتها وقوانينها ، وذلك بغية تطوير الحياة البشرية ورفع مستواها وصنع تقدمها وازدهارها ، فالعلم العقلي والعلم التجريبي في نظر السنة النبوية مرتبطان ومتكاملان ومسخران لخدمة الانسان وبناء حياته الصالحة وعمارة الكون الذي يعيش فيه .

قال تعالى :

﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون .﴾[3]

والعقل الانساني في نموّه ونضجه وتكونّه وزيادة علمه وفهمه واتساع مداركه ، مرتبط تمام الارتباط بالحواس من سمع وبصر وغيرهما ، وحسن استخدامها في ملاحظة الأشياء ودراستها والتعرف عليها وادراك حقائقها .

والانسان مسؤول عن استعماله لعقله ولحواسه وعن نتائج هذا

---

(1) البخاري / جـ1 / ص 42,41

(2) سنن أبي داود / جـ3 / ص 361

(3) النحل / 78

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاستعمال ايجابية كانت أم سلبية .

قال تعالى :

﴿ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤ ولا .﴾ (1)

وقال ﷺ :

« تفكّروا في خلق الله ، ولا تفكروا في الله فتهلكوا . »(2)

والتفكر في خلق الله الذي يؤكده هذا الحديث الشريف لا يعني الاقتصار على جانب النظر المجرد ، ولكنه يعني التأمل العقلي الواعي المقترن بالمشاهدة والملاحظة لمخلوقات الله عز وجل في هذا الكون من حيوان ونبات وجماد ، وظواهر طبيعية مختلفة .

سادساً : الاهتمام « بالقياس » كأهم الوسائل العقلية العلمية التي يتكامل بها الجانب الحسي والمعنوي وذلك لاستنباط النظريات من قواعدها واستنتاج الاحكام من أصولها ، واستخراج النتائج من مقدماتها ، واستثمار القياس في الدراسات التحليلية المقارنة في شتى ميادين العلم والمعرفة .

وللقياس في نظر السنة النبوية أهمية بالغة في وضع النظم والتشريعات والقوانين التى تنظم حياة الأفراد ، وتبيّن لهم حقوقهم وواجباتهم ، وتصلح شأن المجتمعات وتحافظ على كيانها ، وتصون عقيدتها واخلاقها وتراثها الثقافي والحضاري والاجتماعي ، وتحمي ثروتها واقتصادها وامكاناتها البشرية والطبيعية .

وقد ابرزت آيات قرآنية عديدة أهمية « القياس » في البحث العقلي السليم .

---

(1) الاسراء/36

(2) المتقى/منتخب كنز العمال/جـ1 /ص155 (رواه أبو الشيخ عن أبي ذر)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى :

﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن .﴾[1]

وقال عز وجل :

﴿قل لا يستوي الخبيث والطيّب ولو أعجبك كثرة الخبيث .﴾[2]

* عن ابن عمر قال : ولا أعلمه الا عن النبي ﷺ :

« كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام . »[3]

تلك هي اهم موازين البحث العقلي في السنة النبوية التي حرصت على التوجيه اليها حتى يتم التوصل الى حقائق الأشياء وجواهرها ، وتكوين البناء العلمي والمعرفي على اسس سليمة من التدبر والتبصر ، والأمانة والنزاهة ، والدقة والتمحيص .

أهداف التربية العقلية :

بتحليل المضامين التربوية في السنة النبوية نجد أنها ترمي الى تحقيق جملة من الأهداف البناءة من خلال التربية العقلية ، ومن أهم هذه الاهداف التي تجلت في الأحاديث المتقدمة ، نذكر ما يلي :

1 ـ مساعدة الناشئين على التمكّن من المفاتيح الاولى للعلم والمعرفة وذلك باتقان القراءة والكتابة والتعامل بالأرقام والرموز ، والالمام باللغات الحيّة وغيرها ، مما يساعدهم على النمو العقلي والنضج الفكري وتكامل الادراك والفهم ، ويزودهم بالكفاءة والمهارة والخبرة اللازمة لهم في حياتهم .

2 ـ الكشف عن الاستعدادات والقدرات العقلية للناشئين ، وشحذها

---

(1) فصلت/34

(2) المائدة/100

(3) مسلم/جـ6/101

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتهذيبها وصقلها وتنميتها حتى تبلغ اقصى حد ممكن لها من النضج والاكتمال والجودة والاتقان ، مع تحسين الوسائل والظروف البيئية المؤثرة فيها ومراعاة حسن استثمار تلك الاستعدادات والقدرات فيما يفيد الفرد والمجتمع .

3 ـ تمكين الناشئين بالتوجيه الرشيد من اختيارات التخصصات الدراسية والمجالات المهنية ، والأنشطة الترويحية التي تتوافق مع مواهبهم وهواياتهم وميولهم وتشبعها ، وعدم قهرهم او الزامهم على اختيارات لا يرضونها ولا يشعرون بأي ميل اليها ، لأن الانسان لا يركز انتباهه ، او يعمل فكره ويضاعف جهده إلّا فيما يميل اليه ، ويشعر بانجذاب شديد الى ممارسته ، ويحسّ بأنه يحقق فيه ذاته .

4 ـ مراعاة الشمول والتكامل بين جميع الاستعدادات والقدرات والمواهب والميول العقلية لدى الناشئين ، لأن اي فجوة أو خلل في النمو العقلي نتيجة لعدم الاهتمام بقدرة ما ، او اهمال استعداد ما ، او الاهتمام بأحدهما على حساب غيره من القدرات والاستعدادات من شأنه أن يؤثر في عملية النمو العقلي بأسرها ويحد من اتساع المدارك والأفهام ، ويعطل نضج التفكير السليم .

5 ـ مساعدة الناشئين على تنمية وزيادة التحصيل العلمي والمعرفي بصورة مستمرة ، وذلك بكسب العلوم والمعارف والخبرات والتجارب التي تجعلهم قادرين على المشاركة الايجابية في بناء الحياة الصالحة لهم ولمجتمعهم ومؤهلين لحمل تبعاتها ومواجهة صعوبتها بكفاءة ووعي وتبصر .

6 ـ تنمية الاتجاهات العقلية البناءة الايجابية لدى الناشئين وذلك مثل التحرر العقلي من قيود التقليد الأعمى والعادات والتقاليد البالية ، والخرافات والأساطير ، وكالأخذ بالنظرة الموضوعية الواقعية للامور ، والقدرة على النقد الهادف والتحليل الموضوعي والتقصي العلمي ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكاحترام آراء الآخرين ووجهات نظرهم واجتهاداتهم وعدم التعصب للآراء الخاصة ، وكتنمية حب الاستطلاع والمعرفة واشباعه بصفة مستمرة تقوّي النضج العقلي وتزيد الانتاج الفكري ، وغير ذلك من الاتجاهات الفكرية الهادفة .

7 ـ تفجير طاقات الابداع والخلق والابتكار والاختراع لدى الناشئين ، وحسن توجيههم وارشادهم بالأساليب التربوية السليمة ، وتهيئة الجو العلمي الصالح الذي يساعدهم على تنمية طاقاتهم الخلّاقة المبدعة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

● الفصل الخامس

التَّربيَةُ الوِجْدانيَّة


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحثنا في الفصل السابق موضوع النمو العقلي وخصائصه وأوضحنا أهمية الذكاء كقدرة عامة ، واستعرضنا الاستعدادات والقدرات والميول العقلية وبينا أهم العوامل المؤثرة في خصائص النمو العقلي .

ثم بحثنا أهم العمليات العقلية العليا وهي : عملية الادراك ، وعملية التفكير ، وعملية الحفظ ، وعملية التخيّل ، وناقشنا موضوع التعلم وبيّنا أهم نظرياته وطرقه والوسائل المساعدة عليه ، واستعرضنا موضوع التعلم في السنة النبوية وأبرزنا أهم عناصره ، وبيّنا مكانة العقل في السنة النبوية ، وأوضحنا أهم موازين البحث العلمي في السنة النبوية ، وخلصنا في خاتمة الفصل إلى إبراز أهم أهداف التربية العقلية في السنة النبوية .

وفي هذا الفصل سنبحث موضوع النمو الوجداني وخصائصه وأهم العوامل المؤثرة فيه ، كما نناقش موضوع السلوك الانساني ونبينّ معناه ودوافعه ، ثم نستعرض أقسام النمو الوجداني ، ونناقش بعد ذلك موضوع الصراع بين الدوافع ، ونبحث موضوع الأمراض النفسية ونبين اسبابها ووسائل علاجها ، ثم نستعرض موضوع الحاجات النفسية والاجتماعية ونبينّ أثرها وضرورة إشباعها ، ونخلص في خاتمة هذا الفصل الى إيراد أهم أهداف التربية الوجدانية في السنة النبوية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النمو الوجداني وخصائصه :

يتكوّن النمو الوجداني ؛ أو الانفعالي، من العواطف والمشاعر والأحاسيس والانفعالات النفسية التي ينبني عليها سلوك الفرد ، وتطبع مزاجه الشخصي بطابع خاص ، وتؤثر في مواقفه واتجاهاته في الحياة ، وتتأثر بها صحته النفسية والعقلية والجسدية أبلغ تأثير في مختلف مراحل نموّه وعمره .

وللانفعالات البشرية خصائص ومميزات ظاهرة تختلف من انفعال الى آخر ، فهناك مثلا : الانفعال الشديد : كالخوف أو الغضب ، والانفعال الرقيق : كالاعجاب أو العطف ، والانفعال المنشّط كالفرح ، والانفعال المثبّط ، : كالحزن ، والانفعال الواضح : كالضحك والبكاء ، والانفعال الخفي : كالحسد والحقد ، والانفعال المستمر : كالقلق المزمن ، والانفعال المؤقت : كالغضب الطارىء ، والانفعال البسيط : كالخوف والغضب ، والانفعال المركّب : كالغيرة التي يمتزج فيها الغضب بالخوف بحب التملك بالشعور بالنقص، والانفعال المعروف المحدد : كالاعجاب بشخص معيّن او العطف عليه ، والانفعال الخفي المصدر : كبعض حالات القلق والاكتئاب اللاشعوري من أشياء غير معروفة .

وهذه الأمثلة المبسطة تعني ان الانفعالات تختلف في خصائصها وذلك من حيث الشدة والرقة ، ومن حيث الأثر الايجابي والسلبي ، ومن حيث وضوح الأثر واختفاؤه ، ومن حيث الاستمرار والظرفية ، ومن حيث البساطة والتركيب ، ومن حيث وضوح المصدر وكمونه .

وبدراسة المضامين التربوية في السنة النبوية نجدها تعترف : « بالانفعالات » وأهمية آثارها في تكوين الشخصية الانسانية ، وتهتم بتوجيهها وجهة رشيدة حتى يكتمل نضجها لدى الناشىء بحيث يصبح قادراً على ضبط نفسه والتحكم في نوازعها وأهوائها ، وإشباعها بالسبل المشروعة المتاحة ، وعدم الانسياق وراء تيارها المدمّر للفرد والجماعة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولعل أهم ما تبرزه السنة النبوية من مظاهر النضج الوجداني أو الانفعالي المتكامل، والذي يجب ان نستهدفه في تربية الناشئين، نذكر ما يلي :

1- القدرة على ضبط النفس ، والتحكم في الانفعالات ، وتجنب مثيراتها وعدم الانسياق المتهور المندفع في تياراتها .

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« ليس الشديد بالصرعة ، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »[1]

* وقال تعالى : ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾[2]

2- الاتصاف بالاتزان الانفعالي والرصانة في ردود الأفعال ، وعدم التقلب والتذبذب تبعا للأسباب التافهة او العارضة ، والتحلي بالتسامح والمودة ، وحسن التعامل مع الآخرين .

* عن أبي ذرّ قال :قال لي النبي ﷺ :

« لا تحقّرنّ من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق . »[3]

* وعن عائشة أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال : « ائذنوا له فلبئس ابن العشيرة ، أو بئس رجل العشيرة » فلما دخل عليه ألانَ له القول . قالت عائشة : فقلت يا رسول الله قلت له الذي قلت ثم ألَنْت له القول ، قال : « يا عائشة إن شرّ الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه او تركه الناس اتقاء فحشه »[4]

* وقال تعالى :

---

(1) مسلم - جـ 8/ص 30

(2) آل عمران / 134

(3)(3) مسلم / جـ 8/ص 37

(4) نفس المصدر السابق / ص 21

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم﴾[1]

3ـــ الاتصاف بالنظرة الواقعية للذات ، وعدم المبالغة في الاعتداد بالنفس والاسراف في تقدير الذات حتى لا يقع الفرد في الغرور الكاذب والكبرياء الممقوتة ، مما يسم انفعالاته بسمات التهوّر والنّزق ، ويجعله مكروهاً من الناس ، منعوتاً بصفات التبجح والتعالي والغطرسة .

فقد حثّ رسول الله ﷺ على اتباع النظرة الواقعية للذات والمطامح .

* عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال :
« اذا نظر أحدكم الى من فضّل عليه في المال والخلق ، فلينظر الى من هو أسفل منه »[2]

كما حث ﷺ على تجنب الكبرياء والغطرسة .
* عن عبدالله عن النبي ﷺ قال :
« لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر »[3]

* وقال تعالى :
﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾[4]

4ـــ القدرة على ضبط الانفعالات عند مواجهة المشاكل والأزمات ، والاعتماد على الله سبحانه وتعالى والثقة بالنفس واتخاذ المواقف والقرارات المناسبة في هدوء وترو وثبات ، وتجنب السلوك الطفولي والتصرفات الصبيانية في مقابلة المصاعب والشدائد كالخوف والبكاء وغيرها ، بل

---

(1) آل عمران / 159
(2) البخاري / جـ 8/ص 128
(3) مسلم / جـ 1/ص 65
(4) لقمان / 18

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مغالبتها بحزم وقدرة وتجلد وصبر .

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

« المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير . احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز . وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا . ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان »[1]

وقال تعالى :

﴿ . . ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ﴾[2]

5— تنمية الاستقلال العاطفي ، وعدم الانسياق الأعمى وراء الآخرين في عواطفهم وانفعالاتهم ومواقفهم ، والتحلي بروح التضحية والايثار والتعاون ، ونبذ الأنانية والأثرة والتواكل .

فقد حثّ رسول الله ﷺ على التحلي بالاستقلال العاطفي والانفعالي في اتخاذ المواقف الايجابية .

* عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ

« لا تكونوا امعة تقولون أن أحسن الناس احسنّا، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطّنوا أنفسكم ان أحسن ان تحسنوا ، وإن أساءوا فلا تظلموا »[3]

وحث ﷺ على الايثار والتعاون ومساعدة الآخرين بشتى الطرق والوسائل .

* عن أبي ذرّ قال : قال رسول الله ﷺ :

« تبسّمك في وجه أخيك لك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 56

(2) الرعد / 11

(3) الترمذي / جـ 8/ص 170 (وقال عنه : حديث حسن غريب)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ، وبصرك للرجل الرديء البصر صدقة ، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة »[1]

وقال تعالى :

﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[2]

وقال عزّ وجل : ﴿. . والله يحب المحسنين﴾[3]

6— عدم التأثر العاطفي واثارة الانفعالات بناء على الأفكار المسبقة غير الصحيحة عن الأشخاص او التصورات والمشاعر الخاطئة ، أو الظنون والأوهام ، وضرورة التبيّن ، والتثبت قبل صدور أية ردود أفعال غير محمودة ، وغير مبنية على اليقين .

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« إياكم والظن ، فإن الظنّ أكذب الحديث »[4]

* قال تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[5]

* وقال عزّ وجلّ :

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إن بعض الظن إثم . .﴾[6]

---

(1) الترمذي / جـ 8/ص 134-135 (وقال عنه حديث حسن غريب)
(2) المائدة / 2
(3) آل عمران/134
(4) الترمذي / جـ 8/ص 156 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(5) الحجرات / 6
(6) الحجرات / 12

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العوامل المؤثرة في النمو الوجداني :

يتأثر النمو الوجداني لدى الناشىء وحتى بلوغه مرحلة النضج الكامل بعوامل عديدة أهمها : التغييرات التي تطرأ على نموه الجسمي والتغيرات التي تحدث على نموه العقلي ، والتغيرات التي تطرأ على نموه الاجتماعي ، ونوع التربية التي يتلقاها في الوسط الأسري والاجتماعي الذي يعيش فيه .

وفيما يلي نستعرض بشيء من الايضاح هذه العوامل :

أولا : تغيرات النمو الجسمي :

النمو الانفعالي يصاحب النمو الجسمي ويرتبط به ، فكلما تقدم الناشىء في النضج الجسمي ، كلما تقدم في النضج الانفعالي بحيث يزداد اتزانه ورصانته وقدرته على التحكم في ضبط انفعالاته وردود أفعاله .

ولا شك أن للتغيرات الفسيولوجية والجسمية أثرها الكبير على النمو الوجداني للناشىء ، فهو مثلا : عندما تنضج غدده التناسلية وتنشط تتلون عاطفته ومشاعره وأحاسيسه بلون خاصٍ تجاه الجنس الآخر ، ويصبح يقترب من النضج الطبيعي بعد ان كان طفلاً .

وهو كذلك يتأثر وجدانيا بمدى صحته الجسمية ، وطوله او قصره ، وخلقته وسلامته من النقائص والعيوب او اصابته ببعضها ، مما يثير لديه الثقة في النفس والاقبال على الآخرين وتكوين علاقات ناجحة معهم ، والعيش المطمئن الآمن بينهم عندما يجد منهم المحبة والقبول الاجتماعي والتقدير والاحترام ، أو الانطواء على النفس والنفور من الآخرين وعدم الرغبة في الارتباط بهم ، وعدم الشعور بالراحة والسكينة والسعادة عند وجوده بينهم نظراً لما يلقاه من ازدراء واحتقار وسخرية وتندر بعيوبه او نقائصه او خلقته .

ولقد اهتمت السنة النبوية أيّما اهتمام بتأثير التغيرات الجسمية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والصفات الخلقية في الجانب الوجداني والانفعالي ، ودعت الى معاملة الناشئين معاملة رقيقة عطوفة رحيمة لتطمئن نفوسهم وتشعر بالأمن والسكينة ، وأمرت باجتناب الشدة والقسوة والاحتقار وأسباب السخرية والازدراء في معاملتهم لما لها من آثار سلبية سيئة في نفسية الناشئين .

* عن عائشة عن النبي ﷺ قال :

« ان الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه »[1]

* وعن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :

« انه من لا يرحم لا يُرحم »[2]

* وعن أبي هريرة قال :قال رسول الله ﷺ :

« لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله **ولا يحقره** ، التقوى هاهنا ، ويشير الى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرىء من الشر **أن يحقر أخاه المسلم** . كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه »[3]

ثانيا : تغيرات النمو العقلي :

للتغيرات التي تكتنف النمو العقلي لدى الناشئين بزيادة نضجهم العقلي واتساع مداركهم وفهمهم ، وقدرتهم على التفكير والتحليل والأستيعاب وكسبهم للتجارب والخبرات والمعارف والمعلومات المتنوعة لهذه التغيرات تأثير كبير على نموهم الوجداني ، وتكييف انفعالاتهم واستجاباتهم للمثيرات المختلفة .

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 22
(2) البخاري / جـ 8/ص 9
(3) مسلم / جـ 8/ص 10-11

وكلما نضج الناشئون عقليا كلما كانوا أقدر على ضبط انفعالاتهم ، وتهذيب نوازعهم ، والتحكم في استجاباتهم ، وتكييف اتجاهاتهم ومواقفهم نحو الاشخاص والأشياء والقيم المعنوية المجردة بما يكفل لهم الاتزان الانفعالي والانسجام بين مختلف جوانب الشخصية .

وقد اهتمت السنة النبوية بتأثير النضج العقلي على النمو الوجداني لدى الناشئين ، وأكدت مسؤولية الشخص الناضج عقليا عن ضبط انفعالاته والتحكم في نوازعه ، ومسؤوليته في كبح جماح أهوائه وصون نفسه من التردي في مهاوي الشهوات والغرائز .

* عن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :
« المجاهد من جاهد نفسه »[1]

* وعن أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ :
« الصبر عند الصدمة الأولى »[2]

* وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، أن رجلا أتى الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله علمني كلمات أعيش بهن ، ولا تكثر عليَّ فأنسى فقال رسول الله ﷺ : « لا تغضب »[3]

* وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :
« حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات »[4]

وقال تعالى :
﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هي المأوى﴾[5]

---

(1) الترمذي / جـ 7/ص 123 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(2) مسلم / جـ 3/ص 40
(3) مالك / ص 651-652
(4) مسلم / جـ 8/ص 142-143 (5) النازعات / 40-41

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال عز وجلّ :

﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ (1)

ثالثاً : تغيرات النمو الاجتماعي :

للتغيرات التي تحدث في النمو الاجتماعي لدى الناشئين تأثير بالغ في نموهم الوجداني ، وفي مشاعرهم وأحاسيسهم واستجاباتهم الانفعالية ، ومن ذلك مثلا : اهتمامهم بمظهرهم وأناقتهم حتى يكونوا مقبولين لدى الآخرين حائزين على رضاهم ، واهتمامهم بمستقبل حياتهم الدراسي والمهني ليكونوا ناجحين في حياتهم يلقون التقدير والاحترام ، وعنايتهم بتكوين علاقات اجتماعية ناجحة مع الآخرين تقوم على التعاون والمودة والاحترام .

وقد اهتمت السنة النبوية اهتماما كبيراً بتأثير التغيرات التي تحدث في النمو الاجتماعي على النمو الوجداني لدى الناشئين وتلوّن استجاباتهم الانفعالية بلون خاص ، ولذلك فقد حرصت على توجيهنا الى العناية بحسن المظهر كعنوان على الشخصية السوية وكأحد الوسائل التي تفتح لها باب القبول والرضا الاجتماعي ، ودعتنا الى احترام مشاعر وأحاسيس الناشئين ، وأن نقف منها موقف الرفق والرحمة والتقدير ، لأنها نتيجة طبيعية لنضجهم الاجتماعي والوجداني .

* عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال :

« لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » . قال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : « ان الله جميل يحب الجمال . الكبر : بطر الحقّ وغمط الناس » (2)

* وعن يحي بن سعيد : أن أبا قتادة الأنصاري قال لرسول الله

---

(1) المدثر / 38

(2) مسلم / جـ 1/ص 65

ﷺ : ان لي جمّة فأرجّلها ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم وأكرمها »[1]

* وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

« ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقّر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر »[2]

رابعا : الوسط الأسرى والاجتماعي :

يتأثر النمو الوجداني لدى الناشئين تأثراً كبيراً بنوع المعاملة والتربية التي يلقاها في وسطه الأسرى والاجتماعي الذي يعيش فيه ، فاذا كانت أساليب المعاملة والتربية رشيدة وواعية ومتفهمة لحاجاتهم النفسية والاجتماعية والطبيعية ، مقدرة لظروفهم وقدراتهم وامكانياتهم ساعدتهم على تحقيق التوازن الوجداني والرصانة الانفعالية ، وحسن الاستجابة للمثيرات المختلفة ، ومكنتهم من التكيف السوي السليم في حياتهم .

وإذا كانت أساليب المعاملة والتربية منبنية على القسوة والشدة والحرمان سببت للناشئين الاختلال في النمو الوجداني ، والاضطراب في الاستجابات الانفعالية ، وقادتهم الى الانطواء والانهزامية أو التمرد والعصيان ، وشرخت نفوسهم وجعلتهم يحقدون على غيرهم ، مشاعرهم مطبوعة تارة بطابع المرارة والاشمئزاز ، وتارة بطابع الكراهية والحقد ، وتارة بطابع الخداع والغش ، وتارة بطابع النفاق والخنوع ، وهذه المشاعر والأحاسيس تنبىء دوما عن شخصية عليلة لا تستطيع الوقوف في وجه تحديات الحياة ومصاعبها ، وتعتبر التربية الأسرية والاجتماعية هي المسؤولة عن تشكيلها وتنميتها لأن الوليد البشري يولد عاجزاً ومهيئاً لتأثير البيئة في قدراته واستعداداته وميوله الفطرية ، ومحايداً قابلاً وفق التربية أن ينحى منحى الخير أو منحى الشر في حياته .

---

(1) مالك / ص 676

(2) الترمذي / جـ 8/ص 109 (وقال عنه : حديث حسن غريب) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد اهتمت السنة النبوية اهتماماً بالغاً بتأثير الوسط الأسري والاجتماعي على النمو الوجداني والاتزان الانفعالي لدى الناشئين وحمّلت الوالدين في الأسرة ، والمربين عموماً في الوسط الاجتماعي ، مسؤولية تربية الناشئين وتشكيل شخصياتهم ، وتكوين اتجاهاتهم ومواقفهم في الحياة .

* عن أبي هريرة انه كان يقول ،قال رسول الله ﷺ :

« ما من مولود إلّا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء . »[1]

ودعا الى أن تكون معاملة الوالدين لأبنائهما مبنية على العطف والرفق والرحمة حتى يكفلا لهم التوازن الانفعالي والعاطفي ، وأن يتجنبا القسوة والشدة والعنف حتى لا يشرخا نفسياتهم ويسببا لهم اضطراباً انفعالياً وخللاً دائماً في شخصياتهم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قبّل رسول الله ﷺ « الحسن بن علي » وعنده « الأقرع بن حابس التميمي » جالساً ، فقال الأقرع : ان لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً ، فنظر اليه رسول الله ﷺ ثم قال : « من لا يرحم لا يُرحم . »[2]

وحثّ رسول الله ﷺ المربين في الوسط الاجتماعي والتعليمي عموماً على التسامح والحنو والرفق بالناشئين ، وحسن معاملتهم وتوجيههم ، وتجنب الاساءة اليهم والقسوة عليهم وأخذهم بأسلوب العنف والشدة .

* عن جرير بن عبدالله يقول :قال ﷺ :

---

(1) مسلم /جـ8 /ص 52
(2) البخاري/جـ8 /ص 9

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« من يحرم الرّفق يحرم الخير . »[1]

* عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « يا عائشة ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه »[2]

ولا شك ان المعاملة الخلقية الحسنة الكريمة تنعكس في نفوس الناشئين وتطبع وجدانهم ومشاعرهم بطابع المحبة والخير والسماحة وأن المعاملة السيئة المرذولة تعكّر صفو نفوسهم ، وتشيع في انفعالاتهم الاضطراب وتسم مشاعرهم بسمات البغض والشر والشحناء .

عن أبي الدرداء ان النبي ﷺ قال : « ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وان الله ليبغض الفاحش البذيء . »[3]

السلوك :

السلوك هو مفتاح شخصية الانسان ، لأنه ترجمانها ولسان حالها ، والمعبّر عمّا في مكنوناتها ، والكاشف عن خباياها والناطق بأسرارها ، وهو القالب المحسوس الذي تتجسد فيه المشاعر والأحاسيس ، والعواطف والانفعالات ، والغرائز والأهواء والطموحات والآمال وهو الاطار الذي تتحدد فيه ملامح النضج العقلي والنفسي والاجتماعي ، وتتخذ تبعاً لها المواقف والاتجاهات في شتى مجالات الحياة البشرية .

ولذلك كان السلوك القويم المتزن عنواناً للشخصية السوية المتكاملة ، وكان السلوك المعتل المذبذب عنواناً للشخصية العليلة المهتزة .

وفيما يلي نناقش بشيء من الايضاح المبسط معنى السلوك ، ودوافعه .

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 22
(2) مسلم / جـ8 / ص 22
(3) الترمذي / جـ8 / ص167 ، 168 (وقال عنه : حديث حسن صحيح .)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اولا : معنى السلوك :

يعني السلوك البشري كل حركة أو نشاط أو تصرف أو عمل يقوم به الانسان في حياته مدفوعا ببواعث ودوافع معينة ، فطرية كانت أم مكتسبة ، لاشباع حاجاته الطبيعية والنفسية والاجتماعية .

وهذا هو المعنى الذي اكدته الابحاث والدراسات النفسية لمدلول كلمة سلوك :

« ان مُدلول كلمة سلوك في نظر الباحث النفسي يتضمن كل ما يقوم به الانسان من أعمال ونشاط تكون صادرة عن بواعث ودوافع . »[1]

والسلوك في حقيقته عبارة عن نتاج للتفاعل الديناميكي الحي بين الانسان بميوله وحاجاته ونوازعه واتجاهاته وحوافزه ، وبين البيئة الاجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها وتؤثر في سلوكه ، وتجعله يلونه ويغيّره في صور متعددة ، تبعا لما يجد من مسرة ورضا في اشباع حاجاته ورغباته ونوازعه ، أو لما يجد من ألم وتوتر في احباط تلك الحاجات والرغبات والنوازع ، ولهذا الاحباط وذلك الاشباع أثر بالغ في سلوك الفرد وتكوين شخصيته ، فالاشباع المشروع لرغباته وحاجاته ودوافعه الفطرية والمكتسبة يساعده على تكوين شخصية سوية منبسطة ، والاحباط المستمر لها يجعل شخصيته منطوية انسحابية أو عدوانية مدمّرة .

ثانياً : دوافع السلوك :

يصدر السلوك البشري عن بواعث ودوافع عديدة تحرّك الفرد وتحفّزه على الدوام الى أن يدخل معترك الحياة ، ويناضل في سبيل ارضاء رغباته وحاجاته ومطامحه ، ويواجه المصاعب والمشاق لتحقيق ما يصبو اليه ويدخل السرور والسعادة على نفسه ، ويجنبها الشقاء والتعاسة .

---

(1) د. مصطفى فهمي / الدوافع النفسية / ص 15

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتنقسم دوافع السلوك الى نوعين رئيسيين هما : الدوافع الأولية أو الفطرية Primary Motives والدوافع الثانوية أو المكتسبة Secondary Motives .

وتدل كلمة دافع على كل ما يحرّك أو يحفّز أو يدفع الانسان الى القيام بعمل ما أو نشاط ما . وهكذا نجد أن الدوافع تعني : الحوافز والبواعث والمثيرات والحاجات والانفعالات والعادات والأهداف والمطامح والآمال ، لأنها جميعا تدفع المرء الى سلوك معيّن ، وآداء نشاط معين لتحقيق ما يرتبط بها من غايات .

ولا بأس من أن نزيد الدوافع الأولية والدوافع الثانوية كلاً في فقرة مستقلة ، ايضاحاً وذلك لابراز اهميتها وتأثيراتها في السلوك الانساني .

1 ـ الدوافع الأولية :

وهي الدوافع الطبيعية ، أو العضوية Organic التي لم يكتسبها الفرد نتيجة لتفاعله مع البيئة عن طريق التعلم والتمرين والخبرة والتجربة ، وهي بذلك تكون عبارة عن « استعدادات فطرية » يولد الفرد مزوداً بها لكونها الوسيلة الأساسية للحفاظ على كيانه البيولوجي والفسيولوجي ، وبدون اشباعها لا يمكنه الاستمرار في الحياة ، وذلك كالدافع الى الشراب والطعام والنوم والراحة وهي أيضاً وسيلته في الحفاظ على البقاء كالدافع الجنسي أو دافع الوالدية (الأمومة والأبوّة) .

وتختلف الدوافع الفطرية عن بعضها بعض من حيث القوّة والحدّة ، وضرورة الاشباع الفوري ، أو ارجاؤه الى حين .

ودوافع الشراب والطعام أقوى من غيرها عند الظمأ والجوع ، ثم يأتي بعد ذلك دافع النوم والراحة حسب حالة الفرد وشعوره بالتعب والارهاق . ثم الدافع الجنسي وهو عند بعض الأشخاص يمكن ارجاء اشباعه كما يحصل عند الزهاد والمتصوفين ، غير أن هذا ليس قاعدة عامة فليس الناس سواسية في كبح جماح رغباتهم وغرائزهم الطبيعية وقدرتهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على ضبطها والتحكم فيها .

وقد أجريت تجارب عديدة لمعرفة تباين الدوافع من حيث الحاجة الملحّة الى اشباعها ، ومن أطرف هذه التجارب تجربة صندوق الأعاقة : Obstruction - Box . التي أجريت على « فأر » وضع في جانب من الصندوق يفصله ممر عن الجانب الآخر به الدافع المحرك له ، وسلّط على الممر تيار كهربائي لمعرفة عدد محاولات الفأر لاشباع دافعه الى : الشراب أو الطعام أو الأمومة أو الجنس .

وقد تبيّن من التجربة ما يلي :

« الدوافع	متوسط المحاولات
الامومة	22,8
العطش	20,4
الجوع	18,2
الجنس	13,8 »[1]

وبذلك يتضح ضرورة اشباع جميع الدوافع الفطرية ، وان كانت تختلف في درجات الحدة والقوة والأسبقية .

2 ـ الدوافع الثانوية :

اذا كانت الدوافع الأولية مشتركة بين الانسان والحيوان ، باعتبارها دوافع فطرية طبيعية لا بد من اشباعها للحفاظ على الحياة واستمرارها ، فان الدوافع الثانوية هي دوافع يتميز بها الانسان ويختص بها دون الحيوان ، وتعرّف أحياناً بكونها حاجات مكتسبة أو حاجات ذاتية أو اجتماعية تتكوّن لدى الانسان نتيجة تفاعله مع محيطه الاجتماعي وترتبط بمكانته ومطالبه الاجتماعية وطموحاته في الحياة .

---

(1) د. مصطفى فهمي/الدوافع النفسية/ص 46 ، 47

وبعض الدوافع الثانوية يتصف بكونه مشتركاً بين الأفراد جميعاً مع التنوع وفق اختلاف البيئات والثقافات : وذلك كالحاجة الى الأمن النفسي والحاجة الى التقدير ، والحاجة الى الانتهاء الاجتماعي ، وبعض تلك الدوافع يختص بها شخص ما دون سواه نتيجة للفروق الفردية بين الناس في الميول والاستعدادات والاتجاهات الشخصية وذلك مثلاً : كحاجة صاحب هواية معينة كالرياضة أو الموسيقى أو الأدب الى اشباع حاجته وشعوره بالتوتر والقلق النفسي واهتزاز الشخصية عند احباط تلك الحاجة .

وعلى أي حال فان صحة الانسان النفسية والعقلية لا تكتمل الّا باشباع الدوافع الفطرية والدوافع الثانوية معاً لأنهما مترابطان ومتكاملان في الشخصية الانسانية ، ولا يجوز انكار الصلة والتأثير المتبادل بين الدوافع الثانوية والدوافع الفطرية العضوية .

كما أنه لا يمكن التقليل من أهمية الدوافع الثانوية في مقارنتها بالدوافع الأولية ، اذ قد تسبق الدوافع الثانوية في القوة والتركيز والتأثير على السلوك الانساني الدوافع الأوليّة ، فمثلاً : نجد أن الشخص البخيل الذي يملك حب المال مجامع قلبه ينسى حاجته الطبيعية للطعام والراحة في سبيل تكديسه ، وهو ينظر اليه بوله وعشق ويحافظ عليه حفاظه على حياته بل يرى أن المال هو حياته بذاتها .

وكذلك نجد الشخص الشجاع المقدام تهون عليه راحته وطعامه وشرابه بل ويجود بدمه وهو أقصى غاية الجود في سبيل الذود عن دينه ووطنه ومجتمعه وتشرّب العقيدة وحب الوطن والارتباط بالمجتمع يتم عن طريق الاكتساب في البيئة التي ينشأ فيها الفرد بالامتصاص والايحاء والتوجيه الرشيد والتربية البناءة الهادفة .

والدوافع الثانوية كثيرة ، لكونها ترتبط بالرغبات والميول والاستعدادات التي تؤثر عوامل البيئة : الاجتماعية والثقافية والطبيعية في تكوينها وتنويعها ووسائل اشباعها ، ولذلك فانها لا يمكن ان تكون محل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حصر او اتفاق نهائي بين الباحثين المتخصصين .

وصفوة القول ان الدوافع الثانوية هي دوافع ذاتية او شخصية ، ودوافع نفسية واجتماعية ، مكتسبة بتفاعل الفرد مع البيئة الخارجية وهي متداخلة ومتكاملة ومرتبطة تمام الارتباط بصحة الفرد النفسية والعقلية ، تتأثر بها ايجابا في حالة الاشباع المشروع ، وتتأثر بها سلباً في حالة الاحباط والكبت .

أقسام النمو الوجداني :

عرفنا أن الدوافع المحرّكة والباعثة للسلوك الانساني هي : دوافع فطرية أولية وتسمى أحياناً بالغرائز ، ودوافع ثانوية مكتسبة تعرف بالحاجات النفسية والاجتماعية .

وهذه الدوافع مجتمعة تكوّن أقسام « النمو الوجداني » وهي : الغرائز ، والانفعالات ، والعواطف ، التي تتجسد في تصرفات الفرد وسلوكه ومواقفه واتجاهاته .

وفيما يلي سنستعرض بشيء من الايضاح المبسط كل قسم من اقسام النمو الوجداني على حدة ، ونبيّن تأثيرها في سلوك الفرد وفي تكوين شخصيته .

أولاً : الغرائز : INSTINCTS

هي الدوافع الفطرية أو الطبيعية أو العضوية التي لا بد من اشباعها بالوسائل المشروعة للحفاظ على حياة الكائن البشري واستمرار بقائه .

ويشترك الانسان في هذه الغرائز مع الحيوانات ولكنّه يتميز عنها في القدرة على اخفائها وتكييفها مع العادات والتقاليد ونظم المجتمع .

وتعتبر « الغرائز » عند علماء النفس العام : هي الدوافع الأساسية للسلوك لدى الكائن الحي ، وذلك لأنها عبارة عن :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« استعداد فطري لا يحتاج الى تعلم ، يدفع الكائن الحي الى القيام بسلوك خاص في موقف معين ، ففراخ الدجاج مثلاً في استطاعتها ان تلتقط الحب بعد انقضاء ساعات قليلة على خروجها من البيض (غريزة البحث عن الطعام) والطفل عقب ولادته يصرخ مباشرة اذا سمع صوتا عاليا مدوياً (غريزة الخوف) وهكذا . »[1]

وقد اختلف العلماء في تحديد الغرائز ، فمثلاً : يرى وليم جيمس W. James وهو من علماء أواخر القرن التاسع عشر ، أنها (32) غريزة من بينها : الصيد ، والصراخ، والخوف ، والتقليد ، واللعب ، والتسلق ، والخجل ، والغيرة ، والطاعة ، والنظام ، والتنافس ، والشفقة ، وادارة الرأس جانبا ، والابتسام ، والنظافة ، والحب ، وغيرها .

وبعده بفترة من الزمن جاء العالم ثورنديك Thorndike فوضع قائمة للغرائز ذكر فيها (42) غريزة من بينها : الأكل ، والبلع ، والجمع ، والمقاتلة ، والضحك ، والبكاء ، والعض ، والبصق، والتثاؤب ، والسعال ، والعطس وغيرها .

ثم جاء بعده العالم وليم مكدوجل W. MG - dougal عام 1923 ، الذي يعتبر زعيم المدرسة التقليدية في الغرائز وذكر ان للكائن الحي (14) غريزة يصاحب استثارة كلّ منها انفعال خاص وهي :

غريزة المقاتلة : انفعالها الغضب .

غريزة الوالدية : انفعالها الحنو

غريزة الهرب : انفعالها الخوف

غريزة حب الاستطلاع : انفعالها التعجب

---

(1) د. مصطفى فهمي / الدوافع النفسية / ص17

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غريزة البحث عن الطعام : انفعالها الجوع

غريزة النفور : انفعالها الاشمئزاز

غريزة الاستغاثة : انفعالها الشعور بالضعف

غريزة الخنوع : انفعالها الشعور بالنقص

غريزة السيطرة : انفعالها الشعور بالزهو

غريزة التملك : انفعالها حب التملك

غريزة الحل والتركيب : انفعالها العمل والنشاط

غريزة حب الاجتماع : انفعالها الشعور بالوحدة

غريزة الضحك : انفعالها التسلية

الغريزة الجنسية : انفعالها الشهوة الجنسية »[1]

وعدّل مكدوجل نفسه هذه القائمة ، بعد فترة من الزمن وأضاف اليها بعض الغرائز وهي : غريزة الراحة ، وغريزة النوم ، وغريزة الهجرة .

ومن الملحوظ ان الغرائز التي حدّدها مكدوجل ليست نهائية ، فمثلاً : أغفل أهم الغرائز والدوافع الأولية وهي غريزة « الشراب » عند الاحساس بالظمأ ، وهي أهم الغرائز وأولها ، ولا يمكن للكائن الحي ان يعيش بدونها الا لوقت قصير محدود .

كما نلاحظ أن مكدوجل فصل بين الغريزة الجنسية ، وغريزة الوالدية ، ونرى أنهما متكاملتان ، فقد أودع الله تعالى في الانسان والحيوان غريزة الجنس ، لا للمتعة فقط ، بل لتكون وسيلتها للتكاثر

(1) د. مصطفى فهمي / الدوافع النفسية / ص 18,17

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واستمرار البقاء .

وكذلك هو الحال بالنسبة لغريزة الاستغاثة وغريزة الهرب فهما متشابكتان فلا يستغيث الانسان إلّا نتيجة شعوره بالخوف وعجزه عن مغالبة ما وقع فيه بنفسه .

وما يهمنا في هذا المقام ، ليس هو تحديد عدد الغرائز بشكل نهائي ، ولكن تأكيد اهميتها وضرورة اشباعها وارضائها بالطرق السوية المشروعة ، ومحاولة التوفيق بينها وبين المطالب الاجتماعية والقواعد الاخلاقية والقيم الدينية ، حتى نسمو بالانسان عن مرتبة السوائم ، ونوازن بين قواه الروحية والمادية .

ولقد سبقت التربية المحمدية غيرها من الفلسفات والنظريات التربوية قديمها وحديثها ، في اقرار الغرائز كدوافع فطرية طبيعية ، والاعتراف بأهميتها وضرورة اشباعها بالسبل المشروعة في نطاق الشرع الحكيم ، وعدم كبتها وطمسها صوناً للانسان من المضار والمخاطر التي قد تلحق بطبيعته وصحته العقلية والنفسية ، ومراعاة الاعتدال والتوازن في ارضاء الغرائز والشهوات والرغبات بلا اسراف أو تقصير ، كلّ ذلك قصد تحقيق مصلحة الفرد والجماعة ، والمواءمة الحكيمة بين الروح والمادة وبين العقل والعاطفة وبين الدين والدنيا .

وهذا ما سيتضح لنا من خلال مناقشة موقف السنة النبوية من الغرائز ، وسنركز هذا النقاش على الغرائز التي حددها « وليم مكدوجل » لوضوحها من جهة ولقلة عددها ، تجنباً للاطالة ، من جهة اخرى ، والمقصود أساساً هو سوق المثال والدليل ، وليس الحصر والتحديد .

أ ـ غريزة المقاتلة :

توجه التربية المحمدية غريزة المقاتلة الى الجهاد في سبيل الله تعالى صوناً للدين الاسلامي الحنيف ونشراً له بين الناس قدر المستطاع ، كما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

توجهها الى الدفاع عن النفس والعرض والمال والأهل والوطن ، وتكتب لمن يموت في سبيل الله تعالى أو في الذود عن نفسه وعرضه وماله الشهادة ونيل أعظم الدرجات في آخرة باقية . وهذا هو الأشباع السوّي ، والارضاء الصحيح لغريزة المقاتلة وتوجيهها وجهة الهداية والخير والصلاح ، ومنع استغلالها في الأثم والعدوان وظلم الآخرين في أنفسهم وأعراضهم وممتلكاتهم .

قال تعالى :

﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون. ﴾[1]

وقال تعالى :

﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . ﴾[2]

* عن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ قال :

« من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد . »(3)

* وعن سويد بن مقرّن قال :قال رسول الله ﷺ :

« من قتل دون مظلمته فهو شهيد . »[4]

*وعن أبي هريرة قال: جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول

---

(1) آل عمران/170,169
(2) البقرة/190
(3) النسائي / جـ7/ ص 116
(4) النسائي / جـ7 / ص 117

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الله أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ قال : « فلا تعطه مالك » قال : أرأيت ان قاتلني . قال : « قاتله » قال : أرأيت ان قتلني . قال : « فأنت شهيد . » قال : أرأيت ان قتلته . قال « هو في النار »(1)

2 ـ غريزة الوالديّة :

وهي مرتبطة بالغريزة الجنسية . وقد أمرنا ديننا الحنيف باشباع هذه الغريزة بالطريق المشروع الحلال وهو النكاح الذي لا ينبني على مجرد العلاقة الجنسية العضوية المحضة ، ولكنه ينبني على مشاعر المودة والسكن والرحمة . والمقصود من اشباع هذه الغريزة التناسل والتكاثر وارضاء الرغبات الفطرية في الأبوّة والامومة التي أودعها الله في نفوس خلقه وجعلها مصدر سعادتهم وراحتهم النفسية وحبّهم للحياة ونضالهم المستمر فيها .

قال تعالى :

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ﴾(2)

وقال تعالى :

﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة . ﴾(3)

وعن عبد الرحمن بن يزيد ، قال دخلت مع علقمة والأسود على عبدالله ، فقال عبدالله : كنا مع النبي ﷺ شبابا لا نجد شيئاً . فقال لنا رسول الله ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج . فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له

---

(1) مسلم/جـ1 /ص 87
(2) الروم/21
(3) النحل/72

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجاء . »[1]

ونهى رسول الله ﷺ عن الرهبانية واعتزال النساء لما فيهما من خروج عن الفطرة الانسانية ، والدين الاسلامي هو دين الفطرة السليمة .

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فإني أصلّي الليل أبداً . وقال آخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ فقال :

« أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله انّي لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، ولكنّي أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوّج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني . »[2]

ونهى رسول الله ﷺ عن التبتّل لما فيه من تعطيل للوظائف الأساسية للفطرة الانسانية .

* عن سعد بن أبي وقّاص يقول : ردّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون « التبتّل » ولو أذن له لاختصينا .[3]

وقال تعالى :

﴿ثم قفّينا على آثارهم برسلنا ، وقفّينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل ، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ، ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون .﴾[4]

---

(1) البخاري / جـ7 / ص3 (2) نفس المصدر السابق / ص2
(3) البخاري / جـ7 / ص5 (4) الحديد / 27

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

3 ـ غريزة الهرب :

وهي الغريزة المرتبطة بالخوف والفرار طلبا للخلاص والنجاة . وقد دعت السنة النبوية الى تنمية هذه الغريزة لحماية المسلم من حبائل الهوى والشيطان ، وصونه من مهاوي الذنوب والمعاصي ، ووقايته من شرور الآثام والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والتماس رضا الله تعالى ، واستشعار رقابته الدائمة له ، وحضوره معه ، فان لم يكن يراه فان الله تعالى يراه في كل حال ، وهو أقرب اليه من حبل الوريد ، ويعلم ما توسوس به اليه نفسه ، وما يخفيه صدره .

قال تعالى :

﴿وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هي المأوى .﴾[1]

وقال عز وجل :

﴿ولمن خاف مقام ربّه جنتان .﴾[2]

وقال تعالى :

﴿وخافون ان كنتم مؤمنين .﴾[3]

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه ، ورجل قلبه معلق في المسجد ، ورجلان تحابا في الله ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال الى نفسها قال : إنّي أخاف الله ، ورجل

---

(1) النازعات/41,40

(2) الرحمن/46

(3) آل عمران/175

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعته يمينه . »[1]

4 ـ غريزة حب الاستطلاع :

وترتبط بهذه الغريزة النزعة الى التساؤل والتعجب والتأمل والفضول والاكتشاف وحب المعرفة ، وهو ما ينمي عقل الانسان ويوسع دائرة معارفه وخبراته وتجاربه ، ويقوّي فهمه ومداركه .

وتعترف السنة المحمدية بهذه الغريزة ، وتوجه الى اشباعها بالتعلم الرشيد وكسب العلم النافع والمعرفة المفيدة ، وحسن الفهم المنبني على التدبر والتعقل والتفكر .

قال تعالى :

﴿قل أنظروا ماذا في السموٰات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون .﴾[2]

قال تعالى :

﴿ن . والقلم وما يسطرون .﴾[3]

وقال عز وجل :

﴿اقرأ وربّك الأكرم . الذي علّم بالقلم . علّم الانسان ما لم يعلم .﴾[4]

وقال تعالى :

﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون .﴾[5]

---

(1) البخاري/جـ8/ص 203
(2) يونس/101
(3) القلم/1
(4) العلق/3 : 5
(5) الزمر/9

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال عز وجل :

﴿وقل ربِّ زدني علماً .﴾[1]

* عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

« طلب العلم فريضة على كل مسلم . »[2]

* وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« الكلمة الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها »[3]

* وقال رسول الله ﷺ :

« شفاء العيّ السؤال . »[4]

* وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق ، فمن خلق الله ، فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله . »[5]

ومن الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة المذكورة ، وغيرها كثير ، نلمس اهتمام السنة المحمدية بغريزة حب الاستطلاع وما يرتبط بها من استفسارات وتساؤلات وميل للكشف والمعرفة وتنميتها واشباعها بالتعلم والتلقي وكسب العلوم والمعارف النافعة للانسان بما يصلح حياته ويطورها وينهض بها .

ولا بد أن نشير الى أن السنة النبوية حرصت كل الحرص على تهذيب غريزة حب الاستطلاع والسمو بها ، والنأي بها عن تسقّط عيوب الآخرين

---

(1) طه/114

(2) ابن عبد البر/جامع بيان العلم وفضله/جـ1 /ص8

(3) ابن ماجه/جـ2/ص1395

(4) ابن عبد البر/جامع بيان العلم وفضله/جـ1/ص105

(5) مسلم/جـ1/ص 84,83

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والتجسس عليهم والاطلاع على عوراتهم والكشف عن معايبهم .

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ :

« من اطّلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حلّ لهم ان يفقؤا عليه . »[1]

* وعن ابن شهاب أن سهل بن سعد الساعدي أخبره أن رجلا اطّلع في جحر في باب رسول الله ﷺ، ومع رسول الله ﷺ مدري يحكّ به رأسه، فلما رآه رسول الله ﷺ قال:

« لو أعلم أنك تنظرني لطعنت في عينك »

وقال رسول الله ﷺ:

« انّما جعل الأذن من أجل البصر. »[2]

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« إيّاكم والظن ، فان الظّن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخواناً . »[3]

5 ـ غريزة البحث عن الطعام :

وهي من أهم الغرائز التي لا بد من اشباعها حفاظاً على الحياة والصحة العامة لقوى البدن والنفس ، وتدعو السنة النبوية الى اشباعها بالرزق الطيب الحلال ، مع مراعاة التوازن بين الناحيتين النوعية والكمية ، وتجنب الاسراف والمغالاة .

---

(1) مسلم/جـ6/ص181
(2) نفس المصدر السابق/ص181,180
(3) مسلم/جـ8 /ص 10

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون .﴾[1]

وقال عز وجل

﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كلّ مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون .﴾[2]

* عن أبي هريرة قال : ما عاب النبي ﷺ طعاماً قط ان اشتهاه أكله وان كرهه تركه . »[3]

* عن مقدام بن معدي كرب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه . »[4]

* وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ :

« إنّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشّربة فيحمده عليها . »[5]

* وعن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال :

« إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه ، فإن لم يجلسه معه ، فليناوله أكلة

---

(1) البقرة/172
(2) الاعراف/32,31
(3) البخاري/جـ7/ص96
(4) الترمذي/جـ9/ص224 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(5) مسلم/جـ8/ص87

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو أكلتين ، أو لقمة أو لقمتين ، فانه ولي حرّه وعلاجه .[1]

* وعن عبد الله بن عمرو أن رجلاً سأل النبي ﷺ : اي الاسلام خير ؟ قال :

« تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف »[2]

هذا هو موقف السنة النبوية المطهرة من غريزة البحث عن الطعام ، انه موقف الاتزان والاعتدال ، فلا اسراف ولا تقتير ، ولا جشع ولا شح ، بل اشباع بالطرق المشروعة الموزونة التي لا افراط فيها ولا تفريط ، مع حمدالله وشكره على نعمة الطعام ، وعدم حجبه عن المحتاجين والفقراء والمساكين ، لأنّ من يذوق الجوع يحس بألمه وأذاه ، ويستشعر مسؤولية تقديم فضل الطعام الزائد عن حاجته الطبيعية الى غيره ممن هو في حاجة طبيعية اليه .

6 ـ غريزة النفور :

وهي غريزة هامة ترتبط بالاشمئزاز مما لا يرتاح اليه الانسان ، ومما يسبب له القلق والتوتر .

وتهتم السنة النبوية بتنمية هذه الغريزة وتهذيبها لكي تحمي الانسان من المعاصي والموبقات وتنأى به عن الآثام والمحرمات ، وتقيه من الكفر والفسوق والعصيان ، وتجعله حريصا على عدم المساس بحرمات الله تعالى وحدوده ، وعدم ايذاء الناس باليد واللسان في انفسهم واعراضهم واموالهم .

قال تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن أثم ولا

---

(1) البخاري / جـ7 / ص106
(2) البخاري / جـ8 / ص65

تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ، واتقوا الله ان الله تواب رحيم . ﴾[1]

وقال عز وجل :

﴿واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتّم ولكنّ الله حبب اليكم الايمان وزيّنه في قلوبكم وكرّه اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون . ﴾[2]

* عن أبي هريرة عن محمد رسول الله ﷺ ؛ قال: قال رسول الله ﷺ :

« قال الله عز وجل : إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة ، فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل ، فإذا عملها فأنا اكتبها بعشر امثالها ، واذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا اغفرها له ما لم يعملها ، فإذا عملها فأنا اكتبها له بمثلها . » وقال رسول الله ﷺ : « قالت الملائكة ربّ ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به ، فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها ، وان تركها فاكتبوها له حسنة ، إنّما تركها من جرّاي . »[3]

7 ـ غريزة الاستغاثة :

وترتبط هذه الغريزة عند الانسان بالشعور بالضعف ، والحاجة الطبيعيةالى عون ومساعدة من هو أقدر منه وأقوى .

وتهتم السنة النبوية بهذه الغريزة وتنميتها لدى المسلم بحيث يشعر بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يملك القدرة المطلقة على نجدته واغاثته وانقاذه من معاناته ، اذ أنه هو خالقه وخالق كل شيء ، السميع المجيب مالك الملك على كل شيء قدير .

---

(1) الحجرات/12
(2) الحجرات/7
(3) مسلم/جـ8/ص 6 0

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال تعالى :

﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض اله مع الله قليلا ما تذكّرون . ﴾[1]

* وقال تعالى :

﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين . ﴾[2]

* عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« ان الله يقول : أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إذا دعاني . »[3]

* وعن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :

« يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : دعوت فلم يستجب لي . »[4]

* وعن ابن عبّاس ان نبيّ الله ﷺ كان يقول عند الكرب :

« لا اله الا الله العظيم الحليم ، الا اله الا الله ربّ العرش العظيم ، لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم . »[5]

8 ـ غريزة الخنوع :

ترتبط هذه الغريزة بالشعور بالنقص ، وخاصة عندما يشعر الانسان بضعفه وعدم قدرته على كثير من الأشياء ، ولذلك نجد أن السنة النبوية تهتم بها اهتماماً كبيراً وتهذبها وتوجهها الى الله عز وجل ، وعبادته حق

(1) النمل/62
(2) الفاتحة/5
(3) مسلم/جـ8 /ص 92
(4) البخاري/جـ8 /ص 92
(5) مسلم/جـ8 /ص 85

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العبادة ، وحسن طاعته ، والخضوع لمشيئته ، واتباع أوامره واجتناب نواهيه .

* قال تعالى :

﴿والذين يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً .﴾[1]

* وقال عز وجل :

﴿واياي فأرهبون .﴾[2]

* وقال تعالى :

﴿قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾[3]

* عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« يقول الله عز وجل أنا عند ظنّ عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم ، وان تقرّب مني شبراً تقربت اليه ذراعاً ، وان تقرّب اليّ ذراعاً تقربت منه باعاً ، وان أتاني يمشي اتيته هرولة . »[4]

* وعن البراء بن عازب ان النبي ﷺ اوصى رجلاً فقال :

« إذا أردت مضجعك فقل : اللهم أسلمت نفسي اليك ، وفوضت امري اليك ، ووجهت وجهي اليك ، والجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجأ منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذي انزلت ، وبنبيّك الذي أرسلت ، فان متّ متّ على الفطرة . »[5]

---

(1) الفرقان/64
(2) البقرة/40
(3) الانعام/162
(4) مسلم/جـ8/ص 63,62
(5) البخاري/جـ8/ص 85

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

9 ـ غريزة السيطرة :

يرتبط بهذه الغريزة الشعور بالزّهو والاعتداد بالذات والثقة بالنفس ، وحب التحكم في الآخرين .

وقد اهتمت السنة النبوية اهتماماً كبيراً بتهذيب هذه الغريزة وتوجيهها الوجهة الخيّرة التي تجعل الانسان يرعى أهله وبنيه ومن هم تحت مسؤوليته رعاية رشيدة قوامها الرحمة والرفق والعون والعدل والنصح والاخلاص ، لا الشدة والقسوة والقهر والتسلط والمكر والخديعة .

فالسيطرة في نظر السنة المحمدية ليست القوة الغاشمة الظالمة ، ولكن القوة الحازمة العادلة .

* قال تعالى :

﴿أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربّك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين .﴾[1]

* وقال عز وجل :

﴿فذكّر إنّما أنت مذكّر . لست عليهم بمصيطر .﴾[2]

* وعن ابن عمر عن النبي ﷺ انه قال :

« ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم ، والعبد راع على مال سيّده وهو مسؤول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . »[3]

---

(1) النحل/ 125
(2) الغاشية/ 22،21
(3) مسلم/جـ6/ص 8

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن جرير بن عبدالله يقول ،قال رسول الله ﷺ :

« من يحرم الرفق يحرم الخير . »[1]

* وعن جرير بن عبدالله عن النبي ﷺ قال :

« من لا يَرحم لا يُرحم . »[2]

* وعن معقل بن يسار المزنّي انه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشّ لرعيته إلاّ حرّم الله عليه الجنّة . »[3]

10 ـ غريزة التملّك :

غريزة التملك من الغرائز الهامة التي تجعل الانسان يحرص على الحياة وتدفعه الى العمل والكفاح ، وتشيع في نفسه الآمال والطموح .

وتولي السنة النبوية لهذه الغريزة اهتماماً كبيراً فتدعو الى اشباعها بالطرق المشروعة السوية ، والعمل على تهذيبها وتعديلها ، فلا افراط فيها يقود الى الجشع والشح وظلم الآخرين ، ولا تفريط فيها يؤدي الى الفاقة والتواكل والتبذير .

* قال تعالى :

﴿وتحبّون المال حبّاً جمّاً . .﴾[4]

* وقال عز وجل :

﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم .﴾[5]

---

(1) مسلم/جـ8 /ص 22
(2) البخاري/جـ8 / ص 12
(3) مسلم/جـ 1/ص 88
(4) الفجر/20
(5) التغابن/15

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وقال تعالى :

﴿ووجدك عائلاً فأغنى .﴾[1]

* عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول سمعت النبي ﷺ يقول :

« لو كان لأبن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب . »[2]

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان ، حب المال وطول العمر . »[3]

* عن هشام عن أبيه عن خالته أن النبي ﷺ كان يتعوذ :

« اللهم اني أعوذ بك من فتنة النار ، ومن عذاب النار ، وأعوذ بك من فتنة القبر وعذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة **الغنى** وأعوذ بك من **فتنة الفقر** ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدّجّال . »[4]

* ولا بد من مراعاة انفاق المال في سبيل الله تعالى : سواء في الجهاد أم في مساعدة الفقراء والمحتاجين والمساكين .

* عن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا حسد إلاّ في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته في الحق ، وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها »[5]

* عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال :

---

(1) الضحى / 5
(2) البخاري / جـ8 / ص 115
(3) البخاري / جـ8 / ص111
(4) البخاري / جـ8 / ص100
(5) البخاري / جـ9 / ص 78

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« لو كان لي أحد ذهباً لأحببت أن لا يأتي ثلاث وعندي منه دينار ، ليس شيء أرصده في دين عليّ أجد من يقبله ».[1]

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

« ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي فيها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفّحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنّم ، فيكوي بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ، حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة وإما الى النار »[2]

11 ـ غريزة الحل والتركيب :

وتدفع هذه الغريزة الانسان الى النشاط العقلي ، والتفكير والتأمل والتدبر والاستنباط والاستنتاج .

وتهتم السنة النبوية بتنمية هذه الغريزة وصقلها بما يحقق للانسان حسن النضج العقلي ، والاكتمال الفكري والمنطقي ونمو الفهم واتساع المدارك والقدرة على الاجتهاد واصدار الأحكام الصائبة التي ترسّخ عقيدته وتساعده على بناء حياته بناء سليماً .

* عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

« ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها هي مثل المسلم ، حدّثوني ما هي ؟ » فوقع الناس في شجر البادية ، ووقع في نفسي أنها النخلة ، قال عبدالله : فاستحييت فقالوا : يا رسول الله أخبرنا بها ، فقال رسول الله ﷺ : « هي النخلة . ».[3]

---

(1) البخاري / جـ9 / ص 103,102
(2) مسلم / جـ3 / ص 70
(3) البخاري / جـ1 / ص45

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله اجران ، واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر . »[1]

كما انه يمكن الاستفادة بغريزة الحل والتركيب في هدم المعتقدات واقامة العقائد الصحيحة مكانها، باقتناع منطقي مبني على الفهم والدليل العقلي التحليلي او التركيبي .

قال تعالى :

﴿إنّي وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين .﴾[2]

وقال عز وجل :

﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين .﴾[3]

12 ـ غريزة حب الاجتماع :

تدفع هذه الغريزة الانسان الى الارتباط الوثيق بغيره من الأفراد الذين يعيش معهم في مجتمع واحد فيتعاون معهم ويشاركهم العمل على تحقيق المصالح والأهداف العامة التي تعود عليهم جميعاً بالفائدة المشتركة ، ولا شك أن الانسان لا يستطيع ان يحيا في عزلة عن الآخرين ، ولا يمكنه حل مشاكله او مواجهة مصاعب حياته لوحده .

---

(1) البخاري / جـ9 / ص133
(2) الأنعام / 79
(3) يونس / 104

وتهتم السنة النبوية بهذه الغريزة اهتماماً كبيراً وتوجهها وجهة خيّرة هادفة تقود الى اقامة مجتمع صالح مترابط يتعاون أعضاؤه على البر والتقوى وينأون عن الأثم والعدوان .

* قال تعالى :

﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان﴾[1]

* وقال عز وجل :

﴿يا ايها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا اناكرمكمعند الله أتقاكم ان الله عليم خبير .﴾[2]

* وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، ثم شبّك بين أصابعه . »[3]

* وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ، أو قال لجاره ، ما يحب لنفسه »[4]

* وعن أنس بن مالك ان رسول الله ﷺ قال :

« لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخواناً ، ولا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث . »[5]

* وعن النعمان بن بشيرقال:قال رسول الله ﷺ :

---

(1) المائدة/2
(2) الحجرات/13
(3) البخاري/جـ8 /ص 14
(4) مسلم/جـ1 /ص 49
(5) مسلم/جـ8/ص 8

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى . »[1]

13 ـ غريزة الضحك :

ويرتبط بهذه الغريزة حب التسلية والترويج والانبساط والانشراح ، ولا بد من اشباعها حتى يخفف الانسان عن نفسه عناء الحياة ومتاعبها ، ويستجم ويستعيد نشاطه وحيويته من جديد .

وتولي السنة النبوية المطهرة لهذه الغريزة اهتماماً كبيرا، وتدعو الى اشباعها بالاسلوب المتزن القويم ، فلا كبت يقود الى الجمود والتجهم والصرامة ولا اطلاق للعنان يؤدي الى التهريج والعبث وضياع الهيبة والاحترام بين الناس .

* قال تعالى :

﴿وإنّه هو أضحك وأبكى .﴾[2]

* وقال عز وجل :

﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون .﴾[3]

* وعن انس بن مالك رضي الله عنه يقول : ان كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير : « يا أبا عمير ما فعل النغير . »[4]

---

(1) مسلم/جـ8 /ص20
(2) النجم/43
(3) الحجرات/11
(4) البخاري/جـ8 /ص 37

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت النبي ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته ، انما كان يتبسم .[1]

* وعن عبدالله بن زمعة قال: نهى النبي ﷺ أن يضحك الرجل مما يخرج من الأنفس . »[2]

* وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال :

« لا تمار أخاك ، ولا تمازحه ، ولا تعده موعدة فتخلفه . »[3]

14 ـ الغريزة الجنسية :

وهي مرتبطة بغريزة الوالدية التي سبق وأن بيّناها ، وتعتبر هذه الغريزة من أقوى الغرائز وأكثرها الحاحاً على الاشباع من كثير من الغرائز ، وذلك لما اقتضته حكمة الله عز وجل من أن تكون وسيلة البشرية في التكاثر والبقاء والاستمرار الى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

وقد اهتمت السنة النبوية بهذه الغريزة ودعت الى اشباعها بالطريق المشروع الحلال وهو النكاح الشرعي ، وبذلك جعلت حداً حكيماً للكبت والرهبانية المخلة بالطبيعة البشرية من جهة ، وللتفسخ والانحلال المضر بالانسان والمجتمع من جهة اخرى .

* قال تعالى :

﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألّا تعدلوا فواحدة . . ﴾[4]

---

(1) البخاري/جـ8 /ص30
(2) البخاري/جـ8 /ص18
(3) الترمذي/جـ8 /ص161,160 (وقال عنه : حديث حسن غريب)
(4) النساء/3

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال عز وجل :

﴿نساؤكم حرث لكم فآتوا حرثكم أنّى شئتم وقدموا لأنفسكم﴾ [1]

وقال تعالى :

﴿والذين هم لفروجهم حافظون . إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين .﴾[2]

وقال عز وجل :

﴿ولا تقربوا الزّنى انه كان فاحشة وساء سبيلاً .﴾[3]

* وعن عبدالله بنْ عمرو بن العاص ان رسول الله ﷺ قال :

« ان الدنيا كلها متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة »[4]

* وعن انس قال :قال رسول الله ﷺ :

« حبّب اليّ من الدنيا النساء والطيب ، وجعل قرة عيني في الصلاة »[5]

* وعن سعد بن أبي وقّاص قال : لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان ممن ترك النساء بعث اليه رسول الله ﷺ فقال : « يا عثمان اني لم اومر بالرهبانية أرغبت عن سنتي ؟ » قال : يا رسول الله . قال : « ان من سنتي أن أصلي وأنام ، وأصوم وأطعم ، وأنكح وأطلّق فمن رغب عن سنتي فليس مني ، يا عثمان ان لأهلك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً . »[6]

---

(1) البقرة/223
(2) المعارج/30,29
(3) الاسراء/ 32
(4) النسائي/جـ 6 /ص 61
(5) النسائي/جـ 7 /ص 61
(6) سنن الدارمي/جـ2 /ص133

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا : الانفعالات : EMOTIONS

يولد الانسان مزوداً بالانفعالات التي تعبّر عن مشاعره وأحاسيسه وتكوّن وجدانه ، وتؤثر في مواقفه واتجاهاته وتكيفه مع ظروف البيئة الخارجية التي يعيش فيها .

وبدراسة حياة الطفل النفسية منذ مرحلة الطفولة المبكرة تتضح لنا الانفعالات التي يبديها وكثيرا ما تتسم هذه الانفعالات بالحدة والقوة ، كالخوف او الفزع الذي يعتريه عندما يسمع فجأة صوتاً عالياً يشق عليه سكونه ، أو كبكائه عندما يشعر بالجوع او العطش أو ما يقلق راحته ، أو كصراخه عندما يفتكّ منه ما في حوزته او يحرم مما يحب ، وهلم جرا .

وقد تتسم انفعالات الطفل بعدم الثبات وسرعة الانتقال من حالة الى أخرى فهو سريع البكاء والضحك ، وسريع الرضا والتبرم وسريع القبول والرفض .

وكلما تقدم الطفل في السن ، ونضجت مداركه العقلية ، وتوسعت علاقاته الاجتماعية ، وزادت صلته بالأشياء وتعرفه عليها ، كلما أصبح أقدر على ضبط انفعالاته والتحكم فيها ، نتيجة لما تخضع له حياته الوجدانية من تهذيب وتنظيم وتوجيه تربوي يحقق لها التوازن والاعتدال اللازم لبناء شخصيته بناء سليما .

معنى الانفعال :

من أهم خصائص الانفعالات : الاثارة ، والتغيّر ، وعدم الاستقرار . وتستثار الانفعالات بعاملين : أحدهما داخلي ينبع من ذات الفرد ، كالشعور بالألم مثلا ، وثانيهما خارجي يتعلق بالمثيرات التي توجد في بيئته التي يعيش فيها ، كرؤية ما يدعو الى الاشمئزاز والتقزز مثلا ، وقد تكون الانفعالات عناصر تقوية للدوافع المحركة لسلوك الفرد أحياناً ، وعناصر مضعّفة لها أحيانا اخرى ، فمثلا انفعال الغضب قد ينشط ويقوّي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دوافع الفرد الى الخصام والقتال ، وانفعال الاشمئزاز قد يضعف دوافع الفرد الى الاقبال على ما كان مصدر اشمئزازه ونفوره .

ولئن كان يصعب وضع تعريف محدد لمعنى الانفعال ، إلا أنه يمكن فهمه ومعرفته من خلال خصائصه والآثار المترتبة عليها ومنها مثلا :

1— « التغير المفاجيء الذي يشمل المظاهر الجسمية للفرد ككل .

2— المظاهر التعبيرية الخارجية التي تبدو في الحركات والتغيرات والأوضاع الجسمية المختلفة .

3— الانفعال حالة شعورية يمكن الاستدلال على نواحيه الداخلية بالتأمل الباطني .

4— قد يكون للانفعال مظهر عضوي داخلي كاضطراب التنفس وسرعة نبض القلب ، وجفاف الفم ، وتغيرات الدم ، ونشاط غدد العرق ، وارتخاء عضلات الجسم »[1]

والمظاهر التعبيرية للانفعال واضحة للأعين ، ولا يستطيع الفرد اخفاءها عندما يكون في ذروة التأثر النفسي ، وهذه المظاهر تبدو في صور متعددة وان كانت متداخلة ، من خلال وجه المرء وحركاته وقلقه وتوتره : كانفعال الرعب والخوف ، والحقد والحزن ، والنفور والاشمئزاز ، والدهشة والتعجب ، والأمل والرجاء ، واليأس والخيبة ، والحب والاستلطاف ، وهكذا .

وللانفعالات تأثير كبير في السلوك الانساني ، واتصال وثيق بمظاهره وصوره المختلفة ، فالانفعالات كما أشرنا تقوّي أحيانا دوافع السلوك وأحيانا أخرى تضعّفها ، كما يلاحظ ان لكل دافع من الدوافع انفعالا مميزا يصاحبه ، فمثلا : يصاحب انفعال الغضب الدافع الى المقاتلة ،

---

(1) لزيادة الاطلاع أنظر : د. مصطفى فهمي / الدوافع النفسية من ص 82 الى ص 94

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويصاحب انفعال الخوف الدافع الى الهرب والخلاص ، ويصاحب انفعال الحنو والعطف الدافع الى الوالدية ، ويصاحب انفعال الشهوة الدافع الى الجنس ، ويصاحب انفعال الجوع الدافع الى الطعام وهكذا .

ولا يخلو أي نوع من سلوك الانسان ناتج عن دافع معين من انفعال خاص يرتبط بهذا الدافع ، وان كان يبدو السلوك تارة منفعلا ، أي يصحبه انفعال قوي واضح كالغضب ، وتارة يبدو غير منفعل اي يصحبه انفعال هادىء كالارتياح مثلا .

وبدراسة المضامين التربوية في السنة النبوية، نجد أنها تقف من الانفعالات موقفا ايجابيا يهتم بتهذيبها وضبطها وتعديلها ، وترقيتها ويوجه الانسان الى التحكم فيها ، لأنها المحرّكة لسلوكه والباعثة لنشاطه والمحفزة لقواه ، فلا بد من ان يملك زمام أمرها بيده حتى لا تعود عليه وعلى الجماعة التي يعيش بينها بالوبال والنتائج الوخيمة اذا اطلق لها العنان وانساق في تيارها الجارف بغير رشد عقل ، او ضبط نفس ، او قمع هوى ، هذا مع التركيز على أهمية الانفعالات الايجابية التي تدفع الانسان الى حفظ عقيدته ، وصون عرضه ، والدفاع عن كرامته .

* عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :
« حجبت النار بالشهوات ، وحجبت الجنة بالمكاره »[1]

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال :
« ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »[2]

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي ﷺ :

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 127

(2) نفس المصدر السابق / ص 34

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أوصني ، قال : « لاتغضب » فردد مرارا ، قال : « لا تغضب »[1]

وعن عائشة رضي الله عنها : أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا : السّام عليك . قال : « وعليكم » فقالت عائشة : السّام عليكم ، ولعنكم الله وغضب عليكم . فقال رسول الله ﷺ : « مهلا يا عائشة ، عليك بالرفق ، وإيّاك والعنف أو الفحش » قالت : أوَلَمْ تسمع ما قالوا ؟ قال : « أوَلَمْ تسمعي ما قلت ؟ رددت عليهم ، فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيّ »[2]

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

« الحياء من الايمان والايمان في الجنة . والبذاء من الجفاء والجفاء من النار »[3]

* وقال سعد بن عبادة : لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال :

« أتعجبون من غيرة سعد . لأنا أغير منه ، والله أغير مني »[4]

* وقال رسول الله ﷺ :

« ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله »[5]

وقال تعالى :

﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾[6]

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 35
(2) البخاري / جـ 8 / ص 106
(3) الترمذي / جـ 8/ص 171 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(4) البخاري / جـ 8/ص 215
(5) المتقى منتخب كنز العمال / جـ 1 /ص 165 (رواه ابن ماجه عن ابن عمر)
(6) آل عمران / 134

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وقال عزّ وجلّ :

﴿فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره﴾[1]

* وقال تعالى :

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾[2]

ثالثاً : العواطف : Sentiments

ترتبط انفعالات الانسان بعضها ببعض وتتمحور حول الأشخاص أو الأشياء او القيم والمعاني المجردة ، وتقوى وتشتد وتترسخ حتى تكوّن العواطف المختلفة .

ومعنى ذلك أن تركيب العاطفة يتكون من عدة انفعالات ، وأن العاطفة كلما تعقدت كلما اتسعت الانفعالات الداخلة في تركيبها ، وتعددت مظاهر وأساليب النشاط الانساني الصادر عن تلك العاطفة وانفعالاتها ، فمثلا : نرى الأم تهتم بوليدها بدوافع عاطفة الأمومة وانفعالها المرتبط بها وهو الحنوّ ، ثم تتسع عاطفتها نحوه وتتعقد حتى تتعدى انفعال الحنو ، الى انفعال الغضب من أجله ، والسرور لسعادته ، والبكاء لمرضه ، والحزن لألمه ، وهكذا يتضح لنا ان الانفعالات تتلوّن وتتعدد تبعا لتعقد واتساع العاطفة التي تدخل في تركيبها .

والعواطف في حد ذاتها ، تتلون ايضا وتتميز عن بعضها بعض وان لاحظنا بينها تشابهاً ظاهرياً لاختلافها في التركيب والتكوين ، وتباينها في التأثير على نفسية الفرد وسلوكه واتجاهاته . فمثلا : عاطفة الحب ليست مطلقة وليست واحدة للناس والأشياء جميعا . فهناك عاطفة حب الأبناء وحب الوالدين ، وحب الزوج ، وحب الأقارب ، والأصدقاء ، وحب

---

(1) البقرة / 109

(2) الفرقان / 63

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعض الحيوان وبعض الأشياء ، وكذلك هو الحال بالنسبة لعاطفة البغض وهلم جرا .

معنى العاطفة :

من خلال ما تقدم يتضح لنا أن العاطفة عبارة عن استعداد نفسي يتقوى ويترسخ بالاكتساب وليس بالفطرة ، نتيجة لتركز مجموعة من الانفعالات والغرائز المرتبطة بها حول شخص أو موضوع أو شيء معيّن .

« فالعاطفة اذن هي عبارة عن اتجاه وجداني نحو موضوع بعينه ، مكتسبة بالخبرة والتعلم »[1]

وواضح ان العاطفة تختلف عن الانفعال ، وان كان تكوينها يتم بناء على تكرر عدد من الانفعالات وتركزها ، وذلك لأن الانفعال عبارة عن تجربة عابرة ، وتغيّر فجائي ، اما العاطفة فهي نزعة مكتسبة مستقرة تكونت بالتدرج بعد مرورها بعدة مظاهر وأنشطة وتجارب وجدانية .

وتتجمع العواطف وتتسق في نسق متكامل الى جوار الغرائز والانفعالات التي تترابط معها ، وتشكل جميعها الجانب الوجداني الذي يعتبر أهم مكونات الشخصية الانسانية ، وأبعدها تأثيرا في سلوك الفرد وتصرفاته وأنشطته ، ومواقفه واتجاهاته ونظرته الى الحياة ، وتكيفه مع ظروفها المختلفة .

« إن العواطف الثابتة تعطي الحياة الوجدانية نظاما واتساقاً ثابتا نحو أهداف الذات ، وان عاطفة قوية لهي كافية لتحديد نشاط الفرد واتجاهاته في حياته »[2]

وقد اهتمت السنة النبوية اهتماماً كبيراً « بالعواطف » وركزت على

---

(1) د. مصطفى فهمي / الدوافع النفسية / ص 97

(2) نفس المصدر السابق / ص 97

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غرس الايجابيّ منها وترسيخه في النفوس منذ فترة الطفولة المبكرة ، وحمّلت الآباء والمربين مسؤولية توجيه أبنائهم الى ضبط انفعالاتهم وترشيدها ليكتسبوا العواطف الصالحة في حياتهم ، وأشادت السنة النبوية بمعالي الاخلاق وبيّنت في وضوح وجلاء الاخلاق الفاضلة والصفات الحميدة التي يجب ان يتحلى بها الانسان ، والأخلاق المرذولة والصفات المذمومة التي يجب ان يتجنبها ، حتى يصدر انفعالاته ويكوّن عواطفه على أسس الهداية والاستقامة والصلاح .

كما حرصت السنة النبوية على تخليص الفرد بتوجيهه الى التوازن والاعتدال والضبط الذاتي من تبعة تنازع العواطف وتعارضها وتضاربها ، وغلبة احدى العواطف على غيرها فتسود وتتحكم في سلوك الفرد واتجاهاته ، وتجعله قلقا متوترا معذبا مشتتا بين عواطفه المتناقضة ، وهذا ما سيتبين لنا بصورة أوضح ، عند بحث موضوع تشابك العواطف وأنواعها ، بايراد الشواهد عليها من السنة المطهرة .

تشابك العواطف :

بالرغم من انه لا توجد عاطفة واحدة مطلقة موجهة للناس والأشياء جميعا ، إلا ان العواطف تتشابك وتتداخل وان تلونت واختلفت ، وبرز بعضها وتوارى البعض الآخر .

فمثلا : تتشابك عاطفة حب الوالدين مع عاطفة احترامهم وتوقيرهم ، وتتشابك عاطفة حب الأصدقاء مع عاطفة تقديرهم ، وعاطفة الغضب من أجلهم . وتتظافر مع عاطفة حب الزوجة عاطفة الغيرة عليها ، وهكذا .

ونستعرض فيما يلي أبرز العواطف الانسانية ، على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

1— عاطفة الحب :

وتتجه هذه العاطفة الى الوالدين والزوج والأبناء والأقرباء ، والأصدقاء ، والوطن ، والمجتمع ، والقيم والمثل العليا ونحوها ، وتتشابك مع هذه العاطفة ، عواطف الاجلال والتوقير والاحترام والتقدير وما اليها .

ويكتسب الانسان هذه العاطفة منذ فجر حياته الأولى ، وتقوى لديه وترسخ وتشتد كلما نضج عقله واتسعت مداركه وتكاملت شخصيته ، وأدرك العلاقات المتينة التي تشده الى الآخرين من أقارب وغيرهم ، ولا غنى له عن هذه العاطفة سواء أكانت موجهة منه أم موجهة اليه ، حتى تسلم حياته من الهزات والمتاعب النفسية ، ويعيش في سكينة وطمأنينة وهدوء .

وتهتم السنة النبوية اهتماما كبيرا بهذه العاطفة ، وتقرها وتهذبها وتسمو بها ، وتتدرج بها من حب الوالدين وتوقيرهم الى حب الله تعالى ورسوله الخاتم الأمين ، لأن حب الله ورسوله هو مصدر كل خير وهداية وسعادة ، وينعكس نوره على ما دونه ، فيكون حب الانسان لغيره هو حب في الله خالصا صادقاً صافياً لا يربط لمصلحة ولا يحل لفقدانها .

* عن أنس بن مالك أن أعرابيا قال لرسول الله ﷺ ، متى الساعة ؟ قال رسول الله ﷺ: « ما أعددت لها ؟ » قال : حب الله ورسوله . قال : « أنت مع من أحببت ؟ »[1]

* وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : سألت رسول الله ﷺ ، قلت: يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال : « الصلاة على ميقاتها » . قلت : ثم أي ؟ قال : « ثم بر الوالدين » ، قلت : ثم أي ؟ قال :

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 42

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« الجهاد في سبيل الله » . فسكت عن رسول الله ﷺ ، ولو استزدته لزادني[1]

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لا يجد أحد حلاوة الايمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وحتى ان يقذف في النار أحب اليه من ان يرجع الى الكفر بعد إذ أنقذه الله ، وحتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما »[2]

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ان الرّحم شجنة من الرحمن فقال الله : من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته »[3]

2— عاطفة البغض

وتتجه هذه العاطفة الى الأشخاص والأشياء التي تكون مصدر كراهية واشمئزاز وتقزز . وتتشابك مع هذه العاطفة عواطف الاحتقار والنفور والامتهان والحقد وما اليها .

وتقر السنة النبوية هذه العاطفة، وتوجه الى كسبها على النحو الواعي السليم ، وتعدلها وتوجهها الى المحرمات والمعاصي والدنايا وسيء الأخلاق ومذموم الصفات ، وكما تجعل عاطفة الحب خالصة لله تعالى ، فإنها تجعل عاطفة البغض خالصة فيه حتى لا تقود الانسان الى الحاق الضرر بنفسه وبغيره .

* عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنيّ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال :

« من أعطى لله ومنح لله وأحب لله وأبغض لله ، وأنكح لله فقد

---

(1) البخاري / جـ 4/ص 17

(2) البخاري / جـ 8/ص 17

(3) نفس المصدر السابق / ص 7

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استكمل إيمانه »[1]

* وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال :

« لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا ، ولا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث »[2]

* وقال رسول الله ﷺ :

« إياكم والبغضاء فإنها الحالقة »[3]

3— عاطفة الحياء :

وتتجه هذه العاطفة الى الاشخاص الذين يجلهم الانسان ، ويخجل منهم ويستحي أن تبدر منه منقصة أو عيب أمامهم ، وتتشابك مع هذه العاطفة ، عاطفة الخجل وعاطفة الاجلال وعاطفة الاحترام وما اليها .

وتهتم السنة المطهرة بهذه العاطفة اهتماما كبيرا ، وتعمل على ترسيخها في النفوس بالشكل الايجابي لا السلبي ، وتجعلها وسيلة لكسب معالي الأخلاق والتنزه عن سفاسفها ، وتجنب الطيش والرعونة والتبجح .

على ان السنة النبوية توجه الى عدم الاستحياء اثناء تلقي العلوم والمعارف حتى لا تفوت على الانسان لخجله وحيائه فرص التعلم المفيد وفق ما يبديه من أسئلة واستفسارات ومشاركة فعالة في المناقشات .

* عن عمران بن حصين قال : قال النبي ﷺ :

« الحياء لا يأتي إلّا بخير »[4]

---

(1) الترمذي / جـ 9/ص 323 (وقال عنه : حديث حسن)

(2) مسلم / جـ 8/ص 8

(3) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1/ص 261 (رواه الخرائطي في مساوىء الاخلاق عن : ابي هريرة)

(4) البخاري / جـ 8/ص 35

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن أبي سعيد يقول : كان النبي ﷺ أشدّ حياء من العذراء في خدرها »[1]

* وقال رسول الله ﷺ :.
« إن لكل دين خلقا وان خلق الاسلام الحياء »[2]

* عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : جاءت أم سليم الى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ان الله لا يستحي من الحق . فهل على المرأة غسل اذا احتلمت ؟ فقال : « نعم . إذا رأت الماء »[3]

4— عاطفة الغيرة :

وتتجه هذه العاطفة الى الأشخاص الذين يحبهم الانسان ، فتدفعه عاطفة حبه الى الغيرة عليهم وعلى أعراضهم ومصالحهم ، ومن أبرز الأدلة على ذلك غيرة الزوجين ، وتتشابك مع عاطفة الغيرة عواطف الحب والاعزاز والتقدير والحقد والبغض وما اليها .

وتعترف السنة المحمدية بعاطفة الغيرة ، ولكنها تعمل على تعديلها وتوازنها وتهذيبها وتوجيهها الوجهة الخيّرة التي تساعد الفرد على حفظ عقيدته وحماية عرضه وشرفه وكرامته ، وصيانة أخلاق جماعته .

* عن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ :
« ليس أحد أغير من الله ، لذلك حرّم الفواحش وليس أحد أحب اليه المدح من الله »[4]

* وقال سعد بن عبادة : لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 35
(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1/ص 167 (رواه ابن ماجة : عن أنس وابن عباس)
(3) البخاري / جـ 8/ص 36
(4) سنن الدارمي / جـ 2/ص 149

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غير مصفح . فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : « أتعجبون من غيرة سعد ؟ لأنا أغيَر منه ، والله أغيَر مني »[1]

* وعن عقبة بن عامر ان رسول الله ﷺ قال :
« إيّاكم والدخول على النساء » .
فقال رجل من الأنصار يا رسول الله ، أفرأيت الحمو ؟
قال : « الحمو : الموت »[2]

أنواع العواطف :

يقسم علماء النفس العواطف الى نوعين رئيسيين : النوع الأول ويشمل العواطف المادية وهي التي تتمحور حول الأشخاص او بعض الحيوانات او بعض الأشياء الملموسة : كحب التحف الفنية او الملابس او الطعام وغيرها .

والنوع الثاني ويشمل العواطف المعنوية وهي التي تدور حول القيم والمثل العليا : كالعاطفة الدينية ، وحب الوطن ، والشغف بالعلوم او الفنون ، والتعلق بالأخلاق الفاضلة وما اليها .

ومهما يكن من شأن أوجه الاتفاق او الخلاف في تقسيم العواطف الى أنواع ، وفي تشابكها وتداخلها ، إلا أنه يمكننا للايضاح ، والشرح المبسط ان نذكر ان أهم أنواع العواطف هي : العواطف المتجهة الى الذات والعواطف المتجهة الى الأشخاص ، والعواطف المتجهة الى الجماعة ، والعواطف المتجهة الى الحيوانات والأشياء ، والعواطف السائدة .

ونبيّن بشكل مجمل هذه الأنواع كلا على حدة فيما يلي :

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 215
(2) مسلم / جـ 7/ص 7

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

1— العواطف المتجهة الى الذات :

تتركز العواطف أساسا حول الذات Self أو ما يدور في فلكها فالطفل منذ نشأته الأولى يتجه بعواطفه الى إرضاء ذاته ، وتلبية رغباته وإشباع نوازعه .

وعندما يوجه الطفل عواطفه الى والديه او مربيه فلأنه يشعر باهتمامهم به ، وتلبيتهم لرغباته ، واستجابتهم لمطالبه وإشباعهم لاحتياجاته .

واذا نما الطفل وظل شديد التعلق بالعواطف التي تدور حول ذاته وحدها ، ولم يلق التوجيه التربوي السليم لتعديل اتجاهاته الأنانية ومشاعره الفردية فان عواطفه تنقلب الى مرض نفسي يلازمه في الكبر ، وقد يصبح عاشقاً لذاته لا يعترف بسواها ، وهو يتوقع من الجميع ، وفي كل حين ، المدح والتكريم والتعظيم وان كان بغير وجه حق .

وعشق الذات مرض نفسي اطلق عليه علماء النفس النرجسية رمزا الى اسطورة اغريقية مفادها ان شابا رأى وجهه في الماء ففتنه جماله وشغله عن كل ما عداه، فظل ينظر الى وجهه حتى ان إحدى الآلهة عشقته فلم يلتفت اليها فحولته الى زهرة النرجس .

وهذا المرض النفسي يجعل عاشق ذاته لا يطيق مدح سواه ، ولا يقبل الاهتمام بغيره ، شديد الاعجاب بنفسه والثناء عليها ، وجعلها محور اهتمام الجميع ، حتى انه قد ينافق ويرائي ويكذب ويشوّه الحقائق ، ويحط من قدر غيره ليبدو دائما في صورة السمو والرفعة ، منفرداً بالفضائل ، الى ان يقع في متاهات الكبرياء والغرور والزيغ والضلال .

والسنة النبوية المطهرة تقر العاطفة المتجهة الى الذات لكونها اساس تكوين الشخصية القوية ، والاعتداد بالنفس ، وشق طريق الحياة بثقة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصلابة ، ومواجهة أعبائها ومشاقها بصبر وقوة احتمال .

إلّا أنها تعمل على تعديل هذه العاطفة وتحرص على ان تجعلها متمشية مع القيم الروحية والفضائل الأخلاقية والآداب الاجتماعية ، حتى تتحقق مصلحة الفرد والمجتمع معا .

قال تعالى :

﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾[1]

وقال عزّ وجلّ :

﴿ألم ترَ الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء﴾[2]

* وقال تعالى :

﴿ولا تمشِ في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾[3]

* وعن عبدالله بن مسعود ان النبي ﷺ قال :

« لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر »

قال رجل : ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة . قال : « ان الله جميل يحب الجمال . الكبر : بطر الحق وغمط الناس »[4]

* وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« بينما رجل يمشي وقد أعجبته جمّته وبرداه اذ خسف به الأرض فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة »[5]

---

(1) النجم/23
(2) النساء/49
(3) الاسراء/ 37
(4) مسلم/جـ1 /ص 65
(5) مسلم/جـ6 /ص 148

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال :
« لا ينظر الله الى من جرّ ثوبه خيلاء »[1]

هكذا تحرص السنة النبوية على تعديل العاطفة المتجهة الى الذات والسمو بها عن الدنايا والرذائل ، وتوجيهها توجيها خيرا يحقق للشخصية توازنها وتكيفها ، ويجعل الفرد حريصا على إرضاء ربه تعالى ، معتدا بذاته في غير كبر ، واثقاً في نفسه بدون غرور ، متمسكا بأهداب الفضيلة ، ملتزما بمكارم الأخلاق ، قادراً على التكيف مع مجتمعه الذي يعيش فيه ، محصنا ضد الأثرة والأنانية والكبرياء .

2— العواطف المتجهة الى الأشخاص :

لا شك أن العاطفة المتمحورة حول الذات تدفع الفرد الى الاتجاه بعواطفه الى الأشخاص الذين يهتمون به ، ويولونه الرعاية ، ويعتنون بمطالبه ، ويستجيبون لرغباته ، ويشبعون حاجته ، وفي مقدمتهم الوالدين والأخوة والأقارب والأصدقاء والمربين وزملاء العمل ، وهكذا تبدأ دائرة العواطف من الأسرة وتتسع شيئا فشيئا حتى تشمل المجتمع بأسره .

وتهتم السنة النبوية بالعواطف المتجهة الى الأشخاص ، وتدعو الى ترسيخها وتعميقها في نفوس الناشئة منذ بواكير حياتهم ، لأن ارتباط الفرد بوالديه وأسرته وأقاربه وجيرانه هو مصدر سعادته وراحة نفسه وأساس تكوين شخصيته السوية المتكاملة ، خاصة اذا ما أقيم هذا الارتباط على دعائم القيم الروحية والخلقية والاجتماعية .

والفرد لا يستطيع أن يحيا بمفرده ، ولا أن يحل مشاكله ويتخطى مصاعبه بدون مساعدة غيره ، بل هو يحتاج دوما الى عون الآخرين الذين يحتاجون بصورة أو بأخرى ، الى إسهامه معهم في حل المشاكل المشتركة

---

(1) نفس المصدر السابق/ص 146

وتحقيق الأهداف والأماني المشتركة .

ولذلك كانت العواطف المتجهة من الفرد الى الآخرين عواطف طبيعية تقتضيها الفطرة الانسانية وتمليها الحاجة الى تظافر الأفراد جميعا وتعاونهم على صنع حياتهم وتطويرها . وبذلك تكون العواطف أساسا قويا يمتّن التلاحم والتآزر والتكامل والتعاون بين افراد المجتمع الواحد .

والسنة النبوية تقرّ العواطف المتجهة الى الوالدين وتدعمها وترسخها في النفوس .

* قال تعالى :
﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا﴾[1]

* وقال عز وجل :
﴿ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ [2]

* عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، سألت رسول الله ﷺ قلت : يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال : « الصلاة على ميقاتها » قلت ثم أي ؟ قال : «**ثم برّ الوالدين** » قلت : ثم أيّ ؟ قال « الجهاد في سبيل الله » فسكت عن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادني .[3]

* وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : أقبل رجل الى نبي الله ﷺ فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد ابتغي الأجر من الله .
قال : « فهل من والديك أحد حيّ ؟ » قال : نعم ، بل كلاهما .
قال : « فتبتغي الأجر من الله ؟ » قال : نعم ، قال : « فارجع الى والديك فاحسن صحبتهما »[4]

---

(1) النساء/ 36
(2) الاسراء/24
(3) البخاري/ جـ4/ص 17
(4) مسلم/جـ8 /3

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتقر السنة النبوية العواطف المتجهة الى الأقارب وترغّب فيها وتدعو الى ترسيخها والحفاظ عليها .

* عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :

« الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله . »[1]

* وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال :

« من أحبّ أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره فليصل رحمه . »[2]

وتقر السنة النبوية العاطفة المتجهة الى الاصدقاء وتدعو الى اقامتها على الطهر والعفاف والصفاء ، وأن تكون خالصة لله تعالى .

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه ، ورجل قلبه معلق في المسجد ، ورجلان تحابا في الله ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال الى نفسها قال : إنّي أخاف الله ، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه . »[3]

* وعن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال :

« الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل. »[4]

وتقر السنة النبوية العواطف المتجهة الى الجيران وتدعو الى تقويتها

---

(1) نفس المصدر السابق/ص 7
(2) نفس المصادر السابق/ص 8
(3) البخاري / جـ 8 / ص 203
(4) أبو داود/جـ4 / ص 407

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واقامتها على دعائم المحبة والرحمة والتعاون .

* عن ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ :

« ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيوّرثه . »[1]

* وعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ :

« يا أبا ذرّ إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك »[2]

3 ـ العواطف المتجهة الى الجماعة :

تتسع العواطف المتجهة الى الاشخاص من والدين وأقرباء وأصدقاء وجيران الى أن تعم الجماعة التي يعيش معها الفرد على أرض واحدة ، والى أن تشمل المجتمع الذي يحيا معه في وطن واحد ، والى أن تشمل كل من يشاركه عقيدته الدينية ، وبذلك تقوى روح الانتماء الاجتماعي لدى الفرد ، ويستشعر مسؤولياته تجاه مجتمعه بأسره ، ويحرص على أن يكون عنصراً فعالاً فيه ، يحمي تماسكه ، ويحافظ على كيانه ، ويعمل على تطويره ورفعته والنهوض به .

وتهتم السنة النبوية اهتماماً كبيراً بالعواطف المتجهة الى الجماعة وتدعو الى تقويتها واقامتها على أسس القيم الروحية والخلقية حتى تعود بالفائدة المشتركة على الفرد والجماعة على حد سواء .

* قال تعالى :

﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان﴾[3]

* وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 37
(2) نفس المصدر السابق/ص 37
(3) المائدة/2

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى . »[1]

* وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً ، ثم شبّك بين أصابعه . »[2]

4 ـ العواطف المتجهة الى الحيوانات والأشياء :

تتجه عواطف الانسان أحياناً الى بعض الحيوانات فيميل اليها ويتعلق بها ويحبها ، ويحرص على تربيتها والعناية بها ، ويرتبط بها ارتباطاً عاطفياً كبيراً حتى انه يتأثر تأثيراً نفسياً بالغاً لمرضها أو لفقدانها .

كما تتجه عواطفه أحياناً الى الشغف ببعض الملابس ، وأدوات ووسائل الزينة ، والتحف الفنية ، أو الميل الى نوع من الفنون كالشعر والموسيقى ، أو التعلق بمسكن معين أو بمنطقة معينة .

وعلى أي حال فان العواطف المتجهة الى الحيوانات وإلى الأشياء هي عواطف طبيعية ، تكبر وتنضج بنمو الانسان وتقدمه في العمر ، ولكن لا بد من اقامتها على أساس الاعتدال والتوازن حتى لا تنقلب الى عادة سيئة أو الى مرض نفسي يصعب الخلاص منه ، ويسم تصرفات الانسان وسلوكه بالغرابة والشذوذ ، ويجعله محل النقد اللاذع والسخرية المقيتة ، فيفقد احترام وسطه الاجتماعي ، وينطوي على نفسه ، ويعيش حبيس اطاره الفردي ونزعاته الشخصية .

وتقر السنة النبوية المطهرة العواطف المتجهة الى الحيوانات والأشياء ولكن تحرص على أن تكون معتدلة « متزنة » مفيدة للانسان والجماعة ،

---

(1) مسلم / جـ8 / ص20

(2) البخاري / جـ8 / ص14

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهي مثلا تقر العواطف المتجهة الى تربية الخيول والعناية بها والاستفادة بها في ميدان الفروسية الذي يكوّن الشخص تكويناً قوياً متيناً ويعده اعداداً صالحاً لحماية دينه وعرضه ومجتمعه .

* قال تعالى :

﴿واعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوّكم . . .﴾[1]

* وعن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال :

« الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة . »[2]

وأقرّت السنة النبوية العواطف المتجهة الى الأشياء كالزينة وبعض الملابس وبعض أنواع الطعام شرط ان تتجنب الأسراف والخيلاء والمباهاة والغرور .

* قال عز وجل :

﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون .﴾[3]

* وعن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال :

« لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . »

قال رجل : ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ،

---

(1) الأنفال/60
(2) مسلم /جـ6/ص31
(3) الأعراف/ 32،31

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال : « ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر : بطر الحق ، وغمط الناس . »[1]

* وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

« لا ينظر الله الى من جرّ ثوبه خيلاء . »[2]

ولم تمنع السنة النبوية العاطفة المتجهة الى الفن : كالشعر والأدب ولكنها اشترطت ألّا يكون وسيلة للفتنة والانحراف والضلالة .

* عن أبيّ بن كعب أن رسول الله ﷺ قال :

« ان من الشعر حكمة . »[3]

* وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد :
ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل . »[4]

على أن رسول الله ﷺ ينهي عن الشعر الذي يدعو الى الفساد والانحلال الخلقي، أو يسيء الى الناس وأعراضهم أو يقود الى الزيغ والضلال.

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
« لأن يمتلىء جوف الرجل قيحا يريه خير من أن يمتلىء شعرا »[5]

وتقر السنة النبوية العواطف المتجهة الى الغناء البريء الذي يروّح عن النفوس ، ويستجيب لفطرتها .

---

(1) مسلم/جـ1 /ص 65
(2) مسلم/جـ6/ص 146
(3) البخاري/جـ8 /ص 42
(4) مسلم/جـ7/ص 49
(5) نفس المصدر السابق / ص 50

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن أنس بن مالك ، أن النبي ﷺ ، مر ببعض المدينة بجوار يضربن بدفهن ويتغنين ويقلن :

نحن جوار من بني النجار : : يا حبذا محمد من جار

قال النبي ﷺ :

« الل يعلم أنّي لأحبكنّ . »[1]

غير ان النبي ﷺ ينهي عن الغناء الذي يقود الى الانحراف والفساد ، أو يلهي الانسان عن عبادته وعمله الجاد في الحياة .

* عن عبدالله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ان الغناء ينبت النفاق في القلب »[2]

5 ـ العواطف السائدة :

تسود أحياناً بعض العواطف لدى بعض الأفراد فتتغلب على غيرها من العواطف ، ويصبح الانسان مشدوداً اليها ، ساعياً الى اشباعها ، عاملاً على ارضائها ، مسبقاً لها على غيرها ، وبذلك تكون العواطف السائدة عند انسان ما هي محور تصرفاته وسلوكه ومصدر راحته وسعادته عند اشباعها ، ومصدر قلقه وشقائه عند احباطها .

وتقر السنة النبوية المطهرة العواطف السائدة، وتدعو الى أن تكون هذه العواطف عواطف نبيلة خيّرة هادفة ، مفيدة للفرد والجماعة ، حافظة للدين والأخلاق ، معتدلة متّزنة ، متجنبةللغلووالاسراف .

فالسنة النبوية مثلاً تدعو الى أن تسود لدى الانسان عاطفة الكرم والجود في غير اسراف وتبذير بدل أن تسود لديه عاطفة الشح والبخل .

---

(1) ابن ماجة جـ 1 / ص 612
(2) أبو داود/ جـ4/ ص435

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال رسول الله ﷺ :

« ان الله تبارك وتعالى جواد يحب الجود ، ويحب معالي الاخلاق ويكره سفاسفها . »[1]

* وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . »[2]

* وعن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يقول :

« اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والهرم **والبخل** ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وفتنة المحيا والممات . »[3]

وتدعو السنة النبوية الى سيادة عاطفة حب الجهاد والشجاعة والاقدام في غير تهوّر بدل ان تسود عاطفة الجبن والخوف .

* عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : سألت رسول الله ﷺ قلت : يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال : « الصلاة على ميقاتها » قلت : ثم أيّ ؟ قال : « ثم بر الوالدين . » قلت : ثم أيّ ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله »[4]

* وعن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال :

« ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي الا كان له من أمته حواريون

---

(1) المتقى/منتخب كنز العمال/جـ2 /ص506 (رواه الطبراني في الكبير وأبي نعيم في الحلية ، والحاكم في المستدرك ، والبيهقي في شعب الايمان عن : سهل بن سعد)
(2) مسلم/جـ1 /ص 49
(3) مسلم/جـ8 /ص75
(4) البخاري/جـ4 /ص 17

وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل . »(1)

وتدعو السنة النبوية الى سيادة عاطفة الأمانة والصدق لدى المسلم حتى تقيه الغش والخداع والكذب وان كان يحقق له نفعاً مادياً زائلاً .

* قال رسول الله ﷺ :

« أد الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك »(2)

* وعن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال :

« آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان . »(3)

* وعن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« ان الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكون صدّيقاً ، وان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً . »(4)

وتدعو السنة النبوية الى أن تسود العاطفة الدينية ، من تقوى لله وطاعة وخشية له ومراعاة له في السر والعلن ، والقول والفعل ، واتباع لأوامره واجتناب لنواهيه وذلك حتى يحمي المسلم ذاته من الانسياق في

---

(1) مسلم/جـ1 /ص 51,50
(2) المتقى/منتخب كنز العمال/جـ1 /ص145 (رواه البخاري في التاريخ ، وأبو داود والترمذي والحاكم في المستدرك عن : أبي هريرة)
(3) البخاري/جـ8 /ص 30
(4) نفس المصدر السابق/ص 30

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تيار عاطفة حب المال والشهوات ونوازع الذات فيظلم نفسه ويظلم الآخرين .

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل - وشاب نشأ في عبادة الله - ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه - ورجل قلبه معلّق في المسجد - ورجلان تحابا في الله ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال الى نفسها قال : اني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه »[1]

* وقال رسول الله ﷺ في تعريف الاحسان :

« أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فانه يراك . »[2]

* وعن سهل بن معاذ بن انس الجهني عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال :

« من اعطى لله ومنع لله ،وأحب لله وأبغض لله ، وانكح لله ، فقد استكمل ايمانه . »[3]

الحاجات النفسية والاجتماعية :

تعتبر الحاجات النفسية والاجتماعية دوافع مكتسبة ذات تأثير كبير على سلوك الانسان ، وتحريك نشاطه ، واتخاذ مواقفه واتجاهاته المختلفة تجاه الآخرين ، وتكوين شخصيته على نحو ايجابي أو سلبي .

وتجسّد هذه الحاجات الدوافع الثانوية التي يتميز بها الانسان عن

---

(1) نفس المصدر السابق/ص 203

(2) مسلم جـ1 /ص 29

(3) الترمذي/جـ9/ص323 (وقال عنه : حديث حسن) .

الحيوان الذي يشاركه في الغرائز أو الدوافع الفطرية الأولية كما أوضحنا سابقاً .

واذا كان من الضروري اشباع الغرائز أو الدوافع الأولية ـ كما بيّنا آنفاً ـ فإنه لا بد كذلك من اشباع الحاجات النفسية والاجتماعية وإلاّ تعرض الانسان الى انحرافات واضطرابات بالغة الخطورة عقلياً ووجدانياً واجتماعياً .

ومع أن الحاجات النفسية والاجتماعية لا تقع تحت حصر محدد ، ولم تكن محل اتفاق بين العلماء المتخصصين ، وذلك لاختلافها وتنوعها تبعاً لاختلاف وتنوع المستويات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية بين المجتمعات المختلفة مما يؤثر على التكوين النفسي والتربوي للانسان في هذا المجتمع او ذاك الا أنه يمكننا أن نورد أهم هذه الحاجات ، على سبيل الايضاح وليس على سبيل التحديد ، وهي الحاجة الى المحبة والعطف ، والحاجة الى الطمأنينة والأمن النفسي والحاجة الى الحرية والاستقلال ، والحاجة الى النجاح ، والحاجة الى التقدير والحاجة الى السلطة الضابطة الموجهة .

ولكي يحيا الانسان حياة هانئة سعيدة خالية من الصراع والتوتر والقلق والاضطراب النفسي ، فلا بد من اشباع هذه الحاجات الحيوية ذات التأثير الفعال في حاضر حياته ومستقبلها .

وهذه الحاجات مترابطة ومتشابكة وإشباع أحدها يؤثر في الحاجات الاخرى ، فمثلاً : إشباع الحاجة الى المحبة والعطف يوفر الأمن والطمأنينة النفسية للانسان ويشبع حاجته اليها ، واذا ما اشبعت حاجته الى المحبة وحاجته الى الأمن توفرت له فرص الحرية والاستقلال النفسي فأدّى ذلك الى اشباع حاجته الى النجاح الذي يشبع حاجته الى التقدير والاحترام ، وهو في مختلف انشطته يحتاج الى السلطة الضابطة الموجهة في رفق وعطف ووعي وادراك الى ما يوفر له أسباب التوفيق والنجاح المرتبط

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالأمن النفسي ، والتقدير ، وحرية الحركة والنشاط وهلم جرا .

أما إذا لم تشبع حاجة الفرد الى المحبة والعطف فانه يفقد الشعور بالأمن والطمأنينة النفسية ، وهو ما يجعله لا يحس بحريته واستقلاله ، فيفشل في تحقيق النجاح المطلوب في انشطته المختلفة ، ويفقد بالتالي التقدير والاحترام ، ويحس بأن السلطة الضابطة له ـ من والدين ومربين ـ هي سلطة قهر وتعسف ، وليست سلطة توجيه قويم وارشاد رحيم .

وغني عن البيان أن انساناً هذا حاله من الاحباط النفسي لحاجاته الضرورية ، لا يكون انساناً سوياً ، بل حاقداً على المجتمع ، كذوباً ، منافقاً ، سلبياً في تصرفاته ومواقفه واتجاهاته ، غير صالح لنفسه أو لمجتمعه .

وهكذا نجد أن هذه الحاجات كأنها دائرة متصلة محيطها واحد وساحاتها واحدة ، تتفاعل وتتشابك على نحو مترابط لا انفصام فيه وهو ما يحتمه تكامل وتشابك جميع جوانب الشخصية الانسانية .

وبدراسة المضامين التربوية في السنة النبوية المطهرة نجدها تقف موقفاً حكيماً متزناً عادلاً من الحاجات النفسية والاجتماعية المختلفة للانسان ، فتقرّها وتعترف بها وتدعو الى اشباعها بالطرق التربوية المتزنة التي تكفل للشخصية الانسانية حسن التنمية والتكوين ، والصقل والتهذيب والانسجام والتوافق .

وسنبين فيما يلي موقف السنة النبوية من الحاجات التي أوردناها على سبيل الايضاح .

1 ـ الحاجة الى المحبة والعطف : Need For Affection Love

من أهم الحاجات النفسية،الحاجة الى المحبة والعطف . ولا بد من إشباع هذه الحاجة لدى الفرد حتى يشعر بالأمن النفسي والطمأنينة ، ويحس بالقبول الاجتماعي لدى الوالدين والأقرباء والأصدقاء والمعارف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكل من يتصل بهم في المحيط الذي يعيش فيه . وبدون اشباع هذه الحاجة يشعر الفرد بالاحباط والتوتر والقلق والصراع مما يسبب له كثيراً من الأمراض النفسية والتوترات العصبية والاضطرابات العقلية ويطبع شخصيته بطابع انسحابي انطوائي ، أو بطابع عدواني تمردي .

وتؤكد السنة النبوية المطهرة في مواضيع كثيرة اهمية اشباع الحاجة الى العطف والمحبة ، وتوجه الآباء والمربين الى ضرورة مراعاة اسلوب الرحمة والرفق في معاملة ابنائهم .

* عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ :

يأخذني فيقعدني على فخذه ، ويقعد الحسن على فخذه الأيمن ، ثم يضمّهما ثم يقول : « اللهم أرحمهما فإنّي ارحمهما . »[1]

* وعن جرير بن عبدالله عن النبي ﷺ قال :

« من لا يرحم لا يُرحم . »[2]

عن * عائشة ان رسول الله ﷺ قال :

« « يا عائشة ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه . »[3]

وترى السنة النبوية أنه لا بد من مراعاة العدل في معاملة الأبناء ، وعدم التفرقة بينهم بتقريب بعضهم وإبعاد البعض الآخر .

* قال رسول الله ﷺ :

« ان الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القبل »[4]

---

(1) البخاري / جـ8 / ص 10

(2) نفس المصدر السابق / ص 12

(3) مسلم / جـ8 / ص22

(4) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ6 / ص434 (رواه ابن النجار عن النعمان بن بشير)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن النعمان بن بشير أن أباه نحل ابنا له غلاماً ، فأتى النبيّ ﷺ يشهده ، فقال : « أكلّ ولدك نحلته مثل ما نحلت هذا ؟ » قال لا . قال : « فاردده . »[1]

على ان السنة النبوية وان دعت الى ان تكون معاملة الناشئين معاملة رفيقة عطوفة رحيمة ، فقد حرصت على ألاّ تؤدي هذه المعاملة الى التدليل المضر بتربية الناشئين ، بل يجب ان تجمع بين الرحمة والعطف ، وبين الحزم الرشيد الذي يكوّن المؤمن القوي الواثق في الله تعالى المعتمد على نفسه ، وذلك لقوله ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحّب الى الله من المؤمن الضعيف » ، وكذلك حثت السنة النبوية على تربية الفتوة والقوة وحسن الاعداد للحياة من خلال ممارسة الأنشطة البناءة كالفروسية والرمي والسباحة وما اليها ، وقد تقدم بيانها في الفصول السابقة .

ثانياً : الحاجة الى الطمأنينة والأمن النفسي : Need For security

لا شك أن إشباع الحاجة الى المحبة والعطف كما بيّنا يؤدي الى إشباع الحاجة الى الطمأنينة والأمن النفسي ، وهو ما يجعل الفرد الانساني يحيا حياة هانئة تظللها السعادة والسكينة وراحة البال ، خالية من القلق والتوتر والتمزّق النفسي .

وقد دعت السنة النبوية إلى إشباع هذه الحاجة الحيوية لما لها من تأثير فعال في حياة الفرد الانساني في مختلف مراحل نموه ، وحثّت على أن تكون معاملة الناشئين مبنية على التيسير والسكينة والرحمة والعطف والرفق .

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« يسّروا ولا تعسّروا ، وسكّنوا ولا تنفّروا . »[2]

---

(1) الترمذي / جـ6 / ص 127,126 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

(2) البخاري / جـ8 / ص 36

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ :

« ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويوقّر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف ، وينه عن المنكر. »[1]

* وعن عائشة عن النبي ﷺ قال :

« انّ الرفق لا يكون في شيء إلّا زانه ، ولا ينزع من شيء الا شانه . »[2]

* وعن أبي هريرة قال : أبصر الأقرع بن حابس النبي ﷺ وهو يقبّل الحسن ، فقال : ان لي من الولد عشرة ما قبّلت أحداً منهم . فقال رسول الله ﷺ :

« انه من لا يرحم لا يُرحم »[3]

* وعن أبي قتادة قال : خرج علينا النبي ﷺ وأمامه بنت أبي العاص على عاتقه فصلّى فإذا ركع وضع واذا رفع رفعها .[4]

ثالثاً : الحاجة الى الحرية والاستقلال : Need for Freedom and Independence

ان التربية الرحيمة الواعية لا بد أن توفر الاشباع السليم لحاجة الانسان الى الحرية والاستقلال حتى تتكوّن لديه الشخصية السوية القوية القادرة على حمل مسؤولياتها ومواجهة تبعاتها في الحياة بايجابية وفعالية ، وليس بسلبية واتكالية .

والتربية التي لا تشبع هذه الحاجة وان اتسمت بالرحمة والعطف إلّا

---

(1) الترمذي / جـ8 / ص109 (وقال عنه : حديث حسن غريب)
(2) مسلم / جـ8 / ص 22
(3) الترمذي / جـ8 / ص103 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(4) البخاري / جـ8 / ص 8

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنه لا خير يرجى منها ، لأنها تربية مدللة تخلق فرداً اتكالياً معتمداً على غيره وليست له القدرة على شق طريقه بنفسه في ثقة وعزيمة ، ومجابها تحديات الحياة بقوة وصلابة .

وقد قرنت السنة النبوية المطهرة دعوتها الى اشباع الحاجة الى المحبة والعطف ، والحاجة الى الطمأنينة والأمن النفسي ، بدعوتها الى اشباع الحاجة الى الحرية والاستقلال ، حتى تقيم « الشخصية الانسانية » على دعائم القوة والثقة بالذات والاعتماد على النفس بعد الله تعالى وتجنبها الصفات السلبية : كالاتكالية والتقاعس وضعف العزيمة .

* عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلّ خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز . »[1]

* وعن ابي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به ، ويستغنى به من الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك ، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول . »[2]

رابعاً : الحاجة الى النجاح : Need for Success

من أهم الحاجات التي تتطلب الاشباع لدى الانسان وتؤثر على سلوكه ونشاطه ومجهوداته هي الحاجة الى النجاح . وكلّما حقق الانسان نجاحاً دفعه الى مزيد من النجاح ، وأدخل على نفسه السرور والبهجة ، وغمره بالغبطة والسعادة ، وجعله ينظر الى الحياة نظرة « متفائلة » ملؤها الثقة والأمل .

---

(1) مسلم / جـ8 / ص 56

(2) مسلم / جـ3 / ص 96

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإشباع الحاجة الى النجاح يجعل الفرد محل الاحترام والتقدير والقبول الاجتماعي ، وهو ما يقوّي علاقاته الاجتماعية ، ويحفزه على ان يقوم بدوره الفعال في المجتمع كعضو صالح .

ولكي تتم مساعدة الفرد على تحقيق ما يصبو اليه من نجاح في مختلف انشطته وجهوده لا بد من حسن الصبر عليه ، وحسن توجيهه وارشاده ، وعدم احباطه وتحقيره وتضخيم اخطائه وقصوره .

ان الذي يخشى الفشل ، يظل أسيره بفقدانه الثقة في نفسه وخفوت جذوة حماسه للتحدي والمحاولة والخطأ ، ولا شيء يدفع الى المزيد من الفشل اكثر من الخوف منه .

وقد حرصت السنة النبوية في تضميناتها التربوية على ان توجه الآباء والمربين الى مساعدة الناشئين على اشباع حاجاتهم الى النجاح ، وتشجيعهم على اي مستوى يحققونه فيه تحفيزاً لهم على مزيد من الاهتمام والحرص والاجتهاد في مناشط الدين والدنيا .

* عن علي رضي الله عنه قال : ما سمعت رسول الله ﷺ يفدّي أحداً غير سعد، سمعته يقول :

« ارم فداك أبي وأمي » أظنه يوم أحد .[1]

* وقال سعد ، ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام .[2]

خامساً : الحاجة الى التقدير : Need For Recognition

من أبعد الحاجات النفسية والاجتماعية تأثيراً على الانسان الحاجة الى

---

(1) البخاري / جـ8 / ص 52

(2) البخاري / جـ8 / ص 22

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التقدير ، فإشباعها يشعره بالقبول الاجتماعي لدى الآخرين واحترامهم وحبهم له فيزيد من علاقته بهم قوة ، ومن ارتباطه بهم متانة ، واحباطها يشعره بعدم قبولهم له ، ونبذهم إيّاه ، فينطوي على نفسه ويعاديهم ويحقد عليهم .

وفقدان التقدير يجعل الفرد قلقاً متوتراً يعاني من الصراع النفسي والاضطراب العصبي ، ويفقده الاحساس بالمحبة والعطف ، والشعور بالأمن والطمأنينة ويقوده الى الوقوع في انحرافات ضارة به وبمجتمعه .

وقد اهتمت السنة النبويةاهتماماً كبيراً بإشباع الحاجة الى التقدير والاحترام وذلك بالمديح والثناء في غير اسراف ، وبعدم التحقير والامتهان ، بالقول أو بالفعل ، حرصاً منها على بناء الشخصية الانسانية بناء متزناً سوياً يصونها من الهزات النفسية والاضطرابات العصبية .

* عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :

« لا يقيم الرّجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه . »[1]

* وقال رسول الله ﷺ :

« بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . »[2]

* عن عبد الله بن مسعود يحدث عن النبي ﷺ أنه قال :
« لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخي وصاحبي . »[3]

* وعن عائشة عن النبي ﷺ انه كان يقول :

---

(1) نفس المصدر السابق/ص75

(2) المتقى/منتخب كنز العمال/جـ1 /ص264 (رواه ابن ماجة عن : ابي هريرة)

(3) مسلم/جـ7 /ص 108

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« قد كان يكون في الامم قبلكم محدّثون ، فإن يكن في امتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم . » [1]

* وقال رسول الله ﷺ في حق عثمان بن عفان رضي الله عنه تقديراً لحيائه الرفيع :

« ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة . » [2]

* وقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه عندما خلّفه في غزوة تبوك ، تقديراً لفضله ومكانته السامية .

« أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى ، غير انه لا نبّي بعدي . »[3]

* وعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ :

« من يأتيني بخبر القوم ؟ » يوم الأحزاب . قال الزبير : أنا ـ ثم قال : « من يأتيني بخبر القوم ؟ » قال الزبير : أنا . فقال النبي ﷺ : « ان لكل نبيّ حواريا ، وحواريّ الزبير . »[4]

سادساً : الحاجة الى سلطة ضابطة موجهة : Need For Control and Guidence.

منذ البواكير الاولى لنضج الفرد الانساني نفسياً وعقلياً يشعر بحاجته الماسة الى سلطة ضابطة موجهة له ، اذ إنه من خلال اتصاله بالحياة وعدم قدرته بمفرده على فهمها وادراك مشاكلها وتمكنه من حلها او التكيف معها ، يطلب عون وإرشاد من هم اكثر منه تجربة وخبرة ودراية وعلماً ،

(1) نفس المصادر ص 115

(2) نفس المصدر ص 117

(3) نفس المصدر ص 120

(4) البخاري / جـ4 / ص 33

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سواء كانوا آباء أم مربين .

وما دام الانسان يحس بالحاجة الى السلطة الضابطة الموجهة فان هذه السلطة يجب ان تكون رقيقة عطوفة في حزم رشيد ، لا ان تكون غاشمة قاهرة في عنف شديد .

وقد اكدت السنة النبوية الشريفة في تضميناتها التربوية مبدأ الضبط الواعي الموجه ، هدفها في ذلك تقويم السلوك المعوج ، واصلاح الموقف المعتـل ، دون اشعار المخطىء بالاحتقار والامتهان ، او التشهير به ، او معاملته بالعنف والقسوة ، وقد افلحت السنة النبوية بهذا الضبط الحكيم في تزكية النفوس ، واصلاح السلوك ، وتقويم الأخطاء ، وعلاج الانحرافات .

* عن مسروق قالت عائشة : صنع النبي ﷺ ، شيئاً فرخّص فيه ، فتنزّه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فخطب فحمد الله ثم قال : « ما بال اقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه ، فوالله انّي لأعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية . »[1]

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه أدرك عمر بن الخطاب في ركب يحلفه بأبيه فناداهم رسول الله ﷺ :

« ألا ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً فليحلف بالله ، والا فليصمت . »[2]

* وعن أبي ادريس : ان النبي ﷺ رأى في يد رجل خاتم ذهب فضرب على اصبعه بقضيب كان معه حتى رمى به .[3]

---

(1) البخاري / جـ8 / ص 31

(2) البخاري / جـ8 / ص 33

(3) النسائي / جـ8 / ص 172

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن ابن عمر عن النبي ﷺ : انه نهى ان يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ، ولكن تفسحوا وتوسّعوا . »[1]

* وعن عبدالله رضي الله عنه قال : بينما النبي ﷺ يصلّي رأى في قبلة المسجد نخامة فحكّها بيده ، فتغيّظ ، ثم قال :

« ان احدكم اذا كان في الصلاة فان الله حيال وجهه ، فلا يتنخّمن حيال وجهه في الصلاة . »[2]

من الأحاديث الشريفة المتقدمة نلمس ان السلطة في مفهوم السنة النبوية هي سلطة ضبط وتوجيه راع رشيد ، بالأمر أو بالنهي ، تستهدف إعانة الفرد على ادراك اخطائه والعمل على تقويمها وتزويده بالمواقف الصحيحة التي يجب اتباعها في اوجه نشاطه المختلفة سواء كانت متعلقة بالعبادات ام بالمعاملات .

الصراع بين الدوافع :

كثيراً ما يحصل بين الدوافع فطرية كانت أم مكتسبة صراع يؤثر في نفسية الفرد وفي مواقفه واتجاهاته في الحياة ، وفي قدرته على الحركة والنشاط والعمل .

وهذا الصراع قد تمليه الظروف الذاتية للفرد ، وقد تمليه الظروف البيئية المحيطة به ، وقد ينتج عن تفاعل الظروف الذاتية بالظروف البيئية وخلل التوازن والاعتدال بينهما ، خصوصاً عندما تصطدم مطالب الفرد وحاجاته برفض البيئة ومعوقاتها .

والصراع الذي يحصل لدى الانسان قد يكون شعوريا يحس به ويدركه ، وهو الذي يدور حول موقف او مشكلة ما فيحاول الانسان

---

(1) البخاري / جـ8 / ص 75

(2) البخاري / جـ8 / ص 34

حلها او التكيف معها ، وقد يكون الصراع لا شعورياً ، وهو الناجم عن كبت بعض الرغبات والنوازع ، والتي لا تسمح باشباعها النظم الدينية أو الخلقية او الاجتماعية في حيّز اللاشعور ، وكبتها لا يعني موتها ، ولكنها تبقى كعقد نفسية في حركة ونشاط تحت غطاء اللاشعور وتؤثر على الانسان بين الحين والآخر عندما تجد منفذاً لها ، كالبركان ، وذلك في الاحلام وفلتات اللسان والحيل النفسية المختلفة .

وهكذا يكون الصراع تارة واضحاً بارزاً ويظل مؤثراً على نفسية الفرد حتى يجد حلاً مناسباً لمشكلاته او يتكيف معها ويقبلها ، وتارة اخرى يكون كامناً مستتراً داخل النفس ويسبب كثيراً من العلل العصبية والأمراض النفسية التي تحتاج الى العلاج النفسي والتربوي المناسب.

ومن أهم تأثيرات الصراع السلبية ـ عندما لا تشبع الدوافع او تكبت في اللاشعور ـ على نفسية الفرد نذكر ما يلي :

1 ـ الاحساس بالقلق والتوتر والهم والغم والحزن نتيجة للاحباط النفسي الذي تعرّض له الفرد بعدم اشباع حاجاته والاستجابة الى رغباته ، وانعكاس هذا الاحساس في بعض المظاهر الخارجية : كالحركة الزائدة ، وسرعة الانفعال والهياج وقضم الأظافر ، وفرقعة الأصابع ، وشحوب الوجه واضطراب الأطراف ، وكثرة الشكوى والتبرّم ، وغيرها .

2 ـ قد يدفع القلق والتوتر الشديدان الفرد الى السلوك العدواني كالتخريب والتحطيم والضرب . وهذا السلوك العدواني قد يوجه الى مصدر الاحباط ذاته ، وقد يوجه الى غيره مما يطابقه ويشابهه .

3 ـ وقد تغلب على الفرد صفات الاستكانة والخنوع ، واللامبالاة وعدم الاكتراث ، والانسحاب والانطواء ، وهذه المظاهر لا تعني ان الروح العدوانية المستترة قد انعدمت .

4 ـ قد ينساق الفرد الى عالم الخيال والأوهام ، في اليقظة أو في المنام ، وهذا السلوك هو سلوك هروبي سلبي لا يحل مشاكل الفرد التي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تواجهه في واقع حياته .

وبدراسة مضامين السنة النبوية نجد انها أولت عناية كبيرة للدوافع الفطرية والمكتسبة ، كما أوضحنا في الشواهد المتقدم ذكرها ـ ودعت الى ضرورة اشباعها وفق ميزان الاعتدال والتوازن ، بلا افراط او تفريط ، حتى تحفظ نفسية الانسان من كل ما قد يداهمها من علل عصبية وامراض عقلية وانحرافات نفسية نتيجة للصراع بين الدوافع من جهة ، وبينها وبين البيئة الخارجية من جهة اخرى ، ووجهت الى تجنب كل احباط غير مشروع لهذه الحاجات مما يؤدي في النهاية الى شقاء النفس وآلامها .

وقد حرصت السنة النبوية وفق ما تقدم بيانه من احاديث شريفة على حفظ الفرد المسلم من الصراع النفسي بعدة اساليب حكيمة نذكر منها ما يلي :

1 ـ أسلوب وقاية الفرد :

وذلك بالتربية الهادفة والمعاملة الرشيدة القائمة على الرحمة والرفق والاحترام والتقدير ، والتعاطف والتكافل ، واشباع الحاجات والرغبات المشروعة ، وابدال واعلاء الغرائز أو الدوافع الأولية اذا لم يتيسر سبيل اشباعها وغرس بذور الاخلاق الفاضلةوالآداب الحميدة في النفوس منذ بواكير الحياة ، وتقوية روح الترابط في المسؤولية بين الاسرة والمجتمع والدولة حيال تنشئة الفرد كعضو صالح في جماعة صالحة .

ولا شك أن أيّ فرد يلقى هذه المعاملة الكريمة والتربية البناءة التي تعترف برغباته وميوله ودوافعه المشروعة سيكون محصناً ضد الصراع والاحباط النفسيين وآثارهما السلبية .

وهذه بعض الأمثلة الايضاحيةمن السنة النبوية الشريفة .

* عن جرير بن عبدالله عن النبي ﷺ قال :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« من لا يرحم لا يُرحم . »[1]

* وعن جرير يقول : سمعت النبي ﷺ يقول :

« من يحرم الرفق يحرم من الخير . »[2]

* وقال رسول الله ﷺ :

« الرجل راع على اهل بيته وهو مسؤول عنهم ، والمرأة راعية على اهل بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم . . »[3]

* وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ :

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى . »[4]

* وعن أنس عن النبي ﷺ قال :

« يسّروا ولا تعسّروا ، وبشّروا ولا تنفّروا . »[5]

2- أسلوب تقوية ارادة الفرد :

من أهم الأساليب التي تراها السنة النبوية لحماية الفرد من الصراع النفسي ، وشحذ همته على مواجهة مشاكله ، والتصدي لتحديات الحياة ، هي : تقوية ارادته وعزيمته ، واعداده لتحمل المصاعب والمكاره ، وتحميله المسؤولية الذاتية في ضبط نوازعه واهوائه والتحكم في دوافعه وغرائزه ، وكبح جماح نفسه من الانسياق في تيار الشهوات والملذات التي لا تقوده إلاّ إلى العواقب الوخيمة الضارة به وبمجتمعه .

---

(1) البخاري / جـ8 / ص 12
(2) مسلم / جـ8 / ص 22
(3) مسلم / جـ6 / ص 8
(4) مسلم / جـ8 / ص 20
(5) البخاري / جـ1 / ص 27

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن فضالة بن عُبَيْد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« المجاهد من جاهد نفسه . »[1]

* وعن انس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

« حفّت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات . »[2]

* وعن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تكونوا امعة تقولون ان أحسن الناس احسنّا ، وان ظلموا ظلمنا ، ولكن وطّنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان اساؤوا فلا تظلموا »[3]

3 ـ أسلوب علاج الفرد :

اهتمت السنة النبوية بالتوجيه الى اسلوب علاج الفرد نفسياً ، ومساعدته على التخلص من الأمراض النفسية كالهم والغم والحزن ، ومن نتائج الصراع النفسي كالقلق والتوتر والعقد المكبوتة في اللاشعور ، وذلك من خلال تقوية عقيدته ، وتطهير نفسه بالعبادات والطاعات والاستغفار والتسبيح والدعاء والاستعاذة ، وزيادة يقينه وثقته في خالقه عز وجل ، وحسن الظن به والتوكل عليه وتفويض الأمر اليه ، وهو ما من شأنه اشاعة السكينة والطمأنينة والراحة في النفس ومساعدتها على التحرر من ربقة اوهامها وعللها ، وعودتها الى واقع الحياة ، ومجابهة مشاكلها بواقعية وصبر وعزيمة ، واعتداد وثقة في عون الله تعالى .

* قال تعالى :

---

(1) الترمذي / جـ7 / ص123 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(2) مسلم / جـ8 / ص 143,142
(3) الترمذي / جـ8 / ص170 (وقال عنه : حديث حسن غريب)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب . ﴾[1]

* وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« ان الله يقول : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا دعاني . »[2]

* وعن ابن عباس ان نبيّ الله ﷺ كان يقول عند الكرب :

« لا اله الا الله العظيم الحليم ، لا اله الا الله رب العرش العظيم ، لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم .[3]

* وعن أبي موسى الأشعري قال: قال لي رسول الله ﷺ :

« ألا أدلّك على كلمة من كنوز الجنة ، أو قال ، على كنز من كنوز الجنة ؟ » فقلت: بلى . فقال : « لا حول ولا قوّة الا بالله . »[4]

* وعن ابن عباس قال : كنت خلف رسول الله ﷺ فقال :

« يا غلام إنّي أعلّمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف . »[5]

الصحة النفسية :

ان الحديث عن الصراع بين الدوافع وما يؤدي اليه من نتائج ضارة

---

(1) الرعد/28
(2) مسلم/جـ8 /ص 66
(3) نفس المصدر السابق/ص 85
(4) نفس المصدر السابق/ص 74
(5) الترمذي/جـ9 /ص320,319 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للفرد يقودنا الى الحديث ـ ولو باختصار ـ عن موضوع من أهم المواضيع المرتبطة بالتربية الوجدانية : ألا هو موضوع الصحة النفسية .

ومفهوم الصحة النفسية مفهوم واسع لأنه يشمل الشفاء من المرض النفسي والمرض العقلي والمرض العصبي ، والقدرة على التوافق والتكيف مع المجتمع ، والاتزان الانفعالي والعاطفي والسلوكي ، والشعور بالسعادة والطمأنينة والرضا عن الذات وتقبل الآخرين والثقة في النفس والمقدرة على مواجهة الصعوبات والمشاكل ، وعدم العجز في حالة الفشل والمعاناة من الاحباط والخيبة ، وغير ذلك من صفات الاعتدال والتوازن الوجداني والعقلي والاجتماعي الذي يعتبر اساس تكوين الشخصية السوية المتكاملة .

وبذلك يمكن القول بأن علم الصحة النفسيةهو : « علم التكيّف أو التوافق النفسي الذي يهدف الى تماسك الشخصية ووحدتها ، وتقبل الفرد لذاته ، وتقبل الآخرين له ، بحيث يترتب على هذا كله شعوره بالسعادة والراحلة النفسية . »[1]

ونبحث في مجال الصحة النفسية ، للايضاح ولو بشكل موجز ، موضوعين رئيسيين نرى اهمية ارتباطهما بميدان التربية الوجدانية ، اولهما : أسباب الأمراض النفسية ، وثانيهما : علاج الامراض النفسية .

أولاً : أسباب الأمراض النفسية :

يمكن أن نجمل الأسباب التي تؤدي الى شقاء النفس وعللها وأمراضها في عنصرين أساسيين هما : عنصر الوراثة وعنصر البيئة ، وفيما يلي نبحثهما بشيء من التفصيل .

---

(1) مصطفى فهمي / الانسان وصحته النفسية / ص 124

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

1 ـ عنصر الوراثة :

وهو المرتبط بالعوامل الذاتية الموروثة لدى الفرد كمن يولد بنقص عقلي او بعيب جسماني ، او بتشوهات في الخلقة ، او بضعف او اضطراب عضوي معين يقود الى علل بدنية ونفسية اذا ماساعدت على ذلك أسباب وعوامل ظهورها .

والاشخاص الأصحاء نفسياً هم القادرون على التكيف مع عيوبهم ونواقصهم الوراثية التي لا يمكن علاجها ، وتقبلها ومواجهة المواقف التي تسبب الاحباط والقلق والتوتر النفسي والاكتئاب والخوف بعزيمة وثبات وثقة في النفس ، واذا كان الانسان لا يرث القلق او التوتر او الصراع النفسي ذاته ، الا انه يكون مستعدا له اذا لم يجد التوجيه اللازم الذي يقوّي ارادته وصلابته في تقبل ما ليس منه بد ويتكيف معه ، ويحول بينه وبين تعكير صفو حياته ، واشاعة الشقاء في نفسه .

وقد حرصت السنة النبوية المطهرة على التوجيه الى تقوية ارادة المسلم وشحذ همته وعزيمته وثباته في مواجهة المصاعب والمشاكل التي تواجهه سواء كانت ناتجة عن اسباب ذاتية وراثية ام عن أسباب خارجية بيئية .

* عن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« المجاهد من جاهد نفسه . »[1]

وفي هذا الحديث تضمينات تربوية غاية في الروعة تشير الى ضرورة ان يواجه الانسان نواقصه وعيوبه بثبات وعزيمة ، فان لم يستطع علاجها وهو المطلوب ، تكيّف معها ، ومنع تأثيراتها السلبية عليه وعلى المجتمع .

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

« المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلّ

---

(1) الترمذي / جـ7 / ص123 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

خير ، إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ، ولا تعجز »[1]

ويشير هذا الحديث في تضميناته التربوية الى تقوية الارادة والعزيمة والثبات عند الاحباط والفشل ، وعدم الوقوع في الخور والعجز ، ومعاودة بذل الجهد والعمل الدؤوب مع الاستعانة بالله تعالى والحرص على ما ينفع في الدين والدنيا .

* وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال :

« اذا نظر أحدكم الى من فضّل عليه في المال والخلق ، فلينظر الى من هو أسفل منه . »[2]

وفي هذا الحديث توجيه تربوي رشيد الى حسن التكيف والتوافق مع الصفات الخلقية للانسان وقبول عيوبها اذا لم يكن لها برء ، ولم يكن منها بد حتى لا تؤثر في صحة الانسان النفسية وتقوده الى التعاسة والشقاء .

* وعن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك »[3]

وفي هذا الحديث توجيه تربوي حكيم الى كافة اعضاء الاسرة او الجماعة التي يعيش بينها الشخص المعوّق الى ضرورة مراعاة ظروفه النفسية واحترام مشاعره وأحاسيسه ، وعدم جرحه بالقول الساخر أو بالتحقير أو بالشماتة فيه ، لعيب عقلي او نقص جسمي ، وذلك لما تؤدي اليه هذه المعاملة غير الكريمة من خلل في توازنه الوجداني ، وانطوائه على نفسه ، واحساسه بالمهانة والذلة فيصبح عضواً غير صالح في المجتمع بانسحابه وهروبه ، او بحقده وعدوانيته .

---

(1) مسلم / جـ8 / ص56

(2) البخاري / جـ8 / ص128

(3) الترمذي / جـ9 / ص312 (وقال عنه : حديث حسن غريب)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

2— عنصر البيئة :

الأسباب البيئية التي تؤدي الى الأمراض النفسية كثيرة ومتعددة الا أنه يمكننا ان نورد أهمها فيما يلي :

أ ـ التغذية والرعاية الصحية :

بسبب سوء التغذية كمّاً ونوعاً ، وسوء الرعاية الصحية كثيرا من الأمراض التي يصاب بها الفرد منذ مراحل حياته الأولى، وقد ينجم عن هذه الأمراض بعض التشوهات او النقائص العضوية التي تؤدي الى الاضطرابات والتوتر والقلق والصراع النفسي ، وعدم القدرة على التكيف والتوافق والتوازن الانفعالي والعاطفي ، ولا غرو فإن الصحة النفسية والصحة الجسمية مرتبطتان ومتكاملتان .

وقد حرصت السنة المطهرة ، حماية منها لصحة الفرد النفسية والجسمية ، على التوجيه الى ضرورة العناية بالتغذية الجيدة كمّا ونوعاً ، والاهتمام بالرعاية الصحية وقاية وعلاجاً ، وقد أوردنا العديد من الشواهد على ذلك في الفصول السابقة .

ويمكننا ان نسوق بعض الشواهد للايضاح وليس للحصر .

* قال تعالى :

﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾[1]

* وقال عزّ وجل :

﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾[2]

* وعن ثوبان ان النبي ﷺ قال :

« أفضل الدينار دينار ينفقه الرجل على عياله ، ودينار ينفقه على دابته

---

(1) الأعراف / 31

(2) سبأ/15

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في سبيل الله ، ودينار ينفقه الرجل على اصحابه في سبيل الله »[1]

* وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :
« لا توردوا الممرض على المصحّ » [2]

* وعن جابر عن رسول الله ﷺ قال :
« لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عزّ وجلّ » [3]

ب ـ التربية الأسرية :

من أهم المؤثرات على الصحة النفسية للفرد نوع التربية السائد في أسرته وطريقة معاملتها له ، ونظرتها الى احتياجاته ومطالبه واتجاهاته .

فالأسرة التي تعامل أبناءها بالشدة والقسوة والعنف ، ولا تشبع دوافعهم وحاجاتهم بالطرق السوية ، ولا تعترف بمواهبهم وميولهم ، ولا تقدر حدود طاقاتهم وقدراتهم ، هذه الأسرة تحطم شخصيات أبنائها وتحبطهم وتشيع في أنفسهم التعاسة والشقاء . وتسبب لهم الأمراض والعقد النفسية والعلل العصبية والاضطرابات العقلية ، وتسم شخصياتهم بالطابع الانسحابي الهروبي الانطوائي ، أو بالطابع الحاقد التخريبي العدواني ، وكلاهما يخلق فرداً مريضاً شاذاً لا خير فيه لنفسه ولأسرته ولا لمجتمعه .

وقد أكدت السنة النبوية المطهرة مسؤولية الأسرة في تربية الأبناء ، ووجهتها الى الأخذ بمبادىء الرحمة والرفق ، والعطف واللين والتسامح والاحترام . في معاملة الناشئين وتوجيههم ، وذلك كله حرصا من السنة النبوية على حماية الصحة النفسية للأفراد من مختلف الأمراض والعلل التي قد يسببها النوع الخاطىء للتربية الأسرية .

---

(1) الترمذي / جـ 8 /ص 144 (وقال عنه : حديث حسن صحيح) .
(2) البخاري / جـ 7/ص 179-180
(3) مسلم / جـ 7/ص 21

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال رسول الله ﷺ :

« . . . والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم »[1]

* وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال :

« يا عائشة ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه »[2]

* وعن ابن عباس قال :قال ﷺ :

« ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر »[3]

جـ ـ مركز الأسرة :

يؤثر مركز الأسرة الثقافي والاقتصادي والاجتماعي سواء أكان مرتفعا او منخفضا ، في نفسية الأفراد وقدرتهم على التكيف ، وبالتالي يساهم بصفة مباشرة في تحقيق الصحة النفسية لهم او اصابتهم بالعلل والأمراض والتوترات النفسية نتيجة لما يلاقونه من إحباط وفشل فيما تدفعهم اليه أسرتهم لطموحها ورغبتها في تحسين أوضاعها وظروف حياتهم وهو ما قد يتعارض مع امكانياتهم واستعداداتهم وقدراتهم .

وقد اهتمت السنة النبوية وقاية لصحة الفرد النفسية بتوجيه الوالدين ومختلف أعضاء الأسرة الى مراعاة استعدادات وقدرات الفرد ، وفق ما يسّر الى أدائه من أعمال ومهام يقدر عليها ولا يقدر على غيرها ، حتى تتوفر له سبل النجاح والرضا عن النفس ، ويتجنب أسباب الفشل والاحباط النفسي .

---

(1) البخاري / جـ 9/ص 77

(2) مسلم / جـ 8/ص 22

(3) الترمذي / جـ 8/ص 109 (وقال عنه : حديث حسن غريب) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال رسول الله ﷺ :
« اعملوا فكل ميسّر لما خلق له »[1]

* وقال عليه الصلاة والسلام :
« يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون »[2]

كما وجهت السنة النبوية الى ضرورة مراعاة الواقعية في الطموح حتى لا يشقى الأفراد بما يعجزون عن بلوغه .

* عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال :
« اذا نظر أحدكم الى من فضّل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه »[3]

د ـ الوسط الاجتماعي :

يؤثر الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد في تكوينه النفسي والانفعالي والعاطفي ، ونقصد بالوسط الاجتماعي الأسرة والحي والهيئات والمؤسسات والنظم الاجتماعية التي يتفاعل معها الفرد في حياته .

وإذا كان الوسط الاجتماعي حريصا على إشباع دوافع وحاجات الفرد بالطريقة المشروعة السوية ساعده ذلك على تحقيق الصحة النفسية ، اما اذا رفض مطالبه المشروعة ، وأحبط حاجاته الفطرية والمكتسبة الضرورية لحياته فإنه يسبب له القلق والتوتر والأمراض النفسية ، ويملأ نفسه بالبؤس والتعاسة .

ونقاوة الوسط الاجتماعي دينيا وأخلاقيا لها أكبر الآثار في تشكيل الشخصية السوية ، اذ أن الوسط الذي تنتشر فيه الرذيلة والفواحش ، ويسود فيه الظلم والجور ؛ وتتدهور فيه القيم والمثل العليا ، يعتبر مرتعا

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 47
(2) مسلم / جـ 2/ص 188-189
(3) البخاري / جـ 8/ص 128

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خصبا للأمراض والعلل النفسية والعصبية والعقلية التي تصيب كثيراً من أعضائه .

وقد حرصت السنة النبوية على توجيه المجتمع الى صون معتقداته الدينية وقيمه الأخلاقية ونظمه الاجتماعية ، وحمّلت كل فرد فيه مسؤولية الحفاظ على التماسك والتلاحم الاجتماعي بالقول والفعل ، ليكون مجتمعا فاضلا طاهراً تسود فيه المحبة والتعاطف والعدل والاستقامة ، وبذلك يحقق للأفراد الصحة النفسية الكاملة ، ويجنبهم التوترات والقلق والأمراض النفسية التي ترتبط الى حد كبير بالتفكك الاجتماعي والانحلال الاخلاقي والزيغ العقائدي .

* عن النعمان بن بشير قال :قال رسول الله ﷺ :

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى »[1]

* وعن أبي هريرة قال قال ﷺ :

« لا تحاسدوا، ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يحقره . التقوى ها هنا ، ويشير الى صدره ثلاث مرات . بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه »[2]

* وعن اليمان عن النبي ﷺ قال :

« والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم »[3]

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 20

(2) نفس المصدر السابق / ص 10-11

(3) الترمذي / جـ 9/ص 17 (وقال عنه حديث حسن)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن أبي سعيد : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من رأى منكم منكراً فلينكر بيده ، ومن لم يستطع فبلسانه ، ومن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان . »[1]

ثانيا : علاج الأمراض النفسيّة :

لا شك أنه لكي يتم علاج الأمراض النفسية لا بد من معرفة أسبابها وفهم مختلف ظروف الفرد سواء كانت نفسية أم اجتماعية ام اقتصادية أم كانت متعلقة بالتعليم او العمل ، وغير ذلك .

ولكن يعتبر فهم الفرد لنفسه ، وموقفه من أخطائه وعيوبه وذنوبه وإدراكه لأمراضه وعقده ، هو الأساس الأول لتخليصه مما تعانيه نفسه من شقاء وتعاسة ، إذ بدون مبادرة الفرد ذاته ، وتقويته لارادته وعزيمته واسترجاعه لروحه المعنوية المرتفعة تصبح مختلف أساليب العلاج مشلولة ولا تحقق فائدة ايجابية تذكر ، ولا نبالغ اذا ما قلنا ان أساليب العلاج النفسي يجب ان تستهدف أول ما تستهدف شحذ الروح المعنوية للفرد ، وتنمية ارادته وقدرته على ضبط النفس ، وتقبله لذاته ، وإحساسه بنواقصه وعيوبه ، واعترافه بأخطائه وذنوبه ، ومبادءاته الايجابية لتحصين نفسه من مؤثراتها السلبية ، ودرء مضارها ومخاطرها .

وسنبحث فيما يلي أهم ركائز علاج الأمراض النفسية .

1— الاعتراف بالذنب :

يعتبر الاعتراف بالذنوب والخطايا أهم ما يعتمد عليه العلاج النفسي لأنه يعيد الى النفس المتعبة المضطربة اتزانها وطمأنينتها ، ويشيع فيها السكينة التي افتقدتها ، ويساعدها على التخلص من كثير من أمراضها وعللها كالهم والغم والحزن والوساوس والقلق والخوف وغيرها مما يدخل

---

(1) الترمذي / جـ9/ص 19 (وقال عنه حديث حسن صحيح) .

على النفس الشقاء ويلحق بها الآلام ، ويجعل نظرتها الى الحياة متشائمة مظلمة .

والاعتراف الصادق بالذنوب والأخطاء هو أول درجات الندم الصادق عن الأفعال المشينة والمواقف المخزية ، فيدفع بالمسيء المخطىء الى التوبة النصوحة ، وبذلك يعود الى السبيل السوي الذي يحقق له السعادة والصحة النفسية وحسن التكيّف مع الحياة ، والالتزام بالقيم الدينية والخلقية ، والاجتماعية والنظر الى نفسه نظرة واقعية موضوعية .

وقد اهتمت السنة النبوية بالتوجيه الى الاستغفار للذنوب والأخطاء ورغبت فيه لما يشيعه من سكينة وطمأنينة في النفوس تستند الى الثقة في الله عزّ وجلّ والطمع في رحمته التي سبقت غضبه ، وعفوه الذي غلب عقابه .

* عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال :

« سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أبوء لك بنعمتك ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، أعوذ بك من شر ما صنعت . اذا قال حين يمسي فمات دخل الجنة او كان من أهل الجنة ، واذا قال حين يصبح فمات في يومه مثله »[1]

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال :

« يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، ومن يستغفرني فأغفر له »[2]

* وعن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 88

(2) نفس المصدر السابق / ص 88

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« والله إني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »[1]

2— التوبة :

الاعتراف بالخطايا والذنوب هو أساس الندم ، والندم الصادق هو أول درجات التوبة التي هي وحدها . عندما تكون خالصة لله تعالى ، تمثل طريق الخلاص من الآلام والعلل النفسية التي تسبب للانسان التعاسة والشقاء في حياته ، والعودة به الى حياة الخير والفضيلة والسكينة والطمأنينة والأمن النفسي وراحة الضمير .

وبذلك فإن التوبة هي أهم وسائل العلاج النفسي الذي يطهر النفس البائسة من ذنوبها وآثامها ، ويشفيها من عللها وأسقامها ، ولا تكمل للنفس راحتها وسكينتها مطلقا إلا بالتوبة النصوحة التي لا تكون باللسان بل بالقلب وعقد العزم على الاقلاع عن كل ما يتعب النفس ويشقيها من معاص وفواحش ورذائل وآثام .

وقد حثت السنة النبوية المطهرة على التوبة ورغبت فيها وأكدت قبول الله تعالى لها وفرحه بها .

* عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :
« الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة »[2]

* وعن جندب أن رسول الله ﷺ حدّث :
« أن رجلا قال : والله لا يغفر الله لفلان ، وأن الله تعالى قال : من ذا الذي يتألّى عليّ أن لا أغفر لفلان ، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك »[3]

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 83
(2) البخاري / جـ 8/ص 84
(3) مسلم / جـ 8/ص 36

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن أبي ذر قال ، قال رسول الله ﷺ :

« يقول الله عزّ وجلّ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها ، أو أغفر ، ومن تقرّب مني شبرا تقربت منه ذراعاً ، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة »[1]

* وعن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال :

« لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : ان رحمتي تغلب غضبي »[2]

إن التوبة كعملية نفسية تساعد المسيء أو المخطيء على تطهير نفسه وتزكيتها ، وهو ما يجعله يشعر بالراحة والسكينة بعد ان كان يشعر بالتوتر والقلق والصراع النفسي ، وتجعله ينظر الى الحياة بأمل وتفاؤل بعد ان كان ينظر اليها في يأس وتشاؤم ، وتجعله يستعيد إحساسه باحترام ذاته والاعتداد بها وتأكيدها ، بعد ان كان يحتقرها ويشمئز من أفعالها ويخجل من خطاياها ، وتجعله يتحرر من عقدة الذنب التي تسبب له التعاسة والقلق والاحباط ، وهذا كله من شأنه ان يساعده على تحقيق الصحة النفسية ، وحسن التكيف مع الحياة ، وحسن تكوين الشخصية السوية المتزنة .

3– الدعاء والتسبيح والذكر :

يعتبر الدعاء والتسبيح والذكر من أهم وسائل العلاج النفسي لأنه يزيد من يقين الانسان بربه تعالى ، وثقته في رحمته وعونه ، ويرفع روحه المعنوية ، ويقوي إرادته على مواجهة أخطائه وذنوبه وأمراضه ، ويشحذ

(1) مسلم / جـ 8/ص 67

(2) نفس المصدر السابق / ص 95

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عمله الايجابي الصادق على التخلص من ربقتها ، والتحرر من قيودها والعودة الى حياة الهدى والخير والفضيلة ، واجتناب سبل الضلالة والشر والرذيلة ، وبذلك تتحقق له أسباب الصحة النفسية الكاملة ، فيحيا حياة هانئة سعيدة ، في راحة وسكينة وطمأنينة وفي ثقة وأمل وتفاؤ ل .

* عن أبي موسى رضي الله عنهقال: قال النبي ﷺ :
« مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحيّ والميّت »[1]

* وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :
« كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله العظيم ، سبحان الله وبحمده »[2]

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
« من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك ، ومن قال : سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر »[3]

* وعن زيد بن أرقم قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول ، كان يقول :

« اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن ، والبخل والهرم ، وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليّها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 107
(2) نفس المصدر السابق / ص 107
(3) مسلم / جـ 8/ص 69

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها »[1]

* وعن أبي هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ :

« يقول الله عز وجلّ أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم ، وإن تقرّب مني شبرا تقربت اليه ذراعاً ، وان تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة »[2]

4 – **تقوية الارادة الانسانية :**

من أهم اساليب العلاج النفسي تقوية الارادة لدى الفرد ، وشحذ عزمه على التصدي لآلامه النفسية ، والتخلص من تأثير نواقصه وعيوبه ، والاقلاع عن الخطايا والذنوب التي تسبب له الشعور بالخزي والمهانة واحتقار الذات .

ولا يمكن أن تتوفر الصحة النفسية للانسان إلا اذا كان قوي الارادة صلب العزيمة ، ذا روح معنوية مرتفعة ، قادرا على ضبط نفسه وكبح شهواته ، صامداً في وجه الأزمات والشدائد وضروب الاحباط ، عارفاً لقدر نفسه منتجاً وطموحاً في غير غرور ، وواقعياً في غير جمود .

وقد اهتمت السنة النبوية المطهرة اهتماماً كبيراً بتقوية الارادة الانسانية وشحذ العزيمة ورفع الروح المعنوية للمسلم حتى يحيا حياة صالحة تظللها السكينة والراحة النفسية وتغمرها البهجة والسعادة ، ويكون قادراً على إزالة الأكدار والشوائب ، التي قد تلم بحياته من حين الى آخر ، وصيانة نفسه من تأثيراتها السلبية السيئة .

* عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ :

« المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير

(1) نفس المصدر السابق / ص 81-82

(2) مسلم / جـ 8/ص 62-63

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز . وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان »[1]

* وعن حذيفة قال :قال رسول الله ﷺ :

« لا تكونوا امعة تقولون ان أحسن الناس أحسنا ، وان ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس ان تحسنوا وان أساءوا فلا تظلموا »[2]

* وعن فضالة بن عبيد أنه سمع ، رسول الله ﷺ يقول :

« المجاهد من جاهد نفسه »[3]

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »[4]

* وعن أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ :

« الصبر عند الصدمة الأولى »[5]

5— الفحص الطبّي :

لا شك أن الصحة النفسية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالصحة الجسمية ، وهما متكاملتان في كلٍّ واحد هو الشخصية الانسانية بمكوناتها وجوانبها المختلفة .

ولذلك فإن الاضطرابات في وظائف الجسم الداخلية والخارجية وما

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 56

(2) الترمذي / جـ 8/ص 170 (وقال عنه : حديث حسن غريب)

(3) الترمذي / جـ 7/ص 123 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

(4)البخاري / جـ 8/ص34

(5) مسلم / جـ 3/ص 40

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يلحق بالجسم من عيوب ونواقص وعلل تجعل لدى بعض الأفراد قابلية واستعدادا كبيراً للاصابة بالأمراض النفسية والتوترات العصبية وخاصة اذا ما تظافرت العوامل البيئية الأخرى لابرازها .

وعليه فإنه لا بد من إجراء الفحص الطبي الشامل فقد يكون المرض عقلياً ، أو يكون نفسياً له سبب عضوي ، مع الاهتمام بالتاريخ الصحي للحالة المرضية حتى تعرف أسباب المرض ويوضع لها أسلوب العلاج المناسب .

والسنة النبوية المطهرة التي اهتمت بالتوجيه الى جملة من أساليب العلاج النفسي للأمراض النفسية ، حرصت على تأكيد أهمية التماس وسائل العلاج الطبي للأمراض النفسية المرتبطة بأسباب عضوية التي لا تفلح فيها وسائل العلاج النفسي ، فالله سبحانه وتعالى هو خالق الداء والدواء ، وعلى الانسان ان يعمل عقله دوما في البحث والكشف والاستقصاء حتى يهديه الله عزّ وجلّ الى دواء الداء .

* عن جابر عن رسول الله ﷺ قال :
« لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عزّ وجلّ »[1]

* وقال ﷺ :
« إن الذي أنزل الداء أنزل الشفاء »[2]

* وقال عليه الصلاة والسلام :
« الدواء من القدر وقد ينفع بإذن الله »[3]

تلك أهم ركائز العلاج النفسي في السنة النبوية المطهرة التي تجمع

(1) مسلم / جـ 7/ص 21
(2) المتقى / كمنتخب كنز العمال / جـ 3/ ص 496 (رواه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة)
(3) نفس المصدر السابق / ص 496 (رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم ، عن ابن عباس) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القيم الدينية والفضائل الأخلاقية والآداب الاجتماعية في محتوى واحد ، ولا عجب فقد ثبت ان للقيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية أثرا كبيراً في علاج الأمراض النفسية مثل : القلق والوساوس والهستيريا ، والوهم الذي يجعل المريض يحس بالمرض بدون سبب عضوي ، والاضطرابات الانفعالية التي تقود الانسان الى الفشل والاحباط في علاقاته الاجتماعية او تدفعه الى الجنوح والجريمة والى المعاصي والفواحش والى الكسل والخمول ، ومثل الخوف المرضي وهو فزع ليس له مصدر محدد ، ومثل الفصام البسيط وهو الانفصال عن الواقع والاستغراق في الخيال وأحلام اليقظة ، والانطواء والانسحاب من مجال العلاقات مع الآخرين .

إن الأمراض النفسية ما هي إلا نتيجة طبيعية للعوامل الاجتماعية والأخلاقية الشاذة عندما يفقد الفرد القدرة على ضبط الذات ، ويفتقر الى القدرة على التكيف مع بيئته الخارجية بعناصرها ومكوناتها المختلفة من دين وأخلاق وعرف وعادات وتقاليد ، وعندما يواجه قسوة البيئة الخارجية التي تحرمه من إشباع حاجاته ودوافعه بطريقة مشروعة ، وتمنعه من تأكيد ذاته ، ولذلك فإن الشفاء من الأمراض النفسية لا يتم إلا في إطار القيم الدينية والخلقية والاجتماعية .

وهذا ما أكده علماء النفس الذين يرون أن :

« المرض النفسي في صورته النهائية هو محصلة عوامل اجتماعية وأخلاقية غير صحيّة ، (أي شاذة) ، وأن الخلاص منه يمكن ان يتم في إطار اجتماعي وأخلاقي وديني »[1]

أهداف التربية الوجدانية :

بعد أن بحثنا على نحو من الإفاضة ، خصائص النمو الوجداني

---

(1) د. مصطفى فهمي / الانسان وصحته النفسية / ص 342

والعوامل المؤثرة فيه ، ومعنى السلوك ودوافعه ، وأقسام النمو الوجداني من غرائز وعواطف وانفعالات ، والحاجات النفسية والاجتماعية ، والصراع بين الدوافع ، والأمراض النفسية : أسبابها وعلاجها ، نخلص الى إيراد أهم أهداف التربية الوجدانية في السنة النبوية في ضوء المضامين التربوية للأحاديث المتقدمة وذلك في ما يلي :

1— استكمال النضج الانفعالي والعاطفي وذلك بالقدرة على ضبط النفس ، والتحكم في الانفعال ، وعدم الانسياق في تيار العواطف والانفعالات المتطرفة .

2— القدرة على ضبط الغرائز والنوازع والرغبات والشهوات ، والتسامي بها أو إبدالها حتى لا تفسد على الفرد حياته وتخرّب علاقاته مع الآخرين ، وتلحق بالمجتمع ونظامه الديني والخلقي والاجتماعي أضراراً فادحة .

3— تحقيق التوازن النفسي وذلك بالقدرة على التكيف السليم والتوافق بين دوافع الفرد وحاجاته وبين عناصر ومكونات البيئة الخارجية دينية كانت أم خلقية ام ثقافية ام اقتصادية .

4— تنمية الارادة الانسانية ، ورفع الروح المعنوية لدى الفرد وتقوية ثقته بنفسه حتى يلتزم التزاما أخلاقيا نابعا من ذاته ومبادءاته الشخصية بالتحكم في غرائزه وضبط انفعالاته وكبح جماح شهواته ويقي نفسه بنفسه من التردي في مهاوي الرذائل .

5— وقاية الفرد من الانحرافات والاضطرابات النفسية ، ومساعدته على التخلص من مشاكله وعلله ، وحسن التكيف مع عيوبه ونواقصه العضوية التي ليس منها برء ، وتحسين ظروف البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها حتى لا تكون سبباً في إحباطه وقلقه وتوتره وصراعه النفسي .

6— توجيه الفرد الى الأخذ بأسباب العلاج النفسي في إطار القيم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الروحية والخلقية والاجتماعية حتى يتخلص من أمراضه النفسية ويعود من جديد الى الحياة شخصا سوياً ذا نظرة إيجابية متفائلة ، فيستعيد بذلك احترامه لذاته واعتزازه بها بعد احتقاره لها واشمئزازه منها نتيجة لما ارتكبه من أخطاء وذنوب ، أو ما فشل في سده من أوجه نقصها وعيوبها .

7– سد الفراغ الروحي الذي قد يطرأ على الفرد في بعض مراحل عمره ، ومنحه الأمن النفسي والسكينة والطمأنينة التي تستمد من الايمان الراسخ بالله تعالى وحسن التوكل عليه والثقة فيه والتيقن من عونه وإغاثته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

● الفصـــل الســـادس

التّربيَة الخُلقِيّة


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحثنا في الفصل السابق موضوع النمو الوجداني وخصائصه، وبينا أهم العوامل المؤثرة فيه، ثم تناولنا موضوع السلوك وبينا معناه ودوافعه. واستعرضنا بعد ذلك أقسام النمو الوجداني من غرائز وعواطف وانفعالات، وبينا أهم الحاجات النفسية والاجتماعية. وناقشنا موضوع الصراع بين الدوافع وأثره في التربية الخلقية، ثم استعرضنا موضوع الأمراض النفسية وبينا أهم أسبابها وطرق علاجها، وختمنا الفصل بابراز أهم أهداف التربية الوجدانية في السنة النبوية.

وفي هذا الفصل سنبحث موضوع الأخلاق، وموضوع النمو الخلقي ونبين خصائصه ومراحله، وأوساط التربية الخلقية.

كما نبحث موضوع الضمير الخلقي وكيفية تكوينه، وموضوع المسؤولية الخلقية التي ترتبط بالضمير، ونناقش موضوع التربية السلوكية ونبين أهم وسائل اصلاح النفس وتقويمها، ونبين مكانة الأخلاق في السنة النبوية، ثم نوضح أقسام الأخلاق وهي قسمان: قسم الأخلاق المحمودة وقسم الأخلاق المذمومة ونورد جملة من الأخلاق في هذين القسمين على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر، ونورد أهم خصائص ومميزات الأخلاق في السنة النبوية، وأهم وسائلها، ثم نخلص الى تبيان أهم أهداف التربية الخلقية في السنة النبوية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعريف الأخلاق:

يتميز الانسان عن سائر الحيوان بالميل الفطري الى الأخلاق، وبالتزامه الذاتي بقواعد ومعايير أخلاقية معينة يراعيها في شتى المواقف والاتجاهات وان كانت سلطة الضبط الخارجي غائبة عنه.

ولا عجب فان النفس البشرية مجبولة على الاستعداد للتكوين الخلقي والتهذيب السلوكي وفق عدة عوامل فطرية أهمها: عامل اللذة والألم، وعامل النفع، وعامل الخضوع لرقابة المجتمع وحمل هذه الرقابة في النفس، وعامل الالتزام بالقيم والمبادىء والمثل العليا.

ونتناول فيما يلي بشيء من الايضاح هذه العوامل:

1- اللذة والألم:

الانسان مفطور على الاحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال الى كل ما يحقق له اللذة، وعزوف عن كل ما يسبب له الألم. ولهذا العامل تأثير كبير جدا في تربية الانسان وتكوينه الخلقي وتوجيهه السلوكي، لأنه يجذبه الى السبل المحمودة التي تنتهي به الى اللذائذ المعنوية أو الحسية، ويجنبه السبل المذمومة التي تلحق به الآلام المعنوية أو الحسية.

وقد أكدت السنة النبوية المطهرة أهمية هذا العامل في التربية الاخلاقية والسلوكية بما تضمنته من ترغيب في المحمودات وترهيب في المذمومات، ووعد بالنعيم المقيم في الجنة، ووعيد بالعذاب الأليم في جهنم.

* قال تعالى:

﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين. في سدر مخضود. وطلح منضود. وظل ممدود. وماء مسكوب. وفاكهة كثيرة. لا مقطوعة ولا ممنوعة. وفرش مرفوعة. ان أنشأناهن انشاء. فجعلناهن أبكارا. عربا أترابا. لاصحاب اليمين. ثلة من الأولين. وثلة من الآخرين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال. في سموم وحميم وظل من يحموم. لا بارد ولا كريم. ﴾[1]

* وعن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:
« ان الصدق يهدي الى البر، وان البر يهدي الى الجنة، وان الرجل ليصدق حتى يكون صدّيقا. وان الكذب يهدي الى الفجور، وان الفجور يهدي الى النار، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا. »[2]

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
« الحياء من الايمان والايمان في الجنة. والبذاء من الجفاء والجفاء في النار. »[3]

2- النفع والمضرة:

وكما أن الانسان مفطور على طلب اللذة وتجنب الألم، فهو مفطور على حب كل ما ينفعه ان عاجلا أو آجلا، وترك كل ما يضره أو يؤول به الى الخسارة والوبال.

ولهذا العامل تأثيره الكبير، كذلك، في تنشئة الانسان تنشئة أخلاقية سليمة وتوجيهه توجيها سلوكيا قويما. وقد ركزت السنة النبوية المطهرة على أهمية هذا العامل بما تضمنته من تبشير بالثواب للمحسنين، وانذار بالعقاب للمسيئين.

* قال تعالى:
﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون. ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون. ﴾[4]

---

(1) الواقعة / 44:27

(2) البخاري / جـ 8/ ص 30

(3) الترمذي / جـ 8/ ص 171 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)

(4) النمل / 90,89

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن جرير بن عبد الله. . . فقال رسول الله ﷺ :

« من سنّ في الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء. ومن سنّ في الاسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء. »[1]

3- رقابة المجتمع في النفس :

يتميز الانسان عن الحيوان في قدرته على امتصاص وتشرب الرقابة الاجتماعية، وحملها في طيات صدره، والالتزام بقواعدها وقيودها والخضوع لتعاليمها ولو في غياب السلطة الخارجية ورقابة الآخرين.

ولهذا العامل أثره الفعال في تكوين الضمير الخلقي، وطبع السلوك بالطابع الاجتماعي السائد، وغرس العرف والعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية في نفس الفرد الانساني منذ نشأته الأولى.

ولذلك فانه لا بد من مراعاة غرس العادات والتقاليد الاجتماعية السليمة في نفوس الناشئة، وتجنيبهم تشرب وامتصاص العادات والتقاليد الضارة، وعدم الاستبداد في تربيتهم الخلقية وقهرهم على معايير وقيم معينة قد لا تكون صالحة، وقد تتعارض مع عواطفهم ورغباتهم وحاجاتهم المشروعة، والاّ أصبح الالتزام الأخلاقي التزاما ظاهريا مبنيا على النفاق والتملق والخداع، سرعان ما يتخلى عنه الفرد في غيبة الرقيب الخارجي الذي يخشى عقابه.

ولن تصلح الرقابة الاجتماعية الا اذا ارتبطت بالقيم والمبادىء والمثل العليا الصحيحة التي تكرم ذات الفرد وتحترمه، وان احسنت للمحسن

---

(1) مسلم / جـ 8/ ص 61

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلتشجيعه، وان عاقبت المسيء فلاصلاحه وتقويمه لا الانتقام منه واذلاله، مع فتح باب التوبة له، والرجوع عن غيه، والصفح عنه، وعدم تحقيره المستمر باخطائه السابقة.

وقد اهتمت السنة النبوية بميل الانسان الفطري الى الخضوع لرقابة المجتمع، وتشربها وامتصاصها منذ الصغر وحملها في النفس في الكبر، والالتزام الذاتي بها وان كان الانسان في منأى عن السلطة الخارجية، وأكدت ضرورة ارتباط هذه الرقابة بالخلق القويم، والسلوك الكريم والقيم والمبادىء والمثل العليا، والمعاملات والعلاقات الشريفة بين أفراد المجتمع.

* عن أبي هريرة أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ:
« ما من مولود الا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء. »[1]

* وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال:
« انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير. فحامل المسك اما ان يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد ريحا خبيثة. »[2]

* وعن أبي سعيد... سمعت: رسول الله ﷺ يقول:
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان. »[3]

4- الالتزام بالقيم والمبادىء والمثل العليا:

يولد الانسان على الفطرة مؤمنا بالله تعالى، وهذا الايمان هو رأس

---

(1) مسلم / جـ 8/ ص 52
(2) نفس المصدر السابق / ص 38,37
(3) مسلم / جـ 1 / ص 50

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل الفضائل. وبالتربية والتنشئة الصالحة يكتسب القيم والمبادىء والمثل العليا التي يمل اليها فطريا.

وكلما زاد ايمان الانسان بالله تعالى وقوي يقينه به، كلما استشعر رقابته وحضوره معه في السر والعلن، فيلتزم التزاما ذاتيا متصلا باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وهو ما يكفل له التكوين الخلقي العظيم، والاستقامة السلوكية المتينة، وضبط النفس والنوازع، والتحكم في الميول والشهوات، واتباع سبل الخير والفضائل، وتوقي سبل الشر والرذائل، وحب الآخرين كحب النفس، والحرص على مصلحة الجماعة كالحرص على المصلحة الذاتية، والموازنة بين مطالب الدين والدنيا، والمعادلة بين حاجات البدن وشواغل الروح.

وقد اهتمت السنة النبوية بالتوجيه الى تقوية الميل الفطري الى القيم والمبادىء والمثل الأخلاقية العليا بالتربية الواعية السليمة، وغرسها في النفس منذ بواكير الحياة الأولى للانسان، حتى يصبح مراقبا لله تعالى في كل شؤونه، مستشعرا لحضوره معه فان لم يكن يراه فان الله تعالى يراه، ولا شك ان هذه الرقابة الالهية هي أساس السمو الروحي والتهذيب الخلقي والتقويم السلوكي، لأن المؤمن يحملها في قلبه، وهي معه اينما كان في صحوه ومنامه، وفي حله وترحاله، وفي سره وعلنه، وفي وحدته ووجوده مع الآخرين.

* قال رسول الله ﷺ في تعريف الاحسان:
« أن تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك. »[1]

* وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك.
قال:

---

(1) مسلم / جـ 1/ ص 29

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« قل آمنت بالله فأستقم . »[1]

* وعن الحسن بن علي . . . قال حفظت من رسول الله ﷺ :
« دع ما يريبك الى ما لا يريبك، فان الصدق طمأنينة، وان الكذب ريبة . »[2]

* وعن النواس بن سمعان الأنصاري قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والاثم، فقال:
« البر حسن الخلق، والأثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس . »[3]

ومن ذلك يتضح أن الأخلاق تتكون بتنمية الميول والعوامل الفطرية في بيئة نقية صالحة، بحيث يمتزج فيها الجانب الفطري والجانب الكسبي .

وبهذا المعنى نجد أن الأخلاق انما هي « سلوك » تتفاعل في صنعه العقيدة والعقل والعاطفة والانفعال والارادة والعادة المألوفة .

وهذا السلوك يتأصل ويتأكد ويترسخ حتى تصبح تصرفات ومواقف واتجاهات الفرد الخلقية تصدر عنه بطريقة تلقائية سهلة وكأنها طبع جوهري فيه، لا تطبعا ظاهريا عارضا لديه .

ولعل أوضح تعريف للاخلاق، يشمل المعاني المتقدمة، هو التعريف الذي وضعه أبو حامد الغزالي بقوله :
« فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر، من غير حاجة الى فكر وروية . »[4]

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 47
(2) الترمذي / جـ 9 / ص 321 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(3) مسلم / جـ 8 / ص 7
(4) الغزالي / احياء علوم الدين / جـ جـ 8 / ص 1434

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمقصود من هذا التعريف أن هيئة النفس التي يكون خلقها حسنا تصدر عنها الأفعال المحمودة شرعيا وعقليا واجتماعيا، وهيئة النفس التي يكون خلقها سيئا تصدر عنها الأفعال المذمومة شرعيا وعقليا واجتماعيا، وذلك بطريقة مستمرة وليست عارضة أو مؤقتة، وبنوع من الثبات وعدم التكلف في القيام بالأشياء.

وتؤكد السنة النبوية هذا المعنى الايجابي للاخلاق، حيث تجعلها من أعمال « القلوب » و « النوايا » الخيرة الثابتة، والدوافع الذاتية التي تتجنب التظاهر والزيف والتكلف وخداع الآخرين.

* قال رسول الله ﷺ في تأكيد الأعمال الاخلاقية الخيرة النابعة من الذات كأساس لتقييم البواعث والسلوك:

« ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم. »[1]

* وقال ﷺ في تعريف الاحسان وهو ما يؤكد الخلق كهيئة راسخة في النفس محركة لأعمالها، وباعثة لنشاطها: -

« أن تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك. »[2]

* وقال رسول الله ﷺ في تأكيد أهمية النوايا كبواعث أخلاقية تنبىء عن نقاوة الطوية وصدقها أو عن فسادها وزيفها، وهو ما يبرز كيفية هيئة النفس الخلقية محمودة كانت أم مذمومة:

« انما الأعمال بالنية، وانما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه. »[3]

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / 134 (رواه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة.)

(2) مسلم / جـ 1/ ص 29

(3) البخاري / جـ 8 / ص 175

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان رسول الله ﷺ يدعو ربه تعالى الى أن يجعل هيئة نفسه الخلقية محمودة، وفي هذا الدعاء تحفيز على التزام العمل الصالح والسلوك الصالح بالنية الصالحة حتى تنمو بذور الخير في النفس، وتصقل الاستعدادات الفطرية للاستقامة والطهارة، وتكتسب النفس كل سمات الهدى والتقوى والصلاح وهو ما يجعلها راضية مرضية، تشع بالخير على كل من حولها.

* عن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم الا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول:

« اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم، وعذاب القبر. اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكّاها، أنت وليها مولاها. اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها. »[1]

وتؤكد السنة النبوية على أن تكون هيئة النفس الخلقية سامية مترفعة على السفاسف والدنايا التي تسيء الى الانسان، وتعطي عنه صورة اخلاقية مذمومة.

* قال رسول الله ﷺ:

« ان الله تعالى يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها. »[2]

على أن تعريف الاخلاق بكونها هيئة راسخة في النفس لا يعني عدم قبول الاخلاق للتغيير اطلاقا، اذ أن الأخلاق تتغير بالتربية والتعليم والتوجيه والارشاد والرياضة النفسية، وهو ما نراه واقعا في حياتنا اليومية. فمثلا: يمكن للفرد المنفعل ان يتعود شيئا فشيئا على ضبط نفسه والتحكم في انفعالاته، والاعتدال في سلوكه خاصة عندما يجد التوجيه التربوي

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 8 / ص 82,81

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 132,131 (رواه الحاكم في المستدرك عن سهل بن سعد)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السليم، وهذا هو ما ورد تأكيده في السنة النبوية عندما دعت الى مجاهدة النفس، وضبط الغرائز، والتحكم في الانفعالات، حتى لا ينحدر الانسان في مهاوي الشهوات والنوازع والرغبات الضارة.

* قال رسول الله ﷺ:

« المجاهد من جاهد نفسه »[1]

* وقال عليه الصلاة والسلام:

« حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات. »[2]

* وقال ﷺ:

« ليس الشديد بالصرعة، وانما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب. »[3]

* وقال عليه الصلاة والسلام:

« خياركم أحاسنكم أخلاقا. »[4]

ومن أجل تغيير أخلاق الفرد، وأخلاق الجماعة نحو الأفضل دائما أكدت السنة النبوية المطهرة مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلته أحد أسس الايمان الكامل، والاسلام الصحيح، وتوعدت تاركيه بعقاب الله تعالى وبعدم استجابته لدعائهم.

* عن اليَمَان عن النبي ﷺ قال:

« والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم. »[5]

---

(1) الترمذي / جـ 7 /ص 123 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)
(2) مسلم / جـ8 / ص 143,142
(3) نفس المصدر السابق / ص 30
(4) البخاري / جـ 8/ ص 16
(5) الترمذي / جـ 9/ ص 17 (وقال عنه: حديث حسن)

* وقال تعالى:

﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. فان الجنة هي المأوى. ﴾[1]

وفي هذه الآية الكريمة تأكيد لقابلية الاخلاق للتغيير، وحث على تغيير الاخلاق نحو الأفضل، وذلك بترك سبل الهوى الذي يقود الى النار واتباع سبل الهدى الذي يقود الى الجنة.

والسنة النبوية المطهرة وهي تؤكد قابلية الأخلاق للتغيير، انما تدعو الى الموازنة والاعتدال بين مطالب الدين والدنيا، وبين شواغل الروح وحاجات الجسد، ولم تقصد اطلاقا اماتة الغرائز، أو كبت الرغبات، بل غاياتها اشباعها بالطريق السوي المشروع الذي يحفظ للانسان حياته، ويزكي خلقه، ويطهر نفسه، ويسمو بروحه، وبهذا النهج الخلقي التربوي الديني الدنيوي المتكامل المتوازن سبقت الفلسفات والنظريات التربوية التي كثيرا ما تغلب جانبا على حساب آخر تبعا لاهتماماتها واختصاصاتها بمجال دون غيره فيقع الخلل والانخرام في انسجام جوانب الشخصية الانسانية.

* قال رسول الله ﷺ:

« أما بعد فان خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد. »[2]

النمو الخلقي:

يبدأ النمو الخلقي لدى الانسان منذ المراحل المبكرة لحياته ويستمر حتى بلوغه سن النضج المكتمل الذي هو أساس التكليف وتحمل المسؤولية.

ويولد الانسان على الفطرة ميالا الى الخير، وتعمل البيئة عملها المؤثر

---

(1) النازعات / 41,40

(2) مسلم / جـ 3 / ص 11

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في تشكيل تلك الفطرة وفق استعداداتها وامكانياتها الموروثة، فتمكنها التربية الصالحة من النمو السليم وحسن التكوين، وتطمس التربية الطالحة معالم الخير فيها، وتجعلها تجنح الى المفاسد والشرور.

* عن أبي هريرة أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ:
«ما من مولود الا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء.»[1]

ويمكننا، للايضاح المبسط، تقسيم النمو الخلقي الى ثلاث مراحل تمشيا مع تقسيمنا للنمو الى مراحل ثلاث وهي: مرحلة الطفولة المبكرة، ومرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة، ومرحلة البلوغ والمراهقة، وقد تقدمت مناقشتها بافاضة في الفصل الأول.

المرحلة الأولى للنمو الخلقي:

تبدأ عملية النمو الخلقي في المرحلة الأولى من عمر الانسان، خلال طفولته المبكرة. وفي هذه المرحلةتتحكم في الطفل غرائزه وحاجاته ونوازعه، وتتطلب الاشباع حتى تستقيم حياته ويهنأ باله، وأي خلل فيها، أو شدة وقسوة في المعاملة، قد يؤدي الى اضطراب الصحة النفسية والعقلية والوجدانية والجسمية للطفل.

وعلى الوالدين والمربين عدم تحميل الطفل، في هذه المرحلة، أية مسؤوليات اخلاقية عن تصرفاته ومواقفه وأنماط سلوكه وانفعالاته وردود أفعاله، لأنه غير قادر على التمييز والادراك والحكم الصحيح،وان يعاملوه بالرحمة والرفق واللين والتسامح.

وهذا ما جهنا اليه رسولنا الأكرم ﷺ الذي لم يحمّل الأطفال أية مسؤوليات في تصرفاتهم الخاطئة، وسلوكهم غير القويم وفق الأحكام

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 52

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأخلاقية للراشدين ، بل كان يعاملهم بالرحمة والرفق والعطف الذي يقدر طفولتهم العاجزة ، ويعي عدم مسئوليتهم عن افعالهم وتصرفاتهم لكونهم لم يبلغوا سنّ التمييز والادراك بعد .

* عن أبي قتادة قال : خرج علينا النبي ﷺ ، وأمامه بنت ابي العاص على عاتقه فصلّى فاذا ركع وضع ، واذا رفع رفعها »[1]

وهذا الحديث يشير الى رحمة الرسول ﷺ ورفقه بحفيدته وعدم محاسبتها على ما لا تدركه ، مثل ركوبها على عاتقه اثناء الصلاة وهي أقدس العبادات .

* وعن عائشة : ان النبي ﷺ وضع صبيا في حجره يحنّكه فبال عليه ، فدعا بماء فاتبعه .[2]

وفي الحديث اشارة الى التجاوز عن أخطاء الاطفال غير المدركين والتسامح معهم لأنهم لم يبلغوا بعد سن المسؤولية والتكليف .

على أنه تجدر الاشارة الى أن سنّ الطفولة المبكرة هي سنّ امتصاص وتشرب الأخلاق والفضائل والآداب الحميدة عن طريق التوجيه الحكيم والارشاد السليم الذي يتمشى والنمو العقلي للطفل ومستوى إدراكه وتمييزه ، فيبدأ شيئا فشيئا ، وخاصة في نهاية مرحلة الطفولة المبكرة ، في تعديل سلوكه ، وضبط انفعالاته وتقويم أخطائه واكتساب الصفات المحمودة التي ترضي الآخرين عنه ، وتجعله محل قبولهم وتقديرهم ، فيتوفر له الأمن النفسي والسكينة والطمأنينة مما يجعل حياته هانئة سعيدة .

وهذا ما أكدته السنة النبوية ووجهت اليه الآباء والمربين .

---

(1) البخاري / جـ8/ص 8
(2) نفس المصدر / ص 10

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن عمر بن أبي سلمة يقول : كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصّحفة فقال لي رسول الله ﷺ :

« يا غلام سمّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك . فما زالت تلك طعمتي بعد »[1]

* وقال رسول الله ﷺ :

« حق الولد على والده ان يحسن اسمه ، ويحسن موضعه ، ويحسن أدبه »[2]

المرحلة الثانية للنمو الخلقي :

في المرحلة الثانية من حياة الانسان وهي مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة تتوسع دائرة علاقاته الاجتماعية ، وارتباطاته بالآخرين في الحي والمدرسة وجمعيات النشاط ، ويحتاج الى التكيف السليم مع المواقف والاتجاهات الجديدة في حياته ، ويبدأ في تمييز الأفعال وأنماط السلوك التي تكون محل رضا الآخرين او سخطهم . ويرتبط سرور وسعادة الطفل برضا الآخرين عنه . كما يرتبط ألمه وتعاسته بسخطهم عليه ، وهو ما يعتبر البداية الصحيحة لتكوين الخلق القويم .

وهذا النمو الخلقي الايجابي يجعل الطفل يحاول دوما المواءمة بين رغباته ورغبات غيره ، وبين نوازعه ودوافعه والقيم الدينية والخلقية والعرف والعادات والتقاليد الاجتماعية والنظام والقوانين ، وبذلك تبدأ معالم « المسؤولية الاخلاقية » في البروز لدى الطفل حتى تتكامل في المرحلة الثالثة للنمو الخلقي ، بتكامل النضج العقلي والوجداني للطفل .

وفي هذه المرحلة لا بد من الاهتمام بالميل الطبيعي للمحاكاة والتقليد

---

(1) البخاري / جـ 7/ص 88

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6/ص 428-429 (رواه البيهقي في شعب الأيمان عن عائشة)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والاقتداء لدى الناشيء ، لأنه من أهم أسس التربية الخلقية ، واكتساب القيم والفضائل ، وتنمية نوازع الخير في الانسان .

وهذا ما أبرزته السنة النبوية المطهرة ودعت الى وجوب مراعاته بالتبصر الحكيم من طرف الآباء والمربين وكافة المسؤولين عن تعليم وتربية الناشئين ، وان يكونوا القدوة المثلى في الخلق القويم ، والسلوك الكريم ، وضبط النفس ، واحترام الذات ، والتحلي بالفضائل والخصال الحميدة .

* قال رسول الله ﷺ :
« . . . والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم . . »[1]

ولا شك ان أولى مسؤوليات الرعاية التي يشير اليها هذا الحديث الشريف أن يكون الوالدان قدوة مثلى لأبنائهم في التقوى والصلاح وحسن الخلق .

* قال رسول الله ﷺ :
« ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه . . »[2]

ومن أهم تأثيرات الوالدين في تربية الناشئين ، التي يشير اليها هذا الحديث ، تأثيرهم بالقدوة ، وتأثر الأبناء بهم بالمحاكاة والتقليد ، وامتصاصهم لكثير من صفاتهم الاخلاقية ، ومواقفهم السلوكية ، وسماتهم الانفعالية .

المرحلة الثالثة للنمو الخلقي :

في هذه المرحلة ، وهي مرحلة البلوغ والمراهقة ، يبدأ النمو الخلقي

---

(1) البخاري / جـ 9/ص77
(2) مسلم / جـ 8 / ص 52

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في الرسوخ والثبات ، ويتكامل بتكامل النضج العقلي والنفسي والاجتماعي في نهايتها .

وبذلك يصبح الانسان قادرا على ضبط نوازعه ، والتحكم في دوافعه ، واخضاع ذاته للمثل العليا التي تشرّبها ورسخها في داخل نفسه ، وجعلها معيارا لمواقفه الأخلاقية وتصرفاته السلوكية ، والالتزام الذاتي بها بغض النظر عن وجود السلطة الخارجية ـ المتمثلة في القوانين والنظم والعرف والعادات والتقاليد والرقابة الاجتماعية ـ أو غيابها .

وتكامل النمو الخلقي الذي يرتبط بتكامل النمو العقلي والنفسي والاجتماعي ، هو أساس التكليف وتحمل المسؤولية واقامة الجزاء المرتبط بالحرية وارادة الاختيار لدى الانسان ان خيرا فخيرا وان شراً فشراً.

وقد أكدت السنة النبوية وجوب تحمل الانسان لمسؤوليته الاخلاقية ، بعد تكامل نموه الخلقي والعقلي والنفسي والاجتماعي ، وتحمله للتكاليف والواجبات وكيفية آدائها ، وضبطه لنوازعه وتحكمه في غرائزه ، وسموه بذاته . وهي المرتبطة بحريته وارادته وقدرته على الاختيار والتمييز والادراك .

* عن فضالة بن عبيد انه سمع رسول الله ﷺ يقول :
« المجاهد من جاهد نفسه »[1]

* وعن أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ :
« الصبر عند الصدمة الاولى »[2]

* وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ :
« لا تكونوا إمعة تقولون ان احسن الناس أحسنّا ، وان ظلموا ظلمنا ،لكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس ان تحسنوا وان أساءوا فلا

---

(1) الترمذي / جـ 7/ ص 123 (وقال عنه : حديث حسن صحيح) .
(2) مسلم / جـ3 / ص 40

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تظلموا »[1]

* وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ :
« حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات »[2]

أوساط التربية الخلقية :

تشترك عدة أوساط - ترتبط بها حياة الناشىء منذ فجر حياته الاولى وحتى وفاته - في رسم معالم التربية الخلقية ، وتكوين الفرد أخلاقيا على نحو من الصلاح اذا كانت هذه الاوساط صالحة ، وعلى نحو من الطلاح اذا كانت طالحة .

وفيما يلي نستعرض :
أهم هذه الاوساط وهي : الأسرة ، والمدرسة ، والرفاق ، والمجتمع .

أولا : الأســرة

تعتبر الأسرة الوسط الاول والأخطر في التكوين الأخلاقي للطفل وتوجيهه السلوكي ، وتنمية قدرته على ضبط ذاته ، والتحكم في نوازعه ، وتعديل رغباته ومطالبه ، وذلك لأن الأسرة هي اول مجتمع يقضي فيه الفرد حياته الأولى ، ويرتبط به دمويا وعاطفيا في صغره وكبره ، وفيها يتشرب التراث الأخلاقي والاجتماعي ، ويتلقى التربية الدينية التي هي اساس الفضائل الاخلاقية ، وباختصار فإن الأسرة في نظر علماء النفس والتربية هي المكان الأول ذو الخطورة الكبيرة في التنشئة الاخلاقية التي تتعدى تأثيراتها مرحلة الطفولة وتمتد حتى فترة اكتمال نضج الفرد العقلي والنفسي والاجتماعي .

---

(1) الترمذي / جـ 8/ص 170 (وقال عنه : حديث حسن غريب)
(2) مسلم / جـ 8/ص 142-143

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أكدت السنة النبوية المطهرة ، خطورة دور الأسرة في التنشئة الاخلاقية ، وتهذيب السلوك ، واكتساب الناشىء للقيم والمثل العليا .

* قال رسول الله ﷺ :

« والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية على اهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم »[1]

* وقال ﷺ :

« ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه . . »[2]

* وقال رسول الله ﷺ :

« مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع »[3]

* وقال ﷺ :

« حق الولد على والده ان يحسن اسمه ويحسن موضعه ، ويحسن أدبه »[4]

ثانيا : المدرسة :

تعتبر المدرسة ، وغيرها من المؤسسات التعليمية ، ذات تأثير كبير على التكوين الخلقي للفرد ، وتوجيه سلوكه ، وتعديل نوازعه ومواقفه واتجاهاته .

ولذلك وجب ان تراعي المناهج التعليمية خاصة ، ونظم وبرامج

---

(1) البخاري / جـ 9/ص 77

(2) مسلم / جـ 8/ص 52

(3) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6/ص 433 (رواه أحمد في مسنده ، وابو داود والحاكم في المستدرك عن ابن عمر)

(4) نفس المصدر السابق / ص 428-429 (رواه البيهقي في شعب الايمان عن عائشة) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المدرسة عامة ، ربط الأهداف التعليمية والعلمية بالأهداف الاخلاقية بحيث يكون التعليم وسيلة للترقية الاخلاقية ، وتزكية السلوك ، وغرس الآداب والقيم والمثل العليا والفضائل في النفوس ، وتنمية القدرة على التمييز بين الهدى والضلال والخير والشر ، والحق والباطل ، والصواب والخطأ ، والحسن والقبيح ، وفهم الدور الأخلاقي والاجتماعي الايجابي الذي يمكن ان يساهم به الفرد في الحفاظ على كيان مجتمعه من التفكك والانحلال .

وتجدر الاشارة الى مراعاة ان المدرسين والمربين في المؤسسات التعليمية يعتبرون قدوة مثلى ، وأسوة حسنة ، لأبنائهم الذين يأخذون عنهم كثيرا من صفاتهم ، ويمتصون منهم كثيرا من سماتهم بالمحاكاة والتقليد ، وذلك من خلال محبتهم واعجابهم وتقديرهم لهم ، ونظرتهم اليهم على أساس أنهم يمثلون صورة الكمال في كل شيء .

وقد أكدت السنة النبوية في تضميناتها التربوية خطورة دور المؤسسات التعليمية عامة ، ودور العلماء والمربين ، ودور العلم ، في التنشئة والتكوين الاخلاقي ، والتهذيب والتقويم السلوكي .

* عن أبي هريرة قال : كان دعاء النبي ﷺ :
« اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن دعاء لا يسمع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع »[1]

* ومن حديث ابن وهب ان رسول الله ﷺ قال :
« هلاك أمتي عالم فاجر ، وعابد جاهل . وشر الشرّ شرار العلماء ، وخير الخير خيار العلماء » .[2]

وقال رسول الله ﷺ وقد مرّ على مجلس ذكر ، ومجلس علم :

---

(1) ابن ماجه / جـ 1/ص 92
(2) ابن عبد البر / جامع بيان العلم وفضله / جـ 1/ص 235

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« كل على خير ، هؤلاء يقرأون القرآن ويدعون الله تعالى فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون وإنما بعثت معلماً. »[1]

والتضمينات التربوية لهذه الأحاديث تؤكد على أهمية ان يكون العلم وسيلة لتقويم الخلق وتعديل السلوك ، وتقوية الارادة والقدرة على ضبط النفس ، وفهم الأمور الاخلاقية السليمة . وإلا كان علما لا نفع فيه للفرد او للأمة ، كما تؤكد على خطورة دور العلماء والمربين في توجيه الناشئة وتأثيرهم فيهم بالقدوة والايحاء والمحاكاة والتقليد ، ووجوب أن يكون الوسط التعليمي وسطا نقيا طاهراً يدعم الاتجاهات الخيرة ، ويقوّم الاتجاهات الخاطئة ، يجد فيه الناشئون البيئة الصالحة التي تنمو فيها بذور الخلق الفاضل وتشب وتكبر وتعطي ثمارها هداية واستقامة للفرد ، وصلاحاً وخيراً للمجتمع .

ثالثاً : الرفاق :

وسط الرفاق يعتبر من أشد الاوساط تأثيرا في خلق الناشىء وتكوين طباعه ، وتوجيه سلوكه واكتسابه للعادات المختلفة ، وذلك لكون الناشىء يرتبط في هذا الوسط بأقرانه وأترابه من نفس عمره الزمني والنفسي والعقلي ، وتشبده اليهم عواطف قوية تبدأ مع تحوله الوجداني الطبيعي من أفراد الأسرة الى أفراد الزمرة في الحي والمدرسة وجمعيات النشاط .

وقد أكدت السنة النبوية المطهرة تأثير الخِلّان والأقران في التكوين الخلقي والسلوكي للفرد ، ودعت الى حسن انتقائهم واختيارهم وذلك لتأثيرهم الايجابي القوي اذا كانوا أخيارا ، وتأثيرهم السلبي القوي اذا كانوا أشرارا ، ولا نبالغ اذا ما قلنا ان الفرد ، وخاصة في طور نشأته الأولى وقبل اكتمال نضجه العقلي والوجداني ، مرآة عاكسة لأفعال

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 4/ص 30-31 (رواه ابن ماجه عن : ابن عمر)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتصرفات أقرانه حسنة كانت أم قبيحة .

* عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال :
« الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل »[1]

* وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ، ونافخ الكير . فحامل المسك إما ان يحذيك ، وإما ان تبتاع منه ، وإما ان تجد منه ريحاً طيّبة . ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما ان تجد ريحاً خبيثة . »[2]

رابعاً : المجتمع :

للمَجتمع الذي يعيش فيه الفرد ، بنظمه وتراثه وقوانينه وتقاليده وعاداته واتجاهاته أثر بليغ في التكوين الأخلاقي للناشىء فالناشىء انما يتشرب تراث مجتمعه الأخلاقي والاجتماعي والثقافي طيلة حياته منذ نشأته الى وفاته ، بل أنه يحمل تراث مجتمعه داخل ذاته ، ويشعر نفسيا بالرقابة الاجتماعية ولو كان بمفرده .

ولذلك كان من أهم واجبات المربين والمسؤولين وأولي الأمر عامة ان تتظافر جهودهم ، وتتكامل برامجهم في المؤسسات الدينية والتعليمية والاعلامية والاجتماعية ، بغية تنقية الحياة الاجتماعية من الشوائب ، وتطهيرها من المفاسد ، وتصفيتها من الانحرافات ، فإنما الجيل الجديد صفحة بيضاء محايدة تنقش فيها قيم ومعايير وأخلاق المجتمع منذ الصغر .

ولن تفلح التربية داخل الأسرة ، أو داخل المدرسة ، مهما كانت سلامتها وايجابيتها ، في تكوين الخلق القويم لدى الفرد اذا كان المجتمع

---

(1) ابو داود / جـ 4/ص 402
(2) مسلم / جـ 8/ص 37-38

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من حولها يعج بالفساد والانحلال وينتشر فيه الفجور والضلال ، لا يأتمر الناس فيه بالمعروف ، ولا يتناهون عن منكر فعلوه .

وقد أبرزت السنة النبوية المطهرة خطورة تأثير المجتمع في التكوين الأخلاقي ، ودعت الى تطهير المجتمع واقامة دعائمه على الفضائل والصالحات والتناصح بالخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حرصا منها على سلامة خلق الفرد الذي يرتبط بسلامة خلق المجتمع .

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال :
« إياكم والجلوس بالطرقات » فقالوا : يا رسول الله ، ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها . فقال : « اذا أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقه » قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله . قال : « غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[1]

* وعن تميم الداري ان النبي ﷺ قال :
« الدين النصيحة » قلنا : لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . »[2]

* وعن جابر بن عبدالله ان رسول الله ﷺ قال :
« اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشحّ فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على ان سفكوا دماءهم **واستحلوا محارمهم** . »[3]

* وقال رسول الله ﷺ :
« من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 63
(2) مسلم / جـ 1/ص 53
(3) مسلم / جـ 8/ص 18

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان . »[1]

* وعن اليمان عن النبي ﷺ قال :

« والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم . »[2]

الضمير:

يبدأ الضمير الخلقي في التكون لدى الانسان منذ فجر حياته الأولى، ومن خلال صلته بالبيئة الخارجية: من والدين واخوة وأقارب ورفاق ووسط اجتماعي، وتعامله مع النظم الاجتماعية السائدة، ومدى قدرته على التوفيق والموازنة بين رغباته ونوازعه وبين رغبات الآخرين وبالقدر الذي تضبطه العقيدة الدينية والنظام الأخلاقي والاجتماعي.

وتحكم الطفل في بداية حياته دوافعه وحاجاته الطبيعية، ويطلب بالحاح اشباعها وارضاءها بغض النظر عن الاعتبارات الأخلاقية التي لا يعيها بعد، ويحس بأن له الأمر وعلى غيره الطاعة وتلبية مطالبه.

وعندما يتقدم العمر بالطفل وينمو عقله ووجدانه بالتدريج وتتوسع مداركه وفهمه وتزداد خبراته وتجاربه وتتوثق علاقاته بالآخرين ويعي حدود هذه العلاقات ومتطلبات بنائها وتكييفها، يبدأ الطفل بعد ذلك في تعديل اندفاعه وانفعالاته والحاحه، في ضوء معرفته أنه قد لا تشبع كل رغباته وقد لا ترضي جميع نوازعه، وأنه كما يثاب على استجاباته ومواقفه الايجابية يعاقب على تصرفاته واتجاهاته السلبية، وهكذا وبالتدريج تتكون لديه « سلطة ضبط داخلية » هي منبع التزامه الذاتي بتجنب السلوك الخاطىء، الذي كان يجتنبه بتقويم من السلطة الخارجية، وهذا الضبط الأخلاقي

(1) مسلم / جـ 1/ص 50

(2) الترمذي / جـ 9/ص 17 (وقال عنه : حديث حسن)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذاتي هو منبع سعادته ورضاه النفسي في حالة احسانه نتيجة لشعوره بالسرور وهو مصدر قلقه وندمه وتوتره النفسي في حالة اساءته نتيجة لشعوره بالذنب.

وبذلك نلمس أن الطفل كلما تقدم في العمر وازداد نموه العقلي ونضجه الوجداني، كلما نمت المعايير الأخلاقية داخل نفسه، وأصبحت صوتا داخليا يرشده في سلوكه وتصرفاته ومواقفه واتجاهاته الأخلاقية والدينية والاجتماعية.

وهذا ما يؤكده علماء النفس والتربية الأخلاقية الذين يرون أن الضمير يمثل: «معايير الفرد وقيمه ومبادئه العليا. انه السلطة الضابطة العليا في الانسان، فاذا لم يستجب الفرد لندائه فأنه سوف يعاقب عن طريق قوة داخلية من خلال الشعور بالذنب وكراهية الذات ونبذها.»[1]

وبدراسة المضامين التربوية في السنة النبوية لا نجد ما يعارض القول بالضمير أو بالذات الأخلاقية العليا، أو بسلطة الضبط الذاتية وغير هذه من التسميات والمصطلحات التي تقرب معاني الضبط الخلقي الذاتي، بل نجد اشارات ايجابية كثيرة الى الضمير الخلقي بمعنى الالتزام الذاتي الذي ينبني على خشية الله تعالى وخوفه، والاحساس بحضوره ومراقبته في السر والعلن، وطلب هداه والانابة اليه والتوبة له واستغفاره على كل الأخطاء والذنوب.

* قال تعالى:

﴿ بل الانسان على نفسه بصيرة. ﴾[2]

* وقال عز وجل:

---

(1) د. عبد الرحمن عيسوي / النمو الروحي والخلقي والتنشئة الاجتماعية في مرحلتي الطفولة والمراهقة / مجلة عالم الفكر / ص 173

(2) القيامة / 14

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون . ﴾[1]

* وقال تعالى :

﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ﴾[2]

* وقال عز وجل :

﴿ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب . ﴾[3]

* وقال رسول الله ﷺ في تعريفه للاحسان وهو من أهم أركان الايمان والاسلام :

« ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك »[4]

* وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال : قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك .

قال :

« قل آمنت بالله فاستقم »[5]

* وعن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« المجاهد من جاهد نفسه . »[6]

* وعن ابن عباس قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يوما ، فقال :

« يا غلام اني اعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك . . . »[7]

---

(1) النحل / 19
(2) النازعات / 40
(3) ق / 33
(4) مسلم جـ 1 / ص 29
(5) مسلم / جـ 1 / ص 47
(6) الترمذي / جـ 7 / ص 123 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(7) الترمذي / جـ 9 / ص 320,319 (وقال عنه حديث حسن صحيح .)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والسنة النبوية المطهرة، وان كانت تجعل العقيدة في مقدمة العوامل المؤثرة على تكوين الضمير الخلقي، الا انها تعترف بتأثير العوامل الأخرى وخاصة الوسط الأسري والوسط التعليمي ووسط الرفاق، والوسط الاجتماعي، وقد أوضحنا تأثير هذه الأوساط في النمو الخلقي، وسقنا شواهد من السنة النبوية تؤكد اهتمامها بها وتوجيهاتها الايجابية في شأنها.

المسؤولية الخلقية:

السنة النبوية وهي تنشىء الفرد المسلم على الأخلاق القويمة، وتغرس في نفسه الفضائل والصفات الحميدة، وتقوي فيه الوازع الديني، تحمله المسؤولية تجاه ربه تعالى، ونفسه وأهله وأقاربه، وجيرانه والناس أجمعين، وكل ما يشاركه الحياة في هذه الأرض من حيوان ونبات وجماد، لأن الله تعالى جعل الانسان خليفته في الأرض، وحمله «أمانة» لم يحملها لغيره، ولا بد له من أن يقوم بواجباتها على الوجه الأمثل الذي يرتضيه دينه الحنيف وأخلاقه الاسلامية الفاضلة النابعة من ذاته المؤمنة بالله، لا المفروضة عليه من سلطة خارجية يزول تأثيرها بغيابها.

والسنة النبوية وان كانت ترى ان الانسان يولد على الفطرة طاهرا بريئا غير مسؤول عن الخير والشر في بداية نشأته، الا انها تؤكد أن الله عز وجل أنعم على الانسان دون سائر خلقه، بالعقل وبالحواس التي تمكنه من التمييز والادراك والتعلم والفهم ومعرفة الأحكام الصائبة، كما انعم عليه بالارادة وحرية الاختيار وهداه النجدين أي طريق الخير والشر، وسبيل الهدى والضلال، وهذا كله يحمل الانسان مسؤولية التكاليف والواجبات الملقاة على عاتقه عندما يتكامل نضجه العقلي والنفسي والاجتماعي.

* قال تعالى:

﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون. ﴾[1]

* وقال عز وجل:

﴿ ألم نجعل له عينين، ولسانا وشفتين، وهديناه النجدين ﴾[2]

* وقال سبحانه وتعالى:

﴿ إنّا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل. ﴾[3]

* وقال عز وجل:

﴿ كل نفس بما كسبت رهينة. ﴾[4]

* وقال تعالى: ﴿ لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾[5]

* وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ:

« لا تكونوا إمعة، تقولون ان أحسن الناس أحسنّا، وان ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم: ان أحسن الناس أن تحسنوا، وان أساءوا فلا تظلموا. »[6]

* وعن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال:

« مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير في هذه مرة، وفي هذه مرة، لا تدري أيها تتبع. »[7]

---

(1) النحل / 78

(2) البلد / 10:8

(3) الزمر / 41

(4) المدثر / 38

(5) البقرة / 286

(6) الترمذي / جـ 8 / ص 170 (وقال عنه: حديث حسن غريب.)

(7) النسائي / جـ 8/ ص 124

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :

« **بادروا بالأعمال** ، فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافراً ، او يمسي مؤمنا ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض الدنيا »[1]

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :

« كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته ، والأمير راع ، والرجل راع على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » [2]

* وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ « إن لجسدك عليك حقا ، وان لعينك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقاً »[3]

* وعن أنس عن النبي ﷺ قال :

« والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره، أو قال لأخيه ما يحب لنفسه » [4]

* وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :

« الرحم معلقة بالعرش ، تقول من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله »[5]

* وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخ المسلم

---

(1) مسلم / جـ1 / ص 76

(2) البخاري / جـ 7 / ص 41

(3) البخاري / جـ 7 / ص 41,40

(4) مسلم / جـ 1 / ص 49

(5) مسلم / جـ 8 / ص 7

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لايظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا ، ويشير الى صدره ثلاث مرات . بحسب امرىء من الشر ان يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه »[1]

* وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال :
« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبّك بين أصابعه »[2]

* وقال رسول الله ﷺ :
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان »[3]

* وقال رسول الله ﷺ :
« ان قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فان استطاع ان لايقوم حتى يغرسها فليغرسها »[4]

* وعن عبدالله ان رسول الله ﷺ قال :
« عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار ، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض »[5]

التربية السلوكية :

يرى علماء التحليل النفسي أن للنفس مظاهر ثلاثة أولها: الهو Id

(1) نفس المصدر السابق / ص 11،10
(2) البخاري / جـ 8 / ص 14
(3) مسلم / جـ 1 / ص 50
(4) المتقى منتخب كنز العمال / جـ 5 / ص 388 (رواه ابو داود الطيالسي وأحمد في مسنده والبخاري في الأدب، وآخرون عن: عن هشام بن زيد بن أنس عن جده .)
(5) مسلم / حـ 8 / ص 35.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهو مجموع الغرائز والرغبات والشهوات. وثانيهما: الأنا Ego وهو العقل الذي يحاول المواءمة بين غرائز ورغبات النفس والمعايير الدينية والأخلاقية والاجتماعية وثالثها: الأنا الأعلى Super Ego وهو الرقيب الأعلى أو سلطة الضبط الداخلية أو الضمير الذي لا يسمح للانسان بارتكاب الأخطاء والمعاصي التي لا يقرها الدين والعقل والأخلاق والمجتمع، وهو مصدر سعادة الانسان برضاه عن أفعاله المحمودة، ومصدر تعاسته بندمه عن أفعاله المذمومة.

وهذه المستويات الثلاثة للنفس، قد توجد عند انسان واحد في حالات متغيرة، عندما يخضع لمطالبه ورغباته وشهواته او عندما يعمل عقله في التكييف بين مطالبه والأحكام الدينية والقيم الخلقية والعرف والتقاليد والعادات الاجتماعية، أو عندما يشعر براحة النفس الناجمة عن أفعاله الخيرة وسلوكه المحمود، أو يشعر بعذاب النفس الناتج عن اعماله الشريرة وسلوكه المشين.

وقد توجد هذه المظاهر بين الناس وتميز بينهم، فهذا شخص تتحكم فيه شهواته ورغباته فهو أسيرها لا يستطيع الفكاك من قيدها، وهذا شخص ثان يضبط نفسه ويتحكم في مطالبها، ويعمل على اشباعها بالطرق السوية المشروعة وهذا شخص ثالث يزكي نفسه ويتسامى بخلقه، ويرتفع بسلوكه عن كل الصغائر والدنايا، ويستمع دوما الى صوت ضميره الداخلي، ويلتزم التزاما ذاتيا وأخلاقيا في كل تصرفاته، ويحس برقابة الله تعالى عليه وحضوره معه ويراعيه في كل حركاته وسكناته.

والسنة النبوية المطهرة لا تنكر هذا التحليل النفسي للسلوك البشري بل تقره وتسبق اليه، وتجعله وسيلة لتهذيب النفس وسعادتها، والموازنة العادلة بين حاجاتها الجسدية وشواغلها الروحية والملاءمة بين رغبات الفرد ومطالب الجماعة، وضبط الغرائز والدوافع والحاجات الفطرية والنفسية والاجتماعية واشباعها وفق ما تقره أحكام الشريعة السمحاء، ومعايير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأخلاق الفاضلة، وغايات المجتمع البناءة.

ولذلك فقد وجهتنا السنة النبوية المطهرة الى اشباع الغرائز والشهوات الطبيعية بالطرق المشروعة، وعدم اطلاق العنان لها، وجعلها تتحكم في مشاعر الانسان وسلوكه، لأن الاسراف فيها، واشباعها بغير حقها فيه مضار خطيرة للفرد والجماعة.

وهذه هي التي تسمى بالنفس الأمّارة - التي تقابل الهو Id - في التربية المحمدية واذا اتبع الانسان هواه خسر دينه ودنياه.

* قال تعالى:

﴿ . . . ان النفس لأمّارة بالسوء الا ما رحم بي. ﴾[1]

* وعن أبي هريرة: كان من دعاء النبي ﷺ:

« اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن دعاء لا يسمع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع »[2]

كما وجهتنا السنة النبوية الى اصلاح النفس، وتطهيرها وضبط الذات، ولا يتم ذلك الا بالنقد الذاتي واظهار الندم عن الأفعال المشينة، واستغفار الله عز وجل وحسن التوبة اليه والعزم على عدم العودة الى الشرور والمفاسد والمعاصي والفواحش.

وهذا ما تسميه التربية النبوية بالنفس اللوامة التي تقابل الأنا Ego، واذ اتبعها الانسان ضمن الى حد كبير الرجوع عن الغي، وكبح جماح النفس، والملاءمة بين رغباتها ومطالبها والمعايير والقيم الدينية والخلقية والاجتماعية.

---

(1) يوسف / 53

(2) ابن ماجة / جـ 1 / ص 92

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال تعالى:

﴿ لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم **بالنفس اللوامة**. ﴾[1]

* وعن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم الا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول: « اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها. »[2]

* وعن فروة بن نوفل الأشجعي سألت عائشة عما كان رسول الله ﷺ يدعو به الله، قالت: كان يقول:

« اللهم اني أعوذ بك من شر ما عملت، ومن شر ما لم أعمل »[3]

* وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

« يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب في اليوم اليه مائة مرة. »[4]

* وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

« مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت. »[5]

ووجهتنا السنة النبوية كذلك الى أن الاطمئنان الروحي، والسكينة النفسية وراحة الضمير وبلوغ السعادة يتم بالعبودية الخالصة لله تعالى، واليقين به، وحسن التوكل عليه، والانابة اليه، والتقرب اليه بالطاعات، ومراعاته في السر والعلن، والاحساس الدائم برقابته وحضوره.

وهذا ما تسميه التربية المحمدية بالنفس المطمئنة، وهو ما يقابل الأنا الأعلى Super Ego، بل ان تعريف السنة النبوية أدق وأشمل في التربية

---

(1) القيامة / 2,1

(2) مسلم / جـ 8/ ص 82,81

(3) نفس المصدر السابق / ص 80

(4) نفس المصدر السابق / ص 73

(5) البخاري /جـ8 /ص107

السلوكية.

* قال تعالى:

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي الى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنتي. ﴾[1]

* وقال رسول الله ﷺ في تعريف الاحسان:

« أن تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك »[2]

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

« يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم، وان تقرب مني شبرا تقربت اليه ذراعا، وان تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا، وان أتاني يمشي أتيته هرولة. »[3]

* وعن عمر بن الخطاب،قال: قال رسول الله ﷺ:

« لو أنكم كنتم توكلون على الله حتى توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا. »[4]

* وعن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال:

« يا غلام، اني اعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، اذا سألت فاسأل الله، واذا استعنت فاستعن بالله، واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف. »[5]

---

(1) الفجر / 30:27

(2) مسلم / جـ 1/ ص 29

(3) مسلم / جـ 8/ ص 63,62

(4) الترمذي / جـ 9 / ص 208,207 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)

(5) نفس المصدر السابق / ص 320, 319 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكي تتم التربية السلوكية على نحو سليم يعكس استقامة النفس وطهارتها وترقية أخلاقها والسمو بها، وضبطها لرغباتها وشهواتها دون إماتتها ـ والزامها بالأحكام والقواعد الدينية، والقيم والمعايير الخلقية، لا بد من اتباع عدة وسائل تقويمية واصلاحية «للنفس» تقيها شرور الاندفاع في تيار الشهوات والفساد والضلال في غفلة حينا، وفي ضعف حينا آخر وتعيدها الى حضيرة الايمان والعفة والاستقامة والصلاح.

ومن أهم وسائل صلاح النفس وتقويمها نذكر: النقد الذاتي، والضبط الذاتي، والتقويم الذاتي، وهذه الوسائل وان كانت تعتمد على التوجيهات الروحية، والقيم الخلقية، والمعايير الاجتماعية، الا اننا رأينا ابراز دور الفرد نفسه فيها بمبادءاته الذاتية، واحساسه بالمسؤولية، والتزامه الخلقي النابع من ذاته لا المفروضة عليه من سلطة خارجية، حتى يتمثل ويلتزم بكل الأوامر والنواهي والتعاليم والتوجيهات التي جاءت بها الدعوة المحمدية الخاتمة الموجهة الى البشرية قاطبة بما يصلح أحوالها، وينقذها من ضلالها ويهديها الى سبيل الرشاد حيث تنال السعادة في الدارين.

وفيما يلي نناقش، بشيء من الايضاح، وسائل اصلاح النفس وتقويمها التي أشرنا اليها.

أولا : النقد الذاتي:

لقد انعم الله عز وجل على الانسان بالعقل والحواس، وخصه بها دون سائر المخلوقات على نحو يمكنه من الفهم والادراك واصدار الأحكام الصائبة والتمييز، بين الأشياء حسنها وقبيحها، خيرها وشرها، نافعها وضارها.

كما انعم الله تعالى على الانسان بالارادة القادرة الحرة المختارة، وحمله بذلك «المسؤولية» كاملة عن أقواله وتصرفاته ومواقفه واتجاهاته. ومن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العدالة ان يتحمل الانسان مسؤولياته عن أقواله وأفعاله ومواقفه واحكامه ما دام حرا مختارا ذا قدرة وارادة، ولا بد للانسان كي تستقيم حياته الفردية والاجتماعية من أن ينمي قدرته على النقد الذاتي بتقويم نفسه، ووزن اقواله وأفعاله ومواقفه وأحكامه ما دام حرا مختارا ذا قدرة وارادة، ودراسة الأسباب التي دفعته الى ارتكاب الخطايا، والوقوع في المعاصي التي يحرمها الدين، ويمنعها العقل، وترفضها الأخلاق ويستنكرها المجتمع.

وكلما نما النقد الذاتي لدى الانسان كلما دل على عقلية ناضجة متفتحة، ونفس نقية صافية، وان لابستها الشوائب الطارئة فسرعان ما تعود الى حياة الاستقامة والعفة.

والسنة النبوية المطهرة تدعو الى تنمية القدرة على النقد الذاتي الذي يقود المخطىء والمسيء الى مراقبة نفسه وتفطنه الى عيوبه ونقائصه، واعترافه بزلاته وانحرافه، واظهاره لندمه عن افعاله المذمومة وخطاياه ومعاصيه، واستغفاره لربه تعالى عنها، وحسن توبته اليه والاسراع بها وصدق عزمه على عدم العودة الى حياة الفساد والضلال.

* عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« والله اني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة »[1]

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

« من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه. »[2]

* وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(1) البخاري / جـ 8/ ص 83

(2) مسلم / جـ 8 / ص 73

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة. »[1]

* وعن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال:

« سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي، لا اله الا انت، خلقتني وأنا عبدك، وانا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتك، وأبوء لك بذنبي فأغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت، أعوذ بك من شر ما صنعت، اذا قال حين يمسي فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة، واذا قال حين يصبح فمات من يومه مثله. » [2]

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال:

« يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له » [3]

ثانيا: الضبط الذاتي:

من اهم النتائج الايجابية للنقد الذاتي الناضج قدرة الانسان على ضبط ذاته وذلك بالتحكم في أهوائها ونوازعها، وكبح جماح شهواتها وغرائزها، وردها عن غيها، وكشف حجاب غفلتها، وارجاعها الى جادة الهدى والطهر والعفاف.

وللضبط الذاتي فوائد جمة للفرد والمجتمع: فهو بالنسبة للفرد مصدر احترام وتقدير وتوقير من الآخرين لأنه يجعله يرتفع عن السفاسف والدنايا ويصحح أخطاءه، ويقوّم عيوبه، ويسعى دوما الى طلب رضا الخالق عز وجل وحسن عبادته وطاعته، والالتزام بالقيم الروحية، والفضائل

---

(1) البخاري / جـ 8 / ص 84

(2) نفس المصدر السابق / ص 88

(3) نفس المصدر السابق / ص 88

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخلقية، والآداب الاجتماعية، يشبع رغباته وحاجاته الفطرية بالطرق السوية وفي غير اسراف، ويكيف مطالبه مع مطالب المجتمع ونظمه وقوانينه فلا تدفعه الأثرة والأنانية وحب الذات الى بناء سعادته على شقاء الآخرين، وهو بالنسبة للمجتمع مصدر تماسك وتلاحم وتظافر بين أعضاء ضابطين لذواتهم، شاعرين بمسؤولياتهم حيال مجتمعهم، يسهمون في بنائه، ويحفظون كيانه، آمرين بالمعروف وملتزمين به، ناهين عن المنكر وتاريكن له، مدركين لأمانة الاستخلاف وثقل أعبائها، حريصين على الرفع من أنفسهم وفق الاستطاعة، مؤمنين بأن الفرد للجماعة كالبنيان يشد بعضه بعضا.

وقد وجهتنا السنة النبوية الى تنمية القدرة على الضبط الذاتي للنوازع والدوافع والرغبات والشهوات والعواطف والانفعالات، وذلك لأن الضبط الذاتي هو مصدر التوازن والاعتدال والسعادة في حياة الفرد والجماعة.

* عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال:
« ليس الشديد بالصرعة، انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »[1]

* وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن رجلا أتى الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علمني كلمات اعيش بهن ولا تكثر علي، فانسى.
فقال رسول الله ﷺ: « لا تغضب »[2]

* وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:
« حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات. »[3]

* وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 30
(2) مالك / الموطأ / ص 652،651
(3) مسلم/ جـ 8/ ص 143،142

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« من ترك الكذب وهو باطل بني له في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسطها، ومن حسن خلقه بني له في اعلاها. »[1]

* وقال رسول الله ﷺ:

« الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله. »[2]

* وقال رسول الله ﷺ:

« الحلال بين والحرام بين، فدع ما يريبك الى ما لا يريبك »[3]

* وعن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ:

« عجبا لأمر المؤمن؟ ان أمره كله خير، وليس ذلك لأحد الا للمؤمن. ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له، وان اصابته ضرّاء صبر فكان خيرا له. »[4]

ثالثا: التقويم الذاتي:

لا شك ان نضج قدرة الانسان على النقد الذاتي الواعي الرشيد، واكتمال قدرته على الضبط الذاتي المتوازن العادل، يساعده على تقويم ذاته، واصلاح عيوبه وترقية اخلاقه، وترك سبيل المفاسد والمعاصي والشرور وان كانت تحقق له لذة مادية آنية، والعودة الى سبيل الهدى والتقوى والصلاح باتباع أوامر الشرع الحكيم واجتناب نواهيه، والتقيد بالفضائل والمكارم الخلقية والقيم والآداب الاجتماعية التي تجعله يتذوق

---

(1) الترمذي / جـ8 / ص 159 (وقال عنه: حديث حسن)

(2) المتقى / منتخب كنز العمّال / جـ 1 / ص 235 (رواه أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجة، والحاكم في المستدرك، عن شداد بن أوس)

(3) نفس المصدر السابق / ص 254 (رواه الطبراني في الصغير عن عمر)

(4) مسلم / جـ 8 / ص 227

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السعادة الحقيقية بما تشيعه في نفسه من طمأنينة وسكينة وراحة ضمير، وثقة ويقين في عون الخالق عز وجل ونيل رضاه ورحمته، وشعور باحترام الاخرين وتقديرهم وقبولهم، ولذلك يكون التقويم الذاتي النابع من الفرد مصدر صلاحه في دينه وخلقه وفلاحه في عمله وعلاقاته وسعادته في حياته الفردية والاجتماعية ورجائه في رحمة ربه وغفرانه ونيل جنانه.

وقد دعتنا السنة النبوية الى تنمية قدرتنا على التقويم الذاتي، واصلاح عيوبنا بأنفسنا، والرجوع عن أخطائنا ومعاصينا، وفتحت أمامنا باب التوبة والغفران ورحمة ربنا الغفور الرحيم، وحثتنا على مباد ءتنا الذاتية وتقوية ارادتنا، وصدق عزمنا على تأديب نفوسنا وتزكيتها، وترقية أخلاقنا والسمو بها حتى نتحصن من التردي في مهاوي الشهوات والرذائل، والشرور والمفاسد، والمعاصي والذنوب والغي والضلال.

* عن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:
« المجاهد من جاهد نفسه »[1]

* وقال رسول الله ﷺ:
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان. »[2]

* وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:
« ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر. »[3]

* وقال رسول الله ﷺ:
« ان الله تعالى يحمد على الكيس، ويلوم على العجز، فاذا غلبك

---

(1) الترمذي / جـ 7 / ص 123 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)
(2) مسلم / جـ 1 / ص 50
(3) الترمذي / جـ / 8/ص 109 (وقال عنه: حديث حسن غريب)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشيء فقل حسبي الله ونعم الوكيل. »[1]

* وقال ﷺ:

« انظر فانك لست بخير من أحمر وأسود الا ان تفضله بتقوى »[2]

* وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ:

« لا تكونوا إمَّعة تقولون ان احسن الناس أحسنا، وان ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس ان تحسنوا وان اساءوا فلا تظلموا. » (3)

مكانة الأخلاق:

تحتل الأخلاق في السنة النبوية مكانة عليا شامخة لا مثيل لها في غيرها من السنن والشرائع ولا في الفلسفات والنظريات قديمهاوحديثها.

وتعتبر التربية الأخلاقية في نظر السنة النبوية الهدف الأسمى الذي ترمي اليه من تكوين الشخصية الانسانية السوية، وتجعل السنة النبوية الأخلاق تحتل المرتبة الثانية بعد الايمان، بل هي أهم ثمرات الايمان الصحيح والعبودية الخالصة لله تعالى والطاعة الصادقة له، ولا يتم ايمان المسلم ولا يكتمل اسلامه الا اذا صلحت اخلاقه، وسمت وزكت وترفع بها عن الدنايا والنقائص والمعاصي والرذائل.

* قال رسول الله ﷺ:

« حسن الخلق نصف الدين »[4]

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1/ ص 154 (رواه الطبراني في الكبير عن عوف بن مالك)

(2) نفس المصدر السابق / ص 156 (رواه احمد في مسنده عن أبي ذر)

(3) الترمذي / حـ 8 / ص 170 (وقال عنه: حديث حسن غريب)

(4) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 130 (رواه الديلمي في الفردوس عن أنس)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« الحياء من الايمان، والايمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار. »[1]

* وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:
« الايمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الايمان »[2]

* وعن عمران بن حصين يحدث عن النبي ﷺ انه قال:
« الحياء لا يأتي الا بخير. »[3]

* ولعلو مكانة الأخلاق وشرفها تجعلها السنة النبوية مسبقة على العلم، وترى ان علما بلا خلق لا يفيد صاحبه ولا ينفع غيره، بل قد يسبب لها المآسي والمحن.

* قال تعالى:
﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾[4]

كما ورد في القرآن الكريم « ألف وخمسمائة وأربع آيات تتصل بالأخلاق، سواء في جانبها النظري أو في جانبها العلمي، وهذا المقدار يمثّل ما يقرب من ربع عدد آيات القرآن الكريم. »[5]

* وعن مالك انه بلغه أن رسول الله ﷺ قال:
« بعثت لأتمم حسن الاخلاق »[6]

* وقال أبو ذر لما بلغه مبعث النبي ﷺ، قال لأخيه: اركب الى هذا

---

(1) الترمذي / جـ 8 / ص 171 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)
(2) مسلم / جـ 1 / ص 46
(3) نفس المصدر السابق / ص 47,46
(4) القلم / 4
(5) د. عمر التومي الشيباني / فلسفة التربية الاسلامية / ص 222
(6) مالك / الموطأ / ص 651

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوادي فاسمع قوله . فرجع فقال :
« رأيته يأمر بمكارم الأخلاق »[1]

وجعل رسول الله ﷺ « الأخلاق » أساس التمييز والتقييم الحقيقي بين الناس .

* عن مسروق قال : كنا جلوسا مع عبد الله بن عمر يحدثنا اذ قال : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا متفحشا، وانه كان يقول :
« ان خياركم أحاسنكم أخلاقا . »[2]

وأمر رسول الله ﷺ اتباع دعوته الخاتمة بأن يحرصوا دوما على تحسين أخلاقهم، وتهذيب أنفسهم، والتحلي بالخلال والصفات الحميدة، وأن يحسنوا معاملة غيرهم من الأهل والأقارب والجيران والناس أجمعين .

* عن أبي ذر قال :قال لي رسول الله ﷺ :
« اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن . »[3]

وجعلت السنة النبوية ثواب الخلق الحسن كثواب الصدقة ترغيبا في حسن الأخلاق وحثا على التحلي بها .

* عن جابر عن عبد الله قال :قال رسول الله ﷺ :
« كل معروف صدقة، وان من المعروف ان تلقى أخاك بوجه طلق، وان تفرغ من دلوك في اناء أخيك . »[4]

واكدت السنة النبوية أن الخلق الحسن هو الذي يرجح كفة ميزان

---

(1) البخاري / جـ8 / ص 16
(2) نفس المصدر السابق / ص 16
(3) الترمذي / جـ 8 / ص 155 (وقال عنه حديث حسن صحيح)
(4) نفس المصدر السابق / ص 146 (وقال عنه : حديث حسن)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المؤمن يوم القيامة فينال الجنة برحمة الله تعالى وفضله، ويجازى خير الجزاء على خلقه المحمود وسيرته الفاضلة في دنياه.

* عن أبي الدرداء ان النبي ﷺ قال:
« ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وان الله ليبغض الفاحش البذيء. »[1]

وبيَّنت السنة النبوية المطهرة أن الأخلاق الكريمة تؤدي الى الجنة.

* قال رسول الله ﷺ:
« مكارم الأخلاق من أعمال الجنة »[2]

وبشر رسول الله ﷺ ذوي الأخلاق الحسنة برفقته في الآخرة، وانهم أحب اليه وأقرب منه مجلسا يوم القيامة.

* عن جابر أن رسول الله ﷺ قال:
« ان من أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وأن أبغضكم الي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون) قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيقهون؟
قال: « المتكبرون »[3]

وأوضحت السنة النبوية أن الله تعالى يحب الأخلاق السامية لأنها دليل على اكتمال ايمان المسلم، ويكره الأخلاق الدنيئة لأنها مظهر من مظاهر نقص الايمان.

* قال رسول الله ﷺ:

---

(1) الترمذي / جـ 8 / ص 168،167 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)
(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 130 (رواه الطبراني في الأوسط عن أنس)
(3) الترمذي / جـ 8 / ص 175،174 (وقال عنه حديث حسن غريب.)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« ان الله تعالى يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها »[1]

وبينت السنة النبوية أن الله تعالى شرف الأخلاق الحسنة ورفع مكانتها وأجلهابأن جعلهامن صفاته العظمى، ترغيبا للمؤمنين الصادقين في تحسين أخلاقهم وتزكية نفوسهم، وترقية وجدانهم.

* قال رسول الله ﷺ:

« حسن الخلق من خلق الله الأعظم. »[2]

أقسام الأخلاق:

يمكن ان نقسم الأخلاق في السنة النبوية الى قسمين رئيسيين هما: الاخلاق المحمودة وهي التي تشتمل على الصفات والخصائل والخلال الفاضلة الايجابية التي ينبني عليها السلوك الانساني السليم النافع للفرد والجماعة، والأخلاق المذمومة وهي التي تشتمل على الصفات والخصائل والخلال المشينة السلبية التي يدور حولها السلوك الانساني السقيم الضار بالفرد والجماعة.

أولا: الأخلاق المحمودة:

تستهدف السنة النبوية المطهرة تنشئة الفرد على الأخلاق المحمودة، منذ فجر نشأته الأولى وتعمقها في نفسه، وترسخها في وجدانه، وتنمي شخصيته وتصقلها وفق معاييرها وقواعدها حتى يصبح ما يصدر عنه من أقوال وأفعال وتصرفات وسلوك ومواقف واتجاهات مطابقا لمعايير الأخلاق المحمودة وترجمانا حيا لمعانيها السامية.

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 132,131 (رواه الحاكم في المستدرك عن سهل بن سعد).

(2) نفس المصدر السابق / ص 130 (رواه الطبراني في الكبير عن عمار بن ياسر)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم تقتصر السنة النبوية على الجانب التوجيهي الارشادي في التربية الخلقية وهذا ما فاقت فيه غيرها وسبقته بل بينت الأخلاق المحمودة الجامعة للجانبين الفردي والاجتماعي والصالحة لكل زمان ومكان، ودعت الى كسبها والتحلي بها وجعلها معيارا للسلوك السوي، والعمل على غرسها في نفوس الناشئة منذ طفولتهم المبكرة، ولو اتبعها الانسان لصلحت حياته، وسعدت نفسه، وأفلح في تكوين العلاقات البناءة مع الآخرين التي قوامها التعاطف والتكافل، وحسن استخلافه على الأرض وحسن عمارتها، وهو ما يجعله أهلا لنيل رضا ربه تعالى في الدارين: دار البلاء الفانية، ودار الجزاء الباقية.

ونتناول فيما يلي جملة من الأخلاق المحمودة الفاضلة التي دعت اليها السنة النبوية المطهرة: سنة الرحمة والرشد والهدى للبشرية قاطبة.

1 ـ الاخلاص:

الاخلاص في النية والعمل هو سر الايمان الكامل بالله تعالى والعبودية الخالصة له. والاخلاص هو المحرك الدائم لكل عمل مثمر، وسعي هادف، وبدون الاخلاص تتصف اعمال المرء وسلوكه بالزيف والمخادعة، والرياء والتكلف وهي صفات مذمومة تنقص كل عمل وتمحق ثوابه.

وقد أكدت السنة النبوية المطهرة ضرورة تحلي المسلم بخلق الاخلاص لله تعالى في نواياه وأقواله وأفعاله حتى يتم ايمانه، وتصلح حياته، ويفلح عمله، ويسهم بصدق وفعالية والتزام ذاتي في خدمة جماعته وحفظ كيانها وعونها على حل مشاكلها ومواجهة مصاعبها.

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« انما الأعمال بالنية، وانما لامرىء ما نوى، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله، فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او الى امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه »[1]

* وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال:

« من أعطى لله ومنع لله، وأحب لله وأبغض لله، وأنكح لله، فقد استكمل ايمانه. »[2]

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

« قال الله تبارك وتعالى أنا أغني الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه. »[3]

* وقال رسول الله ﷺ:

« ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه. »[4]

2-الاحسان:

الاحسان ركن اساسي من أركان عقيدة المسلم، وهو خلق فاضل لا بد أن يتحلى به. والاحسان يعنى الاخلاص والصدق في النية ويعني الاتقان والجودة في الآداء، ويعني البر والرحمة والرفق في المعاملات، ويعني المراقبة والتفطن الدائم لشواغل أرواحنا وأنفسنا وحسن اشباعها، وضبطها والتحكم فيها بما يرضي ربنا عز وجل عنا، وبما يستجيب لأوامر ديننا في العقيدة والعبادة.

وقد ركزت السنة النبوية على خلق « الاحسان » وغرسه في النفوس.

---

(1) البخاري / جـ 8 / ص 175

(2) الترمذي / جـ 9 / ص 323 (وقال عنه: حديث حسن)

(3) مسلم / جـ 8/ ص 223

(4) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 134 (رواه النسائي عن أبي أمامة)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال رسول الله ﷺ في تعريف « الاحسان » كأحد أركان الدين الاسلامي :

« أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »(1)

* وعن شداد بن أوس قال : ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال :

« ان الله كتب الاحسان على كل شيء، فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة، واذا ذبحتم فاحسنوا الذبح، وليحد احدكم شفرته فليرح ذبيحته . »(2)

3- **الاستقامة :**

الاستقامة هي التجسيد الحي للايمان الصحيح، فالمسلم الذي كمل ايمانه لا بد ان يكون مستقيما في سلوكه وتصرفاته وأقواله وأفعاله، اذ أن الخلق المستقيم هو لب الايمان الكامل، وبقدر ما يكون ذلك دليلا على عدم رسوخ ايمانه، ونقص اخلاصه في العبودية الحقيقية لله تعالى، وضعف نفسه امام نداء المغريات والشهوات والغرائز.

وقد أكدت السنة النبوية المطهرة ان لب الأسلام: الايمان والاستقامة، وذلك لأن الاستقامة تصلح شأن الفرد وتحميه من الزيغ والضلال والمعاصي والذنوب وتصلح شأن المجتمع وتقيه من الفسق والفجور والانحلال والتفكك.

* عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه احدا بعدك: قال: « قل آمنت بالله فاستقم . »(3)

* وقال رسول الله ﷺ :

---

(1) مسلم / جـ 1 ص 29
(2) مسلم / جـ 6 / ص 72
(3) مسلم / جـ 1 / ص 47

« استقم، وليحسن خلقك للناس. »[1]

4-التقوى:

خلق التقوى هو اساس الاستقامة في الحياة وهو ثمرة الايمان الصحيح والاسلام الكامل وهو وحده معيار التفاضل والتمايز بين الناس وتقوى الله عز وجل حق تقاته تحمي الفرد من الفساد والضياع والضلال، وتقي المجتمع بالتالي من الدمار والخراب والانهيار.

والأخلاق التي تفتقر الى التقوى الحقيقية النابعة من القلب، الموجهة للخالق وحده، هي اخلاق ظاهرية مخادعة، سرعان ما يكتشف زيفها بتردي صاحبها في حمأة الرذيلة، وانسياقه وراء شهواته ومطامعه الى هاوية اللذائذ الرخيصة التي تعود عليه بالآلام والمتاعب النفسية وعذاب الضمير، وتعود على جماعته بالضرر والأذى والفساد.

* قال تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون. ﴾[2]

* وعن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ:

« اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن. »[3]

* وقال رسول الله ﷺ:

« انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود الا ان تفضله بتقوى »[4]

---

(1) المتقى/منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 137 (رواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الايمان: عن ابن عمر)

(2) المائدة / 35

(3) الترمذي / جـ 8 / ص 155 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)

(4) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 156 (رواه احمد في مسنده عن أبي ذر)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن سعد بن أبي وقاص... سمعت رسول الله ﷺ يقول:
« ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي. »[1]

5- الحياء

الحياء هو رأس الأخلاق الرفيعة، وهو الدليل على صدق الايمان، واخلاص التقوى لله تعالى، واستقامة المسلم في أقواله وأفعاله وسلوكه. والحياء لا يأتي الا بخير وبدونه قد يفعل المرء ما يشاء، ويقول ما يشاء، ويكون ذلك عنوانا على نقص ايمانه وعدم استقامة خلقه.

وقد أحلت السنة النبوية خلق الحياء مكانة سامية، وجعلته في المرتبة الثانية بعد الايمان، ودعت المسلمين الى التحلي به في أخلاقهم، والالتزام به في سلوكهم ومعاملاتهم.

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:
« الايمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الايمان. »[2]

* وحدث عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال:
« الحياء لا يأتي الا بخير »[3]

* وعن أبي سعيد يقول:
« كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها. »[4]

* وقال رسول الله ﷺ:
« استحيوا من الله حق الحياء. من استحى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعي، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد

(1) مسلم / جـ 8/ ص 215، 214
(2) مسلم / جـ 1 / ص 46
(3) نفس المصدر السابق / ص 47،46
(4) البخاري / جـ 8 / ص 35

استحى من الله حق الحياء »[1]

* عن أبي مسعود قال: قال النبي ﷺ:
« ان مما أدرك الناس من كلام النبوة: اذا لم تستحي فاصنع ما شئت »[2]

* عن أبي هريرةقال: قال رسول الله ﷺ:
« الحياء من الايمان والايمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار »[3]

6- الأمانة:

الأمانة خلق فاضل رفيع، وثمرة من ثمرات الايمان الكامل بالله تعالى وتقواه، والاخلاص له، في السر والعلن، ومراقبته الدائمة.

وبالأمانة تستقيم اخلاق الفرد وتسعد حياته ويفلح في بناء العلاقات الناجحة التي قوامها الثقة بينه وبين الآخرين، وتصلح احوال الجماعة وتزدهر لما يشعر به افرادها من أمن وطمأنينة على مصالحهم وأرزاقهم.

وقد حثت السنة النبوية المسلم على التحلي بخلق الامانة والالتزام الذاتي به في كافة المعاملات والعلاقات التي تربطه مع الآخرين.

* قال تعالى:
﴿ ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها... ﴾[4]

* قال رسول الله ﷺ:
« اد الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك »[5]

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / (رواه احمد في مسنده، الترمذي، والحاكم، في المستدرك، والبيهقي في شعب الايمان عن: ابن مسعود)
(2) البخاري / جـ 4 / ص 215
(3) الترمذي / جـ 8 / ص 171 (وقال عنه: حديث حسن صحيح) (4) النساء / 58
(5) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 145 (رواه البخاري في الأدب وأبو داود،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وقال ﷺ :
« الأمانة تجلب الرزق، والخيانة تجلب الفقر. »[1]

وعن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال:
« آية المنافق ثلاث: اذا حدث كذب، واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان. »[2]

7- الرحمة:

الرحمة من أهم الصفات الخلقية التي يجب ان يتحلى بها المسلم. وهي صفة من صفات الله العظمى سبقها على غضبه، وبالرحمة يسود الحب والمودة علاقات الناس فيتعاطفون ويتكافلون ويتعاونون، وتتظافر جهودهم المشتركة، كل حسب قدرته وكفاءته، في حل مشكلاتهم وتخطي مصاعبهم، ومجابهة تحديات الحياة، ويحسون بالمسؤولية الجماعية في حفظ كيان مجتمعهم وحمايته من كل ضلال ديني، او انحلال اخلاقي، أو تفكك اجتماعي. والمجتمع الذي لا يتراحم أفراده ولا يتوادون ولا يتعاطفون هو مجتمع مهيء لأن تنتشر فيه الشحناء والبغضاء وأن تشيع الفرقة بين أفراده، وتتحكم فيهم أنانيتهم الفردية، فتذهب ريحهم، وينفرط عقدهم، ويعمهم الظلم والحقد والحسد والتعاسة والشقاء.

والسنة النبوية تدعو الى التحلي بخلق الرحمة، وبناء العلاقات والمعاملات عليه، ليفلح الفرد، وتصلح الجماعة.

* قال تعالى:
﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا

والترمذي، والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة.)

(1) نفس المصدر السابق / ص 145 (رواه الديلمي في الفردوس عن: جابر القضاعي عن علي)

(2) البخاري / جـ 8 / ص 30

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من حولك، فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾[1]

* وعن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال:

« لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: ان رحمتي تغلب غضبي »[2]

* وعن جرير بن عبد الله عن النبي ﷺ قال:

« من لا يَرحم لا يُرحم. »[3]

* وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

« من لا يرحم الناس لا يرحمه الله »[4]

* وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ:

« الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله. »[5]

* وقال رسول الله ﷺ:

« لا تنزع الرحمة الا من قلب شقي. »[6]

8- الرفق:

الرفق من أبرز الصفات الأخلاقية التي يجب ان يتصف بها المسلم وللرفق آثار ايجابية فعالة تنعكس في المعاملات والعلاقات بين الناس،

---

(1) آل عمران / 159

(2) مسلم / جـ 8 / ص 95

(3) البخاري / جـ 8 / ص 12

(4) الترمذي / جـ 8 / ص 110 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)

(5) المصدر السابق / ص 111 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)

(6) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 174 (رواه احمد في مسنده وأبو داود وابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة.)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكلما ساد الرفق تعامل الفرد مع أبنائه وأهله وذوي قرباه، وجيرانه وكل من له بهم صلة في عمل أو نشاط معين كلما أفلح في بناء وشائج قوية تربطه بهم قوامها الرحمة والمودة والتعاطف والثقة والطمأنينة.

ولذلك فقد أكدت السنة النبوية المطهرة على أن الرفق خلق سام رفيع لا بد أن يتحلى به المسلم لأنه منبع كل خير، ولأنه يؤدي الى رضاء الله تعالى وثوابه الجزيل، ولأنه فوق ذلك صفة من صفات الرحمن العظمى.

* عن جرير عن النبي ﷺ قال:
« من يحرم الرفق يحرم الخير. »[1]

* وعن عائشة عن النبي ﷺ قال:
« ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه، ولا ينزع من شيء الا شانه »[2]

* وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال:
« ان الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه. »[3]

9- الحلم:

من أبرز الصفات الأخلاقية التي يجب ان يتحلى بها المسلم الحلم والعفو والتسامح والتجاوز وكظم الغيظ. وهذه الصفات الأخلاقية البناءة تقوي روابط المودة والتعاطف بين الناس، وتشيع بينهم الطمأنينة والثقة والأمن النفسي وتحفزهم على التعاون والتآزر والتكافل.

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 22
(2) نفس المصدر السابق / ص 22
(3) نفس المصدر السابق / ص 22

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد حثت السنة النبوية على الاتصاف بخلق الحلم وما يرتبط به من عفو وتسامح وتجاوز وكظم غيظ، وذلك لأهميته في البناء الاجتماعي وربط الأفراد بعضهم ببعض بروابط المحبة والمودة والعطف، وهو ما يكفل للفرد والمجتمع السلامة من الآثار السلبية للقسوة والعنف والشحناء والبغضاء. والبغي والعدوان.

* قال تعالى:

« . . . والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين. »[1]

* عن أنس بن مالك قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذ رداءه جبذة شديدة، قال أنس: فنظرت الى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء.[2]

* وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهنّي عن أبيه عن النبي ﷺ قال:

« من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء. »[3]

وقال رسول الله ﷺ:

« ما من جرعة أعظم أجرا عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله. »[4]

* وقال عليه الصلاة والسلام:

---

(1) آل عمران / 134

(2) البخاري / جـ 8 / ص 29

(3) الترمذي / جـ 8 / ص 178,177 (وقال عنه: حديث حسن غريب)

(4) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ1 / ص 165 (رواه ابن ماجة: عن ابن عمر)

« الحليم سيد في الدنيا سيد في الآخرة »[1]

* وقال رسول الله ﷺ « ان الله عفو يحب العفو. »[2]

* وقال عليه الصلاة والسلام: « قال موسى بن عمران: يا رب من أعز عبادك عندك؟ قال: من اذا قدر غفر. »[3]

10) الصدق:

الصدق من أرفع الأخلاق الفاضلة، ولا بد أن يلتزم المسلم به في أقواله وأفعاله، وفي سريرته وعلانيته، وتجاه ربه تعالى، ونفسه وأهله والناس أجمعين. والصدق يعتبر من الصفات التي يتم بها الايمان ، ويكمل بها الاسلام، امر الله تعالى به وجعله طريقا الى الجنة، وحث رسول الله ﷺ عليه لأنه مصدر راحة الضمير وطمأنينة النفس، ومنبع الخير والبركة، ووسيلة نشر الثقة والاحترام بين الناس.

* قال تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين. ﴾[4]

* وعن أبي الحوراء السعدي، قال: قلت للحسن بن علي ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال: حفظت من رسول الله ﷺ:

« دع ما يريبك الى ما لا يريبك، فان الصدق طمأنينة وان الكذب ريبة »[5]

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

« ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 165 (رواه الخطيب في التاريخ عن: أنس)

(2) نفس المصدر السابق / ص 233 (رواه الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود وأبو عدي في الكامل عن عبد الله بن جعفر.

(3) نفس المصدر السابق / ص 233 (رواه البيهقي في شعب الايمان عن أبي هريرة)

(4) التوبة / 119

(5) الترمذي / جـ 9 / ص 321 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ليصدق حتى يكون صديقا. وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا. »[1]

* وقال رسول الله ﷺ:

« ان تصدق الله يصدقك. »[2]

* وعن حكيم بن خزام عن النبي ﷺ قال:

« البيعان بالخيار ما لم يتفرقا. فان صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وان كذبا وكتما محق بركة بيعهما. »[3]

11- الصبر:

الصبر من أهم الفضائل التي يجب ان يكتسبها الانسان، فبالصبر يحتمل الشدائد والمكروهات، ويواجه المصاعب والأزمات، ويغالب المشاكل والتحديات، وتكون روحه المعنوية مرتفعة باستمرار، ولا ييأس لفشل عارض، ولا يخضع لعجز طارىء، بل يصبر على ذلك، ويحول ضعفه الى قوة، ويستعين بالله تعالى ويحرص على كل ما ينفعه.

وقد دعت السنة النبوية الى التحلي بفضيلة الصبر لأثرها الايجابي في حياة الفرد والجماعة.

* قال تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ﴾[4]

---

(1) البخاري / جـ 8 / ص 30

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 226 (رواه النسائي والحاكم في المستدرك عن: شداد بن الهاد)

(3) مسلم / جـ 5 / ص 10

(4) البقرة / 153

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

« ليس أحد، أو ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله، انهم ليدعون له ولدا، وانه ليعافيهم ويرزقهم. »[1]

* وقال رسول الله ﷺ:

« الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد »[2]

* وعن أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ:

« الصبر عند الصدمة الأولى. »[3]

* وعن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ:

« عجبا لأمر المؤمن، ان أمره كله خير وليس ذاك لأحد الا للمؤمن اذا اصابته سراء شكر فكان خيرا له. وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له. »[4]

12- التواضع:

التواضع خلق رفيع يجب ان يتخلق به المسلم، وتواضع المسلم انما يكون في مودة ورفق ومعرفة قدر الذات، وليس في مذلة ومسكنة ومهانة، وبذلك فان خلق التواضع يعلي من شأن المسلم، ويرفعه عن رذيلة الكبر والغطرسة، من جهة، وعن رذيلة الخنوع والمذلة من جهة أخرى.

وقد أمر الله عز وجل ورسوله الخاتم ﷺ بالتحلي بخلق التواضع لأنه مصدر رضا الله تعالى وثوابه ورفعته، ولأنه منبع الخير والفلاح في العلاقات بين الناس بما يربط قلوبهم بالمحبة والمودة والتعاطف ويجنبهم التنافر

---

(1) البخاري/جـ 8 /ص 31

(2) المتقى منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 208 (رواه الديلمي في الفردوس عن أنس، والبيهقي في شعب الايمان عن: علي موقوفاً).

(3) مسلم / جـ 3 / ص 40

(4) مسلم / جـ 8 / ص 227

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والتباغض والشحناء.

* قال تعالى:

﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما. ﴾[1]

* عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

« ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو الاعزا، وما تواضع أحد لله الا رفعه الله »[2]

* وقال رسول الله ﷺ:

« عليكم بالتواضع، فان التواضع في القلب، ولا يؤذين مسلم مسلما فلرب متضاعف في أطمار لو أقسم على الله لأبره. »[3]

* عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ « العز ازاره والكبرياء رداءه، فمن ينازعني عذبته. »[4]

* وعن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال:

« لا ينظر الله الى من جر ثوبه خيلاء »[5]

13- الكرم:

خلق الكرم والسخاء من أرفع الأخلاق الفاضلة التي يجب ان يتحلى بها المسلم، وهو ثمرة من ثمرات تمام الايمان وكمال اليقين بالله تعالى وحسن الاسلام فضلا عن كونه سمة من سمات النفس البشرية الطاهرة

---

(1) الفرقان / 63

(2) مسلم / جـ 8 / ص 21

(3) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 159 (رواه الطبراني في الكبير عن: أبي امامة)

(4) مسلم / جـ 8 / ص 36

(5) مسلم / جـ 6 / ص 146

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكريمة الملتزمة بالبر بالأهل والأقارب والأصدقاء والمعارف وبعون غيرهم من المحتاجين وقيامها بواجباتها الدينية والانسانية تجاههم.

وقد حثتنا السنة النبوية المطهرة على وجوب التجمل بخلق الكرم والسخاء والتحلي بفضائلهما.

* قال تعالى:

﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾[1]

عن أبي شريح الدعوى قال: سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلم النبي ﷺ فقال:

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته. » قال: وما جائزته يا رسول الله؟ قال « يوم وليلة »، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه، وما كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت. »[2]

* عن عبد الله بن عمرو أن رجلا سأل النبي ﷺ: أي الاسلام خير؟ قال« تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف. »[3]

* عن شعبة قال: أخبرني عمرو بن خيثمة عن عدّي بن حاتم قال: « ذكر النبي ﷺ النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه، ثم ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه » قال شعبة: أما مرتين فلا أشك، ثم قال: « اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة ».[4]

* وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

---

(1) آل عمران / 92

(2) البخاري / جـ 8 / ص 13

(3) نفس المصدر السابق / ص 65

(4) البخاري / جـ 8/ص 14

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« ما نقصت صدقة من مال . . »[1]

* وعن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ قال :
« لا يدخل الجنة خب ، ولا منان ، ولا بخيل »[2]

* وقال رسول الله ﷺ :
« إن الله تبارك وتعالى جواد يحب الجود ، ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها »[3]

* وقال ﷺ :
« ان في المال لحقا سوى ا لزكاة »[4]

* وعن عطاء بن أبي مسلم عبدالله الخراساني قال : قال رسول الله ﷺ : « تصافحوا يذهب الغلّ ، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء »[5]

14— الاقتصاد :

من الفضائل الأخلاقية الرفيعة التي يجب ان يتحلى بها المسلم « الاقتصاد » بحيث يتجنب الاسراف والتبذير ، ويتقي البخل والشح فهما رذيلتان ضارتان بالفرد والجماعة .

ولفضيلة الاقتصاد آثار إيجابية في حياة الفرد تقيه العوز والحاجة للناس ، وفي حياة الجماعة تقيها الفقر والبطالة .

وقد أكدت السنة النبوية المطهرة وجوب التحلي بفضيلة الاقتصاد على نحو معتدل بلا إفراط او تفريط .

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 21
(2) الترمذي / جـ 8/ص 141-142 (وقال عنه حديث حسن غريب.)
(3) المتقي/منتخب كنز العمال / جـ 2/ص 506 (رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية والحاكم في المستدرك ، والبيهقي في شعب الايمان عن : سهل بن سعد)
(4) نفس المصدر السابق / ص 510 (رواه الترمذي عن فاطمة بنت قيس)
(5) مالك / الموطأ / ص 653

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال رسول الله ﷺ :

« ما عال من اقتصد »[1]

* وقال عليه الصلاة والسلام :

« لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق »[2]

* وقال عليه الصلاة والسلام :

« إن أحدكم يأتيه الله برزق عشرة ايام في يوم فإن هو حبس عاش تسعة أيام بخير ، وإن هو وسّع وأسرف قتر عليه تسعة أيام »[3]

* وعن المغيرة عن النبي ﷺ قال :

« ان الله حرّم عليكم : عقوق الأمهات ، ومنع وهات ، ووأد البنات ، وكره لكم : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال »[4]

15— العدل :

من أرفع الفضائل الأخلاقية فضيلة العدل، وهو من صفات الله العظمى، وقد أمر الله تعالى به في كتابه العزيز، وحثّ رسول الله ﷺ على التحلي به، وتحريه في كل قول وفعل وحكم، والالتزام التام به تجاه الأهل والأقارب والناس أجمعين.

والاتصاف بخلق العدل يقي الانسان من الانجراف في تيار الهوى ، والمصلحة الذاتية ، وظلم الآخرين ، ويرفعه أعلى الدرجات في نظر الناس ويكون محل تقديرهم وإجلالهم الدائم .

قال تعالى :

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1/ص 143 (رواه أحمد في مسنده عن ابن مسعود)
(2) نفس المصدر السابق / ص 143 (رواه ابن ماجه عن أبي ذر)
(3) نفس المصدر السابق / ص 143 (رواه الديلمي في الفردوس عن: أنس)
(4) البخاري / جـ 8/ ص 4

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألّا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾[1]

* قال رسول الله ﷺ :

« ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عزّ وجلّ ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا »[2]

* وعن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده قال :

« بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، وان لا ينازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول بالحق حيث كنا ». وفي رواية أخرى : « . . . وعلى ان نقول بالعدل أين كنا لا نخاف في الله لومة لائم »[3]

* وعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ :

« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله ، وهم كذلك »[4]

* وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه ، ورجل قلبه معلق في المسجد ، ورجلان تحابا في الله ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال الى نفسها : قال إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمين . »[5]

---

(1) المائدة / 8
(2) مسلم / جـ 6/ص 7
(3) النسائي / جـ 7/ص 139
(4) مسلم / جـ 6/ص 52-53
(5) البخاري / جـ 8/ص 203

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

16- الشجاعة :

الشجاعة من الأخلاق السامية التي يجب ان يتحلى بها المسلم ، وهي نوعان : شجاعة مادية تتمثل في التضحية والاقدام من أجل الذود عن الدين والعرض والنفس والأهل والمال والوطن .

وشجاعة أدبية من أجل قولة الحق والحكم به والتصدي للباطل والفساد، وللشجاعة المادية والأدبية أثر إيجابي كبير في حياة الفرد بما يصون له حقوقه من الضياع ، وفي حياة المجتمع بما يصون كيانه من التفكك . وقد أمرنا الله تعالى في كتابه العزيز بالفداء والاقدام والقوة ، وحثّنا رسول الله ﷺ ـ وكان أسوتنا الحسنة ـ بالتحلي بخلق الشجاعة والبذل والفداء ، لنكون أقوياء وأعزّاء مهابين ، لا يطمع فينا طامع ، ولا يعبث بحقوقنا الشخصية والاجتماعية عابث .

* قال تعالى :

﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[1]

* وقال عزّ وجلّ :

﴿انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾[2]

* وعن أبي عبس (وهو عبد الرحمن بن جبير) قال: قال رسول الله ﷺ :

« من اغبرّت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار. »[3]

* وعن سعد بن زيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ،

---

(1) المنافقون / 8

(2) التوبة / 41

(3) الترمذي / جـ 7/ص 128 (وقال عنه : حديث حسن غريب صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد. »[1]

* وعن أبي سعيد : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« من رأى منكرا فلينكر بيده ، ومن لم يستطع فبلسانه ، ومن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان. »[2]

* وعن أبي سعيد الخدري ان النبي ﷺ قال :
« إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر. » [3]

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :
« المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير. »[4]

* وقال سعد بن عبادة : لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح . فقال النبي ﷺ : « أتعجبون من غيرة سعد ، لأنا أغير منه ، والله أغير مني. »[5]

17— الاصلاح :

من أرفع الأخلاق الفاضلة خلق الاصلاح ، الذي يعتبر ثمرة من ثمار تمام الايمان وكمال الاسلام ، وخلق الاصلاح له أثر إيجابي كبير في حياة الفرد والجماعة ، فهو ينقي الأنفس من الشحناء والأحقاد ، ويقرّب بين القلوب ويشيع بينها المودة والمحبة ، ويربط الجماعة برباط التعاطف والتكافل والتعاون ، ويجنبها التدابر والفرقة والقطيعة .

ولقد أكدت السنة النبوية وجوب التحلي بخلق الاصلاح ، وإقامة

---

(1) الترمذي / جـ 6/ص 191 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(2) الترمذي / جـ 9/ص 19 (وقال عنه : جديث حسن صحيح)
(3) نفس المصدر السابق / ص 20 (وقال عنه : حديث حسن غريب) .
(4) مسلم / جـ 8/ص 56
(5) البخاري / جـ 7/ص 45

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الروابط الاجتماعية على دعائمه المتينة .

* قال تعالى :

﴿إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾[1]

* وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة ، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال :

« إذهبوا بنا نصلح بينهم »[2]

* وعن عطاء بن أبي مسلم عبدالله الخرساني قال : قال رسول الله ﷺ « تصافحوا يذهب الغل ، وتهادوا تحابوا ، وتذهب الشحناء . »[3]

* وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس ، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال : انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا »[4]

* وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا »[5]

18— **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :**

المسلم ذو الخلق الفاضل المتكامل لا بد أن يكون آمرا بالمعروف ،

---

(1) الحجرات / 10

(2) البخاري / جـ 3/ 240

(3) مالك / الموطأ / ص 653

(4) مسلم / جـ 8/ص 11

(5) نفس المصدر السابق // ص 10

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وناهيا عن المنكر ، ملتزماً في أقواله وأفعاله بما يأمر به ، ومتجنباً في سلوكه وتصرفاته لما ينهى عنه .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليل على طهارة القلب ، وصفاء النفس ، وسمو الخلق ، والاحساس بالأمانة المخلصة ، والمسؤولية الصادقة تجاه الآخرين ، من أهل وأقارب وجيران وأعضاء الجماعة التي يعيش بينها الفرد ، وذلك بما يصلح شأنهم ، ويرشدهم الى الهدى ، ويقيهم من الشرور والمفاسد والموبقات ، وينقي حياتهم من الشوائب والأكدار والعلل الأخلاقية والأمراض الاجتماعية .

وقد أوجبت السنة النبوية على كل مسلم ان يتحلى بخلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وان يقوم بتبعاته على أحسن وجه ، لأن هذا الخلق من ثمار الايمان الصحيح ، والاسلام الكامل ، وبدونه لا يصلح حال الفرد ولا تستقيم حياة الجماعة .

* قال تعالى :

﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[1]

* وعن اليمان عن النبي ﷺ قال :

« والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر أو ليوشكنّ الله ان يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم . »[2]

* وعن ابن عباس قال :قال رسول الله ﷺ :

« ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقّر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف وينهِ عن المنكر . »[3]

---

(1) آل عمران / 104

(2) الترمذي / جـ 9/ص 17 (وقال عنه : حديث حسن)

(3) الترمذي / جـ 8/ص 109 (وقال عنه : حديث حسن غريب)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن أبي سعيد : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من رأى منكرا فلينكر بيده ، ومن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان . »[1]

* وعن أسامة بن زيد ، سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أقتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالرّحى ، فيجتمع اليه أهل النار فيقولون : يا فلان ما لك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى ، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه . »[2]

19— **النصيحة :**

النصيحة المخلصة الصادقة في القول والعمل من أوكد الواجبات الدينية ، ومن أسمى الصفات الفاضلة التي يجب ان يتحلى بها المسلم في خلقه ومعاملاته وقيامه بمسؤولياته تجاه أهله وأقاربه وغيرهم ممن يتولى أمرهم ، ويرعى شؤونهم .

وعندما يسود النصح المخلص الصادق بين الناس ، تسمو أخلاقهم ، وتزكو نفوسهم ، وتحكم علاقاتهم ومعاملاتهم الثقة والأمان والاطمئنان ، فيصلح حالهم ، وتزدهر حياتهم .

وقد جعلت السنة النبوية « النصيحة » في القول والعمل لله ولرسوله ، وللقريب والبعيد ، وللراعي والرعية ، عنوان الدين الكامل الصحيح ، بل وعرّفت بها الدين إجلالا لها وإعلاء لشأنها .

* عن تميم الداري أن النبي ﷺ قال :

« الدين النصيحة » قلنا : لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة

---

(1) الترمذي / جـ9/ص 19 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

(2) مسلم / جـ8/ص 224

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المسلمين وعامتهم . »[1]

* وعن عبيد الله بن زياد : عاد معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه ، فقال له معقل : إني محدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ : سمعت النبي ﷺ يقول :

« ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة . »[2]

* وعن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال :

« حق المسلم على المسلم ست » قيل : ما هنّ يا رسول الله ؟ قال : « اذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، **واذا استنصحك فانصح له** ، واذا عطس فحمد الله فسمّته ، واذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه . »[3]

* وقال رسول الله ﷺ :

« إن أحب الكلام الى الله سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك . وإن أبغض الكلام الى الله عزّ وجل أن يقول الرجل للرجل : اتق الله ، فيقول : عليك بنفسك . »[4]

20— الستـــر :

من كمال خلق المسلم الذي هو ثمرة من ثمار الايمان الصحيح والاسلام الكامل تحليه بخلق « الستر » على أخيه المسلم ، وعدم الكشف عن عوراته وعيوبه ومعاصيه وآثامه ، والتشهير بها قصد النيل من سمعته بين الناس ووضعه موضع التحقير والاهانة .

---

(1) مسلم / جـ 1/ص 53
(2) البخاري / جـ 9/ ص 80
(3) مسلم / جـ 7/ص 3
(4) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1/ص 243 (رواه البيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وستر العيوب والمعاصي مع النصح المخلص والدعوة الى التوبة والاصلاح يترتب عليه حفظ الأعراض ، وصون الكرامة ، وانتشار المحبة والمودة بين الناس ويمنع الغيبة والنميمة والبهتان ، وانتشار الكذب والافتراء بينهم وهو ما يقود الى البغضاء والشحناء والتدابر والفرقة ، ومن واجب المسلم كذلك ستر معاصيه وذنوبه ، وعدم التجاهر بها ، والاعتزاز بها وإذاعتها بين الناس .

وقد أمرت السنة النبوية « بالستر » ورغبت فيه ، وجعلته وسيلة من وسائل نيل رضا الله تعالى وثوابه في جنة النعيم .

* عن سالم عن ابيه ان الرسول ﷺ قال:
« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة. »[1]

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :
« لا يستر عبد عبدا في الدنيا إلاّ ستره الله يوم القيامة »[2]

* وعن واثله بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ :
« لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك »[3]

* وقال رسول الله ﷺ :
« من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته . »[4]

* وعن أبي هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 18
(2) المصدر السابق / ص 21
(3) الترمذي / جـ 9/ص 312 (وقال عنه : حديث حسن غريب)
(4) المتقي / منتخب كنز العمال / جـ 1/ ص 199 (رواه ابن ماجه عن : ابن عباس)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« كل أمتي معافى إلا المجاهرين. وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله ، فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا كذا ، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه . »[1]

21— المروءة

المروءة والشهامة والنخوة من الصفات الأخلاقية الفاضلة التي يجب ان يتحلى بها المسلم . وهذه الصفات لها آثار إيجابية في تقوية الوشائج والروابط الخيّرة بين الناس والفرد الذي يتصف بالمروءة يسارع بدافع نابع من نفسه الكريمة الأبية الى إغاثة الملهوف ، ونجدة المكروب ، ونصرة المظلوم .

وقد دعت السنة النبوية المسلم الى الاتصاف بخلق المروءة ، لأنه دليل على نقاوة الضمير ، وعفة النفس ، وكمال الخلق واستقامة السلوك ، و لأنه وسيلة من وسائل دعم التعاطف والتراحم بين الأفراد وتقوية التآزر والتكافل الاجتماعي وحماية الجماعة من الأذى والظلم والعدوان .

* عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ لرجل من ثقيف :

« يا أخا ثقيف ما المروءة فيكم ؟ » قال : يا رسول الله الانصاف والاصلاح . قال : وكذلك هي فينا »[2]

* وقال رسول الله ﷺ :

« من المروءة أن ينصت الأخ لأخيه اذا حدّثه ، ومن حسن المماشاة ان يقف الأخ لأخيه اذا انقطع شسع نعله . »[3]

* وعن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ :

« إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه . »[4]

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 24

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1/ص 248 (رواه ابن النجار)

(3) نفس المصدر السابق / ص 248 (رواه الخطيب في التاريخ عن أنس)

(4) مسلم / جـ 7/ص 13

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وقال رسول الله ﷺ :

« من أذّل عنده مؤمن فلم ينصره ، وهو يقدر على أن ينصره أذلّه الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة . »[1]

22— القناعة :

القناعة خلق فاضل رفيع لا بد أن يتحلى به المسلم ، وهو عنوان كمال الايمان والاسلام وقوة اليقين والثقة في الله تعالى ، وطهر النفس وعفتها وبعدها عن الطمع والجشع والتكالب الأعمى على المكاسب المادية .

وقد حثت السنة النبوية على القناعة لأنها أساس سكينة الضمير وراحة النفس ولأنها تقي الانسان من الهم والغم والحسد الذي يؤذيه ويؤذي أفراد الجماعة التي يعيش بينها .

* قال تعالى :

﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾[2]

* وقال رسول الله ﷺ :

« القناعة مال لا ينفذ . »[3]

* وقال رسول الله ﷺ :

« ما قل وكفى خير مما كثر وألهى »[4]

* وقال رسول الله ﷺ :

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1/ص 250 (رواه أحمد في مسنده عن: سهل بن حنيف)

(2) الاسراء / 30

(3) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1/ص 243 (رواه القضاعي عن: أنس)

(4) نفس المصدر السابق / ص 244 (لأبي يعلى في مسنده والضياء عن أبي سعيد)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« أزهد في الدنيا يحبك الله ، وأزهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس . »[5]

ثانيا : الأخلاق المذمومة :

بعد أن بيّنا جملة من الأخلاق الفاضلة المحمودة التي رسمتها السنة النبوية المطهرة لاصلاح الفرد والجماعة معا ، يجدر بنا - زيادة في الايضاح والفائدة - أن نبينّ جملة من الأخلاق المذمومة التي دعت الى تجنبها ، لأنها تطبع سلوك الفرد وتصرفاته وأقواله بطابع السوء والفساد الذي لا يلحق الأذى به وحده فحسب ، بل يصيب الجماعة بأسرها بأفدح الأضرار ، لأن الجماعة تصلح بصلاح أعضائها وتفسد بفسادهم ، ولأن الجماعة التي ينتشر بينها الانحراف ، وتتفشى فيها الرذائل ، ويعمها الشرور لا يمكنها أن تحافظ على سلامة كيانها ولا أن تستمر في بقائها .

وفيما يلي نستعرض جملة من الأخلاق المذمومة التي حثت السنة النبوية على اتقائها : صونا لشخصية الفرد وكيان الجماعة .

1— الفحش :

الفحش في القول والعمل والتصرف والسلوك ، من الرذائل التي يجب ان يتقيها المسلم حفظاً لكرامته وهيبته واحترامه وصوناً لجماعته التي يعيش فيها من أن ينتشر بين أفرادها القول البذيء ، والفعل الفاحش ، فتتمزق علاقات المودة والتعاطف وتتقطع أواصر التعاون والتكافل ، التي تربط بينهم ، وينقلب حالهم من الصفاء والتلاقي ، الى الشحناء والتدابر .

وقد أكدت السنة النبوية وجوب نبذ الفحش في القول والعمل ، وتوقيه ومنع تفشيه بين الناس ، صوناً لأخلاقهم من الاسفاف وحفظاً

(1) نفس المصدر السابق / ص 181 (رواه ابن ماجة، والطبراني في الكبير ، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الايمان عن : سهل بن سعد) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكرامتهم من التدني .

* عن عائشة ان رجلا استأذن على النبي ﷺ فقال :

« ائذنوا له فلبئس ابن العشيرة ، أو بئس رجل العشيرة . » فلما دخل ، « ألانَ له القول . » . قالت عائشة : فقلت يا رسول الله قلت له الذي قلت ، ثم ألَنْت له القول . قال يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه او تركه الناس اتقاء فحشه . »(1)

* وعن أبي الدرداء ان النبي ﷺ قال :

« « ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وان الله ليبغض الفاحش البذيء » (2)

* وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ :

« ما كان الفحش في شيء إلاّ شانه وما كان الحياء في شيء إلا زانه » (3)

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

« الحياء من الايمان والايمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار. » (4)

2— الخيانة :

من أرذل الصفات التي تتعارض مع الايمان الصادق ، والاسلام الكامل ، صفة الخيانة ، فهي تدل على لؤم النفس ووضاعتها ، وفساد سريرتها ، وضعف وازعها الديني والخلقي .

وقد أمرت السنة النبوية بنبذ الخيانة ، والحرص على وقاية النفس

---

(1) مسلم / حـ 8 / ص 21

(2) الترمذي / حـ 8 / ص 168,167 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

(3) نفس المصدر السابق / ص 148 (وقال عنه : حديث حسن غريب)

(4) نفس المصدر السابق / ص 171 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المؤمنة الكريمة من الاتصاف بها ، لأنها تنحدر بالانسان الى مستوى الدنايا والانحطاط ، وتلحق بالجماعة أضراراً جسيمة كانعدام الثقة بين أفرادها ، وزوال الأمن والطمأنينة من نفوسهم وتفشي الحقد والبغضاء بينهم ، وتكالبهم على تحقيق مصالحهم الذاتية على حساب حقوق الآخرين فينفرط عقدهم وتذهب ريحهم ويخربوا ما عمروه بأيديهم .

* قال تعالى :
﴿ان الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كلّ خوّان كفور﴾(1)

* عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال :
« آية المنافق ثلاث : اذا حدّث كذب ، واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان »(2)

* وقال رسول الله ﷺ :

« يطبع المؤمن على كل خلق : ليس الخيانة والكذب »(3)

* وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ :
« لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به . »(4)

3— الغــش :

من أرذل الصفات الأخلاقية التي يجب ان يتجنبها المسلم ويق منها نفسه : الغش والمكر والخديعة ، لأنها تفسد سريرته وعلانيته ، وتجعله محل الاحتقار والكراهية ، وتدعو الآخرين الى النفور منه ونبذه من محيطهم ، فيعيش في عزلة ، ويحس باحتقار الذات ، ويشعر بالقلق والتوتر

---

(1) الحج / 38
(2) البخاري / جـ 8 / ص 30
(3) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 268 (رواه البيهقي في شعب الايمان عن: ابن عمر)
(4) مسلم / جـ 5 /ص 142

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النفسي ، هذا فضلا عما يقود اليه خلق الغش والمكر والخديعة من أضرار فادحة للجماعة في مصالحهم وأعراضهم وأنفسهم .

وقد دعت السنة النبوية المطهرة الى نبذ خلق الغش والخديعة والمكر كخلق مذموم ، وأمرت بتحصين النفس منه لفساده ولفساد نتائجه بالنسبة للفرد والجماعة على حد سواء .

* قال تعالى :
﴿فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾[1]

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
« من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشّنا فليس منا »[2]

* وعن معقل بن يسار المزني : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة . »[3]

* وعن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ مرّ على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال : « ما هذا يا صاحب الطعام ؟ » قال : أصابته السماء يا رسول الله . قال : « أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ، من غشّ فليس مني . »[4]

4— **العنف :**

العنف من الصفات السيئة التي يجب ان يتقيها المسلم في سلوكه ومعاملاته ومواقفه ، لأنه لا يقود إلا الى النتائج الوخيمة في التربية والمعاملة .

---

(1) الأعراف / 84
(2) مسلم / جـ 1 / ص 69
(3) نفس المصدر السابق / ص 88
(4) نفس المصدر السابق / ص 69

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمرء الذي يتصف بالعنف لا يكون محل القبول من الآخرين ، ولا يفلح في نيل مودتهم ، وكثيرا ما ينفض عنه الناس ، ويتجنبون مخالطته ، فيعود عليه أسلوبه العنيف في التصرف والسلوك بالمغبة وسوء العاقبة ، واذا طبع العنف تعامل الأفراد بعضهم مع بعض فإنه يقودهم الى الشحناء والبغضاء ، والتدابر والتناحر ، وهو ما يؤدي الى قطع أواصر القربى ويؤذي روح التعاون والتكافل الاجتماعي ، ويقود الى تفكك العلاقات التي تربط بين أعضاء المجتمع الواحد .

وقد نهت السنة النبوية عن اتباع أسلوب العنف في المعاملة والتربية ، وأكدت سوء عاقبته ، ورغبت في اتقائه .

* عن عائشة ان رسول الله ﷺ قال :
« يا عائشة ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه . »[1]

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « يسروا ولا تعسروا ، وسكّنوا ولا تنفروا . »[2]

* وعن أبي قتادة الأنصاري عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأقوم الى الصلاة وأنا أريد ان أطوّل فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشقّ على أمه . »[3]

* وعن عائشة رضي الله عنها ان اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا : السّام عليك . قال : « وعليكم » فقالت عائشة : السّام عليكم ، ولعنكم الله ، وغضب عليكم ، فقال رسول الله ﷺ : •

« مهلا يا عائشة عليك بالرفق ، وإيّاك والعنف أو الفحش » قالت :

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 22
(2) البخاري / جـ 8 / ص 36
(3) البخاري / جـ 1 / ص 219

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أوَ لم تسمع ما قالوا : قال : « أوَ لم تسمعي ما قلت ؟ رددت عليهم ، فيستجاب لي فيهم ، ولا يستجاب لهم فيّ. »[1]

5 — الظلـــم :

من أرذل الصفات الأخلاقية الظلم والبغي والجور ، لأنها تقطّع وشائج القربى ، وتمزق صلات المحبة ، وتفرّق بين أفراد الجماعة الواحدة ، لما فيها من هضم للحقوق وإهدار للكرامة الانسانية التي أمر الله عزّ وجلّ بإعلاء شأنها وحفظها .

وقد أمرت السنة النبوية بتجنب الظلم والبغي ، وحذرت من الوقوع فيه بل وحرمته ورهبت من سوء الجزاء عليه في الدنيا والآخرة .

* قال تعالى :
﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ [2]

* وعن جابر بن عبدالله ان رسول الله ﷺ قال ؛

« اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات . »[3]

* وعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى :
« إنّي حرّمت على نفسي الظلم وعلى عبادي فلا تظالموا »[4]

* وعن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال :
« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . . »[5]

---

(1) البخاري / جـ 8 / ص 106
(2) الشعراء / 227
(3) مسلم / جـ 8 / ص 18
(4) نفس المصدر السابق / ص 18,17
(5) نفس المصدر السابق / ص 18

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وقال رسول الله ﷺ :

« ما من ذنب أجدر أن يعجّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا ، مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم . »[1]

* وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« لتؤدُنَّ الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء . »[2]

* وعن عبدالله بن عمرو يقول : قال النبي ﷺ :

« المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه . »

6— الكـــذب :

من أسوأ الصفات الأخلاقية التي يجب ان يتقيها المسلم ، ويحصن منها قلبه ولسانه ، الكذب والبهتان وقول الزور لأنها لا تصدر إلا عن نفس مريضة ، وقلب لئيم ، ولأنها عنوان الطبع السقيم ، ولأنها تجعل صاحبها محل النفور والاحتقار ، ولأن ضررها لا يقتصر على الفرد الكاذب فحسب ، بل يؤدي الى خرق التماسك الاجتماعي ، ويهز طمأنينة أفراد الجماعة الواحدة ، ويزعزع الثقة بينهم ، ويقلب حالهم من المودة والتعاطف والتراحم الى البغضاء والتنافر والتناحر .

وقد حرمت السنة النبوية خلق الكذب والبهتان والزور ، وجعلته من الكبائر ، وتوعدت من يتصفون به بسوء العاقبة في الدنيا وبالعذاب الأليم في الآخرة .

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1/ ص 261 (رواه احمد في مسنده، والبخاري في الأدب والترمذي، وابن ماجة والحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه، عن أبي بكرة .)

(2) مسلم / جـ 8 / ص 19,18

(3) البخاري / جـ 8 / ص 127

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال تعالى :

﴿ . . . ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[1]

* وعن عبدالله قال :قال رسول الله ﷺ :

« ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكتب صدّيقا . وان الكذب يهدي الى الفجور . وان الفجور يهدي الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب كذّابا . »[2]

* وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله قال : « الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين . » وكان متكئا فجلس ، فقال : « ألا وقول الزور وشهادة الزور ،ألا وقول الزور وشهادة الزور. »فما زال يقولها ، حتى قلت : لا يسكت .[3]

* وعن ابن مسعود يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من حلف على مال امرىء مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان . » [4]

* وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال :

« ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة : المنّان الذي لا يعطي شيئا إلا منّة ، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر ، والمسبل إزاره. » [5]

* وعن أبي هريرة قال :قال رسول الله ﷺ :

«كفى بالمرء كذبا أن يحدّث بكل ما سمع . » [6]

---

(1) آل عمران / 61
(2) مسلم / جـ 8 / ص 29
(3) البخاري / جـ 8 / ص 4
(4) مسلم / جـ 1 / ص 86
(5) نفس المصدر السابق / ص 71
(6) نفس المصدر السابق / ص 8

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

7— الكبـــر :

من الصفات الخلقية المذمومة الكبر والخيلاء والغرور والتعالي والمفاخرة والمباهاة والزهو والعجب بالنفس ، وذلك لأن هذه الصفات تدل على نقص الايمان والاسلام من جهة ، وتدل على عدم واقعية النفس ومعرفتها لحدودها وقدرها من جهة أخرى .

والمرء الذي يتصف بهذه الخلال المرذولة لا يكون محل القبول لدى الآخرين ولا ينال حبهم ومودتهم ، بل ينبذونه ويعزفون عن الاختلاط به ، نتيجة لما يلمسونه لديه من تكبر وتعالٍ وغطرسة ، وبذلك تؤول هذه الخلال السيئة بصاحبها مآل الخسران والوبال ، فيفشل في آداء دوره الايجابي البناء كعضو في الجماعة يشترك معها في مصالح واحدة ، ويسعى معها الى تحقيق أهداف مشتركة ، ويقدر ظروف أفرادها وقدراتهم وإمكاناتهم ، ويقدر كرامتهم الانسانية ، ويحب لهم ما يحب لنفسه من تكريم معنوي ، وتقدير أدبي .

وقد حرّمت السنة النبوية على المسلم الاتصاف بالكبر والغرور والخيلاء وما اليها من صفات الغطرسة الكاذبة والتعالي المزيّف ، لأنها ترى ان هذه الصفات الخلقية السيئة تتعارض مع تمام الايمان الصادق ، وكمال الاسلام الخالص ، وتعود على الفرد والجماعة بأوخم النتائج ، التي تفكك العلاقات بين الناس ، وتزرع بينهم البغض والكراهية والحسد ، وتحول بينهم وبين اللقاء البناء على دروب التراحم والتعاطف والتكافل .

* قال تعالى :

﴿ولا تصعّر خدك للناس ولا تمشِ في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختالٍ فخور﴾[1]

---

(1) L لقمان / 18

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

« ان الذي يجر ثوبه من الخيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيامة »[1]

* وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« بينما رجل يمشي وقد أعجبته جمته وبرداه ، اذ خسف به الأرض فهل يتجلجل في الأرض حتى قيام الساعة» .[2]

* وعن أبي هريرة قال :قال رسول الله ﷺ :

« أغيظ رجل على الله يوم القيامة ، وأخبثه وأغيظه عليه رجل كان يسمّى ملك الأملاك ، لا ملك إلا الله . »[3]

* وعن عبدالله عن النبي ﷺ قال :

« لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر »[4]

* وقال رسول الله ﷺ :

« قال الله تعالى : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار . »[5]

8— البخـــل :

من الصفات الأخلاقية المذمومة : البخل والشح والجشع ، لأنها تجعل الانسان يتكالب على الكسب المادي ، وجمع المال ، كغاية في حد ذاته ، ويحرم نفسه وأهله من التمتع الحلال به ، ويمنع استثماره في العمران وتطوير المجتمع والنهوض به .

---

(1) مسلم / جـ 6 / ص 147

(2) نفس المصدر السابق / ص 148

(3) نفس المصدر السابق / ص 174

(4) مسلم / جـ 1 / ص 65

(5) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ / ص 286/(رواه أحمد في مسنده وأبو داود وابن ماجة عن أبي هريرة).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال تعالى :

﴿ولا يحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة . . ﴾[1]

وقد ذمّت السنة النبوية خلق البخل ودعت الى تجنبه لأنه يجعل المرء أسيره طيلة حياته دون ان ينتفع في دنياه وآخرته بإنفاق ما جمعه من أموال في أوجه التنعم الحلال، والبر والاحسان ، والصدقات واعانة المعوزين والمساكين ، والمساهمة في رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع الذي يعيش فيه .

* عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ قال :
« لا يدخل الجنة خب ولا منّان ولا بخيل . »[2]

* وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان يأمر بهؤلاء الخمس ويحدثهن عن النبي ﷺ :
« اللهم إني أعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من أن أرد الى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر . »[3]

وعن جابر بن عبدالله ان رسول الله ﷺ قال :
« اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشحّ فإن الشح أهلك من كان قبلكم : حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »[4]

* وعن أبي الأحوص عن أبيه قال : دخلت على رسول الله ﷺ

---

(1) آل عمران / 180
(2) الترمذي / جـ 8 / ص 142,141 (وقال عنه : حديث حسن غريب)
(3) البخاري / جـ 8 / ص 98
(4) مسلم / جـ 8 / ص 18

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فرآني سيء الهيئة ، فقال النبي ﷺ : « هل لك من شيء ؟ » قال : نعم ، من كل المال : آتاني الله ، فقال : « اذا كان لك مال فلير عليك . »[1]

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

« ما من يوم يصبح العباد فيه إلّا ملكان ينزلان فيقول : أحدهما اللهم أعطِ منفقا خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعطِ ممسكا تلفاً . »[2]

* وعن أبي هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ :

« ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي فيها حقها إلا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم ، فيكوي بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما الى الجنة وإما الى النار. »[3]

9— الاسـراف :

من الصفات الخلقية المذمومة : الاسراف والتبذير، وذلك لكونهما ضارّين بالفرد والجماعة معا ، فهما تؤديان الى بعثرة الأموال بغير رشد فيما لا يفيد ، والانسان مأمور بالاقتصاد وحسن التدبير تحسباً لمفاجآت الزمان ووقت الحاجة .

وقد نهت السنة النبوية عن التبذير ، والاسراف ، ودعت الى اتقائهما حفظا لمستقبل الفرد والجماعة ، وصوناً للأموال التي يجب ان تنفق بحقها ، وفي الأوجه التي تعود بالخير والفائدة للجميع .

* قال تعالى :

﴿ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا﴾[4]

---

(1) النسائي / جـ 8 / ص 196

(2) مسلم / جـ 3 / ص 84,83

(3) نفس المصدر السابق / ص 70

(4) الأسراء / 27

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن المغيرة عن النبي ﷺ قال :

« ان الله حرّم عليكم عقوق الأمهات ، ومنع وهات ، ووأد البنات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال . »[1]

* وقال رسول الله ﷺ :

« ان من السّرف أن تأكل كلّ ما اشتهيت . »[2]

10— الجبـــن :

من أرذل الصفات الخلقية الجبن ، لأنه يؤذي الانسان فيجعله ضعيفا خانعا ذليلاً عاجزاً عن الدفاع عن دينه ونفسه وعرضه وأهله وماله ووطنه ، ويضرّ الجماعة لأنه اذا تفشى الجبن بين أفرادها يصبحون غير قادرين عن الذود عن كيانها وحرماتها وأرضها ، فتضعف وتصبح مطمعا للطامعين سهلة المنال للغازين .

وقد ذمت السنة النبوية خلق الجبن ، ودعت الى تقوية الارادة والعزيمة والشجاعة والقوة والاقدام وهي صفات يمكن كسبها من خلال التنشئة التربوية الصالحة منذ الطفولة ، ويمكن غرسها في النفس بالمران والتدرب والتعود .

* عن أنس قال :كان النبي ﷺ يقول :

« اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والجبن والبخل ، وضلع الدين وغلبة الرّجال . »[3]

* وقال رسول الله ﷺ :

« شر ما في رجل شحّ هالع وجبن خالع . »[4]

---

(1) البخاري / جـ 8 / ص 4

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ1 / ص 259 (رواه ابن ماجة عن أنس)

(3) البخاري / جـ 8 / ص 298

(4) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 259 (رواه البخاري في الأدب وأبو داود عن: أبي هريرة .)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

11– النفـــاق :

النفاق من أرذل الصفات الأخلاقية وهو دليل على نقص الايمان وضعف العقيدة ، وانحطاط النفس وتذبذبها وعدم استقرارها على حال .

واذا اتسمت أخلاق شخص ما بالنفاق احتقره الناس ، ونفروا منه ، ونزعوا منه ثقتهم ، ولم يطمئنوا اليه او يعتمدوا عليه ، لأنه يشتهر بينهم بكذب الحديث ، وإخلاف الموعد ، وخيانة الأمانة ، وعدم الثبات على المبدأ .

وقد ذمت السنة النبوية خلق النفاق ، ودعت الى اتقائه وتجنبه ، وتنقية القلب واللسان والعمل من شوائبه وملابساته ، صوناً منها لإيمان الفرد وكرامته ، وحفاظا على كيان الجماعة وتماسكها .

* قال تعالى :

﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾[1]

.* عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال :

« مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين ، تعير في هذه مرة وفي هذه مرة ، لا تدري أيها تتبع »[2]

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ :

« تجد شرّ الناس يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه »[3]

* وعن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال :

---

(1) التوبة / 73

(2) النسائي / جـ 8 / ص 124

(3) البخاري / جـ 8 / ص 21

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« آية المنافق ثلاث : اذا حدّث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان . »[1]

12— التجسس :

من الصفات الخلقية المشينة : التجسس وتتبع عورات الناس ، وتسقط عيوبهم ، ومعرفة أسرارهم .

وخلق التجسس مذموم لأنه يؤذي الآخرين في أسرارهم وأعراضهم وأحوال معيشتهم ، ويقود الى الشحناء والبغضاء بين الناس لما يترتب عليه من نشر للأسرار واذاعة للعيوب .

وقد نهت السنة النبوية عن التجسس ، وذمته ، ودعت الى تجنبه ، واتقاء شرّه .

* قال تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا . . ﴾[2]

* عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا . »[3]

* وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« من اطّلع في بيت قوم بغير اذنهم حلّ لهم ان يفقؤا عينه »[4]

* وعن ابن شهاب ان سهل بن سعد الساعدي أخبره ان رجلا

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 30

(2) الحجرات / 12

(3) مسلم / جـ 8 / ص 10

(4) مسلم / جـ 6 / ص 181,180

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اطلع في جحر في باب رسول الله ﷺ، ومع رسول الله ﷺ مدرى يحك بها رأسه ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « لو أعلم انك تنظرني لطعنت به في عينك . » وقال رسول الله ﷺ : « إنما جعل الأذن من أجل البصر . »[1]

* عن ابن عمر قال : صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال :
« يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيّروهم ، ولا تتّبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله . »[2]

13— الظـــن

الظن من الصفات الخلقية السيئة لأنه يزعزع الثقة في النفوس ، ويزرع الشك في القلوب ويفرّق بين الناس ، ويبذر بينهم البغضاء والشحناء ويبدل حالهم من المودة والطمأنينة الى الكره والريبة .

وقد نهت السنة النبوية المطهرة عن الاتصاف بخلق الظن الخاطىء المذموم ، حرصا منها على حفظ وشائج التراحم والتكافل وأواصر الثقة والسكينة بين أعضاء الجماعة .

* قال تعالى :
﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم . .﴾[3]

---

(1) المصدر السابق / ص 181
(2) الترمذي / جـ 8 / ص 186,185 (وقال عنه حديث حسن غريب)
(3) الحجرات / 12

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :
« إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث . »[1]

* وعن أبي هريرة سمع رسول الله ﷺ يقول :
« ان العبد ليتكلّم بالكلمة ما يتبينّ فيها ، يزلّ بها في النار أبعد مما بين المشرق . »[2]

* وقال رسول الله ﷺ :
« بئس مطية الرجل زعموا . »[3]

14— الغيبــة

الغيبة من أرذل الصفات الخلقية لكونها تلحق الأذى البالغ بالناس في أعراضهم وأخلاقهم ومصالحهم ، وتمزّق روابط الأخوة والاحترام بينهم ، وتحوّل محبتهم الى عداوة ، وثقتهم الى ريبة ، وطمأنينتهم الى قلق ، وتلاقيهم واجتماعاتهم الى فرقة وتنافر .

وتعتبر الغيبة دليلا على فساد السريرة ولؤم الطبع ، الذي يجعل المغتاب محل احتقار الآخرين ونفورهم وشكهم فيحس بأنه منبوذ وينطوي على نفسه ويحتقرها ، ويفقد الاعتداد بها ، وبذلك يصبح عضواً مشلولا في الجماعة لا خير يرجى منه ، إن لم يستمر على فساد خلقه في نشر الأذى بين الناس من خلال اغتيابه لهم ، وتقوّله الكاذب فيهم ، وبهتانه لهم ، وإبراز عيوبهم وتضخيم أخطائهم .

وقد نهت السنة النبوية عن الغيبة وأمرت بتجنبها ، صوناً منها لأعراض الناس وكرامتهم ، وحفظا منها لروابط الأخوة والمحبة والتوادد بينهم .

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 10
(2) البخاري / جـ 8 / 125
(3) المتقي / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 314 (رواه احمد في مسنده وأبو داود عن: حذيفة)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال تعالى :

﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه . . ﴾[1]

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« أتدرون ما الغيبة ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم : قال : « ذكرك أخاك بما يكره . » قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول . قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهتّه . »[2]

* وقال رسول الله ﷺ :

« من ذكر امرؤ ابما ليس فيه ليعيبه حبسه الله في نار جهنّم حتى يأتي بنفاذ ما قال . »[3]

15— النميمــة :

النميمة من الصفات الخلقية المذمومة ، لأنها تبذر الكراهية والحقد بين الناس ، وتقطع أواصر المحبة والتعاطف بينهم ، وهي تدل على انحطاط الخلق ، وسوء النية وفساد النفس ، وتجعل صاحبها محل الازدراء والسخرية والاحتقار ، فينبذه الناس لطبعه اللئيم ، وسلوكه السقيم .

وقد نهت السنة النبوية عن الاتصاف بخلق النميمة صوناً منها لخلق المسلم من المذمة ، وحفاظا منها على علاقات المودة والتراحم والاحترام بين اعضاء الجماعة الواحدة .

* قال حذيفة سمعت النبي ﷺ يقول :

« لا يدخل الجنة قتّات . »[4]

---

(1) الحجرات / 12

(2) مسلم / جـ 8 / ص 21

(3) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 261 (رواه الطبراني في الكبير عن: أبي الدرداء)

(4) البخاري / جـ 8 / ص 21

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن عبدالله بن مسعود قال : ان محمدا ﷺ قال :
« ألا أنبئكم ما العَضَهْ. هي النميمة القالة بين الناس»[1]

* وقال رسول الله ﷺ :
« ليس منّي ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة، ولا أنا منه . »[2]

16— الحسـد :

من الصفات الخلقية المذمومة : الحسد وما يرتبط به من حقد وبغضاء ، لكونها تمزّق صلات المحبة والتراحم والتعاطف والتكافل بين أفراد الجماعة الواحدة ، وتدفعهم الى الشحناء والخصام والتدابر ، وهو ما يترتب عليه تبدل حالهم من التعاون والتآزر في حل مشاكلهم المشتركة وتحقيق أهدافهم العامة ، الى الفرقة والتناحر الذي يشتت شملهم ، ويفرق كلمتهم ، ويباعدهم عن بعضهم بعضا فتتفكك روابطهم الاجتماعية ، ويعجزون عن حل مشاكلهم وتحقيق أهدافهم الذاتية والاجتماعية .

وقد أمرت السنة النبوية المطهرة بنبذ خلق الحسد والحقد والبَغضاء ، حرصاً منها على صون التماسك والتلاحم الاجتماعي ، وحفظ خلق التعاطف والتراحم بين أفراد الجماعة .

* قال تعالى :
﴿قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق إذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد إذا حسد﴾[3]

* عن أبي هريرةقال:قال رسول الله ﷺ :

---

(1) مسلم / حـ 8 / ص 28
(2) المتقى / منتخب كنز العمال / حـ 1 / ص 267 (رواه الطبراني في الكبير عن: عبد الله بن بسر.)
(3) الفلق.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض . وكونوا عباد الله إخوانا. »[1]

* وعن عبدالله قال :قال رسول الله ﷺ :

« لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلّطه على هلكته في الحق . وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها . »[2]

* وقال رسول الله ﷺ :

« إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. »[3]

* وقال عليه الصلاة والسلام :

« ان الله تعالى يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ، ويؤخر أهل الحقد كما هم عليه. »[4]

17— الشماتـــة :

من رذائل الأخلاق الشماتة في الآخرين وإظهار السرور لمصائبهم ومحنهم ، وتحقيرهم وإهانتهم وإبراز أخطائهم وعيوبهم على رؤوس الأشهاد بغية الشماتة فيهم .

وشماتة المرء في سواه ، فضلا عن كونها تدل على نفس وضيعة ، وسريرة عليلة ، وخلق لئيم ، فانها تبذر الحقد والانتقام في النفوس ، وتجعل الناس يتربصون بالشامتين فيهم الدوائر لرد الصاع صاعين ، بدل تراحمهم وتعاطفهم على إزالة الأكدار من النفوس ، والتخفيف من وقع المصائب والأزمات .

---

(1) مسلم / حـ 8 / ص 11,10

(2) البخاري / جـ9 / ص 78

(3) المتقى / منتخب كنز العمال / حـ 1 / ص 266 (رواه أبو داود عن أبي هريرة)

(4) نفس المصدر السابق / ص 267 (رواه البيهقي في شعب الايمان عن عائشة .)

وقد نهت السنة النبوية المطهرة عن الاتصاف بخلق الشماتة المذموم ، حرصاً منها على حفظ روح المودة والعطف والرحمة بين أفراد الجماعة .

* عن واثلة بن الأسقع قال :قال رسول الله ﷺ :
« لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك . »[1]

* وعن عبدالله قال :قال رسول الله ﷺ :
« سباب المسلم فسوق وقتاله كفر. »[2]

* وقال رسول الله ﷺ :
« بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم. »[3]

18— الريـــاء :

الرياء من الأخلاق المذمومة ، لأنه يقود الانسان الى أن يظهر خلاف ما يبطن ، ويطبع سلوكه بالتكلف والزيف والمخادعة ، وهو ما يحبط عمله وينقص ثوابه ، ويدعو الناس الى احتقاره والنفور منه .

والمسلم الذي كمل إيمانه وتم إسلامه لا يجنح الى الرياء مطلقاً ، فهو صادق النية سليم الطوية ، مخلص في السر والعلانية ، جوهره كمظهره ، لا يخادع ولا يتكلف ولا ينافق ، ولا يتزلف لكسب مادي مؤقت او مصلحة ذاتية زائلة ، غاية ما يقصد اليه رضا ربه تعالى في كل عمل يقوم به .

وقد ذمّت السنة النبوية خلق الرياء ، وحذرت منه ، وتوعدت من يتصف به بغضب الله تعالى وكشف خلقه الآثم للآخرين .

---

(1) الترمذي / جـ 9 / ص 312 (وقال عنه : حديث حسن غريب)
(2) البخاري / جـ 8 / ص 18
(3) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 264 (رواه ابن ماجة عن : أبي هريرة)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال تعالى :

﴿فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون الماعون . ﴾[1]

* عن جندب يقول : قال النبي ﷺ :

« من سمّع سمّع الله به ، ومن يرائي يرائي الله به . »[2]

* وقال رسول الله ﷺ :

« ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر : الرياء . يقول الله يوم القيامة اذا جزي الناس بأعمالهم ، اذهبوا الى الذين كنتم تراؤ ون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء »[3]

* وقال رسول الله ﷺ :

« من قام بخطبة لا يلتمس بها إلا رياء وسمعة أوقفه الله يوم القيامة موقف رياء وسمعة . »[4]

19— المـــراء

من الصفات الخلقية الذميمة التي يجب ان يتجنبها المسلم : المراء والخصومة والجدل العقيم الذي ينبني على العناد ، ويجانب الصواب ، ويقود الى المشاحة ويؤ دي الى الخلاف .

وقد نهت السنة النبوية المطهرة عن الاتصاف بخلق المراء الذي لا فائدة ترجى منه ، حفاظا منها على روح التماسك والتعاطف والتراحم بين

---

(1) الماعون / 7:4

(2) البخاري جـ 8 / ص 130

(3) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 269 (رواه احمد في مسنده عن: محمود بن لبيد) .

(4) نفس المصدر / ص 271 (رواه احمد في مسنده والطبراني في الكبير وابو نعيم وسعيد بن منصور في سننه وآخرون عن بشير بن عقربة الجهني)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجماعة ، وعدم وقوعهم في الخلاف الذي يقودهم الى الفرقة والقطيعة والتدابر .

* عن ابن عبّاس عن النبي ﷺ قال :
« لا تمارِ أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدة فتخلفه . »[1]

« وعن أنس بن مالك قال :قال رسول الله ﷺ :
« من ترك الكذب وهو باطل بني له في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسطها ، ومن حسّن خلقه بني له في أعلاها . »[2]

* وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :
« إن أبغض الرجال الى الله الألدّ الخصم . »[3]

20— الإغـــواء :

من أرذل الصفات الخلقية : الاغواء والفتنة والميوعة والاعتزاز بالآثام لأنها تحرّض على ارتكاب المعاصي والذنوب ، وتفشي الفسق والفجور ، وتفكك المجتمع وتقوده الى الانحلال وتفضي به الى الوبال والخراب .

وقد حرمت السنة النبوية الاتصاف بهذه الأخلاق الذميمة ، صوناً منها لعقيدة الفرد وعرضه وكرامته ، وحفظاً للجماعة من أضرار التحلل الأخلاقي ، فما سادت الرذيلة مجتمعاً إلا تقوض تماسكه ، وانهار بناؤه وعمه الخبث والخبائث وطواه الضياع والدمار .

* قال تعالى :
﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم . ﴾[4]

---

(1) الترمذي / جـ 8 / ص 161,160 (وقال عنه : حديث حسن غريب)
(2) نفس المصدر السابق / ص 159 (وقال عنه : حديث حسن)
(3) مسلم / جـ 8/ ص 75
(4) النور / 30

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ :
« أيّما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية . »[1]

وعن عبد الرحمن بن ابي سعيد الخدري عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ، ولا المرأة الى عورة المرأة ، ولا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد ، ولا تفضي المرأة الى المرأة في الثوب الواحد . »[2]

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال :
« لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال . »[3]

* عن ابن عباس قال :
« لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء ، وقال : أخرجوهم من بيوتكم . »[4]

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :
« صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس . ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا . »[5]

* وسألت أم المؤمنين زينب بنت جحش ، الرسول ﷺ : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم إذا كثر الخبث »[6]

---

(1) النسائي / جـ 8 / ص 153
(2) مسلم / جـ / ص 183
(3) مسلم ، / جـ 8 / ص 165، 166
(4) البخاري / جـ 7 ص 205
(5) مسلم / جـ 6 / ص 168
(6) مسلم / جـ 8 /ص 166 / 167

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خصائص الأخلاق في السنّة النبوية

تتميز الأخلاق في السنة النبوية بخصائص ومميزات بناءة وايجابية متعددة ، تقصر دون بلوغها الأخلاق في غيرها من السنن والشرائع ، والفلسفات والنظريات القديمة والحديثة .

ولعل من أبرز هذه الخصائص والمميزات التي يمكن استقاؤها واستنتاجها من الأحاديث المتقدمة في قسمي الأخلاق المحمودة والمذمومة خاصية الشمول : وخاصية التوازن ، وخاصية الاعتدال ، وخاصية الواقعية ، وخاصية التطبيق .

وفيما يلي نناقش بصورة موجزة هذه الخصائص كلا على حدة .

أولا : خاصية الشمول :

يتبين لنا من خلال دراسة وتحليل مضامين الأحاديث الشريفة المتقدمة أن الأخلاق في السنة النبوية الشريفة تتميز دون سواها بخاصية « الشمول » بحيث تنتظم أخلاق الفرد ، وأخلاق الأسرة ، وأخلاق الجماعة ، بل وأخلاق التعامل مع الحيوان .

كما تنتظم الدوائر المتشابكة في المواقف والاتجاهات التي تعتبر أساس المسؤولية الأخلاقية على اختلاف أنواعها ، فهي تحدد المسؤولية الأخلاقية للفرد تجاه ربه ونفسه وأهله وذوي قرباه وجيرانه وأعضاء الجماعة التي يعيش فيها ، وتجاه عمارة الأرض وحسن استثمار ما عليها من حيوان ونبات وجماد ، وما فيها من كنوز وخبايا وغيرها .

وهي تحدد المسؤولية الأخلاقية للأسرة تجاه أبنائها وأعضائها وكيفية رعايتهم وتربيتهم وتنشئتهم ، وعلاقاتها مع بقية الأسر في الحي السكني ، وفي المحيط الاجتماعي العام ، وهي تحدد المسؤولية الأخلاقية للجماعة تجاه أفرادها من حيث توجيههم وإرشادهم ، وتنقية بيئتهم من الأمراض

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والشوائب والعلل الخلقية والاجتماعية ، وحفظ عقيدتهم الدينية ، ونظامهم الأخلاقي ، وتراثهم الاجتماعي وتهيئة الفرص المتكافئة العادلة لتنمية قدراتهم وصقل مواهبهم ، وتحقيق أهدافهم الفردية في إطار الأهداف العامة للمجتمع .

ويمكن أن نورد للايضاح بعض قواعد خاصية الشمول في الأخلاق النبوية على النحو التالي :

— أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

— أفضل الأعمال : الصلاة على ميقاتها ، وبر الوالدين ، والجهاد في سبيل الله

- ان لبدنك عليك حقا ولعينك عليك حقا ولأهلك عليك حقا .

- لا يدخل الجنة قاطع .

- لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه .

- عليكم ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا .

- من لا يرحم لا يُرحم .

- ليس فينا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف وينهِ عن المنكر .

- ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته .

- من رأى منكم منكرا فليغيره .

- وكونوا عباد الله إخوانا .

- المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره .

- كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه .

- المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

- مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى .

- الدين النصيحة : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

- إن قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا .
- في كل ذات كبد رطبة أجر .

ثانيا : خاصية التوازن :

ومن أهم ما تتميز به الأخلاق النبوية خاصية الاتزان ، فهي تعترف بالدوافع الفطرية والمكتسبة للانسان ، وتقدر حاجاته ، وتسمح له بإشباعها بالطرق السوية المشروعة بالقدر الذي يحفظ له حياته ، ويحقق له سعادته وراحته النفسية وهي توازن بين مطالب الجسم وشواغل الروح ، وبين الدنيا والآخرة ، ولا تضحي بأحدهما في سبيل الآخر ، وتعطي لكل منهما حقه بدون إفراط ولا تفريط .

وبخاصية التوازن تتجنب السنة النبوية الازدواجية والتنافر التي توجد في غيرها من السنن والشرائع والفلسفات والنظريات الوضعية ، فمثلا نجد الديانة اليهودية اتجهت اتجاها مادياً متطرفاً ، وهو حال المذاهب المادية الوضعية والديانة المسيحية اتجهت اتجاهاً روحياً خالصاً ، وهو حال المذاهب الصوفية ، ومن شأن هذين الاتجاهين المفرطين في المادية والروحية ان يخلّا بمعيار التوازن الأخلاقي الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بانسجام وتوافق قوى الفرد الروحية والعقلية والاجتماعية والجسمية .

* قال تعالى :
﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾[1]

* وقال عزّ وجلّ :
﴿يا بني خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾[2]

* وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ :

(1) الأعراف / 32
(2) الأعراف / 33

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« يا عبد الله ألم أخبرك أنك تصوم النهار ، وتقوم الليل ؟ » قلت : بلى يا رسول الله . قال : « فلا تفعل . صم وافطر ، وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا ، وإن لعينك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا . » [1]

ثالثا : خاصية الاعتدال :

تتميز الأخلاق النبوية بخاصية الاعتدال ، التي تعتبر أساس خاصية التوازن المتقدم ذكرها ، وبهذه الخاصية الهامة تحول السنة النبوية دون الغلو أو الشطط في اتجاه على حساب آخر ، وتؤكد وجوب اتخاذ الموقف العادل الوسط الذي يحفظ لأمور الحياة البشرية توازنها وانسجامها ، فلا حيوانية مسرفة ولا رهبانية مطلقة ، ولا غلبة لقوى الروح على مطالب الجسد او العكس ولا صراع بين الدين والدنيا بل نظرة عادلة متكاملة للطبيعة الانسانية ، كما خلقها الله تعالى ، تكفل لها هداية الايمان ، ونضج العقل ، واتزان الوجدان ، ونمو البدن وتضمن لها إشباعا سوياً متزناً لمختلف الدوافع والحاجات الفطرية والمكتسبة .

* قال تعالى :

﴿وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغِ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾[2]

وقال رسول الله ﷺ :

« ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا ، فإن الدنيا بلاغ الى الآخرة »[3]

---

(1) البخاري / جـ 7 / ص 41,40
(2) القصص / 77
(3) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1 / ص 196 (رواه ابن عساكر عن : أنس)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رابعا : خاصية الواقعية :

من أهم الخصائص الايجابية التي تتميز بها الأخلاق النبوية : خاصية الواقعية التي تستجيب للفطرة البشرية السليمة ، والتي يتم على أساسها احترام مطالب الجسد والروح معاً ، وعدم تكليف الانسان بما لا يطيق من الفرائض والتكاليف التي تفوق قدراته وإمكانياته وتتعارض مع فطرته ودوافعه الصحيحة .

وهذه الخاصية تمنع الانسان من الزهد في إشباع غرائزه ودوافعه الفطرية المعتدلة لأنها مصدر حفظ حياته واستمرارها ، والعزوف عن إشباع دوافعه النفسية والاجتماعية المكتسبة لأنها قوام توازنه الانفعالي وصحته النفسية والعقلية كما تمنعه من الانسياق في تيار المادة فيغفل عن إشباع شواغله الروحية لأنها منبع هدايته وإيمانه ومصدر أمله في خالقه ونيل نعيمه في آخرة باقية .

إن خاصية الواقعية تدعو الانسان الى التمتع بالنعم الحلال في دنياه، في حدود المعقول وتجنب الاسراف الضار ، وتأمره بأن يحرص على كل ما ينفعه وأن يكون مؤمنا قويا كريما عزيزاً قادراً على صون دينه وحقوقه وشرفه ، والدفاع عن نفسه ، وحفظ كرامته ، ومقاتلة من يقاتله ، ودفع عدوان من يعتدي عليه ورد سيئة من يسيء اليه .

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه ، وما تأخر ، قال أحدهم : اما أنا فإني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر لا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، ولكني أصوم وأفطر ، وأصلّي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس منّي . »[1]

* وعن حنظلة الأسيّدي . . . قلت : نافق حنظلة يا رسول الله .
فقال رسول الله ﷺ : « وما ذاك ؟ » قلت : يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين ، فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا . فقال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده ان لو تدومون على ما تكونون عندي ، وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ، ثلاث مرات . »[2]

* وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :
« المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير . احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز . . »[3]

* وعن سعيد بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ :
« من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد . »[4]

* وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال :
« يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فان الله لا يمل حتى تملّوا ، وإن أحبَّ الأعمال الى الله مادووم عليه وإن قلّ . »[5]

* وقال تعالى :
﴿لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾[6]

---

(1) البخاري / جـ 7 / ص 2
(2) مسلم / جـ 8 / ص 95,94
(3) المصدر السابق / ص 56
(4) النسائي / جـ 7 / ص 116
(5) مسلم / جـ 2 / ص 189,188
(6) البقرة / 286

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خامسا : خاصية التطبيق :

من أبرز وأهم مميزات وخصائص الأخلاق النبوية ، التي تتميز بها وتمتاز بها عن غيرها ، خاصية التطبيق ، فالأخلاق في نظر السنة النبوية ليست مجرد نصائح ومواعظ وإرشادات وحكم خلقية ، بل هي مثل عليا وقيم سامية وقواعد نبيلة قابلة الى ان تتجسد في الاتجاهات والمواقف والتصرفات السلوكية للانسان في حياته اليومية تجاه ربه تعالى ونفسه وأهله وأقاربه وجيرانه واعضاء جماعته والناس أجمعين ، وما يشاركه الحياة على الأرض من حيوان ونبات ، وكيفية استغلاله لامكانيات الكون الذي يعيش فيه وفق معايير المسؤولية الدينية والخلقية لاستخلاف الله تعالى له على الكون دون سائر خلقه .

ولذلك فقد ربطت الأخلاق النبوية بين الايمان والعمل ، والنية والتنفيذ ، والقول والفعل ، والنظرية والتطبيق ، وأكدت أن الأخلاق ليست مجرد أقوال وشعارات جوفاء ، بل هي مثل ومبادىء وقيم وقواعد تنعكس بشكل حي وفعال في سلوك الفرد وتصرفاته وأقواله وأفعاله ومعاملاته وعلاقاته ومواقفه واتجاهاته ، وسره وعلانيته .

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« انما الأعمال بالنية وانما لامرىء ما نوى. فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه. »[1]

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

« الايمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا اله الا الله، وأدناها اماطة الأذى عن الطريق. »[2]

---

(1) البخاري / جـ 8 / ص 175

(2) مسلم / جـ 1 / ص 46

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن عبد الله بن عمرو يقول: قال النبي ﷺ:
« المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه. »[1]

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال:
« اياكم والجلوس بالطرقات » فقالوا: ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها. فقال: « اذ أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه » قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله. قال: « غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. »[2]

* وقال تعالى:
﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون. ﴾[3]

وسائل التربية الخلقية

بتحليل المضامين التربوية في السنة النبوية نجد انها انتهجت عدة وسائل ايجابية للتربية الخلقية. ومع اننا تعرضنا بشكل مفصل للعديد من هذه الوسائل اثناء مناقشة الأسلوب النبوي الشريف في التربية وذلك في الفصل الأول، الا انه يجدر بنا لمزيد الايضاح والفائدة استعراض أهم وسائل التربية الخلقية في السنة النبوية ولو بشكل موجز.

وفيما يلي نناقش أهم هذه الوسائل:

أولا: وسيلة الوعظ والارشاد:

تركز السنة النبوية على أسلوب التوجيه بالوعظ والارشاد باعتباره من

---

(1) البخاري / جـ 8 / ص 127
(2) نفس المصدر السابق / ص 63
(3) الصف / 3,2

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوسائل الفعالة للتربية الخلقية، لما فيه من تبيين واقناع، ودعوة الى اتباع الهداية التي تصلح حال الفرد والجماعة، لأنها محور الأخلاق المحمودة وحث على اجتناب الضلال الذي يضر بالفرد والجماعة لأنه محور الأخلاق المذمومة.

* قال تعالى:

﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين. ﴾[1]

* وقال عز وجل:

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به. ﴾[2]

* وقال رسول الله ﷺ، واعظا الصحابي الأقرع بن حابس التميمي، مرشدا اياه الى اتباع أسلوب الرحمة في معاملة أبنائه:

« من لا يرحم لا يُرحم. »[3]

* وقال عليه الصلاة والسلام واعظا للمسلمين ومرشدا اياهم الى صنائع المعروف، والخلق الحسن:

« تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وارشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وافراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة. »[4]

* وعن ابن مسعود قال: « كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا. »[5]

---

(1) آل عمران / 138

(2) البقرة / 231

(3) البخاري / جـ 8 / ص 9

(4) الترمذي / جـ 8 / ص 135,134 (وقال عنه: حديث حسن غريب)

(5) البخاري / جـ 1 / ص 27

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وقال عليه الصلاة والسلام واعظا وموجها الى اتباع النظرة الواقعية الموضوعية للأمور، وتقدير نعم الله عز وجل الخافية والظاهرة على الانسان.

* « اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق، فلينظر الى من هو أسفل منه. »(1)

ثانيا: وسيلة التذكير والنصح:

اهتمت السنة النبوية بوسيلة التذكير كأحد الوسائل الايجابية للتربية الخلقية، لأنها تدعو الى الهدى والتقى والخير، وتحذر من الضلالة والغواية والشر، ولا شك ان للتذكير الصادق، والنصح المخلص أثرهما الفعال في النفوس وردها عن غيها وضلالتها، وكشف حجب الغفلة عنها خصوصا اذا تم اختيار الوقت المناسب والأسلوب المناسب.

* قال تعالى:

﴿ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين. ﴾(2)

* وعن أبي تميم الداري ان النبي ﷺ قال:

« الدين النصيحة. » قلنا: لمن؟ قال: « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. »(3)

* عن حنظلة الأسيدي... قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: « وما ذاك؟ » قلت: يا رسول الله **نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين**، فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا. فقال رسول الله ﷺ: « والذي نفسي بيده ان لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر لصافحتكم

---

(1) البخاري / جـ 1 / ص 128
(2) الذاريات / 55
(3) مسلم / جـ 1 / ص 53

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ثلاث مرات »[1]

* ثالثا : وسيلة ضرب الأمثال :

اهتمت السنة النبوية بضرب الأمثال كوسيلة من الوسائل الهامة للتربية الخلقية لما فيها من تحبيب للخير وتزيينه للنفوس وابراز نتائجه المفيدة السارة، وتنفير من الشر وتقبيحه وابراز عواقبه الوخيمة والمؤلمة، خاصة اذا ما روعي في ضرب الأمثال البساطة وسهولة الفهم وتمشيها مع المستوى العقلي والادراكي والتحصيلي للسامع .

* قال تعالى :

﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون . ﴾[2]

* وعن ابن عمران رسول الله ﷺ قال :

« مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير في هذه مرة، وفي هذه مرة، لا تدري أيها تتبع . »[3]

* وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ :

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[4]

* وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ :

« مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر، مثل الحي والميت . »[5]

رابعا : وسيلة القصص :

ركزت السنة النبوية على القصة كوسيلة من أهم وسائل التربية

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 95,94

(2) العنكبوت / 43

(3) النسائي / جـ 8 / ص 124

(4) مسلم / جـ 8 / ص 20

(5) البخاري / جـ 8 / ص 107

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخلقية وأكثرها تأثيرا في النفوس عن طريق الايحاء المرتبط بنتائج القصة، اذ تدفع النتائج السارة والسعيدة الى اتباع الخير وتحبيبه للنفوس اقتداء بالصالحين وتدفع النتائج المؤلمة والتعيسة الى اجتناب الشر وتقبيحه للنفوس، نفورا من الطالحين.

* قال تعالى:

﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب.. ﴾[1]

وأوردت السنة النبوية العديد من القصص المؤثرة: كقصة أصحاب الغار، وكقصة موسى والخضر عليهما السلام، وقصة أصحاب الأخدود وقصة الأبرص والأقرع والأعمى، وقصة الأطفال المتكلمين في المهد، وقصة ماشطة بنت فرعون وغيرها ونسوق للتدليل قصة الأبرص والأقرع والأعمى فيما يلي:

* عن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة حدثني: عبد الرحمن بن أبي عمرة ان ابا هريرة حدثه انه سمع النبي ﷺ يقول:

« ان ثلاثة في بني اسرائيل: ابرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث اليهم ملكا، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب اليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قذرني الناس. قال: فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا. قال: فأي المال أحب اليك؟ قال: الأبل، أو قال البقر.

شك اسحاق الا ان الأبرص أو الأقرع قال احدهما الابل. وقال الآخر البقر.

قال: فأعطي ناقة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب اليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرا

---

(1) يوسف / 111

حسنا، فقال: فأي المال أحب اليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملا، فقال: : بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب اليك؟ قال: ان يرد الله الي بصري، فأبصر به الناس، قال: فمسحه، فرد الله اليه بصره، قال: فأي المال أحب اليك؟ قال: الغنم فأعطي شاة والدا. فأنتج هذان وولد هذا. قال: فكان لهذا واد من الابل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال: ثم انه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ عليه في سفري.

فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني اعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرا فأعطاك الله؟ فقال: انما ورثت هذا المال كابرا عن كابر. فقال: ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد على هذا. فقال: ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت. قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته. فقال: رجل مسكين وابن سبيل، انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك. أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله الي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم شيئا أخذته لله .فقال: امسك مالك فانما ابتليتم، فقد رضي عنك، وسخط على صاحبيك.»[1]

خامساً: وسيلة الترغيب والترهيب:

من أهم وسائل التربية الخلقية في السنة النبوية وسيلة الترغيب في عمل الخير وكسب الفضائل بما يناله الانسان من نعيم مقيم في آخرته،

---

(1) مسلم / جـ 8/ ص 214،213

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وما يلقاه من تكريم وتقدير واحترام، في دنياه، ووسيلة الترهيب من عمل الشر وارتكاب الرذائل بما يصيب الانسان من عذاب أليم في آخرته وما يلقاه من نبذ واحتقار وامتهان في دنياه.

* قال تعالى:

﴿ انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحي. ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى. جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى. ﴾[1]

* وقال عز وجل:

﴿ من جاء بالحسنة فله عشر امثالها. ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون. ﴾[2]

* عن جرير بن عبد الله... فقال رسول الله ﷺ:

« من سن في الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء. »[3]

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

« الحياء من الايمان والايمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار. »[4]

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

« ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم

---

(1) طه / 76:74
(2) الأنعام / 160
(3) مسلم / جـ 8 / ص 61
(4) الترمذي / جـ 8 / ص 171 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اعطِ منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم اعطِ ممسكا تلفا. »[1]

سادسا: وسيلة القدوة:

ركزت السنة النبوية على القدوة باعتبارها أخطر وسائل التربية الأخلاقية وأكثرها تأثيرا في نفسية الفرد منذ نشأته الأولى، خاصة وهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالميول الطبيعية لدى الفرد للتعلم والتلقي والاكتساب عن طريق التقليد والمحاكاة والاقتداء بمن يرى فيهم صورة الكمال من والدين ومربين وأبطال وغيرهم أو ممن يرتبط بهم ارتباطا نفسيا كالرفاق والأصحاب وأبناء الحي وغيرهم.

* قال تعالى:

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخروذكرالله كثيرا. ﴾[2]

وقد ضرب رسول الله ﷺ من نفسه للمسلمين الأسوة الحسنة والقدوة المثلى، في كل ما يأمرهم به، وينهاهم عنه، ويرشدهم اليه، قولا وعملا وتصرفا وسلوكا.

* عن البراء رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ، يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه، وهو يقول: « لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فانزل السكينة علينا، وثبت الأقدام ان لاقينا، ان الأولى قد بغوا علينا، اذا أرادوا فتنة أبينا. »[3]

* وعن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس،واجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس

---

(1) مسلم / جـ 3 / ص 84,83
(2) الأحزاب / 21
(3) البخاري / جـ 4 / ص 31

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قبل الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس الى الصوت وهو يقول: « لن تراعوا لن تراعوا. »[1]

وتؤكد السنة النبوية تأثير القدوة في تربية الناشئين، واكتساب اتجاهاتهم الدينية والأخلاقية في المحيط الأسري والاجتماعي الذي يعيشون فيه.

* عن أبي هريرة انه كان يقول: قال رسول الله ﷺ:
« ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه. »[2]

* وعن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال:
« الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل. »[3]

* وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال:
« انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير. فحامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع منه، واما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد ريحا خبيثة. »[4]

* وقال تعالى: « يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا. لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا. »[5]

سابعا: وسيلة العبادة:

تعتبر السنة النبوية المطهرة الفرائض: من صلاة وصوم وزكاة وحج من أهم وسائل التربية الخلقية، وغرس الفضائل والقيم والمثل العليا وترسيخها في القلوب وتهذيب السلوك وتقويمه، واصلاح أحوال النفس

---

(1) البخاري / جـ 89 / ص 16
(2) مسلم / جـ 8 / ص 52
(3) أبو داود / جـ 4 / ض 407
(4) مسلم / جـ 28 / ص 38,37
(5) الفرقان / 29,28

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البشرية وتزكيتها وتقوية مناعتها ضد أسباب الانحلال والانحراف والفساد.

فالصلاة: طهارة روحية ونفسية وجسدية: فهي تصفي القلوب من الشك والضلال والأوهام وأفكار السوء، وتزكي الأنفس وتقيها من الفحشاء والمنكر وتطهر الأبدان من القذارة والأدران.

* قال تعالى:

﴿ وأقم الصلاة ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر. ﴾[1]

* وعن جابر يقول سمعت النبي ﷺ يقول:

« ان بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة. »[2]

* وعن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال:

« أرأيتم لو ان نهرابباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ » قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: « فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا. »[3]

والصوم تربية روحية وخلقية واجتماعية وجسدية: فهي تجعل طاعة المسلم خالصة لله تعالى مع شكر نعمه وتقدير آلائه واستغفاره وذكره وتسبيحه والأنابة اليه والتوكل عليه، وهي تقوي ارادة المسلم وقدرته على ضبط غرائزه ودوافعه وكبح شهواته ونزواته، وهي توثق الترابط والتراحم والتعاطف والتكامل بين الأفراد الذين لا يتمايزون الا بالتقوى، وهي تعود البدن على تحمل العطش والجوع والمشقة وتنظم احواله الصحية في أجهزته الداخلية والخارجية.

---

(1) العنكبوت / 45
(2) مسلم/ جـ 1 / ص 62
(3) مسلم / جـ 2 / ص 132,131

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. ﴾[1]

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ :

« الصيام جنة »[2]

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام هو لي وأنا أجزي به. »[3]

والزكاة طهارة لمال الانسان وعمله، وهي تنقي النفس من رذائل الأخلاق كالشح والبخل والتقتير وتكسبها فضائل الأخلاق كالاحسان والبر والصدقة والكرم والسخاء وعون الفقراء والمساكين ومساعدة المحتاجين والمعوزين، وتقوي روح التكافل والتعاون الاجتماعي، وتذيب الفوارق الحادة بين فئات المجتمع، فتزيل بطر الأغنياء، وحقد الفقراء، وتحل محلهما التعاطف والتراحم والعدل.

* قال تعالى :

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها. ﴾[4]

* عن أبي هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ :

« ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف

---

(1) البقرة / 183
(2) مسلم / جـ 3 / ص 157
(3) المصدر السابق / ص 157
(4) التوبة / 103

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سنة حتى يقضي بن العباد فيرى وسبيلة اما الى الجنة واما الى النار. »[1]

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ:

« انفقي أو أنضحي أو أنفحي، ولا تحصي فيحصي الله عليك »[2]

* وعن شعبة قال: أخبرني عمرو عن خيثمة بن عدي بن حاتم قال:

ذكر النبي ﷺ النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه، ثم ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه، قال شعبة: أما مرتين فلا أشك، ثم قال: « اتقوا النار ولو بشق تمرة، فان لم تجد فبكلمة طيبة. »[3]

والحج تربية خلقية واجتماعية: فهو ينقي القلوب من الكبرياء والغرور والتعالي، ويغرس فيها التقوى والتواضع وعدم التكلف وتجنب اللغو والجدال والفسوق وغيرها من مساوىء الأخلاق، ويقوي لدى المسلم الاحساس بالمساواة مع الآخرين الذين يؤدون نفس الشعائر، ويرتدون نفس ملابس الاحرام، ويتساوون أمام خالقهم عز وجل، وكأنهم في يوم الحشر، لا فرق بين أبيض وأسود، ولا بين عربي وعجمي، ولا بين فقير وغني، ولا بين ذي حسب ونسب وشخص من العامة: الا بتقوى الله تعالى وحسن طاعته، واستقامة الخلق والسلوك.

* قال تعالى:

﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا. ﴾[4]

* وقال تعالى:

---

(1) مسلم / جـ 3 / ص 76

(2) نفس المصدر السابق 92

(3) البخاري / جـ 8 / ص 14

(4) ال عمران / 97

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج. ﴾[1]

* عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال:
« أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا. »[2]

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
« من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه. »[3]

ثامنا: وسيلة التوبة والمغفرة:

ركزت السنة النبوية على التوبة والاستغفار كوسيلة من أهم وسائل التربية الخلقية البناءة التي تصلح أحوال النفس المخطئة، وتفتح أمامها باب العودة الى حظيرة الايمان والهدى والتقى والاستقامة، ووعدت التائب الصادق العازم على عدم العودة الى المعاصي والخطايا بقبول الله تعالى لتوبته المخلصة ومغفرته لذنوبه وتجاوزه عن خطاياه، وتوفيقه الى اتباع سبيل الهداية والرشاد والصلاح.

* قال تعالى:
﴿ وقل رب أغفر وارحم وأنت خير الراحمين. ﴾[4]

وقال عز وجل:
﴿ استغفروا ربكم انه كان غفارا. ﴾[5]

* وقال تعالى:
﴿ ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. ﴾[6]

---

(1) البقرة / 197
(2) مسلم / جـ 4 / ص 102
(3) نفس المصدر السابق / ص 107
(4) المؤمنون / 118
(5) نوح / 10
(6) البقرة / 222

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:
« يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب في اليوم اليه مائة مرة »[1]

* وعن الأغر المزني وكانت له صحبة أن رسول الله ﷺ قال:
« انه ليغان على قلبي، واني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة. »[2]

* عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
« الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة. »[3]

أهداف التربية الخلقية

بعد ان بينا تعريف الأخلاق، وناقشنا خصائص النمو العقلي ومراحله وأوساطه، واستعرضنا موضوع الضمير وكيفية تكوينه، وموضوع المسؤولية الأخلاقية، وموضوع التربية السلوكية وبينا أهم وسائل اصلاح النفس وتقويمها، وأوضحنا أقسام الأخلاق وهي الأخلاق المحمودة والأخلاق المذمومة، وأوردنا أهم خصائص ومميزات الأخلاق في السنة النبوية وأهم وسائلها، بعد ذلك يجدر بنا ان نستعرض أهم أهداف التربية الخلقية في السنة النبوية، في ضوء المضامين التربوية للأحاديث الشريفة المتقدمة، وذلك على النحو الآتي:

1- اصلاح ما بين الفرد وربه عز وجل وذلك باصلاح سريرته وعلانيته وبناء استقامته الخلقية على مراقبته الدائمة لله تعالى وكأنه يراه، واحساسه بحضوره الدائم معه، واخلاص العبادة والطاعة له.

2- تكوين الرقيب الأخلاقي الذاتي النابع من ضمير الفرد، والموجه لسلوكه والضابط لتصرفاته، والمحاسب له على أخطائه وذنوبه ومعاصيه،

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 73
(2) نفس المصدر السابق / ص 72
(3) البخاري / جـ 8 / ص 84

والمحرك المستمر لجوانب الخير والاستقامة في نفسه.

3- تقوية ارادة الفرد، واحساسه بمسؤوليته الذاتية في تهذيب غرائزه ودوافعه، وضبط انفعالاته وعواطفه، والتحكم في نزواته ورغباته، واشباعها بالطريق السوي المشروع دينيا وخلقيا واجتماعيا، وعدم اطلاق العنان لها بما يلحق به وبمجتمعه أفدح الأضرار.

4- ترقية السلوك الانساني وترشيده، وجعله مجسما للقيم والمبادىء والمثل الدينية والخلقية العليا، دائرا في فلكها حافظا لها.

5- ترقية النفس البشرية وتقوية عفتها، وتحصينها من التردي في مهاوي الشهوات، والانسياق في تيار الملذات والانغماس في حمأة الرذيلة.

6- غرس الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة والآداب الفاضلة وترسيخها في نفس الفرد منذ نشأته الأولى، وتعويده على المعاملة الحسنة مع الآخرين وتوجيهه الى اتخاذ المواقف الايجابية والاتجاهات البناءة دينيا وأخلاقيا نحو مختلف القضايا في حياته.

7- تنشئة الفرد على الشعور بالمسؤولية الخلقية تجاه الجماعة، وصون عقيدتها ونظامها الأخلاقي وكيانها الاجتماعي من مختلف عوامل التفكك والانحلال، وتقوية مناعتها ضد أسباب الفساد الخلقي: كالميوعة والفتنة والغواية والمعاصي والفسق والفجور والفواحش وغيرها.

8- تكوين الجماعة الفاضلة التي تأتمر بالمعروف، وتتناهى عن المنكر، وتتعاطف وتتراحم وكأنها جسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر، وكأنها بنيان مرصوص يشد بعضه بعضا.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

● الفصـــل الســـابع

التّربيّة الاجتماعيّة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحثنا في الفصل السابق موضوع النمو الخلقي ومراحله ، وبيّنا أوساط التربية الخلقية وتأثيرها ، واستعرضنا كيفية تكوّن الضمير الخلقي والمسؤولية الخلقية ، ثم بحثنا التربية السلوكية وكيفية اصلاح أحوال النفس وتقويمها ، وأوضحنا مكانة الأخلاق في السنة النبوية .

وأوردنا بعد ذلك أقسام الأخلاق في السنة النبوية بشيء من التفصيل ثم خلصنا الى إبراز أهم خصائص الأخلاق في السنة النبوية ، واستعرضنا أهم وسائل التربية الخلقية ، وختمنا الفصل بإيراد أهم أهداف التربية الخلقية في السنة النبوية .

وسنبحث في هذا الفصل موضوع النمو الاجتماعي وخصائصه والعوامل المؤثرة فيه ، كما نبين بشيء من التفصيل موضوع العلاقات الاجتماعية ، وموضوع علاقة الفرد ، بالبيئة الطبيعية ، وموضوع الآداب الاجتماعية ثم نخلص الى تبيان أهم أهداف التربية الاجتماعية في السنة النبوية .

النمو الاجتماعي :

يبدأ النمو الاجتماعي لدى الفرد منذ بواكير اتصالاته الأولى بالبيئة الخارجية : في الأسرة ثم في زمرة الرفاق بالحي ، وزملاء الدراسة ، ويتوسع ويضطرد شيئاً فشيئاً مع ازدياد العلاقات التي تربط الفرد بالآخرين في مجال السكن والعمل والترويح والمحيط الاجتماعي الواسع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بصورة عامة .

ويمكن ان نعرّف النمو الاجتماعي بأنه مجموعة التغيّرات التي تطرأ على الفرد في اتصاله بالبيئة الاجتماعية ، وتكسبه العادات والعرف والقيم والاتجاهات السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه ، ومع أنه يستطيع أن يكوّن اتجاهات ويتخذ مواقف خاصة به إلا أنه لا يستطيع إشباعها إلا في إطار التراث الاجتماعي والثقافي لمجتمعه .

وبذلك فان النمو الاجتماعي يتصل اتصالا وثيقاً بتكوين سلوك الفرد ، وطرق تعامله مع الآخرين ونوع علاقاته معهم ، وأساليب تصرفه تجاه مختلف المواقف والمشاكل التي تجابهه في الحياة ، ونوع مركزه في المجتمع ودوره فيه كعضو صالح .

وتجدر ملاحظة ان النمو الاجتماعي لا يتم بشكل منفصل عن النمو الروحي والعقلي والوجداني والأخلاقي والجسمي ، بل هو متداخل معها ، مرتبط بها ارتباطا وثيقا ، مؤثر فيها ومتأثر بها ، وذلك لأن سلوك الفرد وتصرفاته ومعاملاته ومواقفه واتجاهاته ما هي إلا نتاج طبيعي لتفاعل نشط متكامل لقواه واستعداداته العضوية والوجدانية والعقلية مع عوامل البيئة الخارجية والاجتماعية ، والثقافية والطبيعية ومن أمثلة ذلك :

أن ميل الفرد الى الجنس الآخر وكيفية تعامله معه ورغبته في نيل إعجابه وقبوله ، مرتبط بالتغيرات التي تطرأ على الغدد التناسلية ومدى نضجها الطبيعي .

كما أن السلوك الاجتماعي للفرد يتأثر بنمو عاطفة تأكيد الذات لديه ، فهو يعبر عنها عندما ينضج عقليا ووجدانيا بنزعته الى الاعتداد بالنفس والتحرر من سلطة الأسرة ، والاستقلال في اتخاذ مختلف المواقف والتصرفات كالعناية بالمظهر واللباس ، والطريقة الخاصة في الكلام والمشي ، واختيار الرفاق وغير ذلك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويتأثر السلوك الاجتماعي للفرد ، أيضا بنضجه العقلي وظهور القدرات العقلية لديه التي تميزه عن الآخرين ، واتساع مداركه وأفقه ، وازدياد تجاربه وخبراته ، فيحاول باستمرار تحسين وتعديل تصرفاته ومواقفه واتجاهاته بالكيفية التي تحقق له القبول الاجتماعي ونيل رضا الآخرين وتقديرهم ، مما يجعله أكثر التزاما بالقيام بواجباته كعضو صالح في الجماعة .

والسنة النبوية المطهرة تقرّ أن النمو الاجتماعي يبدأ لدى الفرد الانساني منذ نشأته الأولى في الأسرة ثم يتوسع شيئاً فشيئاً مع توسع العلاقات الاجتماعية التي تربط الفرد بمختلف دوائر المجتمع : من رفاق ، ومؤسسات تعليمية ، ومحيط اجتماعي وغير ذلك .

* عن أبي هريرة أنه كان يقول :قال رسول الله ﷺ :

« ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء . »[1]

* وقال ﷺ :

« حق الولد على والده أن يحسن اسمه ، ويحسن موضعه ويحسن أدبه . »[2]

وسنبيّن مزيداً من الشواهد المناسبة في السنة النبوية عند مناقشة العوامل المؤثرة في النمو الاجتماعي .

العوامل المؤثرة في النمو الاجتماعي :

يتأثر النمو الاجتماعي بجملة من العوامل الهامة ، منها ما هو ذاتي :

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 52

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6/ص 428-429 (رواه البيهقي في شعب الايمان عن: عائشة)

مرتبط بالحالة الصحية للفرد جسميا ونفسيا ، وبذكائه وقدراته العقلية ومستوى تحصيله التعليمي ومدى وعيه وإدراكه . ومنها ما هو بيئي : مرتبط بالتأثيرات الخارجية كالأسرة والرفاق والمؤسسة التعليمية ، والمحيط الاجتماعي ، وتراث المجتمع الثقافي والاجتماعي .

وفيما يلي نناقش أهم هذه العوامل بشكل موجز للايضاح :

أولا : صحة الفرد الجسمية والنفسية :

يتأثر سلوك الفرد وتصرفاته ومواقفه واتجاهاته وعلاقاته مع الآخرين تأثرا كبيرا بحالته الصحية جسدياً ونفسياً .

فالفرد الخالي من العيوب والنواقص السليم من العاهات والأمراض يقبل على النشاط الاجتماعي ، .والارتباط بأعضاء الجماعة ، بثقة في النفس واعتداد بالذات ، لأنه لا يشعر بأي حرج او نقص امام الآخرين ، وهذا من شأنه ان يحسّن نموه الاجتماعي .

أما الفرد الذي يعاني من الأمراض والعيوب والعاهات فإنه يحس بالنقص ثم بالتوتر والقلق النفسي مما يجعله يعتقد أنه سيكون محل سخرية الآخرين وهزئهم وتندرهم ، فتضعف ثقته في نفسه وتقل طمأنينته الى الناس .

ويعزف عن المشاركة بشكل واسع في النشاط الاجتماعي وهو ما من شأنه أن يؤثر في نموه الاجتماعي على نحو سلبي .

ولذلك كان من أولى واجبات الآباء والمربين والمسؤولين مساعدة ذوي العاهات والنقائص والعيوب الجسدية على التكيف النفسي مع وضعهم الصحي وقبوله على أنه أمر طبيعي ما دام الخلاص منه غير متيسر ، وإعانتهم على التكيف الاجتماعي باحترامهم وتقديرهم ، وعدم السخرية منهم ، والضحك عليهم ، والتندر بعاهاتهم لأن هذا يؤدي الى نفورهم من الآخرين وانطوائهم على أنفسهم ، وفشلهم في الحياة الاجتماعية ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن ثمّة عرقلة نموهم الاجتماعي بصورة خطيرة مما قد يؤدي الى فقدانهم كأعضاء صالحين في الجماعة يمكن ان يسهموا في خدمتها وتطويرها بقدراتهم الممكنة ، وبرغم عيوبهم الخلقية ، او عاهاتهم الجسمية .

وهذا ما أكدته السنة النبوية المطهرة ودعت اليه ، ووجهت الآباء والمربين الى مراعاته في تربية الناشئين ومعاملتهم .

* عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :
« . . . . بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم »[1]

* وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :
« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره »[2]

* وعن ابن عباس عن النبي ﷺ :
« لا تمار أخاك ولا تمازحه »[3]

* وعن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ :
« لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك »[4]

* وعن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ :
« سباب المسلم فسوق . . »[5]

ثانيا : المستوى العقلي للفرد :

كما يتأثر الفرد في سلوكه وتصرفاته ومواقفه واتجاهاته بصحته الجسمية والنفسية ، يتأثر بمستوى ذكائه وقدراته العقلية ونضج تفكيره واتساع مداركه وازدياد فهمه ، ويعتبر المستوى العقلي للفرد الى حد بعيد أساس

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 10-11
(2) نفس المصدر السابق / ص 10-11
(3) الترمذي / جـ 8/ص 160-161 (وقال عنه : حديث حسن غريب) .
(4) الترمذي / جـ 9/ص 312 (وقال عنه حديث حسن غريب)
(5) البخاري / جـ 8/ص 18

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نجاحه في حياته وتكوين علاقاته ومجابهة أعباء حياته .

ولا شك أن لنجاح الفرد في تحصيله الدراسي والعلمي ونجاحه في الحقل المهني والعملي الذي يرتبط بقدراته العقلية أساسا صلة قوية بمركزه ودوره الاجتماعي وقدرته على التكيف وبناء علاقات اجتماعية سليمة مع الآخرين ، مما يترتب عليه استكمال نموه الاجتماعي على أسس صحيحة ومتينة .

ولذلك كان لزاما على الآباء والمربين العناية بالنمو العقلي للناشىء وصقل استعداداته وقدراته وميوله ومواهبه حتى تصل أقصى حد ممكن من الاتقان وذلك لتأثيرها المباشر في تكوينه الاجتماعي والوجداني ، مع مراعاة تمكينهٔ وتوجيهه الى المجالات التي تتناسب مع ميوله ومواهبه ، وعدم إجباره على ما لا يميل اليه ، أو ما لا يشعر بالرغبة فيه ، لأنه قد يفشل فيه ولا يحقق أية نتائج مرضية مما يؤثر في تكيفه النفسي ونموه الاجتماعي .

وقد راعت السنة النبوية المطهرة هذه الجوانب الهامة ودعت الى العناية بها تمكينا للناشىء من حسن النمو العقلي الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنموه الاجتماعي ويؤثر فيه .

* قال تعالى :

﴿إن سعيكم لشتّى﴾[1]

* عن الامام علي كرّم الله وجهه قال : كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال :

« ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار » قالوا : يا رسول الله ، فلم نعمل ؟ أفلا نتكل ؟ قال : « لا. **إعملوا فكل ميسر لما خلق له** . ثم قرأ : فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى الى قوله :

---

(1) الليل / 4

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فسنيسره للعسرى. »[1]

* وعن أبي هريرة بحديث يرفعه قال :

« الناس معادن كمعادن الفضة والذهب . . »[2]

ثالثا : وسط الأسرة :

الأسرة هي البيئة الاجتماعية الأولى التي تنمو فيها شخصية الفرد ، ويتلقى فيها التربية والتنشئة الاجتماعية ويكتسب منها العرف والعادات والتقاليد والقيم الدينية والخلقية ومن خلال علاقاته بوالديه واخوته وأقاربه يستكمل نموه الاجتماعي بالتدريج ، ويكوّن الأسس التي يبني عليها مواقفه واتجاهاته النفسية والاجتماعية في مستقبل حياته .

ومن الثابت تأثر الفرد بما يسود الأسرة من جو نفسي وتربوي ، وبما لها من مستوى ثقافي واقتصادي ، وبمركزها ووضعها في السلم الاجتماعي . وباتجاهاتها وقيمها الروحية والخلقية والاجتماعية .

واذا كان الصلاح هو الذي يغشي الوسط الأسري فإن نمو الفرد خلقيا واجتماعيا يكون نمواً صالحاً وسليماً ، وأما اذا كان الطلاح هو الذي يغشي الأسرة فإن نمو الفرد خلقياً واجتماعياً يكون نمواً طالحاً وعليلاً ، ويعوق تكيفه النفسي والاجتماعي ، ويعرقل تكوينه للعلاقات الاجتماعية السليمة ، ويحد من تفاعله الايجابي المثمر مع الجماعة التي يجب ان يسهم في تطويرها وتحقيق أهدافها وحفظ كيانها .

ولذلك كان من الضروري ان تصلح الأسرة أمرها دينيا وخلقياً واجتماعياً حتى تمكن الناشىء من صقل شخصيته التي يبني دعائمها الأولى داخل الوسط الأسري وتساعده على تهذيب خلقه والسمو بنفسه والتحلي

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 47

(2) مسلم / جـ 8/ص 41-42

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالآداب الاجتماعية الصالحة التي يتشرّبها عن طريق المحاكاة والتقليد والارشاد والتوجيه من والديه واخوته وأقاربه .

وأما إذا أخذت الأسرة بأسباب الفساد والانحلال الخلقي والاجتماعي فإنها لا شك ستؤثر على تربية الناشئين وتجعل شخصياتهم مهزوزة مضطربة ، يكتنفها التوتر والقلق النفسي ، والصراع والاضطراب العصبي والعقلي ، شاذة في سلوكها وتصرفاتها ، وانسحابية « انطوائية » لا نفع يرجى منها ، او عدوانية مدمّرة تنشر الخراب والفساد في جسم الجماعة .

وقد أكدت السنة النبوية خطورة الوسط الأسري في التربية ، ودعت الوالدين والمربين الى حمل مسؤولياتهم التربوية تجاه الناشئين بحقها وآدائها على الوجه المطلوب ، وأن تكون رعايتهم للناشئين مبنية على الرحمة والعطف والرفق ، متجنبة للقسوة والشدة والعنف .

* عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال :

« ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم ، والمرأة راعية على أهل بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ! ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . »[1]

* وعن أبي هريرة أنه كان يقول : قال رسول الله ﷺ :

« ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء . »[2]

* وقال رسول الله ﷺ :

---

(1) مسلم / جـ6/ص 8

(2) مسلم / جـ8/ص 52

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« حق الولد على والده ان يحسن اسمه ، ويحسن موضعه ويحسن أدبه »[1]

* وعن عمر بن أبي سلمة يقول : كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام سم الله ، وكل بيمينك، وكل مما يليك . » فما زالت تلك طعمتي بعد »[2]

* وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما : كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ، ثم يضمهما ثم يقول :

« اللهم ارحمهما فإني أرحمهما »[3]

* وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « يا عائشة ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه. »[4]

رابعا : الوسط التعليمي :

للوسط التعليمي أثر كبير في استكمال الفرد لنموه الاجتماعي ، وذلك لاتساع علاقاته مع الآخرين وتنوعها : مثل علاقته مع نظرائه ، ومع مدرسيه ومع المشرفين على النشاط الترويحي ، ومع أعضاء الجمعيات المختلفة ، ولزيادة خبراته وتجاربه وتحصيله العلمي المرتبط باتساع مداركه وأفقه الفكري ، ونضج استعداداته وقدراته العقلية ، ونمو ميوله ومواهبه الفطرية المختلفة .

---

(1) المتقي / منتخب كنز العمال / جـ 6/ص 428-429 (رواه البيهقي في شعب الايمان عن عائشة)

(2) البخاري / جـ 7/ص 88

(3) البخاري / جـ 8/ص 10

(4) مسلم / جـ 8/ص 22

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واذا كان الوسط التعليمي بأساتذته ومربيه ومشرفيه الذين هم القدوة المثلى ومناهجه وبراجه وأنشطته التي هي وسائل بناء الشخصية السوية المتكاملة وسطا صالحا خيّرا ساعد الناشىء على النمو الاجتماعي السليم والتوافق النفسي المتزن وأما اذا كان وسطاً طالحا يسلك فيه المدرسون والمربون والمشرفون سلوكاً شائناً وعنيفاً ويعطي الأسوة السيئة وتحكم علاقات التوتر وعدم الاحترام طلابه والعاملين فيه ، فإنه لا شك يعرقل النمو الاجتماعي للناشئين ويشل توافقهم وتكيفهم النفسي .

وقد أكدت السنة النبوية المطهرة في تضميناتها التربوية على وجوب أن يكون المعلمون والمربون قدوة حسنة لأبنائهم في سلوكهم وتصرفهم وأن يعاملوهم .بأسلوب الرفق والرحمة والعطف لا بأسلوب العنف والعسف والقسوة ، وأن يرشدوهم الى كيفية بناء العلاقات الصالحة مع الآخرين ، وان يساعدوهم على اكتساب العادات البناءة والقيم والمبادىء والمثل العليا ، واتخاذ المواقف والاتجاهات الايجابية تجاه ما يعترضهم من مشاكل وتحديات في مستقبل حياتهم على المستوى الفردي والاجتماعي .

* عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال: سأل رجل النبي ﷺ عن الشر فقال :

« لا تسألوني عن الشر واسألوني عن الخير. » يقولها ثلاثا . ثم قال :
« ألا ان شر الشر شرار العلماء ، وان خير الخير خيار العلماء . »[1]

* وقال ﷺ وقد مرّ على مجلس ذكر ومجلس علم :

« كل على خير : هؤلاء يقرءون القرآن ويدعون الله تعالى فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم . **وهؤلاء يتعلمون ويعلمون وإنما بعثت معلما »**[2]

(1) الدارمي / السنن / جـ 1/ص 104

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 4/ص 30-31 (رواه ابن ماجه عن ابن عمر)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وقال ﷺ :
« علموا ولا تعنّفوا ، فإن المعلم خير من المعنف »[1]

* وقال ﷺ :
« « وقّروا من تعلّمون منه العلم ، ووقروا من تعلمونه العلم »[2]

* وقال ﷺ :
« أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم »[3]

خامسا : وسط الرفاق :

يتأثر النمو الاجتماعي للفرد بعلاقاته برفاقه الذين يرتبط بهم ويتفاعل معهم ، في الحي السكني والوسط التعليمي والجمعيات والأندية والمخيمات والرحلات وغيرها ، لأنه يكتسب الكثير من عاداتهم وتقاليدهم وقيمهم واتجاهاتهم ، ويمتصّ الكثير من سمات سلوكهم وتصرفاتهم عن طريق الايحاء والاستهواء والمحاكاة والتقليد .

ويقوى الميل الطبيعي للانتماء الاجتماعي ارتباط الفرد بأترابه من نفس السن ، خصوصا اذا ما لاحظنا انه يجد في علاقاته معهم إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية : كالحاجة الى التقدير ، والحاجة الى الحب ، والحاجة الى الأمن النفسي وغيرها .

كما يزيد ارتباط الفرد برفاقه قوة حدوث التغيرات العضوية والانفعالية والعاطفية لديه والتي قد يجد الحرج في الاستفسار عنها وفهمها من والديه أو مربيه الكبار ، فيلجأ الى رفاقه من نفس السن ليستفسرهم ويناقشهم ويحاول معهم فهم ما طرأ عليه .

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 69 (لأبي عدي في الكامل والبيهقي في شعب الايمان عن : أبي هريرة)

(2) نفس المصدر السابق / ص 69 (رواه ابن النجار عن : ابن عمر)

(3) نفس المصدر السابق / ص 70 (رواه الديلمي عن ابن عباس) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن وسط الرفاق مؤثر للغاية في النمو الاجتماعي للفرد وهو ضروري جدا لاكتمال نضج الشخصية الانسانية وبذلك فان صلاحه ينعكس على تكوين الفرد وسلوكه بالهداية والاستقامة ، وطلاحه يقود الفرد الى الضلال والغواية .

وقد أكدت السنة النبوية في تضميناتها التربوية أهمية تأثير وسط الرفاق في النمو الاجتماعي والخلقي للفرد ، ودعت الآباء والمربين الى العناية التامة بتوجيه أبنائهم الى اختيار رفاقهم من الأخيار الصالحين دينا وخلقا وسلوكا حتى يقتدوا بهم ، ويكتسبوا منهم الصفات الحميدة والخلال الفاضلة ، وأن يجنبوهم مخالطة الأشرار حتى لا يقلدوهم ويسلكوا طريقهم المعوجّ الذي لا يقود إلا الى الفساد والرذيلة والشرور .

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
« الأرواح جنود مجندة : فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف . »[1]

* وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :
« الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل »[2]

* وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال :
« إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما ان يحذيك وإما ان تبتاع منه ، وإما ان تجد منه ريحا طيّبة . ونافخ الكير إما ان يحرق ثيابك وإما ان تجد ريحاً خبيثة . »[3]

سادسا : الوسط العام للمجتمع :

لا شك ان الفرد يعيش داخل مجتمع له عاداته وتقاليده ونظمه

(1) مسلم / جـ 8/ص 41
(2) أبو داود / جـ 4/ص 407
(3) مسلم / جـ 8/ص 37-38

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثقافية والاجتماعية والخلقية المميزة ، وهو يتأثر في نموه الاجتماعي والخلقي والوجداني بما يجري داخل هذا المجتمع وما يكتنفه من تغيرات وما يسوده من اتجاهات .

واذا كان المجتمع مجتمعاً صالحاً يحافظ على الأخلاق الحميدة والآداب الكريمة ويتبع سبل الفضيلة والخير والهدى ويأتمر أفراده بالمعروف ويتناهون عن المنكر ، لا بد وأن يساعد الناشئين على حسن استكمال نموهم الاجتماعي والخلقي والنفسي على الأساس السليم .

وأما اذا كان مجتمعا طالحاً ، تتفشى فيه الرذيلة ويرتع فيه الفسق والفجور ، وينحدر أفراده في مهاوي المنكر والغي والضلال ، فإنه يطمس الفطرة السليمة للناشئين ، ويعرقل نموهم الاجتماعي والخلقي ، ويطبع سلوكهم وتصرفاتهم واتجاهاتهم بطابع السوء والفساد .

وقد أكدت السنة النبوية المطهرة في تضميناتها التربوية تأثير الوسط العام على النمو الاجتماعي والخلقي لدى الناشئين ، ودعت الى ضرورة بناء حياة الجماعة على الفضيلة والتقوى والمعروف والتراحم والتعاطف وتحصينها ضد دوافع الرذيلة والغواية والمنكر والتدابر والتقاطع ، وان يتحمل أفراد المجتمع كافة هذه المسؤولية الدينية والخلقية على نحو جماعي ، لأنهم يصلحون بصلاح مجتمعهم ، ويفسدون بفساده ، ولأن صلاح المجتمع أو فساده إنما هو نتيجة طبيعية لصلاح أفراده أو فسادهم .

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

« لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى ها هنا ، ويشير الى صدره ثلاث مرات . بحسب امرىء من الشر ان يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه . »[1]

(1) مسلم / جـ 8/ص 10-11

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال:
« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبّك بين أصابعه »[1]

* وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال:
« إياكم والجلوس في الطرقات.» قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها. قال رسول الله ﷺ:
« فإذا أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقه.» قالوا: وما حقه؟ قال: « غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[2]

* وعن اليمان عن النبي ﷺ قال:
« والذيٰ نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم.»[3]

* وعن أبي سعيد سمعت رسول الله ﷺ يقول:
« من رأى منكرا فلينكر بيده، ومن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان.»[4]

سابعا: الارادة الذاتية:

بالرغم من تأثر النمو الاجتماعي والخلقي للفرد بالعوامل المتقدمة، إلا أن لأرادته الذاتية وخاصة بعد اكتمال نضجه العقلي والنفسي، أثرا فعالا في اختيار المواقف والاتجاهات الاجتماعية والخلقية وبنائها وتعديلها، وكسب صالحها ورفض طالحها، لأن الفرد الانساني، بما زوده الله تعالى به من عقل وقدرة على التفكير والتمييز وحرية وإرادة واختيار مسؤول عن

(1) البخاري / جـ 8/ص 14

(2) مسلم / جـ 6/ص 165

(3) الترمذي / جـ 9/ص 19 (وقال عنه: حديث حسن)

(4) نفس المصدر السابق / ص 19 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أقواله وأفعاله وتصرفاته وسلوكه ومواقفه واتجاهاته ومسؤول مسؤولية كاملة عن كل ما يترتب عليها من تبعات ، وينجم عنها من نتائج .

وهذا ما أكدته السنة النبوية المطهرة في توجيهاتها التربوية ، حثا منها على بناء الشخصية السوية القوية القادرة على تحمل مسؤولياتها في الحياة تجاه نفسها وتجاه الآخرين .

* قال تعالى :

﴿. . . كل امريء بما كسب رهين﴾[1]

* وقال عزّ وجلّ :

﴿وأن ليس للانسان إلا ما سعى﴾[2]

* وعن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تكونوا إمعة تقولون ان أحسن الناس أحسنّا وان ظلموا ظلمنا ، ولكن وطّنوا أنفسكم ان أحسن الناس ان تحسنوا وان أساءوا فلا تظلموا. »[3]

* وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز . . »[4]

العلاقات الاجتماعية :

العلاقات الاجتماعية هي الوشائج المتشابكة التي تربط الفرد بالآخرين ، سواء أكانوا أعضاء أسرته أو حيه او عشيرته او مجتمعه الكبير ، او البشرية عامة وتشده اليهم وتحمله تجاههم واجبات لا بد من

(1) الطور / 21

(2) النجم / 39

(3) الترمذي / جـ 8/ص 170 (وقال عنه : حديث حسن غريب)

(4) مسلم / جـ 8/ ص 56

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

آدائها ومسؤوليات لا مناص من القيام بها ، وتجعل له عليهم حقوقا لا بد من الايفاء بها ، وتحدد له دوره الاجتماعي الذي يجب ان يلعبه بفعالية حتى يشارك في تطوير الحياة الاجتماعية مشاركة ايجابية .

وللعلاقات الاجتماعية أثرها المزدوج في قطبيها ، فهي تزيد من تقاربهما بقوتها ، وتزيد من تباعدهما بضعفها ، فكلما كانت مثلا : العلاقة بين الوالد وولده ايجابية ورفيعة ومبنية على الحب والعطف والتقدير والاجلال كلما زادتهما ترابطاً وتقارباً والتزاماً ذاتياً في القيام بواجباتهما الشرعية والخلقية والاجتماعية كل منهما حيال الآخر ، وقس على هذا المثل علاقة الفرد بأخوته وجيرانه ورفاقه وأعضاء الجماعة التي يعيش فيها .

وتعتبر العلاقات الاجتماعية تجسيدا حيا لتكوين الشخصية وترجمانا حقيقيا لصلاحها او فسادها ، لأن المكونات المعنوية والروحية والخلقية للشخصية الانسانية تنعكس في سلوكها وتصرفاتها ومواقفها واتجاهاتها سلبا او إيجابا .

وفيما يلي نناقش بشيء من الايضاح أهم دوائر العلاقات الاجتماعية التي تربط الفرد بالآخرين ، وتحمله تجاههم مسؤوليات وواجبات لا بد من قيامه بها على الوجه المرضي الذي يكفل له حسن التكيف النفسي والاجتماعي ، ويجعله عضوا صالحا في المجتمع ، على أنه تجدر الاشارة الى ان ما أوردناه في التربية الخلقية من أخلاق محمودة يجب ان يتحلى بها الفرد وأخلاق مذمومة يجب عليه ان يتجنبها يعتبر أساس اقامة العلاقة الاجتماعية الناجحة بين الأفراد .

أولا : العلاقة بالوالدين :

يجب أن تكون علاقة الفرد بوالديه علاقة البر والاحسان ، والاجلال والتوقير ، والصلة والعطاء والطاعة والسمع في غير معصية الله تعالى ، وحسن صحبتهما ، وخفض جناح الذل من الرحمة لهما ، وعدم عقوقهما او الاساءة اليهما بقول أو عمل او باشارة والبر بأصحابهما .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا ما أمرنا الله تعالى به ، وما أكد الرسول الخاتم ﷺ في تعاليمه وتوجيهاته لنا .

* قال تعالى :

﴿وقضى ربك ألّا تعبدوا إلّا إياه وبالوالدين إحساناً اما يبلغن عندك الكبر أحدهما او كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا . ﴾[1]

* وقال عزّ وجلّ :

﴿ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليّ المصير. ﴾[2]

* وقال تعالى :

﴿وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾[3]

* وعن عبدالله قال : سألت النبي ﷺ : أي العمل أحب الى الله ؟ قال : « الصلاة على وقتها ». قال : ثم أي ؟ قال : « ثم برّ الوالدين » قال : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله»[4]

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله من أحق بحسن صحابتي ؟ قال : « أمك » . قال ثم من ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أمك » . قال ثم من ؟ قال ثم أبوك »[5]

---

(1) الاسراء / 23-24

(2) لقمان / 14

(3) لقمان / 15

(4) البخاري / جـ 8/ص 2

(5) نفس المصدر السابق / ص 2

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن عبدالله بن عمرو قال : قال رجل للنبي ﷺ : أجاهد ؟ قال : « لك أبوان ؟ » قال : نعم . قال « ففيهما فجاهد » .[1]

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« رغم أنف ، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف » قيل : من يا رسول الله ؟ قال : « من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة . »[2]

* عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » قلنا : بلى ، يا رسول الله . قال : « الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين . » وكان متكئا فجلس فقال : « ألا وقول الزور ، وشهادةالزور ، ألا وقول الزور وشهادة الزور » فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت[3]

* وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ان من أكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه . » قيل : يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : « يسب الرجل أبا الرجل ، فيسب أباه ويسبّ أمه . »[4]

* وعن عبدالله بن عمر ان النبي ﷺ قال :

« أبر البر أن يصل الرجل ودّ أبيه »[5]

ثانيا : العلاقة بالأولاد :

علاقة الفرد بأبنائه يجب ان تقام على الحب والرحمة والرفق والعدل

(1) نفس المصدر السابق / ص 3
(2) مسلم / جـ 8/ص 5
(3) البخاري / جـ 8/ص 4
(4) نفس المصدر السابق / ص 3
(5) مسلم / جـ 8/ص 6

والحزم الرشيد وان تتجنب الشدة والعنف والقسوة والقهر والكبت ، وان يرعاهم حق الرعاية منذ ولادتهم بحسن تسميتهم ، وختانهم والنفقة عليهم وكسوتهم وتعليمهم وعلاجهم وغير ذلك مستشعرا مسؤوليته الكاملة في تنشئتهم على الدين القويم ، والخلق العظيم ، والسلوك الكريم ، والتصرف الحكيم ، مدركا انه قدوتهم المثلى في كل شيء ، وأنهم يكتسبون منه بالايحاء والمحاكاة والتقليد والتشبه به ، كثيرا من السمات الشخصية والصفات الخلقية لأنه أول من يتصلون به ، ويتأثرون به في مختلف أوجه تربيتهم .

* قال تعالى :

﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن ، وكسوتهن بالمعروف﴾[1]

وقال عزّ وجلّ :

﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإيّاكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا﴾[2]

* وقال تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾[3]

* عن عبدالله قال : قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » . ثم قال : أي ؟ قال : « ان تقتل ولدك خشية أن يأكل معك » قال : ثم أي ؟ « قال « ان تزاني حليلة جارك . »[4]

---

(1) البقرة / 233
(2) الاسراء / 31
(3) التحريم / 6
(4) البخاري / جـ8/ص 9

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن المغيرة عن النبي ﷺ قال :

« ان الله حرّم عليكم عقوق الأمهات ، ومنع وهات ، ووأد البنات » [1]

* عن سمرة بن جندب عن رسول الله ﷺ قال :

« كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ، ويحلق رأسه ويسمى [2]

* وقال رسول الله ﷺ :

« حق الولد على والده أن يحسن اسمه ، ويحسن موضعه ويحسن أدبه » [3]

* وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« الفطرة خمس ، او خمس من الفطرة : الختان ، والاستحداد وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وقص الشارب. » [4]

* وقال رسول الله ﷺ :

« الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء » [5]

* عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ :

« مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، وأضربوهم عليها وهم ابناء عشر سنين ، وفرّقوا بينهم في المضاجع. » [6]

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 4

(2) النسائي / جـ 7/ص 166

(3) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6/ص 428-429 (رواه البيهقي في شعب الايمان عن عائشة)

(4) مسلم / جـ 1/ص 153

(5) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6/ص 433 (رواه أحمد في مسنده عن والد أبي المليح)

(6) ابو داود / جـ 1/ص 185

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وقال رسول الله ﷺ :

« حق الولد على والده ان يحسن اسمه ، ويزوّجه اذا أدرك ، ويعلمه الكتاب . »[1]

* وعن ثوبان ان النبي ﷺ قال :

« أفضل الدينار دينار ينفقه الرجل على عياله »[2]

* عن أنس : « أخذ النبي ﷺ ابراهيم فقبّله وشمّه . »[3]

* عن عائشة قالت : جاء أعرابي الى النبي ﷺ فقال : تقبّلون الصبيان فما نقبلهم . فقال النبي ﷺ : « أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة . »[4]

* وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ

« ليس منا من لم يرحم صغيرنا »[5]

* وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالامام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ».[6]

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6/ص 428 (لأبي نعيم في الحلية والديلمي في الفردوس عن ابي هريرة) .
(2) الترمذي / جـ 8/ص 144 (وقال عنه حديث حسن صحيح)
(3) البخاري / جـ 8/ص 8
(4) البخاري / جـ 8/ص 9
(5) الترمذي / جـ 8/ص 109 (وقال عنه : حديث حسن غريب) .
(6) البخاري / جـ 9/ص 77

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثا : العلاقة بالأخوة :

علاقة الفرد مع اخوته يجب ان تكون علاقة مودة وتعاطف ، وتقدير واحترام ، وعون ومساعدة على حل مشاكلهم ومجابهة أعباء حياتهم .

والفرد الذي لا خير فيه لأخوته لا خير فيه لجماعته ولا لوطنه ، وتركه لواجبات الأخوة وحجبه لحقوقها يدل على نقص ايمانه ، وضعف وازعه الخلقي ، وعدم إحساسه بمسؤولياته الاجتماعية .

وقد أمر الرسول ﷺ بالبر بالأخوة ووصلهم حرصاً منه على الحفاظ على كيان الأسرة وتلاحم أعضائها وتكافلهم في السراء والضراء .

* عن أبي هريرة قال : قال رجل يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة ؟ قال : « أمك ثم أمك ثم أمك . ثم أبوك . ثم أدناك أدناك»[1]

* وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال :
« من أحب ان يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره فليصل رحمه . »[2]

رابعا : العلاقة بالزوج :

علاقة الفرد بزوجته يجب ان تبنى على المودة والرحمة ، والاحترام والتقدير والثقة والوفاء ، والاحسان والمعروف ، والبشر والطلاقة ، وحفظ الأسرار الزوجية ، وحسن المعاملة والرعاية ، بالانفاق والكسوة والعلاج وغير ذلك ، على أن تقابل الزوجة هذه المعاملة الكريمة بالطاعة في غير معصية الله تعالى ، وبالأمانة وحفظ العرض والشرف ، ورعاية الولد ، وصون المال والممتلكات وما الى ذلك .

---

(1) مسلم / جـ8/ص 2

(2) نفس المصدر السابق / جـ8/ص 8

وهذا ما أمرنا الله تعالى به ، ودعانا رسول الله ﷺ اليه ، ووجهنا الى الالتزام به .

* قال تعالى :

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾[1]

* وقال تعالى :

﴿. . . ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم . ﴾[2]

* وقال عزّ وجلّ :

﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾[3]

* وقال تعالى :

﴿نساؤكم حرث لكم فآتوا حرثكم أنّى شئتم وقدّموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشّر المؤمنين﴾[4]

* عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال :

« ان الدنيا كلها متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»[5]

* وعن أبي هريرة قال : قيل لرسول الله ﷺ : أي النساء خير؟ قال « التي تسره اذا نظر ، وتطيعه اذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره . »[6]

---

(1) الروم / 21

(2) البقرة / 228

(3) البقرة / 229

(4) البقرة / 223

(5) النسائي / جـ 6/ص 69

(6) نفس المصدر السابق / ص 68

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :
« استوصوا بالنساء خيرا »[1]

* وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ :
« وان لزوجك عليك حقا » .[2]

* وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :
« أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم خلقا . »[3]

* وعن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال ، في حجة الوداع ، « ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك ، إلاّ أن يأتين بفاحشة مبيّنة ، فان فعلن فاهجروهن في المضاجع وأضربوهن ضرباً غير مبرّح ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ألا ان لكم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا . فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذنّ في بيوتكم من تكرهون ، ألا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهنّ في كسوتهن وطعامهن . »[4]

* وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :
« لو كنت آمرا أحدا ان يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها »

* وعن عبدالله بن زمعة قال : قال النبي ﷺ :

---

(1) البخاري / / جـ 7/ص 34
(2) نفس المصدر السابق / ص 40-41
(3) الترمذي / جـ 5/ص 110 (وقال عنه : حديث حسن صحيح) .
(4) الترمذي / جـ 5/ص 111 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« بم يضرب أحدكم امرأته ضرب الفحل ثم لعله يعانقها»[1]

* وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح . »[2]

* وعن أبي سعيد الخدري يقول : قال رسول الله ﷺ :

« ان مِن أشرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم ينشر سرّها »[3]

خامسا : العلاقة بالأقارب

علاقة الفرد بأقاربه يجب ان تكون علاقة البر والصلة والاحسان ، والتعاطف والتعاون والتكافل ، والاحترام والتقدير والتكريم ، وأن تنأى عن التحاسد والتباغض ، والتناجش والتدابر ، والخصام والتقاطع .

وهذا ما أمرنا الله عزّ وجل به في كتابه العزيز ، ووجهنا اليه رسوله الخاتم ﷺ في تعاليمه وارشاداته قصد تقوية العلاقة بين ذوي القربى واقامتها على دعائم الهدى والتقوى والخير .

* قال تعالى :

﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾[4]

* وقال عزّ وجلّ :

﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى﴾[5]

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 18
(2) مسلم / جـ 4/ص 157
(3) نفس المصدر السابق / ص 157
(4) الأحزاب / 6
(5) النحل / 90

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وقال تعالى :

﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾[1]

* عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :

« الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله »[2]

* وعن محمد بن جبير بن مطعم أن أباه أخبره ان رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة قاطع رحم »[3]

* وعن أبي هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله ان لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن اليهم ويسيئون اليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ. فقال: « لئن كنت كما قلت فكأنما تسّفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك . »[4]

سادسا : العلاقة بالجيران :

علاقة الفرد مع الجيران يجب ان تبنى على الأدب واللياقة والاحترام في المعاملة ومراعاة حقوقهم والاحسان اليهم وإكرامهم وإعانتهم وعدم التجسس عليهم واغتيابهم وعدم إيذائهم بالقول أو الفعل .

وهو ما أمرنا الله تعالى به ؛ ودعانا اليه رسوله الخاتم ﷺ في توجيهاته وتعاليمه .

* قال تعالى :

﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب ﴾[5]

---

(1) النساء / 1

(2) مسلم / جـ 8/ ص 7

(3) نفس المصدر السابق / ص 8

(4) مسلم / جـ 8/ ص 8

(5) النساء/ 36

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :
« ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه»[1]

* عن ابي شريح العدوى قال : سمعت أذناي ، وأبصرت عيناي حين تكلم النبي ﷺ فقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره »[2]

* وعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ :
« يا أبا ذر اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك»[3]

* وعن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ يقول :
« يا نساء المسلمات لا تحقرّن جارة لجارتها ولو فرسن شاة . »[4]

* وعن عائشة قالت : قلت يا رسول الله ان لي جارين فأيّهما أهدي ؟ قال : « الى أقربهما منك بابا »[5]

* وعن أبي شريح أن النبي ﷺ قال :
« والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن » . قيل : ومن يا رسول الله ؟ قال : « الذي لا يأمن جاره بوايقه »[6]

سابعا : العلاقة بالأصدقاء

علاقة الفرد بأصدقائه ورفاقه يجب ان تبنى على الحب المخلص في الله تعالى يجتمعون عليه ويتفرقون عليه ، يتناصحون بالخير والهدى ويأتمرون بالمعروف ، ويتناهون عن المنكر ، ويتعاونون على البر والتقوى ،

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 12
(2) المصدر السابق / ص 13
(3) مسلم / جـ 8/ص 37
(4) البخاري / جـ 8/ص 12-13
(5) نفس المصدر السابق / ص 13
(6) نفس المصدر السابق / ص 12

والصداقة إنما تدوم بصدق النية فيها وتبرئتها من المنفعة المادية ، فتؤتي ثمارها الخيّرة كل حين .

ومن الواجب ان يختار الفرد أصدقاءه من ذوي التقوى والاستقامة والخلق العظيم والسلوك القويم ويتجنب أهل الفسق والفساد والشرور مهما كانت الفوائد المادية التي تجنى من وراء صحبتهم لأنه يتأثر بأصدقائه ايجابا وسلبا ، ويمتص منهم لا شعوريا كثيرا من سماتهم وطباعهم وتصرفاتهم .

* قال تعالى :
﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين . . . ﴾[1]

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :
« سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه ، ورجل قلبه معلق في المسجد ، **ورجلان تحابا في الله** ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال الى نفسها : قال اني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه . »[2]

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :
« ان الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي »[3]

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :
« لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخي وصاحبي . »[4]

---

(1) آل عمران / 28
(2) البخاري / جـ 8/ص 203
(3) مسلم / جـ 8/ص 12
(4) البخاري / جـ 5/ص 5

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال:

« الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل . »[1]

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : أن رجلا زار أخا له في قرية اخرى ، فأرصد الله له على مدرجته ملكا ، فلما أتى عليه قال: « أين تريد ؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تربّها ؟ قال لا . غير أني أحببته في الله عز وجل ، قال : فإني رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[2]

ثامنا : العلاقة بالمسلمين عامة :

علاقة المسلم بغيره من المسلمين عامة يجب ان تكون علاقة الأخوة في الله عزّ وجلّ مبنية على التواد والتعاطف والتراحم والثقة ، وهادفة الى التعاون على البر والخير والتقوى، ومحققة لمبادىء التكافل والتآزر في السراء والضراء ، وحافظة للدماء والأعراض والأموال ، ومتجنبة لشتى عوامل الشحناء والبغضاء ، والخصام والفرقة ، والتقاطع والتدابر ، والكراهية والتحاسد ، والاحتقار والاذلال ، وسوء الظن والشك ، والتجسس والبهتان والغش والخيانة .

ولقد أمرنا الله تعالى في محكم كتابه العظيم ، ووجهنا رسولنا الأكرم ﷺ في تعاليمه وارشاداته ، الى رعاية حق اخوتنا المسلمين علينا حق الرعاية في شتى المجالات والمناسبات .

* قال تعالى :

﴿إنما المؤمنون أخوة﴾ [3]

* وقال عزّ وجلّ :

﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ [4]

---

(1) أبو داود / جـ 4/ص 407

(2) مسلم / جـ 8/ص 12

(3) الحجرات / 10

(4) آل عمران / 103

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وقال تعالى :

﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ [1]

وقال عزّ وجلّ :

﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ [2]

* عن أنس عن النبي ﷺ قال :

« والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره، أو قال لأخيه ما يحب لنفسه» [3]

*وعن أبي هريرة قال :قال رسول الله ﷺ :

« لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بعض ، وكونوا عباد الله اخوانا. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى ها هنا ويشير الى صدره ثلاث مرات . بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » [4]

* وعن سالم عن أبيه ان الرسول ﷺ قال :

« المسلم أخوالمسلم لا يظلمه ولا يسلمه . من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كربة . فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة . » [5]

* عن عبدالله بن عمرو يقول : قال النبي ﷺ :

« المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » [6]

---

(1) المائدة / 2

(2) الأنبياء / 92

(3) مسلم / جـ 1/ص49

(4) مسلم / جـ 8/ص 10-11

(5) نفس المصدر السابق / ص 18

(6) البخاري / جـ 8/ص 127

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن النعمان بن بشيرقال :قال رسول الله ﷺ :
« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[1]

* وعن عطاء أبي مسلم الخراساني قال : قال رسول الله ﷺ :
« تصافحوا يذهب الغل ، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء»[2]

* وعن أبي هريرةقال :قال رسول الله ﷺ :
« والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أوَلا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم . »[3]

* وعن عبدالله بن مسعودقال :قال رسول الله ﷺ :
« سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[4]

* وعن أبي أيوب الأنصاري ان رسول الله ﷺ قال :
« لا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام . »[5]

* وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
« حق المسلم على المسلم ست» قيل : ما هن يا رسول الله ؟ قال :
« اذا لقيته فسلم عليه ، واذا دعاك فأجبه ، واذا استنصحك فانصح له ، واذا عطس فحمد الله فسمّته ، واذا مرض فعده واذا مات فاتبعه »[6]

* وعن جرير بن عبدالله قال : بايعت رسول الله ﷺ على السمع

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 20
(2) مالك / الموطأ / ص 653
(3) مسلم / جـ 1/ص 53
(4) المصدر السابق / ص 58
(5) مسلم / جـ 8/ص 9
(6) مسلم / جـ 7/ص 3

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والطاعة فلقنني : « فيما استطعت والنصح لكل مسلم . »[1]

* وعن تميم الداري ان النبي ﷺ قال :

« الدين النصيحة» قلنا ؟ لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . »[2]

تاسعا : العلاقة بالبشر عامة :

علاقة الفرد المسلم بالبشر عامة ، ممن لايشاركونه عقيدته ، يجب ان تبنى على العدل والانصاف والأمانة في جميع معاملاته معهم ، وعلى حفظ العهود والمواثيق ما لم يخونوها ، وعلى الرحمة والعطف فيما تستوجبه الاحتياجات الانسانية كالجوع والعطش والمرض والكوارث ، وعلى حفظ أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وعدم الاعتداء عليهم فيها والتعاون معهم في عمارة الأرض واصلاحها بما يعود بالفائدة المشتركة على الجميع وهذا هو ما يأمر به دينه الحنيف ، دين البشرية قاطبة ، ودين العدل والرحمة والتسامح .

على أن علاقة المسلم بغير المسلمين وان أفادته بعلمهم وتقدمهم يجب ألّا تضر بعقيدته او تنحرف بخلقه وان يحرص على عدم التشبه بهم واتباعهم في خلقهم ومسلكهم في الحياة ، وان يدعوهم الى اتباع الصراط المستقيم كل ما وجد الى ذلك سبيلا ، معززا دعوته بالتزامه الديني والخلقي في حياته اليومية ، والذي يؤثر فيمن يدعوهم أكثر من تأثير دعوته القولية .

* قال تعالى :

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من

---

(1) النسائي / جـ7/ص 152

(2) مسلم / جـ1/ص 53

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين﴾[1]

* وعن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ :
« من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»[2]

* وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ :
« الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[3]

* وعن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال :
« يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا »[4]

* مرّ هشام بن حكيم بن حزام على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس فقال ما شأنهم؟ قالوا : حبسوا في الجزية . فقال هشام : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا»[5]

* وعن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال :
« من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما »[6]

* وعن أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله أدع على المشركين. قال:
«إني لم أبعث لعّانا وإنما بُعثت رحمة »[7]

---

(1) الممتحنة / 8
(2) الترمذي / جـ 8/ص 110 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(3) نفس المصدر السابق / ص 111 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(4) مسلم / جـ 8/ص 17
(5) المصدر السابق / ص 32
(6) البخاري /جـ 9 ص 16 (7) مسلم / جـ 8/ص 24

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما يقول : رأى عمر حلّة سيراء تباع ، فقال : يا رسول الله أبتع هذه والبسها يوم الجمعة واذا جاءك الوفود . قال : « إنما يلبس هذه من لا خلاق له » فأتى النبي ﷺ منها بحلل ، فأرسل الى عمر بحلّة ، فقال كيف ألبسها وقد قلت فيها ما قلت . قال : إني لم أعطكها لتلبسها ولكن تبيعها او تكسوها . » فأرسل بها عمر الى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم.[1]

* عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال :
« اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم . »[2]

* وعن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال :
« ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم . »[3]

علاقة الفرد بالبيئة الطبيعية :

من أهم مقاصد التربية الاجتماعية ربط الفرد ربطاً وثيقاً ببيئته الطبيعية ، وتوجيهه الى حسن استثمارها لأنها قوام حياته ، فقد جعل الله تعالى ما عليها من حيوان ونبات وتربة وماء وما في جوفها من معادن مسخرا لخدمته ومهيئا لفائدته اذا ما أحسن وسيلة استغلالها ، ووضع لنفسه ضوابط رشيدة وحكيمة في جني خيراتها ، وحفظ إمكاناتها وعدم إهدار عطائها .

ونبين فيما يلي بشيء من الايضاح العلاقة الرشيدة التي يجب ان تقوم بين الفرد والموجودات الضرورية لحياته في بيئته الطبيعية .

أولا : علاقة الفرد بالحيوان :

علاقة الفرد بالحيوانات يجب ان تقام على حسن استغلالها والاستفادة

---

(1) البخاري / جـ8 /ص 5
(2) مسلم / جـ 7/ص 3-4
(3) مسلم / جـ 6/ص 155

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بمنافعها ، وتسخير كل منها فيما يصلح له ويقدر عليه ، مع مراعاة رحمتها والرفق بها وذلك بإطعامها وسقيها وإراحتها ، ووقايتها وعلاجها من الأمراض وعدم تعذيبها بالضرب او تحميلها ما لا تطيق او المثلة بها ، وعدم لعنها او التحريش بينها او اتخاذها غرضا للهو .

وهذا ما أمرنا به رسول الله ﷺ ووجهنا اليه في سنته المطهرة : سنة الرحمة والخير الشامل لكل المخلوقات .

* قال تعالى :

﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ان ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون . ﴾[1]

* وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ :

« الراحمون يرحمهم الرحمان . ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »[2]

* وعن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :

« بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فاذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له» قالوا : يا رسول الله وان لنا في البهائم أجرا ؟ فقال : « في كل ذات كبد رطبة أجر. »[3]

---

(1) النحل/5 : 8

(2) الترمذي / جـ8 / ص 111 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

(3) البخارى/جـ8 / ص11

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

« اذا سافرتم في الخصب فأعطوا الأبل حظها من الأرض ، واذا سافرتم في السنة فأسرعوا عليها السير. »[1]

* وعن شداد بن أوس قال : ثنتان حفظتها عن رسول الله ﷺ قال :

« ان الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحدّ أحدكم شفرته فليرح ذبيحته . »[2]

* وعن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال :

« عذّبت امرأة في هرّة سجنتها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار ، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض . »[3]

* عن عمران بن حصين قال : بينما كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الانصار على ناقة فضجرت فلعنتها ، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : « خذوا ما عليها ودعوها فانها ملعونة. » قال عمران : فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد . »[4]

* وعن مجاهد ان النبي ﷺ :

« نهى عن التحريش بين البهائم . »[5]

* وعن جابر ان النبي ﷺ :

« نهى عن الوسم في الوجه . »[6]

---

(1) مسلم/جـ6 / ص 54
(2) مسلم/جـ6 / ص 72
(3) مسلم/جـ8 / ص 35
(4) مسلم/جـ8 / ص 23
(5) الترمذي/جـ7 / ص203 (وقال عنه حديث حسن صحيح)
(6) نفس المصدر السابق/ص203 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن ابن عباس ان النبي ﷺ قال :
« لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا . »[1]

* وعن جابر بن عبدالله يقول :
« نهى رسول الله ﷺ ان يقتل شيء من الدواب صبرا »[2]

ثانيا : علاقة الفرد بالنبات :

علاقة الفرد بالنبات من أشجار مثمرة وغير مثمرة وخضراوات وأعشاب يجب ان تكون علاقة حسن تنمية واستغلال لأن الله سبحانه وتعالى جعل النبات ضروريا لحفظ حياة الكائن البشري واستمرارها باعتباره من المصادر الأساسية لغذائه وغذاء حيواناته ولسكنه ، ولكثير من الأدوات والمعدات اللازمة له في حياته .

وقد وجهتنا السنة النبوية المطهرة الى ضرورة العناية بالنبات ، ورغبت في الاكثار من غرسه وتنميته ورعايته حرصا منها على ترسيخ العناية به لكونه من العناصر الضرورية لحياة الانسان المادية .

* قال تعالى :
﴿والتين والزيتون﴾[3]

* وقال تعالى :
﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾[4]

---

(1) مسلم/جـ6 /ص 73
(2) نفس المصدر السابق 73
(3) التين/1
(4) الأنعام/99

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال :

« ما من مسلم غرس غرسا فأكل منه انسان أو دابة إلاّ كان له صدقة . »[1]

* وقال رسول الله ﷺ :

« ان قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فان استطاع ان لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها . »[2]

* وقال ﷺ :

« النخل والشجر بركة على أهله وعلى عقبهم بعدهم اذا كانوا لله شاكرين . »[3]

ثالثا : علاقة الفرد بالمياه :

لا شك ان الماء ضروري لحياة الفرد إذ بدونه لا يستطيع العيش إلا لمدة قصيرة للغاية ، كما أن الماء ضروري للحيوان والنبات اللذين يعتبران مصدرين أساسيين لا غنى عنهما لحفظ حياة الانسان واستمرارها ، ولذلك كان من مقاصد التربية الاجتماعية الرئيسية تأكيد اهتمام الفرد وعنايته بالمحافظة التامة على المياه واستعمالها باعتدال ومراعاة عدم تبديدها وصونها من التلوث حتى لا تلحق اية اضرار به او بحيواناته أو بزراعته أو بأشجاره .

* قال تعالى :

﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا تؤمنون . ﴾[4]

---

(1) البخاري/جـ8/ص12

(2) المتقى/منتخب كنز العمال/جـ5 /ص388 (رواه ابو داود الطيالسي وأحمد في مسنده والبخاري في الأدب .)

(3) نفس المصدر السابق/387 (رواه الطبراني في الكبير عن : الحسن بن علي)

(4) الأنبياء/30

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال تعالى :

﴿فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾[1]

* وقال عزّ وجلّ :

﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء﴾[2]

* وقال تعالى :

﴿وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابة .﴾[3]

* وعن أنس قال :

« كان النبي ﷺ يتوضأ بالمدّ ، ويغتسل بالصاع الى خمسة أمداد . »[4]

* وعن عائشة قالت :

« كان رسول الله ﷺ يغتسل في القدح وهو الفرق ، وكنت أغتسل أنا وهو في الاناء الواحد . »[5]

* وعن جابر عن رسول الله ﷺ انه « نهى أن يبال في الماء الراكد . »[6]

الآداب الاجتماعية:

الآداب الاجتماعية الرفيعة ثمرة من ثمار التربية الصالحة، والخلق المحمود، والسلوك القويم، وهي أساس بناء العلاقات الاجتماعية الناجحة بين الأفراد وتقوية توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، خاصة عندما

---

(1) الحجر/22
(2) الأنعام/99
(3) البقرة/164
(4) مسلم/جـ ٣/ص 177
(5) نفس المصدر السابق/ص 176,175
(6) نفس المصدر السابق/ص162

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تنعكس في تصرفاتهم ومعاملاتهم اليومية، وتصبح طابعا راسخا في نفوسهم مبرءا من التكلف والزيف والخداع.

ونناقش فيما يلي، بشيء من التفصيل أهم الآداب الاجتماعية التي يجب أن يتحلى بها الفرد في حياته، وحتى يصبح عضوا صالحا وفعالا في مجتمعه.

أولا: آداب الأكل والشراب:

الأكل والشراب عنصران أساسيان لصحة الانسان وحفظ حياته خاصة عندما يراعى فيهما الاعتدال والاتزان، لأن أذية الاكثار منهما كأذية الانقاص منهما.

وتوجه السنة النبوية المطهرة الفرد المسلم الى جملة من الآداب المتعلقة بالأكل والشراب نذكر أهمها فيما يلي:

1- تسمية الله تعالى على الطعام، والأكل باليد اليمين، والأكل مما يليه.

* عن عمر بن أبي سلمة يقول: كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: « يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك. » فما زالت تلك طعمتي بعد. [1]

* وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال:
« اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله، فان نسي أن يذكر اسم الله في أوله، فليقل بسم الله أوله وآخره. »[2]

2- الاستواء في الجلوس عند الأكل، وعدم تناول الطعام متكئا.

* عن أبي جحيفة قال: كنت عند النبي ﷺ فقال لرجل عنده:

(1) البخاري / جـ 7 / ص 88
(2) أبو داود / جـ 3 / ص 407

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« لا آكل وأنا متكىء. »[1]

3- تصغير اللقمة واجادة مضغها.

* عن ابن كعب بن مالك عن ابيه قال:
« كان رسول الله ﷺ يأكل بثلاثة أصابع، ويلعق يده قبل أن يمسحها. »[2]

4- الاعتدال في تناول الطعام وعدم الاسراف في تناوله لضرره للصحة.

* عن مقدام بن معدي كرب قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فان كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه. »[3]

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ
« يأكل المسلم في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء. »[4]

5- عدم الاقران في الأكل مراعاة لقواعد اللياقة والتأدب وتجنبا لأذية من يتناول معه الطعام، ومحافظة على تصغير اللقمة حتى يسهل المضغ.

* عن عبد الله بن عمر كان يقول: لا تقارنوا، فان النبي ﷺ: « نهى عن القران. »[5]

6- عدم ذم الطعام والتأفف منه، وتناول ما يشتهيه.

* عن أبي هريرة قال: « ما عاب النبي ﷺ طعاما قط، ان اشتهاه أكله وان كرهه تركه. »[6]

---

(1) البخاري / جـ 7 / ص 93
(2) مسلم / جـ 6 / ص 114
(3) الترمذي / جـ 9 / ص 224 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)
(4) البخاري / جـ 7 / ص 93
(5) المصدر السابق / ص 104
(6) نفس المصدر السابق / ص 96

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

7- حمد الله تعالى وشكره على نعمه وآلائه بعد الفراغ من تناول الطعام.

* عن أبي أمامة أن النبي ﷺ كان اذا رفع مائدته قال:
« الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه، غير مكفيٍ ولا مودعٍ ولا مستغنى عنه ربنا. »[1]

8- تنظيف الفم والأسنان بعد الانتهاء من تناول الأكل حفاظاً على الصحة.

* عن سويد بن النعمان قال:« خرجنا مع رسول الله ﷺ الى خيبر، فلما كنا بالصهباء دعا بطعام فما أتي الا بسويق فأكلنا، فقام الى الصلاة فتمضمض ومضمضنا. »[2]

9- عدم التنفس في الاناء عند الشراب، أو الشرب من فم السقاء وما يماثله مراعاة لآداب اللياقة وقواعد الوقاية الصحية.

* عن أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ:
« اذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الاناء. »[3]

* عن أبي هريرة: « نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من فم القربة أو السقاء. »[4]

10- ادارة اناء الشراب على الجالسين الأيمن فالأيمن، وأن يكون الساقي آخر من يشرب.

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أتى بلبن قد شيب بماء، وعن يمينه أعرابي وعن شماله أبو بكر، فشرب ثم أعطى

---

(1) البخاري / جـ 7 / ص 106
(2) نفس المصدر السابق / ص 105
(3) نفس المصدر السابق / ص 146
(4) نفس المصدر السابق / ص 145

الأعرابي، وقال « الأيمن فالأيمن . »[1]

* وعن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال:
« ساقي القوم آخرهم شربا . »[2]

11- عدم استعمال أواني الذهب والفضة في الطعام والشراب.

* عن ابن أبي ليلى قال: خرجنا مع حذيفة، ذكر النبي ﷺ قال:
« لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تلبسوا الحرير والديباج، فانها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة . »[3]

12- حمد الله وشكره بعد الانتهاء من الشراب.

* عن ابن عباس: قال رسول الله ﷺ:
« من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه واطعمنا خيرا منه، ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه . »[4]

ثانيا: آداب اللباس والزينة:

اللباس نعمة من الله تعالى على عباده، هداهم اليها وأمرهم بها، وذلك حفظا لصحة أبدانهم، وسترا لعوراتهم وتجملا في حياتهم.

* قال تعالى:
﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد . ﴾[5]

* وقال عز وجل:
« يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سؤاتكم وريشا ولباس

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 144

(2) الترمذي / جـ 8 / ص 88,87 (وقال عنه حديث حسن صحيح)

(3) البخاري / جـ 7 / ص 146

(4) ابن سعد / جـ 1/ ص 397

(5) الأعراف / 31

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التقوى ذلك خير. ﴾ [1]

* وقال تعالى :

﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر، وسرابيل تقيكم بأسكم. ﴾[2]

وتوجه السنة النبوية الفرد المسلم الى جملة من آداب اللباس لا بد من مراعاتها صونا لخلقه الكريم وحماية لنفسه من أمراض الغرور والكبرياء والانحراف الخلقي ونذكر أهمها فيما يلي :

1- أن يعتني بانتقاء اللباس الذي يناسبه لأنه أساس مظهره الشخصي، وجعله مقبولا لدى الآخرين، ومحل احترامهم وتقديرهم.

« عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ **قال:**

« لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » قال رجل: ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال: « **ان الله جميل يحب الجمال**. الكبر: بطر الحق، وغمط الناس. »[3]

* وعن أبي الأحوص عن أبيه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فرآني سيء الهيئة، فقال النبي ﷺ: « هل لك من شيء ؟ قال نعم من كل المال قد آتاني الله. فقال: « اذا كان لك مال فلير عليك. » [4]

* وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ :

« ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده. »[5]

2- أن يعتني بنظافته الشخصية باستمرار، وذلك كنظافة شعره وجسده، وثيابه واستعمال الروائح الطيبة، وما اليها، حتى يكون مظهره نظيفا جميلا يقع لدى الآخرين موقع القبول والاحترام.

---

(1) الأعراف / 26

(2) النحل / 81

(3) مسلم / جـ 1 / ص 65

(4) النسائي / جـ 8 / ص 196

(5) الترمذي / جـ 10 / ص 10 / ص 259 (وقال عنه : حديث حسن)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن يحي بن سعيد: أن أبا قتادة الأنصاري قال لرسول الله ﷺ: إنَّ لي جمة أفأرجلها؟ فقال رسول الله ﷺ:
« نعم وأكرمها. »[1]

* وعن البراء يقول: « ما رأيت أحدا احسن في حلة حمراء من النبي ﷺ »[2]

* وعن محمد بن عليّ قال: سألت عائشة، أكان رسول الله ﷺ يتطيّب؟ قالت: نعم بذكارة الطيّب المسك والعنبر.[3]

3- التواضع في اللباس وعدم جعله وسيلة لاظهار الغرور والكبرياء والخيلاء والمباهاة.

* عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال:
« لا ينظر الله الى من جر ثوبه خيلاء »[4]

* وعن أبي هريرة يقول: قال النبي ﷺ: بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجل جمته اذ خسف الله به فهو يتجلل الى يوم القيامة. »[5]

4- عدم لبس الحرير الا لضرورة صحية.

* عن عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
« انما يلبس الحرير من لا خلاق له. »[6]

عن أبي عثمان قال: كنا مع عتبة فكتب اليه عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

---

(1) مالك / الموطأ / ص 676
(2) البخاري / جـ 7 / ص 207
(3) النسائي / جـ 8 / ص 151,150
(4) مسلم / جـ 6 / ص 146
(5) البخاري / جـ 7 / ص 183
(6) مسلم / جـ 6 / ص 140,139

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« لا يلبس الحرير في الدنيا الا لم يلبس في الآخرة منه. »[1]

* وعن قتادة أن أنس بن مالك أنبأهم أن رسول الله ﷺ: « رخص لعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام في القمص الحرير في السفر من حكة كانت بهما أو وجع كان بهما. »[2]

5- عدم استعمال الذهب في اللباس والزينة كالخواتم والقلائد والحلق والأسورة ونحوها الا للمرأة.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه:
« نهى عن خاتم الذهب. »[3]

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يلبس خاتما من ذهب فنبذه فقال: « لا ألبسه أبدا. » فنبذ الناس خواتيمهم.[4]

* وعن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ رأى خاتما من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه، وقال: « يعمد أحدكم الى جمرة من نار فيجعلها في يده. » فقيل للرجل: بعدما ذهب رسول الله ﷺ، خذ خاتمك انتفع به. قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ.[5]

6- أن يتجنب التشبه بالنساء في لباسهن وزينتهن وتصرفاتهن.

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:
« لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال. »[6]

---

(1) البخاري / جـ 7 / ص 193
(2) مسلم / جـ 6 / ص 143
(3) البخاري / جـ 7 / ص 200
(4) نفس المصدر السابق / ص 201
(5) مسلم / جـ 6 / ص 149
(6) البخاري / جـ 7 / ص 205

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن ابن عباس قال:

« لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال: أخرجوهم من بيوتكم. »[1]

7- مراعاة أن تكون الثياب ساترة للمفاتن ومواطن الاثارة وتجنب استعمال الملابس الشفافة أو الملتصقة بالبدن.

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

« صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس. **ونساء كاسيات عاريات** مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها. وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا. »[2]

8- البدء باليمين في ارتداء الثياب، والبدء بالشمال عند نزعها.

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ:

« يحب التيمن في طهوره، وترجله، وتنعله. »[3]

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

« اذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين، واذا نزع فليبدأ بالشمال، لتكن اليمنى أولهما تنعل وآخرهما تنزع »[4]

9- شكر الله تعالى وحمده على نعمة اللباس الجديد.

* عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ اذا استجد ثوبا سماه باسمه، عمامة أو قميصا أو رداء، ثم يقول:

« اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له،

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 205

(2) مسلم / جـ 6 / ص 168

(3) البخاري / جـ 7 / ص 199

(4) نفس المصدر السابق / ص 199

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له. »[1]

ثالثا: آداب التحية والسلام:

حسن التحية والسلام من العوامل الايجابية الفعالة التي تقوي أواصره المودة والتعاطف بين أفراد الجماعة، وتغرس في قلوبهم المحبة والتآلف وتعمق في نفوسهم التآخي والتكافل.

ولذلك فقد حثت السنة النبوية المطهرة الفرد على التحلي بآداب التحية والسلام حرصا منها على تمتين وشائج الأخوة الصادقة بين أفراد المجتمع الاسلامي، واتصافهم بالخلق الكريم، والسلوك القويم الذي يجعلهم قدوة لغيرهم من أبناء البشرية قاطبة.

* قال تعالى:
﴿ واذ حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها. »[2]

وفيما يلي نبين اهم آداب التحية والسلام التي ترشد السنة النبوية الفرد المسلم اليها:

1- وجوب التحية والسلام على جميع الأخوة في الدين، لأن السلام من الاسلام.

* عن عبد الله بن عمرو: أن رجلا سأل النبي ﷺ أي الاسلام خير؟ قال:
« تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف. »[3]

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(1) الترمذي / جـ 7 / ص 267
(2) النساء / 86
(3) البخاري / جـ 8/ ص 65

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم. »[1]

2- مراعاة أن يسلم الصغير على من هو أكبر منه سنا، احتراما له، وتقديرا لمقامه.

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:
« يسلم الصغير على الكبير. »[2]

3- مراعاة أن يسلم الراكب على الراجل، والمار على الجالس، وأن يسلم العدد القليل على العدد الكثير.

* عن أبي هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ:
« يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير »[3]

4- وجوب رد السلام على المسلم.

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
« خمس تجب للمسلم على أخيه المسلم: ردّ السلام، وتشميت العاطس، واجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز. »[4]

5- مصافحة المسلم ولقائه بالبشر وطلاقة الوجه، ومحادثته بالكلام الطيب.

* عن عطاء بن أبي مسلم عبد الله الخرساني قال: قال رسول الله ﷺ « تصافحوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء. »[5]

---

(1) مسلم / جـ 1 / ص 53
(2) البخاري جـ 8 / ص 64
(3) مسلم جـ 7 / ص 2
(4) مسلم / جـ 78 / ص 3
(5) مالك / الموطأ / ص 653

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ:
« ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يفترقا. »[3]

* عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ:
« لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق. »[4]

6- ابتداء المسلم بالسلام وخاصة بعد الخصام والهجران.

* عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال:
« لا يحل لرجل ان يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام. »[5]

7- السلام على الصبيان وذلك لترسيخ هذه التحية الاسلامية في نفوسهم كوسيلة للرباط الأخوي بالآخرين.

* عن أنس بن مالك ان رسول الله ﷺ:
« مرّ على غلمان فسلم عليهم. »[1]

8- اعتبار السلام، ورده، من حقوق الطريق ومواطن اللقاءات العامة.

* وذلك لأن رسول الله ﷺ جعل من بين حقوق الطريق:
« رد السلام »[2]

رابعا: آداب الجلوس:

يلتقي الفرد بالآخرين في مجالس مختلفة يتذاكرون فيها، ويتعلمون ويناقشون مختلف شؤون حياتهم.

---

(1) الترمذي / جـ 10 / ص 191 (وقال عنه: حديث حسن غريب)
(2) مسلم / جـ 8 / ص 37
(3) البخاري / جـ 8 / ص 63
(4) مسلم / جـ 7 / ص 5
(5) البخاري / جـ 8 / ص 63

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وللجلوس والمجالس آداب لا بد أن يتحلى بها الفرد حتى يتجنب ايذاء غيره، ويكون محل تقديرهم واحترامهم.

ومن أهم ما توجهنا اليه السنة النبوية المطهرة من آداب الجلوس والمجالس نذكر ما يلي:

1- مراعاة عدم اقامة الآخرين من مقاعدهم والجلوس فيها.

* عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال:
« لا يقيم الرجل الرجل من مقعده ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا. »[1]

2- احترام حق الآخرين في مقاعدهم والعودة اليها.

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

« اذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع اليه فهو أحق به. »[2]

3- عدم التفريق بين الجالسين، والقعود بينهم الا باذنهم.
* عن عبيد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال:

« لا يحل للرجل ان يفرق بين اثنين الا باذنهما. »[3]

4- جلوس المرء في مكانه الذي ينتهي اليه، وتجنب الجلوس وسط الحلقة.

* عن جابر بن سمرة قال: « كنا اذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا بحيث ينتهي. »[4]

* وعن حذيفة أن رسول الله ﷺ: « لعن من جلس وسط

---

(1) مسلم / جـ7 / ص 10
(2) مسلم / جـ 7 / ص 10
(3) الترمذي / جـ 10 / ص 211 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)
(4) أبو داود / جـ 4 / ص 405

الحلقة. »[1]

5- عدم الاستلقاء على الظهر ووضع أحد الرجلين على الأخرى تجنبا لايذاء الآخرين.

* عن جابر بن عبد الله، أن النبي ﷺ قال:

« لا يستلقين احدكم ثم يضع احدى رجليه على الأخرى. »[2]

6- عدم الاضطجاع على البطن لما فيه من منظر مزر، ولما يؤدي اليه من انطباع بالاستهانة بالجالسين.

* عن أبي هريرة قال:« رأى رسول الله ﷺ رجلا مضطجعا على بطنه فقال ان هذه ضجعة لا يحبها الله. »[3].

7- رد التثاؤب قدر المستطاع لما فيه من مظهر منفر للانسان.

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ:

« ان الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب، فاذا عطس فحمد الله، فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته، وأما التثاؤب فانما هو من الشيطان فليرده ما استطاع، فاذا قال: ها ضحك منه الشيطان. »[4]

8- مشاركة الحاضرين في الحديث، وعدم التناجي المنفرد مع أحدهم أو بعضهم منعا لظنون السوء.

* عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

« اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه. »[5]

---

(1) نفس المصدر السابق / ص 405
(2) مسلم / جـ 6 / ص 154
(3) الترمذي / جـ 10 / ص 222 (وقال عنه حديث حسن صحيح.)
(4) البخاري / جـ 8 / ص 61
(5) مسلم / جـ 7 / ص 13

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

9- التواضع في الجلوس والحديث والمعاملة.

* عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ:
« وما تواضع أحد لله الا رفعه الله. »[1]

10- الحرص على التحدث بالكلام الطيّب الخيّر الذي لا يؤذي الغير.

* عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:
« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت. »[2]

11- عدم اغتياب الآخرين، وايذائهم في كرامتهم وأعراضهم وسمعتهم، وتتبع عوراتهم وعيوبهم.

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

« أتدرون ما الغيبة » قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « ذكرك أخاك بما يكره. » قيل: أفرأيت ان كان في أخي ما أقول ـ قال: « ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وان لم يكن فيه فقد بهته. »[3]

12- حسن الخلق والحياء، وتجنب الفحش والبذاء في القول أو العمل.

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

« الحياء من الايمان والايمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار. »[4]

13- تجنب السباب والشتائم والتنابز بالألقاب بين الحاضرين.
* عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(1) مسلم / جـ 8 / ص 21
(2) مسلم / جـ 1 / ص 49
(3) مسلم / جـ 8 / ص 21
(4) الترمذي / جـ 8 / ص 171 (وقال عنه: حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر. »[1]

14- الحرص على الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واحترام الصغير للكبير، ورحمة الكبير للصغير.

* عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:
« ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر. »[2]

15- الحرص على عدم ايذاء الآخرين بأية روائح كريهة سواء كانت من الطعام أم من غيره.

* عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال:
« من أكل من هذه البقلة الثوم، وقال مرة من أكل من البصل والثوم والكرات، فلا يقربن مسجدنا، فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم. »[3]

16- التثبت في الحديث وتوضيح الأفكار والمعاني لافهام الآخرين، وحسن تبليغهم.

* عن أنس عن النبي ﷺ: «أنه كان اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه، واذا اتى علي قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا. »[4]

* وعن جابر بن عبد الله يقول: « كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل أو ترسيل. »[5]

17- حسن الانصات الى الآخرين احتراما لهم وحرصا على فهم ما

---

(1) مسلم / جـ 1 / ص 58
(2) الترمذي / جـ 8 / ص 109 (وقال عنه: حديث حسن غريب)
(3) مسلم / جـ 2 / ص 80
(4) البخاري / جـ 1 / ص 35
(5) ابو داود / جـ 4 / ص 408

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يطرحون من آراء وأفكار.

* عن جرير أن النبي ﷺ قال له في حجة الوداع: « استنصت الناس ». فقال:

« لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. »[1]

18- استغفار الله تعالى والتوبة اليه، وحمده والتسبيح باسمه عند مغادرة المجلس ليكفر المرء عما قد يكون ألم به من أخطاء وذنوب فيه:

* عن أبي برزة الأسلمي قال: كان رسول الله ﷺ يقول بأخرة اذا أراد أن يقوم من المجلس.

« سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا اله الا أنت، استغفرك وأتوب اليك. » فقال رجل: يا رسول الله انك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى. قال: « كفارة لما يكون في المجلس »[2]

خامساً: آداب الضيافة:

الضيافة من الوسائل التي تشيع المودة بين افراد الجماعة، وتقوي ترابطهم، وتمتن تآلفهم، ولها آداب لا بد من التحلي بها حتى تقود الى النتائج الايجابية في العلاقات الاجتماعية وتتجنب عوامل الاحراج والايذاء والمضايقة.

من أهم ما توجهنا اليه السنة النبوية المشرفة من آداب الضيافة نذكر ما يلي:

1- اعتبار أن اطعام الطعام، للاصدقاء والأخوة والمحتاجين عموما من كمال الاسلام، وتمام الايمان.

* عن عبد الله بن عمرو أن رجلا سأل النبي ﷺ: أي الاسلام خير؟ قال:

---

(1) البخاري / جـ 1 / ص 41

(2) ابو داود / جـ 4 / ص415

« تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف. »[1]

2- اعتبار أن اكرام الضيف، واكرام الجار من موجبات الايمان الصحيح.

* عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ:

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه. »[2]

3- مراعاة عدم التمييز في الضيافة بين الناس لفقر أو غنى، الا ان يتفاضلوا بالتقوى والاستقامة وحسن الخلق.

* عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

« شر الطعام طعام الوليمة يمنعها من يأتيها ويدعى اليها من يأباها، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله. »[3]

* وعن أبي هريرة أنه كان يقول:

« بئس الطعام طعام الوليمة يدعى اليه الأغنياء، ويترك المساكين. »[4]

* عن أبي سعيد انه سمع رسول الله ﷺ يقول:

« لا تصاحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقي. »[5]

---

(1) البخاري / جـ 8 / ص 65
(2) مسلم / جـ 1 / ص 49
(3) مسلم / / جـ 4 / ص 154
(4) نفس المصدر السابق / ص 153
(5) الترمذي / جـ 9 / ص 242 (وقال عنه حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

4- وجوب قبول دعوة الوليمة أو الضيافة، ولو على شيء قليل.

* عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:
« اذا دعي أحدكم الى الوليمة فليأتها. »[1]

* وعن ابن عمر كان يقول: عن النبي ﷺ:
« اذا دعا أحدكم أخاه فليجب: عرسا كان أو نحوه. »[2]

* وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:
« ائتوا الدعوة اذا دعيتم. »[3]

* وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:
« لو دعيت الى كراع لأجبت، ولو أهدي الي ذراع لقبلت »[4]

5- اذا اجتمع داعيان أو أكثر فعلى المدعو أن يستجيب الى جاره القريب أولا، أو الى السابق في دعوته لسواه.

* عن حميد بن عبد الرحمن الحميري عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال:
« اذا اجتمع الداعيان فأجب أقربهما بابا، فان اقربهما بابا أقربهما جوارا، وان سبق أحدهما فاجب الذي سبق »[5]

6- الصبر على الضيف وحسن اكرامه طيلة مدة ضيافته.

* عن أبي شريح العدوي قال: سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلم النبي ﷺ فقال: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته. » قال: وما

---

(1) البخاري / جـ 7 / ص 31
(2) مسلم / جـ4 / ص 152
(3) نفس المصدر السابق ص 152
(4) البخاري / جـ 7/ ص 32
(5) أبو داود / جـ 3 / ص 403

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جائزته يا رسول الله؟ قال: « يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه. » [1]

7- تهيئة ما يلزم الضيف من فراش وغطاء وغيرهما من وسائل الراحة طيلة مدة ضيافته.

* عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال له:

« فراش للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف. »[2]

8- مراعاة عدم الأثقال على المضيف، واطالة مدة المكث لديه تجنبا لاحراجه ومضايقته، وتقديرا لظروفه المعيشية.

* عنْ أبي شريح الكعبي أن رسول الله ﷺ قال:

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته: يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه. »[3]

9- أن يلقى المرء ضيفه بالبشر والترحاب، ويظهر له السرور وطلاقة الوجه، والا يسمعه الا الكلام الطيب، ولا يشكو له فاقة أو عوزا.

* عن أم هانيء بنت أبي طالب تقول: ذهبت الى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل، وفاطمة تستره بثوب، قالت: فسلمت. فقال: « من هذه؟ » قلت: أم هانيء. فقال: « مرحبا بأمّ هانيء »[4]

* عن جابر بن عبد الله. قال: قال رسول الله ﷺ:

« كل معروف صدقة، وان من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق،

---

(1) البخاري / جـ 8 / ص 13
(2) مسلم / جـ 6 / ص 146
(3) البخاري / جـ 8 / ص 39
(4) الترمذي / جـ 10 / ص 194 (وقال عنه حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وان تفرغ من دلوك في اناء أخيك. »[1]

* وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ :

« الكلمة الطيبة صدقة. »[2]

10- ألا يمن المرء باكرامه للاخرين واستضافته لهم، لأن المن يمحق الثواب، ويقطع علاقات الحسنى بين الناس.

* عن أبي ذرّ عن النبي ﷺ قال:

« ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان الذي لا يعطي شيئا الا منه، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل ازاره. »[3]

11- ألا يصحب الضيف معه احدا الا باذن المضيف أو صاحب الدعوة.

* عن أبي مسعود الأنصاري قال: كان رجل من الأنصار يقال له أبو شعيب، وكان له غلام لحام، فرأى رسول الله ﷺ فعرف في وجهه الجوع، فقال لغلامه: ويحك اصنع لنا طعاما لخمسة نفر فاني أريد أن أدعو النبي ﷺ خامس خمسة. قال: فصنع ثم أتى النبي ﷺ فدعاه خامس خمسة، واتبعهم رجل، فلما بلغ الباب، قال النبي ﷺ: « ان هذا اتبعنا فان شئت أن تأذن له، وان شئت رجع. » قال: لا بل آذن له يا رسول الله.[4]

---

(1) الترمذي / جـ 8 / ص 146 (وقال عنه حديث حسن)

(2) البخاري / جـ 8 / ص 14

(3) مسلم / جـ 1 / ص 71

(4) مسلم / جـ 6 / ص 116,115

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سادسا: آداب الزيارة:

الزيارة من العوامل الايجابية في تقوية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وتمتين ترابطهم، واشاعة المودة والتعاطف بينهم.

غير أن للزيارة آدابا لا بد من مراعاتها حتى تؤتي ثمارها الطيبة في التقريب بين النفوس، وتجنبها التنافر والتباعد.

وقد وضعت السنة النبوية المطهرة جملة من آداب الزيارة تجعل المخالطة بين الناس على أساس كريم من اللياقة والتأدب، وتقدير الظروف الخاصة ومراعاة الأوقات الملائمة للزيارات.

ونستعرض فيما يلي أهم آداب الزيارة في السنة النبوية:

1- مراعاة الاستئذان قبل آداء الزيارة، وعدم المجيء فجأة أو الدخول بغير اذن.

* قال تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكّرون ﴾[1]

* قال رسول الله ﷺ:

« اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع. »[2]

2- عدم اجالة البصر والتطلع الى ما في البيوت من عورات وعيوب،
* عن ابن شهاب أن سهل بن سعد الساعدي أخبره أن رجلا اطلع

---

(1) النور / 27

(2) البخاري / جـ 8 / ص 67

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في جحر في باب رسول الله ﷺ، ومع رسول الله ﷺ مدري يحك به رأسه، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: « لو أعلم أنك تنظرني لطعنت به في عينك. »[1]

وقال رسول الله ﷺ: « انما جعل الأذن من أجل البصر »[2]

3- أن يكون استئذان الزائر للدخول ثلاثا، فاذا اذن له دخل، واذا لم يجبه احد رجع، ولا يجوز له مطلقا اقتحام البيوت وانتهاك حرماتها، واذا قيل له ارجع فعليه أن يرجع، دون أن يضيق صدره، اذ أن للناس ظروفا خاصة يجب أن تقدر.

* قال تعالى:

﴿ فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم. ﴾[3]

* وعن أبي سعيد الخدري قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار اذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ: « اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » فقال: والله لتقيمن عليه ببينة، أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلّا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت وأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك.

4- مراعاة أن يسلم الزائر أولا ثم يطلب الاذن بالدخول بعد ذلك

* عن ربعي قال: حدثنا رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه « اخرج الى هذا

---

(1) مسلم / جـ 6 / ص 181,180

(2) النور / 28

(3) البخاري / جـ 8 / ص 67

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فعلمه الاستئذان، فقل له: قل السلام عليكم أأدخل. » فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فاذن له النبي ﷺ فدخل.[1]

5- أن يعرف الزائر باسمه وهويته عند طلب الاذن بالدخول، والا يقتصر على كلمة « أنا ».

* عن جابر بن عبد الله قال استأذنت على النبي ﷺ فقال: « من هذا » فقلت: أنا. فقال النبي ﷺ « أنا أنا » وزاد بعض الرواة في حديثهم « كأنه كره ذلك. »[2]

6- مراعاة اختيار الأوقات المناسبة لآداء الزيارة، وبعد أخذ الاذن اللازم لها، وتجنب أوقات الخلود الى الراحة اليومية الضرورية للناس، والتي لا يجوز فيها الدخول الا لمن لم يبلغوا الحلم وللخدم بعد الاستئذان.

* قال تعالى:
﴿ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء، ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوّافون عليكم بعضكم على بعض. ﴾[3]

أهداف التربية الاجتماعية

بعد أن بحثنا موضوع النمو الاجتماعي وخصائصه وأهم العوامل المؤثرة فيه وناقشنا موضوع العلاقات الاجتماعية بالتفصيل، واستعرضنا

---

(1) أبو داود / جـ 4 / ص 510
(2) مسلم / جـ 6 / ص 180
(3) النور / 58

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أهم الآداب الاجتماعية التي يجب ان يتحلى بها الفرد، نخلص الى ايراد أهم أهداف التربية الاجتماعية في السنة النبوية في ضوء الأحاديث الشريفة المتقدمة، وذلك على النحو التالي:

1- تمكين الفرد من استكمال نموه ونضجه الاجتماعي على النحو السليم الذي يكفل التوازن والاعتدال بين جميع جوانب شخصيته الانسانية.

2- تعميق شعور الفرد بالانتماء الاجتماعي، وذلك بتنمية احساسه بروح المسؤولية الاجتماعية منذ نشأته الأولى، وترسيخ دوره الايجابي الفعال في تطوير حياة الجماعة وتحسين مستواها.

3- الموازنة بين الاتجاه الفردي والاتجاه الاجتماعي للشخصية الانسانية دون افراط أو تفريط، أو تغليب جانب على آخر.

4- تكوين الفرد، كعضو صالح في الجماعة، يعمل لخيرها، ويشارك في اسعادها، ويصون دينها ونظامها الأخلاقي وتراثها الاجتماعي، ويساهم بفعالية في درء المخاطر المادية والمعنوية الى تهدد كيانها، وتستهدف سلامتها.

5- بناء العلاقات الاجتماعية السليمة بين الأفراد على أساس قوي من الالتزام الذاتي النابع من نفوسهم، والمستمد من القيم الروحية والفضائل الأخلاقية التي تحدد حقوقهم وواجباتهم ومسؤولياتهم تجاه بعضهم بعضا.

6- اكساب الأفراد الآداب الاجتماعية التي تقوي ترابطهم، وتمتن تعاطفهم، وترسخ تكافلهم، وتجعلهم أسرة واحدة يظللها الوئام والمودة والأمن وترفرف عليها السعادة والطمأنينة والهناء.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

● الفصل الثامن

الشخصية السوية المتكاملة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحثنا في الفصل السابق موضوع النمو الاجتماعي وخصائصه، وبينا أهم العوامل المؤثرة فيه، كما أوضحنا بشيء من التفصيل موضوع العلاقات الاجتماعية، واستعرضنا موضوع علاقة الفرد بالبيئة الطبيعية، وبينا موضوع الآداب الاجتماعية، ثم أبرزنا في خاتمة الفصل أهم أهداف التربية الاجتماعية في السنة النبوية.

ونتناول في هذا الفصل بالدراسة والتحليل موضوع الشخصية، فنبين تعريفها والمقصود بها، ونوضح أهم العوامل المؤثرة في الشخصية وتكوينها، كما نبحث موضوع التوازن بين القوى والاستعدادات الانسانية وأهميته في بناء الشخصية ونبرز أهمية وفعالية الاستهداء بكمال شخصية النبي الأكرم ﷺ في تكوين الشخصية المتكاملة، ونخلص بعد ذلك الى ابراز أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في الانسان الصالح.

الشخصية: تعريفها والمقصود بها:

كثيرا ما نستعمل في حياتنا اليومية كلمة «الشخصية» ووصفها بالايجابية أو السلبية، وبالقوة أو الضعف، وبالتكامل أو النقص، وذلك كوسيلة لابراز حكمنا الأخلاقي والاجتماعي على شخص ما، ويترتب على ذلك موقفنا منه من حيث القبول أو النفور، والاحترام أو الاحتقار.

فعندما نقول ان فلانا ذو شخصية بارزة أو رائعة أو سوية، أو منبسطة أو محببة، انما نعبر عن مشاعر التقدير والمودة والاعزاز لهذا

الشخص، والعكس صحيح ولا شك أننا لا نكوّن المشاعر والعواطف الايجابية تجاه شخص ما الا اذا كان بناء شخصيته الخلقي والاجتماعي والعلمي قد تم وفق المعايير الروحية والخلقية والثقافية والاجتماعية التي تسود جماعته، وتحكم تصرفات اعضائها وتحدد اتجاهاتهم السلوكية.

ولا نغالي اذا قلنا ان الشخصية الانسانية انما هي « محصلة » أو نتاج للتربية الروحية والعقلية والوجدانية والاخلاقية والاجتماعية والجسدية التي تتم على نحو سوي ومتكامل ورشيد، وفق ما أوضحنا في الفصول السابقة، منذ مهد الوليد البشري وحتى اكتمال نضجه العقلي والعاطفي، وتحمله لمسؤولية الاختيار والحرية والارادة في اكتساب المواقف واتخاذ الاتجاهات المختلفة التي يتفاعل معها في شتى نواحي الحياة، ويتأثر بها ويؤثر فيها.

ولمزيد من تعريف الشخصية والمقصود بها نذكر أن المعنى اللغوي للشخصية مشتق من فعل شخّص. فنقول شخّص الشيء: أي عيّنه وميّزه عما سواه، ويتضمن المعنى التربوي نفس ما يشير اليه المعنوي اللغوي من « تميز » اذ أن كل فرد له شخصية تتميز عما سواها من الشخصيات الأخرى، بسلوك معين وتصرفات معينة، ومزاج معين، وتفكير معين، وقدرة ومواقف واتجاهات معينة، وان كانت تشترك مع غيرها من الشخصيات في سمات وملامح وقواسم مشتركة يقتضيها النظام التربوي السائد في البيئة الاجتماعية التي تطبع أفرادها بطابع خاص يميزهم عن غيرهم من أفراد البيئات الاجتماعية الأخرى.

وتشير تعاريف علم النفس للشخصية الى هذه المعاني التي تميز شخصية انسانية عن أخرى، وتحدد اتجاهاتها السلوكية، وتحكم قدرتها على التكيف مع بيئتها المادية والاجتماعية، اذ أنه « يقصد بالشخصية ذلك النظام الكامل من النزعات الثابتة نسبياً: الجسمية والنفسية التي تميز فردا معينا، والتي تقرر الأساليب المميزة لتكيفه مع بيئته المادية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والاجتماعية.»[1]

ولا بد أن نشير الى أن عناصر تكوين الشخصية ليست منفصلة ولا يمكن أن تتجزأ الا في مجال الدراسة النظرية، وانما هي وحدة واحدة متكاملة متفاعلة نشطة، تؤثر في سلوك الفرد ومواقفه واتجاهاته، وتصدر عنها استجاباته ونزعاته وتأثيره وتأثره على نحو متحد ومتكامل.

والسنة النبوية المطهرة لا تعارض هذا الاتجاه في تحليل الشخصية الانسانية وتعريفها، بغية فهم أبعادها، وادراك العوامل المؤثرة فيها، حتى يتم تكوينها وبناؤها على أساس سوي ومتكامل، بل تشير في تضميناتها التربوية المختلفة الى اختلاف الأفراد من حيث تكوين شخصياتهم وتفاضلهم وتمايزهم، وتؤكد مسؤولية الانسان عن بناء شخصيته بناء سويا بالتحكم في نزعاتها ومواقفها واتجاهاتها وتصحيح عيوبها ونواقصها وتقويم أخطائها واعوجاجها، واصلاح سلوكها وأخلاقها بما يجعله يحيا حياة سعيدة نقية صافية من كل أكدار نفسية، وانحرافات اخلاقية، وشرور سلوكية.

* قال تعالى:

﴿ انّ سعيكم لشتى ﴾[2]

* وقال عز وجل:

﴿ وان ليس للانسان الا ما سعى ﴾[3]

* وقال تعالى:

﴿ كل امرىء بما كسب رهين ﴾[4]

* وقال تعالى:

﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين. ﴾[5]

---

(1) د. احمد زكي صالح/علم النفس التربوي/ص 47

(2) الليل/4

(3) النجم/ 39

(4) الطور/ 21

(5) الروم/22

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن عليّ قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال:

« ما منكم من نفس الا وقد علم منزلها من الجنة والنار. » قالوا: يا رسول الله، فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: « لا. اعملوا فكل ميسر لما خلق له »[1]

* وعن أبي هريرة بحديث يرفعه قال:

« الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. »[2]

العوامل المؤثرة في الشخصية وتكوينها :

هناك العديد من العوامل المؤثرة في الشخصية ، وفي كيفية تشكيلها ، وتكوينها وبناء عناصرها ، غير أنه من الممكن ان نجملها في ثلاثة عوامل رئيسية هي : العوامل الذاتية ، والعوامل البيئية ، وعامل الارادة الذاتية والتقويم الذاتي .

وفيما يلي نستعرض بشيء من الايضاح هذه العوامل كلاً على حدة .

أولاً : العوامل الذاتية :

ونقصد بها تلك العوامل المرتبطة بذات الفرد : كحالة نموه الجسمي من حيث القوة والضعف وحالته الصحية من حيث العافية والمرض أو السلامة والنقص وقدراته واستعداداته الفطرية الموروثة ، ومزاجه النفسي وعواطفه وانفعالاته وتحصيله العلمي والثقافي وخبراته وتجاربه ومهاراته ، وميوله ومواهبه وعاداته ونحو ذلك .

---

(1) مسلم/ جـ8 / ص47

(2) مسلم/ جـ8 / ص 42،41

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا شك أن هذه العوامل هامة للغاية في تكوين الشخصية الانسانية والتأثير فيها على مدى الحياة ، فهي تجعل لها سمات وملامح خاصة تميزها عن غيرها من جهة ، وهي تؤثر في قدرتها على التلاؤم والتكيف واتخاذ المواقف والاتجاهات المختلفة من جهة اخرى .

وقد رأينا في الاحاديث المتقدمة في الفصول السابقة ، ان السنة النبوية تولي عناية كبيرة للعوامل الذاتية لتأثيرها الشديد في بناء الشخصية، ويمكن ان نورد بعض الشواهد المؤيدة لذلك .

فالسنة النبوية ، اقراراً منها لتأثير النمو الجسمي والحالة الصحية أو المرضية في بناء الشخصية ، تدعو الى الاهتمام بالحالة الجسمية من حيث الغذاء والراحة والترويج حتى يشب الفرد سليماً معافى .

* عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ :

« يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ » .

قلت : بلى يا رسول الله : قال : « فلا تفعل ، صم ، وأفطر ، وقم ونم ، فان لجسدك عليك حقاً ، وان لعينك عليك حقاً ، وان لزوجك عليك حقاً . »[1]

ودعت الى حماية الجسم من الأمراض والعلل ، والاسراع بعلاجها اذا اصابته .

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« لا توردوا الممرض على المصحّ . »[2]

* وعن جابر عن رسول الله ﷺ انه قال :

« لكل داء دواء ، فاذا أصيب دواء الداء برأ باذن الله عز وجل . »[3]

---

(1) البخاري / جـ 7 / ص 41,40

(2) نفس المصدر السابق/ص 180,179

(3) مسلم/جـ7 /ص 21

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ووجهتنا السنة النبوية الى تنمية الاستعدادات والقدرات والميول والمواهب الفطرية الموروثة بالعلم والتحصيل حتى تصل الى أقصى حد ممكن من الجودة والاتقان .

* عن أبي هريرة قال :قال رسول الله ﷺ :

« من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً تسهّل الله له طريقاً الى الجنة . »[1]

* وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ :

« لا حسد الّا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلّطه على هلكته في الحق، وآخر أتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها. »[2]

كما وجهت السنة النبوية الفرد الى تنمية مهاراته وكفاياته عن طريق الخبرة والتجربة والممارسة ، والاستفادة بذلك في بناء شخصيته بناء سليماً ، وتقويم اتجاهاته في الحياة .

* عن أبي سعيد الخدري قال :قال رسول الله ﷺ :

« لا حليم الا ذو عثرة ، ولا حكيم الا ذو تجربة . »[3]

* وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين . »[4]

* ودعت السنة النبوية الى تزكية الروح وترقية النفس ، وتنقية القلب بالتحكم في العواطف وضبط الانفعالات ، وتقويم النزعات حتى لا يقع المرء في ما يسبب له التعاسة والشقاء نتيجة لاحساسه بالذنب وشعوره بالندم .

---

(1) الترمذي / جـ10 / ص115 (وقال عنه : حديث حسن)

(2) البخاري / جـ9 / ص 78

(3) الترمذي / جـ8 / ص186 (وقال عنه : حديث حسن غريب)

(4) مسلم / جـ8 / ص 227

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :
« المجاهد من جاهد نفسه . »[1]

* وعن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :
« ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »[2]

ووجهت السنة النبوية الفرد الذي يعاني من نقص أو عجز أو عيب ما الى التكيّف معه ، وقبول قضاء الله تعالى به ، حتى لا يكون مصدراً لتعكير صفو حياته ، وتنغيص عيشه ، وخلخلة شخصيته دون ان يستطيع الفكاك منه .

* عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال :
« اذا نظر أحدكم الى من فضّل عليه في المال والخلق ، فلينظر الى من هو أسفل منه »[3]

وأوجبت السنة النبوية المطهرة عدم احتقار الفرد المصاب بعاهة او علة جسمية معينة ، وتعييره بها ، والشماتة فيه باصابته بها ، لأن هذه المعاملة السيئة القاسية تهز شخصيته ، وتلحق بنفسه الأذى والضرر ، وتعرقل توازنه العاطفي والانفعالي وتدفعه الى الانطواء والهروب ، أو التمرد والعصيان .

* قال تعالى :
﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساءعسى أن يكنّ خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك

---

(1) الترمذي/جـ7 /ص123 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(2) مسلم/جـ8 /ص30
(3) البخاري/8/ص128

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هم الظالمون . ﴾[1]

* وعن أبي هريرة قال :قال رسول الله ﷺ :

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى ها هنا ويشير الى صدره ثلاث مرات . بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . »[2]

* وعن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله ﷺ :

« لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك . »[3]

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« ربّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه . »[4]

هذه بعض الشواهد التي تؤكد اهتمام السنة النبوية بالعوامل الذاتية المؤثرة في بناء الشخصية وتكوينها ، واكتمال توازنها واعتدالها ، بما يحقق للفرد الحياة السوية الهانئة التي ينشدها .

ثانياً : العوامل البيئية :

ونقصد بها العوامل والظروف الاجتماعية الخارجية التي تؤثر في تكوين شخصية الفرد وبناءاتجاهاتها ، وتحقيق توازنها واعتدالها ، واهم هذه العوامل : الاسرة ، والمجتمع ، ويمكن ان نبرز فيما يلي بشيء من الايضاح أهم تأثير كلّ منها على الشخصية الانسانية .

1 ـ الأسرة :

لا شك أن للأسرة التأثير الأول والخطير على حياة الفرد الانساني

---

(1) الحجرات/11

(2) مسلم/جـ8 /ص11،10

(3) الترمذي/جـ9 /ص312 (وقال عنه : حديث حسن غريب)

(4) مسلم/جـ8 /ص36

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ورسم ملامح شخصيته منذ فجر حياته الأولى، واستمرار تأثيرها عليه حتى عند بلوغه سن النضج والاكتمال ولو بطريقة لا شعورية نتيجة لما يترسب في نفسه - عن طريق الامتصاص والتشرب - من قيم ومثل وعادات واتجاهات اخلاقية و جتماعية ...

ولذلك كان أسلوب المعاملة التربوية في الأسرة أكثر الأساليب خطورة وتأثيراً في نفسية الناشئين وتكوين شخصياتهم المستقبلية.

وقد أبرزت السنة النبوية دور الأسرة ومسؤوليتها الأساسية في تكوين الشخصية الانسانية ودعت الى حمل هذه المسؤولية بحقها وعلى الوجه الصحيح حتى تتكون أجيال جديدة سوية متزنة وصالحة.

* عن أبي هريرة أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ:
ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء »[1]

* وقال رسول الله ﷺ :
« حق الولد على والده أن يحسن اسمه، ويحسن موضعه ويحسن أدبه . »[2]

ووجهت السنة النبوية الاسرة الى ان تكون معاملتها التربوية للناشئين مبنية على الرحمة والعطف والرفق والعدل متجنبة للقسوة والعنف، وللتدليل والميوعة حتى لا تخلق لديهم شخصيات عدوانية متمردة أو شخصيات سلبية انطوائية.

* عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ :
« ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقّر كبيرنا، ويأمر بالمعروف وينهِ

---

(1) مسلم/جـ8 /ص52
(2) المتقى/منتخب كنز العمال/جـ6 /ص429,428 (رواه البيهقي في شعب الايمان عن: عائشة)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن المنكر. »[1]

* وعن عائشة عن النبي ﷺ :

« ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ، ولا ينزع من شيء إلاّ شانه . »[2]

* وعن عائشة ان رسول الله ﷺ قال :

« ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه . »[3]

* وعن النعمان بن بشير أن أباه نحل إبنًا له غلاماً فأتى النبي ﷺ يشهده ، فقال : « أكلّ ولدك نحلته مثل ما نحلت هذا ؟ » قال لا . قال : « فأردده »[4]

2 ـ المجتمع :

لا ريب أن شخصية الفرد تتأثر بأخلاق أقرانه وأترابه الذين يشاركونه في الحياة التعليمية أو العلمية ، أو النشاط الترويحي ، كما تتأثر بما يسود المجتمع من قيم ومثل ومبادىء اخلاقية واجتماعية ، وبما ينتشر فيه من عادات وتقاليد واتجاهات مختلفة .

وليس من قبيل المبالغة ان نذكر أن كل مجتمع يسم أفراده بطابع خاص يميزهم عن غيرهم من افراد المجتمعات الاخرى ، ويتبدى ذلك في تكوينهم الشخصي وسلوكهم الخلقي ، واستجاباتهم لمختلف المواقف التي تواجههم في حياتهم .

---

(1) الترمذي/جـ8 /ص109 (وقال عنه : حديث حسن غريب)
(2) مسلم/جـ8 /ص 22
(3) نفس المصدر السابق/ص22
(4) الترمذي/جـ6 /ص127,126 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبقدر ما يكون المجتمع صالحاً وخيّراً ومحافظاً على العقيدة والاخلاق بقدر ما تكون شخصيات اعضائه سوية ومتزنة ومتكاملة ، وبقدر ما يكون المجتمع طالحاً وفاسداً ومتحللاً من القيم الدينية والخلقية بقدر ما تكون شخصيات اعضائه مفككة مهزوزة جانحة عن طريق الهدى والصواب ، وهو ما يعود على المجتمع بالدمار والخراب .

وقد ركزت السنة النبوية على دور المجتمع الخطير في بناء شخصيات افراده ، ودعته الى الحرص على ان يكون مجتمع هدى وخير وصلاح ، قوامه التراحم والتوادد والتعاطف ، وعماده الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتناصح بالحق والصدق ، حتى يشب جيله الناشىء سوياً متزناً سليماً من العلل العقلية والاضطرابات النفسية ، ومحصناً ضد الضلالات العقائدية والانحرافات الخلقية والاجتماعية .

* عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ :
« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى . »[1]

* وعن تميم الداري أن النبي ﷺ قال :

« الدين النصيحة . » قلنا لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . »[2]

* عن اليمان عن النبي ﷺ قال :
« والذي نفسي بيده لتأمرّن بالمعروف ولتنهوّن عن المنكر أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً ثم تدعونه فلا يستجاب لكم . »[3]

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

---

(1) مسلم/جـ8 /ص 20
(2) مسلم/جـ1 /ص 53
(3) الترمذي/جـ9 /ص17 (وقال عنه : حديث حسن)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« اياكم والجلوس في الطرقات . » فقالوا : يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها . فقال : « اذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقّه . » قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله .

قال : « غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . »[1]

* وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال :

« إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما أن تجد ريحاً طيبة ، ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد ريحاً خبيثة . »[2]

ثالثاً : عامل الارادة الذاتية والتقويم الذاتي :

يرتبط هذا العامل بالعوامل الذاتية ، الا أننا أفردناه في فقرة خاصة ابرازاً لأهميته من جهة، ولكونه يظهر عند اكتمال النضج العقلي والنفسي لدى الفرد من جهة اخرى ، وتصبح مسؤولية الفرد الذاتية واردة في تقويم اخطائه واصلاح عيوبه ، وسد اوجه نقصه ، حتى يبني شخصيته على دعائم قوية وسليمة ، ويجابه اعباء حياته بارادة قوية وعزيمة ثابتة تمكنه من حسن التكيف والتفاعل والاستجابة واتخاذ المواقف والاتجاهات الصحيحة حيال كل المشاكل والمعوقات والعراقيل ، فلا يفقد اتزانه العقلي ، ولا يختل توازنه النفسي ، ولا تنهار شخصيته امام أبسط العقبات والمصاعب .

وقد حثت السنة النبوية الفرد على تقوية ارادته ، وشحذ عزيمته ورفع همته ، والحرص على كل ما ينفعه ويصلح شأنه ، وتحمل مسؤولياته في الحياة بقوة وصلابة ، وتكوين مناعة ذاتية ضد الضعف والخور ، وصون النفس من التقليد والانسياق الأعمى وراء الآخرين والتأثر بسلوكهم وأفعالهم ولو كانت طالحة .

---

(1) البخاري/جـ8/ص 63

(2) مسلم/جـ8 /ص 38,37

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير . احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز . »[1]

* وعن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تكونوا إمَّعة تقولون ان أحسن الناس أحسنّاً وان ظلموا ظلمنا . ولكن وطنوا انفسكم ان أحسن الناس ان تحسنوا وان أساؤا فلا تظلموا . »[2]

وعن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال :

« مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير في هذه مرة وفي هذه مرة ، لا تدري أيّهما تتبع . »[3]

التوازن بين القوى والاستعدادات الانسانية

يعتمد بناء الشخصية أساساً على مدى التوازن بين القوى والاستعدادات الانسانية المادية والمعنوية، والفطرية والمكتسبة، وكل خلل يلحق بها أو ببعضها يؤثر تأثراً سلبياً في تشكيل الشخصية ككل متكامل، ويسبب لها الاضطراب والاهتزاز وعدم الاستقرار والثبات، وهو ما يجعلها غير قادرة على التكيف مع مشاكل الحياة، وغير مستعدة لتحمل المصاعب والشدائد وغير مؤهلة لمجابهة المتاعب والأزمات التي تكتنف ظروف حياة الكائن البشري منذ مهده الى لحده، وهو ما يؤدي بالتالي الى ان تكون شخصيته سلبية هروبية لا نفع يرجى منها للفرد أو الجماعة أو شخصية عدوانية مدمرة تلحق بالفرد والجماعة معاً افدح الأضرار.

وقد أولت السنة النبوية المطهرة عناية فائقة للتوازن بين مختلف قوى

---

(1) مسلم/جـ8 /ص 56

(2) الترمذي/جـ8 /ص170 (وقال عنه : حديث حسن غريب) .

(3) النسائي/جـ8 /ص 124

واستعدادات الانسان، استشعاراً منها لأهمية وخطورة هذا التوازن في تكوين شخصيته وبنائها، وتأثيره الشديد فيها ايجاباً أو سلباً، قوة أو ضعفاً، اعتدالاً أو خللاً.

ولذلك أمرت السنة النبوية باقامة دعائم الحياة البشرية على ميزان الاعتدال والتكامل فلا افراط في جانب على حساب غيره، ولا تفريط في جانب لأجل سواه، ولا تعطيل لقدرة، ولا كبت لاستعداد، ولا اماتة لملكة، ولا احتقار لغريزة، ولا خنق لرغبة، بل اشباع مشروع متزن، وتكامل منسجم، بين شتى قوى الانسان واستعداداته: الموروثة والمكتسبة، الروحية والعاطفية، العقلية والجسدية، وفق ما تقتضيه فطرة الله تعالى التي فطر الانسان عليها، وطبيعته البشرية التي خصه بها روحاً ومادة، وعقلاً وعاطفة.

* قال تعالى:

﴿ وأبتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا ﴾[1]

* وقال تعالى:

﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين. قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق. ﴾[2]

وقال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة **فأسعوا الى ذكر الله وذروا البيع** ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون. فإذا قضيت

---

(1) القصص/77

(2) الاعراف/23,31

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . ﴾[1]

وقال رسول الله ﷺ :

« ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً ، فان الدنيا بلاغ الى الآخرة . »[2]

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال احدهم : أما أنا فاني اصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : انا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، اما والله إني لاخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنّي اصوم وافطر ، واصلي وارقد ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني . »[3]

* وعن عبدالله بن عمرو بن العاص : قال : قال رسول الله ﷺ :

« يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ » قلت : بلى يا رسول الله . قال : « فلا تفعل ، صم وأفطر ، وقم ونم ، فان لجسدك عليك حقا ، وان لعينك عليك حق ، وان لزوجك عليك حقا ؟ »[4]

التكامل بين الجانب الفردي والجانب الاجتماعي للشخصية :

لا شك ان الفرد لا يحيا بمعزل عن الآخرين ، فهو حيوان اجتماعي بالطبع ، ولا تستقيم له حياة إلّا داخل جماعة يرتبط افرادها بروابط

---

(1) الجمعة / 10,9

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ1 / ص196 (رواه ابن عساكر عن : أنس)

(3) البخاري / جـ7 / ص 2

(4) البخاري / جـ7 / ص 41,40

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومصالح واهداف مشتركة تجعلهم يتظافرون ويتلاحمون، كل حسب قدرته واستطاعته ، على تحقيقها ، مع حرصهم على حماية كيان جماعتهم ، وصون تماسكها لأن في تقوضها واضمحلالها ذهاب ريحهم وضياعهم ودمار حياتهم .

ولا يمكن للشخصية الانسانية ان تتكامل وتعتدل وتتوازن إلّا إذا تم التكامل الايجابي المنسجم بين فردية الانسان واجتماعيته ، اي المواءمة بين مطالبه واحتياجاته كفرد ، وبين مطالب واحتياجات الجماعة كاطار بشري ضروري يعيش فيه . وبمعنى آخر لا تسعد شخصية الانسان وتسلم من الهزات والاضطرابات والخلل ، الا باحترام كيان الانسان كفرد ، واعداده ليكون عضواً صالحاً في الجماعة .

وقد اهتمت السنة النبوية المطهرة حرصاً منها على بناء الشخصية السوية المتزنة، على احداث التكامل بين الجانب الفردي والجانب الاجتماعي للشخصية الانسانية .

فقد كرمت الانسان ، كفرد ، ودعت الى احترام كيانه ، وتقديره واعلاء شأنه.

* قال تعالى :
﴿ واذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة . . ﴾[1]

*وقال عز وجل :
﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيّبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا . ﴾[2]

* وقال تعالى :

---

(1) البقرة/30
(2) الاسراء/ 70

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات . ﴾[1]

* وعن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله اخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا ويشير الى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه. »[2]

* عن أنس عن النبي ﷺ قال :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . »[3]

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله من أكرم الناس ؟ قال : « أتقاهم . »[4]

ومع تكريم السنة النبوية للانسان كفرد ذي كيان مستقل عن غيره من الأفراد فهي تنظر اليه كعضو في الجماعة لا بد ان يقوم بواجباته وتكاليفه تجاهها بكل صدق وامانة والتزام ،ووفق قدراته وامكانياته المتاحة ، يتجنب اذاها والحاق الضرر بها ، ويعينها على الخير ، ويقوّي تماسكها ، ويحمي عقيدتها ، ويصون أخلاقها ويحس بأنه مرتبط بها ارتباطاً عضوياً في سرائها وضرائها ، وسعادتها وشقائها ، ورخائها وشدتها .

* عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله أيّ الاسلام أفضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده . »[5]

---

(1) الانعام/ 165

(2) مسلم/جـ8 /ص 11،10

(3) البخاري/جـ1 /ص 10

(4) البخاري/جـ4 /ص 216

(5) البخاري/جـ1 /ص 10

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن جرير بن عبدالله قال : بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة ، فلقنني : « فيما استطعت والنصح لكم مسلم . »[1]

* وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« حق المسلم على المسلم ست . » قيل : ما هن يا رسول الله ؟ قال : « اذا لقيته فسلم عليه ، واذا دعاك فأجبه واذا استنصحك فأنصح له واذا عطس فحمد الله فسمّته ، واذا مرض فعده ، واذا مات فأتّبعه . »[2]

* وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :
« لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم . »[3]

* وعن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ :
« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً . »[4]

* وعن النعمان بن بشير قال :

قال رسول الله ﷺ : « المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسهر . »[5]

الاستهداء بكمال شخصية الرسول ﷺ في تكوين الشخصية السوية المتكاملة

لقد كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى للكمال الانساني ،والقدوة المثلى

---

(1) النسائي / جـ7 / ص 152
(2) مسلم / جـ7 / ص3
(3) مسلم / جـ1 / ص 53
(4) مسلم / جـ8 / ص20
(5) نفس المصدر السابق / ص20

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للبشرية قاطبة ، جمع القيم الروحية والفضائل الخلقية كلها ، ولا غرو فقد أدبه ربه تعالى فأحسن تأديبه ، وعصمه من الدنايا والخطايا والشرور ، وحلّاه بالصفات الحميدة التي كانت عنوانا على شخصية سويةمتكاملة متزنة ، تضيئها الأنوار الربانية ، وتتفجر من جنباتها العظمة الانسانية في كمال وجلال لا يدانى .

* قال تعالى :

﴿وإنّك لعلى خلق عظيم . ﴾[1]

* وقال عز وجل :

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لأنفضوا من حولك. ﴾[2]

ويظل رسولنا الأكرم ﷺ دوماً بما خلّفه لنا من سيرة عطرة ، وسنة خالدة ، وتعاليم رشيدة ، وتوجيهات سديدة ، ودعوة قويمة نبراساً حياً نستضيء به في حياتنا ، ونستهدي به في تزكية أرواحنا وتهذيب نفوسنا ، وترقية أخلاقنا وتنمية عقولنا وترويض أبداننا وصولا الى اقامة شخصياتنا على دعائم الهداية والاتزان والاعتدال والتكامل والانسجام بين جميع جوانبها ، حتى تكون قادرة على حفظ العقيدة وصون الاخلاق ، وحمل مسؤ وليات الحياة ،النقية الصافية مهما تقلبت الظروف واضطربت الأحوال في عصر مادي تسوده الاغراءات التحللية ، ويغمره بريق اللذائذ الزائلة والمتع الآنية .

ولذلك فقد أمرنا الله تعالى بالاستهداء برسوله الخاتم الأمين عليه أفضل الصلاة والتسليم ، والاقتداء بسيرته ، واستلهام المثل والقيم والفضائل والخيرات من خصاله الكاملة ، بما يحفظ لنا ديننا الذي هو

---

(1) القلم/4

(2) آل عمران/159

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عصمة أمرنا ودنيانا التي فيها معاشنا وآخرتنا التي فيها معادنا ، في توازن واعتدال دقيقين ، وفي غير افراط أو تفريط .

* قال تعالى :

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا. ﴾[1]

* وقال عز وجل :

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . ﴾[2]

واذا كنا قد اوردنا في الفصول السابقةكثيراً من الأحاديث الشريفة التي تنبىءعن عظمة الرسول ﷺ ، وتبرز خلقه الكريم ، وكماله الانساني العظيم ، الا انه يجدر بنا ابرازاً للجانب التطبيقي في حياة الرسول ﷺ التي ارتبط فيها القول بالفعل ، والتوجيه بالممارسة ، والنظر بالتطبيق ان نستعرض بعض الشواهد الدالة على كمال صفاته وخصاله واخلاقه ، بما كان يمارسه فعلا في حياته العطرة وسيرته الشريفة .

أولاً : صفاته :

لقد جعل الله سبحانه وتعالى لرسوله الخاتم ﷺ ، صفات شخصية مثالية لا تتكرر ، فقد كان بارع الجمال متكامل البدن ، متناسق الأطراف ، في روعة وبهاء وجلال ، ليس فيه عيب ظاهر او خفي ، لا تمتلىء العين الناظرة اليه من حسنه وجماله وكماله .

وهذه الصفات الكاملة التي خصه الله تعالى بها جاء ذكرها على لسان كثير من الصحابة الذين عايشوا رسول ﷺ ، ويمكننا ان نورد بعضها

---

(1) الاحزاب/21

(2) التوبة/128

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للاستشهاد وليس للحصر ، فقد روى الامام مسلم في صحيحه عن بعض الصحابة ما يلي :[1]

* عن أبي الطّفيل :« كان أبيض مليح الوجه . » « كان أبيض مليحاً مقصداً . (اي لا بجسيم ولا نحيف ولا طويل ولا قصير .)

* وعن أنس بن مالك : « كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولابالقصير، وليس بالأبيض الأمهق (اي البياض الذي لا تخالطه حمرة كالجص) ولا بالآدم (اي الأسمر) ولا بالجعد القطط (الشديد الجعودة كالشعر الزنجي) ولا بالسّبط (اي المرسل الناعم كشعر الروم .)

* وعن جابر بن سمرة قال : كان رسول الله ﷺ ضليع الفم (اي عظيم الفم وتمدحه العرب وكان لا بالصغير الحقير ولا بالكبير غير الحسن) اشكل العين (في بياض عينيه حمرة يسيرة وهي محمودة) منهوس العقب (قليل لحم العقب) .

* وعن البراء : « كان رسول الله ﷺ رجلاً مربوعاً بعيد ما بين المنكبين ، عظيم الجمّة الى شحمة اذنيه . . » .

* وعن البراء : « كان رسول الله ﷺ احسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير . » .

ولا شك ان الله تعالى خص رسوله ﷺ بجمال « الخلقة » لتكون شخصيته كاملة في جميع جوانبها، ولتشع على من حولها بالنور والهداية والكمال والجمال والهيبة و الجلال ، وتصبح قدوة مثلى ، واسوة تحتذى من قبل كافة اتباع الدعوة المحمدية .

وقد زان رسول الله ﷺ ما زوده الله تعالى به من كمال خلقي وجمال بدني ، بالطهارة والنظافة والتطيب وحسن اللّباس والمظهر ، وهذا ما يجب

---

(1) انظر صحيح مسلم / جـ7 / ص 83 : 87

ان نقتدي به في اضفاء الصورة الحسنة على شخصياتنا واصلاح عيوبنا الجسدية بالعناية بمظهرنا الشخصي ، وهو ما حثنا عليه رسول الله ﷺ في تعاليمه وتوجيهاته .

* عن البراء يقول : « كان رسول الله ﷺ رجلاً مربوعاً بعيد ما بين المنكبين ، عظيم الجمة الى شحمة اذنيه ، عليه حلّة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه ﷺ . »[1]

* وعن جابر بن عبد الله :

« كان رسول الله ﷺ ، يلبس برده الأحمر في العيدين والجمعة . »[2]

* وعن عائشة قالت : « كنت أطيّب النبي ﷺ بأطيب ما يجد ، حتى أجد وبيص الطيب في رأسه ولحيته . »[3]

* وعن ابي الأحوص عن ابيه قال : دخلت على رسول الله ﷺ ، فرآني سيّء الهيئة ، فقال ﷺ :

« هل لك من شئ ؟ » قال : نعم من كلّ المال قد آتاني الله . فقال : « اذا كان لك مال فلير عليك. »[4]

* وعن عائشة ان النبي ﷺ : « كان لا يرقد ليلاً ولا نهاراً فيستيقظ الا تسّوك قبل أن يتوضأ . »[5]

* وعن خالد بن معدان قال : « كان رسول الله ﷺ يسافر بالسّواك . »[6]

---

(1) مسلم/جـ7 /ص 83
(2) ابن سعد/ الطبقات الكبرى /جـ1 /ص 451
(3) البخاري/جـ7 /ص 211,210
(4) النسائي/جـ8 /ص 196
(5) ابن سعد/الطبقات الكبرى/جـ1 /ص 483
(6) نفس المصدر السابق/ص483

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وعن خالد بن معدان : « كان رسول الله ﷺ يسافر بالمشط والمرآة والدهن والسواك والكحل . »[1]

* وعن انس بن مالك قال : « كان رسول الله ﷺ يكثر دهن رأسه ويسرّح لحيته بالماء . »[2]

* وعن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال :

« لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . »

قال رجل : ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة . قال : « ان الله جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق، وغمط الناس . »[3]

ثانياً : خلقه :

كان رسول الله ﷺ أعظم الناس ، واكمل الناس ، وأحسن الناس خلقاً في قوله وفعله ، ومعاملته وعشرته .

قال تعالى :

﴿وانك لعلى خلق عظيم . ﴾[4]

* وعن يزيد بن باموسى قال : قلنا لعائشة : يا أم المؤمنين كيف كان خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت :

« كان خلق رسول الله ﷺ القرآن . » ثم قالت : اقرأ قد أفلح المؤمنون الى العشر ، حتى بلغ العشر ، فقالت : « هكذا كان خلق رسول الله ﷺ . »[5]

---

(1) نفس المصدر السابق/ص484
(2) نفس المصدر السابق/ص 484
(3) مسلم/جـ1 /ص 65
(4) القلم/4
(5) البيهقي/دلائل النبوة/ص 231

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وهذه الآيات البينات التي تحدد ملامح خلق الرسول ﷺ هي :

قال تعالى :

﴿قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . واللذين هم لفروجهم حافظون . إلاّ على أزواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى غير ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . ﴾[1]

* وعن ابي الدرداء قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : « كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ، ويسخط لسخطه . »[2]

* وعن أنس بن مالك قال : « خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، والله ما قال لي : أفا قط ، ولا قال لي لشيء لم فعلت كذا ، وهلاّ فعلت كذا . »[3]

* وعن انس بن مالك قال : « كان رسول الله ﷺ احسن الناس خلقاً . »[4]

ثالثاً : حلمه وعفوه :

كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى في الحلم والعفووالصفح والتسامح يتبع السيئة الحسنة ، حتى ملك قلوب الكفّار ، وجذبها الى نور الايمان ، فامتلأت بحبه واجلاله بعد ان كانت تتفجر عليه حقداً وتتميز غضبا .

* سئلت عائشةعن خلق النبي ﷺ فقالت :

« كان أحسن الناس خلقاً . لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، ولا صخّاباً

---

(1) المؤمنون/1 : 10

(2) البيهقي/دلائل النبوة/ص 231

(3) مسلم/جـ7 /ص 37

(4) نفس المصدر السابق/ص74

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في الأسواق ، ولا يجزي السيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح . »[1]

* وعن انس بن مالك قال : كنت امشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه اعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة ، قال انس : حتى نظرت الى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثّرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد ، مرلي من مال الله الذي عندك : « فالتفت اليه فضحك ، ثم امر له بعطاء . »[2]

رابعاً : رحمته :

كان رسول الله ﷺ منبع الرحمة والعطف والرفق بالنسبة لكافة اتباع رسالته الخاتمة لا يفرّق بين قريب وبعيد او كبير وصغير ، او رجل وامرأة ، بل شملت رحمته الواسعة التي اودعها الله تعالى في قلبه العظيم حتى الآخرين من بني آدم من غير المسلمين ، وحتى المخلوقات الاخرى غير البشر .

* عن انس بن مالك قال : « ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ . »[3]

* وعن أبي هريرة: أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ﷺ يقبّل الحسن، فقال: ان لي عشرة من الولد ما قبّلت واحدا منهم. فقال رسول الله ﷺ: « انه من لا يرحم لا يرحم »[4]

* وعن انس بن مالك قال : كانت ام سليم مع نساءالنبي ﷺ ،

---

(1) ابن سعد/الطبقات الكبرى/جـ1 /ص 365
(2) البخاري/جـ8 /ص 29
(3) مسلم/جـ7 /ص 76
(4) مسلم/جـ7 /ص 77

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهنّ يسوق بهنّ سوّاق ، فقال نبي الله ﷺ : « أي انجشه رويداً سوقك بالقوارير . »[1]

* وعن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ :

« الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء . »[2]

رابعاً : شفقته :

كان رسول الله ﷺ غاية في الشفقة على امته ، يخشى عليها من الضلالة ، ويخاف عليها من غضب الله تعالى ، ويدعو لها بالهداية والسداد ، حتى انه كان يبكي من اجلها شفقة وعطفاً وحنوّا .

* عن عبدالله بن عمرو بن العاص : ان النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في ابراهيم : « رب انهنّ أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فانه مني . . الآية . وقال عيسى عليه السلام : « ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » . فرفع يديه ، وقال : « اللهم امتي امتي وبكى . » فقال الله عز وجل : يا جبريل اذهب الى محمد ، وربك اعلم ، فسله ما يبكيك . فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله ، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ، وهو اعلم ، فقال الله : يا جبريل اذهب الى محمد فقل : انّا سنرضيك في امتك ولا نسؤك . »[3]

خامساً : تواضعه :

كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى في خلق التواضع الكريم بالرغم من انه كان اكمل خلق الله ، واعظم خلق الله ، واعز خلق الله ، واحبّ خلق الله الى الله .

---

(1) نفس المصدر السابق/ص 79

(2) الترمذي/جـ8 /ص111 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

(3) مسلم/جـ1 /ص 132

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* كان رسول الله ﷺ يقول :
« آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد »[1]

* عن انس بن مالك قال :
« كانت الامة من اماء اهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت . »[2]

* وعن أنس : « ان النبي ﷺ كان يركب الحمار ، ويردف بعده ، ويجيب دعوة المملوك . »[3]

* وعن انس : ان النبي ﷺ بعثه ، فقعد مع صبيان فجاء النبي ﷺ : « فسلّم على الصبيان . »[4]

سادساً : قناعته :

كان رسول الله ﷺ يقنع بالقليل من الشراب والطعام والفراش والغطاء وغير ذلك من مطالب الحياة بالرغم من ان الله تعالى قد جمع له كل اسباب النعيم الدنيوي .

* عن عائشة قالت : « كان فراش رسول الله ﷺ من أدم وحشوه ليف . »[5]

* وعن عائشة ان النبي ﷺ اذن لعمر بن الخطاب وهو : « راقد ليس بينه وبين الأرض إلّا حصير ، وقد أثّر بجنبه ، وتحت رأسه وسادة من أدم محشوة ليفاً . »[6]

---

(1) ابن سعد/ الطبقات الكبرى /جـ1 /ص 381
(2) البخاري/ جـ8 /ص 24
(3) ابن سعد/ الطبقات الكبرى/جـ1 /ص 370
(4) نفس المصدر السابق/ص 382
(5) البخاري/ جـ8 /ص 121
(6) ابن سعد/ الطبقات الكبرى/جـ1 /ص 465

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان يأتي علينا الشّهر ما نوقد فيه ناراً ، إنّما هو التمر والماء إلاّ أن نؤتى باللّحيم . »[1]

* وعن انس بن مالك قال :
« فما اعلم النبي ﷺ رأى رغيفاً مرقّقاً حتى لحق بالله ، ولا رأى شاة سميطاً بعينه قط . »[2]

سادساً : أدبه :

لقد كان رسول الله ﷺ مثالاً حياً في الأدب الكريم والسلوك القويم ، ولا عجب فقد ادبه ربه فأحسن تأديبه ، واثنى عليه من عليائه قائلا :

﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾

* وعن انس بن مالك :
« كان رسول الله ﷺ اذا لقيه الرجل فصافحه لم ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها ، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه ، ولم ير رسول الله ﷺ مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له قط . »[3]

وكان رسول الله ﷺ يبدأ على غيره بالسلام ، كباراً كانوا ام صغاراً ، أحراراً كانوا أم عبيداً .

ثامناً : معاملته :

كانت معاملة الرسول ﷺ لأهله ولغيرهم من المسلمين معاملةكريمة تنبني على اللين والعطف والرفق والحنان والشفقة والتسامح والتبسط والدعابة والعون والمساعدة .

---

(1) البخاري / جـ8 / ص 121
(2) نفس المصدر السابق / ص 121
(3) ابن سعد / الطبقات الكبرى / جـ1 / ص 378

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن انس بن مالك ان اعرابياً بال في المسجد ، فقاموا اليه ، فقال رسول الله ﷺ :« لا تزرموه » . ثم دعا بدلو من ماء فصبّ عليه . »[1]

سئلت عائشة رضي الله عنها : كيف كان الرسول ﷺ اذا خلا في بيته فقالت :

« كان ألين الناس وأكرم الناس ، وكان رجلاً من رجالكم إلاّ أنه كان ضحاكاً بساماً . »[2]

* وعن الأسود قال : سألت عائشة : ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله ؟ قالت : « كان في مهنة أهله »[3]

* وعن انس بن مالك رضي الله عنه يقول : ان كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير : « يا أبا عمير ما فعل النّغير . »[4]

* وعن انس بن مالك قال : « كان رسول الله ﷺ من أفكه النّاس مع صبي . »[5]

* وعن البراء رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه . »[6]

تاسعاً : حياؤه :

كان رسول الله ﷺ شديد الحياء ، كأنه العذراء في خدرها ، عن عفة نفس وطهارة قلب ، وسلامة طوية ، وصفاء نية ، بهداية ربانية ، والتزام ذاتي في خلق عظيم ، وطبعٍ كريم ، وسلوك قويم ، يرتفع به

---

(1) البخاري / جـ 8 / ص 14
(2) ابن سعد / الطبقات الكبرى / جـ 1 / ص 365
(3) البخاري / جـ 8 / ص 17
(4) نفس المصدر السابق / ص 37
(5) البيهقي / دلائل النبوة / ص 246
(6) البخاري / جـ 4 / ص 31

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن النقائص والصغائر وليس عن خجل واحتشام لنقص أو لضعف ، وحاشاه فقد جعله الله تعالى رمز الكمال الانساني منذ أن خلق البشرية الى ان يجمعها لديه في ميقات يوم معلوم .

* عن أبي سعيد الخدّري يقول :

« كان رسول الله ﷺ أشدّ حياء من العذراء في خدرها ، وكان اذا كره شيئاً عرفناه في وجهه . »(1)

* وعن مسروق قال: دخلنا على عبد الله بن عمرو حين قدم مع معاوية الى الكوفة ، فذكر رسول الله ﷺ ، فقال :
« لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً . »(2)

وكان رسول الله ﷺ ، لحيائه الرفيع ، لا يقهقه أو يضحك بصوت عال ، بل كان جلّ ضحكه التبسم الذي يدل على الكمال والهيبة والجلال .

* عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة أكنت تجالس رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، كثيراً . « كان لا يقوم من مصلّاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس ، فاذا طلعت قام ، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ، ويتبسّم ﷺ . »(3)

عاشراً : وفاؤه :

كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى في خلق الوفاء وحفظ المودة والمحبة والعهد . وقد حدث ، حينما افتتح مكة ، ان قام على الصفاء يدعو الله تعالى ، وقد احدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم : اترون رسول الله ﷺ

---

(1) مسلم / جـ 7 / ص 78
(2) البخاري / جـ 8 / ص 15
(3) مسلم / جـ7 / ص 78

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اذ فتح الله عليه ارضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : « ماذا قلتم ؟ » قالوا : ، لا شيء يا رسول الله ، فلم يزل بهم حتى اخبروه ، فقال النبي ﷺ : « معاذ الله ، المحيا محياكم والممات مماتكم . »[1]

انه درس انساني رائع في خلق الوفاء العظيم يظل على الدوام مصدر هداية ، ومنبع اقتداء ، ومناط احتذاء .

احد عشر : جوده :

كان رسول الله ﷺ غاية في الجود والكرم والعطاء كالريح المرسلة ، يعطي كل سائل ، ويكرم كل طالب ، وكأنّ ماله الخاص ملك للطالبين والسائلين والمحتاجين والمعوزين والبائسين .

* عن ابن عباس قال : « كان رسول الله ﷺ اجود الناس بالخير . »[2]

* وعن موسى بن انس عن ابيه قال : ما سئل رسول الله ﷺ على الاسلام شيئاً إلّا أعطاه ، قال فجاء رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال : يا قوم أسلموا فان محمدا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة .[3]

اثنا عشر : شجاعته :

كان رسول الله ﷺ المثل الاعلى في الشجاعة والاقدام ، والتضحية والفداء ، يتقدم حين يدبر القوم ، ويحتمي به حين يحمّر البأس ، ويعلن عن نفسه ليعرفه الاعداء غير هياب ولا خائف .

---

(1) ابن اسحاق المطلبي / سيرة النبي ﷺ / جـ 3 / ص 873
(2) مسلم / جـ 7 / ص 73
(3) نفس المصدر السابق / ص 74

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال البراء واصفاً شجاعة رسول الله ﷺ :

« كنا والله اذا احمّر البأس نتقي به ، وان الشجاع منا للذى يحاذي به . »[1]

* وعن انس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وكان اجود الناس ، وكان اشجع الناس ، ولقد فزع اهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً ، وقد سبقهم الى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عري ، في عنقه السيف ، وهو يقول : « لم تراعوا ، لم تراعوا »[2]

* وكان ﷺ في غزوة حنين ، وقد حمي الوطيس ، يكشف عن نفسه في اقدام وشجاعة متناهيين ، وهو على بغلته البيضاء ويقول :

« أنا النبي لا كذب = انا ابن عبد المطلب »[3]

ثلاث عشر : عدله

كان رسول الله ﷺ المثل الحيّ في العدل والانصاف ولو على نفسه الشريفة ، فقد اعطى القود من نفسه حتى يغرس قيمة العدل في قلوب الصحابة ويربيهم عليها لأنها قوام الحياة الصالحة النقية للفرد والجماعة ، ولأنها اساس العلاقات الايجابية البناءة بين الافراد والمجتمعات .

* عن عمر انه قال :

« رأيت رسول الله ﷺ يعطي القود من نفسه »[4]

* عن عطاء :

« ان رسول الله ﷺ اقاد من خدش من نفسه »[5]

---

(1) مسلم / جـ 5 / ص 168
(2) مسلم / جـ 7 / ص 72
(3) مسلم / جـ 5 / ص 168
(4) ابن سعد / الطبقات الكبرى / جـ 1 / ص 374
(5) نفس المصدر السابق / ص 375

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اربع عشر : صبره

لقد كان رسول الله ﷺ مضرب الأمثال في قوة الصبر وشدة الاحتمال وضبط النفس ، في تسامح وصفح وعفو ، وليس في حقد وبغض ومكر .

* عن الأعمش قال: سمعت شقيقاً يقول : قال عبدالله : قسم النبي ﷺ قسمة كبعض ما كان يقسم ، فقال رجل من الأنصار : والله انها لقسمة ما اريد بها وجه الله . أمّا أنا لأقولن للنبي ﷺ ، فأتيته ، وهو في اصحابه فساررته ، فشقّ ذلك على النبي ﷺ ، وتغيّر وجهه وغضب ، حتى وددت أنّي لم أكن اخبرته ، ثم قال :

« لقد اوذي موسى بأكثر من ذلك فصبر »[1]

خمس عشر : اصلاحه :

كان رسول الله ﷺ الاسوة الحسنة في الاصلاح بين الناس ، وتصفية خلافاتهم ، ورأب صدعهم ، وجمع قلوبهم ، ليعودوا اخواناً احباء يعيشون في وئام وسلام وطمأنينة .

* عن سهل بن سعد رضي الله عنه ان اهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله ﷺ بذلك ، فقال :

« اذهبوا بنا نصلح بينهم »[2]

ستّ عشر : توكّله :

كان رسول الله ﷺ شديد اليقين بالله تعالى ، عظيم التوكل عليه والاعتصام بحبله المتين ، واثقاً في نصره وتأييده ومطمئناً الى رعايته وعنايته .

---

(1) البخاري / جـ 8 / ص 31

(2) البخاري / جـ 3 / ص240

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* عن جابر بن عبد الله قال : غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد ، فأدركنارسول الله ﷺ في واد كثير العضاه ، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلّق سيفه بغصن من اغصانها ، قال : وتفرّق الناس في الوادي يستظلون بالشجر ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « ان رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت ، وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلاّ والسيف صلتاً في يده ، فقال لي : من يمنعك مني ؟ قال : قلت الله . ثم قال في الثانية : من يمنعك مني ؟ قال قلت : الله . قال فشام السيف ، فها هو ذا جالس . » ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ ـ[1]

تلك بعض الشواهد القليلة اوردناها للتدليل على كمال شخصية النبي ﷺ وعظمتها واتزانها واعتدالها وترابط جوانبها المتعددة وانسجامها كأنها عقد من الدّر الفريد ، لكل حبة فيه جمال ، ولتكامل حياته جمال وكمال لا يدانيهما شيء .

لقد كان سيدنا محمد ﷺ مثالاً للكمال الانساني : « تسع نفسه ما بين الأرض وسمائها ، وتجمع الانسانية بمعانيها واسمائها ، كان في صلته بالسماء كأنه ملك من الأملاك ، وفي صلته بالأرض كأنه فلك من الأفلاك ، وما خص محمد بتلك الصفات الا ليملأ بها الوجود ويعمه ، ولا كان فردا في اخلاقه الا لتكون من اخلاقه روح امة . »[2]

ولا ريب ان نجاح الدعوة المحمدية كان بتأييد من الله عز وجل ونصر منه ، الا ان هذا التأييد الالهي لا يمنع مطلقا تأثير الخصائص والكفايات الشخصية الايجابية للرسول ﷺ في هدي الناس ، وكسب قلوبهم ، حتى انهم كانوا يتسابقون للتضحية بمهجهم واهلهم واموالهم حبّاً لله ولرسوله ﷺ ، وصدق الله تعالى في قوله :

---

(1) مسلم / جـ 7 / ص 62

(2) د. بكري شيخ أمين / أدب الحديث النبوي / ص 100

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿الله اعلم حيث يجعل رسالته﴾[1]

ولقد كان الرسول ﷺ بكمال كفاياته وخصائصه وميزاته الشخصية الفريدة : « الأسوة الحسنة لاصحابه عليهم رضوان الله في حياته المباركة ، وبقي الاسوة الحسنة لاتباعه بعد التحاقه بالرفيق الأعلى ، ولا يزال الاسوة الحسنة للمسلمين في كل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها . »[2]

وصدق الله تعالى في قوله :

﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً .﴾[3]

وليس لنا من سبيل لاعادة صياغة حياتنا على اساس قويم يقودنا الى الفلاح في عصرنا المادي الغاشم ، وليس لنا من وسيلة لبناء شخصيات اجيالنا الناشئة على دعائم الهدى والتقى ، والعفاف والاستقامة ، والخير والصلاح ، إلّا بالاهتداء بكمال شخصية نبينا الخاتم ﷺ والسير على منهجها ومنوالها والاقتداء بكمالها وجلالها ، لان فيها من اوجه العظمة والكمال والكفاية ما يمكن ان يجد فيه كافة الناس ، على اختلاف اصنافهم وتمايز شخصياتهم ، قدوة حسنة ، ومثالاً يحتذى ، في حياتهم اذا ما ارادوا بلوغ المثل الأعلى .

صفات الانسان الصالح :

ان التربية المستمدة من تعاليم الرسول ﷺ وتوجيهاته الرشيدة ، والمستقاة من سنته الشريفة وسيرته العطرة ، والمستهدية بكمال شخصيته

---

(1) الانعام / 124

(2) محمود شيت خطاب / ومضات من نور المصطفى ﷺ / ص 59

(3) الأحزاب / 21

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الانسانية ، لا بد انْ تعطي اينع الثمار في خلق « الانسان الصالح » الذي يفيد نفسه ، وينفع مجتمعه ، ويكون عنصر بناء وخير وفلاح ، بالتزام ذاتي واحساس نابع من النفس بتبعات وتكاليف مسؤولياته الفردية والاجتماعية وفق ما توجبه عليه عقيدته وخلقه وانتماؤه وانسانيته .

وقد تفلح كثير من النظريات والفلسفات التربوية القديمة والحديثة في خلق الفرد الصالح أو المواطن الصالح، ولكنها لا تداني التربية المحمدية في خلق « الانسان الصالح » وشتان ما بينها وبين التربية المحمدية، فقد يكون شخص ما فردا صالحا أو مواطنا صالحا في مجتمع ما في زمان وفي مكان ما، ولكنه لا يبلغ مرتبة « الانسان الصالح » الذي يعد نموذجا في كل المجتمعات والأمكنة والأزمنة، أما التربية المحمدية، النابعة من الهدى الرباني والمحققة للكمال الانساني، فهي وحدها قد أفلحت بتعاليمها وتوجيهاتها، وبتطبيقات رسولها الخاتم ﷺ معلم البشرية ومنقذ الانسانية في وضع ملامح وصفات ومقاييس النموذج الحي للانسان الصالح في كل زمان ومكان.

ومن خلال ما تقدم بحثه من مواضيع التربية الجسمية والتربية الروحية والتربية العقلية والتربية الوجدانية والتربية الاخلاقية والتربية الاجتماعية ، والشواهد التي سقناها من آي الذكر الحكيم ، وسنة رسوله الخاتم عليه افضل الصلاة والتسليم ، ومن خلال الاستهداء والاستنارة بكمال شخصية الرسول ﷺ ، والاقتداء بكفاياته وخصائصه الشخصية الرائعة ، يمكننا ان نحدد اهم الصفات التي يجب توفرها في الانسان الصالح ، والتي تعتبر معياراً سليماً نقيس به مدى فلاح مناهجنا التربوية وتحقيقها لاهدافها وغاياتها الايجابية ، وذلك فيما يلي :

الصفة الاولى : ان يكون مؤمنا بالله تعالى وبربوبيته لكل الخلائق موحداً له مخلصاً في عبوديته ، لا يشرك به شيئا، متوكلاً عليه ، موقناً بأنه وحده مالك امره ، والذي بيده نفعه وضره .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وان يؤمن بملائكته وكتبه ورسله ، لا يفرق بينهم ، وان محمدا ﷺ وهو خاتمهم اجمعين ، جاء بالرسالة الكاملة المصدقة لما بين يديها والمهيمنة عليها .

* قال تعالى :

﴿انني أنا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري . ﴾[1]

وقال تعالى :

﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . ﴾[2]

* وقال رسول الله ﷺ ، في تعريف الايمان :

« ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . »[3]

* وقال رسول الله ﷺ في تعريف الاسلام :

« الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلاً »[4]

الصفحة الثانية: ان يكون تقياً، حيياً، عفيفاً، ورعاً، منزّهاً لنفسه عن الدنايا والمعاصي والخبائث، مرتفعاً بها عن الخطايا والفواحش والخسائس.

قال تعالى:

﴿ ان أكرمكم عند الله أتقاكم . ﴾[5]

---

(1) طه / 14
(2) الأحزاب / 40
(3) مسلم / جـ 1 / ص 29
(4) نفس المصدر السابق / ص 29
(5) الحجرات / 13

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال تعالى :

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم .﴾[1]

* وسئل رسول الله ﷺ : من أكرم الناس ؟ فقال : « اتقاهم »[2]

* وقال رسول الله ﷺ :

« الحياة من الايمان والايمان في الجنة . »[3]

الصفة الثالثة : ان يكون قوياً عزيزاً شجاعاً مقداماً ، واثقاً في الله تعالى ، معتداً بنفسه ، لا يهن ولا يحزن ، ولا يعجز ولا يتقاعس ، حريصاً على كل ما ينفعه ، يبذل الجهد المتوالي في صبر وقوة واحتمال ، لا يجعل للفشل والهزيمة طريقاً الى قلبه .

* قال تعالى :

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين .﴾[4]

* وقال رسول الله ﷺ :

« المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز . »[5]

الصفة الرابعة :

أن يكون رحيماً ، عطوفاً ، شفوقاً ، رقيقاً في معاملاته وعلاقاته بأهله وأقاربه ، وأفراد جماعته ، وأفراد البشرية جمعاء وسائر المخلوقات .

---

(1) النور / 30
(2) البخاري / جـ 4 / ص 216
(3) الترمذي / جـ 8 / ص 171 (وقال عنه حديث حسن صحيح)
(4) آل عمران / 139
(5) مسلم / جـ 8 / ص 56

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال تعالى :

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك . .﴾[1]

* وقال رسول الله ﷺ :

« الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »[2]

* وقال عليه الصلاة والسلام :

« من يحرم الرفق يُحرم الخير »[3]

الصفة الخامسة :

أن يكون حليماً ، عفوّاً ، متسامحاً ، يتجاوز ويصفح عند المقدرة ويتبع السيئة الحسنة تمحها ، ويكسب قلوب الآخرين بنبل سلوكه وحسن أخلاقه .

* قال تعالى :

﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾[4]

وقال :

﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾[5]

* وقال رسول الله ﷺ :

« اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن . »[6]

---

(1) آل عمران / 159
(2) الترمذي / جـ 8/ص 111 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(3) مسلم / جـ 8/ص 22
(4) فصلت / 34
(5) النحل / 125
(6) الترمذي / جـ 8/ص 155 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وقال رسول الله ﷺ :
« وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا . »[1]

الصفة السادسة :

أن يكون متواضعاً في غير مذلة ، لا يستعلي ولا يستكبر ، ولا يغتر ولا يتجبر ، ولا يتعاظم على الآخرين ، ينظر اليهم نظرة الاستعلاء ، ويمشي امامهم مشية الخيلاء ، مصعرا خده لهم ، وكأنه من غير طينتهم ، فالكبرياء والعظمة لله تعالى وحده ملك الملوك ، والمحيي والمميت ، وليست لسواه من خلقه الزائلين .

* قالى تعالى :
﴿ولا تصعّر خدك للناس ولا تمشِ في الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور﴾[2]

* وقال عزّ وجلّ :
﴿ولا تمشِ في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾[3]

* وقال رسول الله ﷺ :
« وما تواضع احد لله إلا رفعه الله »[4]

* وقال رسول الله ﷺ :
« لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر »[5]

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 21
(2) لقمان / 18
(3) الاسراء / 37
(4) مسلم / جـ 8/ص 21
(5) مسلم / جـ 1/ص 65

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصفة السابعة :

أن يكون ذا ارادة قوية ، شاعراً بالمسؤولية متحملاً لتبعاتها معتداً بنفسه ، لا ينساق وراء غيره في تقليد أعمى ، وبغير تثبت وإدراك .

* قال تعالى :

﴿كل امرىء بما كسب رهين﴾[1]

* وقال عزّ وجلّ :

﴿بل الانسان على نفسه بصيرة﴾[2]

* وقال رسول الله ﷺ :

« لا تكونوا إمّعة تقولون ان أحسن الناس أحسنّا وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطّنوا أنفسكم ان أحسن الناس ان تحسنوا وان أساؤا فلا تظلموا »[3]

الصفة الثامنة :

ان يكون باراً بوالديه ، مراعياً لحقوقهما ، محسناً لصحبتهما مطيعاً لهما في غير معصية ، وواصلاً لرحمه معينا لذوي قرباه .

* قال تعالى :

﴿وقضى ربّك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا . . ﴾[4]

* وقال عزّ وجلّ :

﴿. . . أن أشكر لي ولوالديك الي المصير﴾[5]

* وقال رسول الله ﷺ، مجيبا أحد الصحابة على سؤاله : « من أحق

---

(1) الطور / 21

(2) القيامة / 14

(3) الترمذي / جـ 8/ص170 (وقال عنه : حديث حسن غريب)

(4) الاسراء /24

(5) لقمان / 14

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الناس بحسن الصحبة؟ « أمك ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك، ثم أدناك أدناك . »[1]

الصفة التاسعة :

أن يكون متحليا بالروح الاجتماعية الايجابية مهتما بشؤون الجماعة ، مشاركا في خدمتها وتحقيق مصالحها وأهدافها ، محافظاً على كيانها وتماسكها ، وتراثها ، صائناً لعقيدتها وأخلاقها وعاداتها الحميدة ، موازنا في اعتدال ونزاهة بين مطالبه وحقوقه ومطالبها وحقوقها .

* قال تعالى :
﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[2]

* وقال عزّ وجلّ:
﴿وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان﴾[3]

* وقال تعالى :
﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾[4]

* وقال رسول الله ﷺ :
« وكونوا عباد الله اخوانا »[5]

* وقال عليه الصلاة والسلام :
« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[6]

* وقال ﷺ :

---

(1) مسلم / جـ 8/ص 2
(2) الحجرات / 10
(3) المائدة / 2
(4) آل عمران / 103
(5) مسلم / جـ 8/ص 10
(6) البخاري / جـ 1/ص 10

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبّك بين أصابعه »[1]

الصفة العاشرة :

ان يكون متفائلا بثقته في الله ويقينه في عونه ، طموحاً جادا مجتهدا في تحقيق آماله وأمانيه ، في واقعية وموضوعية وليس في وهم وخيال كاذب .

* قال تعالى :
﴿ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾[2]

* وقال رسول الله ﷺ :
« لا عدوى ولا طيرة ، وأحبّ الفأل الصالح . »[3]

* وقال رسول الله ﷺ :
« إنما الأمل رحمة من الله على أمتي ، لولا الأمل ما أرضعت أم ولدا ، ولا غرس غارس شجرا . »[4]

الصفة الحادية عشرة:

أن يكون متصفاً بالرغبة الايجابية في فعل الخير، الذي يحرره من أنانيته ، ويخرجه من طوق فرديته ، ويجعله متحليا بفضيلة الايثار والغيرية والتضحية .

* قال تعالى :
﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير . .﴾[5]

* وقال رسول الله ﷺ :

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 134
(2) الرعد / 11
(3) مسلم / جـ 7/ص 33
(4) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 1/ص 275 (رواه الخطيب في التاريخ عن: أنس)
(5) آل عمران / 104

« ما من مسلم غرس غرسا فأكل منه إنسان او دابة إلا كان له صدقة . »[1]

* وقال عليه الصلاة والسلام :

« ان قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فان استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها ، فليغرسها»[2]

* وقال صلى الله عليه وسلم :

« ما نقصت صدقة من مال . »[3]

الصفة الثانية عشرة:

أن يكون محبا للعمل والانتاج ، ساعيا الى كسب رزقه الشريف بنفسه ، سواء بعمل ذهني او عضلي ، مستغنيا به عن سؤال الآخرين والحاجة اليهم ، منفقا على نفسه وأهله وذوي قرباه ومتصدقا على غيرهم من المحتاجين والفقراء وفق قدرته واستطاعته .

* قال رسول الله ﷺ :

« لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره ، فيتصدق به ، ويستغني به من الناس خير له من ان يسأل رجلا اعطاه أو منعه ذلك ، فان اليد العليا أفضل من اليد السفلى ، وأبدأ بمن تعول . »[4]

* وقال عليه الصلاة والسلام :

« اليد العليا خير من اليد السفلى ، واليد العليا: المنفقة والسفلى: السائلة . »[5]

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 12

(2) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 5/ص 388 (رواه ابو داود الطيالسي واحمد في مسنده والبخاري في الأدب) .

(3) مسلم / جـ 8/ص 21

(4) مسلم / جـ 3/ص 96

(5) نفس المصدر السابق / ص 94

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* وقال ﷺ :

« ان أحقّ ما أكل الرجل من أطيب كسبه»[1]

الصفة الثالثة عشرة:

أن يكون مقدرا لقيمة وقته ، فلا يضيّعه سدى ، ويستغله فيما يفيده ، ويفيد مجتمعه بصورة مباشرة او غير مباشرة .

* قال رسول الله ﷺ :

« نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ »[2]

الصفة الرابعة عشرة:

أن يكون حريصاً على ضبط نفسه ، متحكما في انفعالاته ، معتدلا في عواطفه ، متزنا في مشاعره وسلوكه وأفكاره ، قادرا على كبح رغباته ونزواته التي قد تضره وتؤذي جماعته ، وتهز شخصيته وتقلل من احترام الآخرين له ، غير مفرط او مفرّط وغير مشط او جامد ، موازناً في اعتدال بين روحه وجسده ، وبين عقله وعاطفته ، وبين دينه ودنياه ، وبين نزعته الفردية وميله الاجتماعي .

* قال عزّ وجلّ :

﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ﴾[3]

* وقال تعالى :

﴿وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا. ﴾[4]

* وقال تعالى :

---

(1) الدارمي / السنن / جـ 2/ص 247

(2) البخاري / جـ 8/ص 109

(3) النازعات / 40-41

(4) القصص / 77

﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط.﴾[1]

* وقال رسول الله ﷺ :

« المجاهد من جاهد نفسه »[2]

* وقال عليه الصلاة والسلام :

« حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات . »[3]

* وقال ﷺ :

« ليس الشديد بالصرعة إنّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »[4]

الصفة الخامسة عشرة:

أن يكون متصفاً بالتيسير والتبشير في معاملاته وعلاقاته وتصرفاته ومواقفه لأن هذه الصفات أدعى الى تقوية صلته بالآخرين ومحبتهم له . وان يتجنب العسر والمشقة والتنفير في سلوكه ومواقفه واتجاهاته .

* قال رسول الله ﷺ :

« يسروا ولا تعسّروا ، وبشّروا ولا تنفروا . »[5]

* وقال عليه الصلاة والسلام :

« ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة »[6]

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت :

« ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن

---

(1) الاسراء / 29
(2) الترمذي / جـ 7/ص 123 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(3) مسلم / جـ 8/ص 142-143
(4) نفس المصدر السابق / ص 30
(5) البخاري / جـ 1/ص 27
(6) مسلم / جـ 8/ص 71

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه . »[1]

الصفة السادسة عشرة:

أن يكون حريصا على التعلم ، مجتهدا في طلب العلم جادا في زيادة حصيلة معارفه وتوسيع دائرة ثقافته ، وتنمية خبراته وتجاربه وذلك لما للعلم من أثر ايجابي فعال في رفع قيمة الفرد وزيادة قدرته الانتاجية وتحسين أحوال الجماعة وتطويرها والنهوض بها .

* قال تعالى :
﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق﴾[2]

* وقال رسول الله ﷺ :
« من سلك طريقاً يلتمس فيه علما سهّل الله له طريقا الى الجنة . »[3]

* وقال عليه الصلاة والسلام :
« لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلّطه على هلكته في الحق ، وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلّمها . »[4]

الصفة السابعة عشرة:

أن يحرص على المحافظة على صحته البدنية ، ووقاية بدنه من العلل والتماس العلاج الناجع العاجل من الأمراض التي تصيبه ، فان العقل السليم في الجسم السليم مع مراعاة شروط النظافة والنظام الغذائي الجيد المعتدل كما وكيفا ، والراحة الكافية ، والملبس الحسن والسكن الصالح ، وتجنب العادات الضارة : كشرب الخمور والمخدرات ، وإدمان الدخان وارتكاب المعاصي والفواحش وغير ذلك .

---

(1) البخاري / جـ 8/ص 37
(2) سورة العلق / 1
(3) الترمذي / جـ 10 / ص 115 (وقال عنه : حديث حسن)
(4) البخاري / جـ 9/ ص 78

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* قال رسول الله ﷺ :

« خمس من الفطرة : الختان ـ والاستحداد ـ وتقليم الأظافر ـ ونتف الإبط وقص الشارب»[1]

* وقال عليه الصلاة والسلام :

« لولا ان أشقّ على المؤمنين لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة . »[2]

* وقال ﷺ :

« الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم . »[3]

* وقال عليه الصلاة والسلام :

« ما ملأ أدمي وعاء شرا من بطن : بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه . »[4]

* وقال ﷺ :

« لا توردوا الممرض على المصح . »[5]

وقال عليه الصلاة والسلام :

« لكل داء دواء ، فاذا أصيب دواء الداء برأ باذن الله عز وجل . »[6]

* وقال رسول الله ﷺ :

« فإن لجسدك عليك حقا ، وإن لعينك عليك حقا . »[7]

---

(1) مسلم / جـ 1/ص 153
(2) نفس المصدر السابق / ص 151
(3) مسلم / جـ 3/ص 3
(4) الترمذي / جـ 9/ص 224 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(5) البخاري / جـ 7/ص 180
(6) مسلم / جـ 7/ص 21
(7) البخاري / جـ 7/ص 40-41

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصفة الثامنة عشرة :

أن يكون مهتما بمظهره الشخصي معتنيا باختيار اللباس الحسن الذي يناسبه حساسا للجمال ذا ذوق رفيع بغير كبرياء أو مخيلة .

* قال تعالى :

﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾[1]

* وقال تعالى :

﴿ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[2]

* وقال عزّ وجلّ :

﴿ان الله لا يحب كل مختال فخور﴾[3]

* وقال رسول الله ﷺ :

« ان الله جميل يحب الجمال »[4]

* وقال عليه الصلاة والسلام :

« ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عباده . »[5]

تلك هي أبرز الصفات التي يجب ان يتحلى بها الانسان الصالح ذو الشخصية السوية المتكاملة ، وقد سقناها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ، للتدليل على ان سيرة النبي ﷺ ، وسنته المطهرة : القولية والفعلية والتقريرية ، وشخصيته الكاملة ذات الكفايات والخصائص الرفيعة ، تعتبر خير منهل ، وأعذب معين نستقي منه ما يجعل منهاجنا التربوي ، ونظامنا التعليمي ، وتراثنا الثقافي محققا لتكوين شخصيات أبناء

---

(1) الاعراف / 31
(2) البقرة / 222
(3) لقمان / 18
(4) مسلم / جـ 1/ص 65
(5) الترمذي / جـ 10/ص 259 (وقال عنه : حديث حسن)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جيلنا الجديد على نحو سوي ومتكامل وقويم ، أفرادا نافعين لأنفسهم واعضاء صالحين لمجتمعهم ، يهديهم ايمانهم بربهم الواحد الأحد ، ويحفظهم من الزيغ والضلال ويحميهم خلقهم العظيم من المعاصي والفواحش والانحراف ، ويدفعهم احساسهم بالمسؤولية الاجتماعية الى عون الآخرين ومساعدتهم ، ويحثهم شعورهم بالارتباط بالبشرية الى المشاركة معها في عمارة الكون والانتفاع المشترك بما أودعه الله تعالى فيه من نعم لخلقه ، وبذلك يكون منهاجنا التربوي منارة هدي تعكس الأنوار المستمدة من مشكاة الدعوة المحمدية التي وجهها الله تعالى للانسان الفرد ، وللانسان الجنس ليقيم حياته على دعائم الهدى والايمان والحق والعدل ، والخير والصلاح ، والتقوى والاستقامة .

فالحمد لله تعالى الذي هدانا الى الاسلام أكمل دين ، وجعلنا من أتباع خاتم الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخاتمة


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« الخاتمــة »

نتناول في خاتمة هذا الكتاب* اهم نتائجه التى يقودنا اليها البحث الموسع لمواضيعه المفصلة في مختلف الفصول ..

كما نقترح أهم التوصيات بشأن اجراء ابحاث ودراسات علمية تكمل منهج هذا الكتاب وتثرى مباحثه ..

نتائج هذا الكتاب

يمكننا ان نلخص أهم نتائج الكتاب فيما يلي :

أولا : اهتمام السنة النبوية بالتربية المتكاملة للفرد :

يتضح لنا من خلال المواضيع التي تناولتها مختلف فصول الكتاب ان السنة النبوية الشريفة تعنى عناية فائقة بالتربية المتكاملة للفرد ، وتولي اهتمامها التام لمختلف جوانب شخصيته بدون إفراط او تفريط ، ويمكن أن نجعل هذا الاهتمام وتلك العناية في الجوانب الآتية :

1— الجانب الجسمي :

تهتم السنة النبوية بحسن تغذية الفرد وصحته ، وتعنى بنظافته ووقايته وعلاجه وراحته والحفاظ على لياقته وذلك حتى يستفيد ببدنه السليم في الانتاج المشروع الذي يعود عليه وعلى مجتمعه بالفائدة المشتركة ، ويسخره في الطاعات من عبادة وجهاد ونحوهما .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

2— الجانب الروحي :

لا شك ان السنة النبوية تنسجم انسجاما كليا مع فطرة الكائن البشري على التوحيد ، وتشبع حاجته الطبيعية الى العقيدة القويمة ، وتغرس في نفسه منذ بواكير حياته الأولى الايمان الصحيح الذي يكسبه القيم الروحية والفضائل الخلقية التي تحقق له الثقة والأمن النفسي والطمأنينة والسكينة ، والأمل والتفاؤل ، وتجنبه الصراع والتوتر النفسي والاضطراب العقلي والتشاؤم ، وبذلك تجعله انسانا سويا متزنا قادرا على مغالبة مصاعب الحياة ومشاكلها ، ومتقبلا لقضاء الله تعالى وقدره بنفس راضية ، غير عاجز او متقاعس فيما يدخل في نطاق قدراته وقواه وإمكانياته الانسانية وأخذه بالأسباب .

3— الجانب العقلي :

تهتم السنة النبوية اهتماما بالغا بالنمو العقلي للفرد ، وتعنى بتنمية قدراته واستعداداته العقلية وشحذ ذكائه وصقله باستمرار ، وفتح باب التعلم والتلقي والاجتهاد العقلي والابداع العلمي على مصراعيه امام الناس جميعا دون تمييز وفق عمر معين او جنس معين او فئة معينة . وهي بذلك ترسي في جلاء وسبق فريد مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم أمام البشر كافة .

وهي تعلي من شأن العقل وتجعل له مكانة رفيعة لم نعهدها في غيرها من الشرائع والفلسفات التربوية قديمها وحديثها . وهي تجل العلماء والمتعلمين على نحو منقطع النظير . وهي تعتبر « الحكمة » ـ التي هي زبدة العلوم والمعارف ـ ضالة للمؤمن هو أحق بها أينما وجدها ، وتحثه على طلبها في كل مكان وزمان ما دامت في حدود الشرع ، وما دامت مفيدة للانسان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

4— الجانب الوجداني :

تهتم السنة النبوية بضبط الانفعالات والعواطف وحسن بنائها وتكوينها وتوجيهها الوجهة الخيرة ، وتعنى بإشباع الغرائز والدوافع الأولية بالوسائل المشروعة ، او إبدالها وإعلائها بشكل يحفظ للفرد توازنه النفسي والبدني ، ويحفظ للمجتمع نظامه الخلقي ، وهي بذلك تحرص حرصاً شديدا على تقويم السلوك البشري الذي يعد انعكاسا وتجسيدا لمشاعر وانفعالات وعواطف وغرائز الانسان .

5— الجانب الخلقي :

تعنى السنة النبوية عناية تامة بتكوين الضمير الخلقي الحي في نفس الفرد ، وتحرص على تنمية شعوره بالمسؤولية الذي يستمد منه التزامه الذاتي بالمحافظة على القيم الروحية والفضائل الخلقية والآداب الاجتماعية في المجتمع الذي يعيش فيه وان غابت عنه قيود السلطة الخارجية ورقابتها ، وتهتم بإكسابه الصفات الحميدة ، والاخلاق القويمة والآداب الفاضلة ، وتأصلها في نفسه منذ فجر طفولته ، وتعمل على تجنبه سفاسف الأخلاق ، وصونه من الرذائل ومساوىء السلوك .

6— الجانب الاجتماعي :

تعنى السنة النبوية بتربية الفرد كعضو صالح في جماعة صالحة ، وتوجهه الى إقامة العلاقات الايجابية البناءة مع الآخرين ، وتوجب عليه القيام بواجباته الدينية والاجتماعية تجاههم ، وتحثه على تحمل مسؤولياته في الحفاظ على كيان مجتمعه وحمايته من كل ما يتهدده من أخطار معنوية ومادية ، وتعمل على إكسابه الآداب الاجتماعية الفاضلة وأساليب المعاملة الاجتماعية الرشيدة التي تستمد من قيمه الروحية والخلقية في دينه الاسلامي الحنيف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا : اهتمام السنة النبوية بالتكامل بين قوى الشخصية الانسانية :

تهتم السنة النبوية اهتماماً فائقاً بالتكامل بين قوى الشخصية الانسانية والتوازن بين استعداداتها ، لما لهذا التوازن وذلك التكامل من أثر كبير في بناء الشخصية وتكوين اتجاهاتها ومواقفها المختلفة .

ولذلك فقد حثت السنة النبوية على ضرورة اقامة دعائم الحياة البشرية على ميزان الاعتدال والانسجام والتكامل بين شتى القوى والاستعداد فلا افراط أو تفريط ، ولكن إشباع مشروع ومتزن ومتكامل ومنسجم للدوافع الموروثة والحاجات المكتسبة : روحية كانت أم عقلية ام عاطفية أم اجتماعية أم جسدية ، وذلك وفق مقتضيات الفطرة التي خص الله تعالى الانسان بها ، وطبيعته البشرية التي جبله عليها روحاً ومادة ، وعقلاً وعاطفة .

ثالثا : اهتمام السنة النبوية بتربية الجماعة :

تهتم السنة النبوية بتربية « الجماعة » لتأثيرها الخطير في تنشئة « الفرد » وبناء شخصيته وتكوين اتجاهاته وسلوكه ، خاصة وأن الميل الى الانتماء الاجتماعي دافع فطري في النفس البشرية، وان الفرد لا يمكنه ان يعيش في معزل عن جماعة ينتمي اليها ويشترك معها في تحقيق مصالح وأهداف مشتركة وتساعده هي على تحقيق مصالحه وأهدافه المشروعة ، وتوفر له الحماية والأمن ، وخلاصة القول فإن الارتباط بين الفرد والجماعة ارتباط عضوي لا ينفصم ، وما الفرد إلا عضو في جماعة ، وما الجماعة إلا مجموعة أفراد !

وتحرص السنة النبوية على تنقية وسط الجماعة من المعاصي والمفاسد والانحرافات ، وتطهيرها من الرذائل والانحلال والشرور ، وتوجهها الى اقامة حياتها على دعائم الهدى والتقى ، والخير والبر ، والأمر بالمعروف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والتزامه والنهي عن المنكر واجتنابه ، والتراحم والتعاطف ، والتكافل والتعاون والتمسك بفضائل الأخلاق ونشرها وحفظ الحقوق والقيام بالواجبات كل ذلك بغية حماية الفرد في دينه وخلقه، وصيانة الجماعة في عفتها وطهارتها .

رابعا : اهتمام السنة النبوية بالتكامل بين الفرد والجماعة :

تهتم السنة النبوية بالتكامل بين الفرد والجماعة ، لأنها تدرك ان الفرد لا بد أن يعيش في جماعة يرتبط مع أفرادها بروابط مشتركة لتحقيق مصالح وغايات مشتركة ، وان الجماعة ما هي إلا مجموعة من الأفراد تقوى بتظافرهم وتلاحمهم وتعاونهم كل حسب قدراته واستعداداته ، وتتقوض بتفككهم وتفرقهم وتقطع أواصر الصلة والإلفة بينهم .

وترى السنة النبوية ان جوانب « الشخصية الانسانية » لكي تتكامل وتعتدل وتتوازن لا بد أن يتم التكامل المنسجم بين فردية الانسان ونزعته الاجتماعية وذلك بتحقيق المواءمة المعتدلة بين مطالب الفرد واحتياجاته ومطالب الجماعة واحتياجاتها .

ولذلك فقد دعت السنة النبوية الى تكريم الفرد الانساني وتقديره واعلاء شأنه واحترام كيانه الخاص وإشباع حاجاته بالوسائل المشروعة دينيا وخلقياً واجتماعياً . ودعت الى احترام الجماعة وتقديرها وحماية كيانها من التفكك والتحلل والانحراف وتأسيس حياتها ومعاملاتها وعلاقاتها على ركائز الايمان القويم والخلق الكريم والتعامل الرحيم .

خامسا : اهتمام السنة النبوية بالعوامل المؤثرة في التربية :

تولي السنة النبوية المطهرة للعوامل المؤثرة في التربية عناية فائقة وتوظفها جميعها لخلق الشخصية المتكاملة السوية المتزنة للانسان .

ويمكن أن نلخص أهم هذه العوامل فيما يلي :

1- تهتم السنة النبوية بمراحل النمو المختلفة للكائن البشري ، وتراعي خصائص ومميزات وظواهر كل مرحلة على حدة بشكل يضمن تحقيق أهداف العملية التربوية للانسان وليدا وطفلا ويافعا وشابا وكهلا ، وبذلك تسبق السنة النبوية غيرها من الفلسفات والنظريات التربوية الحديثة في جعل « العملية التربوية » عملية حياة تصاحب الانسان كفرد وكعضو في جماعة بصفة مستمرة من مهده الى لحده .

2- تولي السنة النبوية اهتماماً كبيراً للفروق الفردية التي تميز بين الأفراد في الجانب الجسمي والعقلي والوجداني ، وتراعي في معاملتها لهم وتنشئتهم تمايزهم من حيث ذكائهم واستعداداتهم وقدراتهم العقلية ، ومن حيث مزاجهم وانفعالاتهم ومشاعرهم الوجدانية ، ومن حيث قدراتهم وطاقاتهم البدنية ، وذلك على نحو يكفل لعملية التنشئة التربوية بلوغ أهدافها المتنوعة .

3- تعنى السنة النبوية عناية فائقة بالوراثة والبيئة كعاملين شديدي الأثر في التربية . وتؤكد ضرورة مراعاة هذين العاملين في التنشئة التربوية في جوانبها المختلفة : جسديا وعقليا ووجدانياً واجتماعياً . وهي بذلك تسبق النظريات والفلسفات التربوية الحديثة التي أثبتت خطورة تأثير الوراثة والبيئة في العملية التربوية .

4» تولي السنة النبوية اهتماماً كبيراً لعاملي الثواب والعقاب وما يرتبط بهما من ترغيب وترهيب وتحفيز وردع في العملية التربوية ، وتوظفهما توظيفاً ايجابياً بناء في تحقيق أهداف وغايات التربية في تكوين الفرد وتنشئته وتقويم الجماعة وإصلاحها .

سادسا : اهتمام السنة النبوية بأساليب التربية :

تهتم السنة النبوية اهتماماً كبيراً بأساليب التربية وفعاليتها في تنشئة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفرد وتقويمه وتوجيهه وتحفيزه ، وتراعي في هذه الأساليب خصائص ومميزات نموه العقلي والنفسي والجسمي .

ولا شك أن أساليب التربية في السنة النبوية تعتبر غاية في الفعالية والحيوية والاعجاز والروعة ، ولقد أثبتت النظريات والفلسفات التربوية الحديثة صحتها وسمو قيمتها التربوية ، وكان للسنة النبوية فضل السبق والابداع .

ومن أساليب التربية التي زخرت بها السنة النبوية نذكر : أسلوب النصح والارشاد ، وأسلوب التذكير ، وأسلوب القدوة ، وأسلوب الحوار ، وأسلوب الاستجواب ، وأسلوب التفكير المنطقي ، وأسلوب الايضاح ، وأسلوب ضرب الأمثال ، وأسلوب الربط بين التوجيه والموقف ، وأسلوب الممارسة العملية ، وأسلوب القصص ، وأسلوب الحكم القصيرة ، وأسلوب الترغيب والترهيب ، وأسلوب التربية البناءة بالتوبة والغفران .

سابعا : موقف السنة النبوية من النظريات التربوية الحديثة :

يتضح لنا من خلال دراسة وتحليل المضامين التربوية في السنة النبوية انها لا تتعارض مع الآراء والمبادىء التربوية الصحيحة الصالحة للفرد والجماعة التي كشفت عنها النظريات الحديثة في مجالات التربية المتنوعة . بل وتحث على البحث والنظر والابداع في شتى نواحي الفكر الانساني بما يعود على البشرية بالخير والنفع .

كما يتجلى لنا أنها ترفض كل دعوة مشطة او متحللة ينجم عنها الخواء الروحي او الانحلال الاخلاقي او التفكك الاجتماعي لما في ذلك من ضرر ودمار للفرد والجماعة .

وتعمل السنة النبوية في إرشاداتها وتوجيهاتها الايجابية البناءة على تعديل كل إسراف وتقويم كل اعوجاج في العملية التربوية بما يحفظ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للانسان كرامته وكيانه ويعلي من شأنه ويصون دينه وخلقه من كل زيغ وانحراف .

ان السنة النبوية المطهرة دعوة صادقة للابداع العلمي الخلاق الذي يستهدي بنور الايمان الصحيح ويستند الى دعائم العقيدة القويمة ، ويكفل للبشرية حياة طاهرة هانئة خالية من ضباب الشك والالحاد ، وشوائب الرذيلة والفساد ، وعوامل القهر والظلم .

ثامنا : شخصية رسول الله ﷺ هي نموذج الكمال الانساني :

لقد تحقق في شخصية رسول الله ﷺ المثل الأعلى والنموذج الأسمى للكمال الانساني ، وهذه الشخصية المعجزة الخاتمة التي جمعت تمام القيم الروحية والفضائل الأخلاقية وكمال الكفايات والصفات تظل دوما قدوة مثلى ونموذجا يحتذى وأسوة حسنة في شتى مجالات التربية والتنشئة . ولا غرو فقد تولتها يد العناية الالهية بالتأديب والتهذيب وأضاءت جنباتها الأنوار الربانية لتشع على المقتدين بها والمتفيئين لظلالها بالهداية والالهام والكمال في كل حين .

وبالاضافة الى ذلك فان شخصية الرسول ﷺ قد جسدت التكامل النظري والتطبيقي ، والديني والدنيوي والروحي والمادي ، والفردي والاجتماعي في الدعوة المحمدية الخالدة .

ان الاستهداء بجوانب الكمال في شخصية رسولنا الأكرم ﷺ والاقتداء بسيرته العطرة ، واستلهام المثل والقيم والمبادىء العليا من خصاله وصفاته وكفاياته يضمن لنا حسن تربية ناشئتنا وأجيالنا الصاعدة وحفظهم من كل زيغ وضلال ، وحمايتهم من كل تفسخ وانحلال ، وخاصة في هذا العصر المادي الذي تفشت فيه أسباب الغواية والفساد والالحاد .

لقد صدق الله العظيم في قوله :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾[1]

التوصيات :

لا ندعي أن هذا الكتاب ـ على طوله الظاهري ـ قد أحاط بكل المضامين والأسس التربوية في السنة النبوية .

وبما أن مجال التربية الانسانية متجدد ومتطور وفق تجدد وتطور الحياة وتغير ظروفها وعواملها ، فاننا ندعو الباحثين من ذوي المقدرة والكفاءة والرغبة الصادقة والنية المخلصة الى الاهتمام المستمر بالسنة النبوية كتراث فكري انساني معطاء ، ودراسة وتحليل مضامينها التربوية الزاخرة لاستنباط الآراء والأفكار . والدعائم والركائز التربوية الصالحة للفرد والجماعة وفق ظروفهما ومحيطهما .

وسيكتشف الباحثون بجلاء ـ عن طريق التحليل والدراسة المقارنة ـ ان السنة النبوية قد حققت سبقاً فريداً على النظريات التربوية الحديثة في مجالات كثيرة ، وأنها تطرح فاسدها وتصحح غلواءها ، وتقوّم معوجّها ، وتدعم قويمها وتمدها من أنوار الهداية الربانية ما يكفل لها أينع الثمار وأفلح النتائج التي تعود على الفرد والجماعة معا بالخير العميم .

ويمكن اجراء عدة ابحاث ودراسات موسعة وتحليلية تكمل خط هذا الكتاب وتثريه في مواضيع هامة ومتنوعة نذكر منها :

1— موقف السنة النبوية من النظريات التربوية الحديثة .

2— تربية الفرد في السنة النبوية .

3— تربية الجماعة في السنة النبوية .

4— العقل والعلم في السنة النبوية .

---

(1) الأحزاب / 21

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

5– معايير تكوين الشخصية الانسانية وموازينها في السنة النبوية .

6– التربية الخلقية في السنة النبوية .

وغير ذلك من الابحاث والدراسات التي سيكون لها أثر إيجابي في الاستنارة بهدي السنة النبوية والاستفادة بمضامينها وتعاليمها ، وحفظها كتراث فكري وحضاري إنساني خالد ومتجدد على مرّ الزمان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهرس المصادر والمراجع


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهرس المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : كتب الحديث والسنة والسيرة النبوية

- مالك: «أبو عبد الله.. مالك بن أنس بن الحارث، بن غيمان الاصبحي الحميري» الموطأ / راوية: يحي بن يحي الليثي / شرح وتعليق: أحمد راتب عرموش / دار النفائس / بيروت.

- البخاري: «أبو عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة» / الصحيح /9 أجزاء / دار مطابع الشعب / مصر.

- مسلم: «أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري» / الصحيح/ 8 - أجزاء مطبعة محمد علي صبيح وأولاده / مصر.

- الترمذي: «أبو عيسى بن سورة بن موسى الضحاك السلمي» الصحيح / 13 جزءا / دار العلم للجميع / سوريا.

- أبو داود: «سليمان بن الأشعث السجستاني» / السنن/ 4 أجزاء / دار الكتاب / العربي.

ابوعبد الرحمن احمد بن شعيب بن بحر بن سنان بن دينار السنن/8 اجزاء / دار احياء التراث العربى / بيروت

- ابن ماجة: «أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني» / السنن / جزءان / حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فؤاد عبد الباقي / نشر دار احياء الكتب العربية / مصر / 1952م .

- ابن حنبل: « أبو عبد الله أحمد بن محمد » / المسند / 6 أجزاء / ط 1 / دار الصياد للطباعة / بيروت/ 1969م.« وبها مشه: منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: لعلاء الدين علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي ».

- الدارمي: « عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي السمرقندي / السنن / جزءان / نشر دار احياء السنة النبوية .

- البيهقي: « أبو بكر بن أحمد بن الحسين بن موسى » / دلائل النبوة / الجزء الأول / تقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان / القاهرة /19 69 م .

- ابن سعد: « أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري » / الطبقات الكبرى/ الجزء الأول والثاني / بيروت / 1960م .

- المنذري: « أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوى » / الترغيب والترهيب من الحديث الشريف / حققه وعلق عليه: محمد محي الدين عبد الحميد / 6 أجزاء / هذبها: أبو محمد عبد الملك بن هشام / حققها وضبطها وعلق عليها: محمد محي الدين عبد الحميد / مصر / 1960م .

- ابن اسحاق : « ابوعبدالله محمد بن اسحاق المطلبى / سيرة النبي ﷺ 4 أجزاء / هذبها ابومحمد عبد الملك بن هشام / حققها وضبطها وعلق عليها: محمد محي الدين عبد الحميد / مصر 1963

- ابن عبد البر: « أبو عمر يوسف النمري القرطبي الأندلسي » / جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله / جـ 2،1 / ضبطه وصححه عبد الرحمن محمد عثمان / ط 2 القاهرة 1968م .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثا: مصادر ومراجع مختلفة باللغة العربية

« أ »

الابراشي: محمد عطية،
التربية الاسلامية وفلاسفتها / ط 2 / مصر / 1969م.
ـ روح التربية والتعليم / ط 11 / مصر / 1966م.

أحمد: ابراهيم خليل،
ـ محمد ﷺ في الوراة والانجيل والقرآن / مصر

الأنقر: محمد،
ـ نظرية الجماعة في علم الاجتماع / تونس / 1971م.

أنجيلا: ميديسي،
ـ التربية الحديثة / ترجمة علي شاهين / ط 1 / بيروت / 1963 م.

« ب »

بركات: محمد خليفة،
ـ عيادات العلاج النفسي / ط 2 / مصر.

البهي: محمد،
ـ من توجيه القرآن الكريم « الايمان » / القاهرة / سلسلة البحوث الاسلامية / 1969 م.

البوطي: محمد سعيد رمضان،
ـ تجربة التربية الاسلامية في ميزان البحث / دمشق.

« ت »

تيمور: محمود،
ـ النبي الانسان ومقالات أخر / مصر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن تيمية :
ـ الايمان / تصحيح زكريا علي يوسف / سوريا .

« ج »

جاد المولى : محمد أحمد ،
ـ محمد ﷺ المثل الكامل / ط 1 / مصر 1931م .

الجزائري : أبو بكر جابر ،
ـ منهاج المسلم / ط 2 / طرابلس ـ ليبيا / 1971م .

ابن الجزار القيرواني ،
ـ سياسة الصبيان وتدبيرهم / تحقيق وتقديم الدكتور محمد الحبيب الهيلة / تونس / 1968 م .

الجمالي : محمد فاضل ،
ـ آفاق التربية الحديثة في البلاد النامية / تونس / 1968 م .
ـ تربية الانسان الجديد / تونس / 1967م .
ـ دعوة الى الاسلام / ط 1 / بيروت 1963 م .
ـ نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الاسلامي / تونس / 1972 م .

الجزيري : عبد الرحمن ،
ـ الفقه على المذاهب الأربعة / 4 أجزاء / ط 3 / مصر

الجسر : النديم ،
ـ قصة الايمان بين الفلسفة و العلم والقرآن / ط 3 / بيروت / 1969م .

جلال : سعد ،
ـ المرجع في علم النفس / ط 3 / مصر 1963 م .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جولنر : هربرت،
- أطلس الصحة / ترجمة: حلمي عبد الرحمن / اصدار المتحف الالماني فرانكفورت ماين / 1958 م.

« ح »

إبن حجر العسقلاني: ا بو الفضل الحمد بن علي،
- الاصابة في تمييز الصحابة / 4 مجلدات / ط 1 / مصر / 1328 هـ. وبهامشه كتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر النمري القرطبي . »
- بلوغ المرام في جمع أدلة الأحكام / شرح: محمد بن اسماعيل الكحلاني / 4 أجزاء ك ط 4 / مصر / 1960م.

الحضري : محمد،
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين / مصر.

الحسيني: محمد يونس،
- الفكر الاجتماعي / مصر/ 1948 م.

« خ »

الخشاب : أحمد،
- الاجتماع التربوي والارشاد الاجتماعي / ط 1 / القاهرة / 1971م.

الخشاب: مصطفى،
- علم الاجتماع ومدارسه / « الكتاب الثاني / القاهرة / 1965م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خطاب: محمود شيت،
- ومضات من نور المصطفى ﷺ / ط 1 طرابلس / ليبيا

ابن خلدون: عبد الرحمن،
- المقدمة / ط 2 / بيروت / 1967م.

الخوبري: عثمان بن حسن بن أحمد الشاكر. ،
- درة الناصحين في الوعظ والارشاد / دار الكتاب العربي / بيروت.

الخوري: انطوان. م،
- علام التربية / لبنان / 1964 م.

الخولي: محمد عبر العزيز،
- الأدب النبوي / بيروت / 1975 م.

« د »

دراز : محمد بعد الله وآخرون،
- الاسلام الصراط المستقيم / ترجمة: محمود عبد الله يعقوب / اشراف: كنث و. مؤرغان // بيروت / 1985م.
- نظرات في الاسلام / تحقيق: موفق البيانوني / ط 2 / حلب / 1972م.

الدردير: احمد بن محمد بن أحمد،
- الشرح الصغير / علق عليه وشرحه: أحمد بن محمد الصاوي المالكي / في كتابه: « بلغة السالك لأقرب المسالك الى مذهب الامام مالك » /جزءان / مصر / 1952م.

دروزة: محمد عزّة،
- المرأة في القرآن والسنة / بيروت / 1967 م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دويدار: أمين،
- صور من حياة الرسول ﷺ / مصر.

ديوى: جون،
- المدرسة والمجتمع / ترجمة: أحمد حسن الرحيم / بيروت / 1964م.

« ر »

راندال: جوديث،
- الوراثة / ترجمة: حسن فهمي فراج / مراجعة: كامل منصور / مصر / 1968م.

رسل: برتراند،
- في التربية / ترجمة: سمير عبده / بيروت / 1966 م.

رضا: محمد،
- محمد رسول الله ﷺ / ط 5 / القاهرة / 1966 م.

أبو ريّة: محمد جمال الدين،
- محمد أحسن الناس / نشر وزارة الاعلام والثقافة الليبية / سلسلة الكتاب الشهري / عدد 10 / 1973م.

« س »

سابق: السيد،
- اسلامنا / بيروت / لبنان.
- العقائد الاسلامية / بيروت / لبنان.

سبع: توفيق محمد،
- واقعية المنهج القرآني / القاهرة / 1973م.

السحار: عبد الحميد جودة،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- مولد الرسول ﷺ / مصر.

سيد الأهل: عبد العزيز،
- أسرار العبادات في الاسلام / ط 1 / بيروت ـ لبنان / 1972 م.

« ش »

بنت الشاطىء: عائشة عبد الرحمن،
- تراجم سيدات بيت النبوة / ط 1 / لبنان / 1967م.
- الشخصية الاسلامية / ط1 / بيروت / 1973م.
- مع المصطفى في عصر المبعث / ط2 / مصر.
- موسوعة آل النبي ﷺ / ط 1 / لبنان ك 1967 م.
- مع المصطفى في عصر المبعث / ط 2 / مصر.

الشرباصي: أحمد،
- يسألونك في الدين والحياة / طرابلس ـ ليبيا.

الشرقاوي: عبد الرحمن،
- محمد رسول الحرية / القاهرة.

شعبان: زكي الدين،
- الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية / ط 2 / منشورات الجامعة الليبية / 1971م.

شلبي: أحمد،
- الحياة الاجتماعية في التفكير الاسلامي/ ط 1 / القاهرة/ 1968 م.

شلبي: محمود،
- اشتراكية محمد / ط 3 / لبنان / 1974 م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ محمد والجهاد / الجزء 4 « شخصية محمد / تونس .

شلتوت : محمود ،
ـ الفتاوى / ط 2 / مصر / 1965 م .

الشهاوى : ابراهيم دسوقي ،
ـ كتاب الشهاوى في مصطلح الحديث / مصر / 1966 م .

الشيباني : عمر محمد التومي ،
ـ **اراء فى الاصلاح التربوى / الكتاب الليبى رقم 1** طرابلس/ليبيا 66
ـ الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب / بيروت / لبنان / 1973 م .
ـ تطور النظريات والأفكار التربوية / بيروت / 1974 م .
ـ دور التربية في بناء الفرد والمجتمع / كتاب الشهر عدد 16 / وزارة الاعلام ـ ليبيا / 1974م .
ـ مقدمة في الفلسفة الاسلامية / الدار العربية / ليبيا ـ تونس / 1975 م .
ـ فلسفة التربية الاسلامية / ط / طرابلس ـ ليبيا / 1975 م .

شيخ أمين : بكري ،
ـ أدب الحديث النبوي / حلب / 1973 م .

« ص »

صالح : أحمد زكي ،
ـ علم النفس التربوي / ط 9 / مصر / 1966 م .

الصالح : صبحي ،
ـ علوم الحديث ومصطلحه / ط 6 / بيروت / 1971م .

ابن الصلاح : أبو عمرو وعثمان بن عبد الرحمن الشهر زوري ،
ـ علوم الحديث / حققه وعلق عليه : عبد الحميد عتر / ط 2 /

المدينة المنورة / 1972م.

« ط »

طاش كبري زادة: أحمد بن مصطفى،
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم / مراجعة وتحقيق: كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور / جـ 3 / القاهرة.

طبارة: عفيف عبد الفتاح،
- مع الأنبياء في القرآن الكريم / بيروت / لبنان.

« ع »

عاقل: فاخر،
- علم النفس « دراسة التكيف البشري » / ط 3/ بيروت / 1972 م.

عبد العظيم: علي،
- فلسفة المعرفة في القرآن الكريم / القاهرة / 1973 م.

عبد القادر: حامد،
- الاسلام: ظهوره وانتشاره في العالم / ط 2 / القاهرة.
- العلاج النفساني قديما وحديثا / مصر / 1947م.

عبد الملك: أنيس،
- خدمة الجماعة والريادة / ط 2 / القاهرة.

عبد الواحد: مصطفى،
- الأسرة في الاسلام / مكتبة العروبة / القاهرة.
- المجتمع الاسلامي / ط 1 / مصر / 1970 م.

عتر: نور الدين،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- منهج النقد في علوم الحديث / دار الفكر « سلسلة الدراسات الحديثة ».

العثمان: عبد الكريم،
- الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص / ط 1 / مصر / 1963م.

عطية : نعيم،
- التقييم التربوي الهادف / بيروت / 1970م.

العظم: يوسف،
- الايمان وأثره في نهضة الشعوب / ط 2 / السعودية / 1389هـ.

عفيفي: عبد الله،
- المرأة العربية في ظل الاسلام / دار الكتاب العربية بيروت /

العقاد: عباس محمود،
- أثار العرب في الحضارة الأوروبية / مصر 1946م.
- الصديقة بنت الصديق / ط 9 / مصر / 197
- عبقرية محمد / ط 2 / بيروت / 1969 .
- الله / ط 6 / مصر.
- كا يقال عن الاسلام / كتاب الهلال عدد 189 / مصر/ 1966 م.

علاّم: عبد الخالق « وآخرون »،
- رعاية الشباب مهنة وفن / القاهرة / 1962 م.

علي: مولاي محمد،
- الاسلام والنظام العالمي الجديد / ترجمة: أحمد جودة السحار / ط 2 / مصر.

عنبر: محمد عبد الرحيم،
- أضواء جديدة على محمد ﷺ / دار الجامعيين للنشر / القاهرة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العياشي : جمال الدين،
- النظام الاجتماعي في الاسلام / تونس / 1973م.

عيسوى: عبد الرحمن،
- النظام الاجتماعي في الاسلام / تونس / 1973م.

عيسوى: عبد الرحمن،
- النمو الروحي والخلقي والتنشئة الاجتماعية في مرحلتي الطفولة والمراهقة: مقال في مجلة عالم الفكر / المجلد السابع / العدد الثالث / الكويت / اكتوبر نوفمبر ديسمبر 1976م.

عيسى : محمد طلعت،
- الخدمة الاجتماعية كأداة للتنمية / ط 1 / القاهرة / 1965 م.
- الرعاية الاجتماعية للاحداث المنحرفين نشر مكتبة القاهرة / القاهرة.

العيني: بدر الدين أبو محمد بن محمود بن أحمد،
- عمدة القارىء، شرح صحيح البخاري / ادارة المطابع المنيرية / بيروت.

« غ »

غالب: حنّا،
- التربية المتجددة وأركانها / بيروت / 1965 م.

الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد،
- احياء علوم الدين / مجلدان / القاهرة.
- المنقذ من الضلال، ومعه كيمياء السعادة والقواعد العشر والأدب في الدين / تعليق وتصحيح محمد محمد جابر / مصر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« ف »

فائق: أحمد، و « محمد عبد القادر »،

- مدخل الى علم النفس / مكتبة الانجلو المصرية / القاهرة.

فايد: عبد الحميد،

- رائد التربية العامة وأصول التدريس / ط 2 / لبنان / 1970 م.

فروخ: عمر،

- الأسرة في الشرع الاسلامي / ط 1 / بيروت / 1951م.

فرويد: سيجموند،

- القلق / ترجمة: محمد عثمان نجاتي / ط 2 / القاهرة / 1962 م.

فهمي: مصطفى،

- الانسان وصحته النفسية / مكتبة الانجلو المصرية / مصر.

- الدوافع النفسية / ط 3 / مصر / 1955م.

- سيكولوجية التعلم / ط 3 / مصر / 1957م.

« ق »

القسطلاني: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد،

- ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري / 13 جزءا / طبعة جديدة بالاوفست / دار الفكر.

قطب: محمد،

-منهج التربية الاسلامية / ط 2 / دمشق .

« ل »

لوغال: أندريه،

- التحلف المدرسي / ترجمة: يمن الاعسر إمام / ط 1 / بيروت / 1963م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لوقا: نظمي،
ـ محمد « ﷺ » الرسالة والرسول / ط 2 / مصر / 1959م.

« م »

مجاور: محمد صلاح الدين علي،
ـ تدريس التربية الاسلامية: أسسه وتطبيقاته التربوية / ط 1 / الكويت / 1976 م.

محمود: ابراهيم وجيه،
ـ الفروق الفردية في القدرات العقلية / منشورات الجامعة الليبية ـ كلية التربية / 1973 م.

المصري: محمد أمين،
ـ لمحات في التربية الاسلامية وغاياتها / ط 3 / بيروت / 1974م.

مغنية: محمود جواد،
ـ الاسلام والعقل / ط 1 / بيروت / 1967 م.

المليجي: عبد المنعم،
ـ خبراء النفوس / مصر / 1956 م.

« ن »

ناصر: محمد،
ـ قراءات في الفكر التربوي / جـ 1 / ط 1 / الكويت.

النّاصف: محمد،
ـ آراء في التربية / تونس.

النّبهان: محمد فاروق،
ـ مبادىء الثقافة الاسلامية / ط 1 / الكويت / 1974 م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النجيحي : محمد لبيب،
- الأسس الاجتماعية للتربية / ط 1 / مصر / 1962م.

نحلاوي : عبد الرحمن،
- أسس التربية الاسلامية وطرق تدريسها / دمشق.

الندوى: أبو الحسن علي الحسني،
- نحو التربية الاسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الاسلامية / ط 1 / بيروت / 1969م.

أبو النصر: عبد الجليل عيسى،
- اجتهاد الرسول ﷺ / الكويت / 1969م.

نقرة: التهامي،
- سيكولوجية القصة في القرآن / تونس / 1974 م.

النّووى: أبو زكريا يحي بن شرف،
- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين / عني بمقابلة أصوله والتعليق عليه رضوان محمد رضوان / مصر.

النيسابوري : الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله،
- معرفة علوم الدين / صححه وعلق عليه السيد معظم حسين / بيروت.

« هـ »

هيكل : محمد حسين،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- حياة محمد « ﷺ » / ط 13 / مصر 1968 م.

« و »

وجدي: محمد فريد،

- الاسلام في عصر العلم / ط 3 / بيروت / 1967 م.

وول: و. د،

- التربية والصحة المدرسية / ترجمة: ابراهيم حافظ ومراجعة: عبد العزيز القوصي / نشر دار الهلال / « وهو خلاصة أعمال مؤتمر التربية والصحة النفسية الذي عقدته منظمة اليونسكو في باريس عام 1952 م.

« ي »

ياسين: الشيخ خليل،

- محمد « ﷺ » عند علماء الغرب / بيروت / 1967 م.

رابعا / مراجع باللغة الانجليزية:

- G. E. BEEBY,
The Quality of Education in Developing Countries, Harvard University Press, Second Printing, 1968. U. S. A.

2« COLES. S. BREMBECK,
Social Foundation of Education, John Wiley and Sons, Inc. 1971, U. S. A.

3- J. A. HADFIELD,
Chilhood and Adolescens, Apelicant Books 5, Printed in Great Britian, First Publisher, 1962.

4- HARVEYE. CLARISIO / ROBERTE, CRAIG / WILLIAM A, MEHRENS,

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Contemporary Issues in Educational Psychology, Second Eddition, 1975, U. S. A.

5- JAMES BRYANT CONANT,
The Child, The Parent and The State, Harvard University Press, 1960, U. S. A.

6- G. DUNCAN MITEHELL SOCIOLOGY,
The Study of Social Systems, University Tutorial Press, LONDON, Publishhed 1959, Reprinted 1960, 1963.

7- S. R. SLAVSON
RE-EDUCATING The Delinquent. Through Groupand Community Participation, Collier Books, Ney york, N. Y. First Collier Book Edition, 1954.

8- W. O. LESTER SMITH, «EDUCATION, »
Apelican Original 3,6, Printed in Great Britian, Pubblished 1957, Reprinted with Revision 1961, 1962, 1964, 1965.

9- ELLEN WALES WALPOLE,
Childrenask « Tell me », Barnes and Nole, Inc. Publishers, New York, 1947.

10- DELOS D. WICKENS, DONALD R. MERER, « PSYCHOLOGY »,
The dryen Press, Publishers, New York, First Printing March, 1955.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهرس الموضوعات

(الفصل الأول)
«أسس عامة»

«الفصل الثانى»
«التربية الجسمية»

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(الفصل الثالث)
«التربية الروحية»

(الفصل الرابع)
«التربية العقلية»

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(الفصل الخامس)
«التربية الوجدانية»

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(الفصل السادس)
«التربية الخلقية»

(الفصل السابع)
«التربية الاجتماعية»

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(الفصل الثامن)
«الشخصية السوية المتكاملة»



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

